بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب باستيفاء الملاحظات المطلوبة منه في المناقشة

١٤١٣/١٢/٢٩

عبد العزيز محمد عثمان

مراجعة يوسف القاسم

د/ عبد الستار فتح الله سعيد

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

القراءات وأثرها في التفسير والأحكام

إعداد

محمد بن عمر بن سالم بازمول

لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية



إشراف

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الستار فتح الله سعيد

١٤١٢هـ - ١٤١٣هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

القراءات

وأثرها في التفسير والأحكام

إعداد
محمد بن عمر بن سالم بازمول

لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إشراف
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
عبد الستار فتح الله سعيد



١٤١٢هـ - ١٤١٣هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اسم الرسالة : القراءات واثرها في التفسير و الأحكام.

الدرجة العلمية : الدكتوراة.

إعداد الطالب : محمد بن عمر بن سالم بازمول.

الباعث على الاختيار : جدة الموضوع، وخدمته للقرآن من جهة تفسيره، وقراءاته، والرغبة في التضلع من معاني القرآن الكريم، والذب عنه أمام شبه الملحدين، وجمع وترتيب المادة المبثوثة حول الموضوع في كتب القراءات والتفسير وعلوم القرآن في مكان واحد يقربها على الباحث والمطالع.

والبحث مقسم إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول : القراءات تعريفا وأقساما

ويتضمن الأبواب التالية: الباب الأول : تعريف القراءات وأقسامها. الباب الثاني : تدوين القراءات وتطوره. الباب الثالث : رد الشبهات التي تثار حول القراءات.

القسم الثاني : أثر القراءات في التفسير والأحكام.

ويتضمن الأبواب التالية: الباب الأول : القراءات والتفسير. الباب الثاني : القراءات التي بينت المعنى أو وسعته و أزالت الإشكال. الباب الثالث : القراءات المتعلقة بالعموم والإطلاق والإجمال. الباب الرابع : القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب.

نتائج البحث : ١- بيان أن الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه حظي بالتواتر في النقل، وما وافقه في الرسم من باقي الأحرف نقل عن غير طريق التواتر، لكن توفرت له شروط القبول من موافقة الرسم والعربية وصحة النقل وتلقي العلماء له بالقبول. ٢ - بيان أقسام القراءات من جهة النقل، ومن جهة القبول، مع بيان الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والطريق والوجه. ٣ - بيان أن التصنيف في القراءات وما يتعلق بها لم ينقطع في عصر من الأعصار وأنه مستمر ولله الحمد إلى زمننا هذا. ٤ - ردّ الشبه التي جاء بها المستشرقون بالنسبة لاختلاف القراءات و رسمها، وأنها في حقيقتها تطوير للشبه القديمه التي جاء بها المبطلون وردها عليهم أهل العلم. ٥ - تأكيد أن القراءات جميعها حق، واختلافها لا تضاد فيه، و لا تناقض، لأنه اختلاف تنوع، والاختلاف الذي نفاه الله عزوجل عن القرآن العظيم هو اختلاف التضاد والتناقض، وهذا لا يوجد في الشرع بله في القرآن العظيم، ولله الحمد والمنة. ٦ - بيان منزلة القراءات من التفسير، وأنها تارة تكون من باب تفسير القرآن بالقرآن، وتارة تكون من باب تفسير القرآن بالسنة أو بقول الصحابي. ٧ - بيان أن تنوع القراءات من جهة أثره في التفسير على قسمين: الأول: قراءات لها أثر في تفسير الآية وبيان معناه. الثاني: قراءات لا أثر لها في تفسير الآية ومعناها، وإنما هو أمور ترجع إلى اللغة، نحواً، وصرفاً، ونحو ذلك. ٨ - تقرير أن الاهتمام بأثر القراءات في التفسير كان منذ عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. ٩ - حصر الآيات الكريمة الذي أنتج تنوع القراءات فيها أثراً في معناها وتفسيرها. ١٠ - تقرير أن تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآني، لا يستطيع أن يأتي به بشر قط من عنده، ثم لا يستطيع أن يبلغه على هذا الوجه الشامل إلا رسول من عند الله حقاً، لذلك لم يحط بعد ذلك إمام واحد بكل القراءات.

توقيع الطالب: توقيع المشرف: توقيع العميد :

محمد بازمول

بسم الله الرحمن الرحيم

شُكْرٌ وتقدِيرٌ

الحَمْدُ للّه وحْدَه.
والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده.
أمَّا بعد :
فإنِّي امتثالا لقوله ﷺ: «لا يَشْكُرُ اللّٰهَ مَنْ لايَشْكُرُ النَّاسَ»(١) أسجل هنا شكري وعرفاني بالجميل وتقديري.

أمَّا الشكر فلأستاذي وشيخي المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ :

عبدالستار فتح الله سعيد سلَّمه الله ورعاه.

على ما بذله معي من جهد في قراءة الرسالة واسداء النصح والتوجيه طوال فترة الإشراف جزاه اللّه عني كل خير.

فقد كان - ولا أزكي على اللّه أحدا - حريصاً كل الحرص على تجلية الحقائق العلمية، وضرورة إبرازها بصورة جيدة، مع توجيهي إلى دقة العبارة، وسلامة التركيب، وصحة الأسلوب.

كما أسجل هنا تقديري للجهود الكريمة التي تبذلها جامعة أم القرى عامة، وكلية الدعوة وأصول الدين خاصة، لتيسير طريق العلم أمام طلابه، فجزاهم الله خيرا.

ولا يفوتني تسجيل شكري ودعائي لجميع أساتذتي، ومشايخي، الذين أفادوني كثيراً، ولجميع إخواني، وزملائي؛ من أعارني منهم كتاباً، أو أبدى تشجيعاً، فلهم مني كلَّ شكرٍ وتقدير، جزى اللّه الجميع خيرا.

وأخيرا، أسأل اللهَ بأنَّ له الحمد لا إله إلا هو الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام أن يتقبل جميع عملي خالصا لوجهه الكريم وأن يرزقني القبول إنه سميع عليم.

---

١) حديث صحيح.

أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (الميمنية) ٢/٢٥٨، ٢٥٩، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢، وأبوداود في كتاب الأدب باب في شكر المعروف حديث رقم: (٤٨١١) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (١٩٥٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند١٣/٢٤٦، وصححه كذلك الشيخ عبدالقار الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول لابن الأثير٢/٥٦٠.

مفتاح مختصرات ورموز الرسالة

الإبانة : الإبانة عن معاني القراءات لمكي.
الإتحاف : إتحاف فضلاء البشر للدمياطي.
الإتقان (أبو الفضل) : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق أبو الفضل إبراهيم.
اهـ : انتهى
البدور : البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي.
البرهان : البرهان في علوم القرآن للزركشي.
ت ١٢٣هـ : توفي سنة ١٢٣هـ.
التبصرة : التبصرة في القراءات السبع لمكي.
ت بغداد : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
التحبير : تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري.
تفسير الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن.
تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن.
تفسير الطبري (شاكر) : تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر.
التقريب : تقريب التهذيب.
التهذيب : تهذيب التهذيب، كلاهما لابن حجر.
التيسير : التيسير في القراءات السبع للداني.
ج : جزء.
الحرز : حرز الأماني للشاطبي.
السبعة : السبعة في القراءات لابن مجاهد.
ص : صفحة.
طبقات القراء : غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري.
الغاية : الغاية في القراءات العشر لابن مهران.
فهرس جامعة الإمام : فهرس المخطوطات والمصورات في جامعة الإمام محمد بن سعود.
ق : قسم.
القلائد : قلائد الفكر، لمحمد القمحاوي، وزميله.
ل : لوحة، وذلك عند العزو إلى مخطوط.
اللطائف : لطائف الإشارات للقسطلاني.
الكشف : الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي.

المبسوط : المبسوط في القراءات العشر لابن مهران.
المرشد : المرشد الوجيز، لابن أبي شامة
مسند أحمد بن حنبل (البنا) : الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ البنا.
مسند أحمد بن حنبل (شاكر) : مسند أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاكر.
المغني : المغني في توجيه القراءات العشر.
المنجد : منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري.
النشر : النشر في القراءات العشر.
«...» : في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

المُقــــدِّمَة

إنَّ الحمْدَ للّه نحْمده ونسْتَعِينه ونسْتغفره ونعوذُ باللّه من شرورِ أنفُسنا وسيئات أعمالنا .

منَ يهده اَللّه فلا مُضلّ له ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وحدَه لا شريكَ له .

و أشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿يا أيّها الّذين آمنُوا اتّقُوا اللّه حَقّ تُقَاتِه و لا تَمُوتُن إلا وأنْتُم مُسْلِمُون﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم الذي خلقَكُم منْ نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منْها زَوْجَها وبثّ منْهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا اللّه الذي تَسَاءلُون به و الأرحام إن اللّه كان عليكم رَقِيبَا﴾ [النساء:١].

﴿يا أيّها الذين آمنُوا اتقوا اللّه و قولُوا قولاً سَديداً.يُصْلِح لكم أعمالكم ويغْفِر لكم ذُنُوبكم ومَنْ يُطِع اللّه ورَسُولَه فقد فازَ فَوزاً عَظيما﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد :

فإنَّ أصدَق الكلام كلام اللّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة في دين اللّه بدعة وكل بدعة ضلالة.

أمَّا بعد :

فإنَّ القرآن العظيم هو كلام رب العالمين أنزله هدى ورحمة للناس، فهو نور يضيء الظلمات، وروح يحي الموات قال تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَاسُ: قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُم وأنزَلْنا إلِيْكُم نوراً مُبِينًا﴾ سورة النساء:١٧٤ وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَاسَ مِنَ الظُلُمَاتِ إِلى النَورِ﴾ سورة إبراهيم:١ وقال: ﴿وكَذَلِكَ أَوْحَينَا إِليك رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ سورة الشورى:٥٢.

فهو خليق بأن تبذل في خدمته الجهود ويستوفى في بيانه غاية المجهود، وقد ندبنا الله تبارك وتعالى لحفظه وتدبره فقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ ولِيَتَذَكَرَ أُولُوا الألْبابِ﴾ سورة ص:٢٩.

وندبنا رسول الله ﷺ لتعلمه و تعليمه فقال: "خيركم من تعلم القرآن

وعلّمه»(١).

وكان من فضل الله تبارك وتعالى عليّ أن وفقني لاختيار موضوع عن القراءات وتعلقها بتفسير القرآن العظيم وبيان معانيه بعنوان :

[القراءات وأثرُها في التفسيرِ والأحكام]

أتقدم به لنيل درجة : (الدكتوراة) من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة.

وقد كان **الباعث لاختيار** هذا الموضوع الأمور التالية :

(١) أهمية هذا الموضوع إذ يتعلق بأمرين هامين هما:

(أ) القراءات.

(ب) والتفسير.

فهو يوضح سبب اختلاف القراءات، والقراءة الصحيحة والقراءة الشاذة وما يعتمد منها في التفسير وما لايعتمد، كما أنه يحقق صورة من صور تفسير القرآن بالقرآن قد يُغْفَل عنها أحيانا، و صورة من صور تفسير القرآن بالسنة، وصورة من صور تفسير القرآن بقول الصحابي قد لايتنبه لها.

(٢) الرغبة في خدمة القرآن العظيم، والعيش بين معانيه والتضلع من خلال ذلك فهما وعلما في كتاب الله عز وجل.

(٣) جِدّة هذا الموضوع؛ حيث لم أر من افرده بالتصنيف غيركلام مبثوث في كُتُب التفسير وكتب توجيه القراءات.

(٤) جمع ما يتعلق بهذا الموضوع في مكان واحد بحيث يسهل مأخذه ويقرب على طالبه.

(٥) بيان الحكَم والفوائد الكبري التي تتحقق من خلال تعدد القراءات والرد على الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام.

خطة الموضوع :

وقد قسّمت الرّسالة إلى قسْمَين رئيسين :

القسَم الأول : القـــراءات .

ويشتمل : على مدخل وثلاثة أبواب كما يلي :

---

١) حديث صحيح .

فقد أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم (٥٠٢٧) .

المدخل ، ويتضمن الحديث عن :

(1) **تعريف القرآن العظيم .**

(2) **نزول القرآن العظيم .**

(3) **جمع القرآن العظيم .**

وكان هذا المدخل ضروريا في هذه الدراسة لما ينبني عليه من بيان القراءات ، وأسباب تنوعها ، والأحرف السبعة ولفهم ماسيأتي في سائر مباحث الرسالة - إن شاء الله تعالى -.

الباب الاول : القراءات تعريفاً و أقساماً.

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : تعريف القراءة.

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف القراءات لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : نشأة القراءات ومصدرها.

المبحث الثالث : الفرق بين القراءة و القرآن والوجه والطريق والرواية .

الفصل الثاني : أقسام القراءات .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : عدد القراءات وصلتها بالأحرف السبعة.

المبحث الثاني : أقسام القراءات.

المبحث الثالث : تعدد القراءات وفوائده.

الباب الثاني : تدوين القراءات و تطوره.

وفيه تمهيد وفصول :

التمهيد : يتناول عرضا تاريخيا حسب التسلسل الزمني لدراسات السابقين لتتضح الصورة الكلية بين يدي الفصول والمباحث.

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخري ويتضمن هذا الفصل الحديث عن الكتابات الأولى في القراءات كيف بدأت ؟ وكيف سارت في مراحلها الاولى ؟ حيث إنَّ الباحث يجدُ القراءات في هذه المرحلة تكوِّن نصوصاً مبثوثة في كتب التفسير بالمأثور كما في «**تفسير عبدالرزاق الصنعاني**» و «**تفسير النسائي**» و «**تفسير ابن أبي حاتم**»، وغيرها من الكتب المصنفة في معاني القرآن مثل كتاب «**معاني القرآن**» للفراء، وكتاب «**معاني القرآن**» للاخفش.

كما يجد نصوصاً أخرى تتعلق بالقراءات في كتب الحديث بأنواعها كالمسانيد والمصنفات والجوامع والسنن.

وكذا في الكتب المصنفة في علوم القرآن ككتاب «**فضائل القرآن**» لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّم ، وكتاب «**فضائل القرآن**» لابن الضُرَيس وكتاب «**تأويل مشكل القرآن**» لابن قتيْبَة، وغيرها.

وكذا في كتب النحو الأولى نجد نصوصا تتعلق بالقراءات ، كما في كتاب «**الكتاب**» لسيبويه، و كتاب «**المقتضب**» للمبرد و غيرها.

وبناء على هذا الواقع فإن هذا الفصل فيه المباحث التالية :

المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير .

المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .

المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات.

ويتحدث هذا الفصل عن المصنفات التي أفردت للقراءات سواء كانت مفردة لقراءة إمام بعينه، أم كانت تجمع اكثر من قراءة، وسواء كانت تجمع قراءات مع التحرير والاختيار، أم كانت بدون ذلك، و يتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام بعينه.

المبحث الثاني : كتب القراءات الموسعة .

المبحث الثالث : كتب توجيه القراءات.

الباب الثالث : رد الشبهات التي تثار حول القراءات.

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردها .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردها .

القسم الثاني : أثرالقراءات في التفسير والأحكام.

ويشتمل على التمهيد والأبواب التالية :

الباب الأول : معنى العنوان، وصلة القراءات بالتفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : معنى العنوان.

الفصل الثاني : القراءات والتفسير.

الباب الثاني : القراءات التي بينت المعنى أو وسّعته أو أزالت الإشكال.

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : القراءات التي بينت معنى الآية ٠

الفصل الثاني : القراءات التي وسّعت معنى الآية ٠

الفصل الثالث : القراءات التي أزالت الإشكال عن معنى الآية.

الباب الثالث : القراءات المتعلقة بالعموم والإطلاق والإجمال.

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : القراءات المتعلقة بالعموم .

الفصل الثاني : القراءات المتعلقة بالإطلاق .

الفصل الثالث : القراءات المتعلقة بالإجمال.

الباب الرابع : القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب.

وفيه الفصلان التاليان :

الفصل الأول : في البناء للفاعل والمفعول والالتفات .

الفصل الثاني : في الاستئناف والمفاعله والتكثير وغيره.

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والمقترحات التي انتهي إليها البحث.

الكشّافات، و المصادر والمراجع، ودليل محتويات الرسالة.

منهج البحث :

يتلخص منهج البحث فيما يلي :

بالنسبة للقسم **الأول** من الرسالة المتعلق بـ**القراءات** من جهة التعريف بها وتدوينها والشبهات التي أثيرت حولها؛ فقد تتبعت ماذكره العلماء في ذلك قديماً وحديثاً وأوردته مع التحرير والتدقيق ما أمكن.

وقد كانت المشكلة التي واجهتني في ذلك شحَّة المعلومات في جانب وكثرتها في جانب آخر، مماكان يستلزم البحث والتنقيب والتتبع والتقصي والتحرير والتدقيق قدر الوسع والطاقة.

وشكلت كتب علوم القرآن ، ومقدمات كتب القراءات و مقدمات كتب التفسير والكتب المصنفة حول القراءات عموما؛ المصادر الرئيسة لهذا القسم.

بالنسبة للقسم **الثاني** المتعلق ببيان أثر القراءات في التفسير والأحكام؛ فقد سلكت النهج التالي :

(١) استقرأت وتقصيت القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر كما تقصيت القراءات الشاذة التي أوردها ابن جني (ت٣٩٢هـ) رحمه الله في كتابه «**المحتسب**» وكذا القراءات التي أوردها السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه «**الدر المنثور**» وأرجو أن لايكون فاتني شيء مما له علاقة بالموضوع إلا ما يكون من شأن الإنسان والله المستعان.

(٢) راجعت تلك المواضع في كتب التفسير ، وخاصة كتاب أبي

جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) «**جامع البيان**» و كتاب ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) «**زاد المسير**» و كتاب القرطبي (ت٦٧١هـ) «**الجامع لأحكام القرآن**» و كتاب أبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) «**البحرالمحيط**»؛ فقد راجعت هذه الكتب وغيرها ونقلت منها ما يتعلق بموضوع البحث.

و كانت كتب القراءات السبع، والعشر، مع كتب توجيه القراءات و كتب التفسير و معاني القرآن، المصادر الرئيسة لهذا القسم.

وقد راعيت عند كتابتي الأمور التالية :

(١) التزمت عند إيراد الآيات القرآنية رواية حفص عن عاصم، وإذا أوردت الآية بغير هذه الرواية فإني أنبه علي ذلك.

(٢) عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف الشريف مع ضبط الآية بالشكل وذكر رقم الآية واسم السورة حسب المثبت في المصحف المطبوع في «**مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف**» وهو جار على عد الكوفيين و عدده عندهم (٦٢٣٦) آية.(١).

(٣) وقد بلغ عدد مواضع تنوع القراءات بضعاً واربعمئة موضعاً، اشتملت على خمسين و تسعمئة قراءة تقريباً، نصيب القراءات العشر منها: أربع وأربعون وسبعمئة قراءة، فيكون عددَ القراءات العشر باعتبار القراء أربعون وأربعمئة و سبعة آلاف (٧٤٤٠).

ونصيب القراءات الآحادية والشاذة منها: خمس ومئتا قراءة(٢).

وبلغ عدد القراءات الآحادية(٣) الموافقة للقراءات العشر، باعتبار القراء، ستاً وسبعين وتسعمئة والفي قراءة.

وهذا العدد يدل - بفضل الله تعالى - على مدى ما بذل في هذه الرسالة من جهد في الجمع والتصنيف، والترتيب، والتحرير، فلله الحمد والفضل.

(٤) تخريج الأحاديث والآثار تخريجاً مختصراً، أقتصر فيه على عزو الحديث إلى مواضعه، مع بيان حاله: صحة أو حسناً أو ضعفاً مستعيناً في ذلك بأحكام أهل الشأن - إن وجدت - و إلا اجتهدت في تطبيق قواعدهم في ذلك.

ولا أثبت حكماً على حديث أو أثر - إن شاء الله تعالى - إلا بعد مراجعة كتب أئمة الجرح والتعديل ككتاب «**الجرح والتعديل**» لابن أبي حاتم

---

١) انظر تعريفاً بهذا المصحف طبع في آخره مع تقرير لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية.

٢) ولم أحصها باعتبار القراء.

٣) أعني قراءة الحسن وابن محيصن والأعمش واليزيدي.

و «**ميزان الاعتدال**» للذهبي و «**تهذيب التهذيب**» و «**تقريب التهذيب**» و «**لسان الميزان**» لابن حجر العسقلاني، وغيرها.

(٥) الحرص على الموضوعية في البحث، من التزام المقصود الأصلي في كل موضع، وتحرير المراد، وتحقيق القضايا، وعدم الاستطراد، أو تعميم الأحكام في غير موضعها، وقد أفردت صلب الرسالة لموضوعات البحث، والهامش للمسائل الفرعية بالنسبة لموضوع المطلب أو المبحث أو الفصل.

(٦) التزمت بالتوثيق العلمي لِمَا أورده في جميع الرسالة بذكر اسم المرجع أو المصدر بالجزء والصفحة، إلاّ في تخريج الأحاديث فقد كنت أذكر الكتاب والباب، ورقم الحديث إن أمكن، والجزء والصفحة.

(٧) ترجمت للأعلام الواردين في صلب الرسالة، وارجو أن لا يكون فاتني من ذلك إلا القليل، مما الإنسان عرضة له.

(٨) عرفت بالأماكن والبقاع، الواردة في صلب الرسالة.

(٩) زودت الرسالة بكشافات تساعد القارئ على الوصول إلى مايريده من موضوعات، وهي كالتالي :

(أ) كشاف الآيات القرآنية.

(ب) كشاف القراءات الشاذة.

(ج) كشاف الأحاديث والآثار.

(د) كشاف الأعلام .

(هـ) كشاف الكتب.

(و) كشاف الأماكن و البقاع.

(١٠) ألحقت في آخر الرسالة فهرساً للمصادر والمراجع ذكرت فيه معلومات النشر المتعلقة بالكتب التي رجعت إليها أثناء كتابتي للرسالة .

هذا : وقد بذلت غاية جهدي في هذه الرسالة، لشرف موضوعها، وجلال مقصودها، وكل ما أصبت فيه فهو من فضل الله تعالى وتوفيقه، وإن تكن الأخرى فمني، والله تعالى هو المرجو دائماً: أن يتجاوز عنّا إن نسينا، أو أخطأنا، وهو سبحانه من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

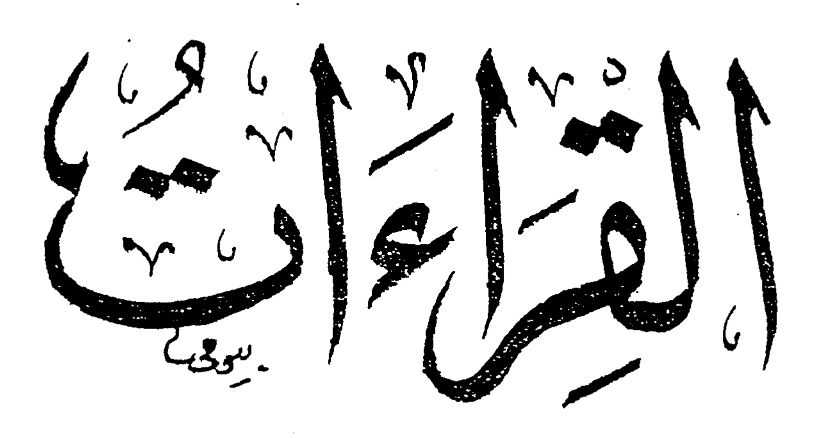
هذا : وأسأل الله بأن له الحمد لا إله إلا هو الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أن يجعل عملي كله خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقني فيه القبول إنه سميع مجيب .

كتبه : الطالب : محمد بن عمر بن سالم بازمول .
مكة المكرمة في ١٤١٣/٧/١هـ .

القراءات

وأثرها في التفسير والأحكام





ويتضمن المدخل، و أبواباً ثلاثة كما يلي :

المدخل : القرآن العظيم تعريفه ونزوله وجمعه .

الباب الأول : القراءات تعريفاً وأقساماً .

الباب الثاني : تدوين القراءات و تطوره .

الباب الثالث : رد الشبهات التي تثار حول القراءات.

المدخل

القرآن العظيم تعريفه نزوله جمعه

أولا : تعريف القرآن العظيم :

اختلف العلماء في الوجه اللغوي لتسمية القرآن قرآنا :

١ - قال بعضهم : هو علم مرتجل(١) من أول الأمر وضع علما على كتاب الله تعالى، غير مهموز.

وعليه فإنه يُلفظ بدون همز، وبه قرأ ابن كثير وهو مروي عن الشافعي(٢).

٢ - وقال بعضهم : القرآن وصف على وزن (فعلان)، واختلفوا في وجه الاشتقاق :

فقيل : من القرء بمعنى الجمع والضم والتأليف .

قال أبوعبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) : « إنما سُمِّي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها...» وأشار الى أن هذه التسمية خاصة بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فقال:«والقرآن اسم كتاب الله خاصة ولايسمى به شيء من سائر الكتب غيره»(٣).

وقيل : القرآن وصف مشتق من التلاوة والقراءة .

وهذا القول اختيار ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) حيث قال : « والواجب أن يكون تأويله... من التلاوة والقراءة وأن يكون مصدرا من قول القائل : «قرأت» كقولك: «الخسران» من «خسرت» و «الغفران» من «غفر الله لك» و «الكفران» من «كفرتك» و «الفرقان» من «فرَّق الله بين الحق والباطل» .»اهـ(٤).

قال د/ محمد دراز(٥) (ت١٣٧٧هـ) :«القرآن في الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم كـ« الغفران» و « الشكران» و « التكلان» تقول : قرأته قرءا وقراءة وقرآنا بمعنى واحد، أي: تلوته .

---

١) يعني : غير منقول. وانظر الإتقان (أبوالفضل) ١٤٦/١.

٢) انظر تاريخ بغداد ٦٢/٢ مناقب الشافعي للرازي ص١٩١ الإتقان (أبوالفضل) ١٤٦/١تعليق أحمد شاكر على الرسالة للشافعي ص١٤.

٣) مجاز القرآن ١/١.

٤) تفسير الطبري (شاكر) ٩٤/١-٩٥،٩٧.

٥) محمد بن عبدالله دراز مفسر مفكر متبحر في الثقافات الإنسانية (١٣١٢-١٣٧٧هـ). ترجمته في مقدمة كتابه «المختار من كنوز السنة».

وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى :﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وقُرْآنَهُ . فإذا قَرأْنَاه فاتَّبِع قُرآنَهُ﴾ [القيامة:١٧-١٨] أي : قراءته.

ثم صار علما شخصيا لذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَذا القُرآن يَهْدِي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] .

روعي في تسميته قرآنا كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه» اهـ(١).

قلت : قيل في اشتقاق لفظة «القرآن» غير ذلك أيضا ، ولعل الراجح من ذلك جميعه : أن القرآن مصدر مشتق مهموز من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا ، ويرجح هذا مايلي :

- أنَّ من قال : إنَّه غير مهموز، قد أبعد في مورد الاشتقاق .
- أنَّ القراء السبعة غير ابن كثير على همزه .
- أنَّ قراءة التخفيف (غير مهموز) قد وجهت بأن ترك الهمزة فيها من باب التخفيف، ونقل حركتها إلى ما قبلها، ولم يوجه إثباتها كأنه الأصل(٢).
- ومما يُضعف القول بأن أصل اشتقاق «القرآن» من «القرء» بمعنى الجمع والضم والتأليف ما قاله ابن جرير الطبري بعد حكايته لقول من قال : القرآن مصدر مشتق من القراءة ، وقول من قال : القرآن مصدر مشتق من قرء قال :«ولكلا القولين اللذين حكيناهما وجه صحيح في كلام العرب غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى :﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وقُرْآنَهُ. فإذا قَرأْنَاه فاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾ [القيامة :١٧-١٨] قول ابن عباس (يعني: تفسيره للآية بأن معناها: أن نقرئك فلا تنسى، وإذا تلي عليك فاتبع ما فيه).

لأن الله جل شأنه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي إليه ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له، فكذلك قوله: ﴿فإذا قَرأْنَاه فاتبعْ قُرْآنَهُ﴾ نظير سائر ما في آي القرآن التي أمر الله فيها باتباع ما أوحى إليه في تنزيله» اهـ(٣).

- أضف إلى هذا أن طائفة من كبار العلماء وأساطين أهلُ العلم

---

١) النبأ العظيم ص١٢.
٢) انظر لسان العرب ٣٤٠/١٣ الإتقان ٦٨/١.
٣) تفسير الطبري (شاكر) ٩٦/١.



قد صححوا هذا القول منهم ابن جرير الطبري واللحياني(١) واختاره الألوسي (٢) والزرقاني(٣) (ت١٣٦٧هـ) ودراز(٤) (ت١٣٧٧هـ) وغيرهم، رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.

أمّا تعريف القرآن العظيم بالحد المنطقي : بالجنس(٥) والفصل(٦) بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً فإنه صعب جداً بلْ صرّح بعض أهل العلم بتعذره (٧) لأن التعاريف لا تكون إلا للكليات والقرآن عَلَمٌ جزئي مركب من الماهية(٨) ومشخصاتها والمشخصات لا تعرف إلا بالاطلاع عليها بالحواس كالإشارة مثلا أو بالتعبير عنها باسم العَلَم.

وما ذكره العلماء من تعريف للقرآن إنما هو ضابط مميز و ليس بحدّ مُعرِّف.(٩).

وعليه : فالتعريف الحقيقي للقرآن هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقرؤا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين أو تقول : هو : ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين...**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ وبغير هذا لا يمكن حده حدا حقيقيا تاما(١٠).

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى ضابطاً يُمَيِّز القرآن عن غيره، خلاصته:

[القرآن كلام الله المُنَزَّل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام المنقول إلينا تواتراً، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتي المصحف المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة

---

١) علي بن المبارك وقيل :ابن حازم. بغية الوعاة ص٣٤٦.
٢) روح المعاني ٨/١ .
٣) مناهل العرفان ٧/١.
٤) النبأ العظيم ص١٢.
٥) الجنس: كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة، في جواب ماهو من حيث هو كذلك. التعريفات ص٧٨.
٦) الفصل : كلي يحمل على الشيء في جواب أي شيء هو في جوهره. التعريفات ص١٦٧.
٧) النبأ العظيم ص١٤ .
٨) الماهية: حقيقة الشيء التي بها يكون هو. وانظر التعريفات ص١٩٥.
٩) مناهل العرفان ١٥/١ النبأ العظيم ص١٤.
١٠) انظر مناهل العرفان ١٤/١-١٥.

الناس](١).

وبتأمل هذا الضابط نجد أنه اشتمل على الشروط والقيود التالية :

(١) أنه أخرج كلام غير الله بعبارة :« القرآن كلام الله» فلا يسمى كلام الملك ولاكلام الرسول ﷺ قرآنا.

(٢) وعبارة :« المُنَزَّل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام» بينت أن المقصود هنا مانزل على محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء.

(٣) وعبارة :« المنقول إلينا تواترا» أدخلت القراءات المتواترة حقيقة أو حكماً، وأخرجت القراءاة الشاذة، والآحادية التي لم تتلق بالقبول، فلا تسمى قرآنا، بالضوابط التي ذكرناها(٢).

(٤) وعبارة : « المتعبد بتلاوته» أخرجت الحديث القدسي، والنبوي، فلا يسميان قرآناً.

(٥) وعبارة :« المُعْجِز بأقصر سورة منه» أخرجت ماليس بمعجز(٣).

---

١) هذا الضابط عبَّرْتُ به من عندي مستفادا من كلام العلماء رحمهم الله وانظر روضة الناظر ص٦٠-٦١ النبأ العظيم ص١٤.

٢) وانظر النشر في القراءات العشر ١/٩-١٩.

٣) يرِدُ على هذا القيد : أن كون القرآن معجزا ليس لازما بيِّنا إذ لا يعرفه إلا الأفراد من العلماء فضلا عن أن يكون ذاتيا، فكيف يصح جعله قيدا للتعريف عن الحقيقة، والتعريف إنما يكون بالذاتيات أو باللوازم البينة ؟.

ويَرِدُ أيضا : أن معرفة السورة متوقفة على معرفة القـرآن، وهـذا دور؟ روح المعاني ١/٨-٩.

قلت : والجواب : أن هذين الإيرادين غير واردين لأن هذا القيد لا يقصد به الحد وإنما المقصود به أن يكون ضابطا مميزا فقط.

والدور هو : توقف الشيء على نفسه . انظر التعريفات ص١٠٥ وضوابط المعرفة ص٣٣٣.

والدور هنا : أن معرفة القرآن متوقفة على معرفة السورة ومعرفة السورة متوقفة على معرفة القرآن.

ثانياً : نزول القرآن العظيم .

القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، أنزله إلى رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام فبلغه إليه كما تلقاه من ربه(١)وبلّغه الرسول ﷺ لأمته كما سمعه.

قال الله تبارك وتعالى مخبراً أن القرآن منزل منه: ﴿حم تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ غافر :١-٢، وقال تبارك وتعالى: ﴿تنزيل الكتاب مِنَ اللّه العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ الزمر:١، وقال تبارك وتعالى: ﴿تنزيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ فصلت:٢، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت :٤٢، وقال تبارك وتعالى: ﴿والّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنّه مُنَزّلٌ مِنْ رَبّك بالْحَقّ﴾ الأنعام:١١٤، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ: نَزّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبّك بالحَقّ﴾ النحل:١٠٢.

كما أخبر عز وجل أن الذي نزل بالقرآن على الرسول ﷺ هو جبريل عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿نَزَل به الرُّوحُ الأَمِينُ. على قَلْبِك لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ﴾ الشعراء:١٩٣-١٩٤، و قال: ﴿ قُلْ: مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيل فإنّه نَزّله عَلَى قَلْبِك بإذْن اللّه﴾ البقرة:٩٧.

وبيَّن سبحانه وتعالى معنى نزول جبريل بالقرآن على قلب الرسول ﷺ، أي: أن الملك يقرأه عليه حتى يسمعه منه بأذنيه ويعيه قلبه ﷺ بعد سماعه، فيواطيء اللسان القلب ، كما في قوله تعالى: ﴿لاتُحَرّك به لِسانَك لتَعْجَل بِه إنّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَه. فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتّبِع قُرآنَهُ. ثُمَّ إنَّ علينا بَيَانَه﴾ القيامة:١٧-١٩(٢).

وقوله تعالى: ﴿ولاتَعْجَلْ بالقرآن مِنْ قَبْلِ أن يُقْضَى إليك وَحْيُه وقُلْ ربِّ زِدْني علماً﴾ طه:١١٤.

وتوعد الله تبارك وتعالى من قال :﴿إنْ هَذَا إلاّ قَوْلُ البَشَرِ﴾ المدثر :٢٥، بقوله سبحانه :﴿سأُصْلِيه سَقَر﴾ المدثر :٢٦.

وحدّد بدء إنزال القرآن فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَان الّذي أُنْزِل فيه القرآنُ﴾

---

١) تكلم ابن تيمية رحمه الله عن تلقي جبريل للقرآن من اللّه تعالى في مجموع الفتاوي ١٢/١٢٧-١٢٨ ، ٥٢٠-٥٢١ ، ١٥/٢٢٤، و انظر الإتقان (أبوالفضل) ١/١٢٥-١٢٨.

٢) أضواء البيان ١/٧١.

البقرة:١٨٥، و قال : ﴿إنّا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ الدخان:٣ (١) وقال عزوجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ القدر:١.

وبيّن الله تبارك وتعالى أنه أنزل القرآن منجماً مفرقاً على رسوله محمد ﷺ و أنه لم ينزل عليه جملة واحدة؛ فقال جل وعز: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ الإسراء:١٠٦.

وذكر الحكمة من تنجيم القرآن على رسوله ﷺ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وقال الذين كفروا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً • ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ الفرقان:٣٢-٣٣.

والناظر في القرآن الكريم إذا رأى هذه العناية من الله تبارك وتعالى بموضوع نزول القرآن الكريم يتساءل: ما معنى النزول؟. هل كانت للقرآن تنزلات قبل نزوله على الرسول ﷺ ؟ وكيف نزلت الكتب السماوية السابقة؟. وما الحكمة في نزول القرآن منجما ؟ وهل تكرر نزول القرآن على الرسول صلوات ربي وسلامه عليه؟.

للإجابة عن هذه الاسئلة نعقد النقاط التالية :

معنى النزول :

إنّ لفظ «النزول» الوارد في الآيات السابقات لم يأت فيه نص يحدد معناه؛ فالمرجع في تفسيره: لسان العرب .

والظاهر أن المراد الشرعي لهذه الكلمة «نزول» هو حقيقتها اللغوية؛ لأن بعض النصوص السابقة استعملت المفعول المطلق لفعل النزول، مما يدل على وقوع الفعل حقيقة لا مجازا (٢) كما في قوله تعالى: ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ الإسراء:١٠٦، وقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ الانسان :٢٣ .

ومادة الفعل [ن ز ل] تدل على هبوط شيء ووقوعه من علو واستعمالات

---

١) لأهل العلم في الليلة المقصودة في هذه الآية الكريمة قولان: قال بعضهم : هي ليلة النصف من شعبان و قال آخرون: هي ليلة القدر، ونُقل هذا القول عن قتادة وابن زيد ومجاهد والحسن وأبي عبدالرحمن السلمي وأكثر علمـاء العراق.

وقال أبوبكرالطرطوشي: «وعلى هذا القول (يعني:أنها ليلة القدر) علماء الاسلام»اهـ كتاب «الحوادث والبدع» ص٢٦٣.

وقد دلل الطرطوشي رحمه الله على صحة هذا القول وقرره أبلغ تقرير في كتابه السابق ص٢٦٤،٢٦٦.

٢) أنظر حول هذه القاعدة «تأويل مشكل القرآن» ص١١١ الإتقان (ابو الفضل) ١٩٨/٣ .

هذه المادة تدور حول هذا الأصل(١).

فنزول القرآن هو انتقاله وهبوطه من علو بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام إلى محمد ﷺ (٢).

قال ابن تيمية(٣) (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: «ليس في القرآن ولا في السنة لفظ "نزول" إلا و فيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق، فإنه نَزَلَ بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعني، ولو أريد غير هذا المعني لكان خطابا بغير لغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لايجوز.

وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى أنّه بيّنه وجَعَله هدى للناس» اهـ(٤).

قلت : وقال بعض العلماء: إن المراد بـ"نزول القرآن" الإعلام به، وقال: لايليق إرادة المعنى الحقيقي للنزول في "نزول القرآن" لما يلزم هذا المعنى من المكانية والجسمية، والقرآن ليس جسما سواء كان المراد به المعنى القديم القائم بذاته تعالى أو الكلمات الحكمية الأزلية أو اللفظ العربي المبين لأن صفاته ومتعلقاتها تنزه عن الحوادث وأعراض الحوادث، ولأن الألفاظ أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها(٥).

قلت :القول في "نزول القرآن" كالقول في سائر الأمور الغيبية، نثبت معانيها الظاهرة، ونفوّض الكيفية لله تعالى(٦).

---

١) معجم مقاييس اللغة ٥ /٤١٧، أساس البلاغة ص٤٥٢ لسان العرب ٦٥٦/١١.

٢) هذا مذهب أهل السنة والجماعة، كما قرره ابن تيمية في رسالة «التبيان في نزول القرآن» ضمن مجموعة «الرسائل الكبرى» ٢١٣/١.

خلافا للجهمية والقدرية في قولهم: معنى نزول القرآن، أ ي: خلق القرآن. «الرد على الجهمية» ص ٩٤-١٠٢، «مقالات الاسلاميين» ص٢٨٠ «الفرق بين الفرق» ص٢١٢.

وخلافا لبعض الكلابية في قولهم: نزول القرآن : الإعلام به و إفهامه للملك أو نزول الملك بما فهم. «مقالات الاسلاميين» ص٤٨٤-٤٨٥ «مجموع الفتاوي»٢٤٧/١٢.

وانظر حول الموضوع مجموع الفتاوي ١١٨/١٢-٢٥٧، ٢٢١/١٥ و مختصر الصواعق المرسلة ٢١٨/٢-٢٢٠، ٢٩٥ وخلاصتهما في شرح الطحاوية ص١٧٩-٢٠٣.

٣) أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية أبو العباس تقي الدين الحراني إمام كبير في التفسير والحديث والفقه والعقائد، (٦٦١-٧٢٨هـ). الأعلام ١/ ١٤٤.

٤) التبيان في نزول القرآن (ضمن مجموع الفتاوى) ٢٥٧/١٢.

٥) انظر البرهان في علوم القرآن ٢٢٩/١ مناهل العرفان ٣٤/١.

٦) ولذلك لما قال ابن بطال: «المراد بالإنزال إفهام العباد معاني الفروض التي في القرآن، وليس إنزاله كإنزال الأجسام المخلوقة ؛ لأن القرآن ليس بجسم ولامخلوق»

لمّا قال ذلك تعقبه ابن حجر في فتح الباري ٤٦٣/١٣ بقوله: «الكلام الثاني متفق عليه

تنزلات القرآن الكريم :

عند التأمل في الآيات السابقات يلاحظ :

أن الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ جاءت مطلقة لم يحدد فيها زمن للنزول .

أن الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن مطلقا دون ذكر نزوله على الرسول ﷺ جاءت في بعضها مطلقة دون تحديد زمن للنزول وفي بعضها الآخر مقيدة بذكر زمن النزول وهو(شهر رمضان) في (ليلة القدر) وهي (الليلة المباركة)، مما يدل على أن للقرآن حالين في النزول :

الحال الأولى : في نزوله على الرسول ﷺ و هذا النزول لم يحدد بزمن معين في الآيات السابقات لأنه كان ينزل عليه في مدى بضع وعشرين عاماً مفرقاً منجماً.

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن(١) قال : أخبرتني عائشة(٢) و ابن عباس(٣) رضي الله عنهم قالا « لبث النبي صلى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين »(٤).

بين أهل السنة سلفا وخلفا (يعني: ليس انزال القرآن كانزال الأجسام المخلوقة).

وأما الأول؛ فهو على طريقة أهل التأويل، والمنقول عن السلف إتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق تلقاه جبريل عن الله و بلغه جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام وبلغه ﷺ إلى أمّته»اهـ

١) أبوسلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني ، قيل: اسمه عبدالله و قيل: اسمه إسماعيل، ثقة مكثر مات سنة ٩٤ أو ١٠٤ هـ التقريب ص٦٤٥.

٢) عائشة بنت ابي بكر الصديق. أم المؤمنين. ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس، وماتت سنة ٥٨هـ على قول الأكثرين. الإصابة ٣٥٩/٤.

٣) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ حبر هذه الامة وترجمان القرآن ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ومات سنة ٦٨هـ الإصابة ٣٣٠/٤.

٤) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي، وأول مانزل حديث رقم (٤٩٧٨-٤٩٧٩).

قلت : ويلاحظ أنَّ اقامة الرسول ﷺ بالمدينة عشرا مما لاخلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه وهو ابن أربعين عاما، وتوفي وهو ابن ثلاثة وستين عاما على الصحيح.

فيحتمل: أن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم حذفا ما زاد على العشر إختصاراً في الكلام؛ لأن العرب كثيرا ما يحذفون الكسور في كلامهم.

عن ابن عباس « بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » (١).

الحال الثانية : حال نزول القرآن مقيداً بأنه في شهر رمضان في ليلة مباركة ليلة القدر .

وهذه الحال يحتمل :

أن يكون المقصود منها: حال ابتداء نزول القرآن على رسول الله ﷺ.

ويحتمل : أن يراد بها نزول آخر غير النزول على رسول الله ﷺ.

ويحتمل : أن يراد بها الأمران.

والاحتمال الأخير هو الذي دلت عليه الآثار الواردة ، ومنها مايلي :

(١) عن واثلة بن الأسقع(٢) قال رسول الله ﷺ: « أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»(٣).

ويمكن أن يجمع بغير ذلك . انظر : فضائل القرآن لابن كثير ص٦، فتح الباري ٤/٩.

قلت : الذي يظهر - والله أعلم - أن عائشة رضي الله عنها، وابن عباس رضي الله عنهما، إنما ذكرا زمن نزول القرآن في مكة من غير فترة، وذلك أن الرسول ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنوات لم ينزل عليه فيها قرآن، فمدة نزول القرآن في مكة عشر سنين، ومدة مكثه فيها نبياً ثلاث عشرة سنة، كما في الأثر التالي (في الصلب) عن ابن عباس رضي الله عنهما والله أعلم.

١) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة حديث رقم (٣٩٠٢).

٢) واثلة بن الأسقع بن كعب الليثي، صحابي مشهور نزل الشام وعاش إلى سنة خمس وثمانين، وله مئة وخمس سنين. الإصابة ٦٤٣/٣.

٣) حديث حسن.

أخرجه أحمد في المسند ١٠٧/٤ وابن جرير في تفسيره (شاكر) ٤٤٦/٣ والبيهقي في السنن الكبير ١٨٨/٩ وفي الأسماء والصفات ص ٣٠٢ والطبراني في المعجم الكبير ٧٥/٢٢ والأصبهاني في الترغيب والترهيب ٧٣٤/٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥٦/١ إلى محمد بن نصر وابن ابي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وعزاه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٤/٤ إلى النعالي في حديثه (٢/١٣١) وعبدالغني المقدسي في فضائل القرآن (١/٥٣) وابن عساكر (١/١٦٧/٢).

(٢) عن حسان(١)عن سعيد بن جبير(٢)عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فُصل القرآن من الذكر (وفي رواية: «أنزل القرآن جملة») فوضع في بيت العزةَ في السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على النبي ﷺ و يرتله ترتيلاً»(٣).

(٣) عن منصور(٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] قال :« أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم، فكان الله ينزّله على

وحسَّن الالباني إسناده في الصحيحة حديث رقم (١٥٧٥) ·

فائدة : في الحديث جواز أن يقال في تأريخ ما بعد نصف الشهر : لثمان عشرة خلت ولأربع وعشرين خلت خلافا لابن درستويه في كتابه «الكتاب» ص ١٣٦ حيث زعم أن هذا خلاف تأريخ العرب و ذلك في قوله :«... ثم تكتب ما بعد النصف على قياس ما قبل النصف **إلا أنك تؤرخ بما بقي من الشهر دون ما مضى** فتكتب لأربع عشرة ليلة بقيت ولثلاث عشرة ليلة بقيت ولأربعة عشر يوما حتى تنتهي الى آخر يوم في الشهر، وهكذا تاريخ العرب أبدا يذكرون الأقل من زيادة الشهر ونقصانه».

١) الحديث مروي من طريق حسان بن أبي الأشرس، وحسان بن حريث كما سيأتي التنبيه عليه - إن شاء الله -.

أما حسان بن حريث فهو أبوالسوار العدوي البصري، أختلف في اسمه، ثقة. التقريب ص٦٤٦.

أما حسان بن أبي الأشرس فهو منذر بن عمار الكاهلي مولاهم أبو الاشرس والد حبيب صدوق. التقريب ص ١٧٥.

٢) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين. التقريب ص ٢٣٤.

٣) إسناده صحيح.

أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه ٥٣٣/١٠ والطبري في تفسيره (شاكر) ٤٤٥/٣ ، والحاكم في المستدرك ٢٢٣،٦١١/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٣٠٣ والطبراني في المعجم الكبير ٣٢/١٢.

وصححه الزركشي في «البرهان في علوم القرآن »٢٢٩/١ ·

وعزى السيوطي في الدر المنثور ٤٥٧/١ الأثر للفريابي ومحمد بن نصر وابن مردويه والضياء في المختارة.

تنبيه (أ) : وقع عندالطبراني: «حسان أبوالأشرس» وهوتصحيف والصواب «حسان ابن ابي الأشرس».

تنبيه (ب) : «حسان» في الرواية هو ابن حريث كما صرح باسمه في رواية الحاكم والبيهقي، لكن جاء في رواية ابن ابي شيبة والطبري والطبراني التصريح بأنه «حسان ابن أبي الأشرس» وعليه يكون الحديث مرويًا من طريقيهما.

٤) منصور بن المعتمر بن عبدالله السلمي أبو عتاب بمثناة ثقيلة ثم موحدة ، الكوفي ، ثقة ثبت مات سنة ١٣٢ هـ· التقريب ص٥٤٧.

رسوله بعضه في أثر بعض ثم قرأ : ﴿وقالَ الّذين كَفَرُوا لولا نُزِّلَ عَليهِ القُرْآن جُمْلَةً واحدةً كَذَلِك لِنُثَبِّت بهِ فُؤَادك ورَتَّلْناه تَرتِيلاً﴾ [الفرقان :٣٢] »(١).

(٤) عن داود بن ابي هند(٢) عن عكرمة(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: « أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئا أحدثه»(٤).

(٥) عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: « أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أنْ يوحي منه شيئا أوحاه فهو قوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ في لَيلَةِ القَدرِ﴾ [القدر: ١] وكان بين أوله وآخره عشرون سنة »(٥).

---

١) إسناده صحيح ٠

أخرجه ابن الضَريس في « فضائل القرآن » ص١٢٥-١٢٦ وأخرجه النسائي في التفسير ص٢٧٤ رقم (٧٠١) والطبري في تفسيره (بولاق) ١٦٦/٣٠-١٦٧ و في إسناده محمد بن حميد ضعيف كمافي التقريب ص٤٧٥ لكن تابعه اسحاق بن راهويه عند الحاكم في المستدرك ٥٣٠/٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٣١/٧ وتابعه محمد بن قدامة عند النسائي في التفسير، وتابعه ابوبكر وعثمان ابنا أبي شيبة عند الحاكم في المستدرك ٢٢٢/٢ والبيهقي في الاسماء والصفات ص٣٠٣.

وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه السيوطي في «الإتقان» (ابوالفضل) ١١٧/١ والأرنؤوط في تحقيقه لزاد المعاد٧٨/١.

٢) داود بن ابي هند القشيري مولاهم، ابوبكر أو ابومحمد ثقة متقن كان يهم بأخرة ، مات سنة أربعين ومئة وقيل قبلها. التقريب ص ٢٠٠.

٣) عكرمة أبو عبدالله مولى ابن عباس، أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عليه بدعة مات سنة ١٠٤ هـ وقيل بعد ذلك. التقريب ص٣٩٧.

٤) إسناده صحيح .

أخرجه ابن الضَريس في «فضائل القرآن» ص١٢٥ بنحوه والنسائي في «فضائل القرآن» ص٢٧ والطبري في تفسيره (شاكر) ٤٤٧/٣ (بولاق) ١٦٦/٣٠ بسند صحيح واخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢٢/٢ وأخرجه البيهقي في الاسماء والصفات ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه السيوطي في «الاتقان» (أبوالفضل) ١١٧/١.

٥) إسناده صحيح.

أخرجه ابن الضَريس في «فضائل القرآن» ص٢١ه بنحوه والطبري في تفسيره (شاكر) ٤٤٦/٣-٤٤٧ (بولاق) ١٦٦/٣٠ بإسنادين في أحدهما عبدالوهاب الثقفي ثقة اختلط قبل موته بثلاث سنين كما في التقريب ص٣٦٨ وتابعه ابن ابي عدي في الاسناد الآخر وهو ثقة كما في التقريب ص ٤٦٥ و ثقه أبوحاتم والنسائي كما في خلاصة تهذيب الكمال ص٣٢٤ فإسناده صحيح .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير٣١٢/١١ بنحوه بإسناد حسن فيه عمران القطان

(٦) عن حكيم بن جبير(١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين .

وتلا ابن عباس هذه الآية : ﴿فَلا أُقْسِم بمَواقِعِ النُجُومِ•وإنّه لقَسَمٌ لو تَعْلَمُون عَظِيمٌ﴾ [الواقعة :٧٥-٧٦] قال : نزل مفرقا»(٢).

(٧) عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا: ﴿ولا يأتُونَك بمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بالحقِ وأحسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان : ٣٣] ﴿وقرآناً فرقْنَاه لتَقْرَأه على النَاسِ على مُكْث ونزَلْنَاه تنزيلاً﴾ [الإسراء :١٠٦] »(٣).

صدوق يهم كما في التقريب ص٤٢٩ وبقية رجاله ثقات كما قال في مجمع الزوائد ١٤٠/٧ ورواه في الأوسط أيضاً كما قال محقق المعجم الكبير.

١) حكيم بن جبير الأسدي، وقيل: مولى ثقيف، الكوفي ضعيف رمي بالتشيع. التقريب ص١٧٦.

٢) ضعيف بهذا السياق.

أخرجه الطبري (شاكر) ٤٤٧/٣ (بولاق) ١١٧/٢٧، ١١٦/٣٠ والحاكم في المستدرك ٥٣٠/٢ وفي السند حكيم بن جبير ضعيف كما في التقريب ص١٧٦ و قال في مجمع الزوائد ١٢٠/٧ :«وفيه حكيم بن جبير وهو متروك».

و تساهل الحاكم فصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

قلت : لكن الآثار السابقة واللاحقة تشهد للمتن فترقيه إلى مرتبة الحسن لغيره الا قوله : «وتلا ابن عباس هذه الآية ...الخ » فانه لم يرد في الآثار ما يشهد له ، بل هو مخالف لما صح في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس نفسه : أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنؤ حديث رقم (٧٣) بسنده عن ابن عباس قال :«مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ :«أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة الله وقال بعضهم : لقد صدق نَوْءُ كذا وكذا » قال [أي : ابن عباس] : فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أُقْسِمُ بمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢]».

تنبيه : وقع عند الطبري في تفسيره (بولاق) ١٦٦/٣٠ :« عن حكيم بن جبير عن ابن عباس ..» بدون ذكر سعيد بن جبير ولعله سقط من الناسخ أو الطابع والله أعلم.

٣) إسناده صحيح .

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٣/١٠ والنسائي في «فضائل القرآن» ص٢٧ وفي التفسير ص١٥٦ رقم (٣٩٠) وابوعبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» ص٣٤٣ رقم(٨٠٣) والحاكم في المستدرك ٢٢٢/٢ والبيهقي في دلائل النبوة ١٣١-١٣٢ وفي الاسماء والصفات ص٣٠٣.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وابن كثيرفي «فضائل القرآن» ص٦ والسيوطي في الإتقان (أبوالفضل) ١١٧/١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والزيادة له.

(٨) عن عكرمة قال : «إنَّ القرآن نزل جميعا فوضع بمواقع النجوم فجعل جبريل يأتي بالسورة، وإنما نزل جميعا في ليلة القدر»(١).

(٩) عن سعيد بن جبير قال : «نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان في سماء الدنيا»(٢).

(١٠) عن الشعبي(٣) قال: «بلغنا: أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السمـاء الدنيـا»(٤).

قلت : فهذه الآثار(٥) تبين أن نزول القرآن إلى بيت العزة إنما كان في شهر رمضان في ليلة القدر وحديث واثلة بن الأسقع يبين أن نزول القرآن على رسول الله ﷺ إنما كان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان.

---

١) إسناده صحيح .
أخرجه الطبري في تفسيره (بولاق) ١١٧/٢٧.

٢) إسناده حسن.
أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» ص١٢٦ والطبري في تفسيره (شاكر) ٤٤٥/٣.
فائدة : روى الطبري في تفسيره (بولاق) ١٦٦/٣٠: «عن سعيد بن جبير: «أنزل القرآن جملة واحدة ثم أنزل ربنا في ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم».
قلت : و فيه مهران ابن أبي عمر العطار، قال العقيلي في «الضعفاء» ٢٢٩/٤ : «روى عن الثوري أحاديث لايتابع عليها»
قلت : روايته هنا عن الثوري، وفي السند محمد بن حميد ضعيف كما في التقريب ص٤٧٥ **لكن يشهد له الآثار السابقة**.

٣) عامر بن شراحيل الشعبي، بفتح المعجمة ابو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل، مات بعد المئة، وله ثمانون سنة. التقريب ص ٢٨٧ .

٤) إسناده صحيح .
أخرجه الطبري في تفسيره (بولاق) ١٦٦/٣٠.
فائدة : روى الطبري في تفسيره (بولاق) ١٦٦/٣٠ عن الشعبي في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ القدر:١، قال: «نزل أول القرآن في ليلة القدر»
قلت : و فيه عمران أبو العوام صدوق يهم كما في «التقريب» ص٤٢٩، وعمرو ابن عاصم الكلابي صدوق في حفظه شيء كما في «التقريب» ص٤٢٣، **لكن يشهد له الآثار السابقة**

٥) وهي - وإن كان أغلبها عن ابن عباس - فإنها مما لا مجال للرأي فيه فلها حكم المرفوع كما نص على ذلك علماء المصطلح (انظر تدريب الراوي ١٢٩/١) و يؤكد هذا أن هذه الآثار لا علاقة لها بالإسرائيليات لأنها تتعلق بنزول القرآن العظيم، و لا مدخل للإسرائيليات فيه، و ما كان ابن عباس ممن يتلقاها - كما قال الشيخ أحمد شاكرفي تحقيقه لمسند أحمد ٧٨٧/٥ - بل ثبت عنه رضي الله عنه التنفير عن أحاديث أهل الكتاب أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها تحت رقم (٢٦٨٥)، زد على هذا لايعلم له مخالف من الصحابة والتابعين والله أعلم.

قال علم الدين السخاوي(١) معقبا على حديث واثلة: «فهذا الإنزال يريد به ﷺ أول نزول القرآن عليه، وقوله عزوجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] يشمل الإنزالين.»اهـ(٢).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني(٣) بعد إيراده لحديث واثلة وأثر ابن عباس : « هذا كله مطابق لقوله تعالى :﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة :١٨٥] ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر :١] فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.»اهـ(٤).

قلت : ويعلم مما تقدم أن للقرآن نزولين .

وقد أخبر تبارك وتعالى أن للقرآن وجودا في اللوح المحفوظ، في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ۝فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ البروج: ٢١-٢٢ وقوله :﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ۝فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ۝لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة ٧٧-٧٩ وقوله :﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ۝فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ۝فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ۝مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ۝بِأَيْدِي سَفَرَةٍ۝كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١١-١٦ وقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف:٤.

وعليه ؛ يكون للقرآن بعد إثباته في اللوح المحفوظ: وجود و نزولان(٥) :

وجود في اللوح المحفوظ .

ونزول في رمضان إلى بيت العزة في سماء الدنيا، جملة واحدة .

ونزول إلى الرسول ﷺ منجماً مفرقاً.

---

١) علي بن محمد بن عبدالصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، أبو الحسن علم الدين عالم بالقراءات والأصول والتفسير واللغة (٥٥٨-٦٤٣هـ). الأعلام ٤/٣٣٢.

٢) جمال القراء١/٢٢-٢٣.

٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من ائمة الحديث والتاريخ، صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧٧٣-٨٥٢هـ). البدر الطالع ١/٨٧ الأعلام ١/١٧٨.

٤) فتح الباري ٩/٥.

٥) ونفى القرطبي الخلاف في ذلك. تفسير القرطبي ٢/٢٩٧.

نزول الكتب السماوية السابقة :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وقالَ الذينَ كَفَرُوا: لَوْلا نُزِّل عَلَيْه القُرآن جُمْلَةً واحدةً كَذَلِك لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَك ورتَّلْنَاه تَرْتِيلاً﴾ الفرقان:٣٢، يدل على أن الكتب السابقة كانت تنزل جملة واحدة إذ أنّ سكوته تبارك وتعالى عن الرد على المشركين في قولهم الذي حكاه عنهم: ﴿لَوْلا نُزِّل عَلَيْه القُرآن جُمْلَةً واحدةً﴾ وعدوله سبحانه وتعالى إلى بيان حكمة نزوله مفرقا منجما دليل على صحة ما بلغهم من خبر الكتب السابقة؛ إذ [كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها - وهوالأكثر - ردٌ لها، فإن وقعَ ردٌ فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها ردٌ فذلك دليلُ صحة المَحْكي وصدقه؛ لأن القرآن سُمِّي: فُرْقَانا، و هُدى، و بُرْهاناً، وبياناً، و تبياناً لكل شيء، و هو حجة الله على الخلق على الجملة والتفصيل والاطلاق والعموم، وهذا المعنى يأبى أن يُحْكَى فيه ماليس بحق، ثم لا ينبّه عليه](١).

ويقرر السيوطي (٢) وجه دلالة الآية على نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة بقوله: «ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول: إن ذلك سُنة في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة كما أجاب بمثل ذلك قولهم: ﴿وقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطَّعَامَ ويمْشِي في الأَسْوَاق﴾ [الفرقان:٧] فقال: ﴿وما أَرْسَلْنَا قَبْلَك مِنْ المُرْسَلِين إلا إنَّهم ليأكُلُونَ الطَّعَام ويمْشُون في الأَسْوَاق﴾(٣) [الفرقان :٢٠].

وقولهم : ﴿أَبَعَثَ الله بَشَراً رَسُولاً﴾ [الإسراء:٩٤] .

فقال : ﴿و ما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم﴾ [يوسف :١٠٩].

وقولهم : كيف يكون رسولا ولا هم له إلا النساء؟.(٤).

فقال : ﴿ولقد أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وجَعَلْنَا لهُم أزْواجاً وذريَّةً﴾ [الرعد:٣٨] إلى غير ذلك ».

وقال رحمه الله : «ومن الأدلة على ذلك أيضا (أي: على نزول الكتب السماوية السابقة جملة) قوله تعالى في إنزال التوراة على موسى يوم

---

١) من كلام الشاطبي في «الموافقات»٣/٣٥٣-٣٥٤ باختصار.

٢) عبدالرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين، محدث مؤرخ اديب مصنف متفنن (٨٤٩-٩١١هـ). الأعلام ٣٠٢/٣ .

٣) حُذِفت هذه الآية من الإتقان (أبوالفضل) ١٢٢/١ وهي موجودة في الإتقان (الحلبي) ٥٦/١ والسياق يدل عليها.

٤) انظر زاد المسير ٣٣٦/٤.

الصعقة: ﴿فَخُذْ ما آتَيْتُكَ و كُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ و كَتَبْنَا لَهُ في الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً و تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ، فَخُذْهَابِقُوَّة﴾ [الأعراف : ١٤٤-١٤٥] ﴿وألْقَى الأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف : ١٥٠] ﴿ولَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وفِي نُسْخَتِها هُدَى ورَحْمَةٌ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ﴿وإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُم كَأَنَه ظُلَة ، وَظَنّوا أَنَه واقِعٌ بِهِم خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوّةٍ﴾ [الأعراف:١٧١].

فهذه الآيات كلها دالة على إتيانه التوراة جملة» اهـ(١).

وقد خالف بعضهم في ذلك، فقال: لا دليل على نزول الكتب السماوية السابقة جملة، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن(٢).

ومن أدلة هذا القول، أن الله تبارك وتعالى، ذكر بني إسرائيل بأمور حدثت لأجدادهم، هم يعرفونها، ذكر فيها المخالفات التي وقعت منهم، وذكر العقوبة التي حصلت بعد وقوع المخالفة بزمن، وعلمهم بهذا الأمر الأصل فيه أن يكون بكتاب منزل، ومن هذه الأمور، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى يَاقومِ إِنَكُمْ ظلمْتُم أنفُسَكُمْ باتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ، فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ، فَاقتُلُوا... الآية﴾ البقرة: ٥٤، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وإذ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فأخَذَتْكُمُ الصَاعِقَةُ وأنتُمْ تَنْظُرُون. ثُمَّ بَعَثْنَاكم مِن بعدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٥٥-٥٦.

الحكمة من إنزال القرآن إلى سماء الدنيا :

تعرض أهل العلم لبيان الحكمة من إنزال القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة، فمن ذلك :

---

١) الإتقان (أبوالفضل) ١/١٢٢-١٢٣.

٢) الاتقان (أبوالفضل) ١/١٢٢، حيث قال: «وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك وقال: إنه لا دليل عليه، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن»اهـ كلام السيوطي .

قلت : لعله أراد عصريه الشيخ: البقاعي (ت٨٨٥هـ)، فقد ذكر في تفسيره عند آية سورة الفرقان ذلك، وممن نقل عنه ذلك أيضا الشيخ: أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، حيث نُقلَ عنه القول بأن التوراة أنزلت منجمة في ثماني عشرة سنة واستدل عليه بنصوص التوراة.

نقله عنه في روح المعاني ١٩/١٥ وقارن بحاشية الشهاب على البيضاوي ٦/٤٢١.

قلت : يلاحظ أن السيوطي نقل نصوصاً عن السّلَف في أن التوراة نزلت جملة واحدة وذلك في الإتقان (أبوالفضل)١/١٢٣ وصححها.

قول الرازي(١) : «إن القرآن أنزل في ليلة القدر جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوماً وإنّمَا جَرَت الحال على هذا الوجه؛ لما علمه الله تعالى من المصلحة على هذا الوجه؛ فإنه لايبْعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في إنزال ذلك إليهم، أو كان في المعلوم أن في ذلك مصلحة للرسول عليه الصلاة والسلام في توقع الوحي من أقرب الجهات أو كان فيه مصلحة لجبريل عليه السلام؛ لأنه كان هو المأمور بإنزاله وتأديته» اهـ(٢).

وقول **السخاوي** (ت٦٤٣هـ): « فإن قيل: ما في إنزاله جملة إلى سماء الدنيا؟. قلت : في ذلك تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة و تعريفهم عناية الله عزوجل بهم و رحمته لهم ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة لمّا أنزل سورة الأنعام أن تَزُفَّهَا(٣).

---

١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبدالله ، فخر الدين الرازي مفسر أصولي من ائمة المعقول وعلوم الأوائل (٥٤٤-٦٠٦هـ). الأعلام ٣١٣/٦.

٢) التفسير الكبير ٨٥/٥. وقوله: «وكان فيه مصلحة..» يعقب عليه بأن المصلحة واردة لا محالة، ولكنا لا ندرك وجهها إلا بدليل، وما قاله الرازي أورده احتمالا فلا ينهض دليلا.

٣) حديث ضعيف .

أخرجه الطبراني في الصغير ٨١/١ عن ابن عمر مرفوعا .

قال في مجمع الزوائد ٢٠/٧: «وفيه يوسف بن عطية الصفار وهوضعيف»اهـ

قلت : بل متروك كما قال في التقريب ص٦١١.

وأخرجه ابو الشيخ عن أبي بن كعب مرفوعا كما في الإتقان (أبوالفضل) ١٠٨/١ ولم أقف على سنده. وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني عن أنس .

قال في مجمع الزوائد٢٠/٧ :«رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبدالله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات»اهـ

قلت : الحديث عن أنس أورده أبو جعفر النحاس بسنده في معاني القرآن٣٩٧/٢ وأورده القرطبي في «التذكار» ص١٨٨ بإسناد النحاس وفي السند أحمد بن محمد بن أبي بكر المذكور آنفا وضعفه السيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ١٠٩/١.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٥/٢ والبيهقي عن جابر كمافي الاتقان (أبوالفضل) ١٠٩/١ وصححه الحاكم على شرط مسلم وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعا وقال: «وأظن هذا موضوعا»اهـ

قلت : وقد قرأت في تحقيق «معاني القرآن» للنحاس ٣٩٧/٢ تصحيحاً لهذا الحديث بنقل كلام الحاكم وترك كلام الذهبي ولذلك لزم التنويه.

وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٧٢ رقم (٤٤٤) وابن الضريس في فضائل القرآن ص١٥٧ عن ابن عباس موقوفا عليه وفي السند علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران، والأول ضعيف كما في التقريب ص٤٠١، والثاني لين الحديث ولم يرو عنه الا

وفيه أيضا : إعلام عباده من الملائكة وغيرهم أنه علام الغيوب لايعزب عنه شيء إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها.

وفيه أيضا : التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة والتفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجماً ليحفظه ، قال الله عزوجل : ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان :٣٢] وقال عزوجل :﴿سَنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَىٰ﴾ [الأعلى:٦].

وفيه أيضا: أن جناب العزة عظيم ، ففي إنزاله جملة واحدة وانزال الملائكة له مفرقا بحسب الوقائع ما يوقع في النفوس تعظيم شأن الربوبية» اهـ(١).

وقول **أبي شامة**(٢): «فإن قلت : ما السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا؟.

قلت : فيه تفخيم لأمره وأمر مَنْ أُنزِل عليه؛ وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا القرآن آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل، لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الألهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع [لهبط به](٣) إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باين بينه و بينها فجمع له الأمرين إنزاله جملة ثم

علي بن زيد هذا كما في التقريب ص٦١٢.

وقع في فضائل القرآن لأبي عبيد ص١٧٢ رقم(٤٤٤) «يونس بن يوسف بن مهران» وهو خطأ، لعله تحريف أو تصحيف من الناسخ، وقد كرره ص٣٤٠ رقم (٧٩٧) على الصواب.

ثم رأيته في «فضائل القرآن» لأبي عبيد (طبعة دار الكتب العلمية) ص١٢٩، على الصواب.

وقال السيوطي في الإتقان (ابوالفضل) ١٠٧/١: «أخرجه البيهقي في الشعب بسند فيه من لايعرف عن علي»اهـ

قلت : أخرجه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٧١/٧ وحكم بوضعه عنه في الميزان ٣٠٨/١ وفي لسان الميزان ١٣/٢.

١) جمال القراء ٢٠/١-٢١.

٢) عبدالرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، ابوالقاسم شهاب الدين، أبوشامة، مقرئ، مفسر، مؤرخ(٥٩٩-٦٦٥). غاية النهاية ٣٦٥/١ الأعلام ٢٩٩/٣.

٣) في المطبوعة من «المرشد الوجيز» ص٢٤ : [لم نهبط به] وهي لا تتفق مع السياق، وأشار المحقق في الفروق بين النسخ التي اعتمد عليها ص٦١٢ أنها في نسخة: [لهبط] فاثبتها، لأنها تتفق مع السياق، ثم رأيت السيوطي نقل في الاتقان (أبوالفضل) ١١٩/١ كلام ابي شامة وأثبت اللفظ كما أثبتّه.

إنزاله مفرقا.

وهذا من جملة ما شرف به نبينا ﷺ »اهـ(١).

قلت : وحاصل ماذكره أهل العلم في النقول السابقة في الحكمة من إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا:

- تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة .

- التسوية بين رسولنا عليه الصلاة والسلام وبين سائر الرسل عليهم صلوات الله وسلامه في إنزال كتابه جملة والتفضيل له ﷺ في إنزاله عليه منجما مفرقاً؛ فيكون فيه مزيد اعتناء وكبير شرف له ﷺ حيث كان يأتيه الوحي في كل وقت .

- تفخيم وتعظيم أمر القرآن الكريم والله أعلم.

الحكمة من نزول القرآن منجما على رسول الله ﷺ :

بين الله تبارك وتعالى الحكمة في نزول القرآن منجما مفرقا على رسوله ﷺ حيث قال: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا• وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾** الفرقان:٣٢-٣٣.

وقد بسط أهل العلم القول في ذلك(٢)ولهم فصول طويلة الذيل في تعداد الحكم من تنجيم القرآن على رسوله ﷺ ومن هؤلاء :الرازي (ت٦٠٦هـ) حيث قال في تفسيره ذاكراً وجوه الحكم في ذلك:

«**أحدها** : أنَّه عليه السلام لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لايضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو، وإنَّما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرؤها موسى عليه الصلاة والسلام.

وثانيها : أنَّ مَنْ كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له أكمل، فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل.

وثالثها : أنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت

---

١) المرشد الوجيزص٢٤-٢٥.

٢) وأخص المتأخرين، أنظر مثلا: مناهل العرفان ٤٦/١-٥٥ المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٦٩-٨٣ مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص٤٩-٦٢ مباحث في علوم القرآن للقطان ص١٠٧-١١٦.

الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقا منجما لاجرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل.

ورابعها : أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء ماحمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة و على احتماله أذيِّة قومه وعلى الجهاد.

وخامسها : أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا، فانه لو كان ذلك في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا.

وسادسها : كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم و الوقائع الواقعة لهم فكانوا يَزْدَادُونَ بصيرةً؛ لأن بسبب ذلك كان ينضم إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب.

وسابعها : أن القرآن لمّا نَزَلَ مُنَجّماً مُفَرّقاً و هو عليه الصلاة والسلام كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى، فبهذه الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة.

وثامنها : أن السفارة بين الله تعالى وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال: أنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد ﷺ دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فلما أنزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه.

فلأجل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقا منجما» اهـ(١).

وممن تكلم عن حكمة تنجيم القرآن الحافظ عماد الدين ابن كثير(٢) (ت٧٧٤هـ) حيث قال رحمه الله:

«وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عزوجل بالقرآن صباحا ومساء وليلا ونهارا، سفرا وحضرا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كانزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

١) التفسيرالكبير ٧٩/٢٤. والوجه الأخير في كلامه فيه نظر، إذ مجال وظائف جبريل ﷺ توقيفي. ثم هل بقي جبريل ﷺ بلا وظيفة بعد نزول القرآن كاملا؟!.

٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبوالفداء عماد الدين، مفسر، محدث، مؤرخ، فقيه (٧٠١-٧٧٤هـ). البدرالطالع ١٥٣/١ الأعلام ٣٢٠/١.

فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا، ففي الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك الى الأرض منجما بحسب الوقائع والحوادث» اهـ(١).

تكرار نزول القرآن :

ذهب بعضهم إلى إنكار كون شيء من القرآن يتكرر نزوله، وعلل ذلك بما يأتي:

- بأنه تحصيل حاصل، وهذا لافائدة فيه .
- وبأنه يحتمل أن الصحابي الذي سمع الآية تتلى أمامه من الرسول ﷺ لم يسمعها قبل ذلك فظنها نزلت في وقت سماعه لها ولم يعلم أنها نزلت قبل.

قال القطان(٢) حفظه الله معقبا على القول بتكرار النزول عند عدم إمكان الجمع بين الروايات بتعدد سبب النزول، لتباعد الزمن بين الروايات الواردة في ذلك: «لا أرى لهذا الرأي وجها مستساغا؛ حيث لا تتضح الحكمة من تكرار النزول وإنّما أرى أن الروايات المتعددة في سبب النزول ولا يمكن الجمع بينها؛ يتأتى فيها الترجيح» اهـ(٣).

قال الدّهلوي(٤) :«قد يقررون حادثة في ذلك الباب (يعني:الصحابة) ويقولون: نزلت في كذا، وربما يقولون في هذه الصورة: فأنزل الله قوله كذا، فكأنه إشارة إلى أنه إستنباطه ﷺ وإلقاؤها في تلك الساعة بخاطره المبارك أيضا نوع من الوحي والنفث في الروع فلذلك يمكن أن يقال: فانزلت، ويمكن أيضا أن يعبَّر في هذه الصورة بتكرار النزول» اهـ(٥).

قلت : تلاحظ الأمور التالية :

- يبدو أن سبب الخلاف ظن بعض أهل العلم أن النزول الثاني هو نزول ابتدائي جديد يجعل للآية موضعا جديدا في السورة؛ وليس كذلك

---

١) تفسير ابن كثير ٣١٨/٣.
٢) مناع خليل القطان، عني بالتأليف في علوم القرآن وتاريخ التشريع (معاصر).
٣) مباحث في علوم القرآن (للقطان) ص٩١.
٤) أحمد بن عبدالرحيم المعروف بـ« ولي الله الدهلوي » مصلح مجتهد مجدد (ت١١١٤-١١٧٦هـ). رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج٤ الامام الدهلوي.
٥) الفوزالكبير في أصول التفسير ص٢٢.

وإنما غالب ما قيل فيه بتكرار النزول هو من قبيل التذكير بما سبق نزوله.

- القول بأن تكرار النزول لا فائدة فيه مردود؛ لأن العلماء رحمهم الله نصوا على بعض فوائده، من ذلك :

قول ابن الحصار(١) رحمه الله: «قد يتكرر نزول الآية تذكيرا وموعظة» اهـ(٢).

قول علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) بعد حكاية القول بنزول الفاتحة مرّتين: «إن قيل : فما فائدة نزولها مرة ثانية؟.

قلت : يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو ﴿مَلِك﴾ و ﴿مَالِك﴾ و ﴿السِّرَاط﴾ و ﴿الصِّراط﴾ و نحو ذلك» اهـ(٣).

قول ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ) رحمه الله في معرض كلامه عن المنقول عن الصحابة في أسباب نزول القرآن: «وإذا ذَكَر أحدهم لها سببا نزلت لأجله (يعني:الآية) وذكر الآخر سببا، فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب» اهـ(٤).

قول الزركشي(٥) (ت٧٩٤هـ) رحمه الله: «قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه... والحكمة في هذا كله :

أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية و قد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدي تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه.

والعالم قد يحدث له حوادث، فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحُكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل مع حفظه للنص» اهـ(٦).

قلت : القول باحتمال أن الصحابي الذي سمع الآية تتلى أمامه... الخ،

---

١) علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي أبو الحسن الحصار، فقيه أصولي اشبيلي الأصل منشأه بمصر (ت٦١١هـ). الاعلام ٣٣٠/٤.

٢) انظر الإتقان (أبوالفضل) ١٠٢/١.

٣) جمال القراء١٠٢/١.

٤) مقدمة في أصول التفسير ص٩٤، مجموع الفتاوى٣٤٠/١٣.

٥) محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله، بدرالدين، عالم بفقه الشافعية، والأصول، صاحب «البرهان في علوم القرآن» (٧٤٥-٧٩٤هـ). الدررالكامنة٣٩٧/٣.

٦) البرهان في علوم القرآن ٢٩/١-٣٠ باختصار.

إحتمال وارد لكنه خلاف الأصل؛ إذ الأصل أنَّ الصحابي يتكلم بما يعلم، خاصة في أمر القرآن العظيم؛ فهو حين يقول: حدَث كذا فأنزل الله كذا، الظاهر أنه يريد الاخبار بنزول الآية حينذاك، ولايصار إلى خلاف الظاهر إلا بدليل، خاصة أن الجمع بين النصوص ممكن بالقول بتكرار النزول، ولا مانع منه كما سيأتي التدليل عليه قريبا - إن شاء الله -.

والقول بالترجيح مع إمكان الجمع خلاف القاعدة في الاختلاف من أنه: لايصار إلى الترجيح مع إمْكان الجمع(١).

وقد ورد ما يدل على وقوع تكرار نزول القرآن، وهو قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»(٢).

ووجه الدلالة في الحديث: أن نزول القرآن على سبعة أحرف لم يكن من أول وهلة، بل الظاهر أنه نزل أولاً بلسان قريش كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت(٣) في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنَّما نزل بلسانهم»(٤).

قال أبوشامة (ت٦٦٥هـ): «يعني: أول نزوله قبل الرخصة في قراءته على سبعة أحرف» اهـ(٥).

وتكملة هذا الاستدلال كما قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «أن يقال: إنه نزل أولا بلسان قريش أحد الأحرف السبعة ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلا وتيسيرا فلما جمع عثمان(٦) الناس على حرف

---

١) نص عليها ابن حجر في مواضع من فتح الباري، انظر توجيه القاري ص١٣١ مختلف الحديث وموقف النقاد منه ص٣٧٣-٣٧٦.

٢) حديث متواتر. نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص١١١، حيث رواه بضع وعشرين صحابيا.

٣) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري أبوسعيد وأبوخارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق: كان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس أو ثمان وأربعين وقيل: بعد الخمسين. الاصابة ٥٦١/١.

٤) إسناده صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن تحت رقم (٤٩٨٧).

٥) المرشد الوجيزص٩٢.

٦) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أمير المؤمنين، ذوالنورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، أستشهد في سنة ٣٥هـ. الاصابة ٤٦٢/٢.

واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه أولى الأحرف فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي ﷺ؛ لما له من الأولية المذكورة»(١).

وقال ابن حجر ايضا في التدليل على كلام أبي شامة: «ويدل على ماقرره أنه أنزل أولا بلسان قريش ثم سهل على الأمة أن يقرؤوه بغير لسان قريش، وذلك بعد أن كثر دخول العرب في الاسلام، فقد ثبت أن ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة كما في حديث أبي بن كعب(٢): «أن جبريل أتى النبي ﷺ وهو عند أضاة بني غفار(٣) فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على

---

١) فتح الباري ٩/٩.

٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الأنصاري الخزرجي أبوالمنذر سيدالقراء، ويكنّى ابالطفيل أيضا من فضلاء الصحابة، أختلف في سنة وفاته اختلافا كثيرا فقيل: سنة ١٩هـ وقيل:٣٢ هـ وقيل: غير ذلك. الإصابة ١/ ١٩.

٣) قال ابن حجر : «وأضاة بني غفار : هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همزة ، وآخره تاء تأنيث هو مستنقع كالغدير وجمعه « أضا » كـ«عصا».

وقيل بالمد والهمز مثل اناء .

وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب الى بني غفار بكسرالمعجمة وتخفيف الفاء؛ لأنهم نزلوا عنده.»اهـ فتح الباري ٢٨/٩.

كذا جزم الحافظ ابن حجرأنه موضع بالمدينة، ومن قبله البكري في «معجم ما أستعجم» ١٦٤/١ وساق حديث أبي بن كعب مشيراً إلى أنه الموضع المقصود في الحديث، وقد ضبطه القاضي عياض في «المشارق» ٤٧/١ ونص على أنها موضع بالمدينة وكذلك قال السمهودي في «وفاءالوفاء» ١١٢٧/٤ نقلا عن «المشارق» وذكر السمهودي منازل بني غفار في المدينة وعدَّ منها: «أضاة بني غفار» وفاءالوفا٧٥٧/٢-٧٥٩.

لكن ذكر السمهودي أن بمكة موضعا يسمى كذلك «أضاة بني غفار» في مادة «تناضب» من فصل أسماء بقاع المدينة وفاءالوفا ١١٦٣/٤.

وجزم ياقوت في «معجم البلدان» ٢١٤/١ أن أضاة بني غفار موضع قريب من مكة فوق «سَرِف» قرب «التَنَاضُب»، وذكرالأزرقي في تاريخ مكة ٢١٣/٢ أثناء حديثه عن مقبرة «الحصاص» أن قبر ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وخالة ابن عباس، وأم المؤمنين، على الثنية التي بين وادي سرف وبين أضاة بني غفار (ماتت ميمونة بسَرِف فدفنت هنالك) وصرح بأن أضاة بني غفار هي التي ذكرت في حديث أبي بن كعب هذا.

قلت : سرف بفتح السين وكسر الراء المهملة في طريق الذاهب من مكة إلى المدينةالمنورة بعد التنعيم قريبا من حي «النورية» اليوم.

والذي يتحصل من كلامهم رحمهم الله تعالى: أن «أضاة بني غفار» موضعين أحدهما في مكة والآخر في المدينة النبوية، كما قيل في «جبل ثور».

حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته؛ فإن أمتي لاتطيق ذلك... الحديث أخرجه مسلم(١).»اهـ(٢).

قلت : المقصود أن الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة على الأحرف السبعة، بل مرة بعد أخرى كما يفهم هذا من سائر رواياته .

وعليه؛ فإن في الحديث دلالة على تكرار نزول القرآن والله أعلم.

والظاهر أن المراد في حديث أبي بن كعب هو الموضع الذي في المدينة، كما جزم القاضي عياض والبكري وابن حجر وغيرهم لأنه لم يعرف في العهد المكي ذلك التنوع في القراءات والله أعلم.

١) في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف، حديث رقم (٨٢٠) وأخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (١٤٧٧-١٤٧٨) والترمذي في كتاب القراءات باب ماجاء في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم (٢٩٤٥) والنسائي في كتاب الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٤/٢، ١٥٢ والرواية الثانية بنحوه، وانظر ماتقدم في هذه الرسالة ص٥٦.

فائدة : جاء عن حذيفة قال رسول ﷺ: «لقيت جبريل عند أحجار المراء، فقلت: ياجبريل إنّي أرسلت إلى أمة أمية..وساقه بنحو حديث أبي بن كعب.

وهذا حديث منكر معلول .

أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٣٠٦ رقم (٧٢٠)، (وفي طبعة دار الكتب العلمية ص٢٠٢) وأحمد في المسند (الميمنية) ٣٩/٥، ٤٠٠، ٤٠٥ والطحاوي في مشكل الآثار ١٨٣/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٧/٣ والبزار (كشف الأستار) ٨٩/٣.

وعلته عاصم بن بهدلة، فإنه صدوق له أوهام كما قال في «التقريب» ص٢٨٥ وقد خالف رواية الثقات لهذا الحديث من وجهين :

الأول : أنه جعل الحديث بهذا السياق من مسند حذيفة والمعروف عنه حديث آخر أخرجه أحمد في المسند (الميمنية) ٣٨٥/٥ ، ٤٠١ يختلف عن سياق حديث أبي بن كعب الذي خرجته قبل قليل .

الثاني : قوله : « عند أحجار المراء» خلافا للرواية المعروفة عن أبي بن كعب «عند أضاة بني غفار».

علما بأن لعاصم بن بهدلة رواية أخرى للحديث على وفق رواية الثقات، ممايدل على أنه اضطرب في روايته للحديث وأدخل رواية حذيفة في رواية أبي بن كعب والله أعلم .

٢) فتح الباري ٢٨/٩ .

ثالثا : جمع القرآن العظيم :

يطلق جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور، وقد تعهد الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ بذلك فقال عزوجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة:١٧.

وبلغ الرسول ﷺ ما أنزل إليه من ربه، وقرأ القرآن الكريم على أصحابه، فحفظه منهم من حفظه، وكتب منه منهم من كتب.

عن أبي سعيد الخدري(١) ان رسول الله ﷺ قال: «لاتكتبوا عني غير القرآن»(٢).

قال أبو شامة (ت٦٦٥هـ): «وحفظه في حياته جماعة من أصحابه، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة، أقلهم بالغون حد التواتر، ورخص لهم قراءته على سبعة أحرف» اهـ(٣).

وما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا ومجموع القرآن مكتوب عند مجموع أصحابه.

عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع»(٤).

---

١) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة، واستصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين. الاصابة ٢/٣٥.

٢) حديث صحيح .
أخرجه مسلم في صحيحه كتاب لزهد باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم حديث رقم (٣٠٠٤).

٣) المرشد الوجيز ص٣٣.

٤) حديث صحيح.
أخرجه أحمد في المسند ٥ ٤٨١ والترمذي في كتاب المناقب باب فضل الشام واليمن حديث رقم (٣٩٥٤) وقال :«حديث حسن غريب» وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٢٩، ٦١١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن) ص٥٧٤ رقم (٢٣١١) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٧ وصححه المنذري في الترغيب والترهيب ٦٣/٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٥٠٣) في بحث طويل ماتع.

قال البيهقي(١): «وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ ثم كانت مثبتة في الصدور مكتوبة في الرقاع واللخاف والعسب»اهـ(٢).

جمع القرآن في عهد الصديق(٣) رضي الله عنه :

ولم يمض عام واحد بعد أن قبض الرسول ﷺ إلا وبدت الحاجة ملحة لجمع وثائق القرآن المتفرقة في مجموعة واحدة مدونة، سهلة الاستعمال، حيث تتتابع آيات كل سورة كما هو ثابت من قبل في حافظة جماعات من المؤمنين.

ولقد تقدم بالفكرة عمر بن الخطاب إلى الخليفة الأول رضي الله عنهماعقب معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب التي قتل فيها مئات من المسلمين، منهم - سبعون من حملة القرآن -، خشية أن يتناقص تدريجيا عدد هؤلاء القراء بسبب الحروب المحتملة.

وكان عمر(٤) رضي الله عنه يهدف بهذه الطريقة ليس فقط إلى حفظ المدون من التنزيل في مأمن من الأخطار، وفي صورة يسهل الرجوع إليها، وإنَّما كان يقصد أيضا إقرار الشكل النهائي لهذا الكتاب المقدس وتوثيقه، عن طريق حفظته الباقين على قيد الحياة، واعتماده من الصحابة الذين كان كل منهم يحفظ منه أجزاء كبيرة أو صغيرة(٥).

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «أرسل إليَّ أبوبكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر جالس عنده ، فقال أبوبكر: إنَّ عمر جاءني فقال: إن القتل

---

١) أحمد بن الحسين بن علي، أبوبكر البيهقي، من أئمة الحديث، صاحب «السنن الكبرى» (٣٨٤-٤٥٨هـ). الشذرات ٣/٣٠٤ الأعلام١/١١٦.

٢) دلائل النبوة٧/١٤٧.

وقع في المطبوعة من «دلائل النبوة»: (العشب) وهو تصحيف واللخاف جمع لخف وهي حجارة بيض رقاق. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٤٤ والعُسُب بضم العين والسين المهملة جمع عَسِيب وهو جريدة من النخل ، وهي السعفة ممالاينبت عليه الخوص. النهاية ٣/٢٣٤.

٣) عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمروبن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أبوبكر بن أبي قحافة الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ مات سنة ١٣هـ. الإصابة ٢/٣٤١.

٤) عمر بن الخطاب بن نفيل ابن عبدالعزى ابن عدي بن كعب القرشي العدوي، أمير المؤمنين الخليفة الثاني، مشهور جم المناقب أستشهد سنة ٢٣ هـ وولي الخلافة عشر سنين ونصفا. الإصابة ٢/٥١٨ه التقريب ص٤١٢.

٥) المدخل إلى القرآن الكريم ص٣٦.

قد أستحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، واني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قال: قلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟.(١).

فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال: زيد فقال لي أبوبكر إنّك رجل شاب لانتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتَتَبّع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن

قال: قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟.

فقال أبوبكر: هو والله خير.

قال: فلم يزل أبوبكرَ يراجعني (وفي رواية: «فلم يزل عمر يراجعني») حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة(٢) الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره(٣): ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكم﴾ [التوبة:١٢٨] خاتمة

---

١) لا يتنافى هذا مع ماتقدم من أن القرآن كله كتب في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور (أي: في الكتابة) لكنه كان يقرأ بالترتيب؛ لأن الكلام هنا في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة. فتح الباري ١٢/٩.

و ما فعله أبوبكر رضي الله عنه من جمع القرآن ليس بدعة في الدين، غاية مافيه أنه من المصالح المرسلة، إنْ لم يكن أمرا أشارت النصوص الشرعية إلى جوازه؛ فقد أعلم الله عزوجل في القرآن بانه مجموع في الصحف في قوله: ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ البينة:٢، وأشار إليه في غير موضع بوصف الكتاب فقال: ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه﴾ البقرة:٢، وكذا الرسول ﷺ فقال: «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه والله أعلم.

٢) وقع في رواية: «خزيمة بن ثابت» وفي رواية: «خزيمة أو أبي خزيمة».

قال ابن حجر: «والأرجح أنَّ الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة»اهـ. فتح الباري ١٥/٩ و انظر فتح الباري ٣٤٤/٨-٣٤٥ والمرشد لوجيز ص٥١.

وهو أبوخزيمة بن يربوع بن عمرو الأنصاري، وقيل: اسمه يربوع، ذكر العدوي والطبري أنه شهد أحدا والمشاهد بعدها ولاعقب له. الإصابة ٦٥٠/٣، ٥٢/٤.

٣) المراد بالنفي نفي وجودها مكتوبة لا نفي كونها محفوظة لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي ﷺ و كذلك غيره من الصحابة لأنه كان لايكتفي بالحفظ دون الكتابة ، وكان غرضهم ان لايكتب الا من عين ماكتب بين يدي

براءة.

قال : فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر (١).

قال بعض الرواة فيه: «اللخاف يعني: الخزف».

وفي سنن الترمذي :«يعني :الحجارة»(٢).

قال البغوي(٣): «إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا... فأمر (أي :الخليفة الصديق) بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ (٤) وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه(٥) و يعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، واعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا... وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقاء القرآن في الأمة رحمه من الله عزوجل على عباده وتحقيقا لوعده في

الرسول ﷺ لا من مجرد الحفظ.

انظر المرشدالوجيز ص٥١، ٥٧ البرهان في علوم القرآن ٢٣٤/١ فتح الباري ١٥/٩.

١) إنّما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر بن الخطاب فاستمر ماكان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك، ولأنها كانت كاتبة قارئة فهي أقدر على حفظه ونفي الدخيل عنه.

وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خنيس ابن حذافة سنة ثلاث وماتت سنة ٤٥هـ. الاصابة ٣٧٢/٤.

٢) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن حديث رقم (٤٩٨٦) وباب كاتب النبي ﷺ (٤٩٨٩) وفي كتاب التفسير تفسير سورة براءة باب ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ حديث رقم (٤٦٧٩) وفي موضع آخر، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة حديث رقم(٣١٠٢).

٣) الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء، أبو محمد محي السنة البغوي، فقيه مفسر محدث (٤٣٦-٥١٠أو٥١٦هـ). الأعلام ٢٥٩/٢.

٤) انظر روح المعاني ٢٣/١.

٥) من الأدلة على تلقين الرسول ﷺ القرآن للصحابة : قول عبدالله بن مسعود: «علمني رسول الله ﷺ التشهد - وكفي بين كفيه - كما يعلمني السورة من القرآن...» متفق عليه.

وقول ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمناالسورة من القرآن...» أخرجه مسلم انظر جامع الأصول ٣٩٥/٥-٣٩٨.

حفظه كما قال عزوجل :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩.»اهـ(١).

فجمع أبوبكر القرآن الكريم من الرقاع واللخاف والعسب في صحف فهو أول من جمع كتاب الله عزوجل.

عن عبد خير(٢) قال سمعت عليا يقول: «أعظم الناس أجرا في المصاحف أبوبكر، ورحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين »(٣).

قلت : يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كتابة القرآن على الوجه المذكور وإلا فإن القرآن مجموع مكتوب منذ عهد رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير (٧٧٤هـ): «فكان الذي فعله الشيخان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ثم أخذها عمر بعده فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين؛ لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته، وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه »اهـ(٤).

ثم كان جمع عثمان بن عفان :

قال البغوي (ت٥١٦هـ) :«ثم إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقرؤون القرآن بعده على الأحرف السبعة التي أقرأهم رسول الله ﷺ بإذن الله عزوجل، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان ، وعظم الأمر فيه و كتب الناس بذلك من الأمصار الى عثمان وناشدوه الله تعالى في جمع

---

١) شرح السنة ٥٢١/٤-٥٢٣ باختصار وتصرف.

٢) عبدخير بن يزيد أبوعمارة، وقيل : عبدخير بن محمد بن حولي بن عبدعمرو بن عبديغوث، أدرك النبي ﷺ إلا أنه لم يلقه، شهد مع علي بن أبي طالب حرب الخوارج بالنهروان وثقه ابن معين والعجلي . ت بغداد١٢٤/١١.

٣) أثر صحيح .
أخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢١٣ رقم (٥٣٧)، ص٢١٧ رقم (٥٤٣) وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص١١، والداني في المقنع ص١٣.
وصححه ابن كثير في «فضائل القرآن» ص١٦، وحسّن إسناده ابن حجر في فتح الباري ١٢/٩.

٤) فضائل القرآن لابن كثير ص١٩.

الكلمة، وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر، وقدم حذيفة بن اليمان(١) من غزوة أرمينية (٢) فشافهه بذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه وحضوه عليه ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن» اهـ(٣).

عن ابن شهاب(٤)عن أنس بن مالك(٥) :« أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان(٦) مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت و عبدالله بن الزبير (٧)

---

١) حذيفة بن اليمان، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين وأبوه صحابي ايضا، أمين سر رسول الله ﷺ وسلم مات في أول خلافة علي بن أبي طالب سنة ٣٦ هـ الإصابة ٣١٧/١.

٢) بكسر أوله ويفتح، وسكون ثانيه وكسر الميم، وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة. معجم البلدان ١٥٩-١٦٠.
منطقة جبلية في [شمال شرق] آسيا بين الأناضول وأنجاد ايران جنوبي القوقاس وهي أنجاد واسعة، تتخللها سلاسل جبال شاهقة القوقاس وطوروس وكردستان، تنبع فيهاأنهرعديدة أهمها: أراكس ودجلة والفـرات وكورا. المنجدفي الأعلام ص٣٩.
وهي من الجمهوريات المستقلة حديثا عما كان يسمى بـ«الاتحاد السوفيتي».

٣) شرح السنة ٥٢٣/٤.

٤) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبوبكر، فقيه حافظ متفق على جلالته واتقانه مات سنة ١٢٥هـ. التقريب ص ٥٠٦.

٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين مشهور، مات أثنتين وقيل: ثلاث وتسعين. التقريب ص١١٥.

٦) بالفتح ثم السكون، وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم، وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء، ومدآخرون الهمزة مع ذلك. معجم البلدان ١٢٨/١-١٢٩.
وهي الآن احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وتقع على بحرقزوين، وحدود إيران، تغطي شماليها جبال القوقاس منطقة نفط غنية. المنجد في الأعلام ص٣٣ .
وقد استقلت حديثا هي وعدة جمهوريات إسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي زعيم الإلحاد العالمي.

٧) عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبوبكر وأبو خبيب بالمعجمة مصغرا، وكان أول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل

وسعيد بن العاص(١) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام(٢) فنسخوها.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا أختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم .

ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف ممانسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت(٣) سمع زيد بن ثابت قال: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري(٤) :﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب :٢٣] فالحقناها في سورتها في المصحف »(٥).

وأورد هنا روايتين تلقيان مزيدا من الضوء على الحديث السابق :

عن مصعب بن سعد(٦) قال: «قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة، وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون : قراءة أبي وقراءة عبد الله .

يقول الرجل : والله ماتقيم قراءتك .

فأعزم على كل رجل منكم ماكان معه من كتاب الله شيء لما جاء به»

وكان الرجل يجيء بالورقة ، والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة.

سنة ٧٣هـ.   التقريب ص٣٠٣.

١) سعيدبن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، توفي رسول الله ﷺ و عمر سعيد تسع سنين، وذكر في الصحابة، وولي إمرة الكوفة لعثمان وامرة المدينة لمعاوية و مات سنة ٥٨ هـ و قيل غير ذلك.   التقريب ص٢٧٣.

٢) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبومحمد المدني، له رؤية وكان من كبار ثقات التابعين مات سنة ٤٣ هـ.   التقريب ص٣٣٨.

٣) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبوزيد المدني ثقة فقيه مات سنة ١٠٠هـ وقيل قبلها.   التقريب ص١٨٦.

٤) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الخطمي، بفتح المعجمة أبوعمارة المدني، ذوالشهادتين، من كبار الصحابة، شهد بدرا وقتل مع علي بن أبي طالب بصفين.   التقريب ص١٩٣.

٥) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه وسقته هنا بسياقه له في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن حديث رقم (٤٩٨٧،٤٩٨٨) وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم (٣١٠٣).

٦) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، أبوزرارة المدني ثقة ، مات سنة ١٠٣هـ.   التقريب ص ٥٣٣.

ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟. فيقول : نعم .

فلما فرغ من ذلك قال : من أكتب الناس ؟.

قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت.

قال : فأي الناس أعرب ؟.

قالوا : سعيد بن العاص.

قال : فليمل سعيد وليكتب زيد.

فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن»(١).

عن سويد بن غفلة(٢)قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: « يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان و لاتقولوا له إلا خيرا أوقولوا له خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف.

فوالله مافعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا.

فقال (يعني: عثمان بن عفان): ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرا .

قلنا : فما ترى ؟.

قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلاتكون فرقة و لايكون اختلاف (وفي رواية: فقد رأيت أن أجمعهم على قراءة واحدة).

قلنا : فنعْمَ ما رأيت .»

قال : فقَيل : أي الناس أفصح وأي الناس أقرأ ؟.

قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت.

فقال : ليكتب أحدهما ويملي الآخر.

ففعلا وجمع الناس على مصحف.

---

١) إسناده صحيح.
أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ٣١.
وصححه ابن كثير في «فضائل القرآن» ص٢٦.
فائدة : قوله :«ليمل سعيد وليكتب زيد» كأن هذا كان في إبتداء الأمر، ثم أحتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد من المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر في حديث أنس الذي سبق آنفا - في الصلب - ثم استظهروا بأبي بن كعب في الاملاء. فتح الباري ١٩/٩.

٢) سويد بن غَفَلة، بفتح المعجمة والفاء، أبو أمية الجعفي مخضرم من كبار التابعين قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ و كان مسلما في حياته، ثم نزل الكوفة ومات سنة٨٠هـ. التقريب ص ٢٦٠.

قال : قال علي : والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل»(١).

ويلاحظ مايلي :

١ - زمن جمع عثمان رضي الله عنه :

قال ابن حجر(ت٨٥٢هـ) :«كانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان ، وقد أخرج ابن أبي داود(٢)من طريق أبي اسحاق(٣) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال:«خطب عثمان فقال: يا أيها الناس، إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة وقد أختلفتم في القراءة...» الحديث في جمع القرآن.

وكانت خلافة عثمان بعد مقتل عمر.

وكان قتل عمر في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة بعد وفاة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر.

فان كان قوله :«خمس عشرة سنة» أي : كاملة ، فيكون ذلك بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافته .

---

١) أثر صحيح .

أخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٢٠ رقم (٥٤٨) مقتصرا على قول علي: «والله لو وليت...» وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٢٩-٣٠ وأبوعمرو الداني في المقنع ص١٨ مقتصرا على قول علي: «والله لو وليت...» واخرجه البيهقي في السنن الكبرى٢/٤٢.

وصححه ابن حجر في فتح الباري ٩/١٨، والسيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ١/١٧٠ و محقق شرح السنة ٤/٥٢٥.

٢) كتاب المصاحف ص٣١.

وهي من طريق غيلان عن أبي اسحاق، وفيها علة حيث أخرج ابن أبي داود رواية ثانية للأثر بلفظ :«منذ ثلاث عشرة سنة» من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق.

ورواية غيلان خالفت رواية اسرائيل في موضعين:

الأول : في قوله: «منذ خمس عشرة سنة».

الثاني : في قوله فيها: «قراءة أبي وعبدالله ومعاذ» فسمَّى: «معاذا» ولم يذكره إسرائيل في روايته، ورواية إسرائيل عن أبي اسحاق أرجح من رواية غيلان عن أبي اسحاق كما يستفاد ذلك من ترجمة اسرائيل في «تهذيب التهذيب» ١/٢٦١ خاصة وأن الواقع هنا يؤيد روايته، فيكون قوله في رواية غيلان: «منذ خمس عشرة سنة» من قبيل الشاذ والله أعلم.

٣) عمرو بن عبدالله بن عبيد، ويقال: علي، ويقال: ابن أبي شعيرة الهمداني أبو اسحاق السبيعي، بفتح المهملة و كسر الموحدة، ثقة مكثر عابد، اختلط بأخرة مات سنة ١٢٩هـ وقيل: قبل ذلك. التقريب ص٤٢٣.

غير الحرف الذي أختاره ووافقه عليه الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأن الظاهر أن عثمان انما أختار للناس حرفا اتفق الجميع عليه، ولم يلغ سائر الحروف إنما ترك الباب مفتوحا لكل من كان يؤكد من الصحابة أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ بقراءة معينة أن يقرأ بقراءته الخاصة بحرية تامة وتحت كامل مسؤوليته الدينية ومن غير أن يلزم جماعة المسلمين كلها بما يؤكد سماعه، ولايكون التعليم العام للناس إلا من المصحف الذي أجمع على مافيه الصحابة رضوان الله عليهم(١).

وهذا الموقف المعقول والعادل يتضح بجلاء ممايلي :

الأول : من كلام علي بن أبي طالب في النص السابق عن سويد بن غفلة، فإنه يدل عليه بأمور:

(أ) أنه لم يقل فيه أن عثمان قال: ماعدا هذه القراءة باطل ليس بقرآن، لكنه أكتفى بأن جمعهم على قراءة واحدة خشية الفرقة والمراء في القرآن.

(ب) أن عثمان لو قال باطلا من القول لرد عليه الصحابة قوله إذ كيف يقر صحابة رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه على إبطال ما أباحه الرسول للأمة فلما أقروه دل هذا على أن مراد عثمان هو ماذكرته، وهو مافهمه الصحابة رضي الله عنهم وأمتثلوه طاعة لولي الأمر فاقتصروا في تعليمهم العام للناس على الحرف الذي اختاره عثمان رضي الله عنه لهم فحظي بالتواتر في النقل، أما ما يخالفه فإنهم أقتصروا على القراءة به في خاصتهم ولذلك لم تحظ القراءات المخالفة لمصحف عثمان إلا بنقل الآحاد فقط والله أعلم.

الثاني : قول عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة : «إذا أختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش»(٢) فإنه يوضح أنه إنما اختار من الأحرف ماكان على لسان قريش، أما البقية التي يجزم الصحابي أنه سمع الرسول يقرأ بها، أو أقرأه إياه ﷺ فلم يبطلها عثمان، لكن سكت عن تسجيلها في المصحف الذي أراد جمع الناس عليه، ووافقه الصحابة فيه، وترك للصحابي الحرية في قراءته لنفسه، وتحمل مسؤوليته بمفرده.

الثالث : رد عثمان رضي الله عنه على المتمردين بقوله : «أما

---

١) التحرير والتنوير ١/٥٢-٥٣ المدخل إلى القرآن الكريم ص٤٤.
٢) إسناده صحيح. تقدم تخريجه قريباص٤١.

لكن وقع في رواية أخرى له(١) :«منذ ثلاث عشرة سنة» فيجمع بينهما بالغاء الكسر في هذه وجبره في الأولى؛ فيكون ذلك بعد مضي سنة واحدة من خلافته ، فيكون ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين و أوائل سنة خمس وعشرين ، وهو الوقت الذي ذكرأهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه ، وذلك في أول ولاية الوليدبن عقبة بن أبي معيط(٢) على الكوفة من قبل عثمان» اهـ(٣).

قلت : الرواية الأولى معلولة، فلا حاجة لتكلف الجمع بينها وبين الرواية الصحيحة بلفظ :«منذ ثلاث عشرة سنة» التي تتفق مع الواقع والله أعلم.

٢ - ماذا فعل عثمان رضي الله عنه ؟ :

قال الحارث المحاسبي(٤) (ت٢٤٣ هـ): «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك.

إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على إختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات.

فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن.

فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق.

وقد قال علي:«لو وليت لعملت بالمصاحف الذي عمل بها عثمان»(٥).» اهـ(٦).

قلت : ولا يعترض على هذا (أعني: ماقرره المحاسبي رحمه الله مما يستفاد من النصوص السابقة من أن عثمان جمع الناس على حرف واحد) لايعترض عليه بأنه لم يكن لعثمان ولا للصحابة إلغاء سائر الحروف السبعة

---

١) كتاب المصاحف ص١٣ ، وتقدم سياقها كاملا مع تخريجها وبيان صحتها.

٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية القرشي الأموي أخو عثمان بن عفان لأمه، له صحبة وعاش إلى خلافة معاوية . التقريب ص ٥٨٣.

٣) فتح الباري ١٧/٩.

٤) الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي أبو عبدالله زاهدعابد (ت٢٤٣ هـ) كان معاصرا لأحمد بن حنبل.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/١١٠-١١٢): «المحاسبي كبير القدر وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه وورد أن الامام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه»اهـ

وانظر : حلية الأولياء١٠/٧٣-١٠٩ .

٥) أثر صحيح. تقدم تخريجه ص٤٣.

٦) انظر الإتقان في علوم القرآن (أبوالفضل) ١/١٧١-١٧٢.

القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الأختلاف، فاقرأوا على أي حرف شئتم»(١).

٣ - هل تحتوي المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة ؟ :

قال ابن الجزري(٢) : «إذا قلنا: إن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة وهذا قول محظور؛ لأن كثيرا مماخالف الرسم قد صح عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن النبي ﷺ.

والحق ما تحرر من كلام الامام محمد بن جرير الطبري(٣) وأبي عمر بن عبدالبر(٤) وأبي العباس المهدوي(٥) ومكي بن أبي طالب القيسي(٦) وأبي القاسم الشاطبي(٧) وابن تيمية وغيرهم، وذلك أن المصاحف التي كتبت في زمن أبي بكر رضي الله عنه كانت محتوية على جميع الأحرف السبعة، فلما كثر الأختلاف وكاد المسلمون يكفر بعضهم بعضا أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النبي ﷺ على جبريل عام قبض، وعلى ما أنزل الله تعالى دون ما أذن فيه، وعلى ماصح مستفاضا عن النبي ﷺ دون غيره، إذ لم تكن الأحرف السبعة واجبة على الأمة، وإنّما كان ذلك جائزا لهم مرخصا فيه، وقد جعل إليهم الأختيار في

---

١) كتاب المصاحف ص٥٤-٦٤، عن إسماعيل بن ابي خالد قال: لما نزل أهل مصر الجحفة ... وساق قصة محاورةعثمان لهم بواسطة علي بن أبي طالب.
وإسماعيل لم يدرك عثمان وعلي، فروايته منقطعة، لكن يشهد لقول عثمان ماتقدم في رواية سويد ومصعب والله أعلم.

٢) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبوالخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الشهير بابن الجزري شيخ الاقراء في زمانه (٧٥١-٨٣٣هـ). الأعلام ٤٥/٧.

٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ،أبوجعفر إمام في التفسير والقراءات والحديث والفقه والتاريخ (٢٢٤-٣١٠هـ). الأعلام ٦٩/٦.

٤) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي أبوعمر حافظ محدث مؤرخ نسابة أديب (٣٦٨-٤٦٣هـ). الأعلام ٢٤٠/٨.

٥) أحمد بن عمار بن أبي العباس، أبو العباس المهدوي نسبة إلى المهدية بالمغرب، مفسر مقرىء (ت بعد ٤٣٠هـ). غاية النهاية ٩٢/١.

٦) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي أبومحمد، مقرىء عالم بالتفسير والعربية (٣٥٥-٤٣٧هـ). الأعلام ٢٨٦/٧.

٧) القاسم بن فِيُرّة بن خلف بن أحمد الرّعيني، أبومحمد وأبو القاسم الشاطبي، إمام القراء صاحب «حرز الأماني» قصيدة نظم فيها التسير للداني مع زيادات (٥٣٨-٥٩٠هـ). الأعلام ١٨٠/٥.

أي حرف اختاروه.

قالوا : فلما رأى الصحابة أن الأمة تتفرق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل محظور» اهـ(١).

٤ - جمع الناس على حرف من مناقب عثمان رضي الله عنه :

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) :«وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء، وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة والله أعلم.

وإنما روي عن عبدالله بن مسعود(٢) شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغل(٣) مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الامام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق (٤) حتى قال علي بن أبي طالب: «لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا.»(٥).

فاتفق الأئمة الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين (يعني: جمع القرآن) (٦) وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ:

---

١) المنجد٢١-٢٢.

٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء، ابن حبيب الهذلي أبوعبدالرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة، وأمره عمر بن الخطاب على الكوفة ومات سنة ٣٢هـ أو التي بعدها بالمدينة.　　التقريب ص٣٢٣.

٣) بكسر الباء وفتح العين المعجمة وتشديد اللام وخفضها، من الغلول، أي: اخفوا مصاحفكم ولاتظهروها حتى لاتحرق.　　معجم مقاييس اللغة ٤/٣٧٥-٣٧٧.

٤) ساق جملة من هذه الروايات في تغضب ابن مسعود في كتاب المصاحف ص١٨-٢٥ وأخرجها الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم (٣١٠٣)، وصححها الألباني في صحيح الترمذي ٣/٦٠.

وبالسند نفسه أخرج الترمذي وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢١٦ رقم (٥٤٢) عن الزهري أنه قال تعقيبا على مقالة ابن مسعود: «فبلغني أن ذلك كره من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل الصحابة»

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٩/٩: «والعذر لعثمان في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبدالله بالكوفة ولم يؤخر ماعزم عليه من ذلك إلى أن يرسل اليه ويحضر ، وأيضا فان عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفا واحدا وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره»اهـ

٥) أثر صحيح.　　تقدم تخريجه قريباص٤٣ بنحوه.

٦) أنظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٥ وفضائل القرآن لابن كثير ص٢٦.

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...» (١).»اهـ(٢).

حاصل ماتقدم :

حاصل ماشهدت به الأخبار المتقدمة وماضرحت به أقوال الأئمة(٣) :

- أن تأليف القرآن على ماهو عليه الآن كان في زمن النبي ﷺ باذنه وأمره.

- وأن جمع أبي بكر إنما قصد به جمع القرآن في الصحف في مكان واحد خشية ضياعه - والعياذ بالله - بقتل القراء.

- وأن جمع عثمان إنما قصد به أن يقتصر الناس على تلاوة القرآن على حرف واحد من أحرف القراءة التي اباح لهم الرسول ﷺ القراءة بها خوفا عليهم من المراء في القرآن والاختلاف فيه فاستوسقت له(٤) الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منهم صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشقيق الناصح، دون ماعداه من الأحرف الستة الباقية والله أعلم(٥).

قلت : و يعني رحمه الله بقوله: «فلا قراءة..» أي: بمجموع الأحرف الستة لعامة للمسلمين، و سباق كلامه ولحاقه وسياقه يدل على ذلك وإلا فالصواب: أن رسم المصحف اشتمل على هذا الحرف الذي جمع عثمان

---

١) حديث صحيح .

أخرجه أحمد في المسند ٤/١٢٦-١٢٧ وأبوداود في سننه كتاب السنة باب لزوم السنة حديث رقم (٤٦٠٧) والترمذي في كتاب العلم حديث رقم (٢٦٧٦) وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين حديث رقم (٤٢).

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٤١-٣٤٢ وصححه محقق جامع الأصول ١/٢٧٩.

٢) فضائل القرآن لابن كثيرص ٢٠.

٣) مستفاد من كلام أبي شامة في الرشد الوجيز ص٧٠-٧١.

٤) تتابعت وانقادت من التساوق والمساوقة. لسان العرب ١٠/١٦٦.

٥) من كلام الطبري في تفسيره (شاكر) ١/٦٤.

رضي الله عنه الناس عليه، وعلى ما يوافقه من سائر الأحرف(١).

- وأن جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه اقتصر على مجرد النسخ للصحف مكتفيا بحرف واحد، فلم يحدث فيه ترتيبا لم يكن فكتبوا كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبالم يأخذوه من رسول الله ﷺ.

قال ابن وهب(٢) : سمعت مالكا(٣) يقول : «إنما ألف القرآن على ماكانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ »(٤).

ولعل القارئ الكريم بعد وصوله في قراءته إلى هذا الحد وقد تكررت معه كلمة القراءات يتساءل عن القراءات ماهي ؟ ما أقسامها ؟ ما علاقتها بالأحرف السبعة ؟ هذه الأسئلة وأمثالها تخطر في ذهنه وللجواب عليها عقد الباب التالي :

---

١) وسيأتي تقرير هذا وبسطه ص١٠٤-١٠٨.

٢) عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبومحمد المصري الفقيه ، ثقة حافظ عابد مات سنة ١٩٧هـ. التقريب ص٣٢٨.

٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبوعبدالله المدني محدث فقيه إمام دار الهجرة، رأس المتقنين وكبير المتثبتين إمَام المذهب المشهور (٩٣-١٧٩هـ). التقريب ص٥١٦.

٤) المقنع للداني ص١٨ المرشدالوجيزص٤٦ وانظر روح المعاني ٢٣/١ ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص٧١-٧٣.

الباب الأول
القراءات تعريفا وأقساما

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

التمهيد : في أهمية القراءات .

الفصل الأول : تعريف القراءات .

الفصل الثاني : أقسام القراءات .

تمهيد : أهمية القراءات .

لايكاد يوجد علم من علوم العربية بله الشريعة إلا وتعتبر القراءات رافداً من روافده الثرة؛ فهذا علم النحو وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة، وهذه كتب المعاجم اللغوية يشكل القرآن بقراءاته أصلا أصيلا وركنا ركينـا فيهـا(١).

وهل نهضت علوم العربية إلا بالقرآن وعلومه ؟.

قال الشيخ سعيد الأفغاني(٢) متحدثا عن القرآن الكريم: «هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحووالصرف وعلوم البلاغة، وقراءاته جميعا الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لاتضاهيها حجة.

أما طرقه المختلفة في الأداء فهي كذلك؛ إذ أنّها مروية عن الصحابة

---

١) اهتم العلماء المتأخرون بابراز هذا الأمر، وبيان أثر القراءات في العلوم و من المصنفات في ذلك:

(أ) - «أثر القراءات في الدراسات النحوية» د/ عبدالعال سالم علي. القاهرة مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(ب) - «القراءات واللهجات» عبدالوهاب حمودة . القاهرة مطبعة السعادة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

(ج) - «الإمالة في القراءات واللهجات» د/ عبدالفتاح إسماعيل شلبي القاهرة مطبعة نهضة مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(د) - «اللهجات في القراءات القرآنية» د/ عبده الراجحي القاهرة مطبعة دارالمعارف ١٩٦٨م.

(هـ) - «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» محمد عبدالخالق عضيمة، في أحد عشر مجلدا قسمه إلى ثلاثة أقسام قسم في معاني الحروف ثلاثة مجلدات، وقسم في النحو أربعة مجلدات،وقسم في الصرف أربعة مجلدات، تجاوزت الآيات القرآنية والقراءات في القسم الأول (٢٨٧٠٠) كما صرح في ق١ج١ص١٨.

(و) - «القراءات وأثرها في علوم العربية» د/ محمدسالم محيسن - مكتبة الكليات الأزهرية.

(ز) - «القراءات القرآنية في ضؤ علم اللغة الحديث» د/ عبدالصبور شاهين نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢) سعيد الأفغاني عالم بالنحو، له مصنفات وتحقيقات منها كتابه «في أصول النحو» وتحقيق «لمع الأدلة» لابن الأنباري (معاصر).

وقراء التابعين و هم جميعا ممن يحتج بكلامهم العادي بله قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول الله ﷺ.

ولاننس بعد ذلك أن أئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحضرمي هم ائمة في اللغة والنحو أيضا.

وقد جرى عُرْف العلماء على الاحتجاج برواياته (يعني:القرآن) سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة.

والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللغة والنحو؛ إذ هي على كل حال أقوى سندا وأصح نقلا من كل ما أحتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن» اهـ(١).

قلت : وغير السنة الصحيحة على الصواب، وسيأتي - إن شاء الله - الحديث عن القراءة الشاذة.

ويقول الشيخ محمد عبدالخالق عضيمه(٢) : «القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأنا عن أوثق ما نقل إلينا من الفاظ اللغة وأساليبها وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفى فيه برواية الآحاد» اهـ(٣).

قلت : وإذا كان هذا شأن القرآن المتواتر والقراءات الشاذة في تلك العلوم فإن شأنهما في الشريعة وعلومها أعظم وأفخم؛ فالقرآن الكريم وقراءاته الصحيحة مع السنة النبوية هما مصدر الشرع في العقائد والأحكام.

والمفسر للقرآن الكريم لابد له من تعلم القراءات(٤) إذا أراد بيان معاني القرآن الكريم؛ لأنه بالقراءات ينكشف من معاني الآية مالا ينكشف بالقراءة الواحدة، وبالقراءات يترجح لديه بعض الوجوه المحتملة على بعض في معاني القرآن، وبها يعرف كيفية النطق بالقرآن وكيفية الأداء ومافيه من إعجاز ليس فقط في نظمه ومعانيه بل فـــي تركيب الألفاظ

---

١) في أصول النحو ص٢٨-٢٩.

٢) محمد عبدالخالق عضيمة، عالم بالنحو والصرف، وأستاذ في كلية اللغة العربية بالقاهرة والرياض، صاحب كتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» لم أر مثله (معاصر) توفي سنة١٤٠٤هـ عن عمر يقارب التسعين.

٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ج١ص٢.

٤) الإتقان في علوم القرآن (أبوالفضل) ١٨٧/٤.

وحروف الكلم(١).

وهذه المعاني في تفسير آيات القرآن الكريم من شأنها أن تفيد الفقيه في تفقهه لنصوص القرآن الكريم واستنباط الأحكام الشرعية منها.

قال الشيخ القسطلاني(٢) : «لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لايوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى.

فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط»اهـ(٣).

ولمّا كانت القراءات بهذه المثابة، ولما كانت هذه الدراسة في بيان أثر القراءات في التفسير؛ احتاج الأمر إلى تعريف القراءات وبيان عددها وأقسامها وهذا بحول الله وقوته هو موضوع الفصلين التاليين - إن شاء الله تعالى -.

---

١) من أسرارالتعبير في القرآن (حروف القرآن) ص٢٢-٦٥.

٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري أبوالعباس شهاب الدين، مقرئ محدث (٨٥١-٩٢٣هـ). الأعلام ٢٣٢/١.

٣) لطائف الإشارات ١٧١/١ وقارن بـ«إتحاف فضلاء البشر» ص٥.

الفصل الأول : تعريف القراءات.

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة القراءات ومصدرها .
المبحث الثاني : تعريف القراءات لغة واصطلاحا .
المبحث الثالث : الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والوجه والطريق والوجه.

وإليك البيان :

المبحث الأول : نشأة القراءات ومصدرها.

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : نشأة القراءات .
المطلب الثاني : مصدر القراءات .

المطلب الأول : نشأة القراءات .

بُدِيء القرآن العظيم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الّذي خَلَق. خَلَقَ الإنْسَان مِنْ عَلَق. اقْرَأْ وربُّكَ الأكْرَم. الّذِي عَلّمَ بالقَلَم. علّمَ الإنْسَان مَالَم يَعْلَم﴾ العلق:١-٥.

وأمر عليه الصلاة والسلام بالبلاغ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيُّها المُدّثِر، قُمْ فَأنْذِر. وربّك فَكَبِّر. وثِيَابَكَ فَطَهِّر. و الرّجْزَ فاهْجُر﴾ المدثر:١-٥.

وكان أعظم ما أمرَ ﷺ ببلاغه القرآن العظيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وقُرْآناً فَرَقْنَاه لِتَقْرَأه عَلَى النّاسِ عَلَى مُكْثٍ ونَزّلْنَاه تَنْزِيلاً﴾ الاسراء:١٠٦.

فأقرأ رسول الله ﷺ أصحابه القرآن على الوجه الذي أقرأه به جبريل عليه الصلاة والسلام:

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لاتُحَرِّك بِهِ لِسَانَك لِتَعْجَل بِه﴾ القيامة:١٦.

قال (ابن عباس رضي الله عنهما) : «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه.

فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما.

وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه .

(قال ابن عباس) : فأنزل الله تعالى: ﴿لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ•إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال : فاستمع له وانصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه [الآيات الكريمات من سورة القيامة:١٦-١٩].

[قال ابن عباس] : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه»(١).

ومكث رسول الله ﷺ طوال زمن الرسالة يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام كل عام في رمضان.

عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ(٢) قالت: «أسرَّ إليَّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي»(٣).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن(٤).

عن أبي هريرة(٥) رضي الله عنه قال : «كان يعرض على النبي ﷺ

---

١) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي حديث رقم (٥).

٢) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ أم الحسن سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل. التقريب ص٧٥١.

٣) حديث صحيح.
أخرجه البخاري معلقا في كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على رسول الله ﷺ ووصله في كتاب المناقب باب علامات النبوة حديث رقم (٣٦٢٤).

٤) هذا يخالف ما في حديث أبي هريرة الآتي بعده (في المتن) لأن فيه أن جبريل كان يعرض على النبي ﷺ وفي هذا أن النبي ﷺ كان يعرض على جبريل.
ولا إختلاف إذ يحمل على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر. فتح الباري ٤٤/٩.
وقد ورد في رواية للحديث في البخاري في بدء الوحي: «وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن» فقوله :«يدارسه» يشمل عرض كل واحد منهما على الآخر فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.» حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ حديث رقم (٤٩٩٧).

٥) أبو هريرة الدوسي، صحابي جليل، حافظ الصحابة، أختلف في اسمه واسم أبيه، وأرجح ما قيل أنه عبدالرحمن بن صخر، مات سنة سبع وقيل: سنة ثمان وقيل: تسع

القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه وكان يعتكف في كل عام عشرا ، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه»(١).

وأشفق رسول الله ﷺ على أمته أن تقرأ القرآن العظيم على حرف واحد فيشق عليها، فسأل الله أن يخفف عنها فأنزل الله تبارك وتعالى القرآن على سبعة أحرف«كلها شاف كاف» .

عن أبي بن كعب قال : «إن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف.

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، و إنَّ أمتي لاتطيق ذلك.

ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين.

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لاتطيق ذلك.

ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف.

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطيق ذلك.

ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا .»(٢).

وفي رواية :«لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال : ياجبريل بعثت إلى أمة أميين فيهم العجوز والشيخ والكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط.

فقال : يامحمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف »(٣).

وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. التقريب ص ٦٨١.

١) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ حديث رقم (٤٩٩٨).

٢) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف حديث رقم (٨٢٠) واللفظ له وأخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (١٤٧٧-١٤٧٨) والنسائي في كتاب الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٢/٢، ١٥٤.

٣) حديث صحيح .

أخرجه الترمذي في كتاب باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم (٢٩٤٤) وقال الترمذي :«هذا حديث حسن صحيح و قد روي من غير وجه عن أبي بن كعب» سنن الترمذي ١٩٥/٥.

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٥/٣ وحسن إسناده محقق جامع

فقرأ رسول الله ﷺ القرآن على أصحابه وعلمهم إياه، وأمرهم بتبليغه.

عن ابن مسعود قال : «علمني رسول الله ﷺ - وكفي بين كفيه - التشهد كما يعلمني السورة من القرآن...»(١).

عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن»(٢).

ووجه الدلالة : أن رسول الله ﷺ علمهم التشهد بحروفه كما كان يعلمهم القرآن بحروفه ووجه الشبه في المشبه به أقوى وأوضح .

عن ابن مسعود قال: «كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.»(٣).

عن أبي عبد الرحمن السلمي(٤) قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا»(٥).

الأصول ٤٨٣/٢، وانظر ص٣٣ رواية أخرى للحديث مع تخريجها.

وأضاة بني غفارتقدم في آخر بحث نزول القرآن ص٣٤، ذكرالخلاف في تحديد مكانها، والمقصود في الحديث هنا - والله أعلم - أضاة بني غفار التي في المدينة.

(١) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه واللفظ هنا أخرجه في كتاب الاستئذان باب الأخذ باليد حديث رقم (٦٢٦٥).

(٢) حديث صحيح.

أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب التشهد حديث رقم (٤٠٣).

(٣) حديث صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٨٠/١.

وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري وقال: «هو موقوف على ابن مسعود، لكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود انما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ فهو يحكي ماكان في ذلك العهد النبوي المنير»اهـ

(٤) عبدالله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة وتشديد الياء أبوعبدالرحمن السلمي الكوفي المقرىء، مشهور بكنيته ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، مات بعد السبعين. التقريب ص٢٩٩.

(٥) حديث صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٨٠/١ من طريق جرير عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي.

قلت : عطاء بن السائب قد اختلط بأخرة و جرير سمع منه بعد الاختلاط لكن ذكر الذهبي في كتابه «معرفة القراء الكبار» ٥٤/١ أن حماد بن زيد رواه عن عطاء، وهو قد سمع منه قبل الاختلاط فالسند صحيح، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه

ومن أجل هذا كان صحابة رسول الله ﷺ إذا تعلم رجل منهم سورة البقرة جد وعظم في أعينهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، يعني: عظم»(١).

وأمرهم رسول الله ﷺ بتبليغ القرآن:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص(٢) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولاحرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

قال ابن كثير(٧٧٤هـ): «يعني ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من ورائه، فبلغوا عنه ما أمرهم به فأدوا القرآن قرآنا والسنة سنة، لم يلبسوا هذا بهذا...

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ولله الحمد والمنة.» اهـ(٤).

فَلَقِن صحابة رسول الله ﷺ القرآن العظيم و حَذَقَ فيه جماعة منهم، كانوا يَتدارسونه، ويرسلهم ﷺ ليعلموه الناس، فكان يقال لهم: (القراء).

لتفسيرالطبري كما صححه محقق كتاب«معرفة القراءالكبار» للذهبي.

قلت: ويشهد له الذي قبله.

١) حديث صحيح.
أخرجه أحمد في المسند (الميمنية) ٣/١٢٠-١٢١.

٢) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد (بالتصغير) ابن سعد بن سهم السهمي أبومحمد وقيل: أبوعبدالرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الأرجح سنة ٦٥هـ. التقريب ص٣١٥.

٣) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ماذكر عن بني اسرائيل حديث رقم (٣٤٦٢) والترمذي في كتاب العلم باب ماجاء في الحديث عن بني اسرائيل حديث رقم (٢٦٧١).

٤) فضائل القرآن لابن كثير ص١٩ بإختصار.

عن أنس رضي الله عنه :«إن رِعْلاً(١) وذَكْوان (٢) وعُصَيَّة (٣) وبني لِحْيَان(٤) استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كُنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ؛ فقنت شهرا يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رِعْل وذَكْوان وعُصَيَّة وبني لِحْيَان»(٥).

وفي رواية عنه ايضا:«جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم: القراء فيهم خالي حرام يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء.»(٦).

وحفظ القرآن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع من الصحابة اتصلت أسانيد القراءات ببعضهم(٧).

قال الذهبي(٨): «الذين عرضوا على رسول الله ﷺ القرآن: عثمان بن

---

١) رِعْل بن مالك ، قبيلة من سليم بن منصور، من العدنانية تنتسب إلى رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثه ابن سليم بن منصور، احدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص٢٦٢،٤٦٨.

٢) ذَكْوان بن رفاعة قبيلة من بني سليم بن منصور، من قيس عيلان من العدنانية، وهي احدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص٢٦٣،٤٦٨.

٣) عُصَيَّة بن خفاف قبيلة من بني سليم بن منصور، من قيس عيلان من العدنانية وهي احدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ إذ قتلوا أصحاب بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص٢٦١،٤٦٨.

٤) لِحْيان بن هذيل من العدنانية، وهم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نَزار بن معد عدنان، وهي احدى القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ إذ قتلوا أصحاب بئر معونة. جمهرة أنساب العرب ص١٩٦.

٥) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة حديث رقم (٤٠٩٠).

٦) حديث صحيح .
أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب القنوت في جميع الصلاة اذا نزلت بالمسلمين نازلة حديث رقم (٦٧٧).

٧) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

٨) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبوعبدالله، محدث ناقد مؤرخ (٦٧٣-٧٤٨هـ). الأعلام ٣٢٦/٥.

عفان [٣٥هـ] وعلي بن أبي طالب [ت٤٠ هـ] وأبي بن كعب [ت٣٢هـ على خلاف، وهذا الراجح] وعبدالله بن مسعود [ت٣٢هـ] وزيد بن ثابت [ت٤٥هـ] وأبوموسى الأشعري(١) وأبو الدرداء(٢).

فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ وأخذ عنهم عرضا وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة.

وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل(٣) وأبي زيد(٤) و سالم مولى أبي حذيفة(٥) و عبدالله بن عمر(٦) و عقبة بن عامر(٧) لكن لم تتصل بنا قراءتهم» اهـ(٨).

فقرأ أصحاب الرسول ﷺ القرآن العظيم وأقرأوه، وحفظه جملة منهم،

---

١) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديدالضاد المعجمة، أبوموسى الأشعري ، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين مات سنة ٥٠هـ وقيل : بعدها. التقريب ص٣١٨.

٢) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء مختلف في اسم أبيه وأما هو فمشهور بكنيته وقيل: اسمه عامر وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أحد، كان عابدا مات في أواخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك. التقريب ص٤٣٤.

٣) معاذبن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبوعبدالرحمن مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرا و مابعدها وكان اليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن مات بالشام سنة ثماني عشرة. التقريب ص٥٣٥.

٤) عمرو بن أخطب أبوزيد الأنصاري، صحابي جليل، نزل البصرة مشهور بكنيته. التقريب ص٤١٨.

٥) سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، أحدالسابقين الأولين، أستشهد يوم اليمامة في السنة ١٢هـ. الإصابة ٦/٢.

٦) عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي أبوعبدالرحمن، ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وهو أحد الكثرين من الصحابة، والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعا للأثر مات سنة٧٣هـ في آخرها أو في أول التي تليها. التقريب ص٣١٥.

٧) وقع في معرفة القراء الكبار للذهبي ٤٢/١: «... عتبة بن عامر» بالتاء المثناة من فوق ولم أجد في الصحابة ولا في القراء ولا في الرواة من اسمه «عتبة بن عامر» وترجح - عندي - أنه تصحيف عن - عقبة بن عامر - والله أعلم.

وهوعقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم ابن قيس بن جهينة الجهني صحابي مشهور، قال ابن يونس :«كان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا وهو أحد من جمع القرآن» وقال ايضا: «ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفي آخره كتب عقبة بن عامر بيده»اهـ توفي سنة ٥٨هـ. الإصابة ٤٨٩/٢.

٨) معرفة القراء الكبار/٢٤-٤٢ بتصرف واختصار .

وكان حفظه خصوصية خص الله بها كتابه القرآن العظيم دون سائر الكتب، وهذه أشرف خصوصية مَنَّ الله تعالى بها على أمة محمد ﷺ و كان على هذا الحفظ الاعتماد في نقل القرآن العظيم تؤازره وتوثقه الكتابة كما بينا.

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : «الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربي قال لي: أن قم في قريش فأنذرهم.

فقلت : أي رب اذا يثلغوا رأسي(١).

فقال : إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظانا، فابعث جندا أبعث مثليهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك»(٢).

فأخبر أن كتابه لايحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل قرأوه في كل حال كما جاء في نعت أمته: «أناجيلهم في صدورهم» بخلاف أهل الكتاب الذين لايحفظونه إلا في الكتب ولا يقرأونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب.» اهـ(٣).

قلت : إن القرآن العظيم لم يقتصر على كونه آيات تتلى أو تقرأ وتحفظ في الصدور وإنما كان أيضا كتابا مدونا بالمداد فهاتان الصورتان تتضافران وتصحح كل منهما الأخرى، ولهذا كان الرسول ﷺ كلما جاءه الوحي بالقرآن تلاه على الحاضرين وأملاه من فوره على كتبة الوحي ليدونوه على أي شيء كان في متناول أيديهم مما تمكن الكتابة عليه(٤).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) :«ولما خصَّ الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في اتقانه وتلقوه

---

١) يثلغوا رأسي: أي: يشدخوا.

٢) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار حديث رقم (٢٨٦٥) ولفظ محل الشاهد منه: «إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا... ... وقال: إنما بعثتك لأبتليك وابتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لايغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان.

وإن الله أمرني أن أحرق قريشا ، فقلت : ربِّ إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة.

قال : أستخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك...»

٣) مجموع الفتاوي ٤٠٠/١٣.

٤) مدخل إلى القرآن الكريم ص٣٤.

من النبي ﷺ حرفا حرفا لم يهملوا منه حركة و لا سكونا و لا إثباتا و لا حذفا، ولادخل عليهم في شيء منه شك و لا وهْم و كان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي ﷺ» اهـ(١).

القراء من الصحابة :

ولمّا توفي رسول الله ﷺ و جاء أبوبكر خليفة رسول الله ﷺ كان ما كان من أمر حروب الردة، واستحرار القتل في القراء من الصحابة، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر بجمع القرآن العظيم في صحف خشية ذهابه - والعياذ بالله - بذهاب القراء من الصحابة، فجمع المصحف في صحف كانت عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر حتى توفي ثم عند حفصة رضي الله عنها أم المؤمنين ووصية عمر رضي الله عنهما.

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه انتشر الصحابة في أرجاء البلاد التي دخلت في الاسلام يعلمون الناس أمور دينهم ويقرئونهم كتاب ربهم.

وفي أواخر عام أربع وعشرين وأوائل عام خمس وعشرين من الهجرة حضر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فتح أرمينية و أذربيجان، فرأى وسمع من الناس ما أفزعه، إذ اختلف عوام الناس في القرآن فصار أحدهم يقول للآخر: قراءتي خير من قراءتك، فَقَدِمَ المدينة على عثمان وطلب إليه أن يضع حدا لهذا اللجاج الذي قد يؤدي إلى مثل ما وقع فيه اليهود والنصارى من فُرْقَة بشأن كتبهم، فشكّل عثمان لجنة من أربعة نساخ هم : زيد بن ثابت - وهو من الأنصار - وعبدالله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبدالرحمن بن الحارث - من المهاجرين - وكلفهم بنسخ مصحف حفصة بعدد من النسخ يعادل عدد الأمصار الرئيسة في الدولة الاسلامية، وقال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم»(٢).

وبانتهاء هذا العمل بما يتفق تماما مع النص الأصلي أعيد مصحف حفصة اليها بينما وزعت النسخ على الأمصار(٣).

---

١) النشر في القراءات العشر ٦/١.

٢) أثر صحيح . سبق تخريجه ص٤١،٣٢.

٣) مدخل إلى القرآن الكريم ص٣٨-٣٩ بتصرف، وقد تقدم الحديث بتوسع عن جمع القرآن.

القراء من التابعين :

[وقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا مافيه عن الصحابة الذين تلقوه من رسول الله ﷺ.

ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ](١).

وقد كثر هؤلاء وانتشروا في البلاد وكان منهم(٢) :

(١) **في المدينة** : سعيد بن المسيب(٣) و عروة بن الزبير(٤) و سالم بن عبدالله (٥) وابن شهاب الزهري (ت١٢٣هـ) وعبدالرحمن بن هرمز الذي يعرف بالأعرج(٦).

(٢) **وفي مكة** : عبيدالله بن عمير الليثي(٧) وعطاء بن أبي رباح(٨) وطاووس(٩) وعكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٥هـ) وعبدالله بن أبي مليكة(١٠).

---

١) من كلام ابن الجزري في النشر ٨/١.

٢) جمال القراء٢/٤٢٥ نقلا عن كتاب «القراءات» لأبي عبيد، وقارن بـ«النشر»١/٨.

٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. التقريب ص٢٤١.

٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبوعبدالله المدني، ثقة فقيه مشهور مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان. التقريب ص٣٨٩.

٥) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبوعمر أو أبوعبدالله المدني أحد الفقهاء السبعة كان ثبتا عابدا فاضلا كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت مات في آخر سنة ست ومئة على الصحيح. التقريب ص٢٢٦.

٦) عبدالرحمن بن هرمز الأعرج أبوداود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة فقيه ثبت عالم مات سنة سبع عشرة ومئة. التقريب ص٣٥٢.

٧) عبيد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع أبوهاشم الليثي المكي، تابعي جليل مات سنة ١١٣هـ. غاية النهاية ١/٤٣٠.

وذكر في «النشر» بدلا منه: «عبيد بن عمير»، له ترجمة في «غاية النهاية» ١/٤٩٧.

٨) عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل مات سنة أربع عشرة ومئة على المشهور. التقريب ص٣٩١.

٩) طاوس بن كيسان اليماني أبوعبدالرحمن الحميري مولاهم الفارسي يقال: اسمه ذكوان و طاوس لقب، ثقة فقيه فاضل مات سنة ست ومئة، وقيل: بعد ذلك. التقريب ص٢٨١.

١٠) عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن أبي مليكة بالتصغيرابن عبدالله بن جدعان، يقال اسم أبي مليكة زهيرالتيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه مات سنة سبع عشرة ومئة. التقريب ص٣٢١.

(٣) **وفي الكوفة** : علقمة بن قيس(١) والأسود بن يزيد(٢) ومسروق بن الأجدع(٣) وعبيدة السلماني(٤) وعمرو بن شرحبيل(٥).

(٤) **وفي البصرة** : عامر بن عبدالله(٦) و أبوالعالية الرياحي(٧) وأبو رجاء العُطَاردي(٨) ونصر بن عاصم الليثي(٩) ويحي بن يعمر(١٠).

(٥) **وفي الشام** : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي(١١) و خليد بن سعد(١٢).

القراء بعد التابعين :

قال أبوعبيد القاسم بن سلام(١٣) بعد ذكر هؤلاء وغيرهم: «ثم قام من

---

١) علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد مات بعد الستين وقيل: بعد السبعين. التقريب ص٣٩٧.

٢) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي أبوعمرو أو أبوعبدالرحمن مخضرم ثقة مكثر فقيه مات سنة أربع أو خمس وسبعين . التقريب ص١١١.

٣) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبوعائشة الكوفي ، ثقة فقيه عابد ، مخضرم مات سنة اثنتين ويقال : سنة ثلاث وستين . التقريب ص٥٢٨.

٤) عبيدة بن عمرو السلماني بسكون اللام ، ويقال : بفتحها المرادي أبوعمرو الكوفي تابعي كبير مخضرم ، فقيه ثبت مات سنة اثنتين وسبعين أوبعدها والصحيح أنه مات قبل سنة سبعين. التقريب ص٣٧٩.

٥) عمرو بن شرحبيل الهمداني أبوميسرة الكوفي ، ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين. التقريب ص٤٢٢.

٦) عامر بن عبدالله هو الذي يعرف بابن عبدقيس كان يقرىء الناس. جمال القراء٢/٤٢٧.

٧) رفيع بالتصغير ابن مهران أبوالعالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الارسال مات سنة تسعين وقيل: ثلاث وتسعين وقيل: بعد ذلك. التقريب ص٢١٠.

٨) عمران بن تيم ويقال: ابن ملحان أبو رجاء العُطَاردي البصري التابعي الكبير ولد قبل الهجرة باحدى عشرة سنة، وكان مخضرما، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره فهو تابعي لذلك مات سنة خمس ومئة. غاية النهاية ١/٦٠٤.

٩) نصر بن عاصم الليثي ويقال الدؤلي البصري النحوي تابعي، توفي قديما قبل سنة مئة، قال خليفة: مات سنة تسعين. غاية النهاية٢/٣٣٦.

١٠) يحي بن يعمر أبوسليمان العدواني البصري ، تابعي جليل يقال : انه أول من نقط المصاحف ، توفي قبل سنة تسعين. غاية النهاية ٢/٣٨١.

١١) المغيرة بن أبي شهاب عبدالله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم أبوهاشم المخزومي الشامي أخذالقراءة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ومات سنة ٩١هـ. غاية النهاية ٢/٣٠٥.

١٢) خليد بن سعد السلاماني مولى أم الدرداء تابعي قارىء. جمال القراء٢/٤٣١ تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٧٥.

١٣) القاسم بن سلام أبوعبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي امام كبير حافظ علامة، صاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر مات سنة أربع

بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمتهم غير أنهم تجردوا للقراءة واشتدت بها عنايتهم ولها طلبهم حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ويقتدون بهم فيها» اهـ(١).

ومن هؤلاء :

(١) بالمدينة : أبوجعفر يزيد بن القعقاع(٢) ثم شيبة بن نصاح(٣) ثم نافع ابن أبي نعيم(٤) .

(٢) وبمكة : عبدالله بن كثير(٥) وحميد بن قيس الأعرج(٦) ومحمدبن محيصن(٧) .

(٣) وبالكوفة : يحي بن وثاب(٨) وعاصم بن أبي النَّجُود(٩) وسليمان

وعشرين ومائتيـــن بمكة. غاية النهاية ٢/١٨.

١) جمال القراء٢/٤٢٨، نقلا عن كتاب «القراءات» لأبي عبيد.

٢) يزيد بن القعقاع الإمام أبوجعفر المخزومي المدني القارئ أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر ويقال: اسمه جندب ابن فيروز ، مات سنة ١٣٠ وقيل : سنة ١٣٢ وقيل : غيرذلك. غاية النهاية ٢/٣٨٢.

٣) شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب امام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ومولى أم سلمة رضي الله عنها مسحت على رأسه ودعت له بالخير وهو أول من ألف في الوقوف مات سنة ١٣٠هـ في أيام مروان بن محمد وقيل :١٣٨هـ في أيام المنصور. غاية النهاية ١/٣٣٠.

٤) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم أبورويم ويقال: أبونعيم ويقال: أبوالحسن وقيل: أبو عبدالله وقيل: أبوعبدالرحمن الليثي مولاهم ، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبدالمطلب ، أحد القراء السبعة ، ثقة صالح ، مات سنة تسع وستين ومئة وقيل: سبعين وقيل: سبع وستين وقيل غير ذلك. غاية النهاية ٢/٣٣٠.

٥) عبدالله بن كثير ، امام أهل مكة في القراءة (٤٥-١٢٠هـ). غاية النهاية ١/٤٤٣.

٦) حميد بن قيس الأعرج أبوصفوان المكي القارئ ثقة توفي سنة ١٣٠هـ. غاية النهاية ١/٢٦٥.

٧) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي، مولاهم المكي مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة مات سنة ١٢٢هـ وقيل: سنة ١٢٣هـ. غاية النهاية ٢/١٦٧.

٨) يحي بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي تابعي ثقة كبير من العباد الأعلام مات سنة ١٠٣هـ. غاية النهاية ٢/٣٨٠.

٩) عاصم بن بهدلة أبي النَجُود بفتح النون وضم الجيم أبوبكرالأسدي مولاهم الكوفي شيخ الإقراء بالكوفة، أحد القراء السبعة توفي سنة ١٢٧هـ وقيل غير ذلك. غاية النهاية ١/٣٤٦.

الأعمش (١) ثم حمزة(٢) ثم الكسائي(٣).

(٤) وبـالبصرة : عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي(٤) وعيسى بن عمر الثقفي (٥) وأبوعمرو بن العلاء(٦) ثم عاصم الجحدري(٧) ثم يعقوب الحضرمي(٨).

(٥) وبـالشام : عبدالله بن عامر(٩) وعطية بن قيس الكلابي(١٠) ويحي بن

---

١) سليمان بن مهران الأعمش أبومحمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، امام جليل (٦٠-١٤٨هـ). غاية النهاية ٣١٥/١.

٢) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الامام الحبرأبوعمارة الكوفي التيمي مولاهم، وقيل: من صميمهم الزيات أحدالقراء السبعة (٨٠-١٥٦هـ). غاية النهاية ١/ ٢٦١.

٣) علي بن حمزة بن عبدالله بن بَهْمَن بن فيروز الأسدي مولاهم ، أبوالحسن الكسائي إمام انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات توفي سنة ١٨٩هـ. غاية النهاية ٥٣٥/١.

٤) عبدالله بن إسحاق الحضرمي النحوي البصري ، جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي توفي سنة ١١٧هـ . غاية النهاية ١٤٠/١.

٥) عيسى بن عمر أبوعمر الثقفي النحوي البصري ، مات سنة ١٤٩هـ. غاية النهاية ٦١٣/١.

٦) زَبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعى ، أبوعمرو التيمي المازني البصري ، أحد القراء السبعة ، مات سنة١٥٤هـ وقيل غير ذلك . غاية النهاية ٢٨٨/١.

٧) عاصم بن أبي الصباح العجاج ، وقيل: ميمون أبو المجشر بالجيم والشين المعجمة مشددة مكسورة ، الجحدري البصري توفي قبل ١٣٠هـ. غاية النهاية ٣٤٩/١.

٨) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن ابي اسحاق أبومحمدالحضرمي ، مولاهم البصري أحد القراء العشرة ، وإمام أهل البصرة ومقريها توفي سنة ٢٠٥هـ. غاية النهاية ٣٨٦/٢.

٩) عبدالله بن عامر بن زيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبدالله بن عمران اليحصبي بضم الصاد وكسرها نسبة الى يَحْصُب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ وقيل: يَحْصُب بن مالك بن أصبح بن ابرهة بن الصباح ، أبوعمران امام أهل الشام في القراءة والذي انتهت اليه مشيخة الإقراء بها مات سنة ١١٨هـ. غاية النهاية ٣٨٦/١.

١٠) عطية بن قيس أبو يحي الكلابي الحمصي الدمشقي تابعي قارىء دمشق بعد ابن عامر ثقة مات سنة ١٢١هـ. غاية النهاية ٥١٣/١.

الجارث الذماري(١) ثم شريح بن يزيد الحضرمي(٢). (٣).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) :"ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم فكان منهم : المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية .
ومنهم : المقتصر على وصف من هذه الأوصاف .
وكثر بينهم لذلك الاختلاف و قلَّ الضبط واتسع الخرق و كاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة و صناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحق المراد و جمعوا الحروف والقراءات و عَزَوْا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذ بأصول أصلوها و أركان فصلوها"اهـ(٤) فرضي الله عنهم وأرضاهم بما قدموا من خدمة القرآن و الاسلام.

هذا ما كان من نشأة القراءات في هذا الطور ، حيث لم تتجاوز مجرد التلقي والسماع ، ثم انتقلت من طور الرواية المجردة إلى طور الرواية مع التدوين والتأليف ، والحديث عن هذا الطور الثاني سيأتي في موضعه من هذه الرسالة (٥) - إن شاء الله - والله المستعان.

---

١) يحي بن الحارث بن عمرو بن يحي بن سليمان بن الحارث أبوعمرو ويقال: أبوعمر ويقال: أبوعُلَيْم، الغساني الذماري ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر يعد من التابعين مات سنة ١٤٥هـ. غاية النهاية ٣٦٧/٢.

٢) شريح بن يزيد أبوحيوة الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ، ومقرئ الشام مات سنة ٢٠٣هـ. غاية النهاية ٣٢٥/١.

٣) جمال القراء ٤٢٥/٢-٤٣١ و قارن بالنشر ٨/١-٩.

٤) النشر ٩/١.

٥) في الباب الثاني من هذا القسم .

المطلب الثاني : مصدر القراءات .

الأصل في القراءات إنما هو التلقي والسماع عن رسول الله ﷺ كما وضحت في المطلب السابق، وقد تقرر ذلك بالأدلة القاطعة ومنها:

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأه عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاه تَنْزِيلاً﴾ الاسراء : ١٠٦.

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة : أنها تقرر أن القرآن العظيم انما نزل من عند الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى فرّقه على زمن البعثة ليقرأه عليه الصلاة والسلام على الناس.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لا تُحَرِّك بِه لِسَانَك لِتَعْجَلَ بِه. إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وقُرْآنَه. فإذَا قَرَأنَاهُ فاتَّبِع قُرْآنَه. ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ القيامة:١٦-١٩.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أنزِلَ إلَيْكَ فَلَا يَكُن في صَدْرِك حَرَجٌ مِنْه لِتُنْذِر به وذِكْرَى لِلمُؤمِنِين﴾ الأعراف:٢.

وقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أَنْزَل عَلَى عَبْدِه الكِتَابَ ولَمْ يَجْعَل له عِوَجَا . قَيِّما لِيُنْذِر بأساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْه،ويُبَشِّر المُؤمِنِين الذين يَعْمَلُون الصَّالِحَات أنّ لَهُم أجْراً حَسَناً﴾ الكهف:١-٣.

وفي هذه الآيات تقرير أن القرآن العظيم من عند الله تعالى وأن الرسول ﷺ مهمته إعلام الناس به.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم بن حزام(١) يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره(٢) في الصلاة فتربصت(٣) حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟.

قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ .

---

١) أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة قال ابن شهاب: كان هشام ابن حكيم في نفر من أهل الشام يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ليس لأحد عليهم إمارة.

قال أبو نعيم: استشهد بإجنادين .

ووقعة إجنادين كانت عام ١٥هـ. الإستيعاب ٥٩٣/٣ الإصابة ٦٠٣/٣.

٢) أساوره أواثبه وأقاتله. النهاية ٤٢٠/٢.

٣) تربصت التربص المكث والانتظار. النهاية ١٨٤/٢.

فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ.

فقلت : يارسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان(١) على حروف لم تقرئنيها.

فقال رسول الله ﷺ : إقرأ ياهشام .

فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ.

فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، ثم قال النبي ﷺ: اقرأ ياعمر فقرأت القراءة التي أقرأني.

فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ماتيسر منه»(٢).

وهذا الحديث يدل على أمور منها :

- أن القراءات مبنية على التلقي والرواية لا على الرأي والدراية و يؤخذ هذا من قول عمر لما سمع هشاما يقرأ: «فاذا هو يقرأ على حروف لم يقرئنيها رسول الله ﷺ» ومن قول هشام لعمر: «أقرأنيها رسول الله ﷺ» ومن قول عمر لهشام: «فان رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قد قرأت» وقول عمرللرسول: «إني سمعت هذا يقرأ سورةالفرقان على حروف لم تقرئنيها» وقول الرسول: «إقرأ ياهشام. قال: عمر فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ بها» وقول الرسول: «اقرأ ياعمر» فقال عمر: «فقرأت القراءة التي أقرأني» ثم إقرار الرسول ﷺ لهذا كله كما في تمام الحديث.

فالحديث قد تكررت فيه لفظة: «الاقراء» مما يدل على أن القراءات إنما ثبتت بالتوقيف والتلقين والتلقي، والأخذ والمشافهة، والنقل والسماع، عن رسول الله ﷺ.

ويلاحظ في هذا : أن عمر رضي الله عنه لمَّا أنكر على هشام بن حكيم رضي الله عنه لم ينكر عليه لأنه سمع ماليس في لغته وإنما كان ذلك لأنه سمع

---

١) فيه جواز قول سورة كذا، و فيه أن تسمية السورة بـ«الفرقان» توقيفية.

٢) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في مواضع منها في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (٤٩٩٢) وباب من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا حديث رقم (٥٠٤١) ومسلم في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم (٨١٨) .

وأخرجه مالك وأبوداود والنسائي والترمذي كمافي جامع الأصول ٢/ ٤٧٩.

وهو حديث متواتر. انظر نظم المتناثر ص١١١.

خلاف ما قرأه النبي ﷺ حسب علمه رضي الله عنه.

ويؤكد هذا الأمر رجوع عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فلو كانت القراءة بالرأي وبالهوى لما احتاج عمر الى هذا الرجوع ، مما يبين أوضح بيان أنه ليس لأحد أن يقرأ برأيه واختياره أو من تلقاء نفسه وليس لأحد منهم أن يقرأ حسب رغبته وهواه - ولو صح لغة - فيغير عبارة بعبارة، أو يأتي في مكان اللفظ بمرادفه أو مساويه خاصة وعمر وهشام قرشيان لغتهما واحدة، ومع ذلك اختلفت قراءتهما لاختلاف الإقراء النبوي لكل واحد منهما.

- أن القراءات منزلة من عند الله تعالى، وموحى بها إلى النبي ﷺ و يؤخذ هذا من قول الرسول ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف».

- أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في الذروة العليا دقة وضبطا لألفاظ القرآن الكريم، وإحكاما لكلماته وحروفه و حرصا على إماطة أدنى تصحيف عن ساحته و حسبنا برهانا على ذلك موقف عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، ومن تلبيبه له وأخذه بخناقه، وسوقه لرسول الله ﷺ لما سمعه يقرأ على غير القراءة التي أقرأه إياها رسول الله ﷺ(١).

- وفي كل ذلك تأكيد على أن القراءات تلق ورواية وليست رأيا ودراية.

لذلك نجد أصحاب القراءات يرجعون قراءاتهم إلى صحابة رسول الله ﷺ و كلهم يروي عن رسول الله ﷺ (٢).

---

١) هذه الأمور التي استفيدت من حديث هشام بن حكيم ذكرها مع بسط في الموضوع صاحب كتاب «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» ص ٤٥-٤٧.

٢) جرى المصنفون في كتب القراءات على عقد فصول في مقدماتها تتضمن أسانيد القراءات التي يوردونها؛ وذلك تأكيدا منهم لهذا الأصل التلقي والسماع.

وقد يظن من لايمعن النظر أنه لافائدة في حشد هذه الأسانيد في أول كتب القراءات، فإذا تمعن وجد أن لايرادها فائدة وأصلا أصيلا وهو تأكيد شأن اعتمادهم فيما يوردونه من قراءات على التلقي والسماع.

ومن علماء القراءات مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) عقد في مقدمته لكتابه «التبصرة» في القراءات السبع فصلا ترجمته: «ذكر إتصال قراءة من ذكرنا من الأئمة بالنبي ﷺ و شرف وكرم» التبصرة ص٤٤-٧٤.

قال الخطابي(١) :«إن اصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عزا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئا.

فأسند عاصم قراءته إلى علي وابن مسعود .

وأسند ابن كثير قراءته إلى أبي .

وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبي .

وأما عبدالله بن عامر فانه أسند قراءته إلى عثمان .

وهؤلاء كلهم يقولون قرأنا على رسول الله ﷺ وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات» اهـ(٢).

فالقراءات سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول عن رسول الله ﷺ .

قال ابن مجاهد(٣): «القراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام، هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقيا وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته و سلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه على ماروي عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكدر(٤) وعمر بن

---

١) حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان الخطابي، فقيه محدث (٣١٩-٣٨٨هـ) . الأعلام ٢/٢٧٣.

٢) نقله القرطبي في تفسيره ١/٥٩.
ليُعلَم أن نسبة القراءة إلى شخص من هؤلاء القراء لايعني كونها آحادية؛ لأن كل قراءة نسبت إلى قارئ من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها في هذا الزمان وأضعافهم.
قال أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان (ت٧٧٦هـ) - وهو من شيوخ ابن الجزري -: «إنحصار الأسانيد في طائفة لايمنع مجيء القرآن عن غيرهم، فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد يقرأه منهم الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائما، والتواتر حاصل لهم، ولكن الأئمة الذين تصدوا لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها جاء السند من جهتهم، وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجة الوداع منقولة ممن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر؛ فهذه كذلك.»
وقال ابن اللبان رحمه الله أيضا: « هذا موضع ينبغي [التنبه] له»اهـ نقله في المنجد ص٧٠ وانظر منه ص٦٧-٧٠ ولطائف الاشارات ١/٧٨.

٣) أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبوبكر بن مجاهد ، كبير العلماء بالقراءات في عصره توفي سنة ٣٢٤هـ. الأعلام ١/٢٦١.

٤) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بالتصغير التيمي المدني، ثقة فاضل مات سنة ١٣٠هـ أو بعدها. التقريب ص٥٠٨.

عبدالعزيز (١) وعامر الشعبي أنهم قالوا (٢) : «**القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤه كما تجدونه**».» اهـ(٣).

ومن ثَمَّ حذَّروا من أخذ القرآن من المُصْحَفِيِّين الذين أخذوا القرآن من المصحف و الصحف ولم يتلقوه بالسماع و المشافهة.

عن سليمان بن موسى (٤) قال: «كان يقال: لاتأخذوا القرآن من المصحفيين ولا العلم من الصحفيين»(٥).

عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي(٦) قال :«كان يقال :«لاتحملوا العلم عن صُحُفِي، ولا تأخذوا القرآن من مصحفي»(٧).

ومنعوا القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولاركن وثيق في الأداء يعتمد عليه(٨).

يقول ابن مجاهد(ت٣٢٤هـ) أثناء كلامه عن حملة القرآن:

«ومنهم من يعرب قراءته، ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات، واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضيين، فيكون بذلك مبتدعا، وقد رويت في كراهة ذلك وحظره أحاديث»

ثم ساق بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»

وبسنده عن حذيفة قال: «اتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من

---

١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين، امه أم عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي أمرة للوليد وكان مع سليمان كالوزير و ولي الخلافة بعده فعد من الخلفاء الراشدين، مات في رجب سنة ١٠١هـ ومدة خلافته سنتان ونصف. التقريب ص٤١٥.

٢) ساق ابن مجاهد رحمه الله أسانيده إلى هؤلاء وأقوالهم، وهي في معنى النص الذي لفقته منها.

٣) كتاب السبعة ص ٤٩-٥٢ بتصرف واختصار.

٤) سليمان بن موسى الأموي مولاهم الدمشقي، الأشدق، صدوق فقيه في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل. التقريب ص ٢٥٥.

٥) تصحيفات المحدثين ٦/١.

٦) سعيد بن عبدالعزيز التنوخي الدمشقي ثقة إمام سواه أحمد بالأوزاعي و قدمه أبو مسهر لكنه اختلط في آخر أمره مات سنة ١٦٧هـ وقيل: بعدها. التقريب ص ٢٣٨.

٧) تصحيفات المحدثين ٧/١.

٨) النشر ١٧/١ وأنظر الاتقان (أبوالفضل) ٢١٧/١.

كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن تركتموهم يمينا وشمالا، لقد ضللتم ضلالا بعيدا»

وبسنده عن علي بن أبي طالب قال: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم»(١).

وبسنده عن عبد الله قال: «إني سمعت القَرَأة فرأيتهم متقاربين، فاقرأوا كما علمتم واياكم والتنطع والاختلاف وإنما هو كقول أحدكم: هلم وأقبل وتعال»(٢).

وبسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال: «لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا»

وبسنده عن الأصمعي(٣) قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: «﴿وبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ في موضع ﴿وتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ في موضع، أيعرف هذا؟.

فقال: ما يعرف إلا أن يسمع من المشايخ الأولين(٤).

---

١) حديث صحيح.

أخرجه أحمد في المسند (شاكر) ٥/٣٥ رقم (٣٩٨١) بنحوه والحاكم في المستدرك ٢/٢٢٣-٢٢٤ وأخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١/٢٣-٢٤ ولفظ ابن مجاهد عند الطبري تحت رقم (٣١) وأخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» تحت رقم (٧٥٣،٧٥٧) وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن) ص٤٤١ تحت رقم (١٧٨٣) وأخرجه بنحوه أبويعلى في مسنده (أسد) ١/٤٠٨ رقم (٥٣٦).

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان والشيخ أحمد شاكرفي تحقيقه للمسند ولتفسير الطبري وحسنه الشيخ حسين أسد في تحقيقه لمسند أبي يعلى.

٢) أثر صحيح.

أخرجه أبوعبيد في فضائل القرآن ص ٣٣٤ تحت رقم (٧٨٤) وأخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١/٥٠-٥١ بإسنادين أحدهماعال جدا كما قال الشيخ أحمد شاكر.

قال الشيخ أحمد شاكر: «هذا الأثر لم نجده في غير هذا الكتاب (يعني: تفسير الطبري)» ١/٥٧..

قلت: أخرجه ابن مجاهد بسنده في كتاب «السبعة» كما ترى وأبوعبيد في فضائل القرآن كما ذكرت في التخريج، و لعل الشيخ لم يقف عليهما.

٣) عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع أبوسعيد الباهلي الأصمعي البصري، صدوق سني، مات سنة ٢١٠هـ. التقريب ص ٣٦٤.

٤) قال محقق كتاب «السبعة» تعليقاً على هذا الموضع في كتاب «السبعة» ص ٤٨: «هذه الآية وتاليتها وردتا في قصة ابراهيم عليه السلام بسورة الصافات؛ الأولى رقم ١١٣، والثانية رقم ١٠٨، وصورتهما في مصحف عثمان واحدة وواضح من إجابة أبي عمرو بن العلاء أن المعول في ذلك على السماع من الشيوخ الثقات»اهـ

قلت: الأمر كما قال؛ وذلك أن الأصمعي إنما سأل أبا عمرو عن طريقة يمكن بها التمييز بين المتشابه في الرسم من الآيات، واجابه أبو عمرو بأنه لايعرف إلا بالسماع

وقال (الأصمعي) : قال أبوعمرو: «**إنّما نحْن فيمن مضى كبقلٍ في أصولِ نخلٍ طوال.**».» اهـ(١).

قلت : ومن هذا أيضا لمّا أنكر شبل بن عباد(٢) أحرفا من قراءة ابن محيصن وابن كثير وقال لهما: «إنّ العرب لاتفعل ذلك ولا أصحاب النحو ! .

فقالا : إنَّ النحو لا يدخل في هذا، هكذا سمعنا أئمتنا ومن مضى من السلف» اهـ(٣).

قلت : فبَيَّنَا له أن القراءة سنة متبعة يتلقاها الآخر عن الأول وهي تحكم على اللغة ولا يحكم عليها علمنا باللغة لأن اللغة أوسع من علمنا بها، والله تعالى قد أحاط بكل شيء علما.

ولقد قرر العلماء - رحمهم الله - هذا الأصل في كلامهم وشددوا عليه فمن ذلك :

. قول أبي اسحاق الزجاج(٤): «إن القراءة سنة ولايجوز أن يقرأ قارئ بما لم يقرأ به الصحابة، أو التابعون أو من كان من قراء الأمصار المشهورين في القراءة» اهـ(٥).

. قول أبي الفتح ابن جني(٦) :«لو قرأ قارئ: «إن الحمد لله»(٧) بكسر الهمزة على الحكاية التي للفظ بعينه لكان جائزا، لكن لايقدم على ذلك إلا أن يرد به أثر وان كان في العربية سائغا» اهـ(٨).

. قول مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ): «القراءات الثابتة كلها عندنا من السنة التي لامدفع فيها لأحد فاعلم» اهـ(٩).

والتلقي عن المشايخ الأولين والله أعلم.

١) كتاب «السبعة» ص ٤٦-٤٨ باختصار.

٢) شبل بن عباد أبو داود المكي، مقرئ مكة، ثقة ضابط، هوأجل أصحاب ابن كثير، بقي حيا إلى قريب سنة ١٦٠هـ. غاية النهاية ٣٢٣/١.

٣) ت بغداد ٢٥٣/٣.

٤) إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة والتفسير (٢٤١-٣١١هـ). الأعلام ٤٠/١.

٥) معاني القرآن واعرابه ٤٨٢/١.

٦) عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو مات سنة ٣٩٢هـ. الأعلام ٢٠٤/٤.

٧) الآية رقم ١٠ من سورة يونس: ﴿**وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾.

٨) المحتسب ٣٠٨/١.

٩) كتاب «التبصرة» ص٦٠.

. قول أبي عمرو الداني(١) (ت٤٤٤هـ): «أئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عندهم، لايردها قياس عربية، ولافشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها» اهـ(٢).

قلت : بل زاد العلماء على هذا أن القراءة إذا ثبتت صارت أصلا ترد إليه قواعد اللغة والنحو(٣).

. قول أبي محمد علي بن حزم(٤) :«واتفقوا... أن كل ما في القرآن حق وأن من زاد فيه حرفا من غير القراءات المروية المحفوظة المنقولة نقل الكافة، او نقص منه حرفا أو بدل منه حرفا مكان حرف، وقد قامت عليه الحجة أنه من القرآن فتمادى متعمدا لكل ذلك عالما بأنه بخلاف ما فعل؛ فإنه كافر» اهـ(٥).

. قول أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «سبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع، وتسويغه ذلك لهم، إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع» اهـ(٦).

---

١) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني، ويقال له:ابن الصيرفي من موالي بني أمية امام في القراءات وعلوم القرآن وأحد حفاظ الحديث (٣٧١-٤٤٤هـ). الأعلام ٢٠٦/٤.

٢) بواسطة المنجد ص ٦٥.

٣) ونقله في مناهل العرفان ٤١٥/١ وعلق بقوله: «هذا كلام وجيه، فإن علماء النحو إنّما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله وكلام العرب، فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو، وما قعدوا من قواعد و وجب أن يرجعواهم بقواعدهم إليه، لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه، وإلا كان ذلك عكسا للآية، وإهمالا للأصل في وجوب الرعاية»اهـ

قلت : وقد قدّمت لك في التمهيد لهذا الباب ما يؤكد هذا المعنى ويزيد عليه، وسيأتي -إن شاء الله - في الباب الثاني عند الكلام عن القراءات في كتب النحو مزيدا على هذا، والله المستعان وعليه التكلان.

٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد ائمة الاسلام (٣٨٤-٤٥٦هـ). الأعلام ٢٥٤/٤.

٥) مراتب الاجماع ص ١٧٤.

٦) مجموع الفتاوي٤٠٢/١٣.

من تمام هذا قول ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) رحمه الله :«نعتقد أن معنى اضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنّما هو من حيث أنه كان أضبط له وأكثر قراءة، واقراء به، وملازمة له، وميلا إليه، لا غير ذلك .

وكذلك إضافة الحروف والقراءات الى ائمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه، فلذلك أضيف اليه دون غيره

. قول الزركشي (ت٧٩٤هـ) : «القراءات توقيفية وليست اختيارية خلافاً لجماعة» اهـ(١).

واختلاف القراء(٢) في القراءات كاختلاف الآثار التي رويت في الأحكام فمنها المجتمع عليه السائر المعروف ومنها المتروك المكروه عند الناس المعيب من أخذ به، يبين ذلك جهابذة شرفهم الله بخدمة كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

من القراء وهذه الاضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد» اهـ النشر ١/ ٥٢.

١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٢١.

٢) **فائدة** : بهذا الأصل (أعني: التوقيف في اختلاف القراءات) افترق إختلاف القراء عن إختلاف الفقهاء.

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في النشر ١/ ٥٢ : «إختلاف القراء كله حق وصواب نزل منْ عنْدالله، وهو كلامه لاشك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق و صواب في نفس الأمر نقطع بذلك و نؤمن به» اهـ

قلت : يعني القراءة الصحيحة الثابتة لا الشاذة ونحوها.

المبحث الثاني : تعريف القراءات لغة واصطلاحا.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القراءات في اللغة .

المطلب الثاني : القراءات في الأصطلاح .

المطلب الأول : القراءات في اللغة .

القراءات جمع مفردها قراءة ، ومادة [ق . ر . أ] تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والإجتماع(١).

والقراءة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهو قاريء، وهم قرّاء وقارؤون(٢).

فالقراءة مصدر من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، كقولك : ما قرأت الناقة سلى قط.

تريد بذلك أنها لم تضم رحما على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي(٣):

تُرِيك إذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلاءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيون الكَاشِحِينَا

ذِرَاعَي عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ هَجَان اللوْنِ لَمْ تَقْرأ جَنِينَا(٤).

---

١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٧٩.

٢) تاج العروس ١٠١/١.

٣) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبوالأسود شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات توفي نحوسنة ٤٠ ق. هـ. الأعلام ٥/٨٤.

٤) قوله في البيت الأول «الكاشحينا» أي : الأعداء المضمرين العداوة في أكشاحهم وإنما خصَّت العرب الكشح بالعداوة لأنه موضع الكبد، والعداوة عندهم تكون في الكبد وقيل: بل سمي العدو كاشحا لأنه يعرض عنك ويوليك كشحه وهو الجنب.

وقوله في البيت الثاني: «عيطل» أي : طويلة العنق.

وقوله :«أدماء» أي: بيضاء .

وقوله :«بكر هجان اللون» البكرالناقة التي ولدت ولدا واحدا وقد يطلق على الناقة التي لم تلد.

وقوله : «هجان اللون» أي : الأبيض الخالص، أي: لونها أبيض.

وقوله : «لم تقرأ جنينا» أي : لم تضم في رحمها جنينا.

ومعنى البيتين : تريك هذه المرأة اذا أتيتها خالية وأمنت عيون أعدائها؛ تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ولم تضم رحمها على ولد ولم تلقه؛ يصفها بالسمن والبياض.

أنظر شرح أبي جعفر النحاس على المعلقات ص٩٣-٩٤ وشرح الزوزني للمعلقات ص٢٠٣-٢٠٤ وشرح المعلقات للتبريزي ص٢٥٨-٢٥٩.

والبيت الثاني له رواية غير المذكورة هنا وهي:

=

يعني بقوله: «لم تقرأ جنينا» لم تضمم رحما على ولد.

وفيه قول آخر: «لم تقرأ جنينا» أي: لم تلقه(١).

ومعنى قرأت القرآن بناء على هذا: لفظت به مجموعا(٢).

وفَرَّق ابن قيم الجوزية بين قري يقري وبين قرأ يقرأ؛ فالأولى من باب الياء من المعتل ومعناها: الجمع والإجتماع، والثانية من باب الهمز ومعناها الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد ومنه قراءة القرآن؛ لأن قارئه يظهره ويخرجه مقدرا محدودا لايزيد ولاينقص ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾ القيامة:١٧؛ ففرّق بين الجمع والقرآن ولو كان واحدا لكان تكريرا محضا(٣).

= ذراعي عيطل أدماء بكر تربعت الأجارع والمتونا

نبه عليه النحاس والزوزني والتبريزي، وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه.

١) تفسير الطبري (شاكر) ١ /٩٥-٩٦ وقارن بلسان العرب ١٢٨/١ وتاج العروس ١٠٢/١-١٠٣.

٢) لسان العرب ١٢٨/١ تاج العروس ١٠٢/١-١٠٣.

٣) «زاد المعاد» ٦٣٥/٥.

المطلب الثاني : القراءات في الأصطلاح .

لعلماء القراءات - رحمهم الله - جملة من التعاريف في حد القراءات سأذكرها بحسب التسلسل الزمني لوفياتهم رحم الله الجميع(١).

١ - تعريف أبي حيان الأندلسي(٢) :

عرّف أبوحيان القراءات أثناء تعريفه للتفسير حيث قال: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك»

ثم قال رحمه الله :«وقولنا :«يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن» هذا هو علم القراءات»اهـ(٣).

قلت : فعلم القراءات عند أبي حيان رحمه الله هو العلم الذي يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن.

ويلاحظ مايلي :

- أن هذا التعريف أقرب إلى موضوع التجويد منه إلى تعريف القراءات(٤).

- أن الباحث عند نظره في هذا التعريف ينبغي أن يتذكر أن أباحيان لم يأت بهذا التعريف غرضا وقصدا ولكن جاء به عرضا فلا ينظر إليه كحد يطلب فيه كونه جامعا مانعا والله أعلم.

٢ - تعريف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) :

عرف الزركشي القراءات تعريفا يفرق فيه بينها وبين القرآن فقال: «القرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز.

والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما»اهـ(٥).

---

١) بدأتُ التعريفات بقول أبي حيان من القرن الثامن لأني بعد البحث لم أجد تعريفاً واضحاً لأحد قبل ذلك، والحقيقة أن هذا أمر مستغرب في باب العلوم ولعل شهرة قضية القراءات أغنت عن تعريفها والله أعلم.

٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني أثير الدين أبوحيان الأندلسي، من كبار علماء العربية والتفسير (٦٥٤-٧٤٥هـ). الأعلام ١٥٢/٧.

٣) البحر المحيط ١٤/١.

٤) يعرّف التجويد بأنه: «اخراج كل حرف من القرآن من مخرجه مع اعطائه حقه ومستحقه» وأنظر الكتب المصنفة في تجويد القرآن ومنها «البرهان في تجويد القرآن» (عالم الكتب) ص٩-١٠ «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري» ص ٣٧-٣٨.

٥) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١.

قلت : فتعريف القراءات عند الزركشي هو اختلاف الفاظ الوحي في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما.

ويلاحظ مايلي :

- أنّه خصص القراءات في تعريفه بمواضع الاختلاف، ولم يشر إلى مواضع الاتفاق فيها(١).

قلت : وذلك لأن مواضع الإتفاق ليست قراءات وإنما هي قرآن، ومواضع الإختلاف منها ما يصح كونه قرآنا ومنها ما لا يصح.

- أنه لم يشر في تعريفه - بوضوح - إلى النقل والرواية التي هي الأصل في القراءات.

- أنه قصر الاختلاف في القراءات على ماذكر ولم يشر - بوضوح - إلى الاختلاف في اللغة والاعراب والحذف والاثبات وهو واقع في القراءات، والله أعلم.

٣ - تعريف شمس الدين ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) :

عرّف ابن الجزري القراءات بقوله: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة» اهـ(٢).

٤ - تعريف جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) :

عرّف السيوطي القراءات أثناء حديثه عن العالي والنازل من أسانيد القرآن حيث قال: «ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الاسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات فهو قراءة...» اهـ(٣).

قلت : فالقراءة عند السيوطي هي ما خالف فيه إمام من الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم غيره، مع إتفاق الطرق والروايات عليه.

ويلاحظ التالي :

- أن هذا التعريف إنّما ساقه السيوطي رحمه الله عرضا لاغرضا.

- أن هذا التعريف إنّما ساقه السيوطي عن القراء عموما.

- أنه لم يحدد فيه ماهية القراءة من حيث هي، إنما بالنظر إلى الرواية والوجه والطريق وهو ما عبر عنه بقوله: «تقسيم القراء أحوال

---

١) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص ٦٣.

٢) منجد المقرئين ص٣.

٣) الإتقان في علوم القرآن (أبوالفضل) ٢٠٩/١.

الاسناد إلى قراءة...».

٥ - تعريف شهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ) :

عرّف القسطلاني علم القراءات بأنه :«علم يعرف منه إتفاق الناقلين لكتاب الله وإختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والاثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والإتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

أو يقال : علم يعرف منه إتفاقهم واختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والاثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل.

أويقال : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقلته» اهـ(١).

قلت : ويلاحظ أن التعريف الثالث الذي أورده القسطلاني رحمه الله هو تعريف ابن الجزري والله أعلم.

٦ - تعريف طاش كبرى زاده(٢) :

قال طاش كبرى زاده معرفا علم القراءات: «هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة...

قال : وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة إلى حد الشهرة» اهـ(٣).

قلت : ويلاحظ مايلي :

- أنه لما ذكر أن علم القراءات يشمل الاختلافات المشهورة قال: «ومبادئه مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم» اهـ؛ فظهر - والله أعلم - أنه لايريد بالشهرة في التعريف ما هو قسيم المتواتر والآحاد، إنما يريد بالشهرة ما يقابل المتواتر ويدخل في الآحاد.

٧ - تعريف الدمياطي(٤) :

اكتفى الدمياطي رحمه الله عند تعريفه للقراءات(٥) بإيراد التعريف

---

١) لطائف الاشارات ١/١٧٠.

٢) أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير عصام الدين طاشكبرى زاده ، مؤرخ تركيُ الأصل، مستعرب (ت٩٦٢هـ). الأعلام ١/٢٥٧.

٣) مفتاح السعادة ٢/٦ وقارن بكشف الظنون ٢/١٣١٧ وأبجد العلوم٢/٤٢٨.

٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، عالم بالقراءات (ت١١١٧هـ). الأعلام١/٢٤٠.

٥) إتحاف فضلاء البشر ص ٥.

الأول والثالث مما أورده القسطلاني في كلامه الذي نقلته سابقا .

٨ - **تعريف الزرقاني**(١) :

قال الزرقاني معرفا القراءات: «مذهب يذهب اليه امام من ائمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها» اهـ(٢).

قلت : تعريف الزرقاني رحمه الله بسط لتعريف السيوطي السابق.

ويلاحظ مايلي :

- أنه حصر التعريف على الاختلافات بين القراء.

- أنه حصر الاختلافات في النطق بالحروف وهيئاتها بينما الخلاف الواقع بين القراءات أعم من هذا اذ يشمل اللغة والاعراب والاثبات والحذف والوصل والفصل.

٩ - **تعريف عبدالفتاح القاضي**(٣) :

عرَّف رحمه الله القراءات بأنها :«علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق ادائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله» اهـ(٤).

١٠ - **تعريف محمد سالم محيسن**(٥) حفظه الله :

عرَّف الشيخ حفظه الله القراءات بأنها: «علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم واختلافهامن تخفيف وتشديد واختلاف الفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة» اهـ(٦).

قلت : تعريفه مأخوذ من تعريف ابن الجزري رحمه الله.

ويظهر - والعلم عند الله - بعد عرض هذه التعريفات وتقييد الملاحظات عليها أن هذه التعريفات جميعا تدور على عناصر تحدد المعرف ، وهذه

---

١) محمد بن عبدالعظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر (ت١٣٧٦هـ). الأعلام ١٢٠/٦.

٢) مناهل العرفان ٤٠٥/١.

٣) عبدالفتاح القاضي، عالم بالقراءات من أهل التدقيق فيها له كتاب «البدور الزاهرة» في القراءات العشر و «القراءات الشاذة وتوجيهها» من علماء الأزهر توفي سنة ١٤٠٣هـ.

٤) البدور الزاهرة ص٧ .

٥) محمد محمد محمد سالم محيسن، عالم بالقراءات له مصنفات عديدة منها «القراءات وأثرها في علوم العربية» من علماء الأزهر.

٦) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ص٦٦ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ٤٥/١.

العناصر هي:

(١) مواضع الإختلاف في القراءات .

(٢) النقل الصحيح سواء كان متواترا أم آحادا .

(٣) حقيقة الإختلاف بين القراءات .

فإذا أريد تعريف القراءات تعريفا جامعا لجميع أفرادها مانعا من دخول غيرها فيها؛ فينبغي أن يشتمل هذا التعريف على هذه العناصر .

وباعتبار التعريفات السابقات نجد أن التعريفين الأولين الذين أوردهما القسطلاني رحمه الله (الفقرة رقم ٥) تعريفان جامعان مانعان وكذا تعريف الشيخ عبدالفتاح القاضي رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم .

تعريف القراءات باعتبار الفن المدون :

وإذا كان العلم في إصطلاح التدوين هو :«مجموع المسائل المتعلقة بجهة مخصوصة»(١) فإن تعريف القراءات كعلم مدون هو :«**مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى في الحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع**» .

أو «**مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تبارك وتعالى من جهة اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل**» .

أو «**مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا و اختلافا مع عزو كل وجه لناقله**».

هذه خلاصة ما تحرر في تعريف القراءات كما قرر في كُتُبِ القوم والله أعلم .

---

١) كشف الظنون ١/٦ وقارن بأبجد العلوم ١/٤٣.

المبحث الثالث : الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والطريق والوجه.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : هل يوجد فرق بين القرآن و القراءة ؟.

المطلب الثاني : الفرق بين الوجه و الطريق و الرواية.

المطلب الأول : هل يوجد فرق بين القرآن والقراءة ؟.

البحث في هذه المسألة و البت فيها ينبني على بيان أقسام القراءات وما يترتب عليه من تقرير قرآنية كل قسم من عدمها وهذا سيأتي - إن شاء الله تعالى - في موضعه من الدراسة؛ لذلك سأكتفي هنا بعرض وجهات نظر العلماء رحمهم الله في الموضوع مؤجلا البت فيه حتى يأتي الكلام عن أقسام القراءات - ان شاء الله تعالى -.

للعلماء - رحمهم الله - في هذه المسألة قولان مشهوران :

القول الأول : التفرقة بين القراءة و بين القرآن وهذا مذهب مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) و الزركشي (ت٧٩٤هـ) على خلاف بينهما في وجه الافتراق سيأتي ذكره - ان شاء الله - .

القول الثاني : عدم التفريق بين القراءة و القرآن .

أما أصحاب القول الأول ؛ فقد اختلفت وجهتهم في الفرق بين القرآن وبين القراءة ، كما يلي :

(أ) ذهب مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) إلى التفرقة بين القرآن و القراءة على أساس الشروط التالية :

(١) النقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

(٢) شيوعه في العربية .

(٣) موافقته لرسم المصحف .

فما توفرت فيه هذه الشروط فهو قراءة يقرأ بها (يعني: هي قرآن)، وما اختل فيه شرط منها فهو قراءة ولايقرأ بها (١).

ونقل هذا عن أبي عمرو الداني(٢) (ت٤٤٤هـ) وذكره السخاوي

---

١) الإبانة عن معاني القراءات ص٥٧-٥٨ ، ١٠٠ وغيرها.

٢) النشر ٩/١.

(ت٦٤٣هـ) في «جمال القراء»(١) وقال:«وهو المختار عند أكثرهم»اهـ وصرح بموافقة مكي أبوشامة في «المرشد الوجيز»(٢) وابن الجزري في «النشر في القراءات العشر»(٣).

(ب) ذهب الزركشي (ت٧٩٤هـ) إلى التفريق بين القرآن والقراءة بوجه آخر غير ماذهب اليه مكي، فقال: «اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما» اهـ(٤).

ونقل السيوطي(٥) (ت٩١١هـ) كلام الزركشي ولم يتعقبه وقرره القسطلاني(٦) (٩٢٣هـ) ولم ينسبه لأحد و كذا الدمياطي(٧) (ت١١١٧هـ).

قلت : ويلاحظ على تفريق الزركشي أنه إنما ذكر الفرق بين القرآن والقراءة الصحيحة التي ثبت كونها وحي فقط، فكلامه لا يظهر منه الفرق بين القرآن والقراءة الآحادية التي لم تشتهر، وكذا القراءة الشاذة، وعلى خلاف ذلك تفريق مكي بن أبي طالب، فإنه يعطي الفرق بين القرآن وبين القراءة على الاطلاق، سواء كانت قراءة متواترة أم آحادية أم شاذة.

أما أصحاب القول الثاني؛ الذين لم يفرِّقوا بين القرآن والقراءة، فكل قراءة عندهم قرآن، فهذا القول لا أعلم قائلا به، غير أن ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) نقل كلاما لابن دقيق العيد(٨) نقله عن أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) وقد صرح فيه بهذا الرأي.

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «وعلى ما ذكره هؤلاء من المتأخرين من تحريم القراءة الشاذة؛ يكون عالم من الصحابة والناس من بعدهم إلى زماننا قد ارتكبوا محرما، فيسقط بذلك الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائما،

---

١) ٢/٤٤٠.
٢) ص١٧١-١٧٢ وإبرازالمعاني ص٥.
٣) ٩/١ ويلاحظ أنه فصل في المنجد ص١٥-١٧ ما أجمله في النشر.
٤) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١.
٥) الاتقان (أبو الفضل) ٢٢٢/١.
٦) لطائف الاشارات ١٧١/١-١٧٢.
٧) إتحاف فضلاء البشر ص ٥ .
٨) محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبوالفتح تقي الدين القشيري المعروف بـ«ابن دقيق العيد» أصولي فقيه محدث (٦٢٥-٧٠٢هـ). الأعلام ٢٨٣/٦.

وهم نقلة الشريعة فيسقط ما نقلوه فيفسد على هؤلاء نظام الاسلام - والعياذ بالله تعالى من ذلك -.

قال: ويلزم أيضا أن الذين قرأوا بالشواذ لم يصلوا قط لأن الواجب لايتأدى بفعل المحرم.

قال: وقد كان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي (يعني: ابن دقيق العيد) يستشكل هذه المسألة ويستصعب الكلام فيها.

وكان يقول: هذه الشواذ نقلت نقل آحاد عن رسول الله ﷺ فيعلم ضرورة أن رسول الله ﷺ قرأ بشاذ منها وإن لم يعين كما أن حاتما نقلت عنه أخبار في الجود كلها آحاد ولكن حصل من مجموعها الحكم بسخائه وإن لم يتعين ما تسخى به وإذا كان كذلك فقد تواترت قراءة رسول الله ﷺ بالشاذ، وإن لم يتعين بالشخص فكيف يسمى شاذاً والشاذ لايكون متواترا» اهـ(١).

قلت: الظاهر من هذا النقل أنَّ ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى لم يقل بهذا القول تقريرا إنّما قاله بحثا.

ويعقب عليه بما يلي:

(١) نحن نقطع أن كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما يخالف رسمه رسم مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جمع عليه الناس وأمر أن تكون القراءة العامة عليه.

وذلك لأن جمع عثمان رضي الله عنه للناس على المصحف الذي نسخه من مصحف حفصة رضي الله عنها مكتفيا فيه بما كان من القراءات موافقا للسان قريش، هذا الجمع لم يكن الغرض منه ولا من نتائجه الغاء القراءات الشفوية التي يقرأ بها الصحابة إذ بوضع الأمور على هذا النحو في نصابها ترك رضي الله عنه الباب مفتوحا لكل من كان يؤكد أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ بقراءة معينة لكي يقرأ بقراءته الخاصة بحرية تامة وتحت كامل مسؤليته ومن غير أن يلزم جماعة المسلمين كلها بما يؤكد سماعه(٢).

(٢) فنحن نتفق مع ابن دقيق العيد رحمه الله على القطع بأن من هذه القراءات (التي اصطلح علماء القراءات على تسميتها: شاذة) ما قرأه الرسول ﷺ و لكن لانستطيع القطع في أفراد هذه القراءات بأن

---

١) نقله في المنجد ص٢٠-٢١ و النشر ١/١٥.

٢) المدخل الى القرآن الكريم ص٤٤.

الرسول ﷺ قرأها؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يجمعوا عليها(١) فنحن نتوقف فيها ولانقطع بقرآنية هذه الأفراد على العموم؛ إذ لاتوافق الرسم، كما أننا لانلغيها تماما، بل نستفيد منها في التفسير واللغة.

الحاصل: أنه لايلزم من تواتر قراءة الرسول ﷺ بهذه الأفراد مع عدم التعيين لشخصه؛ لايلزم من ذلك تواتر أفراده، وهذه المسألة تشبه ما يبحث في مصطلح الحديث(٢) ويسمى التواتر المعنوي، حيث لا يتواتر لفظ انما يتواتر معنى كأحاديث الشفاعة وأحاديث الحوض ونحو ذلك.

(٣) فمع قطعنا بتواتر قراءة الرسول ﷺ بما يخالف رسم المصحف مع عدم تعيين شخصه، فإننا نقطع بعدم تواتر هذه الأفراد ولا نعاملها معاملة القرآن والله أعلم.

(٤) قال ابن الجزري (٨٣٣هـ): «الذي وصل الينا اليوم متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز... فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولوكانت صحيحة في نفس الأمر؛ فإنها مما كان أذن في قراءته، ولم يتحقق إنزاله(٣) وان الناس كانوا مخيرين فيها في الصدر الأول ثم أجمعت الأمة على تركها للمصلحة وليس في ذلك خطر ولا اشكال لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ» اهـ(٤).

(٥) فنحن لانقطع بأن هذه القراءات الشاذة بأعيانها وأفرادها ليست قرآنا كما لانقطع بأنها قرآن وهذا القول ينبني على أصل وهو هل يجب القطع فيما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة بأنه ليس منها؟.

الذي عليه جمهور العلماء أنه لايجب القطع بذلك؛ إذ ليس ذلك مما وجب علينا أن يكون العلم به في النفي والاثبات قطعيا.

وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه كالقاضي أبي بكر

---

١) تقدم تقرير هذا في بحث جمع القرآن في المدخل لهذا القسم.

٢) أنظر نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص١٨-٢٣ تدريب الراوي ٢/ ١٨٠ شرح شرح نخبة النظر ص ٣٠ توجيه النظر إلى أصول الأثر ص٤٦.

٣) لعله يقصد بهذه الجملة: لم يتحقق انزاله عندنا نحن بأعيانه.

٤) المنجد ص ٢٣-٢٤.

الباقلانـــي(١) لزعمهم أن ماكان من موارد الاجتهاد في القرآن الكريم فإنّه يجب القطع بنفيه(٢).

قال ابن تيمية معقبا على مذهب هذا الفريق من أهل الكلام: «والصواب القطع بخطأ هؤلاء» اهـ(٣).

قال ابن الجزري مشيرا إلى قول جمهور العلماء: «وهذا هو الصحيح عندنا واليه أشار مكي(٤) بقوله: «ولبئس ما صنع إذ جحده (يعني: القراءة التي صح سندها وخالفت رسم المصحف).» اهـ(٥).

وسواء قيل بالقطع في النفي أم الإثبات؛ فذلك لايمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لاتكفير ولاتفسيق فيها للنافي و لاللمثبت(٦).

وبهذا يزول الإشكال الذي أورده ابن دقيق العيد رحمه الله بحثا ولله الحمد والمنة .

---

١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبوبكر قاضي من كبار علماء الكلام أنتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة (٣٣٨-٤٠٣هـ). الأعلام ١٧٦/٦.

٢) مجموع الفتاوي ٣٩٨/١٣ وقارن بالنشر ١٤/١-١٥.

٣) مجموع الفتاوي ٣٩٨/١٣-٣٩٩.

٤) الإبانة ص٥٨.

٥) النشر ١٥/١.

٦) مجموع الفتاوي ٣٩٩/١٣.

المطلب الثاني : الفرق بين الرواية والطريق والوجه .

لعلماء القراءات - رحمهم الله - إصطلاحات (١) تجري كثيرا في كتبهم ومن هذه الإصطلاحات : الرواية، الوجه، الطريق.

وقد عقدت هذا المطلب لبيان هذه المصطلحات الثلاثة والفرق بينها؛ لأن تعريفها من تمام تعريف القراءات.

فأبدأ بتعريفها في اللغة، ثم اثني بتعريفها في الاصطلاح عند علماء القراءات.

الرواية :

مادة [ر . و. ي] لها في اللغة أصل واحد تدور حوله استعمالاتها، فالروي ما كان خلاف العطش، تقول: رويت من الماء ريا وهو راو من قوم رواة وهم الذين يأتونهم بالماء(٢).

تقول : روي من الماء يروى ريا، وسقيته ريا وريا، وعين رية إذا كانت كثيرة الماء، ورويت للقوم أروي لهم إذا أستقيت لهم، والبعير الذي يحمل عليه الماء: الراوية، وكثر ذلك حتى سموا المزادة راوية(٣).

وسمي يوم التروية (وهو الثامن من ذي الحجة) لأنهم كانوا يرتوون من الماء لما بعد من أيام الحج في منى وعرفات(٤).

فالأصل في معنى هذه المادة هو هذا، ثم اشتق منه لحامل مايروى منه، شبه به الذي يأتي القوم بعلم أو خبر فيرويه كأنه أتاهم بريهم من ذلك(٥).

تقول : هو راوية للحديث، وروى الحديث حمله من قولهم: البعير يروي الماء أي: يحمله، وحديث مروي، وهم رواة الأحاديث ورواوها حاملوها، كما يقال رواة الماء.

---

١) جمع إصطلاح من باب الافتعال قلبت تاؤها طاء، وأريد بها - ههنا - : الفاظ مخصوصة موضوعة لمعان يمتاز بعضها عن بعض باعتبار قيد يميزه عنه، وسبب إطلاقها عليها هو الاتفاق على وضعها لتلك المعاني ليحصل عند ستعمالها مع أداتها إصلاح المعاني ودفع فساد إلتباس بعضها ببعض. المختصر في علم الأثر ص١١٢.

٢) معجم مقاييس اللغة ٤٥٣/٢.

٣) جمهرة اللغة ١٧٦/١.

٤) المجمل ٤٠٣/٢-٤٠٤.

٥) معجم مقاييس اللغة ٤٥٣/٢.

تقول: رويته الحديث أي: حملته على روايته(١).

ورويت الحديث والشعر أروية رواية، رجل راو للشعر وراوية الهاء للمبالغة(٢).

أما في الاصطلاح عند علماء القراءات: فالرواية ماينسب للآخذين عن الإمام الذي اتفقت عليه الروايات والطرق عنه(٣) ومثالها:

قولهم: رواية ورش(٤) عن نافع، ورواية شعبة(٥) عن عاصم، ورواية حفص(٦) الدوري عن الكسائي، ورواية هشام(٧) عن ابن عامر ورواية رويس(٨) عن يعقوب، ورواية إسحاق(٩) عن خلف(١٠) ورواية ابن وردان(١١)

---

١) أساس البلاغة ص ١٨٦.

٢) جمهرة اللغة ١٧٦/١.

٣) سراج القارئ ص١٣ الاتقان (أبوالفضل) ٢٠٩/١ الاتحاف ص١٧-١٨.

٤) عثمان بن سعيد، قيل: سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان، وقيل: سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق، أبو سعيد، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبوعمرو القرشي مولاهم القبطي المصري، الملقب بـ«ورش» راوي نافع، شيخ القراء المحققين، صاحب المقرأ المعروف بمقرأ ورش عن نافع، توفي سنة ١٩٧هـ. غاية النهاية ٥٠٢/١.

٥) شعبة بن عياش بن سالم أبوبكر الحناط بالنون، الأسدي النهشلي الكوفي، إمام علم، راوي عاصم، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولا أصحها شعبة، مات سنة ١٩٣هـ. غاية النهاية ٣٢٥/١.

٦) حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان ويقال: صهيب أبوعمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الدوري الضرير، إمام في القراءة وشيخ الناس في زمانه ثقة ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات، قرأ بسائر القراءات توفي سنة ٢٤٦هـ. غاية النهاية ٢٥٥/١.

٧) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبوالوليد السلمي، وقيل: الظفري الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم (١٥٣-٢٤٥هـ). غاية النهاية ٣٥٤/٢.

٨) محمد بن المتوكل أبوعبدالله اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقرئ حافظ ضابط مشهور، يروي عن يعقوب، توفي سنة ٢٣٨هـ. غاية النهاية ٢٣٤/٢.

٩) إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبدالله أبويعقوب المروزي ثم البغدادي، وراق خلف وراوي اختياره عنه، ثقة، توفي سنة ٢٨٦هـ. غاية النهاية ١٥٥/١.

١٠) خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب، إمام علم، أبومحمد البزار بالراء أحد القراء العشرة توفي سنة ٢٢٩هـ. غاية النهاية ٢٧٢/١.

١١) عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء، امام مقرئ حاذق وراو محقق، ضابط توفي في حدود ١٦٠هـ. غاية النهاية ٦١٦/١.

عن أبي جعفر، ورواية السوسي(١) عن أبي عمرو ورواية البزي(٢) عن ابن كثير، ورواية خلاد(٣) عن حمزة.

وظاهر - والله أعلم - أن المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الأصطلاحي: هي الارتواء والاكتفاء في كل؛ حيث أن الأصل في هذه المادة الارتواء من الماء ونقله، ثم أطلق هنا على الآخذين عن إمام من أئمة القرءاة علما يبلغ حد الكفاية والاستغناء في باب القراءات والله أعلم.

الطريق :

مادة [ط . ر . ق] تدور في اللغة حول أربعة أصول :

الأول : الإتيان مساء، وهو الطروق، ويقال: إنه إتيان المنزل ليلا.

الثاني : الضرب، تقول : طرق الباب يطرقه طرقا والشيء يطرق ومطرقة.

الثالث : جنس من استرخاء الشيء، تقول: أطرق فلان في نظره والمطرق المسترخي العين.

الرابع : خصف شيء على شيء، أي: ضم الشيء إلى الشيء.

ومن الأول - والله أعلم - الطريق؛ لأنه يُتَوَرَّد، ويجوز أن يكون من الرابع، من خصف الشيء فوق الشيء، وذلك أنه شيء يعلو الأرض، فكأنها قد طورقت به ، وخصفت به .

ويقولون : تطارقت الإبل اذا جاءت يتبع بعضها بعضا وهذا من الأصل الرابع في معاني هذه المادة، وكذلك الطريق وهو النخل الذي على صف واحد وهذا تشبيه، كأنه شبه بالطريق في تتابعه وعلوه الأرض(٤).

والطريق السبيل، والطريقة السيرة، وطريقة الرجل مذهبه(٥).

والطريق المطروق الممر الواسع الممتد أوسع من الشارع(٦).

قال تعالى : ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ طه:٧٧،

---

١) صالح بن زياد بن عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي أبوشعيب السوسي الرقي، مقرئ ضابط محرر، ثقة توفي سنة ٢٦١هـ. غاية النهاية ٣٣٢/١.

٢) أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة البزي أبوالحسن مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام مات سنة ٢٥٠هـ. غاية النهاية ١١٩/١.

٣) خلاد بن خالد أبوعيسى، وقيل: أبوعبدالله الشيباني مولاهم الصيرفي إمام في القراءة ثقة عارف محقق مات سنة ٢٢٠هـ. غاية النهاية ٢٧٤/١.

٤) معجم مقاييس اللغة ٤٤٩/٣-٤٥٣.

٥) لسان العرب ٢٢١/١٠.

٦) المعجم الوسيط ٥٥٦/٢.

و قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾ طه:١٠٤، وقال تعالى: ﴿و يَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ طه:٦٣، أي: السيرة والمذهب، تقول: فلان حسن الطريقة، حسن المذهب(١).

والجمع طرائق، فكأنه استعير من معنى السبيل إلى كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمود أو مذموم.

أما في اصطلاح علماء القراءات : الطريق ماينسب لمن أخذ عن الرواة، وإن سفل(٢) ومثاله :

قولهم : رواية قالون(٣) عن نافع من طريق أبي نَشيط(٤) والحلواني(٥) عنه ورواية البزي عن ابن كثير من طريق أبي ربيعة(٦) وابن الحباب عنه(٧) ورواية الدوري عن الكسائي من طريق أبي الفضل جعفر بن محمد النصيبي(٨) وأبي عثمان الضرير(٩) عنه .

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي على المعنى اللغوي الأول وهو «الاتيان ليلا» علاقة تباين كما يظهر والله أعلم .

أما على المعنى الثاني وهو خصف شيء على شيء؛ فالعلاقة عموم وخصوص، فالمعنى اللغوي عام يشمل كل خصف شيء على شيء والمعنى الاصطلاحي خاص فيما يتحصل به المعنى في القراءات وكأن صاحب

---

١) المفردات في غريب القرآن ص٣٠٣.

٢) سراج القارئ ص١٣ الاتقان (أبو الفضل) ٢٠٩/١ غيث النفع ص٣٣-٣٤ الإتحاف ص١٧-١٨.

٣) عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبدالصمد بن عمر بن عبدالله الزرقي ويقال: المري، مولى بني زهرة، أبو موسى الملقب بقالون، قارئ المدينة ونحويها توفي سنة ٢٢٠هـ. غاية النهاية ٦١٥/١.

٤) محمد بن هارون أبوجعفر الربعي الحربي البغدادي ويقال: المروزي، ويعرف بأبي نَشيط، مقري جليل، ضابط مشهور توفي سنة ٢٥٨هـ. غاية النهاية ٢٧٢/٢

٥) أحمد بن يزيد بن أزداذ ويقال: يزداذ الصفار، الأستاذ أبو الحسن الحلواني، إمام كبير عارف، صدوق متقن ضابط خصوصا في قالون وهشام، توفي سنة نيف وخمسين ومائتين هجرية. غاية النهاية ١٤٩/١.

٦) محمد بن اسحاق بن وهب بن أعين بن سنان أبوربيعة الربعي المكي المؤدب مؤذن المسجد الحرام مقرئ جليل ضابط توفي سنة ٢٩٤هـ. غاية النهاية ٩٩/٢.

٧) الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق أبوعلي البغدادي شيخ متصدر مشهور ثقة ضابط من كبار الحذاق توفي سنة ٣٠١هـ. غاية النهاية ٢٠٩/١.

٨) جعفر بن محمد بن أسد أبوالفضل الضرير النصيبي، يعرف بابن الحمامي حاذق ضابط شيخ نصيبين والجزيرة توفي سنة ٣٠٧هـ. غاية النهاية ١٩٥/١

٩) سعيد بن عبدالرحيم بن سعيد، أبوعثمان الضرير البغدادي المؤدب مؤدب الأيتام، مقرئ حاذق ضابط توفي بعد سنة ٣١٠هـ. غاية النهاية ٣٠٦/١.

الطريق مهد الوصول إلى رواية الراوي عن الشيخ وطرقها والله أعلم .

الوجه :

مادة [و . ج . ه] تدور في اللغة حول معنى واحد، وهومقابلة لشيء.

والوجه : مستقبل لكل شيء، يقال: وجه الرجل وغيره، وربَّما عبر عن الذات بالوجه وتقول : وجهي اليك(١).

وتقول: وجّه فلان فلانا فتوجه، أي: انقاد واتبع، وشيء موجّه إذا جعل على جهه واحدة لايختلف(٢).

أما في إصطلاح علماء القراءات: الوجه ما رجع إلى إختيار القاريء من الإختلاف في القراءة(٣).

مثاله :

قولهم : في الوقف على ﴿الْعَالَمِينَ﴾ الوجوه التالية :

. بالسكون والروم والاشمام .

. وبالطويل والتوسط والقصير(٤).

وكقولهم : الأوجه الثلاثة الجائزة في البسملة إذا فصل بين السورتين بها هي التالية :

الأول : الوقف على آخر السورة وعلى البسملة .

الثاني : الوقف على آخر السورة، ووصل البسملة بأول التالية.

---

١) معجم مقاييس اللغة ٨٨/٦ المجمل ٩١٧/٤.

٢) لسان العرب ٥٥٨/١٣.

٣) الإتقان (أبوالفضل) ٢٠٩/١ الإتحاف ص١٧-١٨.

٤) غيث النفع ص٣٤.

والوقف بالسكون هو: عزل الحركة عن الحرف الموقوف عليه فيسكن حينئذ ضرورة، والسكون هو الأصل في الوقف والقاريء بوقفه على الكلمة يكون قد كف عن الاتيان بالحركة في الحرف الأخير منها والتزم فيه السكون.

والوقف بالروم هو: تضعيف الصوت بالحكة حتى يذهب بذلك التضعيف معظم صوتها، وقال بعضهم: هو الاتيان ببعض الحركة وقدر العلماء تضعيف الصوت بالحركة أو الاتيان ببعضها بالثلث أي: أن المحذوف من الحركة أكثر من الثابت في خالة الروم ومن ثم ضعف صوتها لقصر زمنها فيسمعهاالقريب المصغي دون البعيد.

والوقف بالاشمام الاشمام في عرف القراء عبارة عن: ضم الشفتين من غير صوت بعد النطق بالحرف الأخير ساكنا اشارة إلى الضم. أنظر هداية القاري ص٥١٧-٥٢١.

وأما الطويل فهو اشباع المد بأن يكون ست حركات.

وأما التوسط فهو المد أربع حركات.

وأما القصر فهو المد حركتان . أنظر هداية القاري ص٣٠٦-٣١٠.

الثالث : وصل آخر السورة بالبسملة مع وصل البسملة بأول التالية(١).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي علاقة توافق كما يظهر، وكأنه لما رجع إلى اختياره استقبله بوجهه والله أعلم.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن التمييز بين القراءات والروايات والطرق يسمى في اصطلاح علماء القراءات الخلاف الواجب.

والخلاف بين الأوجه يسمى في اصطلاحهم الخلاف الجائز.

والفرق بين الخلافين :

(أ) أن خلاف القراءات والروايات والطرق خلاف نص ورواية، فلو أخل القارئ بشيء منها كان نقصا في الرواية.

(ب) أن خلاف الأوجه ليس كذلك؛ اذ هو على سبيل التخيير، فبأي وجه أتى القارئ أجزأ في تلك الرواية ولايكون إخلالا بشيء منها، فلا حاجة لجمعها في موضع واحد بلا داع(٢).

(٢) قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : «نعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له، وميلا إليه، لا غير ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام إختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به، فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي وإجتهاد» اهـ(٣).

---

١) غيث النفع ص٤٥ الإتحاف ص ١٢٠-١٢١ البدورالزاهرة ص١٤.

٢) غيث النفع ص٣٤-٣٥ الإتحاف ص١٨ البدور الزاهرة ص١٠-١١.

٣) النشر ٥٢/١.

الفصل الثاني : عدد القراءات وأقسامها.

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عدد القراءات وصلتها بالأحرف السبعة .
المبحث الثاني : أقسام القراءات .
المبحث الثالث : اختلاف القراءات و فوائده .

وإليك البيان :

المبحث الأول : عدد القراءات وصلتها بالأحرف السبعة .

ويشتمل على مطلبين :
المطلب الأول : عدد القراءات .
المطلب الثاني : صلة القراءات بالأحرف السبعة .

المطلب الأول : عدد القراءات .

المقصود في هذا المطلب بالقراءات المعنى الاصطلاحي : مانسب إلى إمام من أئمة الإقراء بشروطه إلى النبي ﷺ .

انتشر صحابة المصطفى ﷺ في الأمصار الإسلامية يعلمون الناس أمور الدين ويبلغونهم ما تلقوه عن الرسول ﷺ فكان أعظم مابلغ لأهل تلك الأمصار القرآن الكريم، الذي لَقنَه من لَقنَه من التابعين وتجردوا للقراءة والإقراء، واشتدت عنايتهم بذلك و طلبهم له.

ثم إن القراء بعدهم كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا و خلفهم أمم بعد أمم، عُرفَت طبقاتهم واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن المتحري، ومنهم دون ذلك.

ولا يخفى أن هذا الواقع أوجد الكثير من القراءات المنسوبة إلى المشتهرين بالاقراء بها، ولذلك لايستغرب الناظر في الكتب المصنفة في القراءات إذا وجد من بينها كتبا اشتملت على عشرين قراءة، أو خمسين

قراءة، أو ألف طريق ورواية، أو مايزيد على هذا أو ينقص، إذ المقصود هنا جمع كل ماورد من القراءات المنسوبة إلى أئمة تصدوا للإقراء بها.

وإذا كانت القراءات السبع هي المشهورة اليوم(١) و هي التالية :

(١) قراءة عبدالله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ) .

(٢) قراءة عبدالله بن كثير الداري (ت١٢٠هـ) .

(٣) قراءة عاصم بن بهدلة أبي النجود (ت١٢٧هـ) .

(٤) قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) .

(٥) قراءة حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) .

(٦) قراءة أبي عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ).

(٧) قراءة علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ) .

ويتلوها في الشهرة القراءات الثلاث المتممة للعشر(٢) وهي :

(٨) قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت١٣٠هـ) .

(٩) قراءة أبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت٢٠٥هـ) .

(١٠) قراءة أبي محمد خلف بن هشام البزار (ت٢٢٩هـ) .

ثم تأتي القراءات الأربع المتممة للأربع عشرة(٣) قراءة وهي التالية :

(١١) قراءة الحسن البصري(٤).

(١٢) قراءة الأعمش سليمان بن مهران (١٤٨هـ) .

(١٣) قراءة اليزيدي يحي بن المبارك(٥).

(١٤) وقراءة ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن المكي(٦).

---

١) وهي التي جمعها ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) في كتاب «السبعة» و قد تكلم في مقدمته عن أحوالهم أنظره ص٥٣-٨٧.

٢) أنظر المبسوط في القراءات العشر ص١٩-٨٢ .

٣) أنظر الاتحاف ص٧.

٤) الحسن بن ابي الحسن يسار السيد الامام أبوسعيد البصري امام زمانه علما وعملا توفي سنة ١١٠هـ. غاية النهاية ١/٢٣٥ .

٥) يحي بن المبارك بن المغيرة الامام أبومحمد العدوي البصري المعروف باليزيدي ، نحوي مقري ثقة علامة كبير توفي سنة ٢٠٢هـ. غاية النهاية ٢/٣٧٥.

٦) محمد بن عبدالرحمن المكي مقريء أهل مكة مع ابن كثير ثقة، ولولا ما في قراءته من مخالفة رسم المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة توفي سنة ١٢٣ وقيل : ١٢٢هـ. غاية النهاية ٢/١٦٧.

أقول : إذا كانت القراءات المشهورة اليوم هي السبع ثم الثلاث المتممة للعشر ثم الأربع المتممة للأربع عشرة؛ فإنها بالنسبة إلى ماكان مشهورا في الأعصار الأوَل قلّ من كثر ونزرٌ من بحر، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن الائمة المتقدمين كانوا أمما لاتحصى وطوائف لاتستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر، واستمر الحال على ذلك، فلما كانت المئة الثالثة، واتسع الخرق وقَلّ الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ماكان في ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لجمع القراءات وضبطها(١).

فمنهم : من اشترط الأشهر واختار ماقطع به عنده فتلقى الناس كتابه بالقبول وأجمعوا عليه من غير معارض.

ومنهم : من ذكر ما وصل إليه من القراءات، ولم يشترطوا شيئا وإنما ذكروا ماوصلهم؛ فيرجع في تمييز مانقلوه إلى كتاب مقيد، أو قارئ مقلد(٢).

ومن صنف في القراءات فوق العشر والأربع عشرة:

(١) أبوعبيد القاسم بن سَلاّم (ت٢٢٤هـ) .

صنف كتابا في القراءات جمع فيه خمسة وعشرين قارئا مع السبعة(٣).

(٢) إسماعيل بن إسحاق المالكي(٤) صاحب قالون.

ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة(٥).

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) .

جمع كتابا حافلا سماه «الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة(٦).

(٤) أبو القاسم يوسف بن علي الهُذَلي المغربي(٧).

ألف كتابه «الكامل» جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة، وألفا وأربعمئة

---

١) مستفاد من كلام ابن الجزري في النشر ٣٣-٣٤.
٢) منجد المقرئين ص١٨-١٩.
٣) النشر ١/٣٣-٣٤.
٤) إسماعيل بن اسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي أبواسحاق الأزدي البغدادي، ثقة مشهور كبير (١٩٩-٢٨٢هـ). غاية النهاية ١/١٦٢.
٥) النشر ١/٣٤.
٦) النشر ١/٣٤.
٧) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة أبوالقاسم الهذلي اليشكري الأستاذ الكبير الرحال والعلم الشهير الجوال (ت٤٦٥هـ). غاية النهاية ٢/٣٩٧.

وتسعاً وخمسين رواية وطريق.

قال فيه : «جملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا من آخر المغرب إلى باب فَرْغَانة(١) يمينا وشمالا وجبلا وبحرا .» اهـ(٢).

(٥) أبومعشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري نزيل مكة(٣).

ألف كتابا سماه «سوق العروس» في القراءات ، فيه ألف وخمسمئة وخمسون رواية وطريقا(٤).

(٦) أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز الاسكندري(٥) .

ألف كتاباسماه « الجامع الأكبر و البحر الأزخر»(٦).

---

١) فَرْغانة بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان، في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا. معجم البلدان ٢٥٣/٤.

وهي الآن مدينة سوفياتية جنوبي وادي فرغانة في أوزبكستان تعداد سكانها خمس وسبعون ومئة ألف نسمة، تنتج منسوجات قطنية وحريرية. المنجد في الأعلام ص٤١٠.

وقد تحررت بعد إنهيار دولة الشيوعية الملحدة.

٢) النشر ٣٥/١ .

وقال الذهبي في ترجمة الهذلي من «معرفة القراء الكبار» ٤٣٣/١ : «له أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات وحشد في كتابه أشياء منكرة لاتحل القراءة بها ولايصح لها إسناد»اهـ

وتعقب ابن الجزري في «غاية النهاية» ٤٠١/٢ كلام الذهبي بقوله: «قد قرأ بـ«الكامل» إمام زمانه حفظا ونقلا أبوالعلاء الهمداني على أبي العز و لازال يقرئ به إلى آخر وقت، وآخر من رواه تلاوة فيما نعلم ابن مـؤمن الواسطي»اهـ.

وقال ابن الجزري في «غاية النهاية» ٤٠٠/١ عن كتاب «الكامل» للهذلي: «وقد وقع له أوهام في أسانيده وهو معذور في ذلك؛ لأنه ذكر مالم يذكره غيره، وأكثر القراء لاعلم لهم بالأسانيد، فمن ثَمَّ حصل الوهم»اهـ.

٣) عبدالكريم بن عبدالصمد بن محمد بن علي بن محمد أبومعشر الطبري القطان الشافعي شيخ أهل مكة أمام عارف محقق أستاذ ثقة صالح توفي سنة (٤٧٨هـ) . غاية النهاية ٤٠١/١ .

٤) النشر ٣٥/١ قارن بكشف الظنون ١٠٠٩/٢.

٥) عيسى بن عبدالعزيز بن عيسى بن عبدالواحد الموفق أبوالقاسم بن الوجيه أبومحمد اللخمي الشريشي الأصل ثم الأسكندري المالكي إمام في القراءات كبير جمع فأوعى لكنه خلط كثيرا توفي سنة (٦٢٩هـ). غاية النهاية ٦٠٩/١.

٦) قال ابن الجزري في غاية النهاية ٦٠٩/١-٦١١ عن كتاب الأسكندري : «وفي الجملة فكتابه الذي جمعه وسماه «الجامع الأكبر» لم يجمع مثله في هذا الفن ، فإنه لم يترك من القراءات شيئا قل ولاجل الا نادرا ، ومن رآه رأى العجب».

يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق(١).

وهذه الكتب المصنفة في القراءات تؤكد ماسبق من أن القراءات المشهورة اليوم بالنسبة إلى ماكان في العصر الأول نزرٌ من بحرٌ، وقلٌ من كثر.

لكن الأئمة رحمهم الله قطعوا بتواتر القراءات السبع في جملتها وجمهور أفرادها، واختلفوا في القراءات الثلاث المتممة للعشر، والراجح القطع بتواترها وبقبولها(٢).

كما أتفقوا على أن القراءات الأربع الزائدة على العشر شاذة، وإن كان فيها ماصح وثبت .

وإذا كان الأمر كذلك فما علاقة القراءات بالأحرف السبعة؟. هذا موضوع المطلب التالي - إن شاء الله - .

وقال أيضا: «لكنه خلط كثيرا (يعني: الإسكندري) وأتى بشيوخ لاتعرف وأسانيد لاتوصف، فضعف بسبب ذلك واتهم بالكذب»اهـ.

١) النشر ٣٥/١ غاية النهاية ٦٠٩/١.

٢) صرح بذلك البغوي في تفسيره ٣٠/١-٣١ وابن الجزري في «المنجد» ص٢٣،٢٤-٢٥ وحشد له النقول في «النشر» ٣٨-٤٧ والقسطلاني في «لطائف الاشارات» ٧٤/١-٧٧ والدمياطي في «الاتحاف» ص٧.

المطلب الثاني : صلة الأحرف السبعة بالقراءات .

يشتمل هذا المطلب على المسائل التالية :

المسألة الأولى : بيان أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة المشهورة .

المسألة الثانية : القراءات فوق السبع في العدد فلماذا اشتهرت هذه السبع؟.

المسألة الثالثة : هل اشتمل المصحف الذي نسخه عثمان على الأحرف السبعة؟. وهل كل قراءة صحيحة تتفق مع رسم المصحف العثماني؟.

المسألة الأولى : بيان أن الأحرف السبعة غير القراءات السبعة .

يكفي في بيان ذلك أن يعلم أن القراءات المشهورة إنما هي اختيارات أولئك الأئمة القراء - وكانوا بعد عصر النبوة - وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات المنقولة عن رسول ﷺ أو صحابته رضوان الله عليهم ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه؛ فقيل: حرف نافع، حرف ابن كثير بمعنى الوجه من القراءة الذي اختاره نافع للإقراء به، والوجه من القراءة الذي اختاره ابن كثير للإقراء به، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، إذ مرجع ذلك كله إلى النقل الصحيح الموافق لرسم المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر؛ وكل صحيح(1).

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي ﷺ عليها، فذلك منه غلط عظيم؛ لأن فيه إبطالا أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة.

وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد.

ويجب منه أن يكون مالم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكا؛ إذ قد استولوا على السبعة الأحرف عنده فما خرج عن قراءاتهم فليس من السبعة عنده.

ويجب من هذا القول أن نترك القراءة بما روي عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يقرأ به هؤلاء

---

1) مستفاد من كلام القرطبي في تفسيره ٤٦/١ بتصرف وزيادة.

السبعة.

ويجب منه ألا تروى قراءة عن ثامن فما فوقه؛ لأن هؤلاء السبعة - عند معتقد هذا القول - قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة.

وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرا من هؤلاء السبعة.

على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطرحهم، قد ترك أبوحاتم(١) وغيره ذكر حمزة، والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة.

وكذلك زاد الطبري (ت٣١٠هـ) في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلا.

وكذلك فعل أبو عبيد(ت٢٢٤هـ) وإسماعيل القاضي(ت٢٨٢هـ).

فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي ﷺ؟ هذا خطأ عظيم، أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك؟.» اهـ(٢).

وقال أبوشامة (ت٦٦٥هـ) : «وقد ظن جماعة ممن لاخبرة له بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»(٣) فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف من تلك الحروف ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنه قال ذلك» اهـ(٤).

وأختم هذه المسألة(٥) بقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله: «لانزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة.

بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبوبكر بن مجاهد وكان على رأس المئة الثالثة ببغداد، فإنَّه أحب أن يجمع المشهور من قراءات

---

١) سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبوحاتم السجستاني إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض (ت٢٥٥هـ). غاية النهاية ١/ ٣٢٠.

٢) الإبانة عن معاني القراءات ص٣٨-٤١.

٣) حديث متواتر . أنظر نظم المتناثر ص١١١ وذكرفيه أنه روي عن أربعة وعشرين صحابيا.

٤) المرشد الوجيز ص١٤٦.

٥) وقد أطال في تقرير ذلك وحشد له النقول مكي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه «الابانة» ص٣٣-٤٩ ومواضع أخرى وأبوشامة في كتابه «المرشدالوجيز» ص١٤٦-١٦٧ وابن الجزري في كتابه «النشر» ١/٣٦-٤٧ والسيوطي في كتابه «الإتقان» (ابوالفضل) ١/٢٢٣-٢٢٦.

الحرمين والعراقين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه، من الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر العلوم الدينية، فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لايجوز أن يقرأ بغير قراءتهم.

ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي امام جامع البصرة وإمام قراء عصره في زمانه في رأس المئتين »اهـ (١).

المسألة الثانية : القراءات فوق السبع فلماذا أشتهرت بالسبع ؟.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) جوابا على هذه المسألة : «إنهم جعلوا سبعة لعلتين :

إحداهما : أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف، ووجه بها إلى الأمصار فجعل عدد القراء على عدد المصاحف .

والثانية : أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن، وهي سبعة.

على أنه لوجعل عددها أكثر أو أقل لم يمنع ذلك أن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى.

وقد ألف ابن جبير المقريء(٢) - كان قبل ابن مجاهد - كتابا في القراءات وسماه كتاب الخمسة وذكر فيه خمسة من القراء، والف غيره كتابا وسماه «كتاب الثمانية» وزاد على هؤلاء السبعة: يعقوب الحضرمي(٣) وهذا باب واسع.

وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أنَّ ماصح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف؛ فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون الفا متفرقين أو مجتمعين.

فهذا الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة

---

١) مجموع الفتاوى ٣٩٠/١٣ و قارن بـالنشر٣٩/١.

٢) أحمد بن جبير بن محمد بن جبير أبوجعفر الكوفي نزيل أنطاكية، كان من كبار القراء وحذاقهم ومعمريهم توفي سنة٢٥٨هـ. معرفة القراء الكبار ٢٠٧/١.

٣) لعله يعني كتاب «التذكرة في القراءات الثماني» لأبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون (ت٣٩٩هـ). وقد ذكرته ص١٥٥ فانظره هناك.

آلاف؛ اعرفه وابْن عَلَيْه» اهـ(١).

قلت : السببَ الأول الذي ذكره مكي رحمه الله فيه نظر وذلك أن الأئمة رحمهم الله اختلفوا في عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه (٢) ولانعلم يقينا اختيار ابن مجاهد في ذلك فكيف يجعل هذا سببا لاقتصاره على سبعة قراء؟.

وعليه؛ فإن السبب الثاني الذي ذكره مكي هو الظاهر وقد اكتفى به شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقلناه عنه منذ قليل حيث قال متحدثا عن ابن مجاهد وجمعه للقراءات : «فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي

---

١) الابانة ص١٠٢-١٠٣، ووافقه على هذين السببين علم الدين السخاوي في «جمال القراء» ٤٣٢/٢.

٢) فمنهم من قال: كتب أربعة مصاحف، ومنهم من قال: كتب خمسة مصاحف، ومنهم من قال: كتب سبعة مصاحف، ومنهم من قال: كتب ثمانية مصاحف.

وهذا بعض كلام أهل العلم في المسألة :

قال أبوعمرو الداني في المقنع في رسم مصاحف الأمصارص١٩: «أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصاحف جعله على أربعة نسخ وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن فوجه إلى الكوفة احداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة.

وقد قيل : إنه جعله سبع نسخ و وجه من ذلك نسخة إلى مكة ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين، والأول أصح، وعليه الأيمة»اهـ

وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٣٤، عن حمزة الزيات أنه قال: «كتب عثمان أربعة مصاحف؛ فبعث بمصحف منها إلى الكوفة فوضع عند رجل من مراد فبقي حتى كتبت مصحفي عليه»

وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في فتح الباري ٢٠/٩ والسيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان (أبوالفضل)١٧٢/١ : «المشهور أنها خمسة»اهـ

وقال أبوحاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) : «لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف ؛ فبعث واحدا إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن وآخر إلى البحرين وآخر إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا»اهـ كتاب المصاحف ص٤٣.

أما ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) فقد جعلها ثمانية مصاحف حيث قال اثناء حديثه عن جمع عثمان ونسخه للمصاحف: «فكتب منها عدة مصاحف فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام وترك مصحفا بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له: الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين»اهـ النشر ٧/١.

قلت : كأنه رحمه الله جمع بين الروايات الواردة في ذلك فضم بعضها إلى بعض؛ إذ غاية ما تفيده كل رواية هو مبلغ علم راويها والله أعلم.

الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذيـــن لايجـــوز أن يقرأ بغيـــر قـــراءاتهم»اهـ(١).

قلت : ويمكن أن يقال : إن اقتصار ابن مجاهد رحمه الله تعالى على عدد «السبعة» لأن العرب تطلق هذا العدد غالبا لأفادة الكثرة في المعدود، لا خصوص العدد المذكور(٢) فابن مجاهد رحمه الله رمز لكثرة القراءات بالحديث عن سبعة منها .

وقد يكون اقتصاره عليها لأن هذا أصح ما عنده هو .

ويمكن أن يقال غير ذلك من الاجتهادات في تعليل اقتصاره على هؤلاء السبعة من القراء وقراءاتهم.

والمقصود بيان أن ابن مجاهد رحمه الله لم يقصد بالقراءات السبعة الاقتصار عليها واطراح ماعداها ولو كان صحيحا، وأن هذه القراءات السبع هي الأحرف السبعة الواردة في الحديث والله أعلم.

المسألة الثالثة : هل اشتمل المصحف الذي نسخه عثمان رضي الله عنه على الأحرف السبعة ؟.

تقدم(٣) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد: قراءة واحدة، وأنه أمر أن يكتب المصحف على لسان قريش.

وأنه رضي الله عنه فعل الذي فعل لما رأى الأمة تفترق وتختلف في كتاب ربها، فاجتمع رأيه ورأي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على جمع الناس على حرف واحد، فاجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور.

وهذا قول جمهور العلماء من السلف والأئمة(٤).

وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام

---

١) مجموع الفتاوي ١٣/٣٩٠.

٢) قال في لسان العرب ٨/١٤٦-١٤٧ في كلامه على مادة [س. ب. ع] : «والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير....

وقال الأزهري : «وأرى قول الله عزوجل لنبيه ﷺ : ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فلن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة :٨٠] من باب التكثيروالتضعيف، لا من باب حصر العدد»اهـ

٣) في بحث جمع القرآن في المدخل لهذا القسم ص٤١،٤٦-٤٨.

٤) مجموع الفتاوى ١٣/٣٩٥-٣٩٧ وقارن بالمنجد ص٢١-٢٢ والنشر ١/٧،٣١-٣٢.

كالقاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) وغيره، بناء على أنه لايجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف وترك ما سواه؛ حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كتبا القرآن فيها، ثم أرسل عثمان رضي الله عنه بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف، وأمر بترك ماسوى ذلك.

وقالوا : لايجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة(١).

قلت : هذا الكلام لايتطرق إلى إجماع الصحابة رضوان الله عليهم في موافقتهم لعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولم يكن فيما فعله رضي الله عنه ترك لواجب، و لا فعل لمحظور.

واختار مكي بن أبي طالب(٢) (ت٤٣٧هـ) وابن الجزري(٣) (ت٨٣٣هـ) مذهب جمهور العلماء من السلف والأئمة، لكنهما قالا: إنّ هذه المصاحف العثمانية مشتملة على الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه مع مايحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط(٤) مع جمعها للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبرائيل عليه السلام متضمنة لها لم تترك منها شيئا.

قال الطبري (ت٣١٠هـ) : «فإن قال قائل : فما بال الأحرف الستة غير موجودة إن كان الأمر في ذلك على ماوصفت وقد أقرأهن رسول الله ﷺ أصحابه، وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه ﷺ؟ أنسخت فرفعت، فما الدلالة على نسخها ورفعها؟ أم نسيتهن ألأمة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصة في ذلك؟.

قيل له : لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت اما بعتق أو باطعام، أو كسوة، فلو أجمع جميعها (يعني: الأمة) على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر كانت مصيبة حكم الله، مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله؛ فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته

---

١) مجموع الفتاوي ١٣/٣٩٥-٣٩٦ وقارن بالنشر ٣١/١.

٢) الابانة ص ٣٥-٤٦،٤٠-٤٩.

٣) المنجد ص ٢٢ النشر ٣١/١.

٤) ويظهر- والله أعلم - أن الطبري رحمه الله يقول بهذا، وسيأتي بعد قليل ما يؤكد هذا.

وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت فرأت - لعلة من العلل(١) أوجبت عليها الثبات على حرف واحد - قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه، بما أذن له في قراءته به »(٢).

وقال أيضا رحمه الله: «على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان ابن عفان رحمة الله عليه جمع المسلمين - نظرا منه لهم، وإشفاقا منه عليهم، ورأفة منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام، والدخول في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة، التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله ﷺ النهي عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم أن المراء فيها كفر؛ فحملهم - رحمة الله عليه -، إذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره، ولحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله ﷺ إياهم بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن - على حرف واحد.

وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد وخرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يخرقه.

فاستوسقت (٣) له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظرا منها لأنفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي أختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية.

فإن قال بعض من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟.

قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر ايجاب وفرض وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره

---

١) صرحت الآثار بهذه العلة وهي وقوع الناس في الاختلاف في القرآن بما قد يكون كفرا.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٥٨/١-٥٩.

٣) فاستوسقت له الأمة: تتابعت وانقادت، من تساوق البعير. لسان العرب ١٦٦/١٠.

العذر ويزيل الشك من قرأة الأمة؛ وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك ألأحرف السبعة.

وإذ كان ذلك كذلك؛ لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا؛ إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للإسلام وأهله، فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك» اهـ(١).

قلت : ويلاحظ مايلي :

(١) الذي يظهر - والله أعلم - أن الصحابة رضوان الله عليهم امتثلوا لأمر عثمان رضي الله عنه، فاقرأوا الناس بذلك الحرف الذي جمعهم عليه وبالتالي حظي ذلك الحرف بنقل الكافة عن الكافة، وهو ما أصطلح على تسميته بالتواتر.

(٢) هناك قراءات نقلت إلينا بأسانيد آحاد صحيحة موافقة لرسم المصحف ولها وجه من العربية، فهل هي من الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه أم من غيره؟.

الذي يبدو - والعلم عند الله - أن كل قراءة لم تنقل نقلا متواترا وصح سندها ووافقت خط المصحف هي من غير الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه.

ويرشح هذا ما ذكرته سابقا من أن عثمان رضي الله عنه لم يلغ باقي الحروف التي تخالف الحرف الذي جمع الناس عليه ولكنه أمر بأن يقرأ الناس بهذا الحرف الواحد، وترك كل حرف قرأ به صحابي على رسول الله ﷺ تحت المسؤولية الشخصية الفردية لذاك الصحابي، يقرأ به لنفسه ويصلي به، لكن لايقرئه إقراء عاما.

ومقتضى هذا أن الحرف الذي جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس عليه ووافقه عليه الصحابة - رضوان الله عليهم -، ذاك الحرف هو الذي حظي بنقل الكافة عن الكافة، وتلك الحروف التي قرأ بها الصحابة على رسول الله ﷺ ولم تكن موافقة لهذا الحرف لم تحظ بنقل الكافة عن الكافة، إنما بنقل الخاصة، وهو ما أصطلح عليه بالآحاد.

وعليه فإن القراءة التي صح سندها ولم تتواتر ووافقت رسم المصحف والعربية ولو بوجه، هذه القراءة لاتكون من الحرف الذي جمع عثمان رضي

---

١) تفسير الطبري (شاكر) ١/٦٣-٦٥.

الله عنه الناس عليه، لأنها لو كانت من الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه لحظيت بالتواتر لأن الاقراء العام كان بذلك الحرف.

أما القراءة التي صح سندها ولم تتواتر ولم توافق رسم المصحف مع موافقتها للعربية ولو بوجه؛ هذه القراءة نتوقف فيها، فلا نقول هي من الأحرف السبعة جزما، ولانقطع بنفي ذلك إذ الأمر محتمل.

(٣) من التقرير السابق يظهر - والله أعلم - الملحظ الذي لا حظه العلماء الذين وضعوا ذلك الضابط في صحة القراءة (أعني: صحة السند وموافقة الرسم ولو احتمالا وموافقة العربية ولو بوجه) فهم إنما لاحظوا هذا الملحظ الذي قلناه.

وقد صرح الإمام الطبري (ت٣١٠هـ) رحمه الله تعالى بذلك حيث قال: «كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرأوا بها القرآن، فليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذ كان ذلك موافقا لخط المصحف.

فإن كان مخالفا لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه» اهـ(١).

قلت : و كلامه رحمه الله هذا لايتناقض مع ما سبق نقله عنه حيث قرر أن عثمان جمع الناس على حرف واحد(٢) وذلك إذا لاحظنا أن كلامه بالنسبة لجمع عثمان إنما هو بالنسبة للإقراء العام، وكلامه هنا بالنسبة للقراءات عموما، سواء منها ما نقل عن طريق الكافة عن الكافة، أم ما نقل عن طريق الخاصة ولذلك تراه هنا صدر كلامه بقوله: «كل ما صح عندنا...» وهذا بَيِّنٌ ولله الحمد(٣).

---

١) انظر «الإبانة» ص ٦٠، نقلا عن كتاب القراءات للطبري .

٢) وكلام الطبري الذي صرح فيه بهذا نقلته سابقا قبل ذكر هذه الملاحظات.

٣) وقد عد مكي بن أبي طالب هذا الموضع تناقضا من الطبري رحمه الله، حيث قرر الطبري في مقدمة تفسيره (شاكر) ١/٦٣-٦٥ أن الأمة تركت القراءة بالأحرف الستة، وأنه لاسبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، مع قوله في كتاب «القراءات»: «كل ما صح عندنا من القراءات ليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذا كان موافقا لرسم المصحف...»

ولا تناقض بين كلامه - ولله الحمد - إذ أن كلام الطبري في مقدمة تفسيره يفهم منه أن الأحرف الستة بمجموعها لا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، وسياق كلامه وسباقه ولحاقه يدل على أن هذا مراده، فلا ينفي رحمه الله كون بعض الأحرف الستة مما وافق الرسم وصح في النقل أنه يمكن القراءة به، وهذا ما صرح به في كتابه «القراءات» في النص الذي نقله عنه مكي رحمه الله ونقلته عنه هنا والله أعلم.

خلاصة المطلب :

الصلة بين القراءات والأحرف السبعة صلة عموم وخصوص من وجه ؛ حيث أن القراءات المنقولة إلينا بالتواتر إنما هي حرف واحد وهو الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه .

والقراءات المتواترة مع القراءات التي صح سندها ووافقت رسم المصحف إنما هي بعض الأحرف السبعة مما يحتمله رسم المصحف العثماني.

وما صح سنده وخالف رسم المصحف توقفنا فيه؛ فلا نقول هو من الأحرف السبعة، ولا نقول ليس هو منها.

ونسبة القراءات السبعة إلى القراء السبعة إنما هي نسبة اختيار وشهرة، لا رأي ولا شهوة، إنما اتباع للنقل والأثر.

والقراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة ، والله أعلم .

المبحث الثاني :أقسام القراءات .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام القراءات من جهة النقل .

المطلب الثاني : أقسام القراءات من جهة القبول .

المطلب الأول : أقسام القراءات من جهة النقل .

القراءات تنقسم من جهة النقل إلى قسمين :

(١) قراءة متواترة.

(٢) قراءة آحادية، وهي قسمان :

(أ) قراءة مشهورة .

(ب) قراءة غير مشهورة .

أمّا القراءة المتواترة فهي : القراءة التي رواها جماعة عن جماعة (من غير تعيين عدد على الصحيح) كذا إلى منتهاها يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب(١).

أما القراءة الآحادية المشهورة فهي القراءة التي صح سندها ولم يبلغ درجة التواتر، ووافقت رسم المصحف ولو احتمالا و وافقت وجها من العربية، واشتهرت عند القراء بالقبول(٢).

أما القراءة الآحادية غير المشهورة فهي القراءة التي اختل فيها شرط من شروط القراءة الآحادية المشهورة(٣) وهي أنواع بحسب القبول.

قال القسطلاني (ت٩٢٣هـ) : «القراءات بالنسبة للتواتر وعدمه ثلاثة أقسام :

قسم اتفق على تواتره، وهم السبعة المشهورة.

وقسم اختلف فيه، وهم الثلاثة بعدها.

وقسم اتفق على شذوذه، وهم الأربعة الباقية» اهـ(٤).

---

١) المنجد ص ١٥ اللطائف ٦٩/١، وقيل بتعيين العدد الذي يحصل به التواتر واختلفوا فيه؛ فقيل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون. المصدر نفسه .

٢) المنجد ص١٦ النشر ١٣،٩/١.

٣) ولكل نوع حكم في القبول، ستأتي - إن شاء الله - في المطلب الثاني من هذا المبحث .

٤) اللطائف ١٧٠/١.

قلت : الذي تحرر من كلام أهل العلم أن القراءات الثلاث المتممة للعشر (أعني: قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف) متواترة برواتها المشهورين في جمهور أفرادها.

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : «الذي وصل إلينا اليوم متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز...»اهـ(١).

قال الدمياطي (ت١١١٧هـ) : «و[هو]الصحيح المختار الذي تلقيناه عن عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم، وبه نأخذ»اهـ(٢).

ويلاحظ مايلي :

(١) ذهب شهاب الدين أبو شامة(٣) (ت٦٦٥هـ) إلى القول بعدم تواتر القراءات عن النبي ﷺ وتابعه الزركشي (ت٧٩٤هـ) وجعله التحقيق حيث قال : «التحقيق أن القراءات السبع متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فإن اسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز» إلى شيء من ذلك»اهـ(٤).

قلت : وفي هذا القول من أبي شامة والزركشي رحمهما الله نظر؛ إذ هذه الأسانيد الموجودة في كتب القراءات إنّما نقلت لنا أسماء من تصدوا للإقراء، والظاهر أن كل طبقة من طبقات هذه الأسانيد موافقون على هذه القراءة إذ لوكان غير ذلك لنقل لأن هذا مما تتداعى الهمم إلى نقله جملة، فانتهاء القراءة إلى أبي بن كعب، أو عبدالله بن مسعود لايعني أن هذه القراءة لم ينقلها من الصحابة غير هما رضي الله عنهما، بل الظاهر الذي تدل عليه الآثار أن مجموع الصحابة كان موافقا مقرا بهذه القراءة عن

---

١) المنجد ص٢٣ ولايفهم من كلامه هنا الجزم بتواتر جميع أفراد القراءات العشر، فقد قال قبل هذا الموضع في كتابه «المنجد» ص٢٠: «وانما المقرؤ به عن القراء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول، والقطع حاصل بهما»اهـ

٢) الاتحاف ص٧ بزيادة ما بين العارضتين.

٣) المرشد ص ١٧٨.

٤) البرهان في علوم القرآن ٣١٩/١.

رسول الله ﷺ وبهذا يتحقق التواتر، وقد نَبَّه العلماء رحمهم الله على هذا، وبينوا أن عذر من قال بعدم تواتر القراءات السبع أو العشر إلى الرسول ﷺ أو في طبقة من طبقات أسانيدها؛ عذره أنه ظن القراءات كالحديث، مخرجها كمخرجه إذا كان مدارها على واحد كانت آحادية، وخفي عليه أنها نسبت إلى ذلك الإمام إصطلاحا، و إلا فكل أهل بلدة كانوا يقرؤنها أخذوها أمما عن أمم ولو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلده لم يوافقه على ذلك أحد بل كانوا يجتنبونهـــا ويأمرون باجتنابها(١).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) مقرراً ما تقدم: «هذا كان من شأنهم على أن تعيين هؤلاء القراء ليس بلازم ولو عين غير هؤلاء لجاز، وتعيينهم إما لكونهم تصدوا للاقراء أكثر من غيرهم أو لأنهم شيوخ المعين، ومن ثم كره من كره من السلف أن تنسب القراءة إلى أحد.

روى ابن أبي داود(٢) عن إبراهيم النخعي(٣) قال: «كانوا يكرهون أن يقال: سنة فلان وقراءة فلان» (٤).

قلت (ابن الجزري): وذلك خوفا مما توهمه أبو شامة من أن القراءة إذا نسبت إلى شخص تكون آحادية، ولم يدر أن كل قراءة نسبت إلى قارىء من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها في هذا الزمان وأضعافهم» اهـ(٥).

وقال أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان(٦) (من شيوخ ابن

---

١) المنجد ص٦٧.

٢) عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني البغدادي، إمام مشهور، ابن أبي داود صاحب السنن (ت٣١٦هـ). غاية النهاية ١/٤٢٠.

٣) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبوعمران النخعي الكوفي إمام مشهور صالح زاهد فقيه توفي سنة ٩٦هـ. غاية النهاية ٢/٧٢.

٤) روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف ما يدل عليه ص٢٠ -٢١، ٣١ ولم أجد هذا النص عن إبراهيم النخعي فيه غير أني وجدت النووي في كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» ص١٣٦ يعزوه كذلك إلى ابن أبي داود، وأورده السيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ١/٢٢٩ دون عزوه إلى أحد.

ثم وجدته عند ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٥٣٢-٥٣٣ بسند صحيح عن ابراهيم النخعي رحمه الله فالحمد لله على توفيقه.

٥) المنجد ص ٦٨.

٦) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع أبو المعالي ابن اللبان الدمشقي استاذ محرر ضابط (٧١٥-٧٧٦هـ). غاية النهاية ٢/٧٢.

الجزري): «إنحصار الأسانيد في طائفة لايمنع مجيء القرآن عن غيرهم فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد يقرأه منهم الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائما، والتواتر حاصل لهم، ولكن الأئمة الذين تصدوا لضبط الحروف وحفظوا شيوخهم فيها جاء السند من جهتهم.

وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجة الوداع منقولة عمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر، فهذه كذلك .

قال : وهذا موضع ينبغي [التنبه] له» اهـ(١).

قلت : مما تقدم يعلم أن القراءات السبع والعشر في جملتها وجمهور تفاصيلها لاتعتمد في تواترها على الأسانيد المدونة في كتب القراءات، وأن هذه الأسانيد إنما تنقل لنا أسماء من تصدى لضبط القراءات ونقلها خلفا عن سلف، فهي مجرد طريق علمي اصطلاحي لنقل القراءة، وليست طريق الاخبار وحصول حقيقة العلم بها في ذاتها، لأنها (أعني: القراءات) حاصلة قبل أن يولد هؤلاء الأئمة الذين نقلوا أسانيدها.

وهذا أصل مهم ينبغي التنبه له، كما قال ابن اللبان رحمه الله تعالى؛ لأن كثيرا من الناس يتشوش فكره بعدم فهمه بل هذا مدخل استغله الزنادقة قديما والمستشرقون وأضرابهم حديثا،لقلة علمهم في هذا الباب، ولعدم تقرر هذا الأصل لديهم وهو أصل مطرد في كثير من قضايا الدين المهمة كالصلاة مثلا لو نظرنا إلى أحاديثها فهي - غالبا - آحاد لكن الصلاة في جملتها وجمهور تفاصيلها منقولة لنا بنقل الكافة عن الكافة الذين يحصل بهم أوثق أنواع النقل التواتر، والله أعلم.

---

١) بواسطة المنجد ص٧٠ بتصرف.

المطلب الثاني : أقسام القراءات من جهة القبول.

القراءات من جهة قبولها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- قسم القراءات المقبولة.
- قسم القراءات المردودة .
- قسم القراءات المتوقف فيها .

فالقسم الأول : القراءات المقبولة، وهي نوعان :

(١) القراءة المتواترة .

(٢) القراءة الصحيحة المشهورة .

والقسم الثاني : القراءات المردودة ، ثلاثة أنواع :

(١) القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية.

(٢) القراءة التي لم يصح سندها.

(٣) القراءة التي لا سند لها.

والقسم الثالث : القراءات المتوقف فيها وهو : كل قراءة صح سندها ووافقت العربية وخالفت رسم المصحف.

قلت : وبيان هذه الأقسام كما يلي :

أولا : القسم المقبول عند علماء القراءات وهو نوعان :

الأول : القراءة المتواترة .

الثاني : القراءة المشهورة .

أما القراءة المتواترة فقد مضى الحديث عنها في المطلب الأول من هذا المبحث، ولله الحمد والمنة.

أما القراءة المشهورة فهي عند العلماء: كل قراءة صح سندها ووافقت رسم المصحف ولو احتمالا ووافقت العربية ولو بوجه واشتهرت بالقبول عند علماء هذا الشأن.

وهذه القراءة التي توفرت فيها هذه الشروط صحيحة عندهم(١).

ومثال القراءة المشهورة : ما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة، أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك.

---

١) المنجد ص١٦ النشر ٣١،٩/١.

كقراءة ابن ذكوان(١): ﴿تَتَبِعَانِّ﴾ يونس:٨٩، بتخفيف النون وقرأ الباقون بتشديدها(٢) واتفقوا على فتح التاء الثانية وتشديدها وكسر الموحدة بعدها(٣).

وكقراءة هشام : ﴿أفئيدة﴾ بياء بعد الهمز وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم..﴾ إبراهيم:٣٧ ، وقرأ الباقون والطريق الثاني عن هشام ﴿أفئدة﴾ بغير ياء(٤).

وكقراءة قُنْبُل(٥): ﴿على سؤوقه﴾ بواو بعد الهمزة وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ...﴾ الفتح:٢٩، وقرأ الباقون بواو ساكنة بعد السين(٦).

وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التي لاتوجد في غير الشاطبية من كتب القراءات إلا في كتاب أو اثنين وهذا لايثبت به التواتر.

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) معقبا على ماسبق : «هذا وشبهه وإن لم يبلغ مبلغ التواتر صحيح مقطوع به نعتقد أنه من القرآن وأنه من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها، والعدل الضابط إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقي بالقبول قطع به وحصل به العلم» اهـ(٧).

وقال أيضا رحمه الله تعالى عن هذا القسم من القراءات: «فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبي ﷺ من الأحرف السبعة، وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها» اهـ(٨).

---

١) عبدالله بن أحمد بن بشر و يقال: بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان ابن فهر بن مالك بن النضر أبو عمرو وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي، إمام شهير ثقة توفي سنة ٢٤٢هـ. غاية النهاية ٤٠٤/١.

٢) التيسير ص١٢٣ التبصرة ص٢٦٦.

٣) وانفرد ابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون. السبعة ص٣٢٩.

ونبَّه الشاطبي كما في الحرز مع شرحه «إبراز المعاني» ص٥١٠، على ضعفه وتابعه صاحب تحرير مسائل الشاطبية كما في مختصر بلوغ الأمنية على نظم تحرير مسائل الشاطبية ص٢٤٩-٢٥٠، ونقل تضعيف الداني له أيضا.

وأشار المحقق ابن الجزري في النشر ٢٨٧/٢ إلى صحته من طرق أخرى.

قلت : وعلى هذا فهي قراءة صحيحة لأنها وافقت رسم المصحف والعربية وصح سندها ولم تتواتر، والله أعلم.

٤) التيسير ص١٣٥ النشر ٢٩٩/١-٣٠٠ الاتحاف ص٢٧٣.

٥) محمد بن عبدالرحمن بن خالد بن محمد أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقب بقُنْبُل شيخ القراء بالحجاز في زمانه (١٩٥-١٩٢هـ). غاية النهاية ١٦٥/٢.

٦) إبراز المعاني ص٦٢٩-٦٣٠ النشر ٣٣٨/٢ البدورالزاهرة ص٣٠٠.

٧) المنجد ص١٩.

٨) المنجد ص١٦.

وقال أيضا رحمه الله: «وإنما المقرؤ به عن القراء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول والقطع حاصل بهما» اهـ(١).

قلت : يعني رحمه الله أن استفاضة القراءة الصحيحة السند وتلقيها بالقبول يقوم مقام التواتر في القطع بقرآنيتها ففيه إشارة إلى أن المقصود حصول القطع بقرآنية القراءة إما بتواتر سندها، أو بالقرائن التي تحف بالسند الآحادي فتجعله يفيد مايفيد التواتر، وسيأتي مزيد بسط لهذا - إن شاء الله - والله أعلم وأحكم.

ثانيا : القسم المردود من القراءات :

وهو ثلاثة أنواع :

الأول : القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية ولم تتلق بالقبول عند علماء القراءات .

الثاني : القراءة التي لم يصح سندها .

الثالث : القراءة التي وافقت الرسم والعربية ولاسند لها .

أما القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية ولم تتلق بالقبول عند علماء القراءات؛ فانها لا تصدر إلا على وجه السهو، والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون(٢).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) عن هذا النوع: «وهو قليل جدا بل لايكاد يوجد وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع ﴿**معائش**﴾ [الأعراف:١٠]، بالهمز(٣).

---

١) المنجد ص٢٠.

قد يوهم كلام ابن الجزري هنا المعارضة مع ما تقدم نقله عنه في المطلب الأول من هذا المبحث حيث قرر تواتر القراءات العشر برواياتها المشهورة.

قلت : ولا معارضة - ولله الحمد - بين الكلامين، حيث أن مراده حينما قال: «القراءات العشر متواترة» أي: بالنظر إلى مجموع القرآن أو ما كان منها عن طريق ورواية المشهورين باتفاق، وهذا لاينفي وجود روايات وطرق منفردة في العشر غير الروايات والطرق المشهورة، وتلقاها القراء - مع ذلك - بالقبول لموافقتها الرسم والعربية ولصحة سندها، وهذا هو ماقصده ابن الجزري في قوله هنا عن القراءات العشر أنها على قسمين متواتر وصحيح، والله أعلم. وانظر النشر ١٣/١ اللطائف ٧٠/١.

٢) المنجد ص١٦.

٣) وحكم ابن مجاهد رحمه الله بغلط هذه الرواية في «السبعة» ص٢٧٨ وكذا في «غيث النفع» ص٢٢١ وقال : ﴿**معايش**﴾ هو بالياء من غير همز ولا مد لكل القراء، وشذ خارجة فرواه عن نافع بالهمز وهو ضعيف جدا، بل جعله بعضهم لحنا»

وكذا في «الاتحاف» ص٢٢٢، أما ابن مهران فقال في المبسوط ص١٧٩ : «قرأ القراء

وما رواه ابن بكار(١) عن أيوب(٢) عن يحي عن ابن عامر من فتح ياء: ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ﴾ [الأنبياء:١٠٩]، مع إِثبات الهمزة، وهي رواية زيد(٣) وأبي حاتم عن يعقوب.

وما رواه أبوعلي العطار(٤) عن العباس(٥) عن أبي عمرو ﴿ساحران تظاهرا﴾ [القصص:٤٨]، بتشديد الظاء(٦) والنظر في ذلك لايخفى» اهـ(٧).

أما القراءة التي لم يصح سندها، سواء وافقت الرسم أم خالفته، وسواء وافقت العربية أم خالفتها؛ فهي قراءة ضعيفة مردودة(٨).

كقراءة ابن السميفع(٩) وأبي السمال(١٠) وغيرهما في قوله تعالى: ﴿فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَدَنِك لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَة﴾ يونس:٩٢، فقد خالفت في موضعين «ننحيك» بالحاء المهملة، و «خلفك» بفتح سكون اللام.

كلهم: ﴿معايش﴾ بغير همز ولم يختلفوا فيه إلا ماوراه أسيد عن ألأعرج وخارجة عن نافع أنهما همزاه قيل: فأما نافع فهو غلط عليه، لأن الرواة عنه الثقات كلهم على خلاف ذلك، وقال أكثر القراء و أهل النحو والعربية: إن الهمزة فيه لحن، وقال بعضهم: ليس بلحن وله وجه وإن كان بعيدا»اهـ

قلت : أخذ خارجة بن مصعب القراءة عن نافع وأبي عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه، كذا قال في «غاية النهاية» ٢٦٨/١، لكن نبه ابن مهران في كلامه السابق إلى أن خارجة لم ينفرد بهذه القراءة فالله أعلم.

١) عبدالحميد بن بكار أبوعبدالله الكلاعي الدمشقي نزيل بيروت . غاية النهاية ٣٦٠/١.
٢) أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب أبوسليمان التميمي الدمشقي، ضابط مشهور (١٢٠-٢١٩هـ). غاية النهاية ١٧٢/١
٣) زيد بن أحمد بن اسحاق بن زيد أبوعلي الحضرمي يروي القراءة عن عمه يعقوب عرضا. غاية النهاية ٢٩٦/١.
٤) الحسن بن علي بن عبدالله أبوعلي العطار البغدادي شيخ جليل ماهر ثقة ، يعرف بالأقرع توفي سنة ٤٤٧هـ. غاية النهاية ٢٢٤/١.
٥) العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنضلة أبوالفضل الواقفي الأنصاري البصري قاضي الموصل استاذ حاذق ثقة (١٠٥-١٨٦هـ). غاية النهاية ٣٥٣/١.
٦) ولم يختلف القراء في تخفيفها، وخلافهم في السين والحاء والألف، فعاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر السين وسكون الحاء بلا ألف ، والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسرالحاء. أنظر النشر٣٤١-٣٤٢ الاتحاف ص٣٤٣.
٧) النشر ١٦/١.
٨) النشر ١٦/١ وهذا النوع سماه السيوطي في الاتقان (أبوالفضل)٢١٦/١ :«موضوع».
٩) محمد بن عبدالرحمن بن السميفع بفتح السين أبوعبدالله اليماني. غاية النهاية ١٦١/٢.
١٠) قعنب بن أبي قعنب أبوالسمال بفتح السين وتشديد الميم وباللام العدوي البصري ، له اختيار شاذ عن العامة في القراءة. غاية النهاية ٢٧/٢.

وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة(١) رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي(٢) ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي (ت٤٦٥هـ) وغيره؛ فانها لا أصل لها ومنها: «انما يخشى الله من عباده العلماء» [فاطر:٢٨] برفع الهاء من لفظ الجلالة، ونصب الهمزة من «العلماء» على أنها مفعول به(٣).

ويدخل في هذين النوعين من قسم القراءات المردودة مايذكره بعض المتأخرين من شراح الشاطبية في وقف حمزة على نحو: «اسمايهم» و «أوليك» فابدل الهمزة بياء خالصة ونحو «شركاوهم» و «احباوه» فأبدل الهمزة المرفوعة بواو خالصة، ونحو «بداكم» و «أخاه» بألف خالصة ، ونحو: «رأى را وترى ترا واشمأزت اشمزت و فادارأتم فادراتم» بالحذف في ذلك كله، ممايسمونه التخفيف الرسمي(٤).

ولايجوز في وجه من وجوه العربية، فإنَّه إما أن يكون منقولا عن ثقة ولاسبيل إلى ذلك فهو ممالايقبل إذ لاوجه له، و إما أن يكون منقولا عن غير ثقة فمنعه أحرى ورده أولى(٥).

---

١) النعمان بن ثابت بن زوطا الامام أبوحنيفة الكوفي، فقيه العراق، والمذكور في الآفاق، مولى بني تميم الله بن ثعلبة توفي سنة ١٥٠هـ. غاية النهاية ٢/٣٤٢.

٢) الخزاعي إمام جليل من أئمة القراء الموثوق بهم، والعهدة في وضع الكتاب على الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت٢٠٤هـ) صاحب أبي حنيفة، وهو ضعيف في الرواية جدا كذبه غير واحد وقد روى هذه القراءة عنه ابنه محمد بن الحسن بن زياد وعنه عمر بن شبه النمري حسبما ذكره الخزاعي.
أنظر ميزان الاعتدال ١/٤٩١ غاية النهاية ١/ ٢١٣ ، ٢/١١٠ ، ١١٦.

٣) قال ابن الجزري: «وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه، وتكلف توجيهها وإن أبا حنيفة لبريء منها»اهـ. النشر ١/١٦.

٤) الكلمات السابقة كلها كلمات قرآنية، وردت على الترتيب في الآيات التالية، أو أمثالها:
أسمايهم: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ البقرة:٣٣.
أوليك: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ البقرة:٥.
شركاوهم: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ الأنعام:١٣٧.
أحباوه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ المائدة:١٨.
بداكم: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف:٢٩.
أخاه: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الأعراف:١١١.
را: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ الأنعام:٧٦.
ترا: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ المائدة:٥٢.
اشمزت: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الزمر:٤٥.
فاداراتم: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ البقرة:٧٢.

٥) النشر ١/١٦-١٧.

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «تتبعت ذلك فلم أجده منصوصا لابطرق صحيحة ولا ضعيفة» اهـ(١).

قلت : إذا كان الأمر كما ذكره ابن الجزري رحمه الله فإن هذا المنسوب إلى وقف حمزة يكون من نصيب أمثلة النوع الثالث من القراءات المردودة وهو التالي:

أما القراءة التي وافقت الرسم والعربية ولا سند لها؛ فهذه لاتسمى قراءة إلا تجوزا.

قال ابن الجزري (٨٣٣هـ) : «وبقي قسم مردود أيضا وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة ، فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر» اهـ(٢).

وقال أيضا :«وأما ماوافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل فلاتسمى شاذة بل مكذوبة يكفر متعمدها» اهـ(٣).

ثالثا القسم : المتوقف فيه من القراءات :

وهو القراءة التي صح سندها ووافقت العربية وخالفت الرسم؛ فهذه القراءة لايحكم بقبولها ولا بردها، إذ يحتمل أن تكون من الأحرف السبعة، ويحتمل أن تكون من قبيل مايسمى بالقراءات التفسيرية(٤).

وهذا القول بالتوقف ينبني على أصل وهو أن مالم يثبت كونه من الأحرف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟(٥).

الذي عليه جمهور العلماء أنه لايجب القطع بذلك؛ إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والاثبات قطعيا.

وصوَّب هذا ابن تيمية(٦) (ت٧٢٨هـ) وصححه ابن الجزري(٧) (ت٨٣٣هـ) رحمهما الله تعالى وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه.

قال ابن تيمية معقبا على ماذهب إليه هذا الفريق من أهل الكلام: «والصواب القطع بخطأ هؤلاء» اهـ(٨).

قال الطبري (ت٣١٠هـ) رحمه الله تعالى: «كل ماصح عندنا من القراءات

---

١) النشر ١٧/١.
٢) النشر ١٧/١.
٣) المنجد ص١٧.
٤) النشر ٣٢/١ الاتقان (أبوالفضل) ٢١٦/١.
٥) مجموع الفتاوى ٣٩٨/١٣-٣٩٩.
٦) ماسبق و قارن بالنشر ١٥/١.
٧) النشر ١٥/١.
٨) مجموع الفتاوى ٣٩٨/١٣-٣٩٩.

أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرءوا بها القرآن فليس لنا أن نخطيء من قرأ به اذا كان ذلك موافقاً لخط المصحف.

فإن كان مخالفا لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه» اهـ(١).

وأمثلة هذا النوع :

قراءة عبدالله بن مسعود وأبي الدرداء :«والليل إذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والأنثى»(٢) الليل ١-٣.(٣).

قراءة ابن عمر :«يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن»(٤) الطلاق:١(٥).

قراءة ابن عباس : «وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وأما الغلام فكان كافرا»(٦) الكهف : ٧٩-٨٠(٧).

---

١) انظر الإبانة ص٦٠، نقلا عن كتاب «القراءات» للطبري.

٢) نص الآية كما في رسم المصحف الذي بين أيدينا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾.

٣) قراءة صحيحة السند.

أخرجها البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وماخلق الذكر والأنثى﴾ تحت رقم (٤٩٤٤) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب مايتعلق بالقراءات تحت رقم (٨٢٤).

٤) رسم الآية كما في مصحفنا :﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾

٥) قراءة صحيحة السند .

أخرجها مسلم في كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض تحت رقم (١٤٧١) ومالك في الموطأ في كتاب الطلاق باب جامع الطلاق تحت رقم (٧٩) والدوري في جزء في قراءات النبي ﷺ ص١٦٢ والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٠.

٦) رسم الآية كما في مصاحفنا : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٠ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾.

٧) قراءة صحيحة السند .

أخرجها البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ - تحت رقم (٤٧٢٥) وفي باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ تحت رقم (٤٧٢٦).

وأخرجها الطبري في تفسيره (دار الفكر) ٢/١٦ بإسناد حسن إلى قتادة قال : هي في حرف ابن مسعود ... وساق القراءة.

وأخرجها الطبري أيضا بإسناد ضعيف جدا عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : في قراءة أبي ... وساق القراءة .

وأشار إلى القراءة القرطبي في تفسيره ٣٤/١١ وكذا أبوحيان في البحر المحيط ١٥٤/٦.

ونحو ذلك مما صح سنده ووافق العربية وخالف رسم المصحف .

فهذه القراءات نتوقف فيها؛ فلا نحكم بقرآنيتها ولا بعدم قرآنيتها .

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا، فلاتجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها» اهـ(١).

قلت : وفي حكم القراءة في الصلاة بالقراءة الشاذة مذاهب للعلماء رحمهم الله تعالى(٢).

على أن المهم هنا هو بيان أن هذه النوع من القراءة يستعان به في فهم مراد الله تعالى .

قال أبوعبيد رحمه الله :« المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة، وتبيين معانيها.

كقراءة عائشة وحفصة :«والوسطى صلاة العصر» [البقرة : ٢٣٨] وقراءة ابن مسعود :«فاقطعوا أيمانهما» [المائدة :٣٨] وقراءة جابر(٣): «فإنّ الله مِنْ بَعْد إكْرَاهِهن لهن غفور رحيم» [النور:٣٣].

---

١) المنجد ص١٦-١٧.

٢) اختلف العلماء رحمهم الله في حكم القراءة في الصلاة بالشاذ فأجازها بعضهم؛ لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤن بهذه الحروف في الصلاة وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعيّ وأبي حنيفة واحدى الروايتين عن مالك واحد .

وأكثر العلماء على عدم الجواز؛ لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ وإن ثبتت بالنقل فإنّها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو باجماع الصحابة على المصحف العثماني أو أنها لم تنقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة .

وتوسط بعضهم فقال : إن قرأ بها في القراءة الواجبة - وهي الفاتحة عند القدرة عليها - لم تصح صلاته ؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك وإن قرأ بها فيما لايجب لم تبطل صلاته، لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل؛ لجواز أن يكون ذلك من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، وهذا اختيار مجدالدين ابن تيمية رحمه الله.

وهذا الخلاف الفقهي مبناه على ماذكرته في المتن حول مالم يثبت كونه من الأحرف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟.

أنظر تفسير القرطبي ٤٧/١ مقدمتان في علوم القرآن ص٢٧٣ «جمال القراء» ٢٤١/١-٢٤٢ «المجموع شرح المهذب» ٣٩٢/٣ «مجموع الفتاوى» ٣٩٧/١٣-٣٩٨ «البرهان في علوم القرآن» ٣٣٢/١-٣٣٣ النشر ١٤/١-١٥ الإتقان (أبوالفضل) ٣٠٧/١، ٢٢٥ «اللطائف» ٧٢/١-٧٥ «غيث النفع» ص١٨-١٩.

٣) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بمهملة وراء الأنصاري ثم السلمي بفتحتين، صحابي ابن صحابي غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين هجرية. «التقريب» ص ١٣٦.

قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن .

وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل» اهـ(١).

قلت : الذي يظهر - والله أعلم - أن قول أبي عبيد هو الحق الذي لا معدل عنه - إن شاء الله - فإن هذه القراءة التي صح سندها إلى الصحابي وخالفت رسم المصحف إمّا أن يصرح الصحابي برفعها إلى رسول الله ﷺ فيكون حكمها - على أدنى الأحوال - حكم خبر الآحاد المنقول عنه ﷺ في تفسير القرآن، إن لم تعد من الأحرف السبعة فتكون من باب تفسير القرآن بالقرآن.

وإما أن لايصرح الصحابي برفعها فأدنى الأحوال حينئذ أن تعد هذه القراءة قول صحابي في تفسير القرآن فتكون من باب تفسير القرآن بقول الصحابي.

وهذا خلافا لمن قال لايعمل بها في شيء(٢).

تلك هي أقسام القراءات من جهة القبول ، وينبغي **ملاحظة الأمور التالية:**

(١) التقسيم السابق على أساس أن القراءة الشاذة هي: ما صح سنده ووافقت العربيه ولو بوجه وخالفت رسم المصحف.

وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية(٣) (ت٧٢٨هـ) وابن

---

١) فضائل القرآن لأبي عبيد (دار الكتب العلمية) ص١٩٥ بتصرف، وانظر«البرهان في علوم القرآن» ١/٣٣٦-٣٣٨ «الإتقان» (أبوالفضل) ١/٢٢٨.

٢) ومأخذ هؤلاء أن الراوي لم يذكره إلا لكونه قرآنا ولم يروه في معرض الخبر فإذا بطل كونه قرآنا بطل من أصله فلا يحتج به على شيء.

أنظر تفسير القرطبي ٤٧/١ أضواء البيان ٥/٢٤٨-٢٤٩.

ويعقب على هذا المأخذ بعدم التسليم ببطلان كونه قرآنا ؛ لأن الصواب كما قرر في الصلب هو التوقف في هذا القسم ؛ فلا نجزم بقرآنيته ولابعدم قرآنيته ، وليس أقل من الاحتجاج به كخبر الآحاد.

ويمكن أن يجاب ثانيا على سبيل التنزل في الحوار : بأنه لا يلزم من التسليم ببطلان كونه قرآنا التسليم بعدم كونه خبرا.

والعمل بالقراءة الشاذة هو ما ذكره القاضي أبو الطيب والقاضي حسين والروياني والرافعي تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد وصححه ابن السبكي.

أنظر بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ١/٤٧٣-٤٧٤ جمع الجوامع بشرح المحلي وحاشية العطار١/٣٠٠-٣٠١ حاشية التفتازاني على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب ٢١/٢ الإتقان (أبوالفضل) ١/٢٢٨.

٣) مجموع الفتاوي ١٣/٣٩٣،٣٩٤.

الجزري (١) ومن قبلهما مكي بن أبي طالب القيسي وأبو القاسم الهذلي (ت٤٦٥هـ) وأبوشامة المقدسي(٢) (ت٦٦٥هـ) وغيرهم كما سيأتي.

وأنبه هنا إلى أن هناك اصطلاحات أخرى في القراءة الشاذة غير هذا التعريف وهي التالية:

(أ) اصطلح ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) على أن القراءة الشاذة هي كل قراءة خرجت عن القراءات السبع التي جمعها في كتابه الموسوم بـ« السبعة».

قلت : وقد تبعه على هذا الاصطلاح ابن جني (ت٣٩٢هـ) في كتابه: «لمحتسب» (٣) وهذا المصطلح يعد القراءات الثلاث المتممة للعشر من الشواذ بالرغم من صحة سندها وموافقتها للرسم وللعربية.

(ب) اصطلح ابن الصلاح(٤) على أن القراءة الشاذة ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة، متلقاة بالقبول من الأمة كما اشتمل عليه « المحتسب» لابن جني وغيره.

قلت : فهو رحمه الله يشترط في القراءة الشاذة ثلاثة شروط سلبية وهي عدم نقلها بالتواتر، عدم استفاضتها، عدم تلقيها بالقبول من الأمة.

(ج) اصطلح السيوطي (ت٩١١هـ) على أن القراءة الشاذة هي القراءة التي لم يصح سندها، وأن القراءة التي صح سندها وخالفت رسم المصحف أو العربية أو لم تشتهر الاشتهار المذكور تسمى آحادية، ولايقرأ بها(٥).

(٢) ضابط القراءة الصحيحة صحة السند مع موافقة رسم المصحف وموافقة العربية واشتهارها بالقبول عند علماء القراءات.

مِنْ أوَّل مَنْ أشار إلى هذا الضابط الإمام أبوجعفر محمد بن جرير

---

١) المنجد ص١٦-١٧.

٢) المرشد الوجيز ص١٧٢،١٧٨.

٣) ٣٢/١، ٣٥.

٤) المرشد الوجيز ص١٨٤ البرهان في علوم القرآن ٣٣٢/١.
وابن الصلاح هو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني أبوعمرو تقي الدين، أحد الفضلاء المقدمين في الحديث وأسماء الرجال والفقه والتفسير (٥٧٧-٦٤٣هـ). الأعلام ٢٠٧/٤.

٥) الإتقان (أبوالفضل) ٢١٥/١، ٢١٦.

الطبري (١) (ت٣١٠هـ) ثم الحسين بن أحمد بن خالوية(٢) ثم مكي بن أبي طالب القيسي(٣) (ت٤٣٧هـ) وأبو العباس أحمد بن عمار المهدوي(٤) (ت بعد ٤٣٠هـ) ثم ابو عمرو الداني(٥) (ت٤٤٤هـ) ثم أبو القاسم عبدالرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة(٦) (ت ٦٦٥هـ) ثم الكواشي الموصلي(٧) (ت٦٨٠هـ) ثم أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري(٨) (ت٨٣٣هـ) وغيرهم .

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) بعد ذكره لضابط القراءة الصحيحة: «هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف... وهو مذهب السلف الذي لايعرف عن أحد منهم خلافه» اهـ(٩).

(٣) شكك بعضهم(١٠) في كون مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) ممن يقول بهذا الضابط.

والواقع أن مكي بن أبي طالب أورد هذا الضابط في أكثر من موضع في كتابه «الإبانة» بألفاظ مختلفة وصرح رحمه الله في مواضع بعبارات قد توهم خلاف ما عزي إليه من قوله بهذا الضابط .

وليزول هذا الإيهام، أنقل كلامه في هذا الضابط ليسهل - إن شاء الله - فهمه.

---

١) انظرالإبانة ص٦٠ حيث نقل نصا من كتاب «القراءات» للطبري صرح فيه بشرط صحة السند وموافقة الرسم ويؤخذ موافقة اللغة منهما .

٢) القراءات لابن خالوية ورقة ١٨ مخطوط مصور عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. انظر القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص٤٣ .
وابن خالويه هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون أبوعبدالله النحوي اللغوي، نزيل حلب، إمام مشهور (ت٣٧٠هـ). غاية النهاية ٢٣٧/١.

٣) الإبانة ص١٠، ١٠٣، ١٣٩.

٤) النشر ٩/١.

٥) المصدر نفسه.

٦) المرشد الوجيز ص١٤٥، ١٧١، ١٧٢، ١٧٨ .

٧) النشر ٩/١.
والكواشي هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع ، الإمام أبوالعباس الكواشي الموصلي المفسر ، عالم زاهد كبيرالقدر (٥٩٠-٦٨٠هـ). غاية النهاية ١٥١/١.

٨) النشر ٤٤/١ اللطائف ٦٧/١.

٩) المنجد ص١٦ النشر ٩/١.

١٠) صاحب كتاب :«في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق» ص ٤٩-٥١ .

قال مكي بن أبي طالب : «إن جميع ماروي من القراءات على ثلاثة أقسام:
قسم يقرأ به اليوم؛ وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهي :
أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .
ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا .
ويكون موافقا لخط المصحف .
فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه ؛ لأنه أخذ عن اجماع من جهة موافقته لخط المصحف ، وكفر من جحده .
والقسم الثاني : ما صح نقله عن الآحاد ، وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف .
فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين :
أحداهما : أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد ولايثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.
والعلة الثانية : أنه مخالف لما قد أجمع عليه ، فلا يقطع على مغيبه وصحته و مالم يقطع على صحته لاتجوز القراءة به ولايكفر من جحده ، وبئس ما صنع اذ جحده.
والقسم الثالث هو : ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية .
فهذا لايقبل وإن وافق خط المصحف» اهـ (١).
وقال مكي رحمه الله : «وهؤلاء الذين اختاروا انما قرءوا بقراءة الجماعة وبروايات ، فاختار كل واحد منهم مما قرأ وروى قراءة تنسب اليه بلفظ الاختيار ، وقد اختار الطبري وغيره.
وأكثر إختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :
قوة وجهه في العربية
و موافقته للمصحف
واجتماع العامة عليه» اهـ(٢).
وقال رحمه الله : «وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ماصح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون الفا متفرقين أو مجتمعين.

---

١) الإبانة ص٥٧-٥٩.
٢) الإبانة ص١٠٠.

فهذا هو الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة الآف؛ فأعرفه وابن عليه» اهـ(١).

وقال رحمه الله بعد أن أورد بعض القراءات: «فهذا كله موافق لخط المصحف، والقراءة به لمن رواه عن الثقات جائزة لصحة وجهه في العربية وموافقته الخط إذا صح نقله» اهـ(٢).

قلت: والناظر في هذا الكلام إذا تأمله يرى أن محور الخلاف فيه إنما هو في شرط صحة السند، فمرة يقول عنه: «أن ينقل الثقات عن رسول الله ﷺ» ومرة يقول: «اجتماع العامة عليه» ومرة يقول: «ما صح سنده».

وبتأمل هذه العبارات يظهر - والله أعلم - أن مراد مكي من شرط صحة السند ليس بمجرده ولكن مع تلقيه بالقبول عند علماء القراءات، وهو ما عبر عنه في قوله آخر القسم الأول من أقسام القراءات عنده: «... لأنه أخذ عن اجماع من جهة موافقته لرسم المصحف» ويؤكد أن هذا مراده عده في القسم الثالث «ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة لكن لا وجه له في العربية؛ فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف»(٣).

ولذلك تراه يقول: «إن مخالف خط المصحف من القراءات فإنما يؤخذ بأخبار الآحاد، وما وافق خط المصحف منها فهو يقين بالإجماع على المصحف» اهـ

ويقول أيضا عليه الرحمة والرضوان: «إنَّ القراءات التي وافقت خط المصحف هي من السبعة الأحرف، وما خالف خط المصحف أيضا هو من السبعة إذا صحت روايته ووجهه في العربية، ولم يضاد معنى المصحف لكن لايقرأ به؛ إذ لايتأتى إلا بخبر الآحاد ولا يثبت قرآن بخبر الآحاد، وإذ هو مخالف للمصحف المجمع عليه» اهـ(٤).

قلت: ومما تقدم يعلم أن مراد الامام مكي بن أبي طالب بقوله: «لايثبت قرآن بخبر الآحاد - أي خبر الآحاد المجرد عن موافقته للمصحف، أو المخالف للعربية، أو الذي لم يتلق بالقبول من علماء القراءات والله أعلم.

(٤) جمهور العلماء على أن التواتر شرط في ثبوت القرآن ولايثبت

---

١) الإبانة ص١٠٣.
٢) الإبانة ص١٣٩.
٣) الإبانة ص٦٢.
٤) الإبانة ص٦٣.

بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت القراءة رسم المصحف والعربية.

وممن اشترط ذلك الغزالي(١) وابن قدامة(٢) وابن الحاجب(٣) وصدر الشريعة(٤) رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته.

ودليلهم في هذه الدعوى (أعني: قولهم ما نقل آحادا فليس بقرآن) هو أن العادة تقضي بأن مثل هذا الكتاب الذي يكون هاديا للخلق معجزا على وجه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله لم يقدروا عليه، فما كان حاله كذلك يمتنع أن لايتواتر؛ إذ الدواعي تتوافر على نقله إلى أن يصير شائعا مستفيضا متواترا فما لم يبلغ حد التواتر يقطع بأنه ليس من القرآن(٥).

وقالوا : عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن الكريم قول حادث مخالف لاجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم، ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي وتبعه بعض المتأخرين(٦).

وقالوا : لايقدح في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم؛ فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت شرط

---

١) المستصفى في علم الأصول ١٠١/١.

والغزالي هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ،أبوحامد فقيه متصوف متفلسف (٤٥٠-٥٠٥ هـ). الأعلام ٢٢/٧.

٢) روضة الناظر وجنة المناظر ص٦١.

وابن قدامة هو عبدالله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي أبومحمد موفق الدين فقيه من أكابر الحنابلة (٥٤١-٦٢٠هـ). الأعلام ٦٧/٤.

٣) منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل ص٤٦.

وابن الحاجب هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبوعمرو جمال الدين ابن الحاجب فقيه مالكي من كبار علماء العربية والأصول (٥٧٠-٦٤٦هـ). الأعلام ٢١١/٤.

٤) التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه ٢٦/١.

وصدر الشريعة هو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد المحبوبي البخاري الحنفي صدر الشريعة الأصغر ابن صدر الشريعة الأكبر توفي سنة ٧٤٨هـ. الأعلام ١٩٨/٤.

٥) المستصفى ١٠١/١ بيان المختصر٤١٦/١ البرهان في علوم القرآن ١٢٥/٢ الإتقان (أبوالفضل) ٢١٧/١.

٦) قال ذلك النويري ونقله عنه في اللطائف ٦٩/١-٧٠.

صحتها عنده وإن كان هو لم يقرأ بها لفقد الشرط عنده فالشاذ ماليس بمتواتر(١).

قلت : ولاشك في أن هذا القول يخالف ما تقدم من القراءة المقبولة هي المتواترة، وكل قراءة صح سندها ووافقت رسم المصحف ولو احتمالا والعربية ولو بوجه وتلقيت بالقبول عند علماء القراءات.

لكن يمكن أن يقال ان ما اشتهر من القراءات واستفاض موافقا لرسم المصحف والعربية في قوة المتواتر في القطع بقرآنيته - وإن كان غير متواتر من جهة السند - لأن هذه الاركان الثلاثة (أعني: صحة السند وموافقة الرسم وموافقة اللغة ولو احتمالا) تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة؛ وبيان هذه المساواة أن ما بين دفتي المصحف متواتر ومجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة، فإذا صَحّ سند القراءة ووافقت العربية ثم جاءت موافقة لخط هذا المصحف المتواتر، ثم تلقاها العلماء المتخصصون في القراءات بالقبول، كان ذلك قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع و إن كانت منقولة بسند الآحاد(٢).

ويترشح هذا إذا تذكرنا أن الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى المتواتر عندهم، وأيضا يحصل العلم بخبر الآحاد إذا حفت به القرائن ويكون في معنى المتواتر(٣).

قال أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي : «يحصل العلم بالخبر بطرق غير التواتر، وهي :

كون المخبر عنه معلوما بالضرورة .

أو بالاستدلال .

أو خبر رسوله ﷺ .

أو خبر مجموع الأمة .

---

١) قال ذلك النوري الصفاقسي في غيث النفع ص١٨-١٩.

٢) مناهل العرفان ١/٤١٥،٤٢٠.

٣) مجموع الفتاوي ١٨/٤١،٤٨.

أو القرائن عند أبي المعالي وأبي حامد»اهـ(١).

وقد قرر ابن العربي (ت٥٤٣هـ) رحمه الله تعالى قيام هذه الشروط مقام التواتر بقوله لما ذكرها: «ومعنى ذلك - عندي - أن تواترها تبع لتواتر المصحف الذي وافقته، وما دون ذلك فهو شاذ، يعني وأن تواتر المصحف ناشيء عن تواتر الألفاظ التي كتبت فيه»اهـ(٢).

ويعلق على ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور بقوله: «وهذه الشروط الثلاثة هي شروط قبول القراءة إذا كانت غير متواترة عن النبي ﷺ بأن كانت صحيحة السند الى النبي ﷺ ولكنها لم تبلغ حد التواتر فهي بمنزلة الحديث الصحيح وأما القراءة المتواترة فهي غنية عن هذه الشروط؛ لأن تواترها يجعلها حجة في العربية ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه»اهـ(٣).

قلت : هذا الذي ذكره الطاهر بن عاشور رحمه الله قرره ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى حيث قال: «ان التواتر إذا ثبت لايحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره.

إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه.

وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف أنتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء السبعة وغيرهم»اهـ(٤).

قلت : وإذا تقرر هذا لم يعد هناك خلاف بين من قال: يشترط التواتر في ثبوت القرآن، وبين من قال بالشروط الثلاثة إذ لافرق حينئذ بينهما في إفادة القراءة للعلم.

على أنه يمكن مع هذا أن يعقب على القول باشتراط التواتر في ثبوت القرآن بما يأتي :

أولا : اشتراط التواتر في ثبوت القرآن إنما هو بالنظر لمجموع القرآن الكريم، و إلا فلو اشترطنا التواتر في كل فرد من أحرف الخلاف

---

١) تقريب الوصول إلى علم الأصول ص١٢٠.
وابن الكلبي هومحمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله ابن جزي الكلبي أبوالقاسم ، فقيه مالكي أصولي لغوي (٦٩٣-٧٤١هـ). الأعلام ٣٢٥/٥.

٢) بواسطة التحرير والتنوير ٥٣/١.

٣) ماسبق.

٤) النشر ١٣/١.

انتفى كثير من القراءات الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم.

وبهذا أجاب ابن الجزري(١) (ت٨٣٣هـ) والقسطلاني(٢) (ت٩٢٠هـ).

ثانيا : قولهم «إنّ العادة تقضي توافر الهمم على نقله» يعقب عليه بأن ذلك مقيد بعدم المانع من نقله، وهنا قام المانع من توافر الهمم على نقله متواترا في كل حروفه(٣).

فإن قيل : ما المانع من توفر الهمم على نقله بجميع حروفه متواترا ؟.

قلت : المانع هو إمتثال الأمة عامة، ومن تصدى للأقراء خاصة من الصحابة عن مخالفة الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه، وأمرهم أن يقرئوا به الناس؛ فهذا اقتضى أن يحظى الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه بالتواتر، حيث حظي بنقل الكافة عن الكافة، وبقيت سائر الحروف السبعة لم تحظ بمثل ذلك النقل، إنما نقلت نقل آحاد وهي على نوعين :

- نوع صح سنده .
- نوع لم يصح سنده .

والذي لم يصح سنده ضعيف لاينظر إليه، وبقي ما صح سنده منها وكان على نوعين أيضا :

- نوع صح سنده ووافق رسم المصحف .
- نوع صح سنده وخالف رسم المصحف .

---

١) النشر ١٣/١.

٢) اللطائف ٧٠/١.

٣) وهناك تعقيب آخر على قولهم : «إن العادة تقتضي توافرالهمم على نقله» غير ما ذكرته خلاصته أن هذه العادة التي ذكرت هنا المسلم منها لزوم تواتر في الجملة وجمهور التفاصيل، وقد وقع بفضل الله تواترأكثر مما تقضي به العادة من ذلك.

وأما ما ادعوه هنا من أن العادة تقتضي توافر الهمم على نقله متواترا جملة وتفصيلا في كل فرد من أفراده؛ فهذا لاقضى به عقل ولاساعده الواقع، وكثير من الناس العقلاء العلماء لاسيما المختصون بعلم القرآن على خلاف هذه الدعوى وتهجينها - وقد أوردت أسماءهم في الصلب - وقد ذكروا وقوع التواتر في نقل الجملة والجمهور من التفاصيل دون الأفراد وأقرب شيء من الكتب المحيطة المتداولة «النشر» لابن الجزري ، وقد صرح فيه بهذا.

قال بعض المحققين : «ومن ادعى على الناس أنهم منكرون للتواتر الضروري الذي يراجع كل منصف نفسه بعد مبالغته في البحث فيحكم على دعواهم بالبطلان ؛ فمنزلة هذا المدعي الإهمال»اهـ بتصرف من إجابة السائل شرح بلغة الآمل ص٦٩.

أما النوع الذي صح سنده ووافق رسم المصحف ؛ فنظر فيه من جهة تلقي علماء الشأن له فان قبلوه واشتهر عندهم قبلناه وحكمنا بقرآنيته، وأنه من الأحرف السبعة، وان لم يتلقوه بالقبول وحكموا بخطئه ووهمه، حكمنا بعدم قرآنيته، وأنه وهم من ناقله.

أما النوع الذي صح سنده وخالف رسم المصحف؛ فاننا نتوقف عن الحكم بقرآنيته وأنه من الأحرف السبعة، ونتوقف عن نفي ذلك إذ الأمر فيه محتمل لأن ذلك مما لايجب علينا القطع بعلمه إثباتا و نفيا.

وهذا التقرير ينبني على مسائل :

الأولى : هل اشتمل مصحف عثمان رضي الله عنه على الأحرف السبعة ؟.

الثانية : ما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟.

وقد تقدم بيان أن مصحف عثمان رضي الله عنه بما تواتر من القراءات انما اشتمل على حرف واحد فقط، وهو الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه، وأنه بما صح سنده من القراءات ووافق الرسم اشتمل على ما يحتمله الرسم من الأحرف السبعة.

وتقدم أنه لايجب القطع نفيا ولا اثباتا بما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة.

ثالثا : قولهم : «عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن قول حادث» يعقب عليه بما يلي :

(أ) أن الحادث هو اشتراط التواتر في ثبوت القرآن الكريم، لاالعكس؛ فإنه لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعيهم - وهم أصحاب القرون الفاضلة - أنهم فرقوا بين المتواتر والآحاد(١) بل كان الرسول ﷺ يرسل الصحابي الفرد والأثنين مما لم يبلغ التواتر إلى القبائل و إلى الحبشة وفارس والروم ليبلغوا الدين، ومعلوم أن من أول ما يبلغ القرآن، وكذا قبل هجرته ﷺ إلى المدينة أرسل مصعب بن عمير رضي

---

١) أصل الاعتقاد ص١٢.

الله عنه ليعلمهم القرآن الكريم(١) وهو فرد واحد، فمن أين جاء أنهم كانوا لايثبتون القرآن إلا بالتواتر، حتى يكون إثبات القرآن بما صح سنده من خبر الآحاد الموافق لرسم المصحف قول حادث ؟.

قلت : وقد جزم ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) فيما نقلته عنه سابقا بأن عدم اشتراط التواتر في ثبوت القرآن هو قول سلف الأمة وخلفها؛ فيكون - على هذا - مخالفه هو الحادث، وهذا ما قررته هنا والله أعلم.

رابعا : قولهم : «ولايقدح في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر عند قوم دون قوم... الخ» يعقب عليه بأن هذا مصادرة على المطلوب وتحكم، فنحن نبحث في اشتراط تواتر هذه الأحرف التي فيها الاختلاف، فكيف يقال: إنها متواترة عند قوم دون قوم ؟ بل الظاهر أن هذه الأحرف التي جاءت في رواية من روايات قراءة من القراءات السبع أو العشر ولاتوجد إلا في كتاب أو اثنين الظاهر أن هذه الأحرف لم تتواتر.

فيكون وجود مثل هذه الروايات التي انفرد بنقلها كتاب أو اثنان قادحا في دعوى تواتر جميع أفراد القراءات(٢) والله أعلم.

فائدة(٣):

مما تقدم يعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متداخلتان متوافقتان بالنظر إلى القسم الأول من أقسام القراءات وهو قسم المقبول منها.

وحقيقتان متغايرتان بالنظر إلى القسم الثاني من أقسام القراءات وهوقسم المردود منها.

ويتوقف في نوع العلاقة بين القرآن و القراءات في القسم الثالث من أقسام القراءات و هو قسم القراءات المتوقف فيه منها والله أعلم.

---

١) أخرج البخاري في كتاب مناقب الصحابة باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة حديث رقم (٣٩٢٥) بإسناده عن البراء بن عازب قال : «أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يقرئون الناس، فتقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الاماء يقلن قدم رسول الله ﷺ فما قدم حتى قرأت : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور من المفصل»

٢) المنجد ص١٩.

٣) كنت أجلت البت في مسألة هل القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ؟. إلى هذا المبحث، وهذا وفاء ما وعدت به ولله الحمد والمنة.

المبحث الثالث : اختلاف القراءات وفوائده.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان نوع الاختلاف الواقع بين القراءات .

المطلب الثاني : فوائد تعدد القراءات .

المطلب الأول : بيان نوع الاختلاف الواقع بين القراءت .

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّه لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ النساء:٨٢.

في هذه الآية استفهام معناه الإنكار على المعرضين عن القرآن العظيم وما فيه، وحث على التدبر في آيات الله الحكيم العليم.

والمعنى : أفلا يتأملون ما نزل عليك من القرآن ولا يعرضون عنه فإنّ تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولايظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله، ثم نبه سبحانه وتعالى إلى وجه الاحتجاج، وهو سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض(١).

فإن قيل : كيف يتفق هذا مع الاختلاف الواقع في القرآن العظيم من جهة قراءاته وتفسيره ومحكمه ومتشابهه..؟.

فالجواب: الاختلاف قسمان :

---

١) قال أبوحيان في البحر المحيط ٣/٣٠٥ عند هذا الموضع: «ووجه هذا الدليل أنه ليس مِنْ مُتكلِّم كَلاماً طَويلاً إلا وُجِد فِي كَلامه إختلافٌ كثيرٌ، إمّا في الوصف واللفظ، وإما في المعنى،بتناقض أخبار أو الوقوع على خلاف المخبر به، أو إشتماله على ما لا يلتئم، أو كونه يمكن معارضته.

والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك؛ لأنه كلام المحيط بكل، فناسب بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتظافر صدق اخبار وصحة معان فلايقدر عليه إلا العالم بما لايعلمه سواه.

قال ابن عطية : فإن عَرَضَت لأحد شبهة وظن اختلافا؛ فالواجب أن يتهم نظره، ويسأل من هو أعلم منه.

وما ذهب إليه بعض الزنادقة المعاندين من أن فيه أحكاما مختلفة والفاظا غير مؤتلفة؛ فقد أبطل مقالتهم علماء الاسلام .

وما جاء في القرآن من اختلاف في تفسير وتأويل وقراءة وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعام وخاص ومطلق ومقيد؛ فليس هو المقصود في الآية، بل هذه من علوم القرآن الدالة على اتساع معانيه واحكام مبانيه»اهـ

- اختلاف تنوع .
- اختلاف تضاد .

والاختلاف المنفي في الآية هو اختلاف التضاد والمناقضة، فلا يوجد - ولله الحمد والمنة - في القرآن العظيم قولان متنافيان بل يشبه أوله آخره في الفصاحة، ويصدق بعضه بعضا في الأخبار والأحكام قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وعَدْلاً﴾ الأنعام:١١٥، أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأحكام، اللهم إلا ما كان فيه من قبيل الناسخ والمنسوخ، وهو وإن كان رفع حكم بحكم آخر، إلا أنه مقصود لحكمة ما، ولو لم تكن الحكمة إلا الابتلاء من الله عزوجل لخلقه بذلك لكفى، وعلى كل حال فهو بعد بيان أمره لم يقع على سبيل التعارض والتناقض.

أما إختلاف التنوع؛ فهو الواقع في القرآن العظيم، من جهة القراءات والتفسير ... الخ(١).

فاختلاف القراءات من نوع إختلاف التنوع لا التضاد.

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى: «حقيقة اختلاف هذه السبعة المنصوص عليها من النبي ﷺ اختلاف تنوع و تغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ ، وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللّه لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً

---

١) واختلاف التنوع له أوجه :

فمنه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف.

ومثله : إختلاف الأنواع في صفة الأذان والاقامة والاستفتاح والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد والجنازة، إلى غير ذلك مما شرع جميعه وأن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى القول الآخر لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في الفاظ الحدود والتعريفات وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك.

ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لايتنافيان، فهذا قول صحيح وذلك قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا.

ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة وآخرون قد سلكوا الأخرى وكلاهما حسن في الدين.

أنظر اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٧-٣٩ وتأويل مشكل القرآن ص٤٠.

﴿كَثِيراً﴾ [النساء : ٨٢]. »اهـ(١).

واختلاف القراءات لايخلو من ثلاثة أحوال(٢) :

أحدها : إختلاف اللفظ والمعنى واحد .

والثاني : إختلاف اللفظ والمعنى جميعا، مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

والثالث : إختلاف اللفظ والمعنى، مع إمتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة إجتماعهما فيه، بل يتفقان من وجه آخر لايقتضي التضاد.

أما إختلاف اللفظ والمعنى واحد، فنحو: ﴿السِّرَاط﴾ الفاتحة:٥، بالسين و ﴿الصِّرَاط﴾ بالصاد و ﴿الزِّراط﴾ بإشمام الصاد صوت الزاي(٣).

ونحو:﴿عليهم﴾ و ﴿إليهم﴾ و ﴿لديهم﴾ بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم واسكانها(٤).

ونحو :﴿فِيهِ هُدَى﴾ البقرة:٢، و ﴿عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ هود:١٢، و ﴿مِنْه آيَاتٌ﴾ آل عمران:٧، و ﴿عَنْهُ مَالُهُ﴾ الليل:١١، بصلة الهاء وبغير صلتها(٥).

ونحو : ﴿يؤدِّه إليْك﴾ آل عمران:٧٥، و ﴿نُؤتِه مِنْها﴾ آل عمران:١٤٥، و﴿فألقِه إليهم﴾ النمل:٢٨، بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها(٦).

---

١) النشر ٤٩/١.

٢) الأحرف السبعة للداني ص٤٧ مجموع الفتاوي٣٩١/١٣-٣٩٢ النشر٣٠/١-٥٠ ،٤٩.

٣) قرأ ابن كثير: ﴿السراط﴾ بالسين في كل القرآن الكريم وفي رواية عنه بالصاد في كل القرآن.

وقرأ أبوعمرو :﴿السِّرَاط﴾ بالسين، وفي رواية أنه قرأ بالصاد، وفي رواية أنه قرأ ﴿الزِّرَاط﴾ بالإشمام، وكذا عن حمزة بالصاد مشمة صوت الزاي.

أنظر السبعة ص١٠٥-١٠٨ النشر ٢٧١-٢٧٢.

وكيفية الإشمام هنا أن تخلط لفظ الصاد بالزاي، وتمزج أحد الحرفين بالآخر بحيث يتولد منهما حرف ليس بصاد ولا بزاي، ولكن يكون صوت الصاد متغلبا على صوت الزاي، كما يستفاد ذلك من معنى الإشمام، وقصارى القول أن تنطق بالصاد كما ينطق العوام بالظاء. البدور الزاهرة ص١٥.

٤) تفصيل خلاف القراء في ضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة، وفي صلة ميم الجمع بواو وإسكانها إذا وقعت قبل محرك، تجد تفصيل الخلاف في ذلك في«السبعة» لابن مجاهد ص١٠٨-١١١ والنشر ٢٧٢/١-٢٧٤.

٥) تفصيل خلاف القراء في صلة هاء الكناية وعدم صلتها في كتاب السبعة ص١٣٠ والنشر ٣٠٤/١-٣١٣.

٦) السبعة ص١٣٠ والنشر ٣٠٤/١-٣١٣.

والاختلاس: تضعيف الصوت بحركة الحرف حتى يذهب ثلثها، فهو الاتيان بثلثي

ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط(١).

وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعا، مع جواز إجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه فمن الأمثلة عليه:

قوله تعالى :﴿مَالِكِ يوم الدين﴾ الفاتحة:٤، بألف و ﴿ملك﴾ بغير ألف(٢) لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه، فقد إجتمع له الوصفان جميعا، فأخبر تعالى بذلك في القراءتين(٣).

وكذا قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة:١٠، بتخفيف الذال وبتشديدها(٤) لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هم المنافقون، وذلك لأنهم كانوا يكذبون في اخبارهم، ويكذبون النبي ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى، فالأمران جميعا مجتمعان لهم، فأخبر تعالى بذلك عنهم وأعلمنا أنه معذبهم بهما في آية واحدة بقراءتين(٥).

وقوله تعالى :﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ البقرة:٢٥٩، بالزاي والراء(٦) لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام، وذلك أن الله تعالى أنشزها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، وأنشرها أي: أحياها، فأخبر سبحانه وتعالى أنه جمع لها هذين الأمرين من رفع بعضها إلى بعض لتلتئم واحيائها بعد

حركة الحرف، ويكون في الوقف والوصل، ويكون في الحركات الثلاث، بناء كانت أو إعرابا.

أما الروم فهو الاتيان بثلث حركة الحرف، ولا يكون إلا في الوقف فقط، ولا يكون إلا في المرفوع والمضموم، والمجرور والمكسور. انظر هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص٥١٨-٥١٩ (هامش).

١) الأحرف السبعة للداني ص٤٧-٤٨ النشر ١/ ٥٠.

٢) قرأ عاصم: ﴿مَالِكِ﴾ بألف والباقون بغير ألف، واختلف عن الكسائي. «السبعة» ص١٠٤ التبصرة ص٨٠.

٣) حجة القراءات ص٧٧ الكشف ١/٢٥-٢٦.

٤) قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر قوله تعالى: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بتشديد الذال وضم الياء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيفها وفتح الياء. السبعة ص١٤٣ التبصرة ص٢٤٨.

٥) حجة القراءات ص٨٨ الكشف ١/٢٢٧-٢٢٩.

٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو قوله تعالى: ﴿نَنْشُرُهَا﴾ بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالزاي. «السبعة» ص١٨٩ «التبصرة» ص٢٧٥.

الممات، فذكر تعالى المعنيين في آية واحدة بالقراءتين، تنبيها على عظيم قدرته(١).

وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعا، مع امتناع جواز إجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، فالأمثلة عليه كما يلي:

قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿وَظَنّوا أنّهم قَدْ كُذِّبُوا﴾ يوسف:١١٠ بالتشديـــد(٢).

لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، وقراءة من قرأ: ﴿قد كُذِبُوا﴾ بالتخفيف؛ لأن المعنى على هذه القراءة: تَوَهُّم المُرْسَل إليهم أن الرُّسُلَ قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم ان لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم.

فالظن في الآية على القراءة الأولى بمعنى اليقين و الضمير الأول واو الجماعة في ﴿ظنوا﴾ للرسل، والضمير الثاني واو الجماعة في قوله تعالى: ﴿كذبوا﴾ في القراءة الأولى للمرسل إليهم.

والظن في القراءة الثانية بمعنى الشك، والضمير الأول للمرسل اليهم والثاني للرسل(٣).

وكذا قراءة من قرأ :﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ بَصَائِرَ﴾ الأسراء:١٠٢ بضم التاء(٤) وذلك أنه أسند هذا العلم إلى موسى عليه السلام حديثا منه لفرعون حيث قال: ﴿إنِّي لأظُنُّك يامُوسَى مَسْحُوراً﴾ الاسراء:١٠١، فقال موسى عليه السلام عند ذلك: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ بَصَائِرَ﴾ فأخبر عن نفسه بالعلم بذلك أي: ليس بمسحور.

وقراءة من قرأ: ﴿لقد عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع والتوبيخ له على شدة معاندته للحق، وجحوده له بعد علمه ولذلك أخبر تبارك وتعالى عنه وعن قومه

---

١) حجة القراءات ص١٤٤ الكشف ١/١٣٠-٣١٢.

٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر قوله تعالى: ﴿كُذِّبُوا﴾ مشدّدة الذال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف وكلهم ضم الكاف. السبعة ص٣٥١-٣٥٢ التبصرةص٣٨٠.

٣) حجة القراءات ص٣٦٦-٣٦٧ الكشف ٢/١٥-١٦.

٤) قرأ الكسائي وحده بضم التاء في قوله تعالى: ﴿لقد علمت﴾ والباقون بفتحها. السبعة ص٣٨٥-٣٨٦ التبصرة ص٤٠١.

فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم ظُلْمًا وَعُلُواً﴾(١) النمل :١٣-١٤.

وكذلك ماورد من هذا النوع من اختلاف القراءتين، التي لايصح أن يجتمعا في شيء واحد، هذا سبيله؛ لأن كل قراءة منهما بمنزلة الآية قائمة بنفسها، لايصح أن تجتمع مع آية أخرى تخالفها في شيء واحد، ويتفقان من وجه آخر لايقتضي التضاد، فليس في شيء من القراءات - ولله الحمد والمنة - تناف و لاتضاد ولاتناقض(٢).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «كل ماصح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحد من الأمة رده ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا،لايجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض» اهـ(٣).

---

١) حجة القراءات ص٤١١ الكشف٢/٥٢-٥٣.

٢) الأحرف السبعة للداني ص٥٠-٥١ النشر١/٥٠-٥١.

٣) النشر ١/٥١ وقارن بمجموع الفتاوي ١٣/٣٩١-٣٩٢.

المطلب الثاني : فوائد تعدد القراءات .

الحديث عن فوائد تعدد القراءات هو الحديث عن القرآن العظيم في تيسيره وبلاغته، وأحكامه، وعظاته، وثوابه وبركته، وقبل ذلك ماتضمنه من الإعجاز والهداية، وتفصيل ذلك فيما يلي(١) :

(١) من فوائد تعدد القرءات التخفيف على هذه الأمة و إرادة التيسير بها والتهوين عليها، شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل البشر ونصير الحق ﷺ حيث أتاه جبريل عليه السلام فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف.

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لاتطيق ذلك.

ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين.

فقال : أسأل الله معافاته و مغفرته وإن أمَّتي لاتطيق ذلك.

ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف»(٢).

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :«كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال و حرام و محكم ومتشابه و أمثال؛ فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه وقولوا :﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾»(٣).

---

١) ومجمل ما أذكره هنا مستفاد من كلام ابن الجزري رحمه الله في النشر ٢٢/١/١، ٢٨-٢٩، ٥٢-٥٤.

٢) حديث صحيح .

سبق تخريجه ص٣٣، وانظر أطرافه ص٥٦، ١٣٩.

٣) حديث حسن .

أخرجه أحمد في المسند٤٤٥/١ والطحاوي في مشكل الآثار ١٨٢/٤، ١٨٤-١٨٥ وابن أبي داود في المصاحف ص٢٥ والحاكم في مستدركه ٥٥٣/١ وابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٦٢/٢-٦٣ كلهم عن عبدالله بن مسعود.

قال في مجمع الزوائد ١٥٢/٧ : «رواه أحمد وفيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات».

والحديث صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٢٦/٦ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٣/٢-١٣٥ حديث رقم (٥٨٧) لوروده من طريق آخر منقطعة تعضده وتقويه وترقيه إلى مرتبة الحسن لغيره، فلاتضر جهالة حال عثمان بن حسان.

وقد تصحف اسم عثمان بن حسان على الشيخ الألباني فقال : «عثمان بن حيان»

قال ابن قتيبة(١): «فكان من تيسير الله أن أمر الرسول ﷺ بأن يقرىء كل قوم بلغاتهم وما جرت عليه عادتهم... ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة؛ فأراد الله - برحمته ولطفه - أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين» اهـ(٢).

وقال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في الموضوع نفسه: «وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها، عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، والسنتهم شتى(٣) ويعسر على أحدهم الإنتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا كما أشار اليه النبي ﷺ فلو كلفوا العدول عن لغتهم والإنتقال عن السنتهم لكان من التكليف بما لايستطاع، و ماعسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع» اهـ(٤).

(٢) إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ماكان في ذلك من التطويل.

وفي هذا تأكيد لإعجازه في فصاحته وبلاغته .

قال ابن قتيبة : «إنما يعرف فضل القرآن؛ من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيه العرب خصيصى من الله، لما أرهصه في الرسول ﷺ

تبعا لما في مشكل الآثار ١٨٢/٤ حيث تصحف اسمه هناك، وبناء عليه حكم بتوثيقه، والصواب أنه عثمان بن حسان كما في مسند أحمد (بتحقيق أحمد شاكر) ١٢٦/٦ وتعجيل المنفعة ص٢٨٢.

١) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبومحمد من أئمة الأدب (٢١٣-٢٧٦هـ). الأعلام ١٣٧/٤.

٢) تأويل مشكل القرآن ص٣٩-٤٠ باختصار وتصرف يسير.

٣) يقصد بقوله :«لغاتهم... والسنتهم ..» أي: لهجاتهم الخاصة بهم في نطق العربية واستعمال مفرداتها ، وإلا فكلهم يتكلم العربية لغة القرآن ولذلك كان حجة عليهم.

٤) النشر ٢٢/١.

وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه،كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه فكان لموسى عليه الصلاة والسلام فلق البحر، واليد والعصا وتفجر الحجر في التيه بالماء الرواء، إلى سائر أعلامه زمن السحر.

وكان لعيسى عليه الصلاة والسلام إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وابراء الأكمه والأبرص، إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لمحمد ﷺ الكتاب الذي لو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، إلى سائر أعلامه زمن البيان» اهـ(١).

(٣) بيان صدق الرسول ﷺ في أنه رسول رب العالمين، وأن هذا القرآن كلام الرحمن الرحيم، بعظيم البرهان وواضح الدلالة؛ إذ القرآن مع كثرة هذا التنوع في القراءات والتأويل والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيد والعام والخاص، لم يتطرق اليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق مَنْ جاء به وهو: الرسول ﷺ (٢).

وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ النساء :٨٢.

قال محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ): «إن تنوّع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدىء من جمال هذا الايجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن هذا القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقرؤ وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءته يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم وذلك - من غير

---

١) تأويل مشكل القرآن ص١٢ وتنظر رسالة «الاعجاز والقراءات» للدكتور/ فتحي عبدالقادر فريد.

٢) النشر ٥٢/١.

شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا أن القرآن يُعْجِز إذا قُرِيء بهذه القِراءة ويُعْجِز أيضاً إذا قُرِيء بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضا إذا قريء بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.

ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد ﷺ لأنه أعظم في إشتمال القرآن على مناح جمة في الإعجاز وفي البيان على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١)» اهـ(٢).

(٤) سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة؛ إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملا من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات لاسيما فيما كان خطه واحدا فإنَّ ذلك أسهل حفظا وأيسر لفظا(٣).

(٥) إعظام أجور هذه الأمة من حيث انهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحِكَم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره، وخفي إشاراته و إنعامهم النظر، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ إليه علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم ﴿فاستَجَابَ لَهُم رَبَّهم أني لا أضِيع عَمَل عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَر أوأنْثَى﴾(٤) والأجر على قدر المشقة(٥).

---

١) إقتباس من آية ٤٢ سورة الأنفال.

٢) مناهل العرفان ١٤٢/١، وأنظر رسالة «الإعجاز والقراءات».

٣) النشر ٥٢/١-٥٣.

٤) اقتباس من سورة آل عمران:١٩٥.

٥) هذا معنى حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب العمرة باب أجرالعمرة على قدر النصب تحت رقم (١٧٨٧) وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب بيان وجوه الاحرام تحت رقم (١٢١١) ولفظ الحديث عند البخاري: «قالت عائشة رضي الله عنها: يارسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك؟ فقال لها: انتظري فإذا طهرت فأخرجي إلى التنعيم فأهلي، ثم ائتينا بمكان كذا، ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك».

فائدة : «أو» في قوله: «أو نصبك» للتنويع، وظاهر الحديث أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة، لكن ليس ذلك بمطرد، فقد يكون بعض العبادة أخف من بعض وهو أكثر فضلا وثوابا بالنسبة إلى الزمان كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليال من رمضان غيرها و بالنسبة للمكان كصلاة ركعتين في الحرم بالنسبة لصلاة ركعات في

زد على هذا ما في ذلك من تلاوة القرآن العظيم، وفي هذا من الثواب الكثير والفضل الجزيل ما أخبر عنه المصطفى ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «آلم» حرف، ولكن «ألف» حرف و «لام» حرف و «ميم» حرف»(١).

(٦) بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، واقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظه لفظة لفظة، والبحث عن صيغه صيغة صيغة وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا، ولا تفخيما ولا ترقيقا، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات، وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام باريء النسم سبحانه وتعالى(٢).

(٧) إظهار ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، وإتصال هذا السبب الآلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وإعظاما لقدر أهل هذه الملة الحنيفية، وكل قاريء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعا بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت(٣).

(٨) ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يخل عصرا من الأعصار،

غيره، وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة بالنسبة إلى أكثر من عدد ركعاتها أو أطول من قراءتها ونحو ذلك من صلاة النافلة. فتح الباري ٣/٦١١.

قلت : ولعله لذلك قصَر الإمام البخاري الترجمة على العمرة التي ورد فيها النص فقال: «باب أجر العمرة على قدر النصب» وفقه البخاري في تراجمه - رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم - وأنظر حول علاقة الأجر بالمشقة في العبادات كتاب «ضوابط المصلحة في الشريعة» لمحمد سعيد رمضان البوطي ص٩٩-١١٢ وكتاب «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية» لصالح ابن حميد ص٣٤٧-٣٥٩.

١) حديث صحيح، عن عبدالله بن مسعود.
أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر حديث رقم (٣٠٨٧) وصححه ورواه الدارمي وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٣/٩ حديث رقم (٢٣٢٧) وصححه محقق جامع الأصول ٨/٤٩٨.

٢) النشر ١/٥٣.

٣) النشر ١/٥٣.

ولو في قطر من الاقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته؛ يكون وجوده سببا لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور وبقاؤه دليلا على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور(١).

(٩) ومنها بيان حكم مجمع عليه؛ كقراءة سعد بن أبي وقاص قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وإنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أو امْرَأةٌ وَلَه أخٌ أو أخْتٌ فلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُما السّدس**﴾ النساء :١٢، قرأ سعد :"وله أخ أو أخت من أم"(٢) بزيادة لفظ "من أم" فتبين بها أن المراد بالأخوة في هذا الحكم الأخوة للأم دون الأشقاء و من كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه(٣).

(١٠) الترجيح لحكم أختلف فيه كما في قوله تبارك و تعالى: ﴿**فكفَّارَتُه إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أوسَطِ مَا تُطْعِمُون أهْلِيكُم أو كِسْوَتُهم أو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ المائدة:٨٩ جاء في قراءة :"أوتحرير رقبة مؤمنة"(٤) بزيادة لفظ :

---

١) النشر ١/٥٣-٥٤.

٢) أخرج هذه القراءة عن سعد سعيد بن منصور، وعبد بن حميد والدارمي في سننه ٢/٣٦٦ وابن جرير الطبري في تفسيره (شاكر) ٨/٦١-٦٢ وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه ٦/٢٢٣،٢٣١.

وأشار في البحر المحيط ٣/١٩٠ إلى هذه القراءة .

وفي السند عند الدارمي والبيهقي والطبري: «القاسم بن عبدالله بن ربيعة الثقفي» لم يرو عنه سوى يعلى بن عطاء العامري كما في تهذيب التهذيب ٨/٣٢٠ و مع ذلك أورده ابن حبان في «الثقات» ٥/٣٠٢ على طريقته، وقال ابن حجر في «التقريب» ص٤٥٠: «مقبول»اهـ يعني: عند المتابعة، وتفرد الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال عن القاسم هذا في تحقيقه لتفسيرالطبري ٨/٦٢: «ثقة»اهـ

قلت : ولعله سلك هذا المسلك لأن القاسم في طبقة التابعين وبعض أهل العلم يمرر روايتهم ولايردها بجهالتهم وبناء عليه يكون إسناد هذا الحديث حسنا إن شاء الله تعالى .

وإلا فالحديث ضعيف لجهالة القاسم والله أعلم .

وسعد هو ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري أبواسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله مات سنة ٥٥هـ على المشهور. التقريب ص٢٣٢.

٣) نقل الإجماع على ذلك ابن المنذر وغيره، قال ابن المنذر(ت٣١٨هـ): «وأجمعوا أن مراد الله عزوجل في الآية التي في أول سورة النساء الأخوة من الأم، وبالتي في آخرها الأخوة من الأب والأم»اهـ كتاب الإجماع ص ٨٢.

٤) نقل هذه القراءة ابن الجزري في «النشر» ١/٢٩ ولم ينسبها.

«مؤمنة» فكان فيها ترجيح لإشتراط الايمان في الرقبة، وهذا يؤيد مذهب من ذهب إلى ذلك من أهل العلم(١).

(١١) الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءاتين كقوله تبارك وتعالى: ﴿فاعْتَزِلُوا النِّسَاء فِي المَحِيض ۖ ولا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ البقرة : ٢٢٢ قريء بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة: «يطهرن»(٢) و صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين :

أحدهما : أن الحائض لايقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر و ذلك بانقطاع الحيض، على قراءة التخفيف.

الثاني : أنها لايقربها زوجها حتى ينقطع الدم، وتزيد عليه التطهر بغسل المحل أو الوضؤ أو الاغتسال، على قراءة التشديد.

فجمعت هاتان القراءتان بين حكمين، ولابد منهما في جواز قربان الحائض والله أعلم(٣).

(١٢) الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين كما في قوله تعالى: ﴿فاغْسِلُوا وجُوهَكُم وأيْدِيَكُم إلى المَرافِق وامْسَحُوا برُؤُسِكُم وأرجُلَكم إلى الكَعْبَين﴾ المائدة:٦ قريء بنصب لفظ: ﴿أرْجُلَكم﴾ وبجرها(٤) فالنصب يفيد طلب غسلها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ: ﴿وجوهكم﴾ المنصوب، وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ ﴿رؤسكم﴾ المجرور و هو ممسوح.

وقد بين الرسول ﷺ أن المسح يكون للابس الخف وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف(٥).

---

١) النشر ٢٩/١.

٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وعاصم في رواية: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ خفيفة، وقرأ عاصم في رواية وحمزة والكسائي: ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ مشددة. السبعة ص١٨٢ التيسير ص٨٠.

٣) النشر ٢٩/١.

٤) قرأ ابن كثير وحمزة وأبوعمرو وعاصم في رواية عنه: ﴿وأرجلكم﴾ خفضاً وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية عنه: ﴿وأرجلكم﴾ نصباً. السبعة ص٢٤٢ التيسير ص٩٨.

٥) النشر٢٩/١ مناهل العرفان ١٤١/١.

(١٣) ومن فوائد القراءات دفع توهم ماليس مرادا، كما في قوله تعالى: ﴿ياأيّها الّذين آمَنُوا إذا نُودِي للصّلاة مِن يَوم الجُمُعَة فاسْعَوا إلى ذِكرِ اللّه﴾ الجمعة:٩ وقريء: «فامضوا إلى ذكر الله»(١) فالقراءة الأولى توهم أن المراد السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، وهذا يخالف ماجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا ثوب بالصلاة فلايسع أحدكم، ولكن ليمش وعليه السكينة والوقار»(٢) فجاءت القراءة الأخرى ودفعت توهم ماليس مراداً وأزالت الاشكال؛ لأن المضي ليس من مدلوله السرعة(٣).

(١٤) ومن فوائد تعدد القراءات بيان المجمل والغريب كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿حَافِظوا عَلَى الصَّلَواتِ والصَّلاة الوسْطَى﴾ البقرة:٢٣٨ جاءت قراءة: «الصلاة الوسطى(٤) وصلاة العصر»(٥) فبينت المقصود.

---

١) قرأ بذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود وعبدالله بن الزبير وأبي بن كعب.
أما عن عمر بن الخطاب فأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجمعة باب ماجاء في السعي يوم الجمعة وأخرجه الشافعي في الأم١٩٦/١ بسند صحيح وعبدالرزاق في مصنفه ٢٠٧/٣ و في تفسيره لوحة : ١٦١ ويلاحظ وقوع سقط في السند : [عن ابن عمر: قال ما سمعت عمر يقرؤها إلا...] سقط مابين العارضتين ويعرف بالنظر في سائر الروايات، وبما في الدر المنثور ١٦١/٨ وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥٧/٢ والطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٠٠/٢٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٧/٣.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦١/٨ إلى أبي عبيد في فضائل القرآن، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن الأنباري والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.
أما عن ابن مسعود فأخرجه الطبري في تفسيره (دار الفكر) ١٠١،١٠٠/٨ وعبدالرزاق في تفسيره لوحة : ١٦١ وفي مصنفه ٢٠٧/٣ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٥٧/٢.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦١/٨ إلى الفريابي وأبي عبيد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري والطبراني.
أماعن ابن الزبير فأخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ١٦٢/٨.
أما عن أبي بن كعب فأخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ١٦٢/٨.
وهذه القراءة لا يقرأ بها لمخالفتها رسم المصحف.

٢) حديث صحيح، عن أبي هريرة.
أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب إستحباب اتيان الصلاة بوقار وسكينة حديث رقم (٦٠٢).

٣) النشر ٢٩/١ مناهل العرفان ١٤١/١.

٤) جاءت قراءة أخرى للآية: «الصلاة الوسطى صلاة العصر» وقراءة: «الصلاة الوسطى هي صلاة العصر» وهي تدل على أن «الواو» في هذه القراءة ليست للمغايرة ولكنها من عطف الصفة على الموصوف أو زائدة، كما نبه عليه في «فتح الباري» ١٩٧/٨.

٥) قرأ بذلك عائشة وحفصة وأم سلمة وابن عباس وأبي بن كعب.
أما عن عائشة فأخرجه مالك في الموطأ كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى

وكقوله تعالى : ﴿كالعِهْنِ المَنْفُوش﴾ القارعة:٥ جاء في قراءة آحادية: «كالصوف المنفوش»(١) فبينت أن العهن هو الصوف .

(١٥) تجلية عقيدة ضل فيها بعض الناس ، كما في قوله تعالى في وصف الجنة وأهلها و نعيمهم : ﴿وإذَا رَأيتَ ثَمَّ رَأيتَ نَعِيماً ومُلْكَا كَبِيراً﴾ الانسان:٢٠ جاءت في قراءة بضم الميم وسكون اللام في لفظ: «وملكا كبيرا» وفي قراءة بكسر اللام وفتح الميم(٢) وهي من أعظم الأدلة على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة(٣).

(١٦) بيان صحة لغة من لغات العربية كقوله تعالى: ﴿واتَّقُوا اللّه الّذي

وعبدالرزاق في المصنف ٥٧٨/١ وأحمد في المسند ١٧٨/٦ و مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر حديث رقم (٦٢٩) وأبوداود في كتاب الصلاة باب في وقت صلاة العصر حديث رقم (٤١٠) والترمذي في كتاب التفسير ومن سورة البقرة حديث رقم (٢٩٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٨/٣ واخرجه النسائي في كتاب الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر ٢٣٦/١ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ١٠٣/١ وأخرجه النسائي أيضا في تفسيره ٢٦٩/١ حديث رقم (٦٦) والطبري في تفسيره (شاكر) ١٧٣/٥-١٧٥ والدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ ص٧٦-٧٨ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٤-٩٥ والبيهقي في السنن الكبرى ٤٦٢/١.

وزاد السيوطي عزوه في الدر المنثور٧٢٢/١ إلى عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف وابن المنذر .

أما عن حفصة فأخرجه مالك في كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى وعبد الرزاق في المصنف ٥٧٨/١ والطبري في تفسيره (شاكر) ١٧٧/٥-١٧٨ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٥-٩٧ وابن حبان (موارد) (١٧٢٢) والبيهقي في السنن الكبرى ٤٦٢/١ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢١/١-٧٢٢ للبخاري في تاريخه ولأبي عبيد وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن الأنباري .

أما عن أم سلمة فأخرجه عبدالرزاق في المصنف ٥٧٩/١ والطبري في تفسيره (شاكر) ١٧٦/٥ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٨.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور٧٢٣/١ إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد.

أما عن ابن عباس فأخرجه الطبري في تفسيره ٢١٣/٥ وابن أبي داود في المصاحف ص٨٧ وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٧٢٣/١ لابن أبي شيبة وعبد بن حميد . .

أما عن أبي بن كعب فعزاه في الدر المنثور ٧٢٨/١ إلى عبد بن حميد والطحاوي .

١) أسندها أبوعبيد بسند صحيح عن سعيد بن جبيرفي «فضائل القرآن» ص١٨٨(طبعة دار الكتب العلمية) وذكرها ابن الجزري في «النشر» ٢٩/١ وانظر «غاية النهاية» ٥٥/٢.

٢) النشر٢٩/١.

٣) ماسبق.

تَسَاءلُون بِهِ والأرْحَام﴾ النساء:١ وقراءة: ﴿والأرحام﴾ بالخفض(١) فإنها حجة على جواز عطف الأسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة العامل وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِك زَيَّن لكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهم شُرَكَائُهم لِيَرْدُوهم ولِيَلْبِسُوا عَلَيْهِم دِينَهم وَلَو شَاءَ اللَّه مَا فَعَلُوه فَذَرْهُم وَمَا يَفْتَرون﴾ المائدة:١٣٧ في قراءة بضم الزاي في: ﴿زُين﴾ وبالرفع في: ﴿قتلُ﴾ وبنصب ﴿أولادَهم﴾ على المفعولية وبخفض: ﴿شُرَكَائهم﴾ على الإضافة(٢) والتقدير: زين قتل شركائهم أولادهم فإن هذه القراءة حجة على جواز الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمجرور خلافا للبصريين في كل هذا(٣).

هذا مجمل الفوائد التي تعود علينا من تعدد القراءات والقصد هنا إبراز ما يتعلق منها بالتفسير، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة - إن شاء الله - أسأل الله تبارك وتعالى العون والتيسير والتوفيق إنه سميع مجيب.

---

١) قرأ حمزة وحده: ﴿والأرحام﴾ خفضا وقرأ الباقون نصبا. السبعة ص٢٢٨ التيسير ص٩٣.

٢) هذه قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بفتح الزاي: ﴿زين﴾ ونصب اللام: ﴿قتل﴾ وخفض الدال: ﴿أولادهم﴾ ورفع الهمزة: ﴿شركاؤهم﴾. السبعة ص٢٧٠ التيسير ص١٠٧.

٣) في أصول النحو ص٣٩-٤٥.

الباب الثاني
تدوين القراءات وتطوره

يشتمل على مدخل وتمهيد وفصلين :

مدخل.

تمهيد : عرض تاريخي للمؤلفات في القراءات.

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخرى.

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات .

مدخل :

مرت القراءات في نشأتها بمرحلتين أساسيتين هما :

المرحلة الأولى : مرحلة الرواية المجردة .

المرحلة الثانية : مرحلة التدوين .

وقد سبق الحديث (١) عن المرحلة الأولى - ولله الحمد والمنة - وبقي الحديث عن المرحلة الثانية مرحلة التدوين وموضعها هذا الباب - إن شاء الله -.

ومن حيث الواقع فإن القراءات في مرحلتها الثانية مرت بشكلين من أشكال التدوين :

الأول : تدوين القراءات في ثنايا العلوم الأخرى على صورة قضايا مبثوثة في تضاعيف الكتاب.

الثاني : التدوين المفرد للقراءات، وكان على أحوال سأعرضها بالتفصيل - إن شاء الله تعالى -.

وبناء على هذا الواقع فإن هذا الباب يشتمل على فصلين :

الفصل الأول : تدوين القراءات في كتب العلوم الأخرى .

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير .

المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .

المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو.

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات .

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام .

المبحث الثاني : الكتب المفردة لأكثر من قاريء.

المبحث الثالث : الكتب المفردة للقراءات وتوجيهها.

وقبل الشروع في فصول هذا الباب أقدم بين يديه التمهيد التالي المتضمن عرضا تاريخيا حسب التسلسل الزمني لجملة من المصنفين في القراءات لتتضح الصورة الكلية بين يدي الفصول والمباحث.

---

١) ص ٥٤ وما بعدها.

التمهيد : عرض تاريخي للمؤلفات في القراءات.

انتقلت القراءات من طور الرواية المجردة إلى طور التدوين مصداقا وتأكيدا لوعد الله تبارك وتعالى بحفظ القرآن العظيم؛ حيث قام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة فبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزو الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ والصحيح والفاذ فمن هؤلاء:

في القرن الأول الهجري :

١) يحي بن يعمر (ت قبل سنة ٩٠هـ) ألف كتابا في القراءات جمع فيه ماروي من إختلاف الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمنا طويلا إلى أن ألف ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) كتابه في القراءات السبعة(١).

---

١) مقدمة تفسير ابن عطية ص٢٧٥ وتفسير القرطبي ٦٣/١ وقد جزم سزكين في تاريخ التراث العربي ٩/١ بأن هذا المصنف هو أقدم كتاب يعرف في القراءات، وتابعه الفضلي في كتابه: «القراءات القرآنية» ص٢٨ وجزم أن هذاالمصنف هو أول مؤلف في القراءات ويظهر - والله أعلم - أن في هذا الجزم نظراً لوجوه:

الوجه الأول : أن عمدة من قال : أن ليحي بن يعمر كتابا في القراءات هي عبارة ابن عطية رحمه الله وهي العبارة التالية :«وأما شكل المصحف ونقطه؛ فروي أن عبدالملك بن مروان أمر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه، وزاد تحزيبه، وأمر وهو والي العراق الحسن، ويحي بن يعمر بذلك وألف اثر ذلك كتابا في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمنا طويلا، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات»اهـ.

قلت : يلاحظ أن قوله: «وألف إثر ذلك بواسط كتابا في القراءات» مشكل غير بين، هل الضمير يعود إلى يحي بن يعمر أو يعود إلى الحسن أو يعود إلى الحجاج كل ذلك محتمل.

الوجه الثاني : هذا الخبر المجمل رواه كما ترى ابن عطية بصيغة التمريض: «روي» مما قد يشعر بعدم ثبوته لديه بصورة يستطيع الجزم به.

الوجه الثالث : هذا الخبر انفرد به ابن عطية فلم أره في الكتب التي ترجمت ليحي ابن يعمر، ولا إشارة إليه.

الوجه الرابع : أن هذا الخبر الذي نقله ابن عطية فيه أن الكتاب ألف في «واسط» وهذا فيه دلالة على أن مصنفه ليس هو يحي بن يعمر؛ وذلك أن السيوطي أورد في ترجمة يحي بن يعمر أن الحجاج لما بنى «واسطا» سأل الناس: ما عيبها؟. قالوا : لا نعرف لها عيبا، وسندلك على من يعرف عيبها : يحي بن يعمر.

فبعث إليه فسأله فقال : بنيتها من غير مالك، ويسكنها غير ولدك، فغضب الحجاج وقال: ما حملك على ذلك؟. قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم ألا يكتموا الناس حديثا فنفاه إلى خرسان فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها فقضى في أكثر بلادها»اهـ بغية الوعاه ٣٤٥/٢.

وفي القرن الثاني الهجري :

٢) أبَان بن تغلب الكوفي (ت١٤١هـ) حيث ذكر له كتابا في القراءات(١).

٣) مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) له كتاب في القراءات(٢).

٤) زائدة بن قدامة الثقفي (ت١٦١هـ) صنف كتابا في القراءات(٣).

وفي القرن الثالث الهجري :

٥) يحي بن المبارك اليزيدي (ت٢٠٢هـ) له رسالة صغيرة في قراءة أبي عمرو بن العلاء(٤).

٦) يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت٢٠٥هـ) صنف كتاب «الجامع» ذكر فيه إختلاف وجوه القراءات، ونسب كل حرف إلى من قرأ به(٥).

٧) أبوعبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) صنف كتابا في القراءات وجعل القراء خمسة وعشرين قارئا مع القراء السبعة(٦).

٨) أبو عمرحفص بن عمر الدوري (ت٢٤٦هـ) له جزء فيه قراءات النبي ﷺ(٧).

= ففي هذا الخبر ما يدل على أن يحي بن يعمر لم يكن من أهل واسط وأنه لم يقم فيها، خاصة إذا تذكرنا أن يحي بن يعمر معدود في أهل البصرة كما في «جمال القراء» ٤٢٧/١.

الوجه الخامس : في الخبر الذي نقله ابن عطية ما يبطل حمله على القراءات بالمعنى الذي نقصده هنا؛ وهو قوله: «ومشى الناس على ذلك...» إذ يقال: كيف مشى الناس على هذه القراءات؟ وأين هي؟ ولماذا لم يذكر شيئا منها أهل العلم في مصنفاتهم في القراءات؟.

من أجل هذه الأمور فإن الذي يظهر لي - والعلم عند الله - أن المقصود في هذا النص أمر آخر، وهو ما اشتهر به يحي بن يعمر وهو أمر نقط المصاحف والله أعلم.

١) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٨ ولم أر من نص عليه غيره.

٢) الفهرست لابن النديم ص٢٥٣-٢٥٤ طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٣٠-٣٣١.

٣) الفهرست لابن النديم ص٣١٦.

٤) مخطوطة بالمكتبة الظاهرية قراءات رقم ٣٤٢، أشار إليها في تاريخ التراث العربي ١/١٠-١١ حاشية.

وإنما عددناه في القرن الثالث باعتبار الوفاة، وإن كان كتابه قد صنف في القرن الثاني، وهكذا في بقية الأئمة.

٥) معجم الأدباء ٥٢/٢٠-٥٣ الأعلام ١٩٥/٨.

٦) النشر ٣٣/١-٣٤ وهو من مرويات ابن خير الإشبيلي فهرست ابن خير ص٢٣.

٧) طبع مؤخرا بتحقيق د/ حكمت بشير ياسين - مكتبة الدار بالمدينة المنورة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٩) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني (ت٢٤٨هـ) صنف كتابا في القراءات(١) ترك فيه ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق القراء السبعة(٢) وصنف كتابا في إختلاف المصاحف(٣).

١٠) أحمد بن جبير بن محمد الكوفي (ت٢٥٨هـ) ألف كتابا في القراءات سماه «كتاب الخمسة» وذكر فيه خمسة من القراء من كل مصر واحد(٤).

١١) إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت٢٨٢هـ) صنف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة(٥).

قلت : ويلاحظ مايلي :

أ) أنه إلى أواخر هذا القرن لم تظهر كتب في قراءات القراء السبعة، مما يدل على أن حصر القراءات بسبع لم يعرف قبل ابن مجاهد.

ب) أن القراءات في الزمن الأول كانت كثيرة، وفي هذا تأكيد على أن القراءات السبع المعروفة الآن ليست هي الأحرف السبعة والله أعلم.

ويأتي في القرن الرابع الهجري :

١٢) أبوجعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) جمع كتابا حافلاً سماه: «الجامع» فيه نيف وعشرين قراءة(٦) ونقل بإسناده في تفسيره الكثير من القراءات .

١٣) أبوبكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٣١٦هـ)

فائدة : اصطلح العلماء على تسمية القراءات التي لاتنسب إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات بـ«قراءة النبي ﷺ» فلا يُظَن أنهم أرادوا بنسبتها إلى النبي ﷺ أنها وحدها المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام .

أفاد هذاالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير» ١/ ٥٤.

قلت : ولايخفى أن الأمر في معرفة نسبة القراءات إلى أئمة الرواية نسبي يختلف من عالم إلى آخر.

١) الفهرست لابن النديم ص٨٦-٨٧ كشف الظنون ص١٤٤٩، ١١٨٩.
٢) الإبانة ص٣٩-٤٠ ونقله في المرشد ص١٥٢.
٣) الفهرست لابن النديم ص٨٦-٨٧ كشف الظنون ص٣٣.
٤) الابانة ص١٠٣ النشر١/ ٣٤.
٥) النشر١/ ٣٤ طبقات القراء١/ ١٦٢.
٦) النشر ١/ ٣٤ كشف الظنون ص٥٧٦.

صنف كتاب «المصاحف»(١) ضمّنه الكثير من القراءات وما يتعلق بها وبرسم المصحف .

١٤) أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي(٢) (ت٣٢٤هـ) وهو أول من سبع السبعة في كتابه :«السبعة»(٣) وله كتاب :«قراءات النبي ﷺ وما حفظ من الفاظه واستعاذته وافتتاحه» (٤).

١٥) أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد ابن أشتة (ت٣٦٠هـ) صنف كتاب: «المصاحف» و كتاب: «المحبر في القرءات»(٥).

١٦) حسين بن عبدالله النحوي (ابن خالوية) (ت٣٧٠هـ) صنّف كتاب: «البديع في القراءات السبع» (٦) و كتاب :«القراءات» (٧) و كتاب :

---

١) طبع بتحقيق المستشرق آرثر جفري في القاهرة المطبعة الرحمانية - الطبعة الأولى ١٩٣٦م وطبع طبعة تجارية في بيروت - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ويقوم بعض إخواننا بتحقيقه ودراسته في رسالة علمية مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه وفقنا الله وإيّاه لما يحبه و يرضاه.

٢) أنظر بحث :«أبوبكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية» للدكتور عبدالفتاح شلبي، نشر في العددالخامس من مجلة كلية الشريعة والدراسات الأسلامية بمكة ص٦٣-٩٢.

٣) طبع بتحقيق د / شوقي ضيف - نشر دار المعارف - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧١م الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٤) فهرست ابن خير الاشبيلي ص٢٣ .

٥) فهرست ابن خير الاشبيلي ص٢٤ .

٦) مخطوط منه نسخة في مكتبة تشستربتي تحت رقم ٣٠٥١ وعنها مصورة في شريط مصغر في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٢٣ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج ١ ق ٢ ص ٢١٥.

٧) مخطوط منه نسخة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم ٥٢ قراءات ، وهي في شرح إعراب قراءات أهل الأمصار وله مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي ١٢٧ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي التفسير وعلوم القرآن ج ١ ق٢ ص٢٥.

ثم رأيته مطبوعا بتحقيق د: عبدالرحمن بن عثيمين في مجلدين - دار الخانجي - مصر.

«الحجة في القراءات السبع» (١) وكتاب: «مختصر من شواذ القرآن» (٢) وغيرها.

١٧) أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت٣٨١هـ) صنف كتاب: «الغاية في القراءات العشر» (٣) و «المبسوط في القراءات العشر» (٤) و «القراءات السبع» (٥) وغيرها .

١٨) أبو الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي (ت٣٩٩هـ) له كتاب: «التذكرة في القراءات الثماني» (٦).

قلت : ويلاحظ أنه من هذا القرن بدأت كتب القراءات تأخذ سبيلا واحدا في الغالب هو القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) فاشتغل العلماء بها وظهرت كتب الاحتجاج لها(٧).

---

١) مطبوع بتحقيق د/ عبدالعال سالم مكرم - بيروت دار الشرق ١٩٧١م.
والكتاب شُكّ في نسبته لابن خالوية؛ حيث كتب محمد العابدالفاسي مقالا عنوانه: «نسبة الحجة إلى ابن خالوية لا تصح» نشره في مجلة اللسان العربي التي تصدرها إدارة التعريب في المغرب الرباط المجلد ٨ الجزء ١ ص ٥٢١-٥٢٣ لعام١٩٧١م.
وأنظر ما كتبه حول هذا محمود فهمي حجازي في مجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت العدد الثاني لعام ١٩٧٢م ص١٩٣-١٩٤ و ما كتبه صبحي عبدالمنعم تحت عنوان: «نسبة الحجة إلى ابن خالوية افتراء عليه» نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٨ الجزء ٣ لعام ١٩٧٣م. بواسطة تاريخ التراث العربي ٣٦/١ هامش، مقدمة تحقيق كتاب: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٢٤ وكتاب: «ابن خالوية وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد» ص٣٣.

٢) مطبوع بتحقيق المستشرق براجستراسر - القاهرة - المطبعة الرحمانية ١٩٣٤هـ.

٣) طبع مؤخرا بتحقيق : محمد غياث الجنباز - السعودية .

٤) طبع بتحقيق سبيع حمزة حاكمي - دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - مؤسسة علوم القرآن - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٥) مخطوط منه نسخة بمكتبة الجمعية الآسيوية في البنغال تحت رقم ١١٥ وتقع في ٢١٤ نسخ عام ٨٢٢هـ. تاريخ التراث العربي ٣١/١.

٦) مخطوط منه نسخة بمكتبة وهبي باستنبول تحت رقم ١٧ وتقع في ٢٠٩ ورقة نسخت عام ٦٠٦هـ ونسخة أخرى بمكتبة عاطف باستنبول تحت رقم ٤٩ وتقع في ١٥٠ ورقة نسخت عام ١١٤٥هـ. تاريخ الأدب العربي ٦/٤ تاريخ التراث العربي ٣٢/١.
ثم رأيته مطبوعا بتحقيق د/ عبدالفتاح بحيري إبراهيم - مطبعة الزهراء.
أنظر حول الكتاب والتعريف به جريدة المدينة عدد ٨٤٢٦ الخميس ٧ ذو القعدة ١٤١٠هـ.

٧) أنظر ما كتبه الدكتور/ عبد الفتاح شلبي حول هذا في بحثه: «الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره» المنشور في مجلة البحث العلمي العدد الرابع ص ٧١-١٠٧.

و في القرن الخامس الهجري :

١٩) أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (ت٤٠٨هـ) صنف: «المنتهى في القراءات الخمسة عشر» (١) ويشتمل على مائتين وخمسين رواية، جمع فيه ما لم يجمع قبله(٢).

٢٠) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣) (ت٤٣٧هـ) صنف «التبصرة في القراءات السبع» (٤) و «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» (٥) و «الموجز في القراءات» (٦) و «الإبانة عن معاني القراءات»(٧).

٢١) أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) صنف: «جامع البيان» (٨) في القراءات السبع يشتمل على نيف وخمسمئة رواية وطرقها عن الأئمة السبعة وله «التيسير في القراءات السبع»(٩) وهو مختصر

---

١) مخطوط منه نسخة بدار الكتب بالقاهرة (قسم المكتبة التيمورية) ٢٩١/١ تفسير ٤٣٤ نسخت عام ٥٨٤هـ. تاريخ التراث العربي ٣٣/١-٣٤.

٢) طبقات القراء ١٠٩/٢ كشف الظنون ص١٨٥٨.

٣) كتب دراسة حوله د/ أحمد حسن فرحات بعنوان: «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» نشر دار الفرقان - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤) طبع بتصحيح وتعليق محمد غوث الندوي - نشر الدار السلفية الهند عام ١٣٩٩هـ.

٥) طبع بتحقيق د/ محي الدين رمضان - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٦) عده الدكتور: أحمد حسن فرحات في كتابه «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» ص١٢٢ من الكتب المفقودة.

٧) طبع بتحقيق الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي - المكتبة الفيصلية - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

ولم يرتض هذه الطبعة الدكتورأحمد حسن فرحات ووسمها بالقصور لاعتماد المحقق على نسخة واحدة فقط مع وجود خمس نسخ مخطوطة للكتاب، مما جعل تلك الطبعة غير وافية بالغرض حيث كثرت أخطاؤها ويظهر هذا بالمقابلة بين النسخ . «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» ص ١١٩-١٢٠.

٨) طبع على الآلة الكاتبة حيث حقق القسم الأول منه (من أوله إلى فرش الحروف) عبدالمهيمن عبدالسلام الطحان في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية عام ١٤٠٣هـ.

٩) طبع بتصحيح أوتو برتزل - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ وهذا الكتاب هو الذي نظمه الشاطبي مختصرا له في منظومته الشهيرة في القراءات «حرزالأماني» وفيها يقول الشاطبي رحمه الله تعالى مشيرا إلى ذلك ص ٦٠:

وفي يسرها **التيسير** رمت إختصاره   فأجنت بعون الله منه مؤملا

مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأمصار، وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التاليين، وصح وثبت لدى الأئمة المتقدمين، فذكر عن كل واحد من القراء روايتين(١) وله كتاب «المقنع»(٢) في رسم مصاحف الأمصار.

٢٢) أبو الحسن علي بن محمد بن غلي بن فارس المعروف بـ«الخياط» البغدادي (توفي في حدود ٤٥٠هـ) صنف «الجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش»(٣) وله «التبصرة في قراءة الأئمة العشرة»(٤).

٢٣) أبوعمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي (ت٤٦٢هـ) صنف: «المدخل في القراءات»(٥) و «الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو»(٦).

٢٤) أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت٤٦٥هـ) صاحب كتاب: «الكامل في القراءات»(٧) وهو مشتمل على خمسين قراءة عن الأئمة وعن ألف وأربعمئة وتسعة وخمسين رواية وطريقا(٨).

٢٥) أبو معشر عبد الكريم بن عبدالصمد الطبري (ت٤٧٨هـ) له: «سوق العروس»(٩) في القراءات، فيه ألف وخمسمئة وخمسون رواية وطريقا وله «التلخيص في القراءات الثماني»(١٠).

---

١) كشف الظنون ص٥٢٠.

٢) طبع بتحقيق محمد الصادق القمحاوي - نشر الكليات الأزهرية ١٩٧٨م.

٣) كشف الظنون ص٥٧٦.

٤) مخطوط منه نسخة في المكتبة الأزهرية، تقع في ٤٩ ورقة تحت رقم ٢٣٢٧٧/٢٧٠ عنها صورة على شريط مصغر في مركز البحث العلمي تحت رقم:٣١ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج١ ق٢ ص٢١٧.

٥) كشف الظنون ص١٦٤٤.

٦) كشف الظنون ص١٤٢.

٧) مخطوط منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٢٠٠ أولها ناقص تقع في ٢٥٠ ورقة نسخت عام ٥١٤هـ رقمها بمركزالبحث العلمي ١٣٤ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ج١ ق٢ ص٢٥٣.

٨) النشر ٣٥/١ غاية النهاية ٤٠٠/١-٤٠١ ووقعت له أغاليط في أسانيد القراءات ، نبه على ذلك الذهبي في معرفة القراء الكبار ٤٣٣/١ وتقدم نقل كلام ابن الجزري في الذب عنه ص٩٨ في الهامش.

٩) النشر ٣٥/١ كشف الظنون ص١٠٠٩.

١٠) فهرست ابن خير الأشبيلي ص٢٩ كشف الظنون ص٤٧٩.
وقد حقق هذا الكتاب في رسالة جامعية مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير.

وفي القرن السادس :

٢٦) أبو عبدالله محمد بن يحي بن مزاحم الأنصاري الطليطلي (ت٥٠٢هـ) صنف كتاب «الناهج للقراءات بأشهر الروايات»(١).

٢٧) أبوعلي حسن بن خلف الهواري (ت٥١٤هـ) له كتاب «تلخيص العبارات في القراءات»(٢).

٢٨) أبو العز محمد بن حسين بن بندار القلانسي (ت٥٢١هـ) له كتاب «إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي»(٣) في القراءات العشر.

٢٩) أبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط (ت٥٤١هـ) له «المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن وإختيار خلف واليزيدي»(٤) و «تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات»(٥) و «الإيجاز في القراءات السبع»(٦).

٣٠) أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بـ«ابن الباذش» (ت٥٤٠هـ) صنف «الإقناع في القراءات السبع»(٧) وهو كتاب محكم التأليف مرتب الأبواب غزير المادة بريء من الحشو متقن ما شاء الله له من الإتقان، نَقّح فيه مصنفه وهذب وشرح وتمم كتاب «التبصرة» لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) وكتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)(٨).

٣١) علي بن عساكر ابن المرجب البطائحي (ت٥٧٢هـ) صنف كتاب

---

١) كشف الظنون ص٦١٧.

٢) كشف الظنون ص٤٧٣،٤٧٩ و من مرويات ابن الجزري كما في النشر ٧٢/١.

٣) مطبوع بتحقيق عمر حمدان الكبيسي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ المكتبة الفيصلية بمكة .
وقد كان هذا الكتاب عمدة أهل العراق، وكانوا لايحفظون سواه، ولهذا نظمه كثير من الواسطيين والبغداديين، ولولا ما وقع من فتنة هؤلاء بالعراق وفتنة الجنكزخانيين ببلاد العجم وما وراء النهر وقتل من قتل من أهل القراءات وغيرها لَمَا اشتهر فيها «حرز الأماني» للشاطبي ولا «التيسير» للداني، كما هو معلوم عند العلماء المحققين الذين تعتبر أقوالهم، ولهم على ذلك أكفأ اطلاع يحصر. منجد المقرئين ص٥٣.

٤) حقق في رسالة لنيل درجة الدكتوراة بجامعة أم القرى كلية اللغة العربية -الدراسات العليا - فرع اللغة١٤٠٤-١٤٠٥هـ.

٥) النشر ٨٤/١.

٦) النشر ٨٣/١ كشف الظنون ص٢٠٦.

٧) طبع بتحقيق د/ عبدالمجيد قطامش، ضمن مطبوعات مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى.

٨) مقدمة تحقيق كتاب «الإقناع» ص٣٠،٢٧.

«الخلاف بين قراءة عبدالله بن عامر وبين قراءة أبي عمرو بن العلاء»(١) وكتاب «الخلاف بين قراءة أبي بكر بن بهدلة عاصم وبين قراءة أبي عمرو ابن العلاء»(٢) وكتاب «الخلاف بين قراءة حمزة بن حبيب وبين أبي عمرو بن العلاء»(٣).

٣٢) أبو محمد القاسم بن فِيُرّه الشاطبي الضرير (ت٥٩٠هـ) صنف «حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للسبع المثاني»(٤) منظومة نظم فيها كتاب «التيسير» للداني (ت٤٤٤هـ) عدد أبياتها ثلاثة وسبعون ومائة وألف بيتا أجاد فيها وأتقن ورزقه الله فيها القبول، فصارت عمدة الفن، وصارت تعرف باسمه «الشاطبية» بل صار اسمه علما على هذا الفن.

وفي القرن السابع الهجري :

٣٣) موفق الدين عيسى بن عبدالعزيز الاسكندري (ت٦٢٩هـ) صنَّف «الجامع الأكبر والبحر الأزخر» يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق(٥) وله «التذكرة المختصرة في القراءات العشرة»(٦) و«نظرة السريع الانتهاء من مشهور القراءات المنتقى من غريب الطرق والروايات»(٧).

٣٤) أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد علم الجين السخاوي (ت٦٤٣هـ) صنف كتاب «فتح الوصيد في شرح القصيد» (٨) وهو أول شرح

---

١) مخطوط منه نسخة في مخطوط بروسه، حراتشي، ضمن مجموع تحت رقم ٧٢٦ - ١ تقع فيه من ورقة ١ إلى ورقة١٢/أ نسخت عام ٣٦٤هـ. تاريخ التراث العربي ١٤/١.

٢) مخطوط منه نسخة في مخطوط بروسة، حراتشي زاده ضمن مجموع تحت رقم ٧٢٦٣ تقع فيه من ورقة ٤٨/أ إلى ٧٠/ب ، نسخت في عام ٦٣٤هـ. تاريخ التراث العربي ١٥/١.

٣) مخطوط منه نسخة في مخطوط بروسه ، حراتشي زاده ضمن مجموع تحت رقم ٧٢٦٤ تقع فيه من ورقة ٧٠/ب إلى ٩٠/ب ، نسخت في عام ٦٣٤هـ. تاريخ التراث العربي ١٩/١.

٤) وهي مطبوعة متداولة، مفردة وضمن شروح لها.

٥) النشر ٣٥/١.

٦) إيضاح المكنون ٢٧٦/١.

٧) إيضاح المكنون ٦٥٧/٢.

٨) مخطوط منه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٤٦ عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ٧٢٨ ونسخة ناقصة الأول بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٥ عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث تحت رقم ٧٢٥ ونسخة ناقصة الآخر بالمكتبة الخالدية بالقدس تحت رقم (١) عنها مصورة على شريط مصغر بالمركز تحت رقم ٧٢٩. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢٠٥/١-٢٠٦.

لقصيدة شيخه الشاطبي المشهورة «حرز الأماني» وله «جمال القراء وكمال الإقراء»(١) وهو كتاب مفيد جدا.

٣٥) كمال الدين أبوعبدالله محمد بن الموقع أحمد أبوالوفاء الموصلي الحلبي يعرف بـ«شعلة» (ت٦٥٠هـ) صنف «الشمعة في قراءات السبعة»(٢) وهي منظومة رائية قدر نصف الشاطبية مختصرة جدا، أحسن في نظمها واختصارها، وله «كنز المعاني شرح حرز الأماني»(٣) أوله: «الحمد لله الذي أنزل القرآن على سبعة أحرف... بنى شرحه لكل بيت على ثلاث قواعد مبادي في اللغة، ولواحق في الاعراب، ومقاصد في المقصود من الكلام(٤).

٣٦) أبوشامة عبدالرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت٦٦٥هـ) صنف «إبراز المعاني من حرز الأماني»(٥) وله «مفردات القراء»(٦).

٣٧) محمد بن عبدالله بن مالك النحوي (ت٦٧٢هـ)صاحب الألفية الشهيرة في النحو له القصيدة الدالية في القراءات، يقول فيها:

ولابد من نظمي قوافي تحتوي   لما قد حوى حرز الأماني وأزيدا(٧).

وله أيضا «حوز المعاني في إختصار حرز الأماني» وهو في بحر الشاطبية وقافيتها(٨).

---

١) مطبوع بتحقيق د/ على حسين البواب مكتبة التراث بمكة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢) طبقات القراء ٢/ ٨٠.
٣) مخطوط منه نسخة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم ٦ دهلوي عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم٥٨٧. فهرس مركز البحث العلمي (فهرس علوم القرآن) ٢/ ٢٥٨.
ونسخة في المكتبة الأزهرية تحت رقم ٤٠٤ عنها مصورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ١٣٨ قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (فهرس التفسير والقراءات) ١/ ٢٥٤.
ثم رأيته مطبوعا، طبع دار رسائل الجيب بمصر - على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء ١٩٥٥م - ١٣٧٤هـ.
٤) كشف الظنون ص٦٤٧.
٥) مطبوع حققه ابراهيم عطوه عوض - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الجديدة (!) ١٣٩٨هـ.
٦) كشف الظنون ص١٧٧٣.
٧) اللطائف١/ ٨٩
٨) اللطائف ١/ ٨٩.

وفي القرن الثامن الهجري :

٣٨) برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ) له «الشرعة في القراءات السبعة»(١) و «نهج الدماثة في نظم القراءات الثلاثة» و شرحه «خلاصة الأبحاث»(٢) و«كنز المعاني في شرح حرز الأماني»(٣).

٣٩) أبومحمد عبدالله بن عبدالمؤمن ابن الوجيه الواسطي (ت٧٤٠هـ) له «تحفة البررة في القراءات العشرة»(٤) و «الكنز في القراءات العشر»(٥) و «المختار في القراءة»(٦).

٤٠) أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ) صنف «عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي»(٧) على وزن الشاطبية ورويها ولم يأت فيها برمز وزاد فيها على «التيسير» للداني (ت٤٤٤هـ) كثيرا وله «الأثير في قراءة ابن كثير»(٨) و «غاية المطلوب في قراءة يعقوب»(٩) و «تقريب النائي في قراءة الكسائي»(١٠).

٤١) شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بـ«السمين» الحلبي (ت٧٥٦هـ) صنّف «العقد النضيد في شرح القصيد»(١١) وهو من شروح الشاطبية، أوله: «الحمد لله الذي تفضل على العباد في المبتدأ والمعاد...» ذكر فيه أن «الحرز» المذكور أحسن ما وضع في الفن،

---

١) اللطائف ٩٠/١.

٢) مخطوط منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٤٠١ وأخرى تحت رقم ١٨٨-١٦٢٢٦ عنهما صورة على شريط مصغر في مركز البحث تحت رقم ٦٥، ٦٦ مجاميع قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسيروعلوم القرآن) ٢٢٩/١.

٣) مخطوط منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٦١٨٩/١٥١، ٣٣٦٧، ٢٤٨ عنها مصورات في مركز البحث العلمي تحت الأرقام التالية ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨/قراءات. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢٣٩/١-٢٤٠.

٤) كشف الظنون ص١٤٩٩.

٥) مخطوط منه نسخة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٣١٦ عنها صورة على شريط مصغر في مركز البحث العلمي تحت رقم ١٣٧ مجاميع قراءات، ونسخة أخرى بمكتبة الحاج محمود بتركيا تحت رقم ٤١٢ عنها صورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ١٠٩. فهرس مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ٢٥٤/١، ٢٥٧/٢.

٦) كشف الظنون ص١٦٢٣.

٧) اللطائف ٩٠/١ كشف الظنون ص١١٥٢.

٨) إيضاح المكنون ٢٤/١.

٩) كشف الظنون ص١١٩٤.

١٠) إيضاح المكنون ٣١٤/١.

١١) كشف الظنون ص٦٤٨.

وأحسن شروحه شرحا الشيخين الفاسي وأبي شامة غير كلا منهما أهمل ما عنى به الآخر مع إهمالهما أشياء مهمه فشرحه بما يوفي المقصود، واجتهد في بيان فك الرموز وإعراب الأبيات وجعل «الشين» علامة لأبي شامة و «العين» لأبي عبدالله الفاسي(١).

٤٢) أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي (ت٧٧٧هـ) صنّف كتاب «تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن»(٢) وموضوعه ما قرئ بالحركات الثلاث في القرآن الكريم، سواء أكان التثليث بنية أم اعرابا، وسواء أكانت القراءات كلها متواترة، أم بعضها غير متواتر(٣).

وفي القرن التاسع الهجري :

٤٣) علاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بـ«ابن القاصح» العذري البغدادي (ت٨٠١هـ) صنف «سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي»(٤) شرح منظومة «حرز الأماني» وله كذلك «مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد الثلاثة عشر المروية عن الثقات»(٥) و «القصيدة العلوية في القراءات السبع المروية»(٦) وهي قصيدة ألفية أولها:

لَكَ الحَمْدُ يااللَّهُ والعِزُّ والعُلَا ... ...

قرأها عليه جماعة، فشرحها لهم شرحا مختصرا سماه: «الأمالي المرضية» أوله: «الحمد لله الذي شرف بعلم دينه ... .

٤٤) شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) الذي جدد علم القراءات في القرن التاسع، وله فيه «النشر في القراءات العشر»(٧)

---

١) كشف الظنون ص٦٤٨.
٢) مطبوع بتحقيق د: علي حسين البواب - دار المنارة - جدة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ؛
٣) مقدمة محقق تحفة الأقران ص ٥ - ١١،٦.
٤) مطبوع متداول . طبع دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.
٥) اللطائف ٩١/١ كشف الظنون ص١٧١١.
٦) كشف الظنون ص١١٦٣.
٧) مطبوع متداول . طبع دار الفكر - بيروت - وهي مصورة عن طبعة الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة.

و «تحبير التيسير»(١) و «الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية»(٢) وهي منظومة على وزن الشاطبية أولها:

قل الحمد لله الذي وحده علا ومجده وأسأل عونه وتوسلا

ومن مصنفاته «منجد المقرئين»(٣) وهو كتاب نافع مبارك على صغر حجمه.

٤٥) برهان الدين أبوالحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) صنف كتاب «الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات»(٤) أوله: «الحمد لله المؤيد من توسل اليه بلذيذ خطابه .... .

٤٦) أبو العباس أحمد بن اسماعيل الكوراني (ت٨٩٣هـ) صنف «كشف الاسرار عن قراءة الأئمة الأخيار»(٥) وهو شرح على نظم ابن الجزري في القراءات الثلاث الزوائد على العشر قراءة ابن محيصن والأعمش والحسن البصري.

أول الشرح: «الحمد لله الذي جعل حملة كتابه مع السفرة الكرام...»

٤٧) شمس الدين أبوعبدالله محمد بن خليل بن محمد الحلبي الشهير بـ«القبابي» (ت٨٩٤هـ) له منظومة في القراءات الأربع عشر إسمها «مجمع السرور والحبور و مطلع الشموس والبدور»(٦).

وفي القرن العاشر الهجري:

٤٨) جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) صنف «الدر النثير في قراءة ابن كثير»(٧) وله شرح الشاطبية وهو شرح ممزوج(٨).

٤٩) أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ) صنف كتاب «لطائف الإشارات لفنون القراءات»(٩) وهو كتاب جامع استوعب دقائق هذا

---

١) مطبوع متداول. له طبعات عديدة منها طبعة بتحقيق وتعليق: عبدالفتاح القاضي ومحمد الصادق القمحاوي. نشردار الوعي بحلب. الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٢) مطبوع. وقد أوردها الشيخ علي محمد الضباع ضمن مجموعه المسمى «إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد» من ص ١١٥-١٦٧.

٣) مطبوع متداول وله طبعات عديدة، منها طبعة دار الكتب العلمية - بيروت وهي طبعة سقيمة جدا.

٤) كشف الظنون ص١٠٩٠.

٥) كشف الظنون ص١٤٨٦.

٦) إيضاح المكنون ٢/٤٣٤.

٧) كشف الظنون ص٧٣٥.

٨) كشف الظنون ٦٤٨.

٩) طبع الجزء الأول منه بتحقيق عامر السيد عثمان وعبدالصبور شاهين بمصر ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٩٢هـ.

الفن وقواعده و له «فتح الداني في شرح حرز الأماني»(١) زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد كثيرة لاتوجد في غيره.

٥٠) جمال الدين حسين بن علي الحصني (ت٩٦٣هـ) صنف «الغاية»(٢) في شرح الشاطبية و «الجوهرة في القراءات العشرة»(٣).

وفي القرن الحادي عشر الهجري :

٥١) سلطان بن أحمد بن سلامة بن اسماعيل المزاحي(٤) (ت١٠٧٥هـ) له كتاب «القراءات الأربع الزائدة على العشر»(٥) و «الجوهر المصون في الأوجه مابين الضحى إلى المفلحون» .

٥٢) عبدالرحمن بن أبي القاسم المكناسي (ت١٠٨٢هـ)صنف «الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع»(٦).

وفي القرن الثاني عشر الهجري :

٥٣) أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بـ«البناء» (ت١١١٦هـ) صنف كتاب «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر»(٧) وهو كتاب فذ في بابه ويكاد يكون اختصارا لكتاب «لطائف الإشارات» للقسطلاني مع زيادات والله أعلم .

٥٤) أبو الحسن علي النوري(٨) الصفاقسي (ت١١١٧هـ) صنف كتاب «غيث النفع في القراءات السبع»(٩) وهو عمدة الطلاب والمقرئين وماجاء بعده فعالة عليه، ومرده إليه وله كتاب «تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين»(١٠) وهو عمدة الطلاب والمقرئين في فن التجويد.

---

١) كشف الظنون ص٦٤٧، ١٢٣٢.
٢) كشف الظنون ص٦٤٧.
٣) كشف الظنون ص٦٢١.
٤) بتشديد الزاي وفتح الميم نسبة الى منية مزاح من الدقهلية بمصر. الأعلام ١٠٨/٣.
٥) الأعلام ١٠٨/٣ وأشار إلى أماكن وجود هذه المخطوطات .
٦) معجم المؤلفين ١٦٥/٥.
٧) مطبوع بتصحيح علي محمد الضباع . دار الندوة الجديدة - بيروت .
٨) وهم في إيضاح المكنون ١٥٢/٢ فقال :« غيث النفع في القراءات السبع للإمام النووي الحافظ يحي بن شرف الدين»اهـ.
قلت : لعل سبب هذا الخلط أن رسم كلمة «النوري» قريب من رسم كلمة «النووي» فتصحف عليه والله اعلم.
٩) مطبوع بهامش «سراج القارىء لابن القاصح» نشر دار الفكر بيروت.
١٠) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (ملحق الأعلام) ص٦٩٧.

وفي القرن الثالث عشر الهجري :

٥٥) مصطفى بن علي بن عمر بن أحمد الميهي من أعيان القرن الثالث عشر صنف كتاب «فتح الكريم الرحمن في تحرير أوجه القرآن» ونص على أنه انتهى منه ضحوة يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة الحرام إختتام عام ١٢٢٩هـ (١).

ووالد هذا الشيخ «علي بن عمر بن أحمد الميهي» (ت١٢٠٤هـ) معدود من أعيان قراء هذا القرن(٢).

وفي القرن الرابع عشر الهجري :

٥٦) محمد بن أحمد الشهير بـ« المتولي» (ت١٣١٣هـ) صنف زهاء أربعين مصنفا في القراءات وغيرها من علوم القرآن كالتجويد والرسم والضبط والفواصل(٣) منها: «الوجوه المسفرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر»(٤) ونظم أحكام قوله تعالى: ﴿آلآن﴾(٥) و «الكوكب الدري في قراءة أبي عمرو البصري» نظم فيها ماخالف فيه أبو عمرو البصري حفصا من طريق الشاطبية(٦).

٥٧) حسن بن خلف الحسيني (ت١٣٤٢هـ) له «نظم في تحرير مسائل الشاطبية في القراءات السبع»(٧) جرى فيه على وزنها.

٥٨) إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني (ت١٣٤٩هـ) صنف «النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع»(٨) و«دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن»(٩) و «تنبيه الخلان إلى شرح الإعلان بتكميل مورد الظمآن»(١٠).

---

١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص٧٣٩.

٢) ماسبق ص٦٨٩ وهو الذي عناه الشيخ سليمان الجمزوري في قوله في متن «تحفة الأطفال» :

سميته بتحفة الأطفال   عن شيخنا الميهي ذي الكمال.

انظر تحفة الأطفال مع شرحها بغية الكمال ص ٩.

٣) هداية القاري (ملحق الأعلام) ص٧٠٨.

٤) مطبوع ضمن (إتحاف البررة بالمتون العشرة) ص١١٥-١٦٨.

٥) مطبوع ضمن المجموع السابق ص١١٢-١١٥.

٦) هداية القاري (ملحق الأعلام) ص٧٠٩.

٧) مطبوع مع شرحه «مختصر بلوغ الأمنية» لعلي محمد الضباع في هامش «سراج القاري لابن القاصح» - دار الفكر - بيروت.

٨) هداية القاري (ملحق الأعلام) ص٦٣٠.

٩) مطبوع حققه محمد الصادق قمحاوي . مكتبة الكليات الأزهرية.

١٠) مطبوع مع الكتاب السابق .

هذا مجمل ما كان من أمر تدوين القراءات عبر القرون حسب التسلسل التاريخي ؛ لتتضح الصورة الكلية بين يدي الفصول والمباحث التالية - إن شاء الله -.

الفصل الأول : تدوين القرءات في كتب العلوم الأخرى.

يتحدث هذا الفصل عن الكتابات الأولى في القراءات كيف ظهرت؟ وكيف سارت في ثنايا مدونات العلوم الأخرى؟.
وعليه فإن هذا الفصل يشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير.
المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .
المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

وسيتعرض هذا الفصل بصفة عامة لإبراز أهم القضايا التي طرقتها المصنفات في تلك العلوم، والتي من خلالها تظهر صورة من الصور التي نقل بها علم القراءات، وكيفية معالجة بعض قضاياه من خلال ذلك.

وإليك البيان :
المبحث الأول : القراءات في كتب علوم القرآن والتفسير .
وفيه مطلبان :
المطلب الأول : القراءات في كتب علوم القرآن .
المطلب الثاني : القراءات في كتب التفسير .

المطلب الأول : القراءات في كتب علوم القرآن .
المقصود هنا المصنفات الأولى في علوم القرآن، التي لم تكن شاملة لجميع أنواع علوم القرآن، ولكنها مفردة لنوع واحد فقط، وقد تشتمل على أكثر من نوع دون استيعاب.
وسيعرض هذا المطلب - إن شاء الله - للمواضع التي ورد فيها ذكر القراءات وما يتعلق بها في هذه المصنفات بإيجاز مبرزا أهم القضايا التي طرقتها تلك المصنفات حول القراءات .

ومن الكتب الأولى في علوم القرآن التي تشكل مرحلة التصنيف المفرد لنوع من أنواع علوم القرآن الكتب التالية :

١ - كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»(١) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (١٥٤-٢٢٤هـ).

يعتبر هذا الكتاب أكبر كتاب أصيل في موضوعه وأشمله(٢) بل هو أول محاولة تطبيقية لتدوين علوم القرآن العظيم بمعناها الشامل (٣) فهو يحتوي بين صفحاته على روايات في فضائل القرآن العظيم بصورة عامة وفضائل السور والآيات وآداب تلاوة القرآن وجمع القرآن والقراءات والقراء من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والمنسوخ تلاوة، ومنازل القرآن، وأول ما نزل وآخر مانزل وخواص القرآن العظيم، والاسترقاء به، والمصاحف وكل مايتعلق بما فيها من تنقيطها وتعشيرها ولغات القرآن وغيرها من البحوث(٤).

ومن الأبواب التي تضمنها هذا الكتاب مما له علاقة بالقراءات مايلي:

- جملة أبواب قراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم(٥).

منها : باب حامل القرآن وما يجب عليه أن يأخذ به من آداب القرآن، باب ما يستحب لحامل القرآن من أكرام القرآن وتعظيمه وتنزيهه، باب ما يؤمر به حامل القرآن من تلاوته بالقرآن والقيام به في الصلاة، باب مايستحب لقارىء القرآن من الترسل في قراءته والترتيل والتدبر، باب ما يستحب للقارىء من تحسين القرآن وتزيينه، باب القارىء يصعق من قراءة القرآن ومن كره ذلك وعابه.

- جماع أحاديث القرآن وايثاره في كتابه وتأليفه واقامة حروفه(٦).

منها : باب تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره، باب الزوائد من الحروف التي خالف فيها الخط في القرآن، باب ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، باب حروف القرآن التي اختلفت فيها مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق.. وهي إثنا عشر حرفا، هذه الحروف التي اختلفت

---

١) حققه لنيل درجة الماجستير الطالب محمد تجاني جوهري جامعة الملك عبدالعزيز بمكة (أم القرى حاليا) كلية الشريعة والدراسات الاسلامية - قسم الدراسات العليا شعبة الكتاب والسنة عام ١٣٩٣هـ.

ثم رأيته مؤخرا مطبوعا بتحقيق وهبي سليمان غاوجي - طبع دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى١٤١١هـ.

٢) مقدمة تحقيق كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ص٦٤.

٣) ما سبق ص٩١.

٤) ما سبق ص٦٤.

٥) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٤٩ - ١٤٦ وتضمن هذا القسم ثلاثة وعشرين بابا.

٦) ما سبق ص٢١٣-٣٦٣ وتضمن هذا القسم خمسة عشر بابا.

فيها مصاحف أهل الشام وأهل العراق وقد وافقت أهل الحجاز في بعض وفارقت بعضا باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن عليه بلغته، باب إعراب القرآن وما يستحب للقارئ من ذلك وما يؤمر به، المراء في القرآن والاختلاف في وجوهها وما في ذلك من التغليظ والكراهه.

- جماع أبواب المصاحف وما جاء فيها وما يؤمر به وينهى عنه(١).

منها : باب بيع المصاحف ومافيه من الرخصة والكراهة، باب نقط المصحف وما فيه من الرخصة والكراهة، باب تعشير المصاحف وفواتح السور ورؤوس الآي، باب تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة.

قلت : ويلاحظ مايلي :

(١) أن هذا الكتاب احتوى على جملة كبيرة من المباحث المتعلقة بعلم القراءات ، بله القراءات الكثيرة التي أوردها أو أشار إليها.

(٢) أنه تضمن جملة كبيرة من القراءات المخالفة لرسم المصحف العثماني.

(٣) أن الأحاديث والآثار التي يوردها أبوعبيد في كتابه هذا جميعها مسندة، ومنها المقبول والمردود.

(٤) تضمن الكتاب آراء أبي عبيد في كثير من المسائل من ذلك ما اختاره بالنسبة للقراءة الشاذة ومنزلتها في التفسير.

(٥) أن القراءات في هذا الكتاب برزت بروزا ظاهرا ولا غرو فإن لأبي عبيد مصنفا فيها.

٢ - كتاب «تأويل مشكل القرآن» لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وهو يتعلق بنوع المحكم والمتشابه من القرآن العظيم(٢).

تضمن هذا الكتاب مباحث في الذب عن القراءات، والرد على الطاعنين في القرآن العظيم من جهتها؛ إذ نجد ابن قتيبة رحمه الله تعالى يعقد بعد المقدمة العنوان التالي: «الحكاية عن الطاعنين»(٣) أورد فيه طعون هؤلاء في القرآن العظيم مصدرا ذلك باحتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَلَو

---

١) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٣٦٤-٣٧٧ ويتضمن هذا القسم ستة أبواب.

٢) سبقه في هذا الاتجاه قطرب (ت٢٠٦هـ) فقد ذكر في مصنفاته كتاب «الرد على الملحدين في متشابه القرآن» أو «فيما سأل عنه الملحدون من آي القرآن». فهرست ابن النديم ص٥٧، ٧٩.

٣) تأويل مشكل القرآن ص٢٤.

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ النساء:٨٢، وبقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت:٤٢.

وحكى قولهم : وجدنا الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم يختلفون في الحرف من القراءات مما يخالف بعضه بعضا والقراء يختلفون؛ فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض مايرفعه هذا، وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأي شيء بعد هذا الاختلاف؟.

وبعد إيراده لشبههم وجميع مالديهم في ذلك، عقد بابا عنوانه: «باب الرد عليهم في وجوه القراءات»(١) رد فيه عليهم وبسط قلمه وتفنن في ذلك وأبدع فيه ماشاء الله له أن يبدع وأبرز علمه ودرايته رحمه الله، وتحدث أثناء ذلك عن الأحرف السبعة والخلاف فيها.

ثم عقد بابا عنوانه: «ما أدعى على القرآن من اللحن»(٢) رد فيه على هؤلاء الملحدين شبههم في ذلك، وزيَّفَهَا، وأظهر عوار قولهم وفضح باطلهم، جزاه الله خيرا.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن الحديث عن القراءات عند ابن قتيبة في كتابه هذا إتخذ سبيلا غير ذاك السبيل الذي رأيناه عند أبي عبيد رحمه الله تعالى؛ إذ أن ابن قتيبة تعرض للقراءات من جهة الذب عنها وما يتعلق بالابانة عن معانيها من جهة تنوعها وما وجهه الملحدون من الطعون في القرآن العظيم عن طريقها.

(٢) أن إيراده للقراءات يختلف عن طريقة أبي عبيد؛ فإن ابن قتيبة لايسوق سندا لما يذكر من القراءات بَلْهَ الأحاديث والآثار إلا نادرا.

(٣) يؤخذ على ابن قتيبة في هذا الكتاب تلحينه لبعض القراءات، ورميه حمزة من القراء بالتخليط والاضطراب(٣) وهذا مما لا يسلم له(٤).

---

١) تأويل مشكل القرآن ص٣٣.

٢) ماسبق ٥٠ .

٣) تأويل مشكل القرآن ص٥٨، ٦١-٦٤.

٤) قال ابن قتيبة: « منهم (أي القراء) رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقرَّبه من القلوب بالدين، لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطا، ولا أشد اضطرابا منه...»اهـ. تأويل مشكل القرآن ص٥٩.

قال ابن مطرف الكناني في كتابه «القرطين» ٢/١٥-١٦ الذي جمع فيه بين كتابي ابن قتيبة: «تأويل مشكل القرآن» و «تفسير غريب القرآن» بعد إيراده كلاما لابن قتيبة قبل هذا: «وباقي هذا الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن على حمزة رحمة الله عليه، وكان أورع أهل زمانه مع خلو باقي الباب من فائدة»اهـ.

وصنف أبو القاسم عبدالله بن محمد العكبري (ت٥١٠هـ) كتابا في الانتصار لحمزة

(٤) أظهر هذا الكتاب سعة علم ابن قتيبة رحمه الله وإدراكه لأثر

سماه: «الانتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن» ذكر هذا الكتاب في كشف الظنون ١/١٧٣ ولم أقف عليه.

قلت : **يلاحظ مايلي** :

(أ) أن ما صدر من بعض أهل العلم من الطعن في بعض القراءات إنما صدر عنهم لأحد سببين - عندي - :

الأول : عدم ثبوت القراءة لديهم بأسانيد صحيحة إذ قد تشتهر قراءة لدى جماعة في مكان لم تبلغ درجة القبول بَلْهَ الاشتهار عند غيرهم، وهذا أمر أشار اليه ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ١٣/٣٩٢-٣٩٤.

الثاني : ثبوتها لديهم بأسانيد صحيحة، لكن قام لديهم ما يعارضها باجتهادهم، فيغلب على ظنهم وقوع الوهم والخطأ في القراءة عن طريق من نقلت عنه.

وملاحظة هذين الأمرين تبرىء ابن قتيبة وغيره من أهل العلم من تهمة قصد الطعن في القراءات المتواترة والله أعلم.

(ب) أن ابن قتيبة سُبِق فيما ذهب إليه كما أشار إلى ذلك هو نفسه في كتابه «تأويل مشكل القرآن» ص ٦٠ والحال في الطعن ممن سبق ابن قتيبة كالحال في الطعن منه يحمل على ما ذكرته .

(ج) أن ما ذكره ابن قتيبة من عيب قراءة حمزة مردّه غالبا إلى الرواة عن حمزة؛ حيث ذَكَرَ أهلُ العلم أن الرواة عن حمزة بالغوا وأفرطوا، ولم يضبطوا عنه، و **ما آفة الأخبار إلا رواتها**.

قال ابن مجاهد رحمه الله: « حدثني علي بن الحسن قال: قال محمد بن الهيثم: «واحتج من عاب قراءة حمزة بعبدالله ابن ادريس أنه طعن فيها، وإنما كان سبب هذا أن رجلا ممن قرأ على سليم - أضبط أصحاب حمزة - حضر مجلس ابن ادريس عبدالله فقرأ، فسمع ابن ادريس الفاظا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه، فكره ذلك ابن ادريس وطعن فيه.

قال محمد (ابن الهيثم) : وهذا الطريق عندنا مكروه مذموم وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه، وكذلك من أتقن القراءة من أصحابه»اهـ. كتاب «السبعة» ص٧٦-٧٧.

قال ابن الجزري : «أما كراهته (يعني: حمزة) الإفراط في ذلك فقد رُوِّينا عنه من طرق أنه كان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز : «لاتفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة»اهـ غاية النهاية ١/٢٦٣.

ومما يؤكد وقوع الوهم من الرواة عن حمزة وليس منه وأن ما أنكره أهل العلم على قراءة حمزة ليس منها إنما من وهم النقلة، مما يؤكد هذا ما ذكره ابن الجزري من أنّ بعض المتأخرين من شراح الشاطبية ذكر أشياء في وقف حمزة مما حاصله إن صح سنده أن يكون لا وجه له، أو ورد بسند ضعيف.

قال ابن الجزري معقبا على ذلك : «مع أني تتبعت ذلك فلم أجده منصوصا لحمزة لا بطريق صحيحة ولا ضعيفة»اهـ. النشر ١/١٦-١٧.

وينظر حول الرد على من طعن في قراءة حمزة : «السبعة» ٧١-٧٧ «جمال القراء» ٢/٤٧١-٤٧٦ «المرشد الوجيز» ص٢١٢-٢١٣ «غاية النهاية» ١/٢٦٣.

القراءات في تفسير القرآن العظيم، ولعل ذلك يظهر جليا في كتابه «تفسير غريب القرآن» وسيأتي الحديث عنه - إن شاء الله -.

٣ - كتاب «فضائل القرآن وما انزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة» لأبي عبدالله محمد بن أيوب بن يحي بن الضُريس(١).

اشتمل هذا الكتاب على أبواب تتعلَق بفضل تعليم القرآن وتلاوته وتعشير المصحف، ونحو ذلك.

وهذه الأبواب هي التالية :

باب الرجل يمر بآية تخويف ورحمة فيسأل أويتعوذ(٢) باب ما يقرأ به الأعرابي الجاهل بالقرآن(٣) باب ما قالوا في الماهر بالقرآن(٤) باب فيمن كره التعشير في المصحف(٥) باب الرجل إذا ختم القرآن ما يصنع(٦) باب ما قيل في فضل الألف واللام من القرآن(٧) باب فيمن قال القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة(٨) باب يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرقه، باب في فضل من تعلم القرآن وعلمه(٩).

هذا غير الأبواب المتعلقة بفضائل السور، والمتعلقة بنزول القرآن العظيم.

ويلاحظ : أن هذا الكتاب لم يتعرض للقراءات إلا من جهة ما يتعلق بفضل قراءة القرآن العظيم، ومن جهة كتابة المصحف وتعشيره فقط، وهو لايورد شيئا إلا بالسند، وفيما أورد المقبول والمردود.

٤ - كتاب «فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل، وفي كم يقرأ، والسنة في ذلك» لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي(١٠).

---

١) البجلي الرازي أبوعبدالله من حفاظ الحديث مات بالري سنة٢٩٤هـ. الأعلام ٤٦/٦.
٢) فضائل القرآن لابن الضريس ص٦٦.
٣) ماسبق ص٦٨.
٤) ماسبق ص٨١.
٥) ماسبق ص٨٤.
٦) ماسبق ص٨٨.
٧) ماسبق ص٩١.
٨) ماسبق ص١٠٤.
٩) ماسبق ص١٣٢.
١٠) جعفر بن محمدأبوبكر الفريابي قاض من العلماء بالحديث تركي الأصل من أهل فرياب (من ضواحي بلخ) حدَّث بمصر وبغداد ورحل رحلة واسعة (٢٠٧-٣٠١هـ). الأعلام ١٢٧/٢.

تضمن الموجود من هذا الكتاب أبوابا حول فضل قراءة القرآن وترتيله كما يأتي:

باب في فضل القرآن وقراءته(١) باب فضل القرآن والاستماع وتعاهد القرآن(٢) باب ختم القرآن وما جاء فيه(٣) باب الوقف في قراءة القرآن، والجمع في السور وكيف كانت قراءة رسول الله ﷺ وترتيله وفي كم يقرأ القرآن والسنة في ذلك(٤) باب النظر في المصحف(٥) باب ما جاء في تعاهد القرآن عن النبي ﷺ (٦).

هذا عدا بعض الأبواب المتعلقة بفضائل السور.

ويلاحظ :

(١) أن هذه الأبواب لم تتعرض مباشرة لموضوع القراءات، إلا أن الناظر يجد كلمة: «الوقف في قراءة القرآن» وهي تشير إلى علم الوقف والابتداء في قراءة القرآن العظيم وهو أحد العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات(٧).

(٢) أنه لم يسق شيئا من الروايات إلا بالسند وفيما أورده المقبول والمردود.

(٣) أن الموجود من هذا الكتاب لايشمل جميع الكتاب.

٥ - كتاب «المصاحف» لأبي بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٣٠٦هـ).

تضمن هذا الكتاب نصوصا كثيرة، تتعلق بالقراءات، وبرسم المصحف، وبكتابته، وهو يعد من أهم المصنفات في بابه؛ فقد نقل إلينا نصوصا عزيزة

---

١) فضائل القرآن للفريابي ص١٠٩.
٢) ماسبق ص١٦٧.
٣) ما سبق ص١٨٩.
٤) ما سبق ص٢٠٥.
٥) ماسبق ص٢٢٩.
٦) ماسبق ص٢٣٣.
٧) وباقي العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات :
(أ) علم العربية. (ب) علم التجويد وهو معرفة مخارج الحروف وصفاتها. (ج) علم الرسم (رسم المصحف). (د) علم الفواصل وهو معرفة عدد الآيات. (هـ) علم الأسانيد وهوالطرق الموصلة إلى القرآن العظيم، وهو من أهم العلوم إذ الأصل في القراءات النقل فالقراءة سنة متبعة. (و) علم الإبتداء والختم وهو الاستعاذة والتكبير ومتعلقاتها. غيث النفع ص٢١-٢٢.

تتعلق بالقرآن من جهة جمعه وترتيبه واختلاف مصاحف الصحابة(١) مما يجعله بحق فريدا بين الكتب المصنفة في هذا المجال .

فمن أبوابه :

باب اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الإمام(٢) باب اختلاف مصاحف الصحابة(٣) حيث أورد ما يتعلق بمصحف عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص ومصحف عائشة وأم سلمة(٤) رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا.

ثم ذكر اختلاف مصاحف التابعين(٥) فذكر مصحف عبيد بن عمير الليثي وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهد(٦) وسعيد بن جبير والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومحمد بن أبي موسى وحطان بن عبدالله الرقاشي(٧) وصالح بن كيسان(٨) وطلحة بن مصرف(٩) وسليمان بن مهران الأعمش.

وقد تضمن هذا الباب الكثير مما يتعلق برسم المصحف وترتيبه.

ومن العناوين في كتاب : «المصاحف» ما اجتمع عليه كتاب المصاحف(١٠) ماكتب في المصاحف على غير الخط(١١) باب ماغير الحجاج في مصحف عثمان(١٢).

---

١) سبقه في هذا الاتجاه الكسائي (ت١٨٩هـ) حيث صنف كتاب: «اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة والشام في المصاحف». فهرست ابن النديم ص٥٤.

٢) المصاحف لابن أبي داود ص٤٩.

٣) ماسبق ص٦٠.

٤) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم المخزومية، أم سلمة أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع وقيل: ثلاث ماتت سنة٦٢هـ وقيل :٦١هـ وقيل قبل ذلك، والأول أصح. «التقريب» ص٧٥٤.

٥) المصاحف لابن أبي داود ص٩٨.

٦) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين مات سنة ١٠٣هـ وقيل:١٠٤هـ وقيل:١٠٢هـ. غاية النهاية ٤١/٢.

٧) حطان بن عبدالله الرقاشي ويقال : السدوسي كبير القدر صاحب زهد وورع و علم مات سنة نيف وسبعين قاله الذهبي تخمينا. غاية النهاية ٢٥٣/١.

٨) صالح بن كيسان المدني أبو محمد أو أبو الحارث، مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز ثقة ثبت فقيه مات بعد سنة ثلاثين ومئة أو بعد أربعين ومئة. التقريب ص٢٧٣.

٩) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد ويقال : أبوعبدالله الهمداني اليامي الكوفي تابعي كبير كان يسمى سيد القراء مات سنة ١١٢هـ. غاية النهاية ٣٤٣/١.

١٠) المصاحف لابن أبي داود ص١١٧.

١١) ماسبق ص ١٢٨.

١٢) ماسبق ص١٣٠.

باب كتابة المصاحف، أخذ الأجرة على كتابة المصاحف(١) تعظيم المصاحف(٢) تصغير المصاحف(٣) كتابة الفواتح والعدد في المصاحف(٤) كتابة العواشر في المصاحف(٥) باب نقط المصاحف(٦) بيع المصاحف وشراؤها(٧) وغير ذلك.

ويلاحظ : أن في ما أورده ابن أبي داود في كتابه هذا المقبول والمردود، ولا ضير عليه في هذا، إذ لم يسق شيئا إلا بالسند فقد برئت عهدته من ذلك، ومن أسند لك فقد أحالك (٨) والله أعلم.

٦ - كتاب «أخلاق أهل القرآن» لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري(٩).

موضوع هذا الكتاب في عنوانه، وهو يمس جانبا مهما في القراءات (أعني: ما يتعلق بآداب القارىء والمقرىء) وهو يتضمن ثمانية أبواب اشتملت على أربعة وستين نصا ما بين مرفوع و موقوف و مقطوع(١٠)

---

١) المصاحف لابن أبي داود ص١٤٥.
٢) ماسبق ص ١٥١.
٣) ماسبق ص١٥١.
٤) ماسبق ١٥٣.
٥) ماسبق ص١٥٤.
٦) ما سبق ص١٥٨.
٧) ماسبق ص١٧٦.
٨) جرى المحدثون في القرون الأولى على رواية مايقع في روايتهم في الموضوع الذين هم بصدد التصنيف فيه، دون تحري للمقبول منه - إلا من اشترط منهم ذلك -.
والسر في ذلك - كما نبه أهل العلم - أنهم كانوا لايروون شيئا إلا بإسناد وكان ذكر الإسناد من جملة البيان عندهم، إذ يحيلون الناظر على الكشف عن السند، وكانوا يرون ذمتهم تبرأ بذلك.
وهذا يلاحظ في مصنفات أبي نعيم الأصبهاني والطبراني وابن أبي داود والطبري وغيرهم.
أما في هذه الأعصار فإن الذمة لاتبرأ برواية المردود دون بيان لضعفه ورده، لعدم الأمن من المحذور، إذ تقاصرت علوم أكثر الناس عن معرفة الإسناد ومراتب الحديث والله أعلم. أنظر : التبصرة والتذكرة ١/١٧٢ فتح المغيث للسخاوي ١/٢٥٤ .
٩) فقيه شافعي محدث نسبته إلى آجر من قرى بغداد (ت٣٦٠هـ). الأعلام ٦/٩٧.
١٠) المرفوع : هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة ولايقع مطلقه على غير ذلك.
الموقوف : مايروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم وأفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ.
المقطوع وهو غير المنقطع، وهو ما جاء عن التابعين موقوفا عليهم من أقوالهم أو أفعالهم ولم يتجاوز به إلى الصحابة رضوان الله عليهم . مقدمة ابن الصلاح

واشتملت المقدمة عل ستة نصوص، فصار مجموع مافي الكتاب تسعين نصا(١)
أما الأبواب فهي التالية :

باب فضل حملة القرآن(٢) باب فضل من تعلم القرآن وعلمه(٣) باب فضل الإجتماع في المسجد لدرس القرآن(٤) باب ذكر أخلاق أهل القرآن(٥) باب أخلاق من قرأ القرآن لايريد به إلا الله عزوجل(٦) باب ذكر أخلاق المقرئ إذا جلس يقرأ ويلقن لله عزوجل، ماذا ينبغي له أن يتخلق به(٧) باب ذكر أخلاق من يقرأ على المقرئ(٨) باب آداب القراء عند تلاوتهم القرآن مما لاينبغي لهم جهله(٩).

ويلاحظ : أن الحال في النصوص الواردة في هذا الكتاب كالحال في النصوص الواردة في كتاب ابن أبي داود «المصاحف» والكتاب مع كونه يلمس جانبا مهما في القراءات، بيد أنه يخلو من نصوص تتعلق بأداء كلمات القرآن أو رسم المصحف والله أعلم.

٧ - كتاب «الإبانة عن معاني القراءات» لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

يتحدث هذا الكتاب(١٠) عن حديث :«أنزل القرآن على سبعة أحرف»(١١) فاشتمل على بيان صلة القراءات السبعة بالأحرف السبعة، وعن إشتمال المصاحف العثمانية على جميع الأحرف السبعة أو أحدها فقط، أو

ص٤١-٤٣.

١) اعتمدت في هذه العدة على الطبعة التي حققها محمد عمرو بن عبداللطيف بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث - دارالكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٢) أخلاق أهل القرآن ص٤٥.
٣) ماسبق ص٦١.
٤) ماسبق ص٦٩.
٥) ماسبق ص٧٧.
٦) ماسبق ص ٨٧.
٧) ماسبق ص١١١.
٨) ماسبق ص١٣٥.
٩) ماسبق ص ١٤٥.
١٠) قال مكي بن أبي طالب في مقدمة كتاب «الإبانة»: «هذا كتاب أبين فيه - إن شاء الله - معاني القراءات وكيفيتها ومايجب أن نعتقد فيها، مع مايتصل بذلك من فوائدها وغرائب معانيها وما علمت أن أحدا تقدمني إلى مثل كتابي هذا فيما جمعت وبينت فيه، أعظم الله عليه الأجر، وأكمل به الذخر، وجعله لوجهه خالصا ولا جعله رياء ولا سمعة»اهـ. الإبانة ص٣١-٣٢.
١١) الإبانة ص ٣٣.

مايحتمله الرسم منها مبينا الخلاف في ذلك(١) كما تحدث عن أقسام القراءات من جهة القبول(٢) وعن جمع القرآن وسببه وكيفيته(٣) وبيّن السبب - من وجهة نظره - في اشتهار القراء السبعة دون من هو فوقهم، والسبب في جعلهم سبعة(٤) ثم ذكر من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ (٥) وختم كتابه بالتمثيل لاختلاف القراء في سورة الفاتحة مما هو جزء من الأحرف السبعة(٦).

والواقع أن مكي رحمه الله استوعب الحديث عن الموضوع وبرع فيه ووفق فيه أيما توفيق، ولم يخل كتابه من لفتات جديدة بديعة، ونظرات ثاقبة في الموضوع مما جعل كتابه بحق معتمد دارسي القراءات والمشتغلين بالدراسات القرآنية(٧).

ويلاحظ : أن كتاب مكي جاء متخصصا في مباحث القراءات يتحدث عنه بصورة واضحة، ارتسمت لديه حقيقة العلم وهيئته ويحتاجه كل من يطالع علم القراءات، ويريد فهم خلفياته.

ولا غرو في ذلك فإن مكي بن أبي طالب له كتاب في القراءات السبعة اسمه «التبصرة» كما أن له كتابا في توجيه القراءات وكتابا في إعراب مشكل القرآن يأتي الحديث عنهما -إن شاء الله-.

---

١) الإبانة ص٣٨-٤٩.
٢) ماسبق ص٥٧-٦٣.
٣) ماسبق ص٦٤.
٤) ماسبق ص١٠٢.
٥) ماسبق ص١٠٤.
٦) ماسبق ص١٣١.
٧) مقدمة تحقيق «الابانة» ص٢٢.

وبعد هذه الجولة في بعض المصنفات المفردة لنوع من أنواع علوم القرآن والتي تشكل المراحل الأولى في تدوين علوم القرآن يلاحظ التالي :

(١) أن القراءات شغلت حيزا لايستهان به في المصنفات الأولى في علوم القرآن وحق للقراءات أن تحظى بهذا الاهتمام لما لها من صلة مباشرة بالقرآن العظيم .

(٢) أن صور الإهتمام بالقراءات تنوعت، ولم تقتصر على جانب فرش الحروف وكيفية الأداء، مما أثرى المباحث المتعلقة بهذا العلم إثراء ظاهرا.

(٣) أن علم القراءات متداخل مع أنواع من علوم القرآن فهو يتداخل مع علم نزول القرآن، وعلم فواصل القرآن، وعلم متشابه القرآن، وعلم رسم القرآن، وعلم فضائل القرآن، وعلم آداب تلاوته، وأنواع أخرى.

ولعل من أبرز تشابك القراءات مع علوم القرآن، هو تداخلها مع علم التفسير؛ فكيف كانت صورة هذا التداخل بين القراءات والتفسير في المدونات الأولى في التفسير؟.

هذا موضوع المطلب التالي - إن شاء الله - .

المطلب الثاني : القراءات في كتب التفسير .

لقد دونت جملة من النصوص المتعلقة بالقراءات في ثنايا المصنفات الأولى في التفسير؛ إذ أن اهم العناصر المرجوع إليها في تفسير القرآن العظيم بالإضافة إلى الروايات الواردة عنصرين يتصلان مباشرة باللفظ القرآني، هما :

(١) عنصر القراءة .

(٢) عنصر الإعراب .

وكان المفسرون الأولون مأخوذين بلزوم الالتفات إلى القراءات والاعتماد عليها، حتى أن رجحان قراءة من القراءتين يرجح أحد المعنيين المفروضين في تفسير الآية، وأن رجحان أحد المعنيين قد يرجح أيضا إحدى القراءتين على الأخرى، فكان عنصر القراءة الذي دخل في تفاسير القرن الثاني إستمدادا لقضايا منقولة من علم القراءات أستخدمت في إيضاح المعاني وتقريرها(١).

والمقصود هنا إستعراض بعض الكتب المصنفة في قرون الإسلام الأولى لتفسير القرآن العظيم، لمعرفة مدى ما نقلته في ثناياها من نصوص تتعلق بالقراءات وكيفية تناولها فيها و إهتمامها بها غاية الإهتمام.

ومن هذه الكتب :

١ - كتاب التفسير لسفيان بن سعيد الثوري(٢).

من أول المصنفات في تفسير القرآن العظيم(٣).

يتضمن هذا الكتاب بضعا وستين نصا في القراءات(٤) ومن الأمور

---

١) التفسير ورجاله ص٢٣-٢٥.

٢) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبوعبدالله الكوفي إمام كبير أحد الأعلام علما وعملا، توفي سنة ١٦١هـ بالبصرة. غاية النهاية ١/٣٠٨.

٣) من الكتب المؤلفة في الموضوع كتاب «سفيان الثوري وأثره في التفسير» لهاشم المشهداني - دار الكتب للطباعة - بغداد - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٤) هذا حسب إحصائي الخاص من خلال «تفسير سفيان الثوري» المطبوع بتحقيق إمتياز عرشي، خلافا لما ذكره صاحب كتاب «سفيان الثوري وأثره في التفسير» ص٢٨٦-٢٨٧ حيث قال: «أورد الثوري ١٣٢ رواية في القراءات في تفسيره، و ٥٠ رواية في القراءات نقلتها عنه المصادر الأخرى غير كتابه في التفسير»اهـ بتصرف.

قلت : ويغلب على ظني أن العدة أنعكست عليه؛ فما عده في كتاب التفسير هو من

اللافتة للنظر مايأتي :

(١) إهتمامه بقراءة عبد الله بن مسعود، ويعبر عنها تارة بقوله: «كان أصحاب عبد الله يقرؤنها..»(١) أو يقول: «في قراءة عبد الله..»(٢).

(٢) انفراده في مواضع بنقل قراءات عن عبد الله بن مسعود لم ينقلها عنه غيره(٣).

(٣) نقله قراءات عن عبد الله بن عباس(٤) وعن مجاهد(٥) وعن غيرهما(٦) ولكنها قليلة بالنسبة لما ينقله عن ابن مسعود.

(٤) وقفت له على نص وجّه فيه معنى الآية باختلاف القراءات في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم :٧٣.

قال سفيان الثوري :«من قرأها: ﴿خَيْرٌ مُّقَاماً﴾ (يعني: بضم الميم) فإنما يعني: مقامه الذي يقيم فيه الدهر، والذي يقرأها ﴿خَيْرٌ مَّقَاماً﴾ (يعني: بفتح الميم) فإنما يعني المقامة التي يقيم فيها» اهـ(٧).

٢ - كتاب «معاني القرآن» لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ).

يهتم هذا الكتاب ببيان معاني المشكل من الآيات وبتوجيه القراءات

حق عدة المصادر الأخرى، وما عده في المصادر الأخرى حقه كتاب التفسير والله أعلم.

١) تفسير الثوري ص٤٤، ٤٧، ٦٥، ٦٧، ٨٠، ٨٢، ١٠٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٨، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٢٤، ٢٧٢، ٢٧٤.

٢) ماسبق ص ٤٥، ٦٤، ١٠٠، ١٢٩، ١٣٤ موضعان، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٥، ١٩٣، ٢١٨، ٢٥٠ موضعان، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٢ موضعان ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٣.

٣) نبه على ذلك الأستاذ: إمتياز عرشي في تحقيقه لتفسيرالثوري في مواضع منها في هامش ص٤٤.

٤) تفسير الثوري ص٥٣، ٥٦، ٧٢، ٨١، ١٢٠، ١٣٠، ١٨٤، ٢٢٤.

٥) ماسبق ص٧١، ٢١٨.

٦) كقوله في تفسيره ص٤١: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون..» وكقوله ص٧٦ : «قرأ الأسود (يعني ابن يزيد)..» ونقل ص١٨٤ قراءة عن أنس، ونقل ص٨٢ قراءة عن أبي عبدالرحمن السلمي.

٧) تفسير الثوري ص١٨٨.

ويلاحظ : أن هذا الاتجاه من سفيان (أعني: توجيهه لمعنى الآية على القراءاتين) قد سبقه إليه بعض التابعين كقتادة وغيره، وقد أشار إلى ذلك السيوطي في «الإتقان» (أبوالفضل) ٤/١٩٣-١٩٤.

اهتماما بينا، ويحتفل بالشاهد القرآني على القاعدة النحوية أكثر من احتفاله بالشاهد الشعري، فتراه يقول: «الكتاب (يعني: القرآن) أعرب وأقوى في الحجة من الشعر»اهـ (١).

ويلاحظ الناظر في كتاب الفراء الأمور التالية :

(١) أنه يشير غالبا إلى القراءات بصيغ مختلفة لا يصرح فيها صراحة باسم صاحب القراءة كقوله: «قرأ بعضهم..» (٢) و «قرأ بعض القراء..»(٣) و «اجتمع القراء..»(٤) و «قرأت القراء..»(٥) و «قرأ بعض أهل المدينة..»(٦).

(٢) أنه يعين أحيانا أسماء بعض القراء كتصريحه مثلا بقراءة عبدالله بن مسعود(٧) وأبي بن كعب(٨) و عاصم(٩) ويحي بن وثاب(١٠) وعبدالله بن عباس(١١) و حمزة(١٢) والحسن البصري(١٣).

(٣) أنه يهتم بتوجيه القراءات نحويا وتفسيريا(١٤).

(٤) أنه مع احتفاله بالشاهد القرآني قد طعن في بعض القراءات كقوله: «وقد خفض الياء من قوله: ﴿... بِمُصْرِخِيّ﴾ [إبراهيم:٢٢] الأعمش ويحي بن وثاب جميعا، حدثني القاسم بن معن عن الأعمش عن يحي أنه خفض

---

١) معاني القرآن للفراء ١٤/١.
ولذلك يُعَد الفراء من الأوائل الذين نادوا بـ«أن القرآن أولى مما سواه عند تقعيد قواعد النحو» «نظرية النحو القرآني» ص٣٨.
والفراء هو يحي بن زياد بن عبدالله بن منصور أبوزكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بـ«الفراء» شيخ النحاة توفي سنة ٢٠٧هـ. غاية النهاية ٣٧١/٢.
٢) معاني القرآن للفراء ١٩/١،٨٣.
٣) ما سبق ١٤/١،١٩،٢٨،٧١-٧٢،٨٣....
٤) ما سبق ٣/١...
٥) ماسبق ٩/١،١٧،٧٧،٨٣.. .
٦) ما سبق ٧٥/١.. .
٧) معاني القرآن للفراء ٣١/١،٤٣،٥٣،٥٥،٦٩،٧٠،٧٣،٧٥،٧٨،٧٩.. .
٨) ما سبق ٤٣/١،٧٣،٧٥.. .
٩) ما سبق ٩/١،١٣.. .
١٠) ما سبق ٧٨ .. .
١١) ما سبق ٦٤/١،٧٥ .. .
١٢) ما سبق ٧٠/١.. .
١٣) ما سبق٢٤/١،٧٠...
١٤) هذا ظاهر في الكتاب - معاني القرآن للفراء - جميعه، من ذلك ٣/١،٥، ١١،١٣،١٤... .

الياء.

قال الفراء: «ولعلها من وهم القراء طبقة يحي فإنه قل من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الباء في ﴿... بمصرخي﴾ خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم خارجة من ذلك» اهـ(١).

قلت: وهذه القراءة التي وهمها الفراء رحمه الله هي قراءة حمزة(٢) ويظهر - والله أعلم - أن توهيم الفراء لهذه القراءة ولغيرها يدور حول أحد سببين:

الأول: عدم ثبوتها لديه.

الثاني: ثبوتها لديه مع قيام مانع عنده من قبولها.

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه لايوجد مايدل على تواتر هذا الحرف عنده؛ وبالتالي لا يقال: إنه رد قراءة متواترة عنده والله اعلم.

٣ ـ كتاب «معاني القرآن» لسعيـد بن مسعدة البلخي (الأخفش)(٣).

درس الأخفش في كتابه القرآن العظيم لغة ونحوا وقراءة ما أمكنته السبيل إلى ذلك؛ فكانت القراءات القرآنية ركنا من أركان مصنفه، شأنه في ذلك شأن غيره ممن درس القرآن العظيم.

ومجمل ما يلاحظه الناظر في كتاب الأخفش «معاني القرآن» من جهة القراءات يدور حول الأمور التالية(٤):

(١) يذكر الأخفش وجوها من الإعراب واللغة والأبنية، ويناقشها؛ إما مؤيدا و إما منكرا أو مسويا بين الأوجه أو مفضلا لبعضها على بعض، ويبني ذلك غالبا على قراءات نقلت عن القراء أو بعضهم.

(٢) ينكر الأخفش وجود قراءات يثبتها غيره، ويلاحظ أنها غالبا

---

١) معاني القرآن للفراء ٢/٧٥ ومما يجدر التنبه إليه هنا:
أن الفراء حكم على القراءة بكسر الياء الثانية في: ﴿مُصْرِخِيِّ﴾ أنها وهم، بينما ينقل عنه الداني في التيسير ص١٣٤ أنه قال عنها: «هي لغة» وحكى صاحب دراسات لأسلوب القرآن ق ١ ج١ ص٢٣ عن الفراء أنه قال: «إنها لغة بني يربوع».»

٢) السبعة لابن مجاهد ص٣٦٢ التيسير ص١٣٤.

٣) المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط نحوي عالم باللغة والأدب توفي سنة ٢١٥هـ. الأعلام ٣/١٠١.

٤) استعرض محقق كتاب «معاني القرآن» للأخفش في دراسته للكتاب ١/٦٥-٨٢ القراءات في كتاب الأخفش وما ذكرته هنا مستفاد منه.

تكون من الشواذ.

(٣) يبني الأخفش إختياره للقراءات على أحد الأوجه التالية :

(أ) رسم المصحف .

(ب) لغات القرآن العظيم .

(ج) أساليب كلام العرب .

(د) أخذ أكثر القراء أو العامة منهم بها .

(هـ) ويراعي في ذلك التوجيه التفسيري للقراءة .

(٤) القراءة الغالبة في كتاب الأخفش هي قراءة عاصم برواية حفص .

٤ - كتاب «تفسير غريب القرآن»(١) لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).

تضمن هذا الكتاب كلاما على معاني غريب القرآن، ومن السمات المشاهدة فيه كلامه على معاني الآية باعتبار القراءات ومن ذلك :

(١) في قوله تعالى: ﴿لاتَقُولُوا رَاعِنَا﴾ البقرة :١٠٤، قال :" ﴿رَاعِنَا﴾ من رعيت الرجل إذا تأملته، وتعرفت أحواله... ومن قرأها: ﴿رَاعِنًا﴾ بالتنوين أراد اسما مأخوذا من الرعن والرعونة، أي: لاتقولوا حمقا وجهلا» اهـ(٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ البقرة : ٢٥٩، قال : «بالراء أي: نحييها... ومن قرأ﴿نُنْشِزُها﴾ بالزاي؛ أراد نحرك بعضها إلى بعض ونزعجه» اهـ(٣).

(٣) في قوله تعالى : ﴿... تَساءَلون بهِ والأرحامَ﴾ النساء : ١، قال : «من نصب؛ أراد اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ومن خفض أراد الذي تساءلون به وبالأرحام» اهـ(٤).

ويلاحظ : أن ابن قتيبة لم يقتصر فيما يورده من قراءات على ما يوافق الرسم منها، كما أنه لايورد سند مايورده من قراءات .

---

١) طبع بتحقيق سيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

٢) تفسير غريب القرآن ص٦٠.

٣) ماسبق ص٩٥.

٤) ماسبق ص١١٨.

٥ - كتاب «التفسير» لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ).

من كتب التفسير بالمأثور.

تضمن جملة من النصوص في القراءات بلغ عددها ثلاثة عشر نصا(١)

ويلاحظ مايلي :

(١) أنه يروي هذه النصوص بسنده، ومنها المقبول (٢) ومنها المردود (٣).

(٢) أنه نقل بعض القراءات الصحيحة السند المخالفة لرسم المصحف(٤).

(٣) أنه اكتفى بالرواية المجردة، فلم يعلق على القراءات بتوجيه تفسيري أو نحوي(٥).

٦ - كتاب «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

من كتب التفسير الجامعة بين الرواية والدراية .

يلاحظ الناظر في هذا الكتاب الأمور التالية :

(١) اهتمام الطبري رحمه الله بالقراءات إهتماما بينا ظاهرا، فهو يوردها ويوجهها نحويا وتفسيريا - غالبا -.

(٢) إهتم في تفسيره ببيان أثر القراءات في معاني الآيات .

(٣) يؤخذ على الطبري موقفه من بعض القراءات الذي يتلخص

---

١) هذا من خلال الطبعة المحققة لتفسير النسائي ، وأرقام النصوص التي تضمنت القراءات في هذا الكتاب هي :١٥، ١٦، ٣٩، ٦٦، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٢٦، ٥٢٥، ٥٤٧، ٥٨٦، ٦٢٢، ٦٩٦.
وقد أسقط المحققان الفاضلان من فهرس القراءات آخر الكتاب ٢/٨٥٩ النص رقم: ١٦، ٢٧٧ وذكرا النص رقم ٧٣ ، ١٢٣ ولاعلاقة لهما بالقراءات.

٢) تفسير النسائي النص رقم : ١٥، ٣٩، ٦٦، ٢٧٥-٢٧٧.

٣) ماسبق النص رقم ٦١ وهو النص الضعيف الوحيد من ضمن النصوص التي أوردها النسائي في تفسيره حول القراءات.

٤) ماسبق النص رقم ٥٤٧، ٦٩٦.

٥) وهذا يتمشى مع كون كتابه من كتب التفسير بالمأثور، ولو علق أو وَجَّه أو أعرب لعُدَّ كتابه من كتب التفسير الجامعة بين الرواية والدراية.

في الأمرين التاليين :

الأول : تفضيله بين القراءات الصحيحة(١).

الثاني : إنكاره لبعض القراءات الصحيحة(٢).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : «أول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري بعد الثلاثمئة، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوي(٣) : «قال لي شيخنا أبوالقاسم الشاطبي رحمه الله : إياك وطعن الطبري على ابن عامر».»اهـ(٤).

٧ ـ كتاب «معاني القرآن وإعرابه»(٥) لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) .

تضمن هذا الكتاب تفسيرا لغويا للقرآن الكريم بحسب ترتيبه، إهتم فيه بالقراءات وأثرها في تفسير القرآن العظيم ويلاحظ مايلي :

(١) أنه يهتم كثيرا بإيراد القراءات في تفسيره والإشارة إلى معانيها.

(٢) أن القراءات التي يوردها عرية عن السند، فقط يكتفي بعزوها إلى أصحابها.

---

١) وقد تكلم عن هذا الموقف عند الطبري د/ لبيب السعيد في كتابه «دفاع عن القراءات المتواترة» ص٢٠-٢٢.

٢) دفاع عن القراءات المتواترة ص٢٢-٢٤.

٣) كلامه في «جمال القراء» ٢/ ٤٣٤.

٤) النشر ٢/ ٢٦٤ وقد اهتم أهل العلم برصد هذا الإتجاه عندالطبري وغيره (أعني: إنكارهم لبعض القراءات). فألف ابن الجزري كتابه: «النشر في القراءات العشر» الذي تضمن أثناء كلامه على فرش الحروف الرد على أغلب من أنكر قراءة من العشر و كتب الدكتور/ لبيب السعيد كتابه: «دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر» و كتب محمد عارف عثمان موسى الهرري كتابه: «القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة» وكتب غيرهم أيضا في الموضوع كتابات متناثرة .

والحال في الطبري وغيره هو الحال الذي ذكرته في ابن قتيبة اعني : ما ذكرته من الأعذار في الذب عن ابن قتبة يشمل أيضا الطبري رحمهم الله جميعا وغفرلنا ولهم.

٥) مطبوع بتحقيق د/ عبدالجليل عبده شلبي - عالم الكتب - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٣) يهتم رحمه الله ببيان أن القراءة سنة متبعة لايسوغ الاجتهاد والرأي فيها، من ذلك قوله :

(أ) - «... فأما القرآن فلا يقرأ فيه «الحمد» إلا بالرفع؛ لأن السنة تتبع في القرآن، ولايلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة. والرفع القراءة»اهـ(١).

(ب) - «ولاينبغي أن يقرأ بما يجوز (يعني: لغة) إلا أن تثبت به رواية صحيحة، أو يقرأ به كثير من القراء»اهـ(٢).

(ج) -«... فإن القراءة سنة، ولايجوز أن يقرأ قارىء بما لم يقرأ به الصحابة أو التابعون، أو من كان من قراء الأمصار المشهورين في القـــراءة»اهـ(٣).

(٤) أنه يهتم ببيان معنى القراءات، فمن ذلك :

(أ) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ البقرة:١٠، قال: «ويُقرأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ فمن قرأ: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف فإن كذبهم قولهم: إنهم مؤمنون، قال الله عزوجل: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] وأما: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتثقيل فمعناه: بتكذيبهم النبي ﷺ »اهـ(٤).

(ب) في قوله تبارك وتعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ البقرة:٦١، قال: «الأكثر في القراءة إثبات الألف، وقد قرأ بعضهم: ﴿اهْبِطُوا مِصْر فَإِنَّ لَكُمْ﴾ بغير ألف؛ فمن قرأ: ﴿مصرا﴾ بالألف فله وجهان:

جائز أن يراد بها مصرا من الأمصار؛ لأنهم كانوا في تيه.

وجـــائز أن يكون أراد مصر بعينها فجعل مصرا اسما للبلد فصــرف.»اهـ(٥).

(ج) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿... فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾ البقرة:٢٦٥، قال: «أي: ثمرها، ويقرأ: ﴿أُكْلَهَا﴾ (يعني: بتسكين الكاف) والمعنـى واحـد»اهـ(٦).

---

١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥/١.
٢) ماسبق ٥١/١.
٣) ماسبق ٤٨٢/١.
٤) ماسبق ٨٧/١.
٥) ماسبق ١٤٤/١.
٦) ماسبق ٣٤٨/١.

٨ ـ كتاب «معاني القرآن الكريم»(١) لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بـ« النحاس».

تضمن هذا الكتاب تفسيرا للقرآن بحسب ترتيب المصحف(٢) و **يلاحظ الناظر فيه الأمور التالية :**

(١) اهتمامه بنقل أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن العظيم.

(٢) لايورد - غالبا - أسانيده فيما يسوقه من أحاديث وآثار.

(٣) عدم إقتصاره فيما يورده من قراءات على السبع أو العشر، بل يورد كذلك ماوافق الرسم و ماخالفه.

(٤) اهتمامه ببيان معنى القراءات، وأثرها في الآية، فمن ذلك :

(أ) في قوله تبارك وتعالى: ﴿**شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ...**﴾ آل عمران:١٨. قال النحاس: «... وقرأ الكسائي بفتح « أن» في قوله : ﴿ **أنَّه لاإلَهَ إلا هُوَ**﴾ وفي قوله : ﴿**إِنَّ الدِّين عِنْدَ اللّه الإسلام**﴾[آل عمرآن:١٨،١٩]قال أبوالعباس محمد بن يزيد: « التقدير على هذه القراءة: أن الدين عند الله الإسلام، بأنه لاإله إلا هو، ثم حذفت الباء... قال الكسائي: أنصبهما جميعا بمعنى: شهد اللّه أنه كذا، وأن الدين عند الله الإسلام، ويكون أيضا بمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الاسلام.

وقرأ ابن عباس فيما حكى الكسائي: «شهد الله إنه لاإله إلا هو» (يعني: بكسر همزة «إن»).

وقرأ: ﴿**إن الدين عند اللّه الإسلام**﴾ والتقدير على هذه القراءة: شهد الله أن الدين الاسلام، ثم ابتدأ فقال: إنه لا إله إلا هو.

وروى محارب بن دثار(٣) عن عمه أبي المهلب أنه قرأ - وكان قارئا - «شهداء لله».» اهـ(٤).

(ب) في قوله تبارك وتعالى: ﴿**واللّهُ أعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ**

---

١) مطبوع بتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني- مطبوعات مركزالبحث العلمي بجامعة أم القرى ١٤٠٨هـ.
والنحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبوجعفر النحاس، مفسر أديب توفي سنة ٣٣٨هـ. الأعلام ٢٠٨/١.

٢) والموجود من هذا الكتاب ناقص من سورة البقرة وناقص من آخره.

٣) محارب بن دثار السدوسي الكوي القاضي، كان من كبارالعلماء عرض على أبيه عن عمر بن الخطاب، وروى عن جابر وابن عمر. غاية النهاية ٤٢/٢.

٤) معاني القرآن للنحاس ٣٦٩/١-٣٧١.

الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ آل عمران:٣٦، قال النحاس: «في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: قالت ربي إني و ضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى؛ فقال: الله عزوجل: ﴿وَاللَّه أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَت﴾.
وقرأ أبورجاء وإبراهيم النخعي وعاصم: «والله أعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ» (يعني: بفتح الواو والضاء وسكون العين المهملة).
فعلى هذه القراءة ليس في الكلام تقديم ولا تأخير» اهـ(١).

هذا عرض مجمل للقراءات في بعض كتب التفسير في القرون الأربعة الأولى، وظهر من خلال ذلك مايلي :

(١) اهتمام المصنفين في تفسير القرآن بإيراد القراءات .

(٢) أن توجيه القراءات تفسيريا ونحويا ظهر مبكرا جدا بل وجدت نصوص تدل على قيام بعض الصحابة بتوجيه معنى الآية باعتبار اختلاف القراءات فيها.

(٣) أنه وجد في بعض كتب التفسير اتجاه لإنكار بعض القراءات، كما وجد نحو ذلك في بعض كتب علوم القرآن(٢).

(٤) أن القراءات التي كانوا يوردونها في مصنفاتهم في التفسير لم تقتصر على السبعة أو على العشرة، بل لم تقتصر كذلك على ما يوافق رسم المصحف منها(٣).

(٥) ظهر بوضوح اهتمام السلف بأثر القراءات في التفسير.

---

١) معاني القرآن للنحاس ٤٨٧/١.
٢) كما سبق في المطلب الأول لهذا المبحث فيما كتبته حول طعن ابن قتيبة في بعض القراءات.
٣) ينظر بحث د/ عبدالفتاح شلبي: «أبوبكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية» المنشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية العدد الخامس ص٦٦-٦٨.
وهذا (أعني: عدم حصرالقراءات في عدد معين) كان سبيل المصنفين قبل الطبري ومعه كما أثبت ذلك د/ عبدالفتاح شلبي أيضا في بحثه «سيبويه وبراءته من تهمة الطعن في القراءات» نشر ضمن مجلة بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى العدد الثاني ١٤٠٤هـ ص٢٥-٣٥.

المبحث الثاني : القراءات في كتب الحديث .

اشتملت كتب الحديث بأنواعها(١) المختلفة على نصوص تتعلق بالقراءات سواء ما يتعلق بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها أم ما يتعلق بفضل وآداب تلاوته وتعلمه وتعليمه، **فمن ذلك :**

١ ـ مسند الامام أحمد ابن حنبل(٢) فقد تضمن نصوصا كثيرة جدا تتعلق بالقراءات(٣).

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده(٤) عن أنس بن مالك : « أن رسول الله ﷺ قرأها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِم فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ والعَيْنَ بالعَيْنِ﴾ ا[لمائدة:٤٥] نصب النفس ورفع العين».

٢ ـ صحيح الامام البخاري(٥) تضمن نصوصا كثيرة تتعلق بالقراءات، وذلك في كتاب التفسير(٦) وكتاب فضائل القرآن(٧) من كتب

---

١) حول أنواع كتب الحديث أنظر جامع الأصول ٤٣/١-٤٦ الحطة في ذكر الصحاح الستة ١١٨-١٢٨.

٢) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي أبوعبدالله أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه مات سنة ٢٤١هـ. التقريب ص٨٤.

فائدة : أثبَتّ همزة «ابن» عند ذكر اسم الإمام أحمد فكتبت: «أحمد **ابن** حنبل» مع أن الشائع عدم اثباتها وذلك لأن أهل العلم صرحوا بوجوب اثباتها في مواطن منها إذا أضيف إلى الأب الأعلى و «حنبل ليس هو الأب المباشر، فوجب إثباتها تنبيها إلى ذلك. أنظر خير الكلام في التفصي عن أغلاط العوام ص١٣-١٤.

٣) ويعلم ذلك من خلال مطالعة: «الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد ابن حنبل الشيباني» حيث تضمن الجزء الثامن عشر منه كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من الفضائل والأحكام والقراءات وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والتفسير وغير ذلك وعدد أحاديثه ٥٤٩ حديثا، وبلغ عدد الأحاديث في أبواب تلاوة القرآن وآدابها وأبواب تحزيب القرآن وأوراده وتأليفه وجمعه وكتابته في المصاحف، وأبواب القراءات وجواز اختلافها؛ بلغ عدد الأحاديث في هذه الأبواب ١٢٦ حديثا من أصل ٩٤٥ حديثا تشتمل على التفسير وأسباب النزول والفضائل، ولاشك أنها تشتمل على كثير مما له علاقة بالقراءات والله أعلم.

٤) مسند أحمد بترتيب البنا ٤٠/١٨. وهذه قراءة الكسائي. إرشاد المبتدي ص٢٩٦.

٥) محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي أبوعبدالله البخاري جبل الحفظ و إمام الدنيا في فقه الحديث توفي ببنتة ٢٥٦هـ. التقريب ص ٤٦٨.

٦) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٥٥/٨-٧٤١.

٧) ماسبق ٣/٩-١٠٣.

الجامع الصحيح.

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده(١) عن إبراهيم قال: «قدم أصحاب عبدالله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبدالله؟ قال: كلنا قال: فأيكم يحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة فقال: كيف سمعته يقرأ ﴿والَّليلِ أذَا يَغْشَى﴾ قال علقمة: «والذكر والأنثى» قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾ [الليل : ٣] والله لا أتابعهم».

٣ ـ صحيح الإمام مسلم(٢) اشتمل على نصوص تتعلق بالقراءات ضمنها كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وبوَّب عليها النووي(٣) الأبواب التالية :

باب فضائل القرآن وما يتعلق به(٤) باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها(٥) باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن(٦) باب نزول السكينة لقراءة القرآن(٧) ... باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه(٨) باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ(٩) باب ما يتعلق بالقراءات(١٠).

---

١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة ﴿والليل إذَا يَغْشَى﴾ باب ﴿وَمَاخَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾ حديث رقم (٤٩٤٤).

٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه مات سنة ٢٦١هـ. التقريب ص ٥٢٩.

٣) نبَّه النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم ٢١/١ على أن مسلما رحمه الله رتب كتابه على أبواب، فهو مبوب في الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك و بناء على هذا قام النووي رحمه الله بوضع تراجم لصحيح مسلم بحسب مايرى أنه اللائق.

والنووي هو يحي بن شرف الدين بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين علامة بالفقه والحديث (٦٣١-٦٧٦هـ). الأعلام ١٤٩/٨.

٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٧٥/٦.

٥) ماسبق.

٦) ماسبق ٧٨/٦.

٧) ماسبق ٨١/٦.

٨) ماسبق ٩٨/٦.

٩) ماسبق ١٠٤/٦.

١٠) ماسبق ١٠٨/٦.

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده(1) عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ هذا الحرف: ﴿فهل من مدكر﴾ (يعني: بالدال) [القمر:١٧].

٤ ـ أمَّا الإمام أبوداود(2) فقد عقد في سننه كتابا في القراءات أسماه «كتاب الحروف والقراءات»(3) ويشتمل على أربعين حديثا .

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده(4) عن عبدالله قال : أقرأني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين»(5) [الذاريات:٥٨] .»

٥ ـ أما الإمام الترمذي(6) فقد عقد في سننه كتابا للقراءات(7) تضمن أحد عشر بابا اشتملت على ثلاثة وعشرين حديثا.

ومن هذه النصوص ما أخرجه بسنده(8) عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته يقرأ: ﴿الحَمْدُ لِلَّه رَبِّ العَالَمِين﴾ ثم يقف ﴿الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ [الفاتحة:١-٢] ثم يقف و كان يقرأها: ﴿ملك يوم الدين﴾.»

---

١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما يتعلق بالقراءات حديث رقم (٨٢٣).
٢) سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد السجستاني أبو داود ثقة حافظ مصنف من كبار العلماء مات سنة ٢٧٥هـ. التقريب ص٢٥٠.
٣) سنن أبي داود ٤/٢٧٧-٢٩٧.
٤) سنن أبي داود كتاب الحروف والقراءات حديث رقم (٣٩٩٣).
٥) ورسم الآية كما في مصاحفنا : ﴿إِنَّ اللَّه هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾.
٦) محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبوعيسى صاحب الجامع أحد الأئمة مات سنة ٢٧٩هـ. التقريب ص ٥٠٠.
٧) سنن الترمذي ٥/١٨٥-١٩٨.
٨) سنن الترمذي كتاب القراءات باب في فاتحة الكتاب حديث رقم(٢٩٢٧).

ويلاحظ الناظر فيما احتوته كتب الحديث من القراءات الأمور التالية :

(١) أن جميع ماورد فيها جاء مرويا بالسند إلى رسول الله ﷺ أو الى أحد الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) أن النصوص المنقولة في كتب الحديث منها الصحيح ومنها المردود - هذا بالنظر إلى العموم، أما بالنظر إلى البخاري ومسلم فكل الروايات التي نقلاها حول القراءات في كتابيهما صحيحة -.

(٣) أن القراءات التي نقلتها كتب الحديث فيها جملة من القراءات صحيحة السند مخالفة لرسم المصحف كما اشتملت على نقل بعض القراءات المتواترة.

(٤) أنها اشتملت على نصوص تتعلق بآداب التلاوة، ونصوص تتعلق برسم المصحف كما اشتملت على نصوص تتعلق بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها وغير ذلك مما له علاقة بالقرآن والقراءات.

(٥) خلو كتب الحديث من توجيه الروايات؛ لأنها كتب رواية في المقام الأول ، تسند الأحاديث والآثار إلى قائليها مرفوعة أو موقوفة أو غير ذلك.

المبحث الثالث : القراءات في كتب النحو .

فيه مطلبان :

المطلب الأول : منزلة القراءات من النحو .

المطلب الثاني : موقف النحويين من القراءات .

المطلب الأول : منزلة القراءات من النحو .

يعتبر القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والصحيحة والشاذة أصلا أصيلا بالنسبة للنحو العربي؛ فقد ارتبط النحو بالقرآن الكريم منذ نشأته إرتباطا لم ينفك عنه ولن ينفك عنه.

وقد صرح بذلك العلماء سلفا وخلفا :

(١) يقول سيبويه(١) في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ماهَذَا بَشَراً﴾ [يوسف :٣١] في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف» اهـ(٢).

ويعلق الزركشي (ت٧٩٤هـ) على كلام سيبويه بقوله: «وإنما كان كذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ و لاتكون القراءة بغير ماروي عنه» اهـ(٣).

(٢) ويقول سيبويه أيضا:«فأما قوله عزوجل: ﴿إنا كل شيء خلقناه بِقَدرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فإنما هو على قوله زيدا ضربته، وهو عربي كثير.

وقد قرأ بعضهم: «وأمَّا ثَمُود فَهَدَيْنَاه» [فصلت:١٧] إلا أن القراءة لاتخالف لأن القراءة السنة» اهـ(٤).

قلت : يعني أن لفظ «فهديناه» جاء مكان ﴿فَهَدَيْنَاهم﴾.

ومعنى كلمته هذه: أنَّ للنحو مقاييسه التي ينقاس عليها لكن القراءة أثر

---

١) سيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، أخذ النحو من الخليل بن أحمد، وصنف «الكتاب» الذي يعد أهم كتب النحو على الاطلاق توفي سنة ١٨٠هـ وله إثنتان وثلاثون سنة.

وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. الأعلام ٥/٨١.

٢) الكتاب لسيبويه ١/٥٩.

٣) البرهان في علوم القرآن ١/٣٢٢.

٤) الكتاب لسيبويه ١/١٤٨.

مروي ينبغي أن لايدفعه قياس بله أن يقدم عليها(١).

(٣) قال الفراء (ت٢٠٧هـ) : «الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر» اهـ(٢).

(٤) قال ابن خالوية (ت٣٧٠هـ) : «قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لاخلاف في ذلك» اهـ(٣).

(٥) قال أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ) متحدثا عن القراءات وأنها تكون على ضربين: «ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بـ«قراءات السبعة» وهو بشهرته غان عن تحديده.

وضرب تعدى ذلك؛ فسماه أهل زماننا شاذا، أي: خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه ولعله أو كثير منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه»

وقال : «إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الإنتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية؛ فاننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه ومرضي من القول لديه.

نعم وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عليه عندهم عليه أقوى منه إعرابا وأنهض قياسا، إذ هما جميعا مرويان مسندان إلى السلف رضي الله عنه» اهـ(٤).

(٦) قال أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) : «وأئمة القراء لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية.

إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولافشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة، فلزم قبولها والمصير إليها» اهـ(٥).

---

١) سيبويه وبراءته من تهمة الطعن في القراءات ص٥٤ ضمن مجلة بحوث كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - العددالثاني ١٤٠٤هـ.

٢) معاني القرآن للفراء ١/١٤.

٣) بواسطة «المزهر في علوم العربية» ١/٢١٣.

٤) المحتسب ١/٣٢-٣٣.

٥) بواسطة «المنجد» ص٦٥.

(٧) قال السيوطي (ت٩١١هـ) : « أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا.

وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولايقاس عليه.

وما ذكرته من الإحتجاج بالقراءة الشاذة لاأعلم فيه خلافا بين النحاة، وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه» اهـ(١).

(٨) قال محمود شكري الألوسي(٢): «وأما قول ربنا تبارك وتعالى فهو أفصح كلام وأبلغه، فلا خلاف في جواز الإستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بينه ابن جني في أول كتابه « المحتسب» وأجاد القول فيه» اهـ(٣).

هذه النقول تؤكد المكانة العالية الجليلة التي يُنَزِّل فيها علماء النحو القراءات؛ فهي أصل أصيل في النحو العربي.

---

١) الاقتراح مع شرحه الإصباح ص٦٧-٦٨.

٢) محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي مؤرخ عالم بالأدب والدين من الدعاة إلى الإصلاح (١٢٧٣-١٣٤٢هـ). الأعلام ١٧٢/٧.

٣) إتحاف الأمجاد في مايصح به الاستشهاد ص٧٦.

المطلب الثاني : موقف النحويين من القراءات .

أظهر المطلب السابق مدى المكانة التي تنزل فيها القراءات من النحو العربي، والسؤال هنا إذا كانت هذه منزلة القراءات من النحو العربي، فما موقف النحويين من القراءات ؟.

وللجواب عن هذا السؤال عقد هذا المطلب.

جرى النحويون على الاحتجاج بالقراءات القرآنية، والاحتفال بها، فلايوجد كتاب نحوي لم يستدل فيه بالقرآن وبقراءاته المتنوعة.

وما نقل من طعن بعض النحويين في بعض القراءات محمول - عندي - على أحد سببين :

الأول منهما : أن القراءة لم تثبت لديهم بما تقوم به الحجة.

الثاني منهما : قيام اجتهاد منهم يؤجرون عليه أجرا واحدا غلب على ظنهم أن هذه القراءة خطأ و وَهْم مِنْ أحد الرواة الذين نقل عن طريقهم هذا الحرف الذي طعن فيه(١).

ومجمل هذه الاجتهادات - التي تقوم لدى النحاة حين طعنهم في بعض القراءات - تعود إلى مايلي(٢) :

(أ) أنهم يحتكمون إلى ما وضعوه من قواعد وسنوه من قوانين قاصرة؛ لقصور واضعيها من البشر، يمنعون بها جواز بعض الأساليب، فلحنوا ما جاء عليها من قراءات؛ كمنعهم الفصل في النثر بين المضاف والمضاف إليه(٣) ومنعهم عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض من غير إعادة العامل(٤) ومنعهم نصب الفعل المضارع إذا وقع بعد الفاء ولم

---

١) والحقيقة أن إحسان الظن بالنحويين واجب، ولا أتصور إنكار من أنكر منهم لبعض القراءات هكذا دون سبب وجيه قام لديه - بحسب نظره - والذي أقترحه في هذا الصدد أن يقوم بعض المتخصصين بدراسة استقرائية فيدرس أئمة النحو الذين نقل عنهُم طعن في بعض القراءات ويستقرىء هذه المواضع من كلامهم ويدرسها متلمسا للبواعث والأسباب وراء هذا الموقف في كل موضع على حدة وبالله التوفيق.

٢) مستفاد من مقدمة الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة لكتابه «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» ق١ ج١ ص٢٢-٢٥.

٣) نظرية النحو القرآني ص٧٨-٨٤.

٤) ماسبق ص٧٤-٧٨.

يكن جوابا وقالوا: لايكون فيه إلا الرفع(١)... الخ(٢).

(ب) خفاء توجيه بعض القراءات على بعض النحويين جره إلى التسرع في الحكم بتلحينها.

(ج) قصور نظر بعض النحاة على الشائع من اللغات وإغفال غيره.

(د) عدم مراعاة الأساليب البلاغية في أسلوب القرآن الكريم ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿ولايَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ المائدة:٢.

قطع أبوجعفر النحاس(٣) بأن هذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، والصد كان زمن الحديبية سنة ست، مُخَطِّئاً قراءة ابن كثير وأبي عمرو: ﴿إنْ صَدُّوكُم﴾ بكسر الهمزة وهما قراءتان سبعيتان(٤).

(هـ) في بعض الأحيان يزعم بعضهم أنه أحصى أوزان العربية فوجدها تخلو من بعض الأوزان، فيلحن ما جاء عليها من قراءات ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة:٢٨٠.

أنكر الأخفش(٥) قراءة ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ بضم السين(٦) لأنه ليس في الكلام «مَفْعُل» بضم العين.

وقد شنَّع ابن حزم(٧) على النحاة الذين يردون بعض القراءات لمخالفتها القياس بزعمهم، ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة فقال رحمه الله: «ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرىء القيس(٨) أو لزهير(٩) أو

---

١) نظرية النحو القرآني ص٩٢-٩٤.

٢) ذكر مُصَنِّف كتاب «نظرية النحو القرآني» جملة من القواعد النحوية التي اعتمدها النحاة وردوا ما خالفها من القراءات ويصل عدد القواعد التي ذكرها - على سبيل المثال - إلى أربعين قاعدة.

٣) إعراب القرآن للزجاج ٢/٥.

٤) السبعة ص٢٤٢ التيسير ص٩٨.

٥) معاني القرآن للأخفش ١/٣٨٩.

٦) قرأ نافع بضم السين والباقون بفتحها. السبعة ص١٩٢ التيسير ص٨٤.

٧) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبومحمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام (٣٨٤-٤٥٦هـ). الأعلام ٤/٢٥٤.

٨) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، وأحد أصحاب المعلقات (ت نحو١٣٠-٨٠ ق. هـ). الأعلام ٢/١١.

٩) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر حكيم الشعراء في الجاهلية، أحد أصحاب المعلقات، وتعرف قصائده بالحوليات لأنه كان ينظم القصيدة ثم ينقحها في سنة (ت١٣ ق. هـ). الأعلام ٣/٥٢.

لجرير (١) أو الحطيئة(٢) أو الطرماح(٣) أو لأعرابي أسدي(٤) أو أسلمي(٥) أو تميمي(٦) أو من سائر أبناء العرب بوال على عقبيه لفظاً في شعرٍ أو نثرٍ جعله في اللغة وقَطَعَ بِهِ ولم يعترض فيه؛ ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه، ولاجعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاما فعل به مثل ذلك.

وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - قبل أن يكرمه الله تعالى بالنبوة وأيام كونه فتى بمكة بلاشك عند كل ذي مسكة من عقل - أعلم بلغة قومه وأفصح فيها وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفي(٧) وقيسي(٨) وربيعي(٩) وإيادي وتيمي وقضاعي وحميري؛ فكيف بعد أن اختصه الله تعالى للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه وأجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتي به؟.»اهـ(١٠).

قلت : أسجل هنا الملاحظات التالية :

(١) القراءات حجة عند جميع النحاة حتى الذين نقل عنهم إنكار

---

١) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، و كان عفيفا و هو من أغزل الناس شعرا (٢٨-١١٠هـ). الأعلام ٢/١١٩.

٢) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبومليكة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام كان هَجَّاء عنيفا. الأعلام ٢/١١٨.

٣) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيىء، شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلما فيها وكان هجاء، اعتقد مذهب «الشراة» من الأزارقة (ت نحو١٢٥هـ). الأعلام ٣/٢٢٥.

٤) هناك جملة من قبائل العرب النسبة إليها بـ«أسدي» وينظر في معرفتها معجم القبائل العربية ١/٢١-٢٥.

٥) ينظر معجم القبائل العربية ١/٢٥-٢٦ في قبائل «أسلم».

٦) هناك عدة قبائل النسبة إليها «تميمي» أنظر معجم القبائل العربية ١/١٢٥-١٣٣.

٧) بطن من العدنانية، وهم بنو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ينقسم إلى ثلاثة أفخاذ مدركة، طابخة، وقمعة.

وخندف زوج إلياس هي بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، عرف بنو إلياس بها فقيل لهم : خندف. معجم القبائل العربية ١/٤٠.

٨) «قيس» أسم لقبائل أنظر معجم القبائل العربية ٣/٩٧٠-٩٧٣.

٩) ينظر معجم القبائل العربية ٢/٤١٨-٤٢٦ في القبائل التي تنسب إلى «ربيع» و «ربيعة».

١٠) الفِصَل فِي المِلَل والنِّحل ٣/١٩٢.

بعضها؛ لأن من أنكر منهم شيئا من القراءات لم ينكرها إلا وقد قام لديه مانع من الأخذ بها - بحسب اجتهاده - أما مع عدم المانع فالقراءة عند الجميع حجة.

(٢) بالنسبة إلى موقف النحويين من القراءات، فإنه ينحصر في قسمين:

القسم الأول من القراءات : ارتضاه النحويون، ووافقوا عليه كما وافقوا على نظائره من كلام العرب، وهو القسم الأكبر ولله الحمد.

القسم الثاني من القراءات : لم يرتضه بعض النحويين فتأولوه (١) أو عارضوه معارضة صريحة أو خفية(٢) لسبب من الأسباب السابقة أو غيرها.

وبعد فأقف هنا وقفات سريعة أبين من خلالها نصيب القراءات من كتابين لعالمين في النحو أحدهما يمثل مدرسة البصرة والآخر يمثل مدرسة الكوفة.

١ - كتاب «الكتاب» لسيبويه.

(١) بلغت الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه تسعة عشر وأربعمئة شاهد (٣) في حين بلغت الشواهد الشعرية خمسين وألفا(٤). وهو يأتي بالشاهد القرآني ليدعم القاعدة الكلية التي بناها، وما ساقه من الجوازات عليها.

(٢) قلما ينسب سيبويه وجها من وجوه القراءة إلى من قرأ به .

(٣) رد سيبويه بعض القراءات ردا خفيا(٥) لم يصرح فيه

---

١) انظر في ذلك كتاب «التأويل النحوي في القرآن الكريم» للدكتور/ عبدالفتاح أحمد الحموز - مكتبة الرشد -الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢) نظرية النحو القرآني ص٤٩.

والمعارضة الخفية : أن يذكر النحوي مثالا يطابق قراءة مطابقة تامة ثم يعارضه دون أن يذكر نص الآية صراحة في هذه المعارضة، غير أن كل ما في المثال ينطبق على الآية تمام الانطباق. نظرية النحو القرآني ص٥٨.

٣) باحصائي لها من خلال فهارس عبدالسلام هارون للكتاب ٥/٧-٢٨ .

٤) هذا إحصاء أبي علي الجرمي، وأبي جعفر النحاس .

انظر مقدمة تحقيق «الكتاب» ٣٣/١ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ ج١ ص٦-٧.

٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ ج١ ص٤٩ نظرية النحوالقرآني ص٥٨-٥٩.

بالقراءة، من ذلك:

(أ) قوله : «وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون "نبيء" و "بريئه" و ذلك قليل رديء» اهـ(١).

قلت : قرأ نافع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ التحريم:١، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة: ٧، قرأ نافع بتحقيق الهمز فيهما معا(٢).

ولعل العذر لسيبويه في هذا ما ذكره الرضي الاستراباذي(٣) في قوله: «ومذهب سيبويه أن ذلك رديء مع أنه قرئ به، ولعل القراءات السبع عنده ليست متواترة(٤) وإلا لم يحكم برداءة ما ثبت أنه من القرآن الكريم تعالى عنها» اهـ(٥).

(ب) ومن ذلك قول سيبويه : «والراء لاتدغم في اللام» اهـ(٦).

قلت : قرأ أبوعمرو من رواية السوسي عنه بإدغام الراء في اللام(٧).

٢ - كتاب « المقتضب»(٨) للمبرد.

(١) بلغت الشواهد القرآنية في كتاب المبرد (ت ٢٨٥هـ) « المقتضب» خمسمئة آية وتجاوزتها(٩) في حين بلغت الشواهد الشعرية واحداً وستين وخمسمئة شاهد(١٠).

(٢) وكان يبسط القول في بعض الآيات ويذكر بعض القراءات و توجيهها أحيانا.

---

١) الكتاب لسيبويه ٥٥٥/٣.
٢) السبعة ص٦٩٣، ١٥٧.
٣) محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي نجم الدين، عالم بالعربية من أهل «إستراباذ» من أعمال طبرستان توفي نحو ٦٨٦هـ. الأعلام ٨٦/٦.
٤) قد أثبت هذا وبينه د/ عبدالفتاح شلبي في بحثه «سيبويه وبراءته من تهمة الطعن في القراءات» نشر في بحوث كلية اللغة العربية - العدد الثاني ١٤٠٤هـ ص١٩-٤٦.
٥) شرح شافية ابن الحاجب ٣٥/٣.
٦) الكتاب لسيبويه ٤٤٨/٤.
٧) النشر ٢٩٢/١ ، ١٢/٢-١٣.
٨) محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي أبوالعباس المعروف بـ«المبرد» (بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بكسر) إمام العربية ببغداد وأحد أئمة الأدب والأخبار(٢١٠-٢٨٦هـ). الأعلام ١٤٤/٧.
٩) مقدمة تحقيق «المقتضب» ١١٦/١.
١٠) مقدمة تحقيق المقتضب ١١٥/١.

(٣) رد المبرد(١) بعض القراءات ردا صريحا ، من ذلك :

(أ) قوله : «وقد قرأ بعض القراء بالإضافة ، فقال : ﴿ثَلَثَمِئَةِ سِنِينَ﴾ [الكهف : ٢٥] وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر للضرورة» اهـ(٢).

قلت : والقراءة في قوله تعالى: ﴿ثَلَثَمِئَةِ سِنِينَ﴾ الكهف : ٢٥، بالإضافة قراءة حمزة والكسائي(٣).

(ب) ومن ذلك قول المبرد: «وأما قراءة من قرأ: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُر﴾ [الحج : ١٥] فإنّ الإسكان في لام ﴿فَلْيَنْظُر﴾ جيّد، وفي لام ﴿ليقطع﴾ لحن؛ لأن ﴿ثُمَّ﴾ منفصلة من الكلمة، وقد قرأ بذلك يعقوب بن إسحاق الحضرمي» اهـ(٤).

قلت : القراءة بالإسكان في لام ﴿ليقطع﴾ قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن كثير من رواية البزي(٥).

---

١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ ج١ ص٥٤-٥٧ مقدمة تحقيق «المقتضب» ١/١١١-١١٤.
٢) المقتضب ٢/١٧١.
٣) السبعة ص٣٨٩-٣٩٠ التيسير ص١٤٣.
٤) المقتضب ٢/١٣٤.
٥) السبعة ص٤٣٤-٤٣٥ التيسير ص١٥٦.

خلاصة الفصل :

يتلخص هذا الفصل في النقاط التالية :

(١) أن القراءات سُجِّلَت على هيئة قضايا مبثوثة في ثنايا كتب علوم القرآن والتفسير والحديث واللغة .

(٢) تنوعت طرق التناول لمسائل علم القراءات ، فتارة تسجل بعض القضايا المتعلقة بكيفية الأداء (فرش الحروف) وتارة تسجل بعض القضايا المتعلقة بنقل القراءات والأحرف السبعة، وتارة تسجل بعض القضايا حول القراءات من خلال الذب عنها والرد على الطاعنين في القرآن العظيم، وتارة تسجل لبيان معنى تفسيري لآية قرآنية، وتارة تسجل لإثبات قاعدة نحوية ونحو ذلك.

(٣) احتلت القراءات مكانة سامقة بين العلوم فلايكاد يوجد علم من علوم الشريعة وما يدور حولها إلا وتجد القراءات رافدا من روافده .

(٤) أخذ على بعض أهل العلم طعنهم في بعض القراءات وهذا الموقف منهم ليس ردا لمكانة القراءات إنما يعود - حسب اجتهادي - لأحد أمرين :

الأمر الأول : إمًّا لأن القراءة لم تثبت عندهم بما تقوم به الحجة.

الأمر الثاني : وإمًّا أن يقوم لديهم مانع - بحسب إجتهادهم - يمنعهم من الأخذ بها، وهم في إجتهادهم مأجورون أجرا واحدا.

(٥) القراءات أصل من الأصول التي يقوم عليها علم النحو العربي بإجماع علماء النحو.

الفصل الثاني : التدوين المفرد للقراءات.

القراءات كأي علم مرت بحالين في التدوين :

الحال الأولى : تدوين على شكل قضايا مبثوثة في ثنايا العلوم.

الحال الثانية : تدوين مفرد للعلم.

وقد سبق الحديث في الفصل الأول من هذا الباب عن الحال الأولى، والآن موضع الحديث عن الحال الثانية - بمشيئة الله -.

يتحدث هذا الفصل عن المصنفات المفردة للقراءات، سواء كانت مفردة لقراءة إمام بعينه أم كانت تجمع قراءة أكثر من إمام، وسواء كانت قراءات مع التحرير والاختيار أم كانت بدون ذلك، وسواء كانت قراءات مع التوجيه أم بدون ذلك.

و لذلك يتضمن هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام .

المبحث الثاني : كتب القراءات الموسعة .

المبحث الثالث : كتب توجيه القراءات .

وإليك البيان :

المبحث الأول : الكتب المفردة لقراءة إمام .

تنوعت مناهج العلماء في أفراد قراءة إمام بعينه من أئمة القراءات ؛ فمنهم من أفرد قراءة امام من أئمة القراءات برواياتها المختلفة، ومنهم من أفرد قراءة إمام بروايتين فقط عنه، ومنهم من أفرد قراءة إمام باعتبار رواية من الروايات عنه ، على ما نبينه فيما يلي:

أولا : من المصنفات في قراءة عاصم :

١ - «قراءة حفص»(١) لأبي طاهر عبدالواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار البغدادي .

٢ - «رسالة في رواية حفص عن عاصم»(٢) لفائد بن مبارك الإبياري المصري.

٣ - «الثغر الباسم في قراءة عاصم»(٣) لأبي مصلح علي بن عطية العمريني الشافعي الأزهري (كان حيا سنة ١١١٨هـ).

٤ - «القول القاصم في قراءة حفص عن عاصم»(٤) لعبد الغني النابلسي.

٥ - «در الناظم في مفردات عاصم»(٥) لعمر بن محمد بن محمد.

٦ - «البيان الوفي بقراة حفص عن عاصم الكوفي»(٦) لأحمد بن أحمد النشوي.

---

١) إيضاح المكنون ٢/٢٢١.
وأبو الطاهر البغدادي أستاذ كبير إمام نحوي علم ثقة لم يكن بعد ابن مجاهد مثله (ت٣٤٩هـ). غاية النهاية ١/٤٧٥.

٢) مخطوط . يقع في ٢٨ ورقة منه نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض - قسم المخطوطات تحت رقم ١٠٠٤. فهرس جامعة الامام ١/٩٦-٩٧.
والإبياري عالم بالسيرة والحديث حنفي المذهب مصري أزهري (ت بعد١٠٦٣هـ). الأعلام ٥/١٢٥.

٣) مخطوط . يقع في ١٣٦ ورقة منه صورة على شريط مصغر عن نسخة المكتبة الأزهرية برقم ٢٢٢٤٥/٢٣٨ موجودة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٥٦ قراءات. فهرس مخطوطات ومصورات مركز البحث العلمي التفسير وعلوم القرآن ١/٢٢٦.

٤) إيضاح المكنون ٢/٢٥٠.
والنابلسي عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني شاعر عالم بالدين والأدب، متصوف، مكثر من التصنيف (١٠٥٠-١١٤٣هـ). الأعلام ٤/٣٢.

٥) مخطوط. يقع في خمس ورقات، منه نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم ١٠٢٥. فهرس جامعة الامام ١/٨١.

٦) مخطوط . يقع في ٣٥ ورقة منه صورة على شريط مصغر مصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية، بمركز البحث العلمي ٢٩ مجاميع قراءات. فهرس مخطوطات ومصورات مركز البحث العلمي (التفسير وعلوم القرآن) ١/٢١٧.

٧ - «الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم»(١) لابن عزوز محمد مكي التونسي.

ثانيا : من المصنفات في قراءة نافع :

١ - «التقريب والحواشي لقراءة قالون وورش»(٢) لأبي الأصبغ عيسى بن محمد بن فتوح الهاشمي البلنسي.

٢ - «القصيدة الحصرية في قراءة نافع» لأبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ت٤٦٨هـ) وهي في تسعة ومئتين بيتاً(٣).

٣ - «بلوغ الأماني في قراءة ورش من طريق الأصبهاني»(٤) لشهاب الدين أحمد بن بدر الدين أحمد العتبي (ت٩٧٩هـ).

٤ - «المقرر النافع الحادي لقراءة نافع»(٥) لجمال الدين ناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله اليمني (ت١٠٨١هـ).

٥ - «مختصر قراءة قالون عن نافع»(٦) لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن أسعد.

٦ - «مقرأ نافع بن عبد الرحمن المدني»(٧) لأبي عبد الله محمد بن

---

١) إيضاح المكنون ١/٦٠٠.
وابن عزوز هو محمد مكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي المالكي التونسي، قاض فقيه باحث (١٢٧٠-١٣٣٤هـ). الأعلام ٧/١٠٩.

٢) مخطوط . يقع في أربعين لوحة . ناقص ، منه صورة في جامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم ٥٩٥٩/ف. فهرس جامعة الإمام ١/٥٥.
وأبو الأصبغ الهاشمي يعرف بابن المرابط نزيل بلنسية مقري بارع (ت٤٠٣هـ) غاية النهاية ١/٦١٤.

٣) كشف الظنون ص١٣٣٧ وأنظر شروحها فيه ص١٣٤٤.
والحصري أستاذ ماهر أديب حاذق صاحب القصيدة المشهورة :

ياليل الصب متى غده	أقيام الساعة موعده
رقد السمار فـــأرقه	أسف للبيـــن يردده

غاية النهاية ١/٥٥٠.

٤) إيضاح المكنون ص١٥٩.

٥) ماسبق ٢/٥٤٥.

٦) مخطوط في ١٩ ورقة، منه صورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ١١٥٤. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢/٢٩٣.

٧) مخطوط يقع في ثمانين ورقة، منه صورة على شريط مصغر بمركز البحث العلمي تحت رقم ٦٩٨. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢/٣٠٧.

أحمد بن يوسف بن موسى .

٧ - «رسالة ورش»(١) لمحمد بن أحمد الشهير بـ«المتولي» (ت١٣٣١هـ) وهي منظومة، يقول في أولها:

بدأت ببسم الله والحمد سائلا	صلاة وتسليما على أشرف الملا
محمد الهادي الأمين وآله	وأصحابه والتابعين ومن تلا
وبعد فهذا النظم فيه ذكرت ما	يخالف ورش فيه حفصا فحصلا
وذلك مماكان في «الحرز» واردا	وأسأل ربي أن يوفقني علا

٨ - «النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع»(٢) شرح إبراهيم المارغني (ت١٣٤٩هـ) لمنظومة أبي الحسن سيدي علي الرباطي.

٩ - «المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب»(٣) لعلي بن محمد الضباع.

يقول في مقدمتها :«طلب مني كثير من الإخوان أصلح الله لي ولهم الحال والشان أن أكتب ملخصا أبين فيه ماصح في الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب الأزرق مما رواه عن ورش المصري على مامن طرق «الطيبة» تحرر وتحقق؛ لكثرة القارئين بطرائقه في بلادنا المصرية، وللإعتياد عليها بين الناس في الأقطار المغربية والسودانية، ولما وقع فيها لأكثر القارئين بها في هذا الزمان من التلفيق والالتباس؛ لجهلهم بمآخذها و مذاهب مؤلفيها، وعدم إعتمادهم عند الأخذ على متين الاساس.

فاستخرت الله تعالى وطرقت أبواب «النشر» الكبير، وما حضرني من أصوله و ما كتبه عليه الأئمة النحارير، ولخصت من أقوالهم الشريفة ما هو في الآتي آت، وسلكت في التعبير طريقهم رجاء أن أدرج في سلكهم

---

١) مطبوعة بمراجعة وتصحيح عامر السيد عثمان، بمكتبة ومطبعة: محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

٢) مطبوع . بالمكتبة العتيقة تونس ١٣٥٤هـ.

٣) مطبوع . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، وأتم تأليفه ليلة الأربعاء ١٦ رجب ١٣٤٨هـ صرح بذلك في ختامه .

والضباع هو علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع مصري علامة كبير وإمام مقدم في علم التجويد والقراءات والرسم العثماني وضبط المصحف الشريف وعد الآي وغيرها ولي مشيخة عموم المقارئ و الإقراء بالديار المصرية (ت١٣٧٦هـ). ملحق الأعلام في كتاب «هداية القاري» ص٦٨٩.

المشمول بالبركات.

وسميته :

«المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب»

ورتبته على مقدمة ومقصد وخاتمة.

فالمقدمة في بيان طريقي الأزرق المختارتين في «النشر» ومآخذهما.

والمقصد في بيان الكلمات المختلف فيها عنه.

والخاتمة في التعريف بهذه المآخذ.

واقتصرت في مباحث مواضع الخلاف على الأوجه التي وصلت إلينا بالأسانيد الصحيحة وتركت ما سواها مما ذكره في «النشر» ولم يكن من الطرق التي اختارها، وبينها في مقدمته الصريحة» اهـ(١).

١٠ - «نظم ما خالف فيه قالون ورشا»(٢) لعلي بن محمد الضباع (ت١٣٧٦هـ).

اقتصر فيه على طريق الشاطبية، وقال في ختامه: «من أراد إتمام القراءة بقراءة إمام المدينة نافع ؛ فليرجع إلى كتابي «الأصدق فيما خالف فيه الأصبهاني الأزرق» أو كتابي «النور الساطع في قراءة الإمام نافع».» اهـ

١١ - «شرح رسالة قالون»(٣) لعلي الضباع (ت ١٣٧٦هـ).

قال في مقدمتها: «وبعد فهذا شرح مختصر على رسالة الأستاذ الفاضل الشيخ: محمد بن سعودي المقرئ التي نظمها فيما خالف فيه الإمام أبوموسى عيسى الملقب بقالون الإمام أباسعيد عثمان الملقب بورش من طريق الشاطبية، وأسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله إنه جواد كريم» اهـ

قلت : ومقدمة النظم هي :

يَقولُ رَاجِي رَحْمَةَ الوَدُودِ	فَقِيرُهُ مُحَمَّدٌ سُعُودِي
الحَمْدُ للهِ وَ صَلَّى اللَّهُ	عَلَى مُحَمَّدٍ وَمَنْ وَالاهُ
وبَعْدُ فَخُذْ نَظْماً لِقَالُونِهِم	مُخَالِفاً مَاجَاءَ عَنْ وَرْشِهِم
وذَا مِنَ الّذِي بِحِرْزِ الشّاطِبِي	واللهَ اسْتَعِين وَهُوَ مَطْلَبِي

١) المطلوب في بيان المختلف فيها عن أبي يعقوب ص٢، وقال في ختامه :«من أراد الزيادة فعليه بـ«أسرار المطلوب».»اهـ

٢) مطبوع . ملحق بـ«المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيهاعن أبي يعقوب» ، وذكر في ختامه أنه أتمه يوم الأحد ٨ ربيع الأول ١٣٤٩هـ.

٣) مطبوع : بمكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر بدون تاريخ .

١٢ - «الطريق المأمون إلى أصول رواية قالون»(١) من طريق الشاطبية لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي حفظه الله تعالى.

قال في مقدمته : «لما كان طلاب المدارس القرآنية بالجمهورية الليبية وحفظة القرآن الكريم بها يحفظون القرآن العظيم ويقرءونه برواية قالون عن الإمام نافع المدني رضي الله عنهما؛ رأيت الحاجة ماسة إلى كتابة رسالة في أصول رواية قالون؛ ليتمكن الطلاب وحفظة القرآن من معرفة أحكام التلاوة وليكونوا بعيدين عن الخطأ والتحريف.

وقد توخيت في كتابتها سهولة الأسلوب ووضوح المعنى وتقريب البعيد وتجنب التعقيد بكل ما أمكن، وقد ذكرت فيها من القواعد والتحريرات مايساعد على الأداء الصحيح - إن شاء الله - وبينت فيها ما يجوز من الأوجه، وما يمتنع حتى لايقرأ بالممنوع على أنه من الجائز، ونبهت فيها على الوجه المقدم في أحد الوجهين أو الوجوه عن قالون حسبما تلقيته عن مشايخي الأجلاء بالجامع الأزهر الشريف.

وقد ضمنتها الكثير من مسائل رسالتي في فن التجويد وخاصة فيما اتفق عليه الأئمة العشرة وذلك لاندراج قلون فيهم.

وأما ما انفرد به قالون وحده أو شاركه بعض القراء في أصل من الأصول المطردة أو غير المطردة فاقتصر على ما ذهب إليه الإمام قالون فقط؛ إذ هو المقصود بالذكر.

وقد التزمت في كتابة هذه الرسالة طريقة الشاطبية .

وقد رتبتها على مقدمة وسبعة عشر مبحثا(٢) وخاتمة، نسأل الله تعالى حسنها، فجاءت بحمد الله وافية بالمقصود جامعة للفوائد المنشودة» اهـ

ثالثا : مما صنف في قراءة أبي عمرو :

١ - «قراءة أبي عمرو»(٣) لأبي زيد سعيد بن أوس الخزرجي (ت٢١٥هـ) .

---

١) مطبوع . مطبعة عيس البابي الحلبي وشركاه الطبعة الأولى١٣٩٠هـ. راجعه عبدالفتاح قاضي.

٢) المقدمة في التعريف بقالون وشيخه واسناد المؤلف .
أما المباحث فكمايلي : الأول: في الإستعاذة. الثاني: في البسملة. الثالث: في ميم الجمع وأحكامها. الرابع: في هاء الكناية وأحكامها وحالاتها. الخامس: في المد والقصر. السادس: في الهمزتين من كلمة. السابع: في الهمزتين من كلمتين... وهكذا إلى المبحث السابع عشر: في ياءات الزوائد.

٣) إيضاح المكنون ٢/٢٢١.

٢ - «إفراد قراءة الإمام أبي عمرو بن العلاء»[١] لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت٤٧٨هـ).

٣ - «قراءة أبي عمرو»[٢] قصيدة لشهاب الدين أحمد بن وهبان (ت ٥٨٥هـ).

٤ - «رسالة في حرف أبي عمرو بن العلاء»[٣] لسعد الدين أبي سعد أسعد بن البصير (كان حيا في القرن السادس الهجري).

٥ - «أفراد قراءة أبي عمرو بن العلاء»[٤] لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم البجائي المغربي المالكي (ت٨٦٥هـ).

٦ - «مختصر في مذهب أبي عمرو بن العلاء البصري»[٥] لمحمد بن سليمان المقري.

٧ - «القطر المصري في قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري»[٦] لسراج الدين أبي حفص محمد بن قاسم بن شمس الدين محمد الأنصاري .

٨ - «علم النصرة في تحقيق قراءة إمام البصرة»[٧] لعبد الرحمن بن محمد الشهير بالقاضي.

---

١) مخطوط . يقع في ٢٦ لوحة، منه صورة بجامعة الامام محمد بن سعود تحت رقم ٣٩٢٥ . فهرس جامعة الامام ٣٨/١.

٢) كشف الظنون ص١٣٢٣، ١٣٤٣.

٣) مخطوط . يقع في ١٧ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨٠ مجاميع قراءات. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٣٤/١.

٤) مخطوط . يقع في ٦٣ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨٠٠ / علوم قرآن. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٤/٢.

٥) مخطوط . يقع في ١٦ ورقة ، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ١٤٨/قراءات. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٥٧/١.

٦) مخطوط. يقع في ٣٩ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى مركز البحث العلمي تحت رقم ١٢٩/قراءات. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٥١/١.

٧) مخطوط . يقع في ٨٠ ورقة، ومنه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ١١٨/قراءات. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٤٨/١.

رابعا : مما صنف في قراءة حمزة :

١ - «قراءة حمزة الكبير»(١) لأبي طاهر عبدالواحد بن عمر بن محمد ابن أبي هاشم البزار البغدادي (ت٣٤٩هـ).

٢ - «قراءة حمزة»(٢) لأبي محمد عبدالعزيز بن محمد بن الواثق البغدادي (ت٣٥٠هـ).

٣ - «قراءة حمزة»(٣) لأبي عيسى بكار بن أحمد بن بكار البغدادي (ت٣٥٢هـ).

٤ - «إتحاف الأعزة بتتميم قراءة حمزة»(٤) لمحمد بن عبدالرحمن الخليجي (كان حيا سنة ١٣٦٨هـ) وهي أرجوزة أتم نظمها سنة ١٣٤٧هـ.

٥ - «رسالة حمزة»(٥) لمحمد بن أحمد الشهير بـ«المتولي» (ت١٣٣١هـ) وهي منظومة سماها «فتح المجيد» يقول في مطلعها :

لَكَ الحَمْدُ يَامَنْ لِلْكِتَابِ قَدْ أَنْزَلا ... عَلَى المُصْطَفَى مَنْ بالْهِدَايةِ أُرْسَلا
عَلَيْهِ صَلاةُ اللّهِ ثُمَّ سَلَامه ... كَذا الآلَ والأصْحَابِ ... ...
وبَعدُ فَخُذْ ياصَاحِ نَظْمِي قِرَاءة ... لِحَمْزَة من حِرْزِ الأماني مفصّلا
روى الذكرَ بالإتقان عنه سليمُهُم ... وقل : خلف عنه و خلاد قَدْ تلا
سأذْكُرُ مَا قَدْ خَالَفُوا فِيه حَفْصهم ... وَمَا لا فَلا فَاحْفَظ و كُنْ مُتَأمِّلا
وسمِيْتُه "فتح المجيدْ" مُؤمِّلا ... به نَفْعَ إخواني و دَعْوَةَ مَنْ تلا
وباللّه تَوْفِيقي وعَوْنِي ونُصْرَتِي ... وإنّي عَليْه لَمْ أزل مُتَوكِّلا

٥ - «الطريقة البهية في تحرير مازاده حمزة من الطيبة علي الشاطبية»(٦) لأحمد بن عبدالحميد شعبان.

يقول في مقدمتها: «هذه كلمات يسيرة جمعت فيها طريقة عزيزة الفتها شرحا على منظومة الإمام المحقق المحرر الضابط المتقن الراجي من الله حسن الأماني الشيخ محمد بن إسماعيل الهمداني، مدرس بمعهد

---

١) إيضاح المكنون ٢٢١/٢.
٢) ماسبق .
٣) إيضاح المكنون ٢٢١/٢.
٤) مخطوط . في سبع ورقات بجامعة الامام محمد بن سعود تحت رقم ١٥٤٤ . فهرس جامعة الإمام٣٣/١.
٥) مطبوع . بمراجعة علي محمد الضباع . الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر .
٦) مطبوع بمراجعة محمد إسماعيل الهمداني نشر المكتبة المحمودية التجارية - مصر.

القراءات الديني وشيخ مقرئة الجامع الأزهر.

تلك الرسالة تحتوي على قراءة حمزة بالسكت العام من طريق كتاب «الكامل» الذي هو أصل من أصول الطيبة» اهـ

قلت: ومقدمة النظم:

بَدأتُ بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّي أوّلا وَصَلّيت تَعْظِيمًا عَلَى أشْرَفِ المَلا

مُحَمّد الهَادِي الأمين وصَحْبه وآله والتّابعين و مَنْ ولا

وبعدُ: فَخُذْ مَازَاد «نَشر» لحمزة لَدى «كَامل» مِنْ أصْل«طيِّبَة» عَلا

خامسا: مما صنف في قراءة ابن كثير:

١ - «الأثير في قراءة ابن كثير»(١) لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ).

٢ - «الدر النثير في قراءة ابن كثير»(٢) لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

٣ - «تسهيل العسير في قراءة ابن كثير»(٣) لأحمد بن محمد بن عثمان البوزدي.

٤ - «النفح المسكي في قراءة ابن كثير المكي»(٤) لأبي عزوز محمد مكي التونسي.

٥ - «البدر المنير في قراءة ابن كثير»(٥) لعلي بن محمد الضباع (ت١٣٧٦هـ).

سادسا: مما صنف في قراءة الكسائي:

١ - «قراءة الكسائي»(٦) لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ).

---

١) إيضاح المكنون ٢٤/١.

٢) كشف الظنون ص٧٣٥.

٣) مخطوط. يقع في ٣٢ ورقة، منه صورة في جامعة أم القرى - مركزالبحث العلمي تحت رقم ٥٨٥. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٧٣/٢.

٤) إيضاح المكنون ٦٦٨/٢.

٥) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص٦٩٢.

٦) مخطوط. يقع في ٢٢ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨٢٩. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢١٨/٢.

٢ - «قراءة الكسائي»(١) لأبي طاهر عبدالواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار البغدادي (ت٣٤٩هـ).

٣ - «قراءة الكسائي»(٢) لأبي عيسى بكار بن أحمد بن بكار البغدادي (ت٣٥٢هـ).

٤ - «تقريب النائي في قراءة الكسائي»(٣) لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ).

سابعا : مما صنف في قراءة يعقوب :

١ - «مفردة يعقوب»(٤) لأبي عمرو عثمان الداني (ت٤٤٤هـ).

يقول في مقدمته : «سألتني - أيدك الله بتوفيقه - أن أرسم لك في هذا الكتاب قراءة أبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، فيما خالف فيه نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني رحمة الله عليهما، من رواية عيسى بن مينا قالون عنه دون ما اتفقا عليه...»اهـ

وذكر قراءة يعقوب من روايتي روح ورويس عنه.

٢ - «مفردة يعقوب»(٥) لعبدالرحمن بن عتيق بن خلف بن الفحام (ت٥١٦هـ).

٣ - «مفردة يعقوب»(٦) لأبي محمد عبدالباري بن عبدالرحمن الصعيدي (ت٦٥٠هـ).

٤ - «غاية المطلوب في قراءة يعقوب»(٧) لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ).

٥ - «منظومة في قراءة يعقوب»(٨) لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت٨٢٣هـ).

---

١) إيضاح المكنون ٢/٢٢١.

٢) ماسبق .

٣) ماسبق ١/٣١٤.

٤) مخطوط . منه نسخة في نور عثمانية - تركيا - تحت رقم ٤٥ ونسخة أخرى تحت رقم ٦٢. الإمام أبوعمرو الداني وكتابه «جامع البيان» ص٥٧.

٥) كشف الظنون ص١٧٧٣.

٦) ماسبق .

٧) ماسبق ص١١٩٤.

٨) كشف الظنون ص١٨٦٧.

ثامنا : مما صنف في قراءة إمام بعينه غير ما تقدم :

١ - «قراءة الأعمش»(١) لأبي طاهر عبدالواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار البغدادي (ت٣٤٩هـ).

٢ - «قراءة الأعمش»(٢) لأبي علي حسن بن داود النقاد الأموي الكوفي (ت ٣٥٢هـ).

٣ - «النير الجلي في قراءة زيد بن علي»(٣) لأبي علي الأهوازي (ت٤٤٦هـ).

٤ - «قراءة ابن محيصن»(٤) لأبي علي الحسن بن محمد الأهوازي (ت٤٤٦هـ).

٥ - «رواية ابن عامر في القراءات»(٥) لأحمد بن جعفر بن أحمد الغافقي المشهور بابن الابرازي (ت٥٦٩هـ).

٦ - «التذكار في قراءات أبان بن يزيد العطار»(٦) لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣ هـ).

٧ - «قراءة أبي عمر حفص بن عمر الدوري»(٧) لعبدالله بن محمد المدني المصري المعروف بالتكراوي .

---

١) إيضاح المكنون ٢٢١/٢.

٢) ماسبق .

٣) كشف الظنون ص١٩٩٤.

٤) ماسبق ص١٣٢٢-١٣٢٣.

٥) مخطوط . يقع في ٨٠ ورقة، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٨١٠. فهرس التفسير وعلوم القرآن ١٦٨/٢.

٦) مخطوط . يقع في خمس ورقات ، منه صورة بجامعة أم القرى - مركز البحث العلمي تحت رقم ٤١ مجاميع قراءات. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢٢١/١.

٧) مخطوط . يقع في ٨٠ ورقة منه صورة بجامعة أم القرى - مركزالبحث العلمي تحت رقم ٨١٦. فهرس التفسير وعلوم القرآن ٢١٧/٢.

ولعل من أهم الملاحظات التي تسجل عن مجال التصنيف المفرد لقراءة إمام بعينه الأمور التالية :

(١) أن القراء السبعة هم أكثر حظوة من غيرهم في أفراد قراءة كل واحد منهم بمصنف.

(٢) أن الغالب على المصنفات المفردة لقراءة إمام بعينه المصنفة بعد القرن السابع الغالب عليها الاقتصار على طريق الشاطبية.

(٣) أن القراءات الشاذة أفردت أيضا، بمصنفات، كما في قراءة «ابن محيصن» وغيره.

(٤) اقتصار بعض المصنفات المفردة لقراءة إمام بعينه على طرق وروايات بعينها عن الإمام صاحب القراءة، وعلى عكس ذلك مصنفات نقلت كل ما يتعلق بقراءة الإمام دون قيد.

(٥) أن هذا النهج من التصنيف كان معروفا من بداية التصنيف في القراءات واستمر إلى هذا العصر.

المبحث الثاني : كتب القراءات الموسعة .

سلك المصنفون في القراءات مناهج شتى ؛ فمنهم من أفرد قراءة إمام بالتصنيف، ومنهم من صنف في القراءات العشر والثمان والسبع والخمس وغير ذلك، ومؤلفو هذه المصنفات على قسمين:

القسم الأول : اشترط الأشهر واختار ما قطع به عنده؛ فتلقى الناس كتابه بالقبول، واجمعوا عليه في غير معارض.

القسم الثاني : ذكر ما وصل إليه من القراءات دون قيد(١) وإنما تساهلوا في الشروط والروايات.

وبناء على هذا الواقع اشتمل هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : كتب القراءات المحررة .

المطلب الثاني : كتب القراءات المرسلة .

المطلب الأول : كتب القراءات المحررة .

الكتب المحررة في القراءات التي يعتمد أصحابها على الأشهر المتلقى بالقبول عند الناس كثيرة، منها :

١- كتاب « السبعة» لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ) وهو أول من سبع السبعة و جرى من بعده على منواله، إلا النزر منهم(٢).

٢ - كتاب « الغاية في القراءات العشر»(٣) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرىء المصري (ت٣٨١هـ).

٣ - كتاب « التبصرة في القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

٤ - كتاب « التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ).

٥ - كتاب « الموجز في القراءات»(٤) لأبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي (ت٤٤٦هـ).

---

١) المنجد ص١٨-١٩.

٢) أبوبكر ابن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية ص٦٣-٩٢.

٣) غاية النهاية ٤٩/١-٥٠ كشف الظنون ص١١٨٩.

وقد طبع كتاب «الغاية» بتحقيق: محمد غياث الجنباز الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤) المنجد ص١٩ كشف الظنون ص١٨٩٩.

٦ - كتاب «الكافي في القراءات السبع»(١) لأبي عبدالله محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الاشبيلي (ت٤٧٦هـ).

٧ - كتاب «التلخيص في القراءات»(٢) لأبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري (ت٤٧٨هـ).

٨ - كتاب «إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات»(٣) لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي (ت٥٢١هـ).

٩ - كتاب «غاية الاختصار في القراءات العشر لأئمة الامصار»(٤) لأبي العلاء حسن بن أحمد العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ).

١٠ - كتاب «الإعلان في القراءات»(٥) لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالمجيد الصفراوي (ت٦٣٦هـ).

وغيرها من الكتب.

ومن هذه الكتب ما كان أصلا بنى عليه بعض المصنفين بعده كتبا محررة مثله ومن ذلك:

١١ - كتاب «الإقناع في القراءات السبع» لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) حيث اعتمد هذا الكتاب على كتاب «التبصرة» لمكي بن أبي طالب وكتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني.

قال ابن الباذش في مقدمة «الإقناع»: «وإني تأملت كتابَي الشيخين الإمامين أبي محممد مكي بن أبي طالب القيسي وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي رضي الله عنهما «التبصرة» و «التيسير» فالفيت معناهما للإسمية موافقا، وباطنهما للعنوان مرافقا؛ لأنهما قرباهما للمبتدئ الصغير، وقصدا قصد التبصير والتيسير و طولا مدى الكلام القصير و لادرك عليهما بل لهما الدرك والسبق الذي لا يدانى ولايدرك، لكن في كتابيهما مجال للتهذيب ومكان للترتيب، فكم هناك من منفرد حيل بينه وبين أخيه، ونازح عن أمه وأبيه، ومنفصل عن فصيلته التي تؤويه.

ولما طالت بهما الغصة ولاحت لي فيهما الفرصة، ورجوت أن أفوز

---

١) المنجد ص١٩ كشف الظنون ص١٣٧٩ وهو مطبوع في هامش كتاب «المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر» للنشار - الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٢) المنجد ص١٩ كشف الظنون ص٤٧٩.

٣) المنجد ص١٩ كشف الظنون ص٦٦.

٤) ماسبق، وقال في كشف الظنون عنه: «اقتصر فيه على الأشهر من الطرق والروايات بشروط الأحرف السبعة، وجرده عن الشاذ مطلقا وقدم أباجعفر على الكل، وقدم يعقوب على الكوفيين»اهـ.

٥) المنجد ص١٩ كشف الظنون ص١٢٨.

باهتبالها، وأحرز ما يبقى من صيتهما و جمالها، استخرت الله تعالى في ضم الشكل الى شكله وجمع ما تشتت من شمله ورد النازح إلى أهله، في كتاب يسري في الآفاق نجما، ويكون كأحدهما حجما» اهـ(١).

١٢ - منظومة «حرز الأماني ووجه التهاني» في القراءات السبع للقاسم بن فيُرّه بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت٥٩٠هـ) الذي نظم كتاب «**التيسير**» للداني (ت٤٤٤هـ) وفي ذلك يقول الشاطبي :

وفي يسرها**التيسير** رمت اختصاره فأجنت - بعون الله - منه مؤملا(٢)

واشتهرت باسم الشاطبية وهي منظومة محررة في القراءات السبع تبعا لأصلها اشتغل بها علماء القراءات ووضع لها القبول بين الناس فكم من شارح لها(٣) وكم من مختصر لها(٤) وكم من زائد عليها فوائد واشارات

---

١) الإقناع في القراءات السبع ٤٨/١-٤٩.

٢) حرز الأماني ووجه التهاني ص٦.

٣) للشاطبية شروح كثيرة منها :

- «المهند القاضبي شرح قصيدة الشاطبي» لأبي العباس أحمد بن علي الاندلسي (ت٦٤٠هـ تقريبا). كشف الظنون ص٦٤٧.

- «فتح الوصيد في شرح القصيد» لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ). كشف الظنون ص٦٤٧.

- «كنز المعاني شرح حرز الأماني» لأبي عبدالله محمد بن أحمد المعروف بـ«شعلة» الموصلي (ت٦٥٠هـ). كشف الظنون ص١٠٦٥.

- «الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية» لأبي عبدالله المغربي محمد بن الحسن بن محمد الفاسي (ت٦٥٦هـ). كشف الظنون ص٦٤٨-٦٤٩.

- «المفيد في شرح القصيد» لعلم الدين قاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي (ت٦٦١هـ). كشف الظنون ص٦٤٨.

- «كشف الرموز» شرح الشاطبية لتقي الدين يعقوب بن بدران الدمشقي الجرايدي (ت٦٨٨هـ). كشف الظنون ص٦٤٧.

- «كنز المعاني شرح حرز الأماني» لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ). كشف الظنون ص٦٤٦.

- «العقد النضيد في شرح القصيد» لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بـ«السمين» الحلبي (ت٧٥٦هـ). كشف الظنون ص٦٤٨.

- «إبراز المعاني من حرز الأماني» لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت٦٦٥هـ). كشف الظنون ص٦٤٧.

- «سراج القاري» لعلاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العذري البغدادي (ت٨٠١هـ). كشف الظنون ص٦٤٧.

٤) للشاطبية مختصرات كثيرة منها :

- «حوز المعاني في إختصار حرز الأماني» لجمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك النحوي (ت٦٧٢هـ). كشف الظنون ص٦٤٩.

- «مختصر الشاطبية» لعبدالصمد بن التبريزي (ت٧٦٥هـ). كشف الظنون

وطرق وقراءات(1).

12 - «الكنز في القراءات العشر»(2) لأبي محمد عبدالله بن عبدالمؤمن بن الوجيه الواسطي (ت740هـ) جمع فيه بين «الإرشاد» للقلانسي و«التيسير» للداني، وزاده فوائد.

ص649.

- «نظم در الجلا في قراءة السبعة الملا» مختصر الشاطبية لأمين الدين عبدالوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي (ت768هـ). كشف الظنون ص649.

- «مختصر الشاطبية» لبلال الرومي (ت (؟)). كشف الظنون ص649.

1) للشاطبية تتمات وزوائد عليها منها :

- «التكملة المفيدة لحافظ القصيدة» لأبي الحسن علي بن إبراهيم الكناني (ت720هـ). كشف الظنون ص649.

- «النظيرة» تكملة الشاطبية لأحمد بن علي بن أحمد , الهمداني (ت755هـ). كشف الظنون ص649.

- «تكملة الشاطبية في القراءات الثلاث» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن سعيد اليمني الشرعبي (ت839هـ). كشف الظنون ص649.

- «الدر النضيد في زوائد القصيد» لمحمد بن يعقوب بن إسماعيل الأسدي المقدسي الشافعي (ت749هـ). كشف الظنون ص649،735.

2) كشف الظنون ص1519.

المنهج العلمي في الكتب المحررة :

وسأعمل هنا -إن شاء الله - على إبراز أهم معالم النهج الذي سار عليه بعض مصنفي هذه الكتب المحررة في القراءات وقد اخترت الكتب التالية لأهميتها ومزيتها في التحرير والتحقيق :

١) كتاب «السبعة» في القراءات لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ).

٢) كتاب «الغاية» في القراءات العشر لابن مهران (ت٣٨١هـ).

٣) كتاب «التبصرة» في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ).

٤) كتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤ هـ).

٥) كتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (ت٨٣٣هـ).

وأقول وبالله التوفيق :

الكتاب الأول «السبعة» في القراءات .

لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ).

مكانة هذا الكتاب بإيجاز :

في تاريخ القراءات عدة معالم بارزة منها :

(أ) جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(ب) نسخ المصحف على حرف في عهد عثمان رضي الله عنه .

(ج) النقط والشكل ونحوها مما أدخل على رسم المصحف .

(د) إتجاه العلماء الى جمع القراءات وافرادها بالتصنيف.

(هـ) تسبيع القراءات السبع على يد ابن مجاهد رحمه الله إذ يعتبر ابن مجاهد أول من جمع قراءات هؤلاء السبعة واقتصر عليهم فقط، وذلك في كتابه «السبعة»(١).

والواقع أن إمامة ابن مجاهد وتمكنه من علم القراءات كانا من الاسباب الرئيسة وراء هذا القبول الذي حظي به كتابه هذا بعد توفيق الله له.

وكان تأليف ابن مجاهد لكتاب «السبعة» على رأس المئة الرابعة وفي

---

١) النشر ١/٢٤، ٣٤.

ذلك يقول علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ): «فلما كان العصر الرابع سنة ثلاثمئة وما قاربها كان أبوبكر بن مجاهد رحمه الله قد أنتهت إليه الرئاسة في علم القراءة وتقدم في ذلك على أهل ذلك العصر اختار من القراءات ما وافق خط المصحف ومن القراء بها ما اشتهرت عدالته وفاقت معرفته وتقدم أهل زمانه في الدين والأمانة والمعرفة والصيانة واختاره أهل عصره في هذا الشأن واطبقوا على قراءته، وقصد من سائر الأقطار وطالت ممارسته للقراءة والاقراء، وخص في ذلك بطول البقاء.

ورأى أن يكونوا سبعة تأنسا بهذه المصاحف الأئمة، وبقول النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب»(١) فأختار هؤلاء القراء السبعة وصنف كتابه في قراءاتهم واتبعه الناس على ذلك ، ولم يسبقه أحد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة» اهـ(٢).

أهم مزايا هذا الكتاب :

لعل أهم مزايا هذا الكتاب هي مايلي :

(أ) ضبطه للروايات التي أوردها في كتابه .

(ب) تحريره لأوجه الخلاف .

(ج) تمييزه بين الطرق .

(د) وضوح عبارته وسلاسة اسلوبه .

(هـ) التلخيص والتقريب .

كما أن ابن مجاهد مهد للتأليف في الاحتجاج للقراءات بل فتح الباب فعلا؛ إذ أن ابن مجاهد احتج للقراءات في سورة الفاتحة من كتابه «السبعة» ثم وجد أن الكتاب سيطول فترك الاحتجاج، حيث يقول رحمه الله بعد ذكر اختلاف القراء في سورة الفاتحة، وتعليله للقراءات: «استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك، وأخبرت بالقراءة مجردة» اهـ(٣).

محتويات الكتاب :

استفتح ابن مجاهد كتابه بمقدمة تحدث فيها عن حملة القرآن وتفاضلهم في ذلك، ومراتبهم في ضبطه وادائه، مدعما كلامه في ذلك بآثار عن السلف

---

١) حديث حسن . سبق تخريجه ص١٣٩ .

٢) جمال القراء ٤٣٢/٢ .

٣) السبعة ص١١٢ .

يرويها بأسانيده إليهم.

وأكد في هذه المقدمة على أصل أصيل في القراءات وهو التلقي والسماع والرواية عن رسول الله ﷺ(١).

ثم ترجم لأئمة القراء وأنسابهم واساتذتهم وتلاميذهم وختم كلامه عن أحوال القراء السبعة بالتأكيد على أن القراءة سنة متبعة فقال عليه الرحمة والرضوان: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين واجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذا فيقرأ به، من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذي لبٍّ أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزا في العربية، أو مما قرأ به قارىء غير مجمع عليه» اهـ(٢).

ثم بعد ذلك ذكر الأسانيد التي نقلت إليه القراءة عن أئمة أهل كل مصر من الأمصار التالية:

المدينة، مكة، الكوفة، البصرة، الشام(٣).

ثم ذكر بعد ذلك فرش الحروف واختلاف القراء في سور القرآن سورة سورة حتى ختم القرآن العظيم(٤).

روايات القراءات في كتاب «السبعة»:

حشد ابن مجاهد رحمه الله أسانيده في القراءات السبعة قراءة قراءة والملاحظة العامة التي أسجلها هنا أن ابن مجاهد لم يقتصر على رواية أو روايتين عن كل قارىء كما صنع أبوعمرو الداني رحمه الله في «التيسير»؛ ولكنه يذكر روايات وطرقا كثيرة، فمثلا:

ذكر لقراءة نافع خمس وعشرين رواية من خمسة عشر طريقا(٥).

وذكر لقراءة ابن كثير عشرة أسانيد مدارها على ثلاث روايات(٦).

وذكر لقراءة عاصم أحد عشر إسنادا غير أسانيد أخرى أشار إليها

---

١) استغرقت هذه المقدمة من كتاب «السبعة» من ص٤٥-٥٢.

٢) السبعة ص٨٧.

٣) استغرق ذلك من كتاب «السبعة» ص٨٨-١٠١.

٤) وذلك من ص ١٠٤ إلى آخر الكتاب.

٥) السبعة ص٨٨-٩٢.

٦) ماسبق ص٩٢-٩٤.

ومدار الأسانيد الأحد عشر على أربع روايات(١).

وذكر لقراءة حمزة ستة أسانيد مدارها على خمس روايات(٢).

الكتاب الثاني «الغاية في القراءات العشر» :

لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت٣٨١هـ).

مكانة كتاب «الغاية» باختصار :

هذا الكتاب من أهم كتب ابن مهران ، وقد عده ابن الجزري من الكتب المحررة في القراءات(٣) وهو من الكتب الجامعة لولا إيجاز وإختصار شديد في الفاظه وعباراته .

محتويات الكتاب :

قدم ابن مهران لكتابه بقوله :«سألت أسعدك الله أن أجمع لك القراءات التي قرأت بها لفظا بجميع الروايات التي وجدتها نقلا، مع ذكر الأسانيد وأن اختصرها بالفاظ لطيفة وتراجم موجزة خفيفة، لتقرب على متحفظها وتسهل؛ فلا تطول وتكثر فتثقل، فأجبتك مستعينا بالله...» اهـ(٤).

وبعد هذه المقدمة الموجزة ذكر أسانيده في القراءات التالية(٥) وهي :

- قراءة أبي جعفر .
- قراءة نافع .
- قراءة عبد الله بن كثير .
- قراءة أبي عمرو بن العلاء .
- قراءة عبد الله بن عامر .
- قراءة عاصم .
- قراءة حمزة .
- قراءة الكسائي .
- قراءة يعقوب .
- قراءة أبي حاتم السجستاني .
- قراءة خلف .

---

١) السبعة ص٩٤-٩٧.
٢) ما سبق ص٩٧-٩٨.
٣) المنجد ص١٩.
٤) الغاية في القراءات العشر ص٢٣.
٥) استغرق ذلك من كتاب «الغاية» من ص٢٣-٧٣.

ثم ذكر اختلاف القراء في الفاتحة ثم البقرة، فالإدغام ثم ذكر الإمالة، وذكر بعدها كل سور القرآن الكريم حتى آخره وختم كتابه بذكر اختلاف القراء في حذف الياء واثباتها.

روايات القراءات في كتاب «الغاية» :

حشد ابن مهران الأسانيد في مقدمة كتابه التي نقل بها القراءات التي أوردها في كتابه، والأمر معه كالأمر مع ابن مجاهد؛ اذ لم يكتف في القراءات التي أوردها على روايتين فقط بل زاد على ذلك في بعض القراءات، فمثلا :

قراءة ابن كثير أورد سنده إلى رواية قنبل عنه وسنده إلى رواية البزي عنه، وسنده إلى رواية ابن فليح عنه(١).

وقراءة أبي عمرو بن العلاء أورد سنده إلى رواية اليزيدي عنه، ثم ساق عدة طرق لرواية اليزيدي عن أبي عمرو؛ فأورد سنده إلى رواية أبي عمرو الدوري عن اليزيدي عنه، ورواية أبي شعيب السوسي عن اليزيدي عنه، ورواية عامر بن عمر الملقب بـ«أوقيه» عن اليزيدي عنه، ورواية إبراهيم صاحب السجادة عن اليزيدي عنه ورواية أبي أيوب الخياط عن اليزيدي عنه، ثم ساق سنده إلى رواية أخرى من غير طريق اليزيدي وهي رواية شجاع عن أبي عمرو، و رواية العباس عن أبي عمرو(٢).

الكتاب الثالث «التبصرة» في القراءات السبع :

لأبي بمحمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي (ت٤٣٧هـ).

أهمية الكتاب باختصار :

يعد من أهم الكتب المصنفة في هذا العلم؛ حيث جمع فيه ما تفرق في الكتب الأخرى، مع تحري الصحة، والضبط لما ينقل من القراءات، وقد عده ابن الجزري من الكتب المحررة في هذا العلم(٣).

محتويات الكتاب :

تحدث مكي في مقدمة كتابه عن الباعث لتصنيفه، وعن منهجه فيه فقال عليه

---

١) الغاية ص٣٣-٣٦.

٢) الغاية في القراءات العشر ص٣٧-٤٣.

٣) المنجد ص١٩.

من الله الرحمة والرضوان: «أما بعد : فإن أفضل ما تمسك به المتمسكون وتدبره المتدبرون وائتم به المهتدون، ولجأ اليه المعتبرون كتاب الله العزيز الذي ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾(١) وقد رغب إلي راغبون في جمع كتاب في أصول القراءات وذكر ما اختلف فيه المشهورون من القراء ؛ فبادرت إلى ذلك لما رجوت من ثواب الله العظيم في انتفاع دارسيه من أهل القرآن؛ فخرجت في هذا الكتاب أربع عشرة رواية عن السبعة المشهورين،... ... ... ، فجمعت في هذا الكتاب من الأصول ما فرق في الكتب، وقربت البعيد فهمه على الطالب، واعتمدت على حذف التطويل، والاتيان بتمام المعاني مع الاختصار ليكون تبصرة للطالب وتذكرة للعالم، وسميته : «**كتاب التبصرة**».

وأخليت هذا الكتاب من كثرة العلل، جعلته مجردا من الحجة وربما أشرت إلى اليسير من ذلك لعلة توجبه وضرورة تدعو اليه .

وقللت فيه الروايات الشاذة، وأضربت عن التكرار ليقرب حفظه على من أراد ذلك ولولا ما فرق في الكتب مما نحن جامعوه، وما عدم فيه القول مما نحن قائلوه وما صعب مأخذه على الطالب مما نحن مقربوه وما طول فيه الكلام لغير فائدة مما نحن موجزوه ومبينوه؛ لكان لنا عما قصدنا إليه شغل، وبما قد ألفه من تقدمنا من السلف الصالح رضي الله عنهم كفاية ومقنع، ونحن معترفون لهم بالفضل والتقدم لهم في العلم رحمة الله عليهم أجمعين» اهـ(٢).

وبعد تقديمه هذا ذكر أسماء القراء السبعة ومن روى عنهم ممن سيذكره(٣) ثم ذكر أسانيده المتصلة بهؤلاء الأئمة السبعة(٤) ثم ذكر إتصال قراءة من ذكر من القراء بالنبي ﷺ (٥) ثم ذكر الاستعاذة والاختلاف في البسملة(٦) ثم ذكر اختلافهم في الفاتحة وسائر سور القرآن العظيم.

روايات القراءات في كتاب «التبصرة» :

صرح مكي رحمه الله في مقدمة كتابه بأنه خرج في هذا الكتاب أربع عشرة رواية عن السبعة المشهورين، واقتصر عند ذكره لأسانيده المتصلة

---

١) اقتباس من سورة فصلت آية:٤٢.
٢) التبصرة ص١-٤ باختصار.
٣) ماسبق ص٥-٢٥.
٤) ماسبق ص٢٦-٤٤.
٥) ماسبق ص٤٤-٧٤.
٦) ماسبق ٧٥-٨٠.

إلى هؤلاء القراء على أقرب الطرق مما قرأ بأكثره ورواه، وترك ما عدا ذلك مما يتكرر الإسناد فيه لغير فائدة، ومما رواه ولم يقرأ به[1].

الكتاب الرابع «التيسير» في القراءات السبع :

لأبي عمروعثمان بن سعيد الداني القرشي القرطبي (ت٤٤٤هـ) .

أهمية الكتاب بإيجاز :

من أهم الكتب المصنفة في القراءات السبع ويتميز :

بالضبط في الرواية .

وتحرير أوجه الخلاف .

والتمييز بين الروايات .

و يسر أسلوبه وتقريبه لمسائل هذا العلم .

ويكفي للدلالة على أهمية الكتاب أنه الأصل الذي اعتمد عليه الشاطبي في منظومته في القراءات «حرز الأماني» التي اشتهرت بين العلماء حتى صار اسمها علما على علم القراءات.

محتويات الكتاب :

تحدث الداني رحمه الله في مقدمة كتابه عن الباعث له على تصنيفه وعن منهجه فيه فقال عليه الرحمة والرضوان: «إنكم سألتموني - أحسن الله إرشادكم - أن أصنف لكم كتابا مختصرا في مذاهب القراء السبعة بالأمصار - رحمهم الله - يقرّب عليكم تناوله ويسهل عليكم حفظه ويخف عليكم درسه ويتضمن من الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين، وصح وثبت عند المتصدرين من الأيمة المتقدمين ، فأجبتكم إلى ما سألتموه وأعملت نفسي في تصنيف ما رغبتموه على النحو الذي أردتموه، وأعتمدت في ذلك على الإيجاز والاختصار، وترك التطويل والتكرار، وقربت الألفاظ، وهذبت التراجم ونبهت على الشيء بما يؤدي عن حقيقته من غير استغراق لكي يوصل إلى ذلك في يسر ويتحفظ في قرب، وذكرت عن كل واحد من القراء

---

١) التبصرة ص٢٦.

روايتين...»اهـ(١).

وتقسيمه للكتاب يشابه ترتيب مكي بن أبي طالب في «التبصرة».

روايات القراءات في «التيسير» :

الداني جرى على نهج مكي في «التبصرة» فاكتفى في القراءات السبع بأربع عشرة رواية عن كل قارئ راويان(٢) فذكر عن :

- نافع رواية قالون وورش .
- وابن كثير رواية قنبل والبزي عن أصحابهما عنه .
- وابي عمرو رواية أبي عمر وأبي شعيب عن اليزيدي عنه .
- وابن عامر رواية ذكوان وهشام عن أصحابهما عنه .
- وعن عاصم رواية أبي بكر وحفص .
- وحمزة رواية خلف وخلاد عن سليم عنه .
- والكسائي رواية أبي عمر وأبي الحارث.

وذكر بعض أسانيده التي نقلت إليه هذه القراءات والروايات(٣).

الكتاب الخامس «النشر في القراءات العشر» :

لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت٨٣٣هـ) .

أهمية الكتاب بإيجاز :

كتاب «النشر» من أجمع الكتب المصنفة في القراءات مع التحرير والتدقيق ، وجمع الفوائد والفرائد حتى قال القسطلاني (ت٩٢٠هـ) في وصف هذا الكتاب بأنه: «الذي لم يسبق إلى مثله »(٤).

والواقع أن كل مصنف في القراءات بعده عالة عليه .

محتويات الكتاب :

ذكر رحمه الله الباعث على تصنيف هذا الكتاب في قوله :«وإني لما رأيت الهمم قد قصرت، ومعالم هذا العلم الشريف قد دثرت، وخلت من أئمة الآفاق، وأقوت من موفق يوقف على صحيح الاختلاف والاتفاق، وترك لذلك

---

١) التيسير ص٢-٣.
٢) التيسير ص٣ .
٣) التيسير ص١٠-١٦.
٤) اللطائف ٩١/١.

أكثر القراءات المشهورة ونسي غالب الروايات الصحيحة المذكورة حتى كاد الناس لم يثبتوا قرآنا إلا ما في «الشاطبية» و «التيسير» ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النذر اليسير وكان من الواجب عليَّ التعريف بصحيح القراءات والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات» اهـ(١).

ثم ذكر أنه عمد إلى القراءات والروايات والطرق وجمعها في كتاب يرجع اليه وسفر يعتمد عليه .

قال : «لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفا إلا ذكرته و لاخلافا إلا أثبته ولا إشكالا إلا بينته وأوضحته ولا بعيدا إلا قرَّبته، ولا مفرقا إلا جمعته ورتبته منبها على ما صح عنهم وشذ وما انفرد به منفرد وفذ، ملتزما للتحرير والتصحيح والتضعيف والترجيح معتبرا للمتابعات والشواهد، رافعا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد جمع طرق بين الشرق والغرب فروى الوارد والصادر بالغرب، وانفرد بالاتقان والتحرير واشتمل جزء منه على كل ما في «الشاطبية» و «التيسير»؛ لأن الذي فيهما عن السبعة أربعة عشر طريقا، وأنت ترى كتابنا هذا حوى ثمانين طريقا تحقيقا غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر، وفوائد دخرت له فلم تكن في غيره تذكر، فهو في الحقيقة نشر العشر.

ومن زعم أن هذا العلم قد مات.

قيل له : حييَّ بـ«النشر».» اهـ(٢).

وقد قسم كتابه إلى مقدمة طويلة تكلم فيها عن تاريخ القراءات والمصنفات فيها وأهم المسائل المتعلقة بها(٣) ثم عقد بابا ذكر فيه أسانيده إلى الكتب التي روى عنها القراءات العشر(٤) ثم ذكر أسانيد القراءات والطرق في هذه الكتب(٥)، ثم ذكر فوائد تتعلق بمخارج الحروف وصفاتها وكيف ينبغي أن يقرأ القرآن من التحقيق والحدر والترتيل والتصحيح والتجويد والوقف والابتداء ملخصا(٦) ثم عقد بابا في

---

١) النشر ٥٤/١.
٢) النشر ٥٦/١-٥٧.
٣) النشر ٢/١-٥٣.
٤) ماسبق ٥٦/١-٩٨.
٥) ماسبق ٩٨/١-١٩٠.
٦) ماسبق ١٩٨/١-٢٤٣.

الاستعاذة(١) ثم بابا في البسملة(٢) ثم ذكر اختلافهم في سورة الفاتحة(٣) ثم بابا في اختلافهم في الادغام الكبير(٤) ثم بابا في هاء الكناية(٥) ثم بابا في المد والقصر(٦) ثم بابا في الهمزتين المجتمعتين من كلمة(٧) ثم بابا في الهمزتين من كلمتين(٨) ثم بابا في الهمز المفرد(٩) ثم بابا في نقل الهمز إلى الساكن قبلها(١٠) ثم بابا في السكت على الساكن قبل الهمز وغيره(١١) ثم بابا في وقف حمزة وهشام على الهمز(١٢).

وعقد بابا في الإدغام الكبير(١٣) وبابا في حروف قربت مخارجها(١٤) وبابا في أحكام النون الساكنة والتنوين(١٥) وبابا في مذاهبهم في الفتح و الإمالة وبين اللفظين(١٦) وبابا في امالة هاء التأنيث و ما قبلها في الوقف(١٧) وبابا في ذكر تغليظ اللامات(١٨) وبابا في الوقف على أواخر الكلم(١٩) وبابا في الوقف على مرسوم الخط(٢٠) وبابا في مذاهبهم في ياءات الإضافة(٢١) وبابا في مذاهبهم في ياءات الزوائد(٢٢) و بابا في

---

١) النشر ١/٢٤٣-٢٥٩.
٢) ماسبق ١/٢٥٩-٢٧٠.
٣) ماسبق ١/٢٧١.
٤) ماسبق ١/٢٧٤.
٥) ماسبق ١/٣٠٤.
٦) ماسبق ١/٣١٢.
٧) ماسبق ١/٣٥٧.
٨) ماسبق ١/٣٦٨.
٩) ماسبق ١/٣٩٠.
١٠) ماسبق ١/٤٠٤.
١١) ماسبق ١/٤١٩
١٢) ماسبق ١/٤٢٨.
١٣) النشر٢/٢.
١٤) ماسبق ٢/٨.
١٥) ماسبق ٢/٢٢.
١٦) ماسبق ٢/٢٩.
١٧) ماسبق ٢/٨٢.
١٨) ماسبق ٢/١١١.
١٩) ماسبق ٢/١٢٠.
٢٠) ماسبق ٢/١٢٨.
٢١) ماسبق ٢/١٦١.
٢٢) ماسبق ٢/١٧٩.

بيان إفراد القراءات وجمعها(١) وبابا في فرش الحروف في سور القرآن سورة سورة حتى آخره(٢) ثم عقد بابا في التكبير وما يتعلق به(٣) ثم ختم الكتاب بالأمور المتعلقة بختم القرآن العظيم والدعاء وآدابه(٤).

الطرق والروايات في كتاب «النشر» :

حشد ابن الجزري رحمه الله الأسانيد في نقل القراءات على خطة دقيقة بديعة يقول في ذلك: «فعمدت إلى أثبت ما وصل إليَّ من قراءاتهم وأوثق ما صح لدي من رواياتهم من الأئمة العشرة قراء الأمصار، والمقتدى بهم في سالف الأعصار واقتصرت عن كل إمام براويين وعن كل راو بطريقين وعن كل طريق بطريقين مغربية ومشرقية، مصرية وعراقية، مع ما يتصل إليهم من الطرق ويتشعب عنهم من الفرق» اهـ(٥).

وقال بعد أن ساق أسانيد القراءات: «واستقرت جملة الطرق عن الأئمة العشرة على تسعمئة طريق وثمانين طريقا حسبما فصل فيما تقدم عن كل راو راو من رواتهم، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب»(٦).

ثم قال: «فهذا ما تيسر من أسانيدنا بالقراءات العشر من الطرق المذكورة التي أشرنا إليها، وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحو ألف طريق وهي أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه، لم نذكر فيها إلا من ثبت عندنا أو عند من تقدمنا من أئمتنا عدالته وتحقق لقيه لمن أخذ عنه وصحت معاصرته وهذا التزام لم يقع لغيرنا ممن ألف في هذا العلم» اهـ(٧).

---

١) النشر ٢/١٩٤.
٢) ماسبق ٢/٢٠٦-٤٠٤.
٣) ماسبق٢/٤٠٥.
٤) ماسبق ٢/٤٤٠-٤٦٧.
٥) ماسبق ١/٥٤.
٦) ماسبق ١/١٩٠.
٧) ماسبق ١/١٩٢-١٩٣.

بعد هذه الجولة الموجزة مع خمسة من كتب القراءات المحررة ، أسجل الملاحظات التالية :

(١) أن جميع الكتب السابقة اعتمد أصحابها على الروايات والطرق الصحيحة المعتمدة عند أهل العلم.

(٢) أن المصنفين جميعهم فيما سبق يؤكدون على أصل التلقي والرواية والسماع في القراءات ؛ وذلك من خلال ما يوردونه من أسانيدهم في القراءات في مقدمات كتبهم فيها.

(٣) أن المصنفين في القرءات منهم من اقتصر على روايتين لكل قراءة ومنهم من لم يقتصر على ذلك كما رأينا مع ابن مجاهد وابن مهران عليهما الرحمة والرضوان.

(٤) أبرزت هذه الجولة السريعة المختصرة تميز كتاب ابن مجاهد «السبعة» وكتاب ابن مهران «الغاية» وكتاب ابن الجزري «النشر» عن غيرها من الكتب المصنفة في القراءات.

(٥) أن الكتب المحررة في القراءات لم تخرج عن القراءات العشر ؛ وذلك لما سبق تقريره من أنّ القراءات العشر متواترة متلقاة بالقبول عند أهل العلم والله أعلم.

وإذا كان هذا هو الحال في الكتب المحررة في القراءات فما الحال في الكتب غير المحررة في القراءات ؟ .
جواب هذا السؤال في المطلب التالي .

المطلب الثاني : كتب القراءات المرسلة .

المقصود هنا الكتب المصنفة في القراءات المشتملة على أكثر من قراءة واكتفى أصحابها بمجرد النقل لما وصل إليهم دون قيد أو شرط.

من السبل التي سلكها المصنفون في القراءات سبيل الرواية المجردة، حيث يكتفي المصنف بإيراد ما وقع في روايته من القراءات دون اشتراط الصحة والشهرة أو أي قيد آخر مخالف أو مشابه، وهذه المصنفات مهمة جدا لا في القراءات فقط بل في التفسير واللغة أيضا؛ لأنها تنقل إلينا جملة كبيرة من النصوص التي اصطلح أئمة القراءات على تسميتها بالقراءات الشاذة كما أنها توقف الباحث على أسانيد هذه القراءات وتمكنه من النظر فيها ودراستها للحكم عليها.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الكتب اشتملت على جملة من القراءات الصحيحة أيضا مع اشتمالها على جملة من القراءات الشاذة، والباطلة أحيانا.

و سأذكر هنا بعض هذه الكتب مع ما تيسر لي الوقوف عليه من معلومات حولها، فمن ذلك :

١ - كتاب «القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) صنف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة خمس وعشرين قارئا مع القـــراء السبعـــة(١).

وأبو عبيد لا يسقط القراءة الشاذة - التي صح سندها وخالفت رسم المصحف - بل يرى أن القصد من إيرادها ونقلها هو تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، وذلك على أدنى الأحوال(٢).

٢ - جزء فيه «قراءات النبي ﷺ» لأبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت٢٤٦هـ) ساق فيه الروايات على ترتيب سور القرآن سورة سورة.

---

١) النشر ٣٤/١ كشف الظنون ص١٤٤٩ وانظر ماسبق ص١٦٨-١٧٠.

٢) نقلتُ عبارته سابقا ص ١٢١-١٢٢ وانظرها في البرهان في علوم القرآن ٣٣٦/١-٣٣٨ الإتقان (أبوالفضل) ٢٢٨/١.

ويلاحظ ما يلي :

(١) أن ما أورده المصنف في هذا الجزء من قراءات لم يقصد بها القراءة التي يجب أن تقرأ لكونها أسندت إلى النبي ﷺ أو أنها اختيارات للمصنف، لكنه يسوق روايات وصلته عن جمع من شيوخه إلى النبي ﷺ منها صحيحة ومنها غير ذلك وربما صح بعضها إلى النبي ﷺ مع مخالفته لرسم المصحف(١).

(٢) في هذا الجزء قراءات سبعية متواترة رويت من طرق غير الطرق المشهورة التي قرأ بها أصحابها(٢) وهذا ظاهر من خلال تصفح روايات الجزء.

(٣) حينما نقارن عدد الروايات التي في هذا الجزء مع عدد الروايات في الكتب التي بوب أصحابها لقراءات النبي ﷺ نجد أن هذا الجزء يفوقها من حيث العدد، فمثلا :

اشتمل كتاب «الحروف والقراءات» من سنن أبي داود على أربعين حديثا.

اشتمل كتاب «القراءات» من سنن الترمذي على ثلاثة وعشرين حديثا.

اشتمل كتاب «قراءات النبي ﷺ» من مستدرك الحاكم على عشر ومئة حديثٍ.

بينما اشتمل هذا الجزء على ثلاثين ومئة رواية .

(٤) هذا الجزء هو الكتاب الوحيد المطبوع من المصنفات التي صنفت بعنوان : «قراءات النبي ﷺ»(٣).

٣ - كتاب «القراءات» لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني (ت٢٤٨هـ)(٤).

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة وأطرحهم قد ترك أبوحاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق

---

١) مقدمة المحقق لهذا الجزء ص٩.
٢) ماسبق ص٧.
٣) من الكتب المصنفة في ذلك كتاب : «قراءة النبي ﷺ» لابن مجاهد. أنظر فهرست ابن النديم ص٤٧ فهرست ابن خير الاشبيلي ص٢٣.
٤) غاية النهاية ٣٢٠/١ كشف الظنون ص١٤٤٩.

هؤلاء السبعة» اهـ(١).

٤ - كتاب « القراءات» لإسماعيل بن إسحاق (ت٢٨٢هـ) (٢).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) عن إسماعيل بن إسحاق: « ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة» اهـ(٣).

٥ - كتاب « القراءات» للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) (٤).

قال ابن الجزري متحدثا عن الطبري : «جمع كتابا حافلا سماه « الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة» اهـ(٥).

قال مكي القيسي (ت٤٣٧هـ) : «زاد الطبري في كتاب « القراءات» له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلا(٦) من الصحابة والتابعين ومن دونهم»(٧).

قال الطبري في كتابه « القراءات» : «كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرأوا بها القرآن؛ فليس لنا أن نخطيء من قرأ به إذا كان ذلك موافقا لخط المصحف، فإن كان مخالفا لخط المصحف لم نقرأ به ، ووقفنا عنه وعن الكلام فيـه» اهـ(٨).

٦ - كتاب « المنتهى في القراءات الخمسة عشر» للإمام محمد بن جعفر بن عبدالكريم أبو الفضل الخزاعي الجرجاني (ت٤٠٨هـ) (٩).

يشتمل هذا الكتاب على مئتين وخمسين رواية(١٠).

---

١) الإبانة ص٣٩-٤٠.
٢) غاية النهاية ١٦٢/١ كشف الظنون ص١٤٤٩.
٣) النشر ٣٤/١.
٤) كشف الظنون ص٥٧٦.
٥) النشر ٣٤/١.
٦) الإبانة ص٤٠.
٧) ماسبق ص٥٩-٦٠.
٨) انظر «الإبانة» ص٦٠.
٩) كشف الظنون ص١٨٥٨.
١٠) غاية النهاية ١٠٩/٢.

قال ابن الجزري عنه : «جمع فيه ما لم يجمع قبله» اهـ(١).

٧ - كتاب «الإيضاح» (٢) و كتاب «جامع المشهور والشاذ» كلاهما لأبي علي حسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي (ت٤٤٦هـ).

قال ابن الجزري عن الأهوازي : «مؤلف «الوجيز» و «الإيجاز» و «الإيضاح و «الاتضاح» و «جامع المشهور والشاذ» ومن لم يلحقه أحد في هذا الشأن» اهـ(٣).

٨ - كتاب «الكامل» في القراءات الخمسين لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي (ت٤٦٥هـ) (٤).

مكانة كتاب «الكامل» في القراءات بإيجاز :

تتلخص مكانة هذا الكتاب في أمرين إثنين هما :

جمعه لهذا العدد من القراءات .

تضمنه إختيار الهذلي من القراءة .

قال الهذلي : «وسئلت أن اختار إختيارا يوافق العربية والأثر والمعاني والأحكام فأجبتهم إلى ذلك» اهـ(٥).

محتويات الكتاب :

استفتح الهذلي كتابه بالكلام عن فضائل القرآن العظيم(٦) ثم عقد فصلا في فضل القارئ والمقرئ وحامل القرآن(٧) ثم عقد فصلا آخر في أدب القارئ والمقرئ(٨) ثم فصلا آخر في معنى القارئ والمقرئ(٩) ثم فصلا في فضل المقرئين السبعة ومن تبعهم(١٠) ثم فصلا في ذكر قراء أهل

---

١) النشر ١/٣٤.
٢) كشف الظنون ص٢١١.
٣) النشر ١/٣٥، وانظر ترجمته في «غاية النهاية» ١/٢٢٠-٢٢٢.
٤) كشف الظنون ص١٣٨١.
٥) الكامل (مخطوط) لوحة ٥٣/ب.
٦) ماسبق لوحة ١ - ٤ .
٧) ماسبق لوحة ٥/أ.
٨) ماسبق لوحة ٦/ب.
٩) ماسبق لوحة ٧/ب.
١٠) ماسبق لوحة ٨/ب.

مكة(١) ثم فصلا في فضايل أهل الكوفة(٢) ثم فصلا في الأخبار الواردة أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ومعنى السبعة واختلاف الناس فيها على الإختصار(٣) ثم عقد عدة كتب كالتالي :

كتاب التجويد(٤)كتاب العدد(٥)كتاب الوقف(٦)كتاب الأسانيد(٧)كتاب الإمالات(٨)كتاب الإدغام وما يتعلق به(٩)كتاب الهمزة(١٠)كتاب المد والوقف لحمزة(١١)كتاب الياءات(١٢)كتاب الهاءات وميماتَ الجمع(١٣)كتاب التعوذ والتسمية والتهليل والتكبير(١٤)كتاب الفرش(١٥).

وضمّن كل كتاب مما سبق فصولا تبحث في مسائله .

روايات القراءات في كتاب «الكامل» :

جمع الهذلي في كتابه خمسين قراءة عن الأئمة والفا وأربعمئة وتسعة وخمسين رواية وطريقا(١٦).

قال الهذلي : «جملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمئة وخمسة وستون شيخا من آخر المغرب إلى باب «فَرْغَانة» يمينا وشمالا و جبلا و بحرا .

ولو علمت أحدا تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته»

وقال أيضا رحمه الله : « ألفت هذا الكتاب « الكامل» فجعلته جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي : « الوجيز»

---

١) الكامل في القراءات (مخطوط) لوحة ٩/ب.
٢) ماسبق لوحة ١٣/ب.
٣) ماسبق لوحة ١٧/أ .
٤) ماسبق لوحة ١٩/ب.
٥) ماسبق لوحة ٢٤/أ .
٦) ماسبق لوحة ٣٣/أ .
٧) ماسبق لوحة ٣٨/ب.
٨) ماسبق لوحة ٨٠/ب.
٩) ماسبق لوحة ٩٥/ب.
١٠) ماسبق لوحة ١١١/أ .
١١) ماسبق لوحة ١٣٥/أ .
١٢) ماسبق لوحة ١٤٠/ب.
١٣) ماسبق لوحة ١٥١/أ .
١٤) ماسبق لوحة ١٥٥/أ .
١٥) ماسبق لوحة ١٥٧/أ .
١٦) النشر ٣٥/١.

و« الهادي».» اهـ(١).

٩ - كتاب «سوق العروس في القراءات» لأبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري نزيل مكة (ت٤٧٨هـ) (٢).

أورد فيه خمسين وخمسمئة والفا من الروايات والطرق(٣).

١٠ - كتاب «المبهج في القراءات الثماني وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي» لعبدالله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط (ت٥٤١هـ) (٤).

١١ - كتاب «الجامع الأكبر والبحر الأزخر» لأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز الاسكندري (ت٦٢٩هـ) (٥).

يحتوي على سبعة الآف رواية وطريق (٦).

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : «وفي الجملة فكتابه (يعني : الاسكندري) الذي جمعه وسماه «الجامع الأكبر» لم يجمع مثله في هذا الفن فانه لم يترك من القراءات شيئا قل ولا جل إلا نادرا من رآه رأى العجب» اهـ(٧).

أما بعد :

فهذه جملة من الكتب المصنفة في القراءات التي اكتفى أصحابها برواية ما وقع لهم من القراءات مجردا عن شرط أو قيد، فمن أراد التمييز بين الصحيح منها والشاذ فعليه بالرجوع إلى كتاب مقيد أو مقرىء مقلد مجود(٨) والله أعلم .

---

١) انظر غاية النهاية ٣٩٨/٢.
٢) كشف الظنون ص١٠٠٩.
٣) النشر ٣٥/١.
٤) كشف الظنون ص١٥٨٢.
٥) غاية النهاية ٦٠٩/١.
٦) النشر ٣٥/١.
٧) غاية النهاية ٦١١/١.
٨) المنجد ص١٩.

المبحث الثالث : كتب توجيه القراءات .

المقصود هنا الكتب المصنفة في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عن عللها وحججها.

من المسالك التي سلكها المصنفون في القراءات مسلك الاحتجاج لها ولعل الداعي إلى سلوك هذا النهج هو بيان وجه اختيار القارئ للقراءة بهذا الوجه و هو يساعد أيضا على دفع الشبه في نحور الملحدين كما يساعد على إثراء معاني القرآن العظيم أو ترجيح بعضها على بعض، ونحو ذلك(١).

وقد قيل لابن المبارك(٢) : إن الكسائي قد وضع كتابا في إعراب القرآن مثل: «الحمدلله» (بضم الدال) و «الحمد لله» (بنصب الدال) و «الحمد لله» (بخفض الدال) فمن رفع حجته كذا ومن نصب حجته كذا ومن خفض حجته كذا.

فكيف ترى في ذلك؟.

فقال ابن المبارك : إن كانت هذه القراءة قرأ بها قوم من السلف من القراء فالتمس الكسائي المخرج لقراءتهم فلا بأس به وإن كانت قراءة لم يقرأ بها أحد من السلف من القراء فاحتملها على الخروج على النحو؛ فأكرهه.

قال السائل لابن المبارك : ثم قَدِمْتُ بعد ذلك بغداد والكسائي حي، لقيت بها رجلا من أهل نيسابور يقال له: «مت» أخو حفص بن عبدالرحمن وكان من

---

١) وقد سبق ملاحظة أن كتب «معاني القرآن» اهتمت بصورة واضحة بتوجيه القراءات ومعانيها، كما تجد ذلك في كتاب الفراء والأخفش.

وهذا التعليل أوجه - عندي - من القول: «إن التصنيف في ذلك إنما كان باعثه إثبات حجية القراءة بالنحو»

وذلك لأن هذا القول عكس للواقع، إذ الواقع أن القراءات يحتج بها لا لها على قواعد العربية، وما ثبت بها أصل يرجع ويرد إليه ولا يرجع هو إلى غيره.

أنظر التمهيد الذي كتبه الشيخ سعيد الأفغاني في مقدمة تحقيقه لكتاب «حجة القراءات» لابن زنجلة ص١٨-١٩ و ما كتبه د / عبدالفتاح شلبي في بحثه «الإحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره» ص٧١.

٢) عبدالله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير توفي سنة ١٨١هـ. التقريب ص٣٢٠.

أعلم الناس بالنحو والعربية فأخبرته بقول ابن المبارك؛ فقال: أحسن أبو عبد الرحمن وأعجبه قوله.

وقال : ولكن أخبرك أن الكسائي يقول: إن هذه الوجوه كلها قراءة القراء من السلف»اهـ(١).

وهذا الخبر فيه بيان الخطوة الأولى في الاحتجاج للقراءات مع بيان الأصل الذي ينتبه إليه وهو كون القراءات توقيفية، فلا يصح أن يأتي أحد بأوجه من القراءة تحتملها العربية دون أن يكون له سند من الرواية والتلقي عن القراء من السلف.

ويمكن تلخيص المعالم الكبرى لتطور الاحتجاج للقراءات على النحو التالي (٢) :

الخطوة الأولى : في التخريجات الفردية التي قام بها بعض أهل العلم حينما احتجوا لبعض القراءات ووجهوها، وكشفوا عن عللها .

الخطوة الثانية : تتمثل في جمع القراءات المختلفة والبحث عن إسنادها حيث يعد البحث عن الإسناد ضرب من الاحتجاج .

الخطوة الثالثة : تتمثل في احتجاج المشارقة والمغاربة لسبعة ابن مجاهد أو الاقتصار على الانتصار لقارئ من السبعة، أو لأصل من أصول القراءات.

وهذا المبحث معقود لذكر الكتب التي تمثل الخطوة الثالثة في تطور الاحتجاج للقراءات حسب التسلسل الزمني فمن ذلك :

١ - كتاب «احتجاج القراء في القراءة» لشمس الدين محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي المصري (ت ٣١٦هـ).

مات قبل أن يتم كتابه(٣).

٢ - كتاب «إحتجاج القراء في القراءة»(٤) لمحمد بن حسن بن يعقوب بن مقسم البغدادي النحوي (ت٣٥٤هـ).

---

١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٩٧/٢.

٢) الاحتجاج للقراءات بواعثه... ص٨٧ بتصرف، وهو قد بسط الكلام عن هذه الخطوات.

٣) فهرست ابن النديم ص٩٣ كشف الظنون ص١٥.

٤) فهرست ابن النديم ص٤٩ كشف الظنون ص١٥ وذكر له ابن النديم الكتب التالية: «كتاب السبعة بعللها» الكبير «كتاب السبعة» الأوسط، «كتاب الأصغر» ويعرف بـ«شفاء الصدور».

٣ - كتاب «الحجة في علل القراءات السبع»(١) لأبي علي حسن بن أحمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) قام فيه بتوجيه القراءات السبع التي أوردها ابن مجاهد في كتابه(٢).

طريقته في كتابه بإيجاز :

كان الفارسي يبدأ بنص أبي بكر ابن مجاهد في كتابه «السبعة» في القراءات؛ فيذكر اختلاف القراء في الحرف الذي يريد بيان وجهه، مرتبا ذلك على ترتيب آي القرآن الكريم في الحروف التي وقع فيها الاختلاف، ثم يورد كلام أبي بكر بن السراج (ابن السري) ثم ينهي الحكاية عنه ثم يصدر إحتجاجه بكلمة: «قال أبوعلي».

واهتم أبو علي بإيراد كلام ابن السري في كتابه «احتجاج القراء» حتى انتهى القدر الذي تركه وذلك عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:٢، وبعد هذه الآية يستقل أبو علي بالاحتجاج فلا يرد ذكر ابن السري.

ولا يعمد أبو علي إلى اللفظ القرآني الذي وقع فيه الاختلاف بين القراء فيتحدث عنه مبينا وجهه؛ بل يتناول الآية التي وقع فيها ذلك الحرف فيتحدث عن التفسير اللغوي لكلماتها، مستقصيا المعاني التي تحتملها هذه الكلمات، موردا لكل معنى سنده من القرآن الكريم مستدلا بأقوال أئمة اللغة السابقين ومستشهدا بما روي من الشعر جاهليه و إسلاميه، وهكذا يمضي في الشرح اللغوي، ثم يتبعه بتصريف الكلمة - إن كانت تحتمل التصريف - ذاكرا الآراء المحتملة مستدلا على كل رأي بما لديه من نصوص قرآنية وشعر وأقوال، ويذكر الرأي الذي يختار ويستدل عليه.

ثم يخلص من ذلك إلى الحديث فيما يتصل بذلك من مسائل النحو فيذكر آراء ائمة النحاة من أمثال الخليل (ت١٧٥هـ) وسيبويه (ت١٨٠هـ)

---

١) طبع الجزء الأول منه بتحقيق علي النجدي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي - الهيئة المصرية - القاهرة١٣٨٥هـ ثم توقف طبع الكتاب.

ثم بدأ في السنتين الأخيرتين طبعه بجهود محققين فاضلين من الشام يسر الله إتمامه وأعانهما عليه.

٢) حتى أن محقق كتاب «السبعة» لابن مجاهد اعتبر أن في ثنايا كتاب «الحجة» للفارسي نسخة من كتاب ابن مجاهد، تنقص مقدمات الكتاب عن القراء السبعة وأساتذتهم وتلاميذهم وأسانيد ابن مجاهد إليهم. مقدمة تحقيق «السبعة» ص٣٩.

والكسائي (ت١٨٢هـ) والفراء (ت٢٠٧هـ) والأخفش (ت٢١٥هـ) والمازني(١) والمبرد (ت٢٨٥هـ) وثعلب(٢) وينتصر لفريق دون فريق، ويرى الرأي ويعززه بالأدلة والشواهد من النقل والقياس وفي غضون كل بحث من هذه البحوث يستطرد بذكر قضايا ويستدل عليها حتى ينتهي من ألفاظ الآية على هذا النحو لغة ونحوا وصرفا وتفسيرا واحتجاجا وتدليلا، وقد يخلط ذلك كله بمسائل تتصل بالفقه والعقيدة والبلاغة، ثم يعود إلى إعراب الآية، وقد يذكر شيئا من الأصول النحوية التي بنى عليها توجيهه الاعرابي.

وبعد هذه الجولة الواسعة المتقصية المستطردة يعود إلى بيان وجه قراءة كل قارىء راجعا إلى أصل من أصول العربية(٣).

ولعل هذا التطويل الذي سلكه الفارسي في كتابه كان سببا في انصراف بعض الناس عن كتابه، وفي هذا يقول ابن جني (ت٣٩٢هـ) تلميذ الفارسي: «إن أبا علي - رحمه الله - عمل كتاب «الحجة في القراءات» فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء»اهـ(٤).

٤ - كتاب «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها»(٥) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ).

قال ابن جني رحمه الله : «اعلم أن جميع ما شذ عن قراءة القراء

---

١) بكر بن محمد بن حبيب بن بقية أبو عثمان المازني إمام في العربية، قوي في المناظرة من أهل البصرة توفي سنة ٢٤٩هـ وقيل غير ذلك . بغية الوعاة ص٢٠٢ الأعلام ٦٩/٢.

٢) أحمد بن يحي بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي أبوالعباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة (٢٠٠-٢٩١هـ). بغية الوعاة ص١٧٢.

٣) استفدت في عرض كتاب الفارسي وبيان منهجه في كتابه «الحجة» من كتاب «أبوعلي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو» ص١٧٨-١٧٩ .

٤) المحتسب ٣٤/١ وقال أيضا ٢٣٦/١ : «وقد كان شيخنا أبوعلي عمل كتاب «الحجة» في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية فضلا على القرأة منه، وأجفاهم عنه»اهـ

ومن أجل هذا تمنى الشيخ سعيد الأفغاني لو أن أحدا عرض مادة كتاب «الحجة» - عرضا منسقا يفي بحاجة أهل العلم وطلابهم ويجنبهم في الوقت نفسه مكارهه - في جزء لطيف مقتصرا فيه على ما يتعلق بتوجيه القراءات. مقدمة تحقيق «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٢٢.

٥) مطبوع بتحقيق على النجدي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي ، وقدم لطبعته الثانية محمد بشير الادلبي - دار سزكين للطباعة والنشر - ١٤٠٦هـ.

السبعة - وشهرتهم مغنية عن تسميتهم - ضربان :

ضرب شذ عن القراءة عاريا من الصنعة، ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله فلا وجه للتشاغل به، وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعا على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأغربت طريقته.

وضرب ثان وهو هذا الذي نحن على سمته، أعني: ما شذ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعول عليه، المولى جهة الاشتغال به.

ونحن نورد ذلك على ما رويناه ثم على ماصح عندنا من طريق رواية غيرنا له، لا نألوا فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته وتحري الصحة في روايته، وعلى أننا ننحي فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، إذ كان مرسوما به محنو الأرجاء عليه وإذ هو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته» اهـ(١).

قلت : يلاحظ مايلي :

(١) أن القراءات الشاذة عند ابن جني هي ما وراء السبعة، فكتابه «المحتسب» مشتمل على جملة كبيرة من القراءات الثلاث المتممة للعشر، التي صحح أهل العلم تواترها مع السبعة في الجملة من طرقها المشهورة.

وبناء على هذا فإن كتابه يحتوي على توجيه جملة كبيرة من القراءات الثلاث المتممة للعشر.

(٢) أن عمدة ابن جني في القراءات الشاذة هو مصنف ابن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة.

وعليه فإن كتاب «المحتسب» يحمل بين ثناياه نسخة من كتاب «شواذ القراءة» لابن مجاهد بدون المقدمة.

ومنهج «المحتسب» قريب من منهج «الحجة» لأبي علي الفارسي رحمه

---

١) المحتسب ٣٥/١.

الله(١) لايكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة الإحتجاج لقراءة الجماعة والقراءة الشاذة؛ فأبو الفتح يعرض القراءة ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهدا فيرويه، أو نظيرا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلا أو توجيها فيعرضه في قصد و إجمال، أو تفصيل وافتنان على حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة، وهو في الجملة أخذ بها واطمئنان إليها.

وربما وقع في نفسك من كثرة ما عدد من خصائصها واستخرج من لطائفها أنه يؤثرها ويحكم لها على قراءة الجماعة، كما تراه في إحتجاجه لقراءة الحسن «اهدنا صراطا مستقيما» الفاتحة:٦ (٢).

وإن هو لم يجد للقراءة وجها يسكن إليه إما لشذوذه في اللغة، واما لحاجته في الاحتجاج إلى ضرب من التكلف والاعتساف لم يتحرج أن يردها أو يضعف القراءة بها، لايكاد يأخذها هي نفسها بهذا أو ذاك، ولكن يأخذ به الوجه الذي يتجه بها إليه فهو أخذ غير مباشر ولا صريح.

فقال مثلا في الاحتجاج لقراءة ابن محيصن: «ثم أطره إلى عذاب النار» البقرة:١٢٦ بإدغام الضاد في الطاء، قال ابن جني رحمه الله: «هذه لغة مرذولة» اهـ(٣).

وقال في الاحتجاج لقراءة أبي جعفر يزيد: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾(٤) البقرة:٣٤ بضم التاء: «هذا ضعيف عندنا جدا» اهـ(٥).

وليس عجيبا ولا منكورا أن يتشابه كتاب «الحجة» وكتاب «المحتسب» في

---

١) تجد فصلا كاملا في تأثر ابن جني في «المحتسب» بأبي علي ضمن كتاب «أبوعلي الفارسي حياته ومكانته...» ص٢٢٧-٣٨٤.

٢) المحتسب ١/٤١-٤٣.

٣) المحتسب ١/١٠٦.

٤) قرأ أبوجعفر من رواية ابن جماز ومن غير طريق هبة الله وغيره عن ابن وردان بضم التاء حالة الوصل، ووجه ذلك أنهم استثقلوا الانتقال من الكسرة الى الضمة اجراء للكسرة اللازمة مجرى العارضة، وذلك لغة «أزد شنوءة»، وعللها أبو البقاء: بأنه نوى الوقف على التاء فسكنها ثم حركها بالضم اتباعا لضم الجيم ولم يعتد بالساكن فاصلا، وهذا من اجراء الوصل مجرى الوقف، وروى هبة الله وغيره عن ابن وردان اشمام كسرتها الضم، ووجه الاشمام أنه أشار الى الضم تنبيها على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وصحح في النشر الوجهين عن ابن وردان، وقرأ باقي العشرة بالكسرةالخالصة على الجر بالحروف. انظر «النشر» ٢/٢١٠ «الاتحاف» ص١٣٤.

٥) المحتسب ١/٧١.

المنهج على هذا النحو؛ فموضوعهما واحد، وصاحب «الحجة» أستاذ لصاحب «المحتسب» ووحدة الموضوع تستدعي تشابها في علاج مسائله، وللاستاذ في تلميذه تأثير، وللتلميذ في أستاذه قدوة.

على أن ابن جني كان يأخذ على كتاب «الحجة» إغماض أسلوبه، وطول الاحتجاج فيه حتى عي به القراء، وجفا عنه كثير من العلماء(١) فلم يشأ أن يكون في «المحتسب» كما كان شيخه من قبله في «الحجة» لهذا لا تراه يكثر مثله من الشواهد و لا يمعن إمعانه في الإستطراد، ولا يغمض إغماضه في الإحتجاج، وهو يذكر هذا وينبه عليه في مواطن شتى من الكتاب(٢).

٥ - كتاب «حجة القراءات»(٣) لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة من علماء القرن الرابع الهجري(٤).

في الاحتجاج للقراءات السبع.

انتهج ابن زنجلة في كلامه على القراءات الترتيب المعروف للسور من فاتحة الكتاب إلى خاتمته؛ فهو يذكر عنوان السورة، ثم يشرع في الكلام على الآيات التي فيها أوجه للقراءات على ترتيبها في السورة، فينسب كل قراءة إلى قارئها من السبعة ثم يذكر الحجة في قراءته، وينتقل إلى الوجه الآخر ذاكرا الحجة فيه أيضا، وهو إذا وجد الحجة من القرآن نفسه بدأ بها، وإذا كانت الحجة في الحديث ذكره، كما يورد في ذلك الشعر والنثر من كلام العرب، ويورد كلاماللغويين والنحويين، حتى إذا فرغ انتقل إلى آية بعدها مما فيه وجوه مختلفة متجاوزا الآيات التي لا خلاف في قراءتها بين السبعة.

ويمتاز كلامه وشرحه بالوضوح والإيجاز مكتفيا بأقل ما يقنع من الحجج، وإذا كان له اختيار ذكره بعد فراغه من عرض الوجوه المختلفة للقراءات الصحيحة(٥).

---

١) سبق نقل بعض نصوصه في ذلك أثناء الحديث عن كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي.
٢) استفدت في بيان منهج ابن جني من مقدمة تحقيق «المحتسب» ١/١١-١٩.
٣) مطبوع بتحقيق سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.
٤) مقدمة تحقيق الحجة لابن زنجلة ص٢٦.
٥) استفدت في ايضاح منهج ابن زنجلة في كتابه مما كتبه محققه في مقدمته ص٣٠-٣٦.
وقد لاحظت أثناء مراجعاتي لهذا الكتاب أنه يكاد أن يكون تلخيصا لكتاب ابن خالوية (ت ٣٧٠هـ) «إعراب قراءات أهل الأمصار» والله أعلم بحقيقة الحال.
وقد أبديت هذه الملاحظة لمحقق كتاب ابن خالوية الدكتور/ عبدالرحمن ابن عثيمين =

٦ - كتاب « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها»(١) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

يتحدث مكي في مقدمة كتابه هذا فيقول : «كنت قد ألفت بالمشرق كتابا مختصرا في القراءات السبع في سنة احدى وتسعين وثلاثمئة وسميته «كتاب التبصرة» وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلبا للتسهيل، وحرصا على التخفيف ووعدت في صدره أني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب « التبصرة»(٢)، أذكر فيه حجج القراءات ووجوهها وأسميته: «كتاب الكشف عن وجوه القراءات» ثم تطاولت الأيام وترادفت الأشغال عن تأليفه وتبيينه ونظمه الى سنة أربع وعشرين وأربعمئة...... وهأنذا حين أبدأ بذلك - أذكر علل ما في أبواب الأصول، دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف؛ إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه، وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب.

- ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ومن قرأ به وعلته حجة كل فريق.

- ثم أذكر اختياري في كل حرف، وأنبه على علة إختياري لذلك كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين» اهـ(٣).

٧ - كتاب « الجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب»(٤) لشريح بن محمد الرعيني(ت٥٣٩هـ).

٨ - كتاب « الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة»(٥) لنور الدين علي بن الحسين بن علي الباقولي (ت٥٤٣هـ).

= فأقرني عليها وأفاد أنه لا حظ ذلك أيضا.

١) طبع بتحقيق د/ محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢) تقدم الحديث عنه ضمن الكتب المحررة في القراءات ص ٢٢٢.

٣) الكشف ١/٣-٥ باختصار.

٤) تاريخ التراث العربي ١/٢٣.

٥) كشف الظنون ص١٤٩٣.

٩ - كتاب «تلخيص علل القرآن»(١) لأبي الفضل حبيش بن براهيم التفليسي (ت٦٢٩هـ).

١٠ - كتاب «تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القـرآن»(٢) لأحمد بن يوسف الرعيني (ت٧٧٧هـ).

موضوع هذا الكتاب :

ما قرئ بالحركات الثلاث في القرآن الكريم، سواء أكان التثليث بنية، أو إعرابا، وسواء أكانت القراءة متواترة أم آحادا.

طريقة المؤلف(٣):

يعرض الآية مصدرا إياها بقوله : «ومن ذلك قوله تعالى في سورة.. قرئ بفتح.. وضمها وكسرها»، ثم يشرع في الحديث عن كل واحدة بذكر من قرأ بها من القراء أو بعضهم، ثم ما فيها من توجيهات وتعليلات.

وقد يستطرد فيذكر بعض الأمور التي تتعلق بالآية، ويعنون لها بـ«تتميم».

عرض المصنف في كتابه ثمانيا وثمانين لفظة مثلثة، رتبها على حروف المعجم مراعيا الحرف المثلث، فـ«شركاءكم» بتثليث الهمزة وضعها في حرف الهمزة و «رب» بتثليث الباء وضعها في حرف الباء، و «جذوة» بتثليث الجيم وضعها في حرف الميم .

والتزم داخل الحرف الواحد ترتيب الآيات على ورودها في القرآن الكريم ؛ فقدم ما ورد من الفاظ مثلثة في الفاتحة على البقرة وهكذا .

١١ - كتاب « القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب»(٤) لعبدالفتاح القاضي (ت١٤٠٣هـ).

قال الشيخ عبدالفتاح القاضي رحمه الله في مقدمة كتابه هذا: «وبعد فهذه مذكرة ذكرت فيها القراءات التي انفرد بنقلها القراء الأربعة ابن محيصن. يحي اليزيدي. الحسن البصري. سليمان الأعمش. أو أحدهم، أو راو من رواتهم فإن وافقت قراءة واحد منهم إحدى القراءات المتواترة

---

١) كشف الظنون ص٤٧٩ المستدرك على معجم المؤلفين ص١٨٧.

٢) مطبوع بتحقيق دعلي حسين البواب - دار المنارة - جدة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣) استفدت من مقدمة المحقق في بيان منهج الرعيني ص١١-١٣.

٤) طبع مع كتاب «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» للمصنف نفسه رحمه الله تعالى - نشر الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

أو وجها من وجوهها تركت الكلام عليها.

وقد ذكرت لكل قراءة من تلك القراءات وجهها من اللغة والإعراب مؤثرا في ذلك أحسن الأوجه وأشهر الأعاريب سالكا سبيل القصد والاعتدال.

وقدمت بين يدي المقصود بحثين شرحت في الأول منهما أركان القراءة المقبولة، وما تتميز به عن القراءة الشاذة المردودة، وبينت حكم القراءة بكل منهما وحكم تعلم القراءة الشاذة وتعليمها وتدوينها في الكتب، وذكرت في الثاني كلمة موجزة في تاريخ القراء الأربعة ورواتهم وطرقهم» اهـ(١).

١٢ - كتاب «المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة»(٢) لمحمد سالم محيسن حفظه الله.

قال عن منهجه الذي أتبعه في تصنيف كتابه هذا :

«أولا : جعلت بين يدي الكتاب عدة مباحث هامة لها صلة وثيقة بموضوع الكتاب.

ثانيا : القراءات التي سأقوم بتوجيهها هي «القراءات العشر» المتضمنة في كتاب «النشر في القراءات العشر».

ثالثا : أكتب الكلمة القرآنية التي فيها أكثر من قراءة والمطلوب توجيهها ثم أتبعها بجزء من الآية القرآنية التي وردت الكلمة فيها، وبعد ذلك أذكر سورتها ورقم آيتها.

رابعا : أسند كل قراءة إلى قارئها.

خامسا : رجعت في كل قراءة الى أهم المصادر ، وفي مقدمة ذلك :

- متن «طيبة النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.
- كتاب «النشر في القراءات العشر».

سادسا : راعيت في تصنيف الكتاب ترتيب الكلمات القرآنية حسب ورودها في سورها» اهـ(٣).

---

١) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص٥.

٢) مطبوع - دار الجيل - بيروت - مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٣) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ٨/١.

خلاصة نتائج المبحث :

بعد هذا الغرض الموجز السريع لأهم الكتب المصنفة في توجيه القراءات تلاحظ الأمور التالية :

(١) بطلان زعم من قال : «كان أبوعلي الفارسي (ت٣٧٧هـ) أول من احتج للقراءات السبع فألف فيها كتابه «الحجة في علل القراءات السبع»(١) إذ تبين أنه سبقه إلى الاحتجاج للقراءات السبع ابن السري (ت٣١٦هـ) وابن مقسم البغدادي (ت٣٥٤هـ).

(٢) أن الاحتجاج للقراءات لم يقتصر على السبع فقط، إذ صنفت كتب في الإحتجاج للقراءات العشر، كما صنفت كتب في الإحتجاج لما وراء القراءات السبع مما يشمل العشر وغيرها.

(٣) أن القراءات السبع حظيت باهتمام أكبر من المصنفين في الاحتجاج للقراءات.

(٤) أن الاهتمام بالاحتجاج للقراءات لم ينقطع حتى عصرنا هذا.

(٥) المقصود في كتب الاحتجاج إنما هو بيان وجه القراءة من جهة الإعراب أو المعنى الذي من أجله اختار القارىء الذي يحتج لقراءته هذه القراءة، و لا يقصد منه أن القراءة تعتمد في صحتها على ما يذكر في كتب الاحتجاج.

فكتب الاحتجاج إنما تبين حجة القارىء في اختياره للقراءة بكذا دون كذا، وليست لذكر الحجة التي بها تصير القراءة صحيحة، لأن هذا عكس للواقع وهو أن اللغة إنما تثبت بالقراءة وليس العكس وبالله التوفيق.

---

١) القراءات القرآنية في بلاد الشام ص٧٥.

الباب الثالث
رد الشبهات التي تثار حول القراءات

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

التمهيد : شبه الملحدين حول القراءات القرآنية.

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردها .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردها .

لما أتممت ما يتعلق بالقراءات بتعريفها وأقسامها وتدوينها أتبعت ذلك بإيراد الشبه التي تثار حول القراءات والرد عليها وجعلتها في باب مستقل، تابع للأبواب السابقة، على صورة الوصف العارض ليناسب حال موضوعه.

وقسمت الرد على تمهيد و فصلين :

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردها .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردها .

رددت فيهما على خمس شبه وافتراءات لأعداء الله في ذلك .

التمهيد : شبه الملحدين حول القراءات القرآنية .

ما برح أعداء الاسلام يكيدون له، يحاولون اطفاء نوره وتشويه صورته ﴿ويَأبَى اللَّهُ إلا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولَو كَرِهِ الكَافِرُون﴾(١).

يشككون في صحة رسالة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه؛ فيقولون: كاهن، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾(٢).

وهم في تخبطهم كاذبون.

ويبقى القرآن العظيم آية بينة ومعجزة خالدة، تبطل ما يأفكون، من شبه وكيد وطعون.

ونبتت بَعْدُ نابتة سؤ فحاكت بخيط العنكبوت بيوتا من الشبه والظنون؛ فجاءت شيئا إدًّا، لم يأت به الكافرون في زمن رسول رب العالمين ﷺ.

ويصور هذا ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في قوله: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، و اتبعوا ﴿ما تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ﴾(٣) بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله.

ثم قضوا عليه بالتناقض و الإستحالة، واللحن، وفساد النظم والاختلاف.

وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر،

---

١) اقتباس من سورة التوبة:٣٢.

٢) اقتباس من سورة الطور:٣٠.

٣) اقتباس من سورة آل عمران:٧.

وأعترضت بالشبه في القلوبوقدحت بالشكوك في الصدور.

ولو كان مانحلوا إليه على تقريرهم و تأولهم؛ لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله ﷺ يحتج عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله؛ وهم الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والمخصصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد واللدد في الخصام مع اللب والنهى و أصالة الرأي.

وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب، وكانوا مرة يقولون: هو سحر(١) ومرة يقولون: هو قول الكهنة(٢) ومرة أساطير الأولين(٣).

ولم يحك الله تعالى عنهم ولا بلغنا في شيء من الروايات أنهم جدبوه من الجهة التي جدبه منها الطاعنون» اهـ(٤).

قلت : ولست أبعد عن الحقيقة إن قلت: إنَّ هذه الشبه التي تثار حول القرآن العظيم جانب كبير منها جاء من اليهود والنصارى، ويظهر هذا من خلال المناظرات والمحاورات التي كانت تجري بين علماء الاسلام وأهل الكتاب وهي قديمة جدا؛ حيث كان أهل الكتاب يحاولون عكس الأدلة الدامغة التي يواجههم بها المسلمون في أن ما بين أيديهم من الكتب محرَّف مبدل.

ولا جرم أن تعاد هذه الشبه وتطور بصيغ أخرى متنوعة في كتابات المستشرقين حول القرآن العظيم، حيث يدسونها في دراساتهم التي يَسِمُونَها بالبحث العلمي وبالبحث الموضوعي ويُلْحِنُون بها في كل مناسبة.

ولعل القراءات القرآنية في النص القرآني من أكثر المجالات التي لجوا فيها بزيفهم وضلالهم؛ فاهتم علماء الاسلام بالرد عليهم، وصنفوا في ذلك المصنفات.

وأذكر هنا بعضا من مصنفات وبحوث المتأخرين خاصة الذين اشتغلوا بالرد على المستشرقين وبالذات على المستشرق المجري اليهودي جولد تسيهر (ت١٣٤٠هـ -١٩٢١م) الذي عقد بابا في كتابه «مذاهب التفسير

---

١) ورد ذلك في مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آياتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الّذِين كَفَرُوا لِلحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الأحقاف:٧.

٢) قال تبارك وتعالى عن القرآن: ﴿ولابِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون﴾ الحاقة:٤٢.

٣) قال تبارك وتعالى عن الكافرين: ﴿وَقَالُوا : أَسَاطِيرُ الأوَّلِين اكْتَتَبَها فَهِي تُمْلَى عَلَيْه بُكْرَةً وأَصِيلا﴾ الفرقان:٥.

٤) تأويل مشكل القرآن ص٢٢-٢٣.

الإسلامي» حول المرحلة الأولى للتفسير، لايكاد يترك شبهة حول القرآن من جهة القراءات إلا أشار إليها.

فمن هذه المصنفات والبحوث في الرد على جولد تسيهر:

١ - ما كتبه الدكتور/ عبدالوهاب حموده في كتابه «القراءات واللهجات»(١) في الفصل العاشر منه.

٢ - وما كتبه محمد طاهر الكردي في كتابه «تاريخ القرآن» في الرد على الافرنج القائلين باستنباط القراءات عن الرسم.

٣ - وما كتبه الشيخ : عبد الفتاح القاضي في كتابه «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» وهو رد علمي قوي متين جزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين.

٤ - وما كتبه الدكتور/ عبدالفتاح إسماعيل شلبي في كتابه «رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها».

٥ - وما كتبه الدكتور: عبدالرحمن السيد في بحثه «جولد تسيهر والقراءات»(٢).

٦ - وما كتبه الدكتور: إبراهيم عبدالرحمن خليفة في كتابه «دراسات في مناهج المفسرين» حيث عقد فصلا طويلا(٣).

في الرد على جولد تسيهر ويمكن أن يفرد في كتاب.

---

١) طبع مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٨هـ.

٢) منشور بمجلة المربد - إصدار جامعة البصرة - السنة الأولى العدد الأول. بواسطة القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص١١١.

٣) واستغرق هذا الرد من ص٦٩-٢١٢.

الفصل الأول : الشبه في اختلاف القراءات وردها.

أخبر الرسول ﷺ أن القرآن الكريم : «أنزل على سبعة أحرف»(١) فكان هذا الخبر أصل في اختلاف القراءات القرآنية .

وبين علماء الاسلام أن الاختلاف نوعان :

النوع الأول : نوع محمود، موجود في نصوص الكتاب والسنة، وهو اختلاف التنوع.

النوع الثاني : و نوع مذموم، لاوجود له - ولله الحمد - في القرآن العظيم و لا في السنة المشرفه، وهو اختلاف التضاد.

أما اختلاف التنوع فهو الواقع بين القراءات، فلا تضاد بينها ولله الحمد.

وبناء على ما تقدم قرر العلماء رحمهم الله الحقائق التالية(٢) :

(١) أن اختلاف القراءات سببه ومصدره التوقيف التلقي عن رسول الله ﷺ.

(٢) أن اختلاف القراءات لا تضاد فيه ولاتناقض، وأنه من اختلاف التنوع، فكل قراءة تصدق الأخرى، والواجب علينا الإيمان والقبول بذلك كله.

(٣) حرص الصحابة على نقل الدين وتبليغه إلى من بعدهم بضبط و حفظ تامين.

هذه الحقائق حاول بعض الملحدين نقضها والتشكيك فيها؛ فجاء بشبه وأباطيل، سأذكرها هنا مع ردها و دفعها.

---

١) حديث متواتر. أنظر نظم المتناثر ص١١١.

٢) سبق ولله الحمد والمنة تقرير هذه الحقائق وبسط القول فيها في الباب الأول من هذا القسم.

ويشتمل هذا الفصل على رد الشبه التالية :

الشبهة الأولى : اختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن الكريم .
الشبهة الثانية : سبب اختلاف القراءات خلو رسم المصحف من الشكل والحركات.
الشبهة الثالثة : عدم كتابة بعض الصحابة لبعض القرآن ، وكتابة بعضهم في مصاحفهم ماليس بقرآن.

وإليك البيان :

الشبهة الأولى : إختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن.

يقول المستشرق جولد تسيهر(١) : «لايوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن» اهـ(٢).

قلت : قبل الخوض في رد هذه الشبهة أشير هنا إلى أن جولد تسيهر في طعنه هذا إنما طور طعنا قديما جاء به الملحدون ورده عليهم أهل العلم.

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) : «الحكاية عن الطاعنين وكان مما بلغنا عنهم أنهم يحتجون بقوله عزوجل : ﴿وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللَّه لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ النساء : ٨٢ وبقوله : ﴿لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت : ٤٢ وقالوا : وجدنا الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يختلفون في الحرف ... ... والقراء يختلفون فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا ، وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين ، فأي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون؟. وأي باطل بعد الخطأ واللحن

---

١) مستشرق مجري له العديد من المصنفات رحل إلى سوريه وفلسطين ومصر ، وعين استاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها (١٢٦٦-١٣٤٠هـ). الأعلام ٨٤/١.

٢) مذاهب التفسير الاسلامي ص٤ وهو يقصد هنا اختلاف القراءات كما صرح في كلامه بعد ذلك.

تبتغون؟.» اهـ(١).

قلت : لعلك ترى كيف أن هذه الشبهة التي جاء بها المستشرق تسيهر شبهة قديمة مستهلكة ، وهي كما ترى ذات شقين :

الأول : إختلاف القراءات إضطراب في نص القرآن الكريم.

الثاني : اختلاف القراءات يخالف ما أخبر الله عزوجل به عن كتابه من أنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

---

١) تأويل مشكل القرآن ص٢٤-٢٥.

الرد على الشبهة الأولى :

كسرت الرد على قسمين :

القسم الأول : لرد الفرع الأول من الشبهة ، والمتمثل هنا في كلام جولد تسيهر .

القسم الثاني : لرد الفرع الثاني من الشبهة والمتمثل هنا فيما حكاه ابن قتيبة رحمه الله عن الطاعنين في القرآن العظيم.

رد الفرع الأول من الشبهة :

زعم جولد تسيهر أنه لايوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما يوجد في نص القرآن العظيم.

وهذا زعم باطل يصدق فيه قولهم في الأمثال :«رمتني بدائها وانسلت»(١)

ويظهر بطلانه بالأمور التالية :

- لم ير جولد تسيهر كتب الشرائع السابقة في نصوصها الأصلية، فكيف يحكم بأنها ليست كالقرآن في تعدد القراءات والوجوه ؟.

على أنه يناقض نفسه فيقرر في الباب نفسه الذي أورد فيه كلامه السابق أن التلمود يقول بنزول التوراة بلغات كثيرة في وقت واحد(٢).

أليس هذا شبيها بنزول القرآن على سبعة أحرف ؟.

أما النصوص الباقية من الكتب السابقة فهي مختلفة إختلافا كبيرا بل متضاربه أيضا ، وهذا يقرره جولد تسيهر نفسه كذلك حيث يتساءل في موضع من كتابه الذي أورد فيه كلامه المتقدم ويقول : « أي نسخة من التوراة كان يستخدمها (يعني : أبا الجلد) في دراسته ؟.» اهـ(٣).

قلت : ففي هذا اعتراف منه بوجود نسخ مختلفة من التوراة(٤).

- وقد قرر علماء الإسلام(٥) إضطراب ما هو موجود في أيدي

---

١) كتاب الأمثال لأبي عبيد ص٧٣ المستقصى في أمثال العرب ١٠٣/٢.

٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص٥٣.

٣) مذاهب التفسير الاسلامي ص٨٦.

٤) مستفاد مما كتبه د/ عبدالحليم النجار في هامش ترجمته لكتاب تسيهر السابق ص٤ بتصرف.

٥) انظر «المختار في الرد عل النصارى» للجاحظ ص٩٦-١٠٠ و «الفِصَل في الملل والنحل» لابن حزم ١١٦/١ وما بعدها و شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل»

اليهود والنصارى مما يسمونه «التوراة» و «الإنجيل»، حتى قال القرافي (ت٦٨٤هـ) متحدثا عن التوراة وتعدد نسخها : «لاتكاد نسخة توافق الأخرى»اهـ(١).

وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى، ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر؛ ذكر في نسخة السامرة(٢) منها من أمر استقبال الطور ماليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذا الكتب، فإن عند السامرة نسخا متعددة، وكذلك رأينا في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داود عليه السلام .

وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة»اهـ(٣).

وقال ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) : «وقولهم : «نسخ التوراة متفقة في شرق الأرض وغربها»؛ كذب ظاهر، فهذه التوراة التي بأيدي النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، و التي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه.

وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضا ويناقضه، فدعواهم : أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقا وغربا من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام؛ حتى أن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لايخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعا أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ولا في الإنجيل الذي أنزله على المسيح عليه السلام.

وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له، وأنه اصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع انجيلا؛ وكذلك كانت الاناجيل

ص٣٢-٥٨ و «إظهار الحق» ص٢٠٥ و ما بعدها، وص ٤٤١ وما بعدها.

١) الأجوبة الفاخرة ص٨٥.

٢) السامرة من فرق اليهود قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبوة من بعدهم. الملل والنحل للشهرستاني ٢١٨/١ دائرة المعارف الاسلامية ١١/٨٨-١٣٨.

٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٨٠/١ وأنظر منه ٢٠/٢ وما بعدها.

عندهم أربعة يخالف بعضها بعضا»اهـ(١).

قلت : وإذا تقرر ماسبق ؛ ظهر تناقض جولد زيهر من كلامه نفسه وخطؤه في واقع الأمر.

على أن قوله عن اختلاف القراءات : «اضطراب وعدم ثبات» ليس إلا باطلا من القول وزورا لما يلي :

- معنى الإضطراب وعدم الثبات في النص هو وروده على صور مختلفة أو متضاربه لا يعرف الصحيح الثابت منها، أما ورود النص على صور كلها صحيح بالنسبة إلى مصدره متواتر الرواية عنه فليس في ذلك شيء من الاضطراب وعدم الثبات(٢).

وقراءات القرآن العظيم المعتمدة مهما اختلفت في النص الواحد كلها مقطوع بصحة نسبتها الى المصدر الأصلي و هو الرسول عليه أفضل السلام وأزكى التسليم؛ فقد أخبر ﷺ: «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف»(٣) وأذن صلوات ربي وسلامه عليه بقراءة ماتيسر من ذلك.

قال أبو محمد علي بن حزم (ت٤٥٦هـ) : «أما قولهم :«إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها».

فليس هذا اختلافا، بل هو إتفاق منا صحيح؛ لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله ﷺ أنها نزلت كلها عليه؛ فأي تلك القراءات قرأنا فهي صحيحة وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص؛ فبطل التعلق بهذا الفصل ولله الحمد»اهـ(٤).

قلت : وكلام ابن حزم رحمه الله إنما كان جوابا على زعم النصارى أن اختلاف نسخ الانجيل كاختلاف قراءات القرآن العظيم(٥) وقد رد هذا

---

١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٤٨.

٢) مستفاد من كلام د/ عبدالحليم النجار في تعليقاته على كتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» ص٤-٥.

٣) حديث متواتر. أنظر نظم المتناثر ص١١١.

٤) الفصَل في الملل والأهواء والنحل ٧٦/٢.

٥) ومَنه تعلم أن شبهة الطعن في القرآن باختلاف القراءات شبهة ساقطة لدى النصارى، وهي شبهة قديمة لدى الملحدين في كتاب الله، وجاء جولد تسيهر في آخر الركب وغَيَّر في صياغتها ثم أعاد رميها، فعادت عليه كسيرة ولله الحمد.

الزعم عليهم القرافي(١) أيضا فقال: «الجواب ما قال الشاعر(٢):

أكل امريء تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا

هيهات ما كل سوداء تمرة، ولا كل بيضاء شحمة، أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش.

وقبائل العرب العرب مختلفة اللغات في الإمالة والتفخيم، والمد والقصر والجهر والاخفاء وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة، فلو كلفوا كلهم الحل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك، فسأل عليه السلام ربه أن يجعله على سبعة لغات لتتسع الغرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما؛ فانزلت القراءات لذلك، وكلها مروية عنه عليه السلام متواترة فنحن على ثقة في جميعها، وأنها عن الله تعالى وباذنه متلقاة عن خير رسله فذهب اللبس وحصل اليقين...»اهـ(٣).

---

١) أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية فقيه أصولي محقق متكلم نحوي توفي سنة ٦٨٤هـ. الأعلام ٩٥/١.

٢) هو أبو دؤاد الإيادي وقد ذكر هذاالبيت ابن قتيبة في ترجمته في كتابه «الشعر والشعراء» ٢٣٩/١ وذكر أنه مما يتمثل به من شعره.

٣) وتمام كلام القرافي: «وأما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلفي أناجيلكم، ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة يقول «مَتَّى» فيها، أو غيره قال لي المسيح: أن الله أنزل عليه كذا، بل غاية مافي بعضه قال اليسوع المسيح : كذا.

أمَّا أن ذلك القول من الكتاب المنزل من عند الله أو هو من قبل عيسى عليه السلام على ما اقتضاه رأيه أو أنزل عليه لا على سبيل أنه من الانجيل هذا لم يتعرض له انجيل من الأناجيل.

وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين، فقد وقفنا عليها، ولم نجد فيها شيئا من ذلك؛ بل تواريخ وحكايات وأخبار، وبينها أقوال يسيرة معزية للمسيح عليه السلام لم يصرح فيها بأنها من الإنجيل و لا من غيره وليس لكم أن تقولوا: متى نقل للتلميذ شيئا، فالمسيح قاله لهم؛ لأنا نقول: هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلاء نجباء ومثل هؤلاء يكون لهم أراء واجتهادات وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه فهو من قبل المسيح عليه السلام أو من قوله.

ولو سلمنا أنه من قوله عليه السلام فيحتمل أن يكون من كلام الانجيل ومن غيره، فلا يوثق بحرف واحد عندكم أنه من الإنجيل المنزل، بل نقطع بأن أكثره ليس منزلا، وهو تلك التواريخ وكلام الكهنة وملوك الكفرة التي حشرتموها في الانجيل وتزعمون أن الانجيل الكتاب المنزل، وهذا عندكم أشد وأصعب من التوراة؛ فان التوراة كتبت في الألواح وتميزت وتعينت، ثم طرأ عليها ما طرأ عليها، وأما الإنجيل فلم يتميز قط، ولم يعرف له صورة، ولا سمع منه كلمة، غايته أن التلاميذ أملوا هذه الأناجيل بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة، ولم يصرحوا بأن هذا منزل ولا غير منزل، فسقطت =

فالحاصل : أن اختلاف القراءات ليس من قبيل الاضطراب وعدم الثبات، بل جميع ذلك حق ويقين أعلمنا به الرسول الأمين ﷺ.

فإن قيل : إختلاف القراءات في القرآن الكريم ألا يخالف ما أخبر الله عزوجل في كتابه بأن القرآن العظيم لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ؟.

فالجواب : هذا هو الفرع الثاني من الشبهة، ورده هو التالي :

= الثقة من الجميع حتى يتعين المنزل.

ولهذه القواعد لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل، و لاقول أحد من الصحابة، بل متى قال الصحابي قولا نسب له فقط، و لا يجوز أن يقال هذا من قول النبي عليه السلام فضلا عن كونه من القرآن، وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل، وسميتموه كتاب الله، فوقعتم في الضلال وقول المحال، فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فوالله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الإحتفال»اهـ الأجوبة الفاخرة ص٩٧-٩٩.

رد الفرع الثاني من الشبهة :

اختلاف القراءات ليس من قبيل الاختلاف الذي نفى الله عزوجل وجوده في القرآن العظيم، فإن الله عزوجل نفى عن القرآن اختلاف التضاد، ولست واجده - بحمد الله - في إخباره ولا في أمره ونهيه إلا ما كان من قبيل الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد(١).

وقد رد هذه الشبهة ابن قتيبة فقال: «أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف فانا نحتج عليهم فيه بقول النبي ﷺ: "نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، فاقرءوا كيف شئتم"(٢)... ... ... وتأويل ذلك على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن... ... .

فإن قال قائل : هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدا فهل يجوز أيضا إذا اختلفت المعاني؟.

قيل له : الاختلاف نوعان : اختلاف تغاير، واختلاف تضاد.

فاختلاف التضاد لايجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ.

واختلاف التغاير جائز...»اهـ(٣).

ثم ضرب لهذا النوع - اختلاف التغاير - أمثلة من الآيات ، وبرهن على جوازه بأن كلا من المعنيين صحيح وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة، لا جرم أن يكون هذا الاختلاف فنا من فنون الإيجاز الذي يسلكه القرآن في إرشاده وتعليمــه(٤).

والاختلاف بين القراءات انما هو من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد ، واختلاف القراءات لايخرج عن حال من ثلاثة(٥) :

اما أن يختلف اللفظ ويتحد المعنى.

أو يختلف اللفظ ويختلف المعنى، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه .

أو يختلف اللفظ ويختلف المعنى، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد ولكن يتفقان من وجه آخر لايقتضي التضاد.

---

١) تقدم بسط هذا ص ١٣٣.

٢) حديث متواتر. أنظر نظم المتناثر ص١١١.

٣) تأويل مشكل القرآن ص٣٣ باختصار.

٤) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ص١٧-١٨.

٥) مضى - ولله الحمد والمنة - بسط أحوال الإختلاف بين القراءات ص ١٣٥.

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : «ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا، كما قال عبد الله بن مسعود : «إنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلم وتعال»(١).

وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ الحديث : «أنزل القرآن على سبعة أحرف إن قلت: غفورا رحيما، أو قلت عزيزا حكيما فالله كذلك، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة»(٢).

---

١) أثر صحيح .
أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٥٠/١ وابن مجاهد في «السبعة» ص٤٧ وانظر ما سبق ص٧٣.

٢) حديث صحيح .
وهو ملفق من روايتين عن أبي هريرة بنحوه.
الرواية الأولى لفظها : «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم، غفور رحيم»
أخرجها أحمد في المسند (شاكر) ١٦٧/١٦ تحت رقم (٧٣٧٢) ٢٠٢/١٨ تحت رقم (٩٦٧٦) وأخرجها الطبري في تفسيره (شاكر) ٢٢/١ تحت رقم (٨) وابن حبان في صحيحه (موارد) ص٤٤٠ تحت رقم (١٧٧٩) وصححه أحمد شاكر.
الرواية الثانية لفظها : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرأوا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة»
أخرجها الطبري في تفسيره (شاكر) ٤٥/١-٤٦ وصححها الشيخ أحمد شاكر على شرط الشيخين، وصححها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٧٩/٣ تحت رقم (١٢٨٧) وعزاها لأبي الفضل الرازي في كتابه «معاني أنزل القرآن على سبعة أحرف» ق ٢/٦٨.
وهذه الرواية الثانية جاءت بنحوها عن أبي بكرة أخرجها أحمد في المسند ١٤/٥، ١٥ والطبري في تفسيره (شاكر) ٣٤/١، ٥٠ والداني في المكتفى ص١٣٠-١٣١ ومدارها على «علي بن زيد بن جدعان» وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ص٤٠١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥١/٧ : «رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ، وقد توبع وبقية رجال أحمد رجال الصحيح»اهـ
فائدة : إن ختم الآيات لا يخضع للتشهي، ولكن لا بد من التوقيف فيه، وليس لأحد مهما كانت منزلته أن يبدل حرفا من كتاب الله بحرف آخر. والظاهر في معنى الحديث كما قال أبو عمرو الداني في المكتفى في الوقف والابتدا ص١٣٢ : «أنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب وتفصل مما بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب، وكذلك يلزم أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها ايضا إذا كان بعدها ذكر النار والعقاب...»اهـ.

وهذا كما في القراءات المشهورة: ﴿رَبَّنَا بَاعِد﴾ و ﴿بَاعَد﴾(١)[سبأ:١٩].
﴿إلا أن يُخَافَا الا يُقِيمَا﴾ و ﴿إلا أن يَخَافَا الا يُقِيمَا﴾(٢) [البقرة:٢٢٩].
﴿وإن كان مكرهم لَتَزولُ﴾ و ﴿لِتَزولَ منه الجبال﴾(٣) [إبراهيم:٤٦].
﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ و ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾(٤) [الصافات:١٢]، و نحو ذلك.

---

١) تنوعت القراءات في قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِد﴾ فقرأ ابن كثير وأبوعمرو وهشام بنصب: ﴿ربنا﴾ على النداء، و ﴿بعِّد﴾ بكسر العين المشددة بلا ألف، ومعناها طلب المباعدة بين أسفارهم على سبيل الجرأة والبطر، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي.
وقرأ يعقوب: ﴿ربُنا﴾ بضم الباء على الإبتداء، و ﴿بَاعَد﴾ بالألف وفتح العين والدال، ومعناها خبر عن بعد سفرهم إفراطا منهم في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم وهذا الخبر على سبيل الشكوى من ذلك.
وقرأ الباقون: ﴿ربَنا﴾ بالنصب ﴿بَاعِد﴾ بالألف وكسر العين وسكون الدال، ومعناها كالأولى طلب المباعدة بين أسفارهم. أنظر التيسير ص١٨١ النشر ٢/٣٥٠ الإتحاف ص٣٥٩.

٢) تنوعت القراءات في قوله: ﴿إلا أَنْ يَخَافَا﴾ فقرأ أبوجعفر وحمزة ويعقوب والأعمش: ﴿إلا أن يخافا﴾ بضم الياء علي البناء للمفعول؛ فحذف الفاعل وناب عنه ضمير الزوجين، و ﴿إلا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّه﴾ بدل اشتمال من ضمير الزوجين، والتقدير: إلا أن يخافا عدم إقامتهما حدود الله.
وقرأ الباقون : ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء علي البناء للفاعل، وإسناد الفعل إلى ضمير الزوجين المفهوم من السياق، و ﴿أَنْ لايُقِيمَا حُدُودَ اللَّه﴾ مفعول به. انظر الغاية ص١١٤ الإتحاف ص١٥٨ المغني ١/٢٤٩.

٣) تنوعت القراءات في قوله: ﴿لِتَزولَ﴾ فقرأ الكسائي وحده من العشرة ووافقه ابن محيصن : ﴿لَتَزولُ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، والمعنى : وإن كان مكرهم لَتَزُولُ منه الجبال.
وقرأ الباقون : ﴿لِتَزولَ﴾ بكسر اللام الأولى و نصب الثانية، والمعنى: انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الثابتة ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه. انظر الغاية ص١٨٤ الإتحاف ص٢٧٣ القلائد ص٦٦.

٤) تنوعت القراءات في قوله: ﴿عجبت﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش بضم التاء على أنها ضمير المتكلم، والمعنى: قل يامحمد بل عجبت أنا، أو أن الله تعالى رد التعجب إلى كل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقرين بالبعث وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ قَوْلُهُم أئذَا كُنَّا تُرَاباً أئنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيد﴾ الرعد:٥.
وقرأ الباقون : ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء على أنها ضمير المخاطب، والمعنى: بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة، وهم يسخرون منك مما تريهم من آثار قدرة الله تعالى أو من انكارهم البعث مع إعترافهم بالخـالق. انظر النشر ٢/٣٥٦ الإتحاف ص٣٦٨ المغني ٣/١٨٧-١٨٨.

ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباينا من وجه كقوله: ﴿يَخْدَعُونَ﴾ و ﴿يُخَادِعُونَ﴾(١) [البقرة:٩].
و ﴿يَكْذِبُونَ﴾ و ﴿يُكَذِّبُونَ﴾(٢) [البقرة :١٠].
و ﴿لَمَسْتُمْ﴾ و ﴿لامَسْتُمْ﴾(٣) [النساء:٤٣] [المائدة:٦].
و ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ و ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾(٤) [البقرة:٢٢٢] و نحو ذلك .
فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق .
وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا ولايجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض، بل كما قال عبدالله بن مسعود

---

١) تنوعت القراءات في قوله: ﴿ومَايَخْدَعُونَ﴾ فقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو بضم الياء وفتح الخاء والف بعدها وكسر الدال: ﴿يُخَادِعُونَ﴾ ووافقهم اليزيدي، والمعنى: إنهم يخادعون أنفسهم أي: يمنونها الأباطيل، وأنفسهم تمنيهم ذلك أيضا، ويجوز أن تكون المفاعلة ليست على بابها فيكون المعنى كما في القراءة التالية:
وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال: ﴿يَخْدَعُونَ﴾ مضارع خدع، على أن الفعل من جانب واحد. أنظر الغاية ص٩٧ الإتحاف ص١٢٨ القلائد ص١٣.

٢) تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيم بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ فقرأ عاصم وحمزة والكسائي وكذا خلف ووافقهم الحسن والأعمش بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ﴿يَكْذِبُونَ﴾ والمعنى: أخبر سبحانه أن لهم عذابا أليما لأنهم اتصفوا بالكذب.
وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال المشددة: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ والمعنى: أخبر سبحانه أن لهم عذابا أليما لأنهم كذبوا الرسل عليهم الصلاة والسلام. أنظر الغاية ص٩٧-٩٨ الإتحاف ص١٢٩ القلائد ص١٣.

٣) تنوعت القراءات في قوله: ﴿لامستم﴾ في الموضعين (في النساء والمائدة) فقرأ حمزة والكسائي وكذا خلف بغير ألف فيهما ﴿لمستم﴾ ووافقهم الأعمش، والمعنى: الإفضاء باليد إلى الجسد.
وقرأ الباقون : ﴿لامستم﴾ بإثبات ألف بعد السين والمعنى:الجماع. أنظر الغاية ص١٣٥ الإتحاف ص١٩١ القلائد ص٣٦.

٤) تنوعت القراءات في قوله: ﴿يطهرن﴾ فقرأ أبوبكر وحمزة والكسائي وكذا خلف بفتح الطاء والهاء مشددتين، مضارع تطهر «يطهرن» ووافقهم ابن محيصن والأعمش، والمعنى: حتى ينقطع الحيض ويغتسلن أو يتوضأن أو يغسلن المحل.
وقرأ الباقون بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع طهرت المرأة ﴿يطهرن﴾، والمعنى: حتى ينقطع حيضهن ودخلن في وقت الطهر. أنظر الغاية ص١١٤ الإتحاف ص١٥٧ القلائد ص٢٣.

رضي الله عنه: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله»(١).

وأما ما اتحد لفظه ومعناه، وإنما يتنوع صفة النطق به كالهمزات والمدات، والامالات، ونقل الحركات، والإظهار والإدغام، والإختلاس، وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها ونحو ذلك ممايسمي القراء عامته: الأصول ؛ فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظأو المعنى إذ هذه الصفات المتنوعة في اداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، ولايعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو إختلف معناه من المترادف ونحوه، ولهذا كان دخول هذا النوع في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها [من أولى ما] (٢) يتنوع فيه اللفظ أو المعنى وإن وافق رسم المصحف وهو مايختلف فيه النقط أو الشـكل» اهـ(٣).

قلت : فالقراءات جميعها حق، وإختلافها حق، لا تضاد فيه ولا تناقض، والإختلاف الذي نفاه الله عن القرآن الكريم هو إختلاف التضاد والتناقض، وهذا لست واجده في الشرع بَلْه القرآن العظيم ولله الحمد والمنة.

---

١) أثر حسن لغيره .
أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٥٥/١ وفي السند مغيرة بن مقسم عن إبراهيم، ومغيرة ثقة مدلس ولاسيما عن إبراهيم كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب ص٥٤٣، وقد عنعنه.
وفي السند أيضا محمد بن حميد الرازي شيخ الطبري ضعيف كما في التقريب ص٤٧٥.
لكن الحديث ورد في سياق طويل بإسناد آخر ضعيف أخرجه أحمد في المسند (شاكر) ٣٢٤/٥ تحت رقم (٣٨٤٥) ، فيقوي هذا الحديث ويرقيه إلى درجة الحسن لغيره.
والحديث ورد أيضا بإسناد ضعيف جدا عند الطبري في تفسيره (شاكر) ٢٨/١ تحت رقم (١٨).

٢) كذا ولعل الصواب: «ولهذا كان دخول هذا النوع في حرف واحد ... أولى **من ما** يتنوع فيه اللفظ أو المعنى...».

٣) مجموع الفتاوي ٣٩١/١٣-٣٩٢.

الشبهة الثانية :

ذهب بعض الملحدين في القرآن العظيم إلى أن اختلاف القراءات يرجع لسببين :

الأول : تجرد المصاحف من نقط الحروف .

الثاني : تجردها من شكل الحروف، وفقد الحركات اللغوية والنحوية منها.

وفي ذلك يقول المستشرق جولد تسيهر: «وترجع نشأة قسم كبير من هذه الإختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط.

بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات - الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده - إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها.

وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة؛ كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه» اهـ(١).

وتلقف هذا الإفك المستشرقان الألمانيان أوتوبرتسل(٢) (ت١٩٤١م) والآخر كارل بروكلمان(٣) (ت١٩٥٦م).

---

١) مذاهب التفسير الاسلامي ص٨-٩.

٢) مقدمة تحقيقه لكتاب «التيسير» للداني ص ي.

وأوتو برتسل من أبرز المستشرقين في الدراسات الخاصة بقراءات القرآن ولد في منشن (ميونخ) ١٨٩٣م من اساتذة جامعة منشن مات في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١م. موسوعة المستشرقين ص٥٣-٥٤.

٣) تاريخ الأدب العربي ١/١٤٠.

وكارل بروكلمان مستشرق المانيكان عضوا في المجمع العلمي العربي (!) وعضوا في كثير من المجامع والجمعيات العلمية في المانيا وغيرها (١٨٦٨-١٩٥٦م). الأعلام ٥/٢١١١.

وانخدع به بعض الباحثين المسلمين(1) إما جهلا منهم لشناعة هذه المقولة، وإما خطأ منهم في فهم المسألة، والله أعلم .

---

1) منهم : علي بن عبدالواحد وافي، صرح بذلك في كتابه «فقه اللغة» حاشية ص١١٩ الطبعة الأولى ثم رجع عن ذلك في الطبعات التالية للكتاب، والرجوع للحق فضيلة. انظر «رسم المصحف العثماني» ص٢٠. ومنهم: د/ جواد علي، و د/ عبدالله خورشيد، ود/ صلاح الدين المنجد. انظر «رسم المصحف دراسة لغوية» ص٧١٩.

ومنهم: إبراهيم الإبياري صرح بذلك في كتابه «الموسوعة القرآنية». انظر «القراءات القرآنية تاريخ وتعريف» ص٨٣-١١٠،٨٦.

ومن الواضح أنهم جميعا ممن لم يتخصصوا في العلوم الشرعية لأن العالم الشرعي لا يقول ذلك.

رد الشبهة الثانية :

هذا الرأي في سبب اختلاف القراءات مغالطة، وعكس للواقع إذ أن الواقع الثابت أن الرواية والتلقي والسماع هي الأصل الذي تثبت به القراءة ويثبت به رسمها ، وليس لأحد إجتهاد في ذلك ولا رأي.

ولم يكن للرسم العثماني أثر في تعدد وجوه القراءة وإنما كان الرسم وسيلة لحفظ القراءات الثابتة النقل، إذ أن تلك الوجوه المختلفة لم يكن لها إلا سبب واحد؛ هو التلقي عن رسول الله ﷺ .

وقد نبه علماء الأمة من عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى زمننا وإلى ما شاء الله؛ نبهوا إلى أن الأصل في القراءات إنما هو التلقي والسماع من الآخر للأول(١).

حتى في طور التدوين لعلم القراءات كانت الرواية والسماع هي الأصل، حيث نجد الكتب المصنفة في القراءات تتابع على ذكر أسانيد ما تنقله من القـراءات(٢).

قال أبوعمرو الداني : «فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف ؟.

قلت : السبب في ذلك - عندنا - أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لايصح و لايثبت نظرا للأمة واحتياطا على أهل الملة وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عزوجل كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به ففرقها في المصاحف لذلك فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عزوجل وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ فهذا سبب إختلاف مرسومها في مصاحف أهل

---

١) تقدم بسط هذا الموضوع ص٦٨.

٢) تقدم تأكيد ذلك في الموضع السابق، وبسطه في الباب الثاني من القسم الأول لهذه الدراسة.

الأمصار»اهـ(١).

قلت : وفي ذلك يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : « سبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع، وتسويغه ذلك لهم؛ إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع»اهـ(٢).

ويؤكد هذا ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في قوله : «ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم، إنما هو من حيث أنه كان اضبط له، وأكثر قراءة واقراء به، وملازمة له، وميلا إليه، لا غير ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارىء وذلك الإمام إختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه وأخذ عنه؛ فلذلك أضيف إليه دونما غيره من القراء.

وهذه الاضافة إضافة إختيار ولزوم، لا إضافة إختراع ورأي واجتهاد»اهـ(٣).

قلت : ويدلل على بطلان رأي هذا المجري أنه لو كان خلو المصاحف من الشكل والاعجام سببا في تنوع القراءات واختلافها لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف صحيحة معتبرة قرآنا والواقع ليس كذلك(٤) فإن القراءات تنقسم من جهة قبولها إلى ثلاثة أقسام(٥) :

القسم الأول : القراءات المقبولة ، وهي :

(أ) القراءات المتواترة .

(ب) القراءات الصحيحة السند الموافقة لرسم المصحف المتلقاة بالقبول.

القسم الثاني : القراءات المردودة المنكرة الباطلة وهي :

(أ) القراءة التي لم يصح سندها، أو صح ولم تتلق بالقبول.

(ب) القراءة التي لاسند لها، سواء وافقت الرسم أم لم توافقه.

---

١) المقنع ص١١٨-١١٩.

٢) مجموع الفتاوى ١٣/٤٠٢.

٣) النشر ١/٥٢.

٤) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ص٤٩.

٥) تقدم - ولله الحمد - بسط القول في أقسام القراءات ص١١٠.

القسم الثالث : القراءات المتوقف فيها، وهي :

القراءة التي صح سندها، وخالفت رسم المصحف، واصطلح على تسميتها بالقراءة الشاذة.

وهذا التقسيم يدلل على أن أي قراءة لا يعتد بها ولا تعتبر قرآنا إلا إذا كانت ركيزتها الاسناد التلقي والسماع.

وتأتي هنا بحق كلمة ابن المبارك (ت١٨١هـ): «الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» اهـ(١).

ويؤكد اعتماد القراءات على النقل أن هناك الفاظا تقرأ بخلاف الرسم فمثلا: «الصلاة» رسمها في المصحف العثماني: «الصلوٰة» و «الزكاة» رسمها «الزكوٰة».

كما أن في القرآن الكريم كلمات تكررت في مواضع كثيرة و رسمت برسم واحد في جميع المواضع، ولكنها في بعض المواضع وردت فيها القراءات التي يحتملها رسمها فاختلف فيها القراء وتنوعت فيها قراءتهم، وفي بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بوجه واحد؛ لأن غيره لم يصح به النقل، ولم تثبت به الرواية مع أن الرسم يحتمله(٢).

ومن مغالطات المستشرق جولد تسيهر في قوله: «إن الشكل والنقط في الخط العربي هما سبب اختلاف القراءات»، من مغالطاته: أنه أقام هذا الرأي على توهم أن الأمة الإسلامية قد اعتمدت في أخذ كتابها على مثل ما اعتمد عليه غيرها من الأمم من النقل من الصحف المكتوبة والقراءة من الخط المرسوم فحسب؛ فلذلك - وبسبب تجرد الخط في أول الأمر من الشكل والنقط - وقعت في كثير من التحريف والتصحيف في القرآن، حيث قرأها كل بحسب ما اتفق له من الفهم، وما رآه من صحة المعنى وحسنه في

---

١) مقدمة صحيح مسلم ١٥/١ الجرح والتعديل ١٦/٢ المجروحين من المحدثين ٢٦/١ معرفة علوم الحديث ص٦.

٢) أورد الأمثلة على ذلك صاحب كتاب «رسم المصحف العثماني» ص٣٣-٤٧ وصاحب كتاب «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» ص٥٢-٩٧ واستوعب السيوطي في الإتقان ١٥٦/٤-١٥٧ المواضع التي فيها قراءاتان وكتبت على إحداهما مما يؤكد الاعتماد على النقل كما استقصى الشيخ محمد سالم محيسن حفظه الله من أول المصحف إلى آخره في كتابه «المغني في توجيه القراءات» ٣/٣٨٠-٤٠٣ الكلمات القرآنية الفرشية التي ورد فيها أكثر من قراءة إلا أن هذه القراءات كانت خاصة بكلمات مخصوصة دون أن تشمل ذوات النظير.

نفسه، فوقعوا بسبب ذلك في الاختلاف على ما تقتضيه ضرورة تفاوت الأفهام وإختلاف الملاحظ إلى حد التباين في كثير من الأحيـان(١).

ولكشف هذه المغالطة أنقل كلاما نفيسا لابن حزم (ت٤٥٦هـ) حيث يقول :

«إن نقل المسلمين لكتابهم ودينهم ولما نقلوه عن أئمتهم ينقسم أقساما ستة :

أولها : شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن و لا كافر منصف غير معاند للمشاهدة، وهو أن القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها لا يشكون و لا يختلفون في أن محمدًا بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به وأخبر أن الله عزوجل أوحى به إليه، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا... ... .

وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء أصلا....

والثاني : شيء نقلته الكافة عن مثلها حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله ﷺ ككثير من آياته ومعجزاته... ... .

وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء أصلا... .

والثالث : ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي ﷺ يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف، إما إلى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وإما إلى الصاحب، وإما إلى التابع، وإما إلى إمام أخذ عن التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن، والحمد لله رب العالمين.

وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور منذ أربعمئة عام وخمسين عاما(٢) في المشرق والمغرب والجنوب والشمال، يرحل في طلبه من لا يحصي عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الناقد قريبا منه قد تولى الله تعالى حفظه والحمد لله رب العالمين، فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل ان وقعت لأحدهم، ولا يمكن فاسقا أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر.

وهذه الأقسام الثلاثة التي نأخذ ديننا منها ولا نتعداها إلى غيرها

---

١) دراسات في مناهج المفسرين ١/١٠٠.

٢) يعني إلى زمنه، وهو كذلك إلى زمننا هذا عام اثني عشر وأربعمئة وألف والحمد لله.

والحمد لله رب العالمين...»اهـ(١).

ثم ذكر رحمه الله القسم الرابع والخامس والسادس.

وهذا الكلام من ابن حزم رحمة الله عليه يبين لك أن ما أقام عليه جولد تسيهر كلامه من أبعد ما يكون عن تلقي هذه الأمة الإسلامية لكتابها العظيم؛ إذ اعتمدت في نقله على أعلى درجات التوثق والضبط في كل طبقات السماع، فأنّى يدخله التزيد ويخرمه النقص بالرأي والاجتهاد ؟.

وكيف يكون الرسم هو معتمدهم في القراءات وسبب إختلافهم فيها، وهم ينهون عن أخذ القرآن عن المصحفيين، الذين أخذوا القرآن من الصحف ولم ينقلوه بالسماع والمشافهة(٢) ؟.

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

قال تبارك وتعالى : ﴿بَلْ هُو آيَات بَيِّنَات فِي صُدُورِ الَّذِين أوتُوا العِلْمَ و مَا يَجْحَدُ بَآيَاتِنَا إلا الظَالِمُون﴾ العنكبوت : ٤٩.

---

١) الفصَل في الملل والأهواء والنحل ٢/٨١-٨٤ باختصار وتصرف يسير.

٢) تقدم تقرير أن الأصل في القراءات هو التلقي والسماع انظر ص ٦٨.

الشبهة الثالثة :

عدم كتابة بعض الصحابة لبعض القرآن في المصحف و كتابة بعضهم لما ليس بقرآن في المصحف، وهذا إختلاف في القرآن وقراءاته بالزيادة والنقصان.

وهذه الشبهة حكاها ابن قتيبة عن الطاعنين في القرآن العظيم حيث قالوا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه: «كان يحذف من مصحفه «أم الكتـــاب» (١) ويمحو «المعوذتين» ويقول: لِمَ تزيدون في كتاب الله ما ليس فيه؟...»(٢).

---

١) أورد السيوطي في الدر المنثور ١٠/١ شيئا حول هذا وسيأتي - إن شاء الله - قريبا.

٢) أثر صحيح.

أخرجه عبدالله بن أحمد في زيادات المسند ١٢٩/٥ والطبراني في المعجم الكبير ٢٦٨/٩ وصححه ابن حجر في فتح الباري ٧٤٢/٨، ٧٤٣ ووافقه السيوطي في الاتقان (أبوالفضل) ٢٢١/١ ولفظه: «عن عبدالرحمن بن يزيد قال: «كان عبدالله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى».

قال في «مجمع الزوائد» ١٤٩/٧: «رجال عبدالله رجال الصحيح ورجال الطبراني ثقات»اهـ

وأخرجه بنحوه البزار ٨٦/٣ (كشف الأستار) والطبراني في المعجم الكبير ٢٦٩/٩ وقال في «مجمع الزوائد» ١٤٩/٧: «ورجالهما ثقات»اهـ ولفظه: «عن علقمة عن عبدالله أنه كان يحك المعوذتين من المصحف، ويقول: إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما، وكان عبدالله لا يقرأ بهما»

قال البزار: «هذا لم يتابع عبدالله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتا في المصحف»اهـ

وصححه ابن حجر في فتح الباري ٧٤٣/٨ ووافقه السيوطي في الإتقان (أبوالفضل) ٢٢١/١.

قلت : لكن قوله في هذه الرواية : «وكان عبدالله لايقرأ بهما» شاذ بمرة؛ لأن المتواتر عن عبدالله بن مسعود القراءة بهما وأنهما من القرآن.

وأخرج البخاري في كتاب التفسير سورة : ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ حديث رقم (٤٩٧٧) عن زر قال: «سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول: كذا و كذا. فقال أبي بن كعب: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: «قيل لي فقلت» قال أبي ابن كعب: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ.

وقوله: «كذا و كذا» أبهمه الراوي، وصرح به في رواية أحمد في المسند ١٢٩/٥ والطحاوي في مشكل الآثار ٣٣/١-٣٤ وابن الضُرَيس في فضائل القرآن ص١٩٩ عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: «إن ابن مسعود كان لايكتب المعوذتين في مصحفه (وفي رواية الطحاوي في مشكل الآثار ٣٣/١ «إن أخاك ابن مسعود يحكهما من المصحف») فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلتها. فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي ﷺ.

وأبي بن كعب يزيد في مصحفه افتتاح «دعاء القنوت» إلى قول الداعي: «إن عذابك بالكافرين ملحق» ويعده سورتين من القرآن»(١).»اهـ(٢).

وذكر ابن قتيبة في موضع آخر من كتبه أن هذه الشبهة من التهم

---

١) أثر صحيح .

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٤/٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٢١٠/٢ ولفظه عند ابن أبي شيبة عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال: «سمعت عمر يقنت في الفجر يقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نستعينك ونؤمن بك ونتوكل عليك الخير كله، و لا نكفر، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق، اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك»

قال الألباني في «إرواء الغليل» ١٧٠/٢ عن سند هذا الأثر: «وهذا سند رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين، ولولا عنعنة ابن جريج لكان حريا بالصحة»اهـ

قلت : وجدت تصريح ابن جريج بالسماع عن عطاء في رواية هذا الحديث عند عبدالرزاق في المصنف ١١١/٣ وزاد في آخره: «قال وسمعت عبيد بن عمير يقول: القنوت قبل الركعة الآخرة من الصبح وذكر أنه بلغه أنهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود، وأنه يوتر بهما كل ليلة وذكر أنه يجهر بالقنوت في الصبح. قال ابن جريج لعطاء: فإنك تكره الإستغفار في المكتوبة فهذا عمر قد استغفر؟ قال: قد فرغ هو في الدعاء في آخرها»

والحديث أورده في كنز العمال ٧٥/٨ وعزاه إلى من سبق وزاد عزوه إلى الطحاوي ومحمد بن نصر.

قلت :. الحديث عند الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٤٩/١ من طريق ابن أبي ليلى عن عطاء عن عبيد بن عمير قال :«صليت خلف عمر رضي الله عنه صلاة الغداة فقنت فيها بعد الركوع وقال ..وساقه مختصرا.

ومن طريق ابن أبي ليلى أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣١٤/٢ أيضا، وابن أبي ليلى هو محمد بن عبدالرحمن سيء الحفظ جدا كما في «التقريب» ص ٣١٤ لكنه لم يتفرد به فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٤/٢ والبيهقي في سننه الكبرى ٢١١/٢ من طريق سعيد بن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه أنه صلى خلف عمر فصنع مثل ذلك».

قلت : وهذا إسناد صحيح صححه البيهقي والألباني في إرواء الغليل ١٧١/٢.

وعن أبي إسحاق قال : «أمنا أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بخرسان فقرأ بهاتين السورتين: إنّا نستعينك ونستغفرك... وذكر الحديث.

قال في «مجمع الزوائد» ١٥٧/٧ : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»اهـ

قلت : صحح سنده السيوطي في الإتقان (أبوالفضل) ١٨٥/١.

وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء ١١٤٤/٢ حديث رقم (٧٥٠) عن عبدالله بن زرير قال: «قال لي عبدالملك بن مروان ما حملك على حب أبي تراب إلا أنك أعرابي جاف. فقلت: والله لقد قرأت القرآن قبل أن يجتمع أبواك، لقد علمني سورتين علمهما إياه رسول الله ﷺ ما علمتهما أنت ولا أبوك: «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك... الحديث.

قلت : هذا حديث ضعيف منكر و ضعفه محقق كتاب «الدعاء».

وهناك روايات أخرى في الباب أوردها عبدالرزاق في المصنف ١٠٥/٣-١٢٣ وانظر الإتقان للسيوطي ١٨٤/١-١٨٥، «الدرالمنثور» ٦٩٥/٨-٦٩٨.

٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٤-٢٥ باختصار وتصرف.

الكثيرة التي وجهها إبراهيم بن سيار أبو اسحاق النظام المعتزلي (٢٣١هـ) إلى ابن مسعود أنه جحد من كتاب الله تعالى سورتين(١).

ولم تفت هذه الشبهة النصارى فاستغلوها في الطعن في القرآن العظيم، حتى جاء مُنْذره القوم اليهودي المجري تسيهر ينفث سمومه الخبيثة من خلال حديثه عن الصحابين الجليلين عبدالله بن مسعود و أبي بن كعب متخذا من الروايات المنقولة عنهما في زيادة قراءتهما على القراءات المستفيضة المتواترة حجة الحجج على الطعن في القرآن العظيم بالنقصان و الزيادة.

يقول جولد تسيهر: «وقد رويت أمثال تلك الزيادات في النص عن إثنين من صحابة الرسول (ﷺ) بوجه خاص، تظهر في قراءتيهما على وجه العموم أشد الاختلافات التي تمس حتى محصول السور، وكلاهما من أعظم المعلمين مقاما في أقدم طبقة إسلامية عبدالله بن مسعود و أبي بن كعب رضي الله عنهما وقد انتفع فعلا رجال الجدل المسيحيون بقراءات الأول فاتخذوها حجة للطعن في صحة القراءات .

وعلى الرغم مما نال النص القرآني في قراءتيهما من تغييرات بعيدة المدى - ليس فقط من حيث الحروف والحركات والكلمات كما ذكرنا - فقد تمتعا بالإجلال على أنهما خير حجج النص القرآني... الخ»(٢).

هذا حاصل هذه الشبهة .

---

١) تأويل مختلف الحديث ص١٨.

٢) مذاهب التفسير الاسلامي ص١٦-٢١.

رد الشبهة الثالثة :

تنوعت وجهة أهل العلم أمام هذه الشبهة ، ويمكن حصرها في موقفين أو إتجاهين :

الاتجاه الأول : التسليم بصحة الروايات الواردة في ذلك مع الجمع بينها وبين ما تواتر عن عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما في القراءات المتواترة.

ويمكن أن يسمى هذا الاتجاه بـ«مسلك الجمع والتوفيق بين الآثار الواردة في المسألة» حيث تُتَأوَّل الآثار التي استدل بها الطاعنون بأحد التأويلات.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) مُرَجِّحاً لهذا المسلك : «الطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يُقْبَل، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل»اهـ(١).

قلت : والتأويلات التي يمكن أن تحمل عليها الروايات السابقة هي التالية :

١ - تأويل سفيان بن عيينة(٢):

عن سفيان عن عبدة(٣) وعاصم عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي: «إن أخاك يحكهما من المصحف فلم ينكر. قيل لسفيان: ابن مسعود؟. قال: نعم، وليسا في مصحف ابن مسعود؛ كان يرى رسول الله ﷺ يعوِّذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته فظن أنهما عوذتان، وأصر على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه»(٤).

وقد اعتمد هذا التأويل ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) رحمه الله فيقول: «وأما نقصان «مصحف عبدالله» بحذفه «أم الكتاب» و «المعوذتين» وزيادة أُبَي بسورتي القنوت؛ فإنَّا لا نقول: إنَّ عبدالله وأُبَيًّا أصَابَا وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن عبدالله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا

---

١) فتح الباري ٧٤٣/٨.

٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبومحمد الكوفي المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أن حفظه تغير بأخرة وكان ربما دلس عن الثقات مات في رجب سنة ١٩٨هـ. التقريب ص٢٤٥.

٣) عبدة بن أبي لبابة الأسدي مولاهم، ويقال: مولى قريش، أبو القاسم البزاز الكوفي، نزيل دمشق ثقة. التقريب ص٣٦٩.

٤) أثر صحيح .
أخرجه أحمد في المسند ١٣٠/٥ بسند صحيح.

كالعوذة والرقية وغيرها، وكان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يعوذ بـ« أعوذ بكلمات الله التامة..»(١) وغير ذلك، فظن أنهما ليستا من القرآن وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعا... ....

وإلى نحو هذا ذهب أُبَي في دعاء القنوت؛ لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به في الصلاة دعاء دائما فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة.

وأما فاتحة الكتاب، فإني أشك فيما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من تركه إثباتها في مصحفه، فإن كان هذا محفوظا فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن وكيف يظن به ذلك وهو من إشد الصحابة عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى اليهم العلم... ... .

ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أنَّ القرآن إنما كُتِب وجُمِع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها، ولأنها تثنى في كل ركعة؛ ولأنه لايجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه؛ إذ كانت لا صلاة إلا بها.

فلمَّا أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن.

ولو أنّ رجلا كتب في المصحف سورا وترك سورا لم يكتبها لم نر عليه في ذلك وكفاً(٢) إن شاء الله تعـالى» اهـ(٣).

قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن هذا التأويل قائم على أساس أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يثبت عنده القطع بكون المعوذتين من القرآن، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك.

وقد حكى ابن حجر عن ابن الصباغ قوله في مانعي الزكاة: «وإنما قاتلهم أبوبكر على منع الزكاة ولم يقل أنهم كفروا بذلك، وإنَّما لم يكفروا؛ لأن

---

١) ثبت تعويذه ﷺ للحسن والحسين بـ«أعيذكما بكلمات الله التامة...» أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿واتَّخَذَ اللَّهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ والترمذي في كتاب الطب باب رقم (١٨) حديث رقم (٢٠٦١) وأبوداود في كتاب السنة باب في القرآن حديث رقم (٤٧٣٧).

٢) الوَكَف : الإثم والعيب. لسان العرب ٩/٣٦٣.

٣) تأويل مشكل القرآن ص٤٢-٤٩ باختصار.

الاجماع لم يكن استقر، قال: ونحن الآن نكفر من جحدها، قال: وكذلك ما نقل عن ابن مسعود: في المعوذتين.

(قال ابن حجر:) يعني أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ثم حصل الإتفاق بعد ذلك» اهـ(١).

(٢) مما سبق يزول الإشكال الذي أورده الرازي حيث قال: «إن قلنا: إن النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن؛ فحينئذ كان ابن مسعود عالما بذلك، فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل.

وإن قلنا: إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال: إن القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج عن كونه حجة يقينية (يعني: يلزم أن بعض القرآن لم يتواتر).

قال: «وهذا في غاية الصعوبة» اهـ(٢).

قلت: هذا اللازم الذي ذكره الرازي غير لازم، إذ يحتمل أن القرآن كان متواترا في عصر ابن مسعود لكن لم يتواتر عنده جميعه(٣) إذ ليس من شرط التواتر أن يتواتر عند كل أحد والله أعلم.

(٣) يقدح في هذا التأويل - الذي ذكره سفيان بن عيينة واعتمده ابن قتيبة - أنه ثبت عن ابن مسعود و أبي بن كعب عدّهما المعوذتين والفاتحة من القرآن، وعدم عدهما دعاء القنوت من القرآن، وذلك فيما تواتر عنهما من قراءة، وهذا يدل إمّا على رجوعهما عما نقل عنهما، وإمّا أن ذلك الفعل الذي صدر منهما له محمل غير إنكار قرآنية الفاتحة، وغير اعتبار ذلك الدعاء قرآنا، لكن رجوعهما لم ينقل عنهما صريحا بل يمكن أن يقال: إن عدم نقل ذلك عنهما يدل على أنهما أقاما على ذلك، فيبقى إذا أن يكون لذلك محمل عنهما غير ماتقدم.

وبهذا تعلم أن المخالفة لا زالت قائمة، وإذ لم تكن هذه الطريقة في التأويل كافية إنتقلنا إلى التأويل الثاني:

٢ - تأويل القاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ):

يتركز تأويل القاضي أبي بكر في قضية عدم كتابة ابن مسعود رضي الله عنه للمعوذتين في مصحفه، إذ يرى أن ابن مسعود لم ينكر قرآنيتهما، لكنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف إلا ما أمر الرسول بكتابته، ولم يثبت عنده ذلك

١) فتح الباري ٧٤٣/٨.
٢) التفسير الكبير للرازي ٢١٨/١ بتصرف يسير.
٣) فتح الباري ٧٤٣/٨.

في المعوذتين فلم يكتبهما.

وفي ذلك يقول الباقلاني: «أما دعوى من أدعى أن ابن مسعود أنكر أن تكون المعوذتان قرآنا منزلا وجحد ذلك؛ فإنها دعوى تدل على جهل من ظن صحتها، وغباوته، وشدة بعده عن التحصيل وعلى بهت من عرف حال المعوذتين وحال عبد الله وسائر الصحابة.

لأن كل مسلم عاقل سليم الحس يعلم أن عبدالله لم يجحدهما و لا أنكرهما، ولا دفع أن يكون النبي تلاهما على الأمة وأخبر أنهما منزلتان من عند الله، وأنه أمر بأن يقولهما على ما قيل له في أولهما، وكيف يمكن ابن مسعود أو غيره من الصحابة جحد ذلك وانكاره، وذلك مما قد أعلنه الرسول وأظهره، وتلاه وكرره، وصلى به وجهر به في قراءته، وخبر أنه من أفضل ما أنزل عليه، وكشف عن ذلك وأبانه».

ثم قال الباقلاني رحمه الله : «إن عبدالله بن مسعود لا يجوز منه مع عقله وتمييزه وجريان التكليف عليه أن يحمل نفسه على جحد المعوذتين وانكار نزولهما ، وأن الله أوحى بهما إلى نبيه .

ومما يوضح ذلك ويبينه أنه لو كان قد جحد المعوذتين وأنكرهما مع ظهور أمرهما وإقرار جميع الصحابة بهما؛ لم يكن بد من أن يدعوه داع الى ذلك، وأن يكون هناك سبب بعثه عليه ولو كان هناك سبب حداه على ذلك وحركه للخلاف فيه؛ لوجب في موضع العادة أن يحتج به ويذكره ويعيد به ويبدئ، ويكثر إعتداده له، وتعويله عليه، وظهوره عنه وانتشاره وحصول العلم به؛ إذ كان خلافا في أمر عظيم وخطر جسيم ... .

ولو كان منه هذا الخلاف مع الصحابة لوجب أن يعظم ردهم عليه، ويغلظ قولهم له، والحكم عيه بالكفر والردة، وأنه بمثابة من جحد جميع كتاب الله، وأن يطالبوا الامام باقامة حق الله عليه في ذلك .

وفي عدم ظهور ذلك كله وحدوثه أوضح دليل على أنه لم يكن منه - قط - جحد المعوذتين وإنكار لكونهما قرآنا منزلا »(١).

وقال الباقلاني : «لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن وإنما أنكر إثباتهما في المصحف فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً إلا إن كان النبي ﷺ أذن في كتابته فيه ، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك.

---

١) نقل هذا عن الباقلاني : سيد صقر في هامش تأويل مشكل القرآن بتحقيقه ص٤٣-٤٤.

قال : فهذا تأويل منه ، وليس جحدا لكونهما قرآنا»اهـ(١).

قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن الباقلاني رحمه الله في الوقت الذي قبل فيه الروايات عن ابن مسعود في إنكاره للمعوذتين، وتأولها ، في الوقت الذي رد فيه الروايات عن أبي بن كعب في كتابته لسورتي القنوت .

(٢) أن الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) استحسن تأويل الباقلاني وقال : «هو تأويل حسن إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : «ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله» نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور»اهـ(٢).

(٣) يمكن تأول ما ورد عن أبي بن كعب من كتابته لدعاء القنوت في مصحفه أنه لم يكتبه على أنه قرآن وإنما كان - رضي الله عنه - يكتبه على أنه دعاء سمعه من الرسول ﷺ، ويسهل تصور هذا إذا علمنا أن بعض الصحابة كان يكتب تفسير الآيات على هامش الصفحة التي فيها القرآن، أو بين الآيات نفسها، ويؤكده: أن الروايات المتواترة عنه في القرآن ليس فيها هذا الدعاء، وأنه لو كان يكتبه على أنه قرآن لما أقر اسقاطها من المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين والله أعلم.

---

١) انظر فتح الباري ٨/٧٤٣.
٢) ماسبق .

الاتجاه الثاني : الرد والتكذيب للروايات التي اعتمدت عليها هذه الشبهة، وحجتهم في هذا التكذيب أنه قد تواتر عن عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما بعض القراءات المتواترة :

فأسند عاصم قراءته إلى علي بن أبي طالب وابن مسعود .

و أسند نافع وابن كثير و أبوعمرو قراءته إلى أبي بن كعب .

وأسند حمزة قراءته إلى علي بن أبي طالب وعثمان وابن مسعود وابن عباس.

وكذا الكسائي لأنه قرأ على حمزة(١).

وقد ثبتت الفاتحة والمعوذتان في هذه القراءات المتواترة عنهما، ولم ينقل فيها ما نسب إلى ابن مسعود وأبي بن كعب من سورة دعاء القنوت؛ فكان في هذا ما يدل على كذب ما نسب إليهما وبطلانه.

ونقل هذا عن الباقلاني (ت٤٠٣هـ) [في قضية أبي بن كعب خاصة] وابن حزم (ت٤٥٦هـ) والرازي (ت٦٠٦هـ) والنووي (ت ٦٧٦هـ) على ما نبينه :

١ - أما الباقلاني فقال : «ثم إذا صرنا إلى القول فيما روى عنه من اثبات هذا الدعاء في مصحفه؛ لم نجده ظاهرا منتشرا و لا مما يلزم قلوبنا العلم بصحته ، ويلزمنا الإقرار به والقطع على « أبَي» بأنه كتب ذلك، بل إنما يروى ذلك من طرق يسيرة نزرة، رواية الآحاد التي لاتوجب العلم ولا تقطع العذر ولا ينبغي لمسلم - عرف فضل « أبَي» وعقله وحسن هديه، وكثرة علمه و معرفته بنظم القرآن، وما هو منه، مما ليس من جملته - أن ينسب إليه أنه كتب دعاء القنوت في مصحفه أو اعتقد أنه قرآن فإن اعتقاد كونه قرآنا أبين وأفحش في الغلط من كتابته في المصحف... فإذا كان كذلك سقط التعلق بهذه الرواية سقوطا ظاهرا .

ومما يدل على وهاء هذا الخبر عن « أبي» علمنا بأن «عثمان» تشدد في قبض المصاحف المخالفة لمصحفه وفي المطالبة بها وتحريقها، وإذا كان ذلك كذلك؛ لكانت العادة توجب أن يكون «مصحف أبي» أول مقبوض ومأخوذ، وقد جاءت الرواية عن محمد والطفيل ابني أبي بن كعب أنهما قالا لوفد أصحاب عبدالله عليهما بطلب مصحف أبيهما : «إنَّ عثمان قد قبضه منه»

وإذا كان ذلك كذلك وجب أن يكون «مصحف أبي» الذي فيه إثبات هذا الدعاء - إن كان ذلك على ما روي - مما قد أخذ و قبض فكيف بقي حتى رآه

---

١) التبصرة ص٤٤-٧٤.

الناس ورووا أنه كان عند أنس بن مالك، ويقول بعضهم : هذا لا أصل له، وقد رأينا «مصحف أنس» الذي ذكر أنه «مصحف أبي» وكان موافقا لمصحف لجماعة بغير زيادة ولا نقصان ؟.

ولو صح وثبت أنه وجد مصحف ينسب إلى «أبي» فيه دعاء القنوت لوجب أن يعلم أنه مكذوب موضوع، قصد بوضعه إفساد الدين، وتفريق كلمة المسلمين والقدح في نقلهم والطعن في مصحفهم الذي هو إمامهم» اهـ(١).

٢ - أما ابن حزم فقال : «كل ماروي عن ابن مسعود أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه ؛ فكذب موضوع لا يصح وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتان» اهـ(٢).

وقال أيضا : «أما قولهم : إن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا ؛ فباطل وكذب وإفك ، مصحف عبد الله إنما فيه قراءته بلا شك ، وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الاسلام في شرق الدنيا وغربها ، نقرأ بها وبغيرها مما قد صح أنه كله منزل من عند الله تعالى» اهـ(٣).

٣ - أما الرازي فقال : "نقل في الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة من القرآن، وكان ينكر كون المعوذتين من القرآن.

واعلم أن هذا في غاية الصعوبة؛ لأنا إن قلنا : إن النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن فحينئذ كان ابن مسعود عالما بذلك، فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل.

وإن قلنا : إن النقل المتواتر في هذا المعنى ماكان حاصلا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال: إن نقل القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة يقينية.

والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل كاذب باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة» اهـ(٤).

---

١) الإنتصار لوحة ٨٠/أ بواسطة نقل سيد صقر في هامش تأويل مشكل القرآن بتحقيقه ص٤٧.
٢) المحلى ١٣/١.
٣) الفصَل في الملل والأهواء والنحل ٧٧/٢ وقال ذلك في معرض رده على عتراض اليهود والنصارى به على المسلمين.
٤) التفسير الكبير ٢١٨/١، وتقدم ص٢٧٧ الجواب عن هذه العقدة التي يراها الرازي.

٤ - أما النووي فقال : «أجمع المسلون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منهما شيئا كفر.

وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح» اهـ(١).

قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن العلماء الذين حكموا بكذب هذه الروايات و ردها لم يغفلوا - إن شاء الله - عن صحة أسانيد بعضها ، ولكنهم - رحمهم الله - رأوا أن هذه الروايات مع صحة سندها تتضمن علة قادحة في المتن ، وهي مخالفتها لما تواتر عن ابن مسعود وأبي بن كعب ، ومعلوم أن العلة الخفية القادحة يكون الظاهر السلامة منها ؛ لذلك حكموا بكذب هذه الروايات وردها والله أعلم.

(٢) ما نسب إلى عبدالله بن مسعود من حذفه للفاتحة لم أقف على أسانيده لكن أورد السيوطي الأثرين التاليين :

أ - عن محمد بن سيرين : «أن أبي بن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم أياك نعبد ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين»(٢).

ب - عن إبراهيم : «كان عبدالله لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال لو كتبتها لكتبت في أول كل شيء»(٣).

وهذان الأثران ليس فيهما أن ابن مسعود ينكر قرآنية الفاتحة ، بل في الأثر الثاني ما يثبت أنه يرى قرآنيتها ويعلل عدم كتابتها بأنه يرى أن تكتب أول كل شيء، وهذا منه تعظيم للفاتحة، غايته - والله أعلم - حمل الناس على حفظها في الصدور لاحتياجهم اليها في صلواتهم والله أعلم .

(٣) أن الباقلاني يكذب ما نسب إلى أبي بن كعب من كتابته دعاء القنوت في مصحفه في الوقت الذي قبل فيه ما نسب إلى ابن مسعود من عدم كتابته للمعوذتين في مصحفه، وتأوله كما سبق في الاتجاه الأول.

---

١) انظر فتح الباري ٧٤٣/٨.

٢) عزاه في الدر المنثور ١٠/١ إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن الأنباري في المصاحف.

وعزاه في الإتقان (أبوالفضل) ١٨٤/١ إلى أبي عبيد وقال في الإتقان (٢٢٢/١) أيضا :«أخرجه أبوعبيد بسند صحيح»اهـ

٣) عزاه في الدر المنثور ١٠/١ إلى عبد بن حميد.

ثم رأيت القرطبي في تفسيره ١١٤/١ يسوقها بإسناد ابن الأنباري عنه، واسناده صحيح والله أعلم.

الخلاصة :

أن الروايات عن ابن مسعود في عدم كتابته للمعوذتين وعن أبي بن كعب في كتابته دعاء القنوت في مصحفه يجاب عنها بأحد مسلكين :

المسلك الأول : إما بردها وتكذيبها وعدم قبولها لمخالفتها المتواتر عنهما، واللائق بهما.

المسلك الثاني : وإما بقبولها وتأولها كما يلي :

بالنسبة لعبدالله بن مسعود يقال : إنه لم ينكر قرآنية المعوذتين وإنما أنكر كتابتهما في المصحف، وكذا الفاتحة لأن الواجب على كل مسلم حفظها في صدره.

وبالنسبة لأبي بن كعب يقال : إنه لم يكتب دعاء القنوت في مصحفه على أنه قرآن ، وانما لأنه سمعه من رسول الله ﷺ ورآه يحافظ عليه.

ويؤكد هذا أن المتواتر عنهما هو ما عليه الجماعة والله أعلم .

وبهذا تسقط هذه الشبهة - إن شاء الله تعالى - وبالله التوفيق .

الفصل الثاني : الشبه في رسم المصحف وردها.

يُعَد رسم المصحف العثماني ركنا من أركان القراءة الصحيحة المقبولة ؛ لذا كان الطعن فيه ، تشكيكا في صحة القراءات.

من أجل ذلك حرص الملحدون على استغلال بعض الروايات يطعنون بها في صحة رسم المصحف العثماني ، ليصلوا بذلك إلى إسقاط القراءات أو التشكيك فيها على أدنى الأحوال.

وفي هذا المجال قرر علماء القراءات الحقائق التالية :

(١) أن الصحابة كانوا من أحرص الناس على نقل القرآن إلى الأمة بأعلى درجات الضبط والإتقان.

(٢) أن المصحف العثماني موافق في رسمه للقراءة التي تلقاها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم عن رسول الله ﷺ على وفق الحرف الذي أراد عثمان رضي الله عنه جمع الناس عليه.

(٣) أن رسم المصحف العثماني منقول إلينا خلفا عن سلف كما كتبه الصحابة رضوان الله عليهم دون زيادة أو نقص ، غير الشكل والنقط .

(٤) أن شكل القرآن ونقطه يعتمد على القراءات المتلقاة عن رسول الله ﷺ.

هذه الحقائق أراد بعض الملحدين إبطالها فجاء بشبه، واستند إلى روايات بعضها باطل و بعضها صحيح وضعها الملحدون في غير موضعها فلم ينفع كيدهم شيئا- بحمد الله- إذ أن الله حفظ كتابه .

وسأورد هذه الشبه مع ردها - إن شاء الله تعالى -.

ويشتمل هذا الفصل على رد الشبه التالية :

الشبهة الأولى : وقوع الخطأ في رسم المصحف واستمرار القراءة به.

الشبهة الثانية : الحجاج بن يوسف غير أحد عشر حرفا من المصحف العثماني.

وإليك البيان :

الشبهة الأولى : وقوع الخطأ في رسم المصحف، واستمرار القراءة على مقتضى ذلك الخطأ.

وتقوم هذه الشبهة على الآثار التالية :

١ - عن هشام بن عروة عن أبيه قال : «سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه:٦٣] وعن قوله تعالى: ﴿والمُقِيمِينَ الصَّلاة والمُؤتُونَ الزَّكَاة﴾ [النساء:١٦٢] وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِين آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَابِئُون﴾ [المائدة:٦٩].

فقالت : يابن أخي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب»(١).

قلت : تقصد رضي الله عنها أن الأصل : «إن هذين» بالنصب «والمقيمون» بالرفع عطفا على المرفوع قبلها، «والصابئين» عطفا على المنصوب قبلها.

٢ - عن الزبير أبي خالد قال : قلت لأبان بن عثمان بن عفان: «ما شأنها كتبت ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُم والمُؤمِنُونَ يُؤمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْك وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك ، والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ والمُؤتُونَ الزَّكَاة﴾ [النساء:١٦٢] مابين يديها وما خلفها رفع وهي نصب؟.

قال : إن الكاتب لما كتب : ﴿لَكِنْ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُم...﴾ حتى إذا بلغ قال: ما أكتب؟.

قيل له : أكتب: ﴿والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾ فكتب ما قيل له.»(٢).

---

١) أثر صحيح.

أخرجه الفراء في «معاني القرآن» بسنده ١٠٦/١، ١٨٣/٢ وأبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٢٩ تحت رقم (٥٥٦) والطبري في تفسيره (شاكر) ٣٩٥/٩ وابن أبي داود في «المصاحف» ص٤٣ والداني في المقنع ص١٢٢ من طريق أبي عبيد.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٤٤/٢ إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وساقه في «الإتقان ٢٦٩/٢ (أبوالفضل) بإسناد أبي عبيد وقال: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»اهـ

٢) أثر ضعيف .

أخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٣١ تحت رقم (٥٥٨) والطبري في تفسيره (شاكر) ٣٩٤/٩-٣٩٥ وابن أبي داود في «المصاحف» ص٤٢-٤٣.

قلت : مدار طرقه عندهم على: «الزبير أبي خالد» مجهول العين والحال، ترجم له

٣ - عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُم حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور:٢٧] قال: «إنما هي خطأ من الكاتب "حتى تستأذنوا وتسلموا ".»(١).

٤ - عن عكرمة عن ابن عباس : « أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَيْئَس الَّذِين آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١] أنه كان يقرؤها: « أفلم يتبين الذين آمنوا »

قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس»(٢).

٥ - عن عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر القرشي قال : «لما فُرِغ من المصحف أُتِيَ به عثمان فنظر فيه فقال : «قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها»(٣).

= البخاري في تاريخه الكبير ٤١٣/٣ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥٨١/٣ وابن حبان في الثقات ٣٣٣/٦ ولم يزيدوا في ترجمته على سطر واحد نصه: «أبوخالد شيخ يروي عن أبان بن عثمان، روى عنه حماد بن سلمة»اهـ

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٧٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

ووقع في «فضائل القرآن» لأبي عبيد: «الزبير أبوعبدالسلام» بدلا من «الزبير أبوخالد» ويغلب على ظني أنه تصحيف .

والزبير أبوعبدالسلام له ترجمة في التاريخ الكبير ٣٧٨/٣ والجرح والتعديل ٥٨٤/٣ وتعجيل المنفعة ص١٣٥ وهو مجهول الحال فالأثر ضعيف على أي حال والله أعلم.

(١) أثر صحيح .

أخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٦٣ تحت رقم (٦٣٧) والطبري في تفسيره (دار الفكر) ١٠٩/١٨ بأسانيد صحيحة، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٩٦/٢ وصححه على شرط الشيخين.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١٧١/٦ إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الايمان والضياء في المختارة.

(٢) أثر صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٤٥٢/١٦ وصححه الشيخ محمودشاكر.

(٣) أثر حسن لغيره .

أخرجه ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» ص٤١ وابن اشته في كتاب «المصاحف» وساقه بسنده السيوطي في «الإتقان» (أبوالفضل) ٢٧٢/٢ ولفظه : «عن عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر قال: «لما فرغ من المصحف أتي به عثمان فنظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا»

قلت : و«عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر» مقبول كما قال الحافظ في التقريب =

= ص٣٣١، وفي السند أيضا الحارث بن عبدالرحمن بن عبدالله الدوسي صدوق يهم كما في «التقريب» ص١٤٦.

لكن يشهد له ويرقيه إلى مرتبة الحسن لغيره ما يلي:

(١) ما رواه ابن أبي داود في «المصاحف» ص٤١ من طريق يونس بن حبيب عن بكر بن بكار قال حدثنا أصحابنا عن أبي عمرو عن قتادة أن عثمان لما رفع اليه المصحف قال: «إن فيه لحنا ستقيمه العرب بألسنتها»

قلت: هذا أثر ضعيف لما يلي:

قتادة لم يسمع من عثمان. «المراسيل» لابن أبي حاتم ص١٣٩.

جهالة أصحاب بكر بن بكار.

بكر بن بكار سيء الحفظ. «لسان الميزان» ٤٨/٢.

(٢) وما رواه ابن أبي داود في «المصاحف» ص٤١ من طريق يونس بن حبيب عن أبي داود عن عمران بن دوار القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن عبدالله بن فطيمة عن يحي بن يعمر قال: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «في القرآن لحن ستقيمه العرب بألسنتها»

ورواه من طريق إسحاق بن ابراهيم عن أبي داود به.

ورواه الداني في «المقنع» ص١٢١ من طريق أحمد بن زهير عن عمرو بن مرزوق عن عمران به.

قلت: هذا أثر ضعيف، لما يلي:

قتادة مدلس وقد عنعن. تعريف أهل التقديس (دار الكتب العلمية) ص١٠٢.

عبدالله بن فطيمة مجهول الحال. التاريخ الكبير ١٧٠/٥ الثقات لابن حبان ٤١/٧.

يحي بن يعمر لم يسمع من عثمان. المقنع ص١١١.

وقد أشار البخاري في التاريخ الكبير ١٧٠/٥ إلى إنقطاع هذا الطريق فقال: «عبدالله بن فطيمة عن يحي بن يعمر، روى قتادة عن نصر بن عاصم، منقطع»اهـ ولم يزد على هذا في ترجمته، وكذا ابن حبان في «الثقات».

ويلاحظ ما يلي:

(أ) وقع في كتاب «المصاحف» لابن أبي داود ص٤١: «عمران بن داود» بالدال المهملة، وهو تصحيف، والصواب: «عمران بن داور» بالراء المهملة، كما نص عليه في التقريب ص ٤٢٩.

(ب) ووقع فيه أيضا وفي التاريخ الكبير للبخاري ١٧٠/٥: «عبدالله بن فطيمة»، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٣٧/٥: «عبدالله بن أبي فطيمة» وكذا في «المقنع» للداني ص١٢١ وهما واحد.

(٣) وما رواه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٢٦ تحت رقم (٥٥٥) عن حجاج عن هارون بن موسى عن الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفا من اللحن، فقال: «دعوها فان العرب ستغيرها (أو قال: ستعربها) بألسنتها، ولو كان الكاتب من ثقيف و المملي من هذيل لم توجد هذه الحروف»

قلت: وهو أثر منقطع عكرمة لم يسمع عثمان كما قال الداني في «المقنع» ص١١٩.

ومجموع هذه الأسانيد يقوي الأثر السابق ويرقيه إلى درجة الحسن لغيره والله أعلم.

٦ - عن عكرمة الطائي قال : «لما أتي عثمان رضي الله عنه
لمصحف رأى شيئا من لحن فقال : لو كان المملي من هذيل والكاتب من
ثيف لم يوجد فيه هذا»(١).

وقد حكى ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) عن الطاعنين في القرآن احتجاجهم بهذه
لآثار في نسبة الخطأ إلى القرآن العظيم(٢).

---

(١) ...ر حسن لغيره .
أخرجه أبو عبيد ...ي «فضائل القرآن» ص٢٢٦ تحت رقم (٥٥٥) وابن أبي داود في
«المصاحف» ص٤٢ و ...اني في المقنع ص١٢٠-١٢١.
وعزاه السيوطي ... «الإتقان» (شاكر) ٢٧٩/٢ إلى ابن الأنباري في كتاب «الرد على
من خالف مصحف عثمان» وابن اشته في كتاب «المصاحف».
قلت : الأثر أعله الداني بالانقطاع فإن عكرمة لم يسمع من عثمان. «المقنع» ص١١٩.
لكن الأثر ورد ما يقويه ويرقيه إلى مرتبة الحسن لغيره انظر الأثر الذي قبله.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٥-٢٦،٥٠.

الرد على الشبهة الأولى :

يتلخص الرد على هذه الشبهة في أحد الطريقين التاليين :

الأول : النظر في هذه الآثار من جهة السند .

الثاني : النظر في هذه الآثار من جهة المتن .

أما من جهة السند :

فإن هذه الآثار على قسمين :

(أ) آثار في درجة القبول، إما صحيحة السند وإما حسنة السند وإما ضعيفة السند قد تقوَّت ببعضها وترقت إلى مرتبة الحسن لغيره .

وهي التي تحمل الأرقام التالية : (١،٣،٤،٥،٦) .

(ب) آثار ضعيفة السند، وهو الأثر رقم : (٢) .

وهذا الأثر الضعيف لا نتشاغل بالرد عليه .

وأما الجواب عن الآثار الأخرى فهو التالي :

ما روي عن عائشة : «أخطأوا في الكتاب» وابن عباس: «إنما هي خطأ من الكاتب» فإن مرادهما رضي الله عنهما بالخطأ: أنهم أخطأوا في إختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز لأن ما لايجوز مردود باجماع، وإن طالت مدة وقوعه، وعظم قدر موقعه، وهذا جواب ابن اشته(١) (ت٣٦٠هـ) وابن جباره أحمد بن محمد المقدسي(٢) (ت٧٢٨هـ) ونقله الداني(٣) (ت٤٤٤هـ) عن بعض أهل العلم.

ماروي عن عثمان رضي الله عنه : «قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها» فكلها ابتداء روايات ضعيفة لا يقوم بواحد منها حجة عند الإنفراد، ومن ثَمَّ فلاحجة فيها إلا إذا اعتضد بعضها ببعض و يلاحظ التالي:

(أ) أن ابن اشته أخرجه في كتاب المصاحف بلفظ: «عن عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر قال: «لما فرغ من المصحف أتي به عثمان

---

١) نقله في الإتقان (أبوالفضل) ٢/٢٧٢-٢٧٣.

٢) ماسبق.

٣) المقنع ص١٢٢.

فنظر فيه فقال: «أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا»(١).

(ب) والأثر بهذا اللفظ الذي في رواية ابن اشته لا إشكال فيه، بل به يتضح معنى اللفظ المتقدم - فلا بد أن تحمل الروايات على معنى هذه الرواية تحسينا لها وإلا وجب ردها لأن متنها لا يقوى على معارضة المتواتر من القرآن لو كان هذا المتن صحيحا فكيف وهو متهافت لا يقوم إلا مستندا على غيره؟ - فكأن المصحف عرض على عثمان رضي الله عنه عقب الفراغ من كتابته فرأى فيه شيئا مكتوبا على غير لسان قريش، كما وقع لهم في لفظة: «التابوه» و ﴿التابوت﴾؛ فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش، ثم وفى بهذا عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئا، ولعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها، ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان فلزم منه مالزم من الإشكال.

وهذا جواب ابن اشته(٢) (ت٣٦٠هـ).

قلت : ويلاحظ مايلي :

(١) أن هذا الجواب مبني على أن معنى «اللحن» في الروايات السابقة اللغة، وهذا المعنى قررته كتب اللغة في معاني هذه المادة«ل.ح.ن»(٣).

(٢) وهذا المعنى في تفسير كلمة «اللحن» ذكره ابن أبي داود عقب ايراده لقول عثمان بن عفان رضي الله عنه : «أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها»

قال ابن أبي داود رحمه الله : «هذا - عندي - يعني بلغاتها وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعا لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرأونه» اهـ(٤).

وقال أيضا في موضع آخر : «لا يجوز أن يجتمع أهل الأمصار كلها وأصحاب النبي ﷺ معهم على الخطأ وخاصة في كتاب الله عزوجل وفي سنن الصلاة» اهـ(٥).

(٣) أن المقصود فيما سبق باللغات أنهم كتبوه بلغات نزل بها القرآن في قراءات غير القراءة التي أراد عثمان رضي الله عنه جمع

---

١) تقدم تخريجه ص٢٨٧، وانظر الإتقان (أبوالفضل) ٢/٢٧٢.
٢) الإتقان (أبوالفضل) ٢/٢٧١-٢٧٢.
٣) لسان العرب ١٣/٣٧٩-٣٨٣.
٤) المصاحف لابن أبي داود ص٤١.
٥) المصاحف لابن أبي داود ص٨٧.

الصحابة عليها، وهي القراءة على وفق لسان قريش.

قلت : فسَّر بعض أهل العلم كلمة «اللحن» بـ«القراءة واللغة» والمعنى: إن في القرآن ورسم مصحفه وجها في القراءة لا تلين به السنة العرب جميعا، ولكنها لا تلبث أن تلين به السنتهم بالمران وكثرة التلاوة للقرآن العظيم بهذا الوجه.

ومثّل لذلك بكلمة ﴿الصراط﴾ بالصاد المبدلة من السين فتقرأ العرب بالصاد عملا بالرسم وبالسين عملا بالأصل(١).

قلت : وفسر آخرون كلمة «اللحن» بـ«اللغة وطريقة الكلام» ورجحوا أن يكون المقصود بقول عثمان رضي الله عنه نما هو تلاوة الحروف المرسومة بزيادة حرف أو نقصانه مما لو قرئ على وجهه لتغير اللفظ وفسد المعنى أي أن هناك كلمات على القارئ أن يقيم قراءتها وفقا لما تلقاه وسمعه دون ما يجده مكتوبا في الخط(٢).

قلت : هذا قاله ابن اشته (ت٣٦٠هـ) في جوابه عن قول عثمان رضي الله عنه(٣).

قال ابو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) بعد أن قرر نحوا مما سبق : «فإن قيل : فما معنى قول عثمان رضي الله عنه في آخر هذا الخبر: «لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف» قلت : معناه أي لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك؛ إذ كانت قريش ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتهما يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني و الوجوه؛ إذ ذلك هو المعهود عندهما والذي جرى عليه استعمالهما.

هذا تأويل قول عثمان - عندي - لو ثبت وجاء مجيء الحجة وبالله

---

١) مناهل العرفان ١/٣٨٠.

٢) المقنع ص١١٩-١٢٠.

٣) الإتقان (أبوالفضل) ٢/٢٧١.

التوفيق»اهـ(١).

أما من جهة المتن : فيقال : كيف يظن بالصحابة :

أولا : أنهم يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء اللد؟.

ثانيا: كيف يظن بهم ذلك في القرآن الذي تلقوه عن النبي ﷺ كما أنزل وحفظوه وضبطوه و اتقنوه ؟.

ثالثا : كيف يظن بهم اجتماعهم كلهم على الخطأ و كتابته ؟.

رابعا : كيف يظن بهم عدم تنبههم ورجوعهم عنه ؟.

خامسا : كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟.

سادسا : كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، والقرآن مروي بالتواتر خلفا عن سلف ؟.

هذا مما يستحيل عقلا وشرعا .

ويؤكد هذا أن عثمان رضي الله عنه لم يكتب مصحفا واحدا بل كتب عدة مصاحف.

فإن قيل : إن اللحن وقع في جميعها.

تعقب بأنه لايمكن ذلك إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة.

وان قيل : إنَّ اللحن وقع في بعضها.

تعقب بأنه اعتراف بصحة بعضها الآخر ، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما

---

١) المقنع ص١٢٠.

فائدة : قلت جواب أبي عمرو الداني مبني على أصل له في رسم المصحف بينه في موضع آخر من كتبه حيث يقول : «وليس شيء من الرسم و لا من النقط أصطلح عليه السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب ، وقصدوا به طريقا من اللغة والقياس لموقعهم من العلم ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»اهـ ' المحكم ص١٩٦.

فهو - رحمة الله عليه - يرى أن ظواهر الرسم القرآني في المصحف العماني معلله بعلل لغوية ونحوية ، وأن مراعاة هذه العلل ما كان ممكنا لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل فهم لو ولوا نسخ المصاحف لرسموا الكلمات وفقا للفظها دون زيادة حرف في رسمها أو حذف شيء من رموزها لأنهم لايراعون في كتابتهم الوجوه والمعاني. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ص٢١٧-٢١٨.

هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن(١).

قال الطبري (ت٣١٠هـ) : «لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف - غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه - بخلاف ما هو في مصحفنا.

وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ.

مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط ، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ، ولأصلحوا بالسنتهم و لقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب.

وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوما أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه ، وأن لا صنع في ذلك للكاتب» اهـ(٢).

وتلاحظ الأمور التالية :

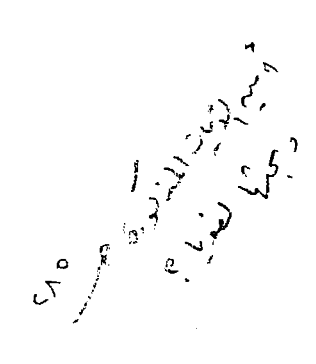
(١) أن الطعن في متن الروايات هو من العلة القادحة ، ولا يضير حينئذ كون الظاهر في سندها الصحة.

(٢) أن الجمع والتوفيق بين الروايات وما يعارضها مقدم على ردها وتضعيفها بمجرد المخالفة.

---

١) النشر ١/٤٥٩ الإتقان (أبوالفضل) ٢/٢٧٠ بتصرف.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٩/٣٩٧-٣٩٨.



خلاصة الرد على هذه الشبهة :

أن الآثار والروايات التي قامت عليها هذه الشبهة لا تخرج عن حالين :

إما أن ترد ويطعن في صحتها لنكارة متنها .

إما أن تقبل وتحمل على معنى سالم من المعارضة من الوجوه التالية :

(١) أن تفسر كلمة «أخطأ الكاتب» بالخطأ في إختيار الأولى من الأحرف السبعة.

(٢) أن تفسر كلمة «لحن» باللغة والقراءة ، ويحمل المعنى على أحد الوجوه التالية :

(أ) أن يكون مراد عثمان رضي الله عنه : أن في نسخهم للقرآن لحنا أي لغة مما نزل به القرآن غير لسان قريش الذي طلب منهم الكتابة به.

(ب) أو أن يكون مراده أن في القرآن ورسم المصحف وجها في القراءة لا تلين به بعض ألسنة العرب ، ولكنها لا تلبث أن تلين به بالمران والتلاوة.

(ج) أو يكون المقصود إنما هو تلاوة الحروف المرسومة بزيادة حرف أو نقصانه مما لو قرئ على وجهه لتغير اللفظ وفسد المعنى ، فعلى القارئ أن يقيم لسانه وفقا لما تلقاه وسمعه دون ما يجده مكتوبا في الخط.

الشبهة الثانية :

الحجاج غيَّر أحد عشر حرفا في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه .

تستند هذه الشبهة على ما جاء عن عوف بن أبي جميلة قال :«إن الحجاج ابن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفا.

قال كانت في البقرة [آية ٢٥٩] «لم يتسن وانظر» بغير هاء فغيرها : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ بالهاء .

وكانت في المائدة [آية ٤٨] «شريعة ومنهاجا» فغيرها ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

وكانت في يونس [آية ٢٢] «هو الذي ينشركم» فغيره : ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾.

وكانت في يوسف [آية ٤٥] « أنا آتيكم بتأويله» فغيرها ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾.

وكانت في المؤمنين [آية ٨٥،٨٧،٨٩] «سيقولون لله ... سيقولون لله ... سيقولون لله» ثلاثتهن فجعل الأخريين : ﴿الله . الله﴾.

وكانت في الشعراء في قصة نوح [آية١١٦] «من المخرجين» وفي قصة لوط [الشعراء ١٦٧] فغيَّر قصة نوح : ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ وقصة لوط ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

وكانت الزخرف [آية ٣٢] «نحن قسمنا بينهم معايشهم» فغيَّرها ﴿مَعِيشَتَهُمْ﴾.

وكانت في : « الذين كفروا » [محمد:١٥] «من ماء غير ياسن» فغيرها: ﴿مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾.

وكانت في الحديد [آية ٧] : «فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير» فغيرها ﴿وانفقوا﴾.

وكانت في«إذا الشمس كورت» [آية ٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ فغيرها ﴿بضنين﴾.»اهـ(١).

---

١) أثر ضعيف جدا .

أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» ص٥٩،١٣٠ وفي السند : «عباد بن صهيب» أحد المتروكين. لسان الميزان ٣/ ٢٣٠.

الرد على الشبهة الثانية :

يرد على تلك الشبهة بأنها كاذبة باطلة سندا ومتنا.

أما سندا ؛ فلأنها من طريق عباد بن صهيب وهو متروك(١).

أما متنا ؛ فإنّ الحجاج لو فعل ذلك حقا لنقل إلينا متواترا؛ لأن هذا مما تتوافر الدواعي على نقله وتواتره، ثم كيف يفعل هذا ويقره علماء عصره ويسكتون ولا ينكرون عليه، ولا يدافعون ولا يستقتلون؟. ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾.

ثم إن الحجاج كان عاملا على بعض أقطار الاسلام فأنى له أن يجمع المصاحف ويحرقها فيما عدا ولايته التي هو عامل عليها ؟.

وإذا فرضنا أن الحجاج كان له من القوة والشوكة ما أسكت به كل الأمة في زمانه على هذا الخرق الواسع في الإسلام والقرآن فما الذي أسكت المسلمين بعد انقضاء عهد الحجاج ؟.

وإذا كان الحجاج قد استطاع التحكم في المصاحف والتلاعب فيها بالزيادة والنقصان فكيف استطاع أن يتحكم في قلوب الحفاظ وهم الآف مؤلفة في ذلك العهد حتى يمحو منها ويثبت ما يريد ؟.

هذه دعاوى ساقطة، تحمل أدلة سقوطها في الفاظها وتدل على جرأة القوم واغراقهم في الجهل والضلال ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ نسأل الله السلامة بمنه وكرمه(٢).

وعلى فرض صحة هذه الرواية ، فالجواب عليها هو التالي :

نص الرواية يذكر لفظ «غَيَّر» أي : بدل، و لايشترط أن يكون التغيير من الصواب إلى الخطأ بل قد يكون التغيير من الخطأ إلى الصواب، ويكون الخطأ دافعا للتغيير إلى الصواب.

---

١) قال الذهبي في «ميزان الإعتدال» ٣٦٧/٢: «عباد بن صهيب البصري أحد المتروكين ... قال ابن المديني: «ذهب حديثه» وقال البخاري والنسائي وغيرهما: «متروك» وقال ابن حبان : «كان قدريا داعية، ومع ذلك يروي أشياء إذا سمعها المبتدىء في هذه الصناعة شهد لها بالوضع».. وأما أبو داود فقال: «صدوق قدري» وقال أحمد: «ماكان بصاحب كذب وكان عنده من الحديث أمر عظيم»اهـ

قلت : كلام أبي داود وأحمد يدل على : أنه لا يضبط الحديث بمرة لكن هذا عندهما ليس منه بل من غيره فإنه كان إذا سمع من أحد حديثا حدث به ولم يخطر بباله أنه يكذب أحد في الحديث عن رسول الله لأنه كان يعظم ذلك ، ومن هنا دُخِل عليه في حديثه.

٢) من كلام الزرقاني في «مناهل العرفان» ٢٦٦/١-٢٦٧.

والخطأ المتوقع في هذه الحال هو أن بعض المصاحف كتبت فيها حروف على نحو ما يوجد في قراءة ابن مسعود مما يخالف رسم المصحف العثماني، ويكون الصواب هنا تغييرها إلى مثل ما هي عليه في مصاحف الأمة .

ويرشح هذا ما ذكره ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) من أن «الحجاج وَكَّلَ عاصما الجحدري، وناجية بن رمح، وعلي بن أصمع بتتبع المصاحف ، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان ويعطوا صاحبه ستين درهما.

قال ابن قتيبة : «خبرني بذلك أبوحاتم عن الأصمعي قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

و إلا رسوم الدار قفرا كأنها كتاب محاه الباهلي ابن أصمعا»اهـ(١).

وتشير هذه الرواية التي أوردها ابن قتيبة إلى أن الحجاج كان حريصا على المحافظة على هجاء الكلمات في المصاحف كما هو عليه في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن ثم فإن حرص الحجاج على أن تبقى المصاحف موحدة في هجائها جعله يكل الأمر إلى جماعة من العلماء في عصره لينظروا في المصاحف ويقطعوا أو يمحوا ما كان مخالفا للمصحف العثماني ويعطوا صاحبه من المال ما يستطيع به أن يحوز عى نسخة من المصحف العثماني .

وعلى هذا فإن هناك احتمالا قويا أن يكون أولئك الجماعة قد وجدوا بعض المصاحف لا تخالف المصحف العثماني إلا في حروف يسيرة فرأوا تغييرها فقط دون إتلاف المصحف بكامله، ولعل جزءا مما قاموا به إرتبط باسم الحجاج لأنه الآمر به، وجاءت الرواية تقول أن الحجاج غير في المصحف أحد عشر حرفا على أمره بتصحيح تلك المواضع(٢) والله أعلم .

هذا الجواب - عندي - لو صح هذا الخبر و بالله التوفيق.

---

١) تأويل مشكل القرآن ص١٥-٢٥.

٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ص٧١٣-٧١٤.

خلاصة القسم الأول من الرسالة :

بهذا الباب ينتهي بحمد الله وتوفيقه القسم الأول من هذه الرسالة، التي أردت بها خدمة هذا العلم العزيز، وهو علم القراءات، وإلقاء الضوء على مسائله ومراحل تدوينه، والذب عنه، من خلال الأبواب الثلاثة التي اشتمل عليها هذا القسم من الرسالة.

فقد عرَّفت القراءات، مؤكدا على أنها تلق ورواية، وليست رأيا ودراية، وبينت أقسامها من جهة النقل، وأقسامها من جهة القبول، مسندا ذلك بالدليل، معضدا له بالنقل عن أئمة العلم رحمهم الله جميعا.

كما عرجت على استعراض مراحل تدوين القراءات، وأوضاعه المتنوعة التي ظهر بها، مستعرضا تسلسل التأليف في هذا العلم إلى عصرنا الحاضر.

وقمت بجمع الشبه التي طعن بها المبطلون في كتاب الله من خلال القراءات؛ من جهة اختلافها، ومن جهة رسم المصحف، ثم قمت بالرد عليها، ردا موضوعيا، مدعما بالحجة والبرهان، مستعينا فيه بكلام أهل العلم، ومصنفاتهم المتعددة في ذلك، جزاهم الله خيرا عن الإسلام والمسلمين.

وختاما أسأل الله تبارك وتعالى بأن له الحمد لا إله الا هو الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام أسأله سبحانه أن يتقبل جميع عملي خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقني القبول في الدنيا والآخرة.

هذا، وبانتهاء هذا القسم يبدأ القسم الثاني من الرسالة، وهو التالي:

القسم الثاني :

أثر القراءات في التفسير والأحكام

ويتضمن : الأبواب التالية :

الباب االأول : معنى العنوان وصلة القراءات بالتفسير .

الباب الثاني : القراءات التي بينت المعنى أو وسعته أو أزالت الإشكال .

الباب الثالث : القراءات المتعلقة بالعموم والإطلاق والإجمال .

الباب الرابع : القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب .

الباب الأول
معنى العنوان وصلة القراءات بالتفسير

هذا باب تمهيدي أردت فيه شرح العنوان: «أثر القراءات في التفسير والأحكام»، وبيان صلة القراءات بالتفسير.

وفيه فصلان:

الفصل الأول : معنى العنوان.

الفصل الثاني : القراءات والتفسير.

الفصل الأول
معنى العنوان

لمّا كان عنوان هذا القسم يتكون من هذه المفردات :

(١) الأثر .

(٢) القراءات .

(٣) التفسير .

(٤) الحكم .

رأيت توطئة للدراسة فيه بيان معانيها - عدا القراءات التي سبق بيانها - ليسهل معرفة المقصود في البحث، إن شاء الله .

(١) معنى الأثر :

تدور مادة [أ . ث . ر] حول ثلاثة أصول :

الأول : تقديم الشيء ، تقول : لقد أثرت بأن أفعل كذا تعني هممت .

الثاني : ذكر الشيء ، تقول : ما حلفت آثرا و لا ذاكرا ، تعني : ما حلفت مخبرا عن غيري أنه حلف ولم أذكر ذلك عن نفسي.

الثالث : رسم الشيء، ومنه الأثارة في قوله تعالى : ﴿أَوْأَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ الأحقاف: ٤، أي : بقية من علم(١).

---

١) معجم مقاييس اللغة ١/٥٣-٥٧ وأنظر لسان العرب ٤/٥ -١٠.

وذكر الجرجاني(١) أن «للأثر» ثلاثة معان :

الأول : بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء ، والثاني : بمعنى العلامة ، والثالث : بمعنى الجزء.

وظاهر أن هذه المعاني التي ذكرها الجرجاني كلها من الأصل الثالث لهذه المادة وهو : «بقية الشيء» أو «رسم الشيء الباقي».

وحينما ندرس هنا «**أثر القراءات في التفسير والأحكام**» فإنما نريد بيان النتيجة الحاصلة من اختلاف القراءات من جهة التفسير والأحكام.

(٢) معنى التفسير :

تدور مادة [ف . س . ر] في اللغة حول أصل واحد يدل على بيان شيء وايضاحه، من ذلك الفسر، يقال : فسرت الشيء وفسرته إذا بيّنته، والفسر والتفسرة نظر الطبيب إلى ماء المريض (يعني : البول الذي يوضع في إناء ويعطى للطبيب من أجل كشف حال المريض) وحكمه فيه(٢) .

والتفسير على ذلك الشرح والبيان .

أما في الاصطلاح فان للعلماء عليهم الرحمة والرضوان في تعريف التفسير باعتباره علما مدونا عبارات كثيرة من أجمعها وأمنعها قولهم في تعريفه: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»(٣).

وشرح التعريف كما يلي :

قولهم : «علم » جنس يشمل سائر العلوم .

قولهم : «يبحث فيه عن أحوال القرآن» قيد احترز به عن العلوم الباحثة عن أحوال غيره.

قولهم : «من حيث دلالته على مراد الله تعالى» قيد ثان احترز به عن البحث في أحوال القرآن من غير هذه الحيثية ككونه شاهدا على صحة قاعدة نحوية أو بلاغية أو حكم فقهي أو أصل عقدي أو نحو ذلك، واحترز به كذلك عن البحث في أحوال القرآن من حيث كونه لفظا منطوقا أو خطا

---

١) التعريفات ص٩ .
والجرجاني هو علي بن محمد المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف من كبار العلماء بالعربية (٧٤٠-٨١٦هـ). الأعلام ٧/٥.

٢) معجم مقاييس اللغة ٥٠٤/٤.

٣) مناهل العرفان ٤٧١/١.

مرسوما.

وقولهم : «بقدر الطاقة البشرية» فيه بيان أنه لايقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمراد الله من الآية في الواقع و نفس الأمر في كثير من الأحيان، فهو اذن قيد للإدخال لا للاخراج(١).

(٣) معنى الحكم :

تدور مادة [ح . ك . م] في اللغة حول أصل واحد وهو المنع(٢).

ومن ذلك «الحكم» بضم الميم وسكون الكاف وهو المنع من الظلم .

وسميت الحديدة التي يمسك بها رأس الدابة حَكَمَة لأنها تمنع الدابة من الجماح.

وتقول : حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يده .

ثم للفظة «حكم» اصطلاحات عرفية، والذي يتعلق بموضوع هذه الرسالة إطلاقان هما:

الأول : الحكم بمعنى إسناد أمر إلى آخر إيجابا أو سلبا(٣).

الثاني : الحكم في اصطلاح الأصوليين : «خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين للاقتضاء أو التخيير أو الوضع»(٤).

وشرح هذا التعريف عند الأصوليين كما يلي :

قولهم : «خطاب الله» يراد به القرآن والسنة وما قام عليهما من اجماع أو قياس صحيح ، واحترز بقوله «خطاب الله» فأخرج خطاب غيره .

قولهم : «المتعلق بأفعال المكلفين» قيد أخرج الخطاب المتعلق بذات الله أو بالاعتقاد فلا يسمى حكما في اصطلاح الأصوليين ، واحترز به أيضا عن غير المكلف بالقوة والفعل.

قولهم : «للاقتضاء» يعني : الطلب ، وهو إما أن يكون طلب فعل أو طلب ترك.

وطلب الفعل إما أن يكون على وجه الإلزام فهو الواجب وإما أن يكون على غير وجه الإلزام فهو المستحب.

---

١) دراسات في مناهج المفسرين ١/٣٠-٣١.

٢) معجم مقاييس اللغة ٢/٩١.

٣) التعريفات ص٩٢.

٤) منتهى الوصول والأمل ص٣٢.

وطلب الترك إما أن يكون على سبيل الإلزام فهو المحرم، وإما أن يكون لا على سبيل الالزام فهو المكروه.

قولهم : «أو التخيير» يعني : المباح، إذ يخير المكلف بين فعله وتركه.

قولهم : «أو الوضع» أي : ما وضعه الشارع من علامات على الصحة والبطلان أو الشرط والسبب والمانع(١).

والمقصود من الحكم في عنوان هذا القسم أعم من الحكم في اصطلاح الأصوليين؛ إذ القراءة عند افادتها لمعنى لم تفده القراءة الأخرى (بزيادة وصف أو شيء آخر) يعتبر هذا حكما مَهْمَا كان موضوعه، أي: سواء كان حكماً أصلياً في العقائد، أو فرعياً في الفقه، أو لغوياً من جهة النحو، أو الصرف، أو البلاغة، ونحو ذلك، كما سنبين - إن شاء الله - فالحكم في عنوان الرسالة إنما يقصد به الاطلاق الأول الاصطلاحي لا الثاني، أي: مطلق إسناد أمر لأمر... الخ.

وبعد :

فإنَّ تأمل معاني هذه المفردات التي يتكون منها عنوان هذا القسم «**أثر القراءات في التفسير والأحكام**» يوضح أنَّ المقصود في هذا القسم هو بيان النتيجة الحاصلة من اختلاف القراءات من جهة بيان مراد الله من كلامه المنزل على رسوله محمد ﷺ حسب الطاقة البشرية، مع بيان ما يفيده اختلاف القراءات من أحكام سواء في معنى الآية أم في الخطاب الشرعي المتعلق بأفعال المكلفين بالوضع والاقتضاء والتخيير، أم في تقرير معنى لغوي، ونحو ذلك.

---

١) المحصول في علم الأصول ١/١٥،١٧-١٨ بيان المختصر شرح مختصرابن الحاجب ١/٣٢٥-٣٢٨.

الفصل الثاني
القراءات والتفسير

ويشتمل على بيان المباحث التالية :

المبحث الأول : منزلة القراءات من التفسير.

المبحث الثاني : أقسام القراءات من جهة التفسير.

المبحث الثالث : نبذة موجزة عن اهتمام العلماء ببيان أثر القراءات في التفسير.

المبحث الرابع : قواعد مهمة يحتاج لها أثناء دراسة أثر القراءات في التفسير.

وإليك البيان :

المبحث الأول : منزلة القراءات من التفسير :

تتبين هذه المنزلة من خلال معرفة أفضل طرق التفسير، التي تنحصر في الطرق التالية :

الأول : تفسير القرآن بالقرآن والسنة .

الثاني : تفسير القرآن بقول الصحابي .

الثالث : تفسير القرآن بقول التابعي وبلغة العرب(١).

وإذا كانت القراءات من جهة القبول تنقسم إلى(٢) :

(أ) قراءات مقبولة وهي : القراءة المتواترة والآحادية الموافقة للرسم المتلقاة بالقبول.

(ب) قراءات مردودة وهي : القراءة التي لم يصح سندها أو لم تتلق بالقبول من علماء الشأن.

(ج) قراءات متوقف فيها وهي : القراءة الشاذة التي صح سندها وخالفت رسم المصحف.

فإذا كان ذلك كذلك فإن منزلة القراءات من التفسير تكون كالتالي :

أولا : المعنى التفسيري الناتج عن اختلاف القراءات المقبولة هو من نوع تفسير القرآن بالقرآن.

ثانيا : أما القراءة المردودة فإنه لامحل لها في التفسير أصلا .

---

١) بسط الكلام في ذلك ابن تيمية في «مقدمة في أصول التفسير» ص٩٣-١٠٥.

٢) سبق بيان ذلك ص١١٤-١٣٢ ولله الحمد والمنة .

ثالثا : أما المعنى التفسيري الناتج من القراءة الشاذة فإنه إن لم يكن من باب تفسير القرآن بالقرآن - لأننا لانجزم بقرآنيتها و لا بعدمها - فإنه يكون من باب تفسير القرآن بقول الرسول ﷺ، أو على أدنى الأحوال من باب تفسير القرآن بقول الصحابي.

وهذا هو الراجح في المسألة(١).

قال أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ) في كلامه عن القراءات وأنها ضربان قال: «ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) رحمه الله كتابه الموسوم بـ«قراءات السبعة» وهو بشهرته غان عن تحديده.

وضرب تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذا أي : خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرّائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ولعله أو كثير منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه.

نعم وربما كان فيه ما تَلْطُفُ صَنْعَتُه وتَعَنُفُ(٢) بغيره فصاحته، وتمْطُوه(٣) قوى أسبابه وترسو به قدم إعرابه؛ ولذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه وما كنه عليه، وراده إليه، كأبي الحسن أحمد بن محمد ابن شنبوذ(٤) وأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم(٥) (ت٣٥٤هـ) وغيرهما ممن أدى إلى رواية استقواها وأنحى على صناعة من الإعراب

---

١) تقدم بحث هذه المسألة في ص ١٢١-١٢٢.

٢) تعنف بغيره أي : تعذله وتلومه، من العنف خلاف الرفق، والتعنيف التشديد في اللوم. معجم مقاييس اللغة ١٥٨/٤.

ويريد ابن جني رحمه الله : «ان فصاحة هذا الضرب من القراءات متفوقة تلوم غيره على تخلفه في مضمار الفصاحة» المحتسب ٣٢/١ حاشية رقم (٥).

٣) تمطوه تمده . المحتسب ٣٢/١ حاشية رقم (٦).

٤) كذا ساق اسمه ، واعتبرذلك ابن الجزري في غاية النهاية ٥٤/٢ وهما صوابه : «محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ويقال : ابن الصلت بن أيوب بن شنبوذ (ت٣٢٣هـ).

وقال عنه ابن الجزري غاية النهاية ٥٤/١ : «كان يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف ... ثم ذكر الحروف التي أنكرت عليه»اهـ

٥) قال ابن الجزري رحمه الله في ترجمة ابن مقسم غاية النهاية١٢٤/٢ : «ويذكر عنه أنه كان يقول : إن كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند، وأنه عقد له مجلس ووقف للضرب فتاب ورجع، وهذا غير ما كان ينحوه ابن شنبوذ، فإنه كان يعتمد على السند وإن خالف المصحف، وهذا يعتمد على المصحف وإن خالف النقل، واتفقا على موافقة العربية»اهـ

رضيها واستعلاها.

ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم، أو تسويغا للعدول مما أقرأته الثقات عنهم؛ لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه(١) آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يرى مري(٢) أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له.

ومعاذ الله وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ؟ والله تعالى يقول: ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الحشر:٧.

وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأخذه هو الأخذ به فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه، فإن قصر شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله ﷺ فلن يقصر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والاسهاب، إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الإنتشار فيه، ونتابع من يتّبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضي من القول لديه.

نعم و أكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه اعرابا وأنهض قياسا، اذ هما جميعا مرويان مسندان إلى السلف رضي الله عنه؛ فإن كان هذا قادحا فيه وما نعا من الأخذ به فليكونن ما ضعف إعرابه مما قرأ بعض السبعة به هذه حاله ... ... وهو أيضا مع ذلك مأخوذ به.

ولعمري إن القارئ به من شاعت قراءته واعتيد الأخذ عنه فأمّا أن نتوقف عن الأخذ به لأن غيره أقوى اعرابا منه فلا؛ لما قدمنا»اهـ(٣).

قلت: لله دره ما أجل كلامه، فقد رمى وسدد واستهدى ورشد وتلاحظ الأمور التالية:

(١) القراءة الشاذة عند ابن جني رحمه الله مازاد على القراءات السبع سواء وافقت الرسم أم خالفته، ما دامت تضرب في صحة الرواية بجرانها وتأخذ من سمت العربية مهلة ميدانها.

(٢) أن ابن جني رحمه الله قرر أنه لا تلازم بين الأخذ بالقراءة

---

١) بِجِرَانه بكسر الجيم وفتح الراء باطن العنق من البعير. انظر لسان العرب١٣/٨٦. والمراد هنا أن هذا الشأن ثبت واستقر.

٢) المري: الرجل المقبول في خَلْقه وخُلقه. لسان العرب ١٥/٢٧٩.

٣) المحتسب ١/٣٢-٣٣ باختصار وتصرف يسيرين.

الشاذة والعمل بها وبين عدم جواز القراءة بالشاذ في الصلاة؛ لأن القراءة إنما تكون بقراءة القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم.

(٣) أن في كلامه رحمه الله مبالغة في وصف الشاذ الذي لايقرأ به (أعني: قوله: «فإنا نعتقد قوة ..») وغاية مايقال: إنها قراءات لها وجه من الإسناد يعمل بها في بيان المعنى.

(٤) أن كون بعض القراءات أقوى اعرابا من بعض لا يعد مسوغا عنده رحمه الله للقدح في القراءة وعدم الأخذ بها.

وصدق رحمة الله عليه، لأن الأصل في القراءة الرواية أساساً.

هذا ما كان من شأن القراءة الشاذة في التفسير.

فإن قيل: هل كل خلاف بين القراءات يؤثر في التفسير ؟.

فالجواب هو التالي فيما يأتي:

المبحث الثاني: أقسام القراءات من جهة التفسير:

ليس كل اختلاف بين القراءات له أثر في التفسير؛ فإن للقراءات حالين:

احداهما: لا تعلق لها بالتفسير بحال.

الثانية: لها تعلق بالتفسير من جهات متفاوتة(١).

أما الأولى؛ فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة والاخفاء، فهذه الاختلافات لا تأثير لها في اختلاف معاني الآي، وإن كان لها أثر من جهات أخرى غير التفسير مثل التخفيف على الأمة في النطق وبيان سعة اللغة.

أما الثانية؛ فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات، وهو على نوعين:

(أ) اختلاف اللفظ والمعنى جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

(ب) اختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لا ستحالة اجتماعهما فيه، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي

---

١) أصول التفسير وقواعده ص٤٢٨-٤٢٩.

التضاد(١).

فهذه الحال بنوعيها هي التي لها مزيد التعلق بالتفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد عن نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة.

قال صاحب «التحرير والتنوير من التفسير» في تقرير هذه المعاني : «إن للقراءات حالتين :

احداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال.

والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة .

أما الحالة الأولى فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات ؛ كمقادير المد والامالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة ... .

ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على ابناء العربية مالم يحفظه غيرها؛ وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة.

وهذا غرض مهم جدا لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي.

ولم أر من عَرَف لفن القراءات حقه من هذه الجهة، وفيها أيضا سعة من بيان وجوه الاعراب في العربية ؛ فهي لذلك مادة كبرى لعلوم اللغة العربية.

فأئمة العربية لما قرأوا القرآن قرأوه بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرانيهم في الأمصار التي وزعت عليها المصاحف... وكان في هذه الأمصار قراؤها من الصحابة قبل ورود مصحف عثمان إليهم فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه الأداء لا في زيادة الحروف ونقصانها، و لا في اختلاف الاعراب دون مخالفته مصحف عثمان، ويحتمل أن يكون القارىء الواحد قد قرأ بوجهين ليُرِيَ صحتهما في العربية قصدا لحفظ اللُغة مع حفظ القرآن الذي أنزل بها؛ ولذلك يجوز أن يكون كثير من اختلاف القراء

---

١) تقدم بسط ذلك في ص ١٣٥-١٣٦.

في هذه الناحية اختياراً(١) ....

أما الحالة الثانية فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] و ﴿نُنشِرُهَا﴾ و ﴿نُنشِزُهَا﴾ البقرة:٢٥٩ و ﴿ظَنُّوا أَنَّهُمْ قد كُذِّبوا﴾ بتشديد الذال أو ﴿قد كُذِبُوا﴾ بتخفيفه [يوسف:١١٠] وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله ﴿ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧] قرأ نافع بضم الصاد وقرأ حمزة بكسر الصاد؛ فالأولى بمعنى: يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى: صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم.

وهي (أي: الحال الثانية) من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءات الأخرى، أو قد يثير معنى غيره؛ ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو ﴿حَتَّى يَطَّهَّرْنَ﴾ [البقرة :٢٢٢] بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، وبسكون الطاء وضم الهاء مخففة، ونحو ﴿لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ و ﴿لَمَسْتُم النِّسَاءَ﴾ [النساء:٤٣،المائدة: ٦] وقراءة ﴿وجَعَلُوا المَلائكَة الّذين هُمْ عِنْد اللّه إناثاً﴾ مع قراءة ﴿الذين هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف:١٩].

والظن(٢) أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر؛ تكثيرا للمعاني إذا جزمنا(٣) بأن جميع الوجوه في القراءات المشهورة هي مأثورة عن النبي ﷺ .

على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئا عن آيتين فأكثر،

---

١) يريد الشيخ صاحب «التحرير والتنوير» رحمه الله من قوله : «اختيارا» أن القراء قرأوا القرآن بما ورد عن رسول الله ﷺ مما جاء على لهجات العرب، فهم يقرأون بذلك الوجه من اللغة حسبما نقل عن رسول الله ﷺ فيضاف إليهم ذلك الوجه من القراءة اضافة اختيار لا اضافة رأي و اختراع. أنظر النشر ٥٢/١.

٢) الظن هنا في كلام الشيخ إذا كان بمعنى ادراك الطرف الراجح فهو متعلق بقوله :«تكثيرا للمعاني .. الخ » ولا يتعلق بقوله :«أن الوحي نزل بالوجهين .. » إذ هذا يقين .
وإذا كان الظن بمعنى اليقين فيصح تعلقه بهما، وقد ثبت استعمال الظن بهذا المعنى في القرآن كما في قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَه﴾ الحاقة:٢٠.

٣) أي : في ظرف جزمنا، فهنا معنى الظرفية غالب، لا معنى الشرط إذ لا مكان هنا للشك في ذلك، والله أعلم.

وهذا نظير التضمين(١) في استعمال العرب، ونظير التورية(٢) والتوجيه(٣) في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن ؛ ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد من القرآن قد يكون معه اختلاف المعنى، ولم يكن حمل أحد القراءاتين على الأخرى متعينا و لا مرجحا ... ...

و أنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا، فيقوم تعداد القراءات مقام تعداد كلمات القرآن»اهـ(٤).

قلت : وهذا بداهة مشروط بما قررناه سابقا من عدم تناقض المعاني أو اختلافها في حلال وحرام.

فإن قلت : هل اهتم العلماء ببيان أثر القراءات في التفسير ؟.

قلت الجواب : هو التالي :

المبحث الثالث : نبذة موجزة عن اهتمام السلف ببيان أثر القراءات في التفسير :

تعرض السلف رضوان الله عليهم لبيان أثر القراءات في التفسير، واهتموا به اهتماما يعلمه الناظر في المنقول عنهم من تفسير القرآن العظيم بله المتأمل فيه.

والتنبه لهذا في كلام السلف على معاني القرآن بحسب قراءة مخصوصة يرفع ما قد يظن أنه تفسيران في الآية الواحدة مختلفان بينما الواقع أنهما تفسيران للآية كل تفسير على قراءة(٥).

ومن النصوص التي تظهر اهتمام السلف رضوان الله عليهم ببيان أثر

---

١) التضمين يستعمل في لسان العرب على صورتين الأولى : إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، الثاني: حصول معنى لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه.
ويطلق بمعنيين آخرين عرفيين لا تعلق لهما هنا بالمراد ذكرهما السيوطي في الإتقان (أبوالفضل)٣/١٦٩، ٢٧٠.

٢) التورية في اصطلاح البلاغيين : أن يطلق لفظ له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك. الإيضاح ص٤٩٩ معجم البلاغة العربية ص٧١٤.

٣) التوجيه في اصطلاح البلاغيين ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين. الإيضاح ص٥٢٨ معجم البلاغة العربية ص٧٠٥.

٤) التحرير والتنوير ١/٥١-٥٦ باختصار.

٥) وقد نبه السيوطي رحمه الله على هذا في الاتقان ٤/١٩٤.

القراءات في تفسير القرآن العظيم ما يلي:

(١) في قوله تعالى: ﴿وإذْ قلتُم يَاموسَى لَنْ نَّصْبر عَلَى طَعَامٍ واحدٍ فادْعُ لنَا رَبَّك يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وقِثَّائِهَا وفُومِهَا وعَدَسِهَا وبَصَلِهَا..﴾ البقرة:٦١.

عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: «أخبرني عن قوله عزوجل: ﴿وفُومِهَا﴾ ؟.

قال: الفوم الحنطة.

قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟.

قال: نعم، أما سمعت أبامحجن الثقفي وهو يقول:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم

قال: يا ابن الأزرق ومن قرأها على قراءة ابن مسعود (يعني: «وثومها») فهو هذا المنتن، قال أمية بن أبي الصلت:

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومات والبصل

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا:

أنفى الدياس من الفوم الصحيح كما أنفى من الأرض صوب الوابل البرد

» اهـ(١).

قلت: هذا النص فسر فيه ابن عباس رضي الله عنه الآية على القراءتين ﴿فومها﴾ و «ثومها».

(٢) في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادتْهُ المَلائكَةُ وَهُوَ قَائمٌ يُصَلّي فِي المِحْرَاب إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَ مُصَدِّقا بكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وسَيِّداً وحَصُوراً ونَبِيّاً مِنَ الصَّالِحينَ﴾ آل عمران:٣٩.

عن معاذ الكوفي قال: «من قرأ: «يبشرهم» مثقلة فإنه من البشارة، ومن قرأ: «يبشرهم» مخففة بنصب الياء فإنه من السرور يسرهم» اهـ(٢).

---

١) إسناده ضعيف جدا.

نسخة مسائل ابن الأزرق برواية الطستي مخطوطة لم أقف عليها لكن ساقت سندها الدكتورة: عائشة عبدالرحمن في كتابها «الإعجاز البياني للقرآن» ص٢٩٨-٢٩٩،٣٠٢ من النسخة المخطوطة التي وقفت عليها في دار الكتب المصرية في مجموع رقم ١٦٦م (١٣٢و-١٤٣ظ) و في المجموع رقم ٢٦٦م (١-٣٣).

قلت: وفي السند أبوسهل السري بن سهل لا يحتج به. لسان الميزان ١٢/٣.

وعيسى بن داب كذلك. لسان الميزان ٤٠٧/٤.

ويلاحظ: أن أصل التفسير بالحنطة، ثابت، انظر: فتح الباري ١٦٢/٨.

٢) إسناده ضعيف.

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٣٦٩/٦ من طريق إسحاق هو ابن الحجاج الطاحوني عن عبدالرحمن بن أبي حماد عن معاذ الكوفي.

(٣) في قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَجَاء المُعَذِّرُون مِنَ الأعرَابِ لِيُؤذَنَ لَهُم وَقَعَد الَّذين كَذَبُوا اللّه وَرَسُولَه ، سيصِيب الذِين كَفَرُوا مِنهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة:٩٠.

عن السدي قال : «من قرأها ﴿وَجَاء المُعْذِرُون مِنَ الأعْرَاب﴾ خفيفة قال : بنو مقرن، ومن قرأها :﴿وجاء المُعَذِّرُون﴾ (يعني : مشددة) قال : اعتذروا بشيء ليس لهم عذر بحق» اهـ(١).

قلت : يريد السدي رحمه الله أن يبين أن الآية بالقراءتين شملت من جاء من الأعراب يعتذر بحق - وهذا على قراءة التخفيف وهم بنو مقرن كما قال مجاهد في سبب نزول الآيات بعدها(٢) -، وشملت من جاء يعتذر بغير حق وهم أهل النفاق - وذلك على قراءة التشديد - والله أعلم(٣).

(٤) في قوله تبارك وتعالى : ﴿فلَمَّا سَمِعَت بِمَكْرِهِن أَرْسَلَت إِلَيْهِنّ واعتَدَت لَهُنّ مُتكأ وآتَتْ كُلّ واحِدَة مِنْهُنّ سكينا..﴾ يوسف:٣١.

عن مجاهد قال : «من قرأ﴿متكأ﴾ شدها فهو الطعام، ومن قرأ ﴿متكا﴾ خففها فهو الأترنج» اهـ(٤).

(٥) في قوله تبارك وتعالى : ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُون﴾ الحجر:١٥.

عن قتادة قال : «من قرأ : ﴿سُكِّرَت﴾ مشددة يعني سدت، ومن قرأ﴿سُكِرَت﴾ مخففة فإنه يعني سحرت» اهـ(٥).

ولإسحاق الطاحوني ترجمة في الجرح والتعديل ٢١٧/٢ لم يذكر فيها بجرح ولا تعديل.

وشيخ الطبري المثنى لم أقف له على ترجمة .

فالأثر ضعيف لجهالة حال اسحاق هذا و لعدم معرفة شيخ الطبري المثنى.

تنبيه : الآية ﴿يبشرك﴾ والنص «يبشرهم»، وقد ذكر في الإتحاف ص١٧٤ تنوع القراءات في هذا الموضع بين التخفيف والتشديد، وكأن القصد هو: التمثيل للقاعدة العامة، وليس خصوص المثال المذكور.

١) عزاه في الدر المنثور ٢٦١/٤ إلى ابن أبي حاتم.

٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٥٨.

٣) أنظر زاد المسير ٤٨٢/٣-٤٨٤.

٤) إسناده صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٧٢/١٦.

وعزاه في الدر المنثور ٥٢٩/٤-٥٣٠ إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

٥) إسناده ضعيف .

أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٢/١٤ وفي السند «إسحاق الطاحوني» ذكره =

(٦) في قوله تبارك وتعالى : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ..﴾ الاسراء:٩٣.

عن مجاهد قال : «كنا لاندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود« أو يكون له بيت من ذهب».»اهـ(١).

قلت : هذا نص صحيح صريح في اهتمام مجاهد رضي الله عنه ببيان أثر القراءات في التفسير ، وقد جاء عن مجاهد أنه قال : «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت» اهـ(٢).

وقال أيضا:«لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت» اهـ(٣).

قد يقال : إذا كان مجاهد يسأل ابن عباس عن كل آية فكيف كان يجهل معنى« الزخرف» ؟ فالجواب : لعل هذا كان قبل عرضه على ابن عباس وملازمته له.

(٧) في قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ الكهف:١٦.

عن قتادة ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال: «هي في مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله» فهذا تفسيرها»(٤).

قلت : هذا نص صحيح في أن قتادة فسر القراءة بالقراءة الأخرى.

= ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢١٧/٢ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، وفي السند «المثنى» شيخ الطبري لم أعرفه، فالأثر ضعيف بهما .

١) إسناده صحيح .

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٣٩٠/٢ من طريق الثوري عن رجل عن الحكم عن مجاهد، وفي اسناده راو مبهم، وأخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٦٣/١٥ من طريقين أحدهما : من طريق عبدالرزاق السابق والآخر من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد، وهذا إسناد صحيح كالشمس، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨٤/٣ من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة به، وإسناده حسن.

وعزاه في الدر المنثور ٣٤٠/٥ إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في «المصاحف».

هذه القراءة مخالفة لرسم المصحف، فلعلها تفسير منه، والله أعلم.

٢) حلية الأولياء ٢٧٩/٣-٢٨٠ سيرأعلام النبلاء ٤٥٦/٤-٤٥٧.

٣) سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٤.

٤) إسناده صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ٢٠٩/١٥ من طريق يزيد هو ابن زريع عن سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة، وهذا إسناد صحيح.

وعزاه في الدر المنثور ٣٧١/٥ إلى ابن أبي حاتم.

(٨) في قوله تبارك وتعالى : ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ مريم:٢٤.

عن أبي بكر بن عياش قال : «قرأ عاصم بن أبي النجود ﴿فناداها من تحتها﴾ بالنصب (يعني : الميم في «من») قال : وقال عاصم : من قرأ بالنصب فهو عيسى، ومن قرأها بالخفض فهو جبريل» اهـ(١).

(٩) في قوله تبارك وتعالى : ﴿وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أَيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾ مريم:٧٣.

قال سفيان الثوري : «من قرأها ﴿مَقَاما﴾ فإنما يعني : مقامه الذي يقيم فيه الدهر، والذي يقرأها ﴿خير مُقَاما﴾ فإنما يعني: المقامة التي يقيم فيها» اهـ(٢).

قلت : لعله يعني رحمه الله بمقامه الذي يقيم فيه الدهر أي : منزله ومحل اقامته، وبمقامه الذي يقيم فيه أي : مكانته بين الناس ومقامه بينهم، خير إقامة، والله أعلم.

(١٠) في قوله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ طه:٩٦.

عن أبي الأشهب قال : «كان الحسن يقرؤها:«فقبصت قبصة» بالصاد، يعني بأطراف أصابعه ، وكان أبو رجاء يقرؤها:﴿فقبضت قبضة﴾ بالضاد، هكذا يجمع كفيه» اهـ(٣).

(١١) في قوله تبارك وتعالى : ﴿والبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ..﴾ الحج:٣٦.

عن مجاهد قال : «من قرأها: «صوافن» قال : معقولة، ومن قرأها: ﴿صواف﴾ قال: يصف بين يديها»

وفي لفظ : «الصواف» على أربعة ، و «الصوافن» على ثلاثة»

وفي لفظ : «من قرأها : ﴿صواف﴾ فهي قائمة مضمومة يديها، ومن

---

١) عزاه في الدر المنثور ٥٠٢/٥ إلى عبد بن حميد، ولم أقف على كتاب عبد بن حميد.
والقراءة بكسر الميم وجرّ «تحتها» لنافع وحفص وحمزة والكسائي وأبوجعفر وروح، والقراءة بفتح الميم ونصب «تحتها» للباقين. الإتحاف ص٢٩٨.

٢) تفسير الثوري ص١٨٨.
قلت:القراءة بضم الميم لابن كثير وتابعه ابن محيصن، والباقون بضمها. الإتحاف ص٣٠٠.

٣) عزاه في الدر المنثور ٥٩٦/٥ إلى عبد بن حميد.

قرأها:«صوافن» قياما معقولة» (١).

(١٢) في قوله تبارك وتعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ، قَالُوا: سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ القصص:٤٨.

عن قتادة : ﴿قالوا: سِحْرَان تظاهرا﴾ قال: ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والقرآن، قال: ومن قرأها: ﴿ساحران﴾ يقول : محمد وعيسى (عليهما الصلاة والسلام).» اهـ(٢).

(١٣) في قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ الصافات:٦.

عن أبي بكر بن عياش قال :«قال لي عاصم رضي الله عنه : من قرأها: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ مضافا ولم ينون فلم يجعلها زينة للسماء وإنما جعل الزينة للكواكب» اهـ(٣).

قلت : ومفهوم كلامه أن من قرأها بالتنوين، فالزينة وصف للسماء.

(١٤) في قوله تبارك وتعالى : ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ النجم:١٢.

عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ: ﴿أفتمرونه﴾ قال: من قرأها:﴿أفتمارونه﴾ قال: أفتجادلونه» اهـ(٤).

(١٥) في قوله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ التكوير:٢٤.

عن ابراهيم النخعي قال :﴿الظنين﴾: المتهم و ﴿الضنين﴾: البخيل» اهـ(٥)

عن زر بن حبيش قال : «﴿الغيب﴾: القرآن، في قراءتنا﴿بظنين﴾ متهم، وفي قراءتكم ﴿بضنين﴾: ببخيل» اهـ(٦).

---

١) إسناده ضعيف .

أخرجه ابن أبي شيبة ٨٢/٤ واللفظ الأول له، والبيهقي في السنن الكبير ٢٣٧/٥ والسياق له.

وفي السند عند البيهقي من لم أقف له على ترجمه، وفي سند ابن أبي شيبة خلل في الطبع لم أتبين وجه الصواب فيه.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٦ إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٢) عزاه في الدر المنثور ٤٢١/٦ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

٣) عزاه في الدر المنثور ٧٩/٧ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

٤) عزاه في الدر المنثور٦٤٦/٧ إلى ابن المنذر.

قلت : معنى : أفتمرونه: أي تجحدونه. لسان العرب ٢٧٨/١٥.

٥) عزاه في الدر المنثور ٤٣٥/٨ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

٦) عزاه في الدرالمنثور ٤٣٥/٨ إلى عبد بن حميد.

(١٦) في قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ • فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ الهمزة:٨-٩.

عن السدي قال:"من قرأها "في عمد" (يعني: بضم العين وسكون الميم) فهو عمد من النار، ومن قرأها:﴿في عمد﴾ (يعني: بنصب العين والميم) فهو حبل ممدود" اهـ(١).

قلت: هذه النصوص - سواء منها ما صح سنده أم لم يصح-تدل على أن السلف رضوان الله عليهم كانوا يستعينون بالقراءات في الآية من أجل تفسيرها وبيان المراد منها، وهذا الأمر لم يقتصر على طبقة الصحابة والتابعين، فقد رأينا تصورا واضحا لأثر القراءات في التفسير عند سفيان الثوري (ت١٦١هـ) والفراء (ت٢٠٧هـ) والأخفش (ت٢١٥هـ) وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) والطبري (ت٣١٠هـ) والزجاج (ت٣١١هـ) وأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)(٢).

ونجد مثل ذلك عند جمهرة المفسرين و يمتاز كتاب «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) باحتفاله وعنايته البالغة بذلك بما لاتكاد تجد مثله بين المفسرين.

ولعل كتب توجيه القراءات من أظهر الكتب التي اهتمت ببيان معنى الآية باعتبار القراءات فيها، بقصد بيان وجه إختيار المقريء لقراءته.

والواقع أن كل مفسر للقرآن العظيم لا بد أن يتعرض للقراءات القرآنية عند تفسيره للقرآن ، ولكن تتفاوت طرق التناول في المقدار والنوع، مما يجعل لكل مفسر صبغة خاصة في تفسيره ، والذي لا شك فيه أن اعتماد المفسر على القراءات في تفسيره للقرآن الكريم من أهم المهمات التي تطلب منه إذ أنَّ تفسير القراءة بالقراءة دائر بين تفسير القرآن بالقرآن وبين تفسير القرآن بالسنة أو بقول الصحابي على أدنى الأحوال.

ولذلك جاءت في كتاب "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل" القاعدة الأربعون حول القراءات العشر يقول فيها: "على متدبر كتاب الله أن يبحث عن المعاني وعن الصور البيانية الموصولة بإعجاز القرآن، التي تدل عليها وجوه القراءات المختلفة التي لا يظهر فيها بوضوح أن الغرض من الاختلاف فيها مجرد التهوين والتسهيل على السنة الناطقين العرب ابان تنزيل القرآن، مراعاة للهجاتهم المختلفة وقواعد السنتهم.

---

١) عزاه في الدر المنثور ٨/٦٢٥ إلى ابن أبي حاتم.

٢) تقدم استعراض القراءات في كتب هؤلاء العلماء ص١٧٩.. .



وعليه أن يعتمد في بحثه الجزئي لكل نص على التدبر المتأني العميق، وفي بحثه الكلي التصنيفي على السبر الشامل وأن لا يقتصر على التقاط أمثلة يعثر عليها من هنا و هناك دون سبر شامل واستقراء تام، فهذا الأمر قد أصبح بحمد الله ممكنا لمن يريد أن يبذل جهدا وصبرا»

ثم ذكر أنه سبر القراءات(١) المتواترة في سورة البقرة فظهر له أن اختلاف القراءات فيها يتضمن الأغراض التالية :

الغرض الأول : تكامل المعاني(٢) فمن اختلاف القراءات في النص الواحد ما الغرض منه تأدية كل قراءة لمعنى لا تؤديه القراءة الأخرى، فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات، وتؤدي القراءات المختلفات تكاملاً في المعاني المقصودة جميعا.

الغرض الثاني : التكامل في الأداء البياني كأن يراعى في النص توجيهه مرة بأسلوب الحديث عن الغائب ... وتوجيهه أخرى بأسلوب الخطاب الوجاهي المباشر ... وكأن يراعى في النص توجيهه بالبناء للمعلوم مرة ... وتوجيهه مرة أخرى بالبناء لما لم يذكر فاعله ... .

الغرض الثالث : التنويع في الأداء الفني الجمالي مع ما قد يتضمنه من دلالات فكرية وبيانية، مثل جعل فعل الشرط بصيغة الفعل الماضي في قراءة وجعله بصيغة الفعل المضارع في قراءة أخرى ... .

الغرض الرابع : إثبات وجوه عربية متكافئة فيما قسمه علماء العربية حين أرادوا ضبط هذه اللغة بعد اختلاط الشعوب الى علوم اللغة والنحو والتصريف والبلاغة (المعاني - والبيان - والبديع).

وجاء في التنزيل إثبات هذه الوجوه أمثلة يقاس عليها وشاهدا دائما على أنها من الوجوه الجائزة في العربية، وأنه يحسن استمرار استعمالها في وجوه الكلام العربي مع ما تتضمنه من تحقيق الأغراض الثلاثة الأولى»اهـ(٣).

---

١) السبر هو حصر الأوصاف في الأصل والغاء بعض ليتعين الباقي للعلّيّة، ويلجأ إليه الفقيه في الأحكام من أجل استخراج علة الحكم . التعريفات ص١١٦.
والمقصود هنا حصر القراءات ذات الأثر المتشابه من أجل استخراج الجامع الذي يجمع بينها، والاضافة التي تضيفها إلى معنى الآية.

٢) في الأصل «التكامل الفكري»، والعبارة التي أثبتها أليق بالمعنى.

٣) قواعد التدبر الأمثل ص ٧٢٢-٧٢٣، بتصرّف يسير

قلت : فاته بعض أغراض القراءات المتعلقة بجانب التفسير وهي التالية :

الغرض الأول : بيان المراد ؛ فمن اختلاف القراءات في النص الواحد ما الغرض منه بيان المراد، كما في القراءة المجملة والقراءة المفسرة، أو القراءة العامة و القراءة المخصصة بعض أفراد عموم القراءة الأخرى بالذكر، أو القراءة المطلقة والقراءة المقيدة.

الغرض الثاني : ترجيح معنى من المعاني التي تحتملها الآية وتوكيده .

الغرض الثالث : دفع الاشكال وبيان المعنى(١).

ولعل عذر صاحب كتاب «قواعد التدبر الأمثل» أنه إنَّما ذكر من الأغراض ماتبين له من اختلاف القراءات المتواترة دون الشاذة في سورة البقرة، والله أعلم.

المبحث الرابع : **قواعد مهمة يتنبه لها أثناء دراسة أثر القراءات في التفسير.**

من الأشياء المهمة للذي يبحث في «**أثر القراءات في التفسير**» مراعاة القواعد التالية :

(أ) الخلاف الواقع بين القراءات الصحيحة إنما هو من خلاف التنوع لا خلاف التضاد والتناقض(٢).

(ب) إضافة القراءة إلى المقرىء إنما هي إضافة اختيار واتباع وليست إضافة رأي وابتداع.

(ج) لا تفرقة بين القراءات الصحيحة المقبولة فكلها كلام الله تبارك وتعالى، وكلها قرآن، والمعاني التي تدل عليها كلها معان قرآنية لا تفضيل بينها.

قال أبوجعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) : «هذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال احداهما أجود من الأخرى كما لايقال ذلك في اخبار

---

١) والأمثلة على هذه الأغراض، ستأتي في الباب الثاني والثالث من هذا القسم.
٢) تقدم تقرير هذا الأصل ص١٣٣ وما بعدها.

الآحاد إذا اختلفت معانيها»اهـ(١).

قلت : ولذلك حين بالغ بعضهم في التفضيل بين قراءة الكسائي وعاصم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة:٤ بالمد وقراءة باقي السبعة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بحذف الألف تعقبهم أبو شامة الدمشقي (ت٦٦٥هـ) بقوله : «قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين حتى أن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بهما فهما صفتان لله تعالى يتبين وجه الكمال له فيهما فقط، ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك»اهـ(٢).

قلت : يقصد رحمه الله بالصفتين : «ملك»، و «مالك».

وقال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) في موضع شبيه : «هذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي؛ لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن رسول الله ﷺ ، ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية، فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة»اهـ(٣).

وقال أيضا رحمه الله : «وتكلموا في ترجيح أحد القراءتين على الأخرى، وقد تقدم أني لا أرى شيئا من هذه التراجيح؛ لأنها كلها منقولة متواترة قرآنا فلا ترجيح في احدى القراءتين على الأخرى»اهـ(٤).

وقال أيضا رحمه الله : «لا ترجيح، إذ كل من القراءتين متواترة»اهـ(٥).

وقال في موضع آخر: «وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين، وحكى أبوعمر الزاهد في كتاب «اليواقيت» أن أبا العباس أحمد بن يحي (ثعلبا) كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع، وقال : قال ثعلب: إذا اختلف الإعرابان في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام (كلام الناس) فضلت الأقوى.

ونِعْم السلف لنا أحمد بن يحي كان عالما بالنحو واللغة متديناثقة»اهـ(٦)

قلت : هذا هو الصواب - إن شاء الله - خلافا لما ذهب إليه بعضهم(٧).

---

١) اعراب القرآن للنحاس ٢٤٣/٣ ونقله القرطبي في تفسيره ٢٩١/١٤.
٢) ابراز المعاني من حرز الأماني ص٧٠.
٣) البحر المحيط ٢٦٥/٢.
٤) ماسبق ٥٠٦/٢.
٥) ماسبق ٨٨/٣.
٦) ماسبق ٨٧/٤.
٧) التحرير والتنوير ٦١/١-٦٣.

(د) القراءات الشاذة (وهي كل قراءة صح سندها وخالفت رسم المصحف) يستفاد منها في التفسير، إلا أنه لا تجوز القراءة بها في الصلاة.

وقد تقدم معك قريبا(1) نقل كلام ابن جني (ت٣٩٢هـ) رحمه الله في ذلك وفيه قوله: «... إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه وأنه حبيب إليه ومرضي من القول لديه» اهـ(2).

قلت : المقصود أنه لاتناقض بين الاستفادة من القراءة الشاذة في التفسير وبين عدم القراءة بها في الصلاة وبالله التوفيق .

(هـ) القراءات المسندة في كتب الحديث، ولم تنتسب إلى أحد من أئمة الرواية اصطُلح على تسميتها بـ«قراءة النبي ﷺ».

قال في «التحرير والتنوير»: «وقد تروى قراءات عن النبي ﷺ بأسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخاري ومسلم وأضرابهما إلا أنها لا يجوز لغير من سمعها من النبي ﷺ القراءة بها؛ لأنها غير متواترة النقل فلا يترك المتواتر للآحاد، واذا كان راويها قد بلغته قراءة أخرى متواترة تخالف ماروا‌ه وتحقق لديه التواتر وجب عليه أن يقرأ بالمروية تواترا .

وقد اصطلح المفسرون على أن يطلقوا عليها قراءة النبي ﷺ؛ لأنها غير منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية .

ويكثر ذكر هذا العنوان في تفسير محمد بن جرير الطبري [ت٣١٠هـ] وفي «الكشاف» وفي «المحرر الوجيز» لعبدالحق الإشبيلي [ت٥٤١هـ] وسبقهم إليه أبوالفتح ابن جني [ت٣٩٢هـ] فلا تحسبوا أنهم أرادوا بنسبتها إلى النبي ﷺ أنها وحدها المأثورة عنه، ولا ترجيحها على القراءات المشهورة لأن القراءات المشهورة قد رويت عن النبي ﷺ بأسانيد أقوى، وهي متواترة على الجملة ... وما كان ينبغي إطلاق وصف «قراءة النبي» عليها؛ لأنه يوهم من ليسوا من أهل الفهم الصحيح أن غيرها

---

1) ص٣٠٥ ومابعدها وراجع تعليقنا هناك على غلوه في عبارته.
2) المحتسب ٣٣/١.

لم يقرأ به النبي ﷺ ...»اهـ (١).

(و) القراءات المقبولة قد تتفاوت بما تشتمل عليه من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني، وهو تمايز متقارب لايجعل حمل أحد القراءتين على الأخرى متعينا و لا مرجحا(٢).

الا ترى أنه يكون قراءتان في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الآخر(٣) ويتعين عدم حمل أحد القراءتين على الأخرى إذا تذكرنا القاعدة الكلية التي كثيرا مايذكرها أهل العلم وهي : «إعمال الكلام أولى من اهماله» ومما يدخل فيها قاعدة : «التأسيس أولى من التأكيد»(٤) فلأنْ تكون القراءة مؤسسة لمعنى أولى من أن تجعل مؤكدة لمعنى القراءة الأخرى.

وعلى هذا جرى جمهور المفسرين رحمهم الله تعالى.

(ز) التفاسير الواردة عن السلف في تفسير الآيات الكريمات، ينبغي قبل الحكم باختلافها: النظر في كونها تفاسير للآية على قراءة دون قراءة.

قال السيوطي (ت٩١١هـ) : «من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان فيظن اختلافا وليس باختلاف وانما كل تفسير على قراءة ، وقد تعرض السلف لذلك...»اهـ(٥).

(ح) الخلاف الواقع بين معاني القراءات على نوعين :

(١) اختلاف اللفظ والمعنى جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

(٢) اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد(٦).

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) بعد ذكره للنوعين السابقين من أنواع الخلاف

---

١) التحرير والتنوير١/٥٤-٥٥.

٢) التحرير والتنوير ١/٥٥،٦١.

٣) البحر المحيط ٢٢٦/٨.

٤) الأشباه والنظائر في قواعد فقه الشافعية ص١٢٨،١٣٥ والاشباه والنظائر في قواعد فقه الحنفية ص١٣٥،١٤٩.

٥) الاتقان (أبوالفضل) ١٩٣/٤ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ص٣٤١.

٦) وقد سبق بسط هذا، مع ذكر الأمثلة ص١٣٥ وما بعدها.

الواقع بين معاني القراءات : «وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا، لايجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض بل كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله».»اهـ(١).

قلت : ولعل هذا مما يدخل في قول سفيان : «ليس في القرآن اختلاف إنما كلام جامع يراد به هذا وهذا»اهـ(٢).

ويدخل أيضا في قول ابن جني (ت٣٩٢هـ) : «إذا تباعد معنيا قراءتين هذا التباعد وأمكن أن يجمع بينهما كان ذلك جميلا وحسنا»اهـ(٣).

---

١) مجموع الفتاوى ٣٩١/١٣ وقارن بالنشر ٥١/١ وأثر ابن مسعود سبق تخريجه ص٢٦٣.
٢) عزاه في الدر المنثور ٤٠/١ إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في كتاب الرؤية.
٣) المحتسب ٢٧٧/١.

وبعد : فتلك أهم القواعد التي على الباحث في «**أثرالقراءات في التفسير**» أن يتنبه لها.

أما عن النهج الذي سلكته في بيان «**أثر القراءات في التفسير**» فقد سلكت النهج التالي :

أولا : القراءات التي لها أثر واضح في التفسير سعيت الى استقرائها من قراءات القراء العشرة والقراءات الشاذة التي أوردها ابن جني (ت٣٩٢هـ) في كتابه «المحتسب»، وكذا ما أورده عبدالرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) في تفسيره، وأبوجعفر الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره، وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) في تفسيره مما أورده السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه «الدر المنثور» من قراءات وهو يشمل ما أورده أئمة التفسير في تفاسيرهم المسندة من قراءات، وكذا ما أورده أئمة الحديث.

ومن كتب الحديث مايلي :

- موطأ الامام مالك (ت١٧٩هـ)
- مسند الامام أحمد (ت٢٤١هـ)
- الكتب الستة
- المستدرك للحاكم (ت٤٠٥هـ)
- السنن الكبرى للبيهقي (ت٤٥٨هـ).

وانتهجت السبيل التالي :

(١) أورد الآية التي حصل فيها اختلاف في القراءة له أثر في التفسير برواية حفص عن عاصم فأجعلها أصل الباب.

(٢) أذكر القراءات الأخرى في الآية بغير رواية حفص عن عاصم مبينا سندها وحكمها إذا أمكن ذلك .

(٣) أبين معنى كل قراءة .

(٤) ثم أذكر حاصل القراءات في المعنى .

(٥) ثم أسجل ملاحظات حول الآية أو القراءة إن وجدت.

ثانيا : القراءات التي لها مدخل في التفسير من بعض جوانبه كتنوع القراءات الذي ينتج أسلوب الالتفات أو القراءات التي يتنوع فيها الأسلوب بين البناء للفاعل أو لما لم يسم فاعله؛ هذه القراءات استقرأتها من القراءات العشر المتواترة فقط لأنها - غالباً - لا تضيف معنى جديداً كسابقتها ورأيت أن استقراءها من القراءات العشر يحقق المقصود، والله المستعان.

ثالثا: القراءات التي لم ينتج تنوعها أثراً واضحاً في التفسير إنما جاءت على سبيل تعدد اللغات أو تعدد الإعراب أكتفيت بإيراد جملة من الأمثلة عنه، دون التفصيل في البيان الذي جريت عليه في القراءات التي أنتج تنوعها أثراً بيناً في التفسير والأحكام، لضعف تعلق هذا النوع بالتفسير.

وهذا أوان ذكر الآيات المتعلقة بذلك، بعون الله تبارك وتعالى :

الباب الثاني
في القراءات التي بيَّنت المعنى أو وسَّعته أوأزالت الإشكال.

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : في القراءات التي بينت معنى الآية .

الفصل الثاني : في القراءات التي وَسَّعت معنى الآية .

الفصل الثالث : في القراءات التي أزالت الإشكال .

في هذا الباب أورد القراءات التي أنتج تنوعها بيان معنى الآية، أو وسّع معنى الآية فصار شاملا لأكثر من معنى، كما يتضمن القراءات التي أزالت الإشكال الوارد في بعض الآيات ورفعته.

وفي هذا الباب الفصول التالية :

الفصل الأول : في القراءات التي بينت معنى الآية .

يتضمن هذا الفصل الآيات التي وردت فيها قراءات بينت معناها ووضحته، وغالبها أنتج فيه اختلاف القراءات أكثر من معنى في الآية لكنه يجتمع في معنى واحد جامع بلا تضاد، ولا شك أن ورودها على هذه الصفة مما يزيد المعنى وضوحا وبيانا والله أعلم.

وأورد هنا مواضع الآيات حسب ورودها في ترتيب المصحف الشريف وعددها في هذا الفصل اثنان وعشرون موضعا وهي التالية :

الموضع الأول :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة : ٤.

تنوعت القراءات في قوله تعالى : ﴿مَالِكِ﴾ :

فقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف : ﴿مَالِكِ﴾ بالألف مداً، ووافقهم الحسن والمطوعي عن الأعمش.

وقرأ باقي العشرة : ﴿مَلِكِ﴾ بغير ألف(١).

معنى القراءتين :

القراءة بـ ﴿مَلِكِ﴾: الملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين، من الملك بضم الميم.

القراءة بـ ﴿مَالِكِ﴾: المالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك بكسر الميم.(٢).

قال الأخفش (ت٢١٥هـ) : «يقال : «ملك» من الملك بضم الميم و «مالك» من الملك بكسر الميم وفتحها» اهـ(٣).

قال أبوحيان (٧٥٤هـ) : «الملك هو القهر والتسليط على من تتأتى منه الطاعة، ويكون ذلك باستحقاق وبغير استحقاق .

والملك هو القهر على من تتأتى منه الطاعة ومن لا تتأتى منه، ويكون ذلك منه باستحقاق، فبينهما عموم وخصوص من وجه» اهـ(٤).

حاصل القراءتين :

يتحصل من القراءتين أن الله مالك يوم الدين وملكه فهو سبحانه وتعالى

---

١) النشر ١/٢٧١ الاتحاف ص١٢٢.

فائدة :

وقرأ «ملك» على وزن سهل أبوهريرة وعاصم الجحدري ورواها الجعفي وعبدالوارث عن أبي عمرو وهي لغة بكر بن وائل .

وقرأ «ملكي» باشباع كسرة الكاف أحمد بن صالح عن ورش عن نافع .

وقرأ «ملك» على وزن عجل أبوعثمان النهدي والشعبي وعطية .

ورويت قراءات غير ذلك بلغت الى ثلاث عشرة قراءة وجميعها راجع في المعنى إلى القراءتين المتواترتين «مالك» و «ملك» .

انظر المصاحف لابن أبي داود ص١٠٣-١٠٦ البحرالمحيط ١/٢٠ النشر ١/٤٧-٤٨ روح المعاني ١/٨٢-٨٣.

٢) تفسير البيضاوي ص ٤.

٣) بواسطة البحرالمحيط ١/٢١ وانظر معاني القرآن للأخفش ١/١٦٠.

٤) البحرالمحيط ١/٢١.

المالك ليوم الدين لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما، كملكهم في الدنيا، وهو سبحانه الملك في يوم الدين دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية ، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة، وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء، كما قال جل ذكره وتقدست اسماؤه في تنزيله : ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ غافر:١٦.

فأخبر تعالى في قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار.(١).

وأخبر بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أنه المنفرد بالمالكية في ذلك اليوم، فليس لأحد تصرف و لاحكم في شيء، إلا الله الواحد القهار .

ويلاحظ مايلي :

(١) الفرق بين الوصفين ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالنسبة إلى الرب سبحانه وتعالى أن «الملك» صفة لذاته و «المالك» صفة لفعله(٢).

(٢) بناء على ماتقدم لا يصح أن يقال : إن «مالك» أبلغ من «ملك» أو العكس(٣)، إذ القراءتان كلام الله تعالى، تتضمنان صفتين لله تعالى .

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) : «والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما لايقدر عليه الملك من التصرفات بما هو ملك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لايقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور» اهـ(٤).

قلت : وهذا التفريق الذي ذكره الشوكاني إنّما هو من جهة الدلالة اللغوية للفظ ، وإلا فإن وصف الملك والمالكية بالنسبة لله غيره بالنسبة

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ١/ ٦٥.
٢) تفسير الشوكاني ١/ ٢٢.
٣) كما صنع بعض المفسرين عند هذا الموضع.
٤) تفسير الشوكاني ١/ ٢٢.

للبشر فإنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فالوصفان في حق الله تعالى وصفا كمال لا تتطرق إليهما معاني النقص التي تتطرق إليها عند استعمالها أو أحدهما في حق الخلق، وعليه فلا مجال للترجيح بهما بين القراءتين.

قال الألوسي (ت١٢٧٠هـ) رحمه الله : «وعندي لا ثمرة للخلاف والقراءتان فرسا رهان ، و لافرق بين المالك» و «الملك» صفتين لله تعالى كما قاله السمين، و لا التفات إلى من قال إنهما كـ«حاذر» و «حذر»، ومتى أردت ترجيح أحد الوصفين تعارضت لدي الأدلة، وسدت على الباب الآثار، وانقلب إلي بصر البصيرة خاسئا وهو حسير، إلا أني أقرأ كالكسائي ﴿مَالِكِ﴾ لأحظى بزيادة عشر حسنات(١)، ولأن فيه إشارة واضحة إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث أنه مالك، فوق الطمع بالملك من حيث أنه ملك، فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الانسان منه رأسا برأس، ومن المالك يرجى ما هو فوق ذلك، فالقراءة به أرفق بالمذنبين مثلي، وأنسب بما قبله، وإضافته إلى يوم الدين بهذا المعنى ليكسر حرارته، فإنَّ سماع يوم

---

١) أي: لزيادة الألف في هذه القراءة، وهو لفت إلى قوله ﷺ : «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «الم» حرف ولكن «ألف» حرف و «لام» حرف و «ميم» حرف»

حديث صحيح .

أخرجه الترمذي عن عبدالله بن مسعود في أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر حديث رقم (٣٠٨٧) ورواه الدارمي وغيره.

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٩ حديث رقم (٢٣٢٧) وصححه محقق جامع الأصول ٤٩٨/٨.

قلت : وهذا الاستدلال من الألوسي رحمه الله بناء على كون الحرف المراد من الحديث هو أحد حروف الهجاء، بَيْدَ أن المحققين من أهل العلم بيّنوا أنّ المراد من الحرف في الحديث الكلمة، فالاسم وحده حرف، والفعل وحده حرف،وحرف المعنى وحده حرف، لقوله : «ألف حرف» وهذا اسم، ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي فقالوا: زاي . فقال: نطقتم بالاسم، وإنما الحرف زهْ.

وهذا قول ابن تيمية وابن كثير وتلميذه ابن الجزري وغيرهم كثير، وهو الصحيح - إن شاء الله - إذ لو كان المراد بالحرف في الحديث حرف الهجاء لكان «ألف» بثلاثة أحرف، و «لام» بثلاثة أحرف، و «ميم» بثلاثة أحرف.

وهذا التقرير قد يَعْسُر على الفهم، فينبغي أن يُتَفَطَّن له فكثير من الناس لا يعرفه كما قال ابن الجزري رحمه الله.

انظر النشر ٤٥٣/٢-٤٥٥ تفسير القاسمي ٢٣٢/١، ٢٨٩.

الدين يقلقل أفئدة السامعين.

ويشبه ذلك من وجه قوله تعالى : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٣ والمدار على الرحمة لا سيما والأمر جدير والترغيب فيه أرغب، على أنه لا يخلو الحال عن ترهيب.

وكأني بك تعارض هذه النكتة، وما عليّ، فهذا الذي دعاني إليه حسن الظن» اهـ(١).

قلت : **أحسن الله إليك بظنك الخير**، لكن تحرير المسائل العلمية لا بد منه، فجزاك الله خيراً، والذي يظهر - والله أعلم - أن باب الترجيح بين القراءتين ينبغي أن يغلق إذ الجميع كلام الله، وكل معنى دلت عليه قراءة هو مراد الله سبحانه وتعالى، والمعنى المركب من اللفظ العربي من حيث هو،حق في نفسه، ولكنه بالنسبة لله تعالى على مايليق بجلاله سبحانه، فلا مجال للترجيح بين القراءتين هنا بما أثاره - رحمه الله - من المعاني، إذ غايته أنه متعلق فيها بدلالة اللفظ العربية لا من حيث تعلقها بصفتين له سبحانه وتعالى والله أعلم.

---

١) روح المعاني ٨٣/١-٨٤.

الموضع الثاني :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ • يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة:٨-٩.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ :

فقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال : ﴿يُخَادِعُونَ﴾.

وقرأ باقي العشرة بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف : ﴿يَخْدَعُونَ﴾(١).

معنى القراءتين :

والقراءتان بمعنى واحد(٢)، غير أن في المفاعلة زيادة في المعنى؛ إذ تقتضي حصول الفعل من أكثر من واحد، فإذا لم يقتض الواقع المشاركة فهي للمبالغة(٣).

فإذا اعتبرنا المفاعلة على بابها من اثنين؛ فهم خادعون أنفسهم حيث منوها الأباطيل، وأنفسهم خادعتهم حيث منتهم ذلك أيضا.

وإذا اعتبرنا المفاعلة على غير بابها فهي على سبيل المبالغة في الفعل فهم يمعنون في الخداع ولكنهم في الحقيقة ما يخادعمون إلا أنفسهم، إذ وبال ذلك ليس راجعا إلى أحد غيرهم، فكأنهم ماخادعوا ولا كادوا إلا أنفسهم بايرادها موارد الهلكة وهم لا يشعرون بذلك جهلا منهم.

ويؤيد هذا المنزع أنه قد يجيء «فاعل» من واحد كقولك :«عاقبت اللص» و «داويت المريض» و «طارقت النعل»(٤).

ويمكن أن يقال تلخيصا لهذا الوجه (أعني: كون المفاعلة على غير بابها): قراءة : ﴿يَخْدَعُونَ﴾ تصف حالهم العادي في خداعهم المعتاد.

وقراءة : ﴿يُخَادِعُونَ﴾ تصف حالهم أثناء مبالغتهم في الخداع فهم في حال كونهم «يخدعون» وفي حال كونهم «يخادعون» لا يخدعون ولا يخادعون إلا أنفسهم؛ إذ وبال ذلك راجع إليهم(٥).

حاصل القراءتين :

بين القراءتين تكامل في المعنى؛ إذ قراءة ﴿يَخْدَعُونَ﴾ بينت مآل أمرهم

---

١) المبسوط ص١١٥ النشر٢/٢٠٧.
٢) الكشف ١/٢٢٤.
٣) ينظر شذا العرف ص٤٢-٤٣ و دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج١ ق٢ ص٤٢٤.
٤) البحر المحيط ١/٥٧.
٥) قواعد التدبر الأمثل ص٧٢٥.

في خداعهم المعتاد، وقراءة ﴿يخادعون﴾ بينت مآل أمرهم في حال مبالغتهم في الخداع، ففي الحالين مايخدعون إلا أنفسهم، إذ وبال ذلك عليهم.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) قال الراغب (ت٥٠٢هـ) : «الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه، قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّه﴾ [البقرة:٩] أي : يخادعون رسوله وأولياءه، ونسب ذلك إلى الله تعالى من حيث أن معاملة الرسول كمعاملته ، ولذلك قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِين يُبَايِعُونَك إِنَّمَا يُبَايِعون اللَّه﴾ [الفتح:١٠] وجعل ذلك خداعا تفظيعا لفعلهم وتنبيها على عظم الرسول وعظم أوليائه.

وقول أهل اللغة : إن هذا على حذف المضاف واقامة المضاف إليه مقامه.

فيجب أن يعلم أن المقصود بمثله في الحذف لا يحصل لو أتى بالمضاف المحذوف لما ذكرنا من التنبيه على أمرين :

أحدهما: فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة وأنهم بمخادعتهم إياه يخادعون الله.

والثاني: التنبيه على عظم المقصود بالخداع وأن معاملته كمعاملة الله كما نبه عليه بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِين يُبَايِعُونَك إِنَّمَا يُبَايِعون اللَّه﴾ [الفتح:١٠].»اهـ(١).

قلت : يعني رحمه الله أنه لو صرح بالمضاف فاتت الدلالة على الأمرين المذكورين، وقد قيل : إنه ليس على حذف البتة وأن القوم لجهلهم يزعمون الله مما يصح خداعه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(٢).

(٢) لم يختلف القراء العشرة في قوله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّه﴾ البقرة:٩ و كذا في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِين يُخَادِعُونَ اللَّه﴾ النساء:١٤٢ و كذا في قوله تعالى :﴿وإن يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوك﴾ الأنفال:٦٢.

ولم يجر في هذه المواضع الثلاثة الخلاف الذي في هذا الموضع، وذلك لأن القراءة سنة متبعة مبنية على التوقيف(٣).

---

١) المفردات ص١٤٣-١٤٤.

٢) عمدة الحفاظ ص١٥٢.

٣) المغني في توجيه القراءات العشر ١٢٨/١.

الموضع الثالث :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ثُمَّ أَنتُم هَؤلاء تَقتُلُون أَنفُسَكم وتُخرِجُون فَرِيقاً مِنكُم مِنْ دِيَارِهم تَظَاهَرُون عَلَيهم بالإِثْمِ والعُدوَان وإن يَأتُوكم أَسَارَى تُفَادُوهُم وَهُو مُحَرَّمٌ عَلَيكم إِخْرَاجهم أفتؤمنون بِبَعْضِ الكِتَابِ وتَكْفُرُون ببعض فَمَا جَزَاء مَنْ يَفْعَل ذَلك مِنكُم إلا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيوم القِيَامَةِ يُرَدُّون إلى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾ البقرة:٨٥.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿تفادوهم﴾ :

فقرأ نافع وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها:﴿تُفَادوهم﴾ وافقهم الحسن والمطوعي عن الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بفتح التاء وسكون الفاء بلا ألف : ﴿تَفْدوهم﴾، وافقهم ابن محيصن واليزيدي والشنبوذي عن الأعمش(١).

معنى القراءتين :

معنى القراءة بـ ﴿تَفْدُوهم﴾: تدفعون الفداء وهي بمعنى «فعل» المجرد إذ لا تقتضي الفعل إلا من واحد(٢).

معنى القراءة بـ ﴿تُفَادوهم﴾: أن الفعل حصل من اثنين لأن كل واحد من الفريقين يدفع من عنده من الأسارى ويأخذ من عند الآخرين من الأسرى فكل واحد مفاد فاعل، فـ ﴿تفادوهم﴾ على وزن "تفاعلوهم" تقتضي المفاعلة(٣).

ويمكن أن تكون المفاعلة من الاثنين بصورة أخرى : يعطي الأسير المال ويعطى الآسر الاطلاق من الأسر(٤).

حاصل القراءتين :

بين القراءتين تعدد في المعنى ، فتارة يفدى الأسير بالمال وتارة يفدى الأسير باطلاق صراح أسير ؛ فقراءة ﴿تَفْدُوهم﴾ بينت الحال الأول، وقراءة ﴿تفادوهم﴾ بينت الحال الثاني.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن القراءة بـ ﴿تُفَادوهم﴾ فسرت سابقا على أساس أن المفاعلة فيها بين اثنين، وأشير هنا إلى أنها قد تحتمل أنها من واحد فلا تكون على بابها.

---

١) المبسوط ص١١٩ النشر ٢١٨/٢ الاتحاف ص١٤١.
٢) الكشف ٢٥٢/١ حجة القراءات ص١٠٥.
٣) الكشف ٢٥٢/١ المغني في توجيه القراءات العشر ١٥٦/١.
٤) الاتحاف ص١٤١ قلائد الفكر ص١٧.

وتحتمل معنى آخر بينه مكي بن أبي طالب في قوله : «إن المفاعلة قد تكون من واحد فيكون معناه معنى قراءة من قرأ بغير ألف، فيتفق معنى القراءتين، فأما من قرأ بفتح التاء من غير ألف فانه بناه على أن أحد الفريقين يفدي أصحابه من الفريق الآخر بمال أو غيره من عرض، وكذلك العادة في المغلوب وهو يفدي ما أخذ له الغالب، فالفعل من واحد، إذ لا يكون كل واحد من الفريقين غالبا.

وإنما تحمل المفاعلة على القراءة بالألف أن لكل واحد من الفريقين أسيرا فيفادى كل واحد منهما ويدفع ما عنده من الأسرى بما عند الفريق الآخر من الأسرى.

ويجوز أن يكونا تقاتلا فغلب أحدهما الآخر وأسر الغالب ثم تقاتلا فغلب المغلوب وأسر، ثم تفادوا، وإنما أسروا أسرى هؤلاء وأسرى هؤلاء» اهـ(١).

(٣) في البحر المحيط : «ومعنى ﴿تُفَادُوهُم﴾: تفدوهم؛ إذ المفاعلة تكون من اثنين ومن واحد، ففاعل بمعنى فعل المجرد وهو أحد معانيها.

وقيل : معنى «فادى» بادل أسيرا بأسير، ومعنى «فدى» دفع الفداء ... .

وقيل : معنى ﴿تَفْدُوهم﴾ بالصلح، و ﴿تُفَادُوهم﴾ بالعنف.

وقيل : ﴿تُفَادُوهم﴾ تطلبوا الفدية من الأسير الذي في أيديكم من أعدائكم ... و ﴿تفدُوهم﴾ تعطوا فديتهم.

وقال أبوعلي: معنى ﴿تفادوهم﴾ في اللغة تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنه شيئا، وفاديت نفسي، أي: أطلقتها بعد أن دفعت شيئا» اهـ(٢).

---

١) الكشف ٢٥٢/١.

٢) البحر الميط ٢٩١/١.

الموضع الرابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ما نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنسِهَا نَأْتِ بخَيْرٍ مِنْهَا أو مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة:١٠٦.

تنوعت القراءات في قوله ﴿نُنسِهَا﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء ﴿ننسأها﴾، ووافقهما ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ باقي العشرة بضم النون وكسر السين من غير همزة ﴿نُنسِهَا﴾ ووافقهم الحسن والأعمش(١).

وقرأ سعد بن أبي وقاص : «تنساها» بتاء مفتوحة ونون ساكنة .

وقرأ أبي بن كعب: « أو ننسك»(٢).

عن القاسم بن ربيعة قال : «سمعت سعدا يقرأ : «مانْنسخ من آية أو تنساها» قال : فقلت : إن سعيدا يقرأها ﴿أو نُنْسِهَا﴾ فقال: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على ابنه (يعني: سعيدا) قال (القاسم) : وحفظي أنه قرأ : ﴿سَنُقْرِئكَ فَلا تَنْسَى﴾ [الأعلى:٦] ﴿واذْكُر رَبّك إذَا نَسِيت﴾ [الكهف:٢٤].»(٣).

معنى القراءات :

القراءة بـ ﴿نُنسِهَا﴾ بغير همز في معناها وجهان :

الأول : ننسها من النسيان ضد الذكر .

الثاني : ننسها من الترك، والمعنى أو نترك إنزالها أو نمحها فلا تترك لفظا يتلى ولا حكما يلزم، أو نأمر بتركها يقال: أنسيته الشيء أي: أمرت بتركه، ونسيته تركته(٤).

القراءة بـ ﴿نَنْسَأها﴾ بالهمز من التأخير تقول العرب: نسأت الإبل عن

---

١) المبسوط ص١٢١ النشر ٢/٢٢٠ الاتحاف ص١٤٥.

٢) زاد المسير ١/١٢٨ البحر المحيط ١/٣٤٣، وأوردا قراءات شاذة أخرى تعود في المعنى إلى القراءتين المتواترتين وانظر «المحتسب» ١/١٠٣ الدر المنثور ١/٢٥٥.

٣) أثر ضعيف الاسناد .

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/٥٥ والنسائي في تفسيره ١/١٨١ تحت رقم (١٦) والطبري في تفسيره (شاكر) ٢/٤٧٤-٤٧٥ تحت رقم (١٧٥٥-١٧٥٧) وابن أبي داود في المصاحف ص١٠٧ والحاكم في المستدرك ٢/٢٤٢،٥٢١ وصححه ووافقه الذهبي.

ومدار الحديث على القاسم بن عبدالله بن ربيعة بن قانف الثقفي لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، وانفرد ابن حبان بتوثيقه كما في تهذيب التهذيب ٨/٣٢٠ وقال في التقريب ص٤٥٠ : «مقبول»اهـ قلت : يعنى عند المتابعة ولم أقف له على متابع والله أعلم .

وعزاه في الدر المنثور ١/٢٥٥ إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٤) تفسير الرازي ٣/٢٣١ البحر المحيط ١/٣٤٣.

الحوض وأنسأ الابل عن ضمئها يوما أو يومين أو أكثر أخرها عن الوِرْد، والمعنى في الآية فيه ثلاثة وجوه :

الأول : نؤخر نسخها .

الثاني : نؤخر إنزالها.

الثالث : نمحها لفظا وحكما(١).

حاصل القراءات :

ما ينسخ الله من آية أو ينسيها الرسول ﷺ أو يؤخر نسخها فإنه سبحانه يأتي بخير منها أو مثلها.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) قد أنكر قوم معنى النسيان وقالوا: غير جائز أن يكون رسول الله ﷺ نسي من القرآن شيئا مما لم ينسخ إلا أن يكون نسي منه شيئا ثم ذكره.

قالوا: وبعد، فإنه لو نسي منه شيئا لم يكن الذين قرأوه وحفظوه من أصحابه بجائز على جميعهم أن ينسوه.

قالوا: وفي قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الاسراء:٨٦ ما ينبيء عن أن الله تعالى ذكره لم ينس نبيه شيئا مما آتاه من العلم(٢).

قال أبوجعفر الطبري (٣١٠هـ) رادا لهذا المُنْكَر من القول : «وهذا قول يشهد على بطلانه وفساده الأخبار المتظاهرة عن رسول الله ﷺ وأصحابه بنحو الذي قلنا:

عن أنس بن مالك : «إن أولئك السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا بهم وفيهم كتابا : «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»، ثم إن ذلك رفع»(٣).

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باحصائها الكتاب .

وغير مستحيل في فطرة ذي عقل صحيح ولابحجة خبر أن ينسي الله نبيه ﷺ بعض ما قد كان أنزله إليه فإذ كان ذلك غير مستحيل من أحد هذين الوجهين؛ فغير جائز لقائل أن يقول ذلك غير جائز.

وأما قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦] فإنه جل ثناؤه لم يخبر أنه لا يذهب بشيء منه وإنما أخبر أنه لو شاء لذهب

---

١) زاد المسير ١٢٨/١ البحر المحيط ٣٤٤/١.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٢٧٩/٢ البحر المحيط ٣٤٤/١.

٣) حديث صحيح . سبق تخريجه بنحوه ص٥٩.

بجميعه فلم يذهب به والحمد لله بل إنما ذهب بما لا حاجة بهم إليه منه، وذلك أن ما نسخ منه فلا حاجة بالعباد إليه وقد قال تعالى ذكره : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى • إلا مَاشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى:٦-٧] فأخبر أنه ينسي نبيه منه ماشاء فالذي ذهب منه الذي استثناه» اهـ(١).

وقال أبومحمد عبدالحق ابن عطية (٥٤٦هـ) : «والصحيح في هذا أنَّ نسيان النبي ﷺ لمَا أراد اللّهُ أن ينساه ولم يرد أن يثبته قرآنا جائز، وأما النسيان الذي هو آفة في البشر فالنبي ﷺ معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ مالم يحفظه أحد من الصحابة، وأما بعد أن يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر لأنه قد بلغ وأدى الأمانة» اهـ(٢).

قلت : يشير رحمه الله إلى قوله ﷺ لمَّا سمع رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال:«يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أ نسيتها من سورة كذا وكذا »(٣).

قال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) : «في الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبي ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا، وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين:

أحدهما : أنه بعد ما يقع منه تبليغه .

والآخر : أنه لايستمر على نسيانه بل يحصل له تذكرة إما بنفسه وإما بغيره.

وهل يشترط في هذا الفور ؟. قولان، فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا» اهـ(٤).

قال الإسماعيلي(٥) : «النسيان من النبي ﷺ لشيء من القرآن يكون على قسمين :

أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله ﷺ في حديث ابن مسعود في السهو: «إنما أنا بشر

---

١) تفسير الطبري (شاكر) ٢/٢٧٩-٢٨٠.

٢) بواسطة البحر المحيط ١/٣٤٤.

٣) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟. حديث رقم (٥٠٣٨).

٤) فتح الباري ٩/٨٦.

٥) أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل أبوبكر الاسماعيلي، حافظ من أهل جرجان جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا (٢٩٧-٣٧١هـ). الأعلام ١/٨٦.

مثلكم أنسى كما تنسون»(١).

والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه على ارادة نسخ تلاوته، وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى:٦-٧].

قال: فأما القسم الأول؛ فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وأمَّا الثاني؛ فداخل في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] على قراءة من قرأ بضم أوله من غير همزة» اهـ(٢).

---

١) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها في كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حديث كان حديث رقم (٤٠١)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد باب السهو في الصلاة والسجود له حديث رقم (٥٧٢).

٢) بواسطة فتح الباري ٨٦/٩.

الموضع الخامس :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿هو الذي أَنْزَلَ عَلَيْك الكِتَاب مِنْه آيات مُحْكَمَات هُنَّ أم الكِتَاب وأخر متشابهات فأما الذين في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فيتَّبِعُون ما تَشَابَه مِنْه ابتِغَاء الفِتْنَة وابتغاء تأويله وما يَعْلَم تَأويله إلا اللَّه والرَّاسِخُون في العِلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ آل عمران : ٧.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ ابن عباس : «وما يعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به»

وقرأ ابن مسعود : «وان حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به»(١).

عن طاوس قال كان ابن عباس يقرؤها: «وما يعلم تأويلها إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به»(٢)عن الأعمش قال في قراءة عبدالله: «وإن حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به»(٣).

معنى القراءات :

قراءة عامة القراء العشرة : ﴿وَمَا يَعْلَم تَأْوِيلَه إلا اللَّه والرَّاسِخُون فِي العِلْم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَر إِلا أُولُوا الأَلبَاب﴾ تحتمل معنيين(٤):

الأول : أن قوله : ﴿والرَّاسِخُون فِي العِلْم﴾ معطوف على لفظ الجلالة وجملة ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ في موضع نصب على الحال والتقدير وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم قائلين آمنا به، والمعنى: إن الله والراسخين في العلم يعلمون ما تشابه منه .

وعلى هذا المعنى يكون الوقف على قوله : ﴿في العِلْم﴾.

الثاني: أن قوله : ﴿والرَّاسِخُونَ فِي العِلْم﴾ جملة مستأنفة والمعنى

---

١) الدر المنثور ١٥٠/٢ وسيأتي تخريجها عنهما قريبا .

٢) إسناده صحيح

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١١٦/١ ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٢٠٢/٦ وابن الأنباري في الأضداد ص٤٢٦ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٨٩/٢ وصححه على شرطهما وصححه السيوطي في الإتقان (أبوالفضل) ٦/٣.

٣) إسناده حسن إلى الأعمش .

أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٦٩،٦٧.

٤) البيان في غريب اعراب القرآن ١٩٢/١.

أن المتشابه لا يعلمه إلا الله، ويقول الراسخون في العلم: آمنا به كل من عند ربنا.

وقراءة ابن عباس وابن مسعود معناها: أن الراسخين في العلم لا يعلمون المتشابه، فلا يعلم المتشابه إلا الله عزوجل.

حاصل القراءات :

بينت قراءة ابن عباس وابن مسعود أن المعنى المراد في القراءة المتواترة: اثبات علم الله عزوجل للمتشابه، وتسليم أهل الرسوخ في العلم بذلك وايمانهم به.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) ذهب جمهور العلماء إلى أن الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ على معنى أن المتشابه لا يعلمه إلا الله، وتكون الواو استئنافية في قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾.

وقراءة ابن عباس وابن مسعود تدل لصحة هذا المذهب؛ لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها قراءة فأقل درجاتها أن يكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه(١).

(٢) في الآية إشارات تدل على أن الواو استئنافية لا عاطفة قال موفق الدين ابن قدامة (ت٦٢٠هـ) : «في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه منفرد بعلم تأويل المتشابه وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ لفظا ومعنى أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال : «ويقولون آمنا به» بالواو.

وأما المعنى فلأنه ذم مبتغي التأويل ولو كان ذلك للراسخين معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما.

ولأن قولهم : ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه سيما إذا اتبعوه بقولهم : ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فذكرهم ربهم ها هنا يعطي الثقة به والتسليم لأمره وأنه صدر منه وجاء من عنده كما جاء من عنده المحكم.

ولأن لفظة «أمّا» لتفصيل الجُمَل،فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغ مع وصفه إياهم بابتغاء المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة وهم : «الراسخون» ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم

---

١) الاتقان (أبوالفضل) ٦/٣.

الأول في ابتغاء التأويل» اهـ(١).

ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة: أنَّ الأسلوب الغالب في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئا وأثبته لنفسه أنه لايكون له في ذلك الاثبات شريك كقوله تعالى : ﴿قُل لَايَعلَمُ مَن فِي السَماواتِ وَالأَرضِ الغَيبَ الّا اللّهُ وَمَا يَشعُرُون أَيَانَ يُبعثُونَ﴾ النمل:٦٥ وقوله: ﴿لايَجَلّيهَا لِوَقتِهَا إلاَّ هُوَ﴾ الأعراف:١٨٧ وقوله: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُ﴾ القصص:٨٨؛ فالمطابق لذلك أن يكون قوله: ﴿ومايعلم تأويله الا الله﴾ معناه: أنه لايعلمه إلا هو وحده.

(٣) ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يجوز الوقف على لفظ الجلالة في قوله: ﴿وما يَعْلَم تأويلَهُ إلاّ اللّه﴾ ويجوز وصله مع قوله : ﴿والرَّاسِخُون فِي العِلْم﴾، فجواز الوصل على اعتبار أن معنى التأويل هو التفسير وفهم المعنى، وجواز الفصل على اعتبار أن معنى التأويل هو حقيقة ما يؤول إليه الأمر وذلك لايعلمه إلا الله.

وتعقب هذا التفصيل صاحب «أضواء البيان» بقوله : «وهو تفصيل جيد لكن يشكل عليه أمران :

الأول : قول ابن عباس رضي الله عنهما: «التفسير على أربعة أنحاء:

تفسير لايعذر أحد [بجهالته].

وتفسير تعرفه العرب من [كلامها].

وتفسير يعلمه العلماء.

وتفسير لا يعلمه إلا الله»(٢).

فهذا تصريح من ابن عباس أن هذا الذي لا يعلمه إلا الله بمعنى التفسير لا ما تؤول إليه حقيقة الأمر.

الثاني : أن الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم المراد بها إلا الله إذ لم يقم دليل على شيء معين أنه هو المراد بها من كتاب ولاسنة ولا إجماع ولا من لغة العرب، فالجزم بأن معناها كذا على التعيين تحكم بلا دليل» اهـ(٣).

---

١) روضة الناظر ص٦٥.

٢) قول ابن عباس أسنده عنه الطبري في تفسيره (شاكر) ١/٧٥.

٣) أضواء البيان ١/٢٣٦، بتصرف يسير.

الموضع السادس :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام:١٣٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة : ﴿حِجْرٌ﴾ .

وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير والأعمش وعكرمة وعمرو بن دينار: "حرث حرج"(١).

معنى القراءتين :

القراءة بـ ﴿حَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي : ممنوعة لا يتصرف فيها .

القراءة بـ "حرث حرج" أي: مضيق عليها فلا يتصرف فيها.

حاصل القراءتين :

عبرت القراءتان عن معنى واحد بكلمتين؛ فقوله: "حرث حرج" في معنى ﴿حِجْرٌ﴾ إذ معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة أن يطعمها إلا من يشاءون أن يطعموه اياها بزعمهم(٢).

وأفادت الآية بالقراءتين أن الأرض محجورة عليها وأنه محرج الأكل منها.

فائدة :

عد هذا أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ) من باب الاشتقاق الأكبر(٣).

حيث يقلب الأصل الواحد والمادة الواحدة الى صور مختلفه يخطمها كلها معنى واحد؛ فمادة : [ح. ج. ر] تقاليبها :[ح ج ر، ج رح، ح رج، ر ج ح، ج ح ر] أما [رح ج] فمهمل.

وهذه الصور الخمس تلتقي في معنى الشدة والضيق والاجتماع.

وقال رحمه الله : "واعلم أنّا لاندعي أنّ هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة ... وقد رَسَمْتُ لك منه رسماً فاحتذه وتقيَّله تحظَ به، وتكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله، نعم وتَسْتَرفِدَه في بعض الحاجة إليه فيعينك ويأخذ بيديك" اهـ(٤).

---

١) المحتسب ٢٣١/١.

٢) ماسبق.

٣) الخصائص ١٣٣/٢ المحتسب ٢٣١/١.

٤) الخصائص ١٣٨/٢-١٣٩.

الموضع السابع :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ، و لاجُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا، وإِنْ كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الغَائِط أَوْ لا مَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عفواً غفوراً﴾ النساء:٤٣.

وقول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُم إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وإِن كُنْتُم جُنُباً فاطَّهَّرُوا وإِنْ كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحدٌ مِنْكم مِنَ الغَائِطِ أو لا مَسْتُمُ النِّساء فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُم مِنْهُ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة:٦.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿لا مَسْتُم﴾ من الآيتين :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف : ﴿لمَسْتُم﴾ ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بالألف فيهما : ﴿لامَسْتُم﴾ ووافقهم الحسن وابن محيصن واليزيدي(١).

معنى القراءتين :

معنى القراءة بغير ألف ﴿لمَسْتُم﴾ أي: الجماع، ويحتمل أن يكون المراد مجرد اللمس باليد(٢).

معنى القراءة بالألف ﴿لامَسْتُم﴾ أي : جامعتم(٣).

حاصل القراءتين :

أن التيمم يرفع الحدث الأصغر والحدث الأكبر، وبيان ذلك فيما يلي :

(١) اختلف الصحابة ومن بعدهم في معنى الملامسة المذكورة في الآية على قولين(٤) :

الأول : أنها الجماع، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس ووافقهم من التابعين الحسن ومجاهد وقتادة.

---

١) المبسوط ص١٥٧ النشر ٢/ ٢٥٠ الاتحاف ص١٩١.
٢) الكشف ٣٩١/١ حجة القراءات ص٢٠٥.
٣) الكشف ٣٩٢/١ حجة القراءات ص٢٠٥.
٤) زاد المسير ٩٢/٢ الدرالمنثور٥٤٩/٢-٥٥١.

الثاني : أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود وابن عمر ووافقهم الشعبي وعبيدة وعطاء وابن سيرين والنخعي والحكم وحماد .



وبسبب اختلافهم في معنى الملامسة في الآية بحسب القراءات اختلف العلماء في مسألة نقض الوضوء بمجرد لمس بشرة المرأة(١) :

- ذهب أبوحنيفة النعمان رحمه الله إلى أن مباشرة الرجل للمرأة فيما دون الجماع لا تنقض الوضوء، إلا أن ينتشر ذكره، فينقض باللمس والانتشار جميعا(٢).

- وذهب مالك وأحمد رحمهما الله تعالى إلى أن لمس الرجل المرأة بشهوة ناقض للوضوء(٣).

- وذهب الشافعي رحمة الله عليه إلى أن لمس الرجل المرأة ناقض للوضوء بكل حال إذا لم يكن حائل، والصحيح من مذهبه استثناء المحارم(٤).

(٢) الواقع أن القراءة بـ ﴿لاَمَسْتُمْ﴾ ظاهرة في معنى الجماع والقراءة بـ ﴿لَمَسْتُمْ﴾ محتملة للجماع ولمجرد اللمس باليد لكن الاحتمال الأول هو المراد هنا بدلالة القرائن التالية :

(أ) أن الملامسة حقيقة في تماس البدنين بشيء من أجزائهما(٥)، لكن إذا أضيفت إلى النساء كان المعنى الجماع.

قال يعقوب بن اسحاق ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) : «لمست المرأة ألمسها لمسا إذا غشيتها» اهـ(٦).

(ب) وثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إن رسول الله ﷺ قَبَّل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»(٧).

---

١) حلية العلماء ١/١٤٧-١٤٨ بداية المجتهد ١/٣٧-٣٨ رحمة الأمة ص١٢.
٢) بدائع الصنائع ١/٢٩-٣٠ فتح القدير ١/٥٤.
٣) مقدمات ابن رشد ١/٦ الفواكه الدواني ١/١٣٤-١٣٥ الشرح الصغير للدردير ١/٥٤-٥٥، والكافي لابن قدامة ١/٤٦ المبدع شرح المقنع ١/١٦٥-١٦٧.
٤) التنبيه للشيرازي ص١٧ الوجيز للغزالي ١/١٦ روضة الطالبين ١/٧٤-٧٥.
٥) معجم مقاييس اللغة ٥/٢١٠ روح المعاني ٥/٤٢.
٦) تهذيب اصلاح المنطق ص٥٨٨ المشوف المعلم ٢/٦٨٢.
٧) حديث صحيح .
أخرجه أبوداود في كتاب الطهارة باب الوضوء من القبلة حديث رقم (١٧٨-١٨٠) والترمذي في كتاب الطهارة باب ما جاء في ترك الوضوء من القبلة حديث رقم (٨٦) والنسائي في كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من القبلة ١/١٠٤ وغيرهم.
والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ٤/٢٧٣ وحسنه محقق جامع الأصول ٧/٢٠٤.

=

وهو نص في أن لمس المرأة بشهوة وبغير شهوة لا ينقض الوضوء .

(ج) ومن القرائن : أن الآية بهذا القول (وهو تفسير الملامسة بالجماع) تكون شاملة للحدثين الأصغر والأكبر، فالأصغر في قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَائِطِ﴾، والأكبر في قوله : ﴿أو لَمَسْتُمْ﴾، ﴿أو لامَسْتُمْ﴾ وهو الجماع؛ أما اذا أريد منه اللمس باليد فانه يكون قليل الفائدة إذ المجيء من الغائط واللمس حينئذ من واد واحد(١)، ولا تكون الآية حينئذ شاملة لحكم وجوب التيمم للجنب إذا لم يجد الماء.

واختار أبوجعفر الطبري (ت٣١٠هـ) أنها في القراءتين بمعنى الجماع حيث قال : «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عني الله بقوله : ﴿أو لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ : الجماع، دون غيره من معاني اللمس لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ» اهـ(٢).

وقال أيضا رحمه الله : «وهما قراءتان متقاربتا المعنى لأنه لا يكون الرجل لا مسا امرأته الا وهي لا مسته، فاللمس في ذلك يدل على معنى اللماس، واللماس على معنى اللمس من كل واحد منهما صاحبه، فبأي القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب لا تفاق معنيهما» اهـ(٣).

(د) ومن القرائن الدالة على إرادة الجماع بقوله: ﴿لامَسْتُمُ﴾ ﴿لمستم﴾ ما أشار إليه الصنعاني في قوله: «إن تركيب الآية الشريفة وأسلوبها يقتضي أن المراد بالملامسة الجماع فإنه تعالى عد من مقتضيات التيمم المجيء من الغائط تنبيها على الحدث الأصغر، وعد الملامسة تنبيها على الحدث الأكبر وهو مقابل لقوله تعالى في الأمر بالغسل : ﴿وإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ ولو حملت الملامسة على اللمس الناقض للوضوء لفات التنبيه على أن التراب مقام الماء في رفعه للحدث الأكبر وخالف صدر الآية» اهـ(٤).

(هـ) ومنها : ما أشار اليه ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله في قوله : «إن الأحكام التي تحتاج الأمة إلى معرفتها لا بد أن يبينها الرسول

= فائدة :

بيَّن ابن تيمية بيانا شافيا بُعْد قول من قال مجرد اللمس ناقض للطهارة في مجموع الفتاوي ٢١/٢٣٣ -٢٤٠.

١) تفسير السايس لآيات الأحكام ٢/١١١ أضواء البيان ٢/٣٧-٣٨.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ٥/١٠٥.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ٥/١٠٨.

٤) سبل السلام ١/٦٦.

ﷺ بيانا عاما، و لابد أن تنقلها الأمة، فإذا انتفى هذا علم أن هذا ليس من دينه وهذا كما يعلم أنه لم يفرض صيام شهر غير رمضان ، ولا حج بيت غير البيت الحرام، ولا صلاة مكتوبة في اليوم والليلة غير الخمس وأنه لم يوجب الغسل من مباشرة المرأة بلا انزال (يعني: مخالطتها دون ايلاج).»

إلى أن قال: «وبهذه الطريقة تعلم أيضا أنه لم يوجب الوضوء من لمس النساء، ولا من النجاسات الخارجة من غير السبيلين فإنه لم ينقل أحد عنه باسناد يثبت مثله أنه أمر بذلك مع العلم بأن الناس كانوا لا يزالون يحتجمون ويتقيئون ويجرحون في الجهاد وغير ذلك، وقد قطع عرق بعض الصحابة ليخرج منه الدم وهو الفصد ولم ينقل عنه مسلم أنه أمر أصحابه بالتوضؤ من ذلك.

وكذلك الناس لا يزال أحدهم يلمس امرأته بشهوة وبغير شهوة ولم ينقل عنه مسلم أنه أمر الناس بالتوضؤ من ذلك، والقرآن لا يدل على ذلك بل المراد بالملامسة الجماع كما بسط في موضعه» اهـ(١).

(و) ومنها: أن السنة قد جاءت مؤيدة لحكم الآية وجوب التيمم على من اجتنب ولم يجد الماء عن شقيق بن سلمة الأسدي قال : «كنت جالسا مع عبدالله بن مسعود وأبي موسى فقال أبوموسى : أرأيت يا أبا عبدالرحمن لو أن رجلا أجنب فلم يجد الماء شهرا كيف يصنع بالصلاة ؟.

فقال عبدالله : لا يتيمم وان لم يجد الماء شهرا.

فقال أبوموسى : فكيف بهذه الآية في سورة المائدة [آية ٦](٢) : ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ؟.

فقال عبدالله : لو رخص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد ؟.

قلت : وإنما كرهتم هذا لذا ؟ . قال نعم .

فقال أبوموسى لعبدالله : ألم تسمع قول عمار لعمر بعثني رسول الله ﷺ في حاجة فأجنبت، فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له؛ فقال : إنما يكفيك أن تصنع هكذا وضرب بكفيه ضربة على الأرض ثم نفضها ثم مسح بها ظهر كفه بشماله أو ظهر

---

١) حقيقة الصيام ص ٤٤ وقارن بأحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٩-٣٧٠.

٢) **فائدة**: وإنما عيَّن أبوموسى سورة المائدة لكونها أظهر في مشروعية تيمم الجنب من آية النساء. فتح الباري ١/٤٥٦.

شماله بكفه ثم مسح بها وجهه ؟.

فقال عبد الله : أوَ لَمْ تر عمر لم يقنع بقول عمار ؟.»

وفي رواية : «قال أبوموسى فدعنا من قول عمار، فكيف تصنع بهذه الآية ؟ فما درى عبد الله ما يقول»(١).

قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) معلقا على الحديث السابق : «فيه جواز التيمم للجنب» اهـ(٢).

قلت : ومما تقدم تعلم أن الراجح أن لمس المرأة بشهوة وبدون شهوة غير ناقض للوضوء، وأن المراد بقوله : ﴿لمَسْتُم﴾ أي : جامعتم، كما بينته قراءة : ﴿لامستم﴾(٣) والله أعلم.

---

١) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش يتيمم حديث رقم (٣٤٦،٣٤٥) وباب التيمم ضربة حديث رقم (٣٤٧)، وأخرجه مسلم في كتاب الحيض باب التيمم حديث رقم (٣٦٨) وأبوداود في كتاب الطهارة باب التيمم حديث رقم (٣٢١) والنسائي في كتاب الطهارة باب تيمم الجنب ١/ ١٧٠.

٢) فتح الباري ١/٤٥٥.

٣) انظر ما كتبه الشيخ:أحمد شاكر حول الموضوع تحت عنوان «القول الفصل في مس المرأة وعدم نقضه للوضوء» ضمن مقالاته المجموعة تحت عنوان «كلمة الحق» ص٢٣٢-٢٤٨.

الموضع الثامن :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الأنعام:١٤٢.

هكذا قرأ عامة العشرة : ﴿خُطُوات﴾ بضم الخاء دون همز واختلفوا في الطاء؛ فأسكن الطاء نافع وأبوعمرو وحمزة وخلف وأبوبكر واختلف عن البزي فروى عنه أبو ربيعة الاسكان وروى عنه ابن الحباب الضم، وبضمها قرأ باقي العشرة ووافقهم الحسن(١).

وقرأ علي بن أبي طالب والأعرج وعمرو بن عبيد: «خُطُؤات» بالهمز مثقلا.

وقرأ أبو السمال: «خَطوات» بفتح الخاء المعجمة والطاء دون همز(٢).

معنى القراءات :

القراءة بـ ﴿خُطُوات﴾ بضم الخاء والطاء دون همز أي جمع خطوة، وهي ذرع ما بين القدمين، والمعنى لا تتبعوا طرق الشيطان و لاتسلكوها.

القراءة بـ ﴿خُطْوات﴾ بفتح الخاء والطاء دون همز معناها كما سبق أي: لا تتبعوا خطوات الشيطان أي آثاره لا تقتدوا به، وتقديره على هذا بحذف المضاف أي لا تتبعوا مواضع أو طرق خطوات الشيطان .

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ) : «وإن شئت أجريته على ظاهره من غير تقدير حذف كقولك: «لا تتبع أفعال المشركين».»اهـ(٣).

القراءة بـ«خطؤات» بضم الخاء والطاء والهمز أي: جمع خطأة بمعنى الخطأ، والمعنى لا تتبعوا أخطاء الشيطان(٤).

حاصل القراءات :

في الآية نهي عن اتباع سبل الشيطان وسلوكها، وفي القراءة الشاذة نهي عن اتباع أخطاء الشيطان؛ وكل سبله أخطاء ولكن مجيء القراءة بهذا اللفظ فيه اشعار بعلة النهي والله أعلم.

---

١) النشر ٢/٢١٦ الاتحاف ص١٤١.
٢) المحتسب ١/٢٣٣.
٣) ماسبق .
٤) ماسبق .

الموضع التاسع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ و لايَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ﴾ الأعراف:٤٠.

هكذا قرأ عامة العشرة ﴿الجَمَل﴾ بفتح الجيم وفتح الميم المخففة.

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وأبي العلاء بن الشخير ورويت عن أبي رجاء: «حتى يلج الجمل» بضم الجيم وتشديد الميم.

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف وعبدالكريم وحنظلة ومجاهد بخلاف : «حتى يلج الجُمَل» بضم الجيم و فتحة الميم مخففة.

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف عنهما: «الجمل» بضم الجيم وسكون الميم .

وقرأ ابن عباس : «الجُمُل» بضمتين و الميم خفيفة.

وقرأ أبو السمال : «الجَمْل» مفتوحة الجيم ساكنة الميم(١).

معنى القراءات :

القراءة بفتح الجيم وفتح الميم المخففة : ﴿الجَمَل﴾ هو الحيوان المعروف.

القراءة بضم الجيم وتثقيل الميم، وبضم الجيم والميم بالتخفيف معناها الحبل الغليظ، ويقال: حبل السفينة، ويقال: الحبال المجموعة، والمعاني متقاربة.

القراءة بضم الجيم وتسكين الميم: «جمل» جمع جمل كأسد وأسد.

القراءة بفتح الجيم وسكون الميم: «جمل» الأقرب أنه مخفف من الميم المثقلة فيكون بمعناها(٢).

حاصل القراءات :

أفادت الآية استحالة دخول الجنة على المكذبين بآيات الله تعالى والمستكبرين عليها، كما يستحيل دخول الحبل الغليظ من ثقب الإبرة، وكما يستحيل دخول الحيوان الكبير من ثقب الابرة.

ويلاحظ مايلي :

(١) إن قيل كيف خص (الجمل) (على القراءة المتواترة) من دون

---

١) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥-٣٦ المحتسب ١/٢٤٩ الكامل للهذلي لوحة ١٩٣/أ.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ١٢/٤٢٧-٤٣٣ معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥-٣٦ المحتسب ١/٢٤٩.

سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه ؟.

فالجواب : خص الجمل لأحد أمرين :

أحدهما : أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود؛ والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة كما لايدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه جاز، والناس يقولون: فلان لايساوي ريالا، وهذا لا يغني عنك فتيلا، وإن كنا نجد أقل من الريال وأقل من الفتيل.

والثاني : أن الجمل أكبر شأنا عند العرب من سائر الدواب فإنهم يقدمونه في القوة على غيره؛ لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عَجَّبَهم من خلق الإبل فقال تبارك وتعالى: ﴿**أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت**﴾ الغاشية:١٧ فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى(١).

(٢) بناء على اختلاف القراءات في الآية تنوعت الآثار الواردة عن السلف في معنى (الجمل) بحسب القراءة، فنقل عن ابن عباس وابن مسعود والحسن أنه الجمل الحيوان المعروف، ونقل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسالم بن عجلان(٢) ومجاهد وعكرمة أنه الحبل الغليظ(٣).

وليس هذا باختلاف تضاد؛ إذ المعنى المقصود عند جميعهم واحد، وهم فسروا الآية بحسب القراءات الواردة فيها.

---

١) زاد المسير ١٩٧/٣ نقلا عن ابن الأنباري.

٢) سالم بن عجلان الأفطس، الأموي مولاهم أبومحمد الحَرَّاني ثقة رمي بالارجاء مات سنة ١٥٣هـ. التقريب ص٢٢٧.

٣) تفسير الطبري (شاكر) ٤٢٧/١٢-٤٣٣ الدر المنثور٤٥٥/٣.

الموضع العاشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿**لو خَرَجُوا فِيكم ما زادُوكم إلا خَبَالا ولأَوْضَعُوا خِلَالَكم يَبْغُونَكم الفِتْنَة وفيكم سمَّاعُون لَهُم واللَّه عليمٌ بالظَّالِمِين**﴾ التوبة:٤٧.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة : ﴿**ولأَوْضَعُوا خلالكم**﴾.

وقرأ مجاهد ومحمد بن زيد : «ولأوفضوا خلالكم»(١).

وقرأ ابن الزبير: «ولأرقصوا» بالراء والقاف(٢).

معنى القراءات :

القراءات جميعها بمعنى واحد.

قراءة عامة العشرة : ﴿**ولأَوْضَعُوا خَلَالَكم**﴾ الإيضاع: الإسراع ومفعول «أوضعوا» محذوف تقديره: ولأوضعوا ركائبهم بينكم؛ لأن الراكب أسرع من الماشي(٣).

قراءة مجاهد وابن زيد: «ولأَوْفَضُوا خلالكم» أي: أسرعوا كقوله تعالى: ﴿**إلى نُصُبٍ يُوفِضُون**﴾ المعارج:٤٣، ويقال: وفض يفض وأوفض يوفض ايفاضا أي: عدا عدوا سريعا(٤).

قراءة ابن الزبير: «ولأَرْقَصُوا خِلَالَكم» أي: أسرعوا من رقص في مشيه أي: أسرع ، والرقص والرقصان ضرب من الخَبَب(٥).

حاصل القراءات :

القراءات بمعنى متحد ، وتنوعت الألفاظ في ادائه .

والآية بالقراءات شملت الأحوال التي يسعى بها الذين يبتغون الفتنة فهم إما سعيا بأرجلهم واما بركائبهم، لا يتركون وسيلة إلا ركبوها، والقراءات فيها إمعان في تصوير حال هؤلاء المنافقين في سعيهم للفتنة والله أعلم.

ويلاحظ مايلي :

في «المحتسب»(٦) :«لأرقصوا» كما أثبته بالراء والقاف .

وفي «البحر»(٧) : «لأرفضوا» بالرء والفاء، وهو تصحيف والله أعلم.

---

١) البحر المحيط ٤٩/٥.
٢) المحتسب ٢٩٣/١.
٣) النهر الماد ٤٩/٥.
٤) عمدة الحفاظ ص٦٣٧.
٥) المحتسب ٢٩٣/١ لسان العرب ٤٢/٧.
والخبب: ضرب من العدو، وقيل: هو مثل الرَّمل. لسان العرب ٣٤١/١.
٦) ٢٩٣/١.
٧) البحر المحيط ٤٩/٥.

الموضع الحادي عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ التوبة:٥٧.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة : ﴿يَجْمَحُونَ﴾.

وقرأ الأعمش عن أنس : «يجمزون»(١).

معنى القراءتين :

يجمحون ويجمزون بمعنى واحد وهو يشتدون(٢).

تقول جمح الفرس بصاحبه جمحا وجماحا: ذهب يجري جريا غالبا، واعتز فارسه وغلبه، والجموح من الرجال الذي ركب هواه فلا يمكن رده، و يجمحون أي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء(٣).

وتقول: جمز الانسان والبعير والدابة يجمز جمزا وجمزى وهو عدو دون الحضر الشديد وفوق العنق(٤).

حاصل القراءات :

عبرت القراءتان عن معنى واحد مع اختلاف اللفظ فيهما.

لكن القراءة بـ﴿يَجْمَحُونَ﴾ أفادت أنهم في جريهم وشدتهم إنما يركبون هواهم في اندفاعهم في غيهم.

---

١) المحتسب ٢٩٦/١ البحر المحيط ٥٥/٥.

٢) ماسبق.

٣) لسان العرب ٤٢٦/٢.

٤) ماسبق ٣٢٣/٥ والحضر بالضاد من عدو الدواب وهو العدو. لسان العرب ٢٠١/٤.
والعنق من أوصاف السير والمشي يطلق على السير المنبسط. لسان العرب٢٧٣/١٠.
قال الثعالبي:«العنق أن يباعد بين خطاه ويتوسع في جريه»اهـ. فقه اللغة ص١٨٦.

الموضع الثاني عشر :

قول الله تبارك وتعالى :﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨.

هكذا قرأ عامة العشرة : ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء وكسر السين.

وقرأ عبدالله بن قسيط المكي: «أَنفَسِكُمْ» بفتح الفاء وكسر السين، وهي قراءة ابن عباس وأبي العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو، ويعقوب من بعض طرقه ورويت عن فاطمة وعائشة رضي الله عنهما(١).

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء وكسر السين تعني: منكم أي: رسول الله ﷺ منكم وليس من غيركم.

والقراءة بفتح الفاء وكسر السين : «أَنفَسِكُمْ» معناها: من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع، أي: أجوده وخياره واشتق منه النفس وهي أشرف ما في الانسان(٢).

حاصل القراءتين :

يمتن الله تبارك وتعالى بإرساله رسول الله ﷺ إلى العرب الذي هو منهم ومن خيارهم وأشرافهم(٣).

---

١) المحتسب ٣٠٦/١ البحر المحيط ١١٨/٥.

٢) البحر المحيط ١١٨/٥.

٣) المحتسب ٣٠٦/١ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٥/١-١٦ البحرالمحيط ١١٨/٥.

الموضع الثالث عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ • قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود:٤٥-٤٦.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ﴾:

فقرأ يعقوب والكسائي بكسر الميم وفتح اللام : ﴿عمِل﴾ وبنصب الراء في : ﴿غيرَ﴾.

وقرأ سائر العشرة بفتح الميم ورفع اللام منونة: ﴿عَمَلٌ﴾ وبرفع الراء في: ﴿غيرُ﴾(١).

عن أم سلمة : «إن النبي ﷺ كان يقرئها«إنه عمل غير صالح»(٢).

معنى القراءتين :

معنى الآية على قراءة يعقوب والكسائي : إن ابنك يانوح عمل عملا غير صالح، يشير إلى أنه مشرك، أو الى كونه مع الكافرين، وتركه الركوب مع المؤمنين(٣).

ومعنى قراءة باقي العشرة فيه وجوه :

الأول: إن مسألتك اياي هذه عمل غير صالح، فيكون مرجع الضمير في ﴿انه﴾ السؤال المضمن في قوله : ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي...﴾ وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعي.

الثاني: أن يكون مرجع الضمير في ﴿إِنَّه﴾ هو المسؤول فيه ابن نوح والمعنى: إن الذي ذكرت أنه ابنك عمل غير صالح أي لغير رشده، أو ذو

---

١) المبسوط ص٢٠٤ النشر ٢٨٩/٢ الإتحاف ص٢٥٦-٢٥٧.

٢) حديث حسن .

أخرجه الترمذي في كتاب القراءات باب ومن سورة هود تحت رقم (٢٩٣٢) وعن أسماء بنت زيد أخرجه أبوداود في كتاب الحروف والقراءات تحت رقم (٣٩٨٣).

وفي السند شهر بن حوشب قال في التقريب ص٢٦٩ : «صدوق كثير الإرسال والأوهام»اهـ

وعن عائشة أخرجه الفراء في «معاني القرآن» ١٧/٢-١٨ ومن طريقه أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٨٩/٢ واسناده جيد، وهو يشهد لرواية شهر بن حوشب.

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٣/٣.

٣) زاد المسير ١١٤/٤ البحر المحيط ٢٢٩/٥.

عمل غير صالح(١).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) : «وكون الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائداعلى غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن» اهـ(٢).

قلت : كذا قال رحمة الله عليه، وغير ظاهر وجه التعسف و التكلف في ذلك خاصة وقد نقل عن ابن عباس ومجاهد و النخعي وقتادة القول برجوع الضمير إلى السؤال المضمن في كلام نوح عليه الصلاة و السلام.

وفي مصحف ابن مسعود: «إنه عمل غير صالح أن تسألني ماليس لك به علم»(٣).

ومجيء مرجع الضمير مضمنا في الكلام قبل الضمير ورد كثيرا في القرآن العظيم(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ النساء: ٨؛ فقوله: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ الضمير في: ﴿مِّنْهُ﴾ يعود إلى المقسوم المذكور ضمنا في قوله: ﴿الْقِسْمَةَ﴾، وكذا في قوله تعالى:﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة:٨؛ فقوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ ضمير لم يتقدم مرجعه صراحة لكن ضمنا في قوله: ﴿اعْدِلُوا﴾ فأفاد رجوع الضمير إلى العدل.

ولعل وجه التكلف و التعسف الذي عناه أبوحيان رحمه الله هو ما صرح به الدمياطي (ت ١١١٧هـ) في قوله: «و أما من جعله (أي: الضمير) عائدا إلى السؤال المفهوم من النداء ففيه خطر عظيم ينبغي تنزيه الرسل عنه ولذا ضعفه الزمخشري» اهـ(٥).

قلت كلام الزمخشري (ت٥٣٧هـ) الذي أشار إليه هو قوله : «وقيل: الضمير لنداء نوح أي: نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك» اهـ(٦).

وتعقب ابن المُنَيِّر(٧) كلام الزمخشري السابق ولم يرتضه فقال: «في كلام الزمخشري ما يدل على أنه يعتقد أن نوحا عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل إليه، ومعاتبته على ذلك، وليس الأمر كما تخيله

---

١) تفسير الطبري (دار الفكر) ١٢/٥٢-٥٣ زاد المسير ٤/١١٤ البحر المحيط ٥/٢٢٩.
٢) البحر المحيط ٥/٢٢٩.
٣) البحر المحيط ٥/٢٢٩.
٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٣ ج١ ص٥٢-٥٦.
٥) الاتحاف ص٢٥٧.
٦) تفسير الزمخشري ٢/٢١٩.
٧) أحمد بن محمد بن منصور، قاضي الاسكندرية وخطيبها (٦٢٠-٦٨٣هـ). الأعلام ١/٢٢٠.

الزمخشري، ونحن نوضح الحق في الآية منزلا على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشري نسبته إليه ؛ فنقول :

لما وعِد نوح أولاً تنجية أهله إلا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور و لامطلعا على باطن أمره بل معتقدا بظاهر الحال أنه مؤمن؛ بقي على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة، ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك؛ فتبين له أنه في علمه من المستثنين وأنه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه.

وهذا بأن يكون إبانة عذر أولى منه أن يكون عتبا؛ فإن نوحا عليه السلام لا يكلفه الله علما استأثر به غيبا.

و أما قوله : ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن علمه الله باطن أمره وأنه إن وقع في المستقبل في السؤال إنه من الجاهلين.

والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة، والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب بل المقصد منها أن لايقع الذنب في الاستقبال؛ ولذلك امتثل عليه الصلاة والسلام ذلك واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهي عنه والله أعلم» اهـ(١).

قلت : وعلى فرض وقوع الذنب من نوح عليه الصلاة والسلام في مسألته لربه؛ فانا نقول: لكن الله وفقه للتوبة والاستغفار ففي الآية بعدها قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هود: ٤٧؛ فالله عصمه من الإقرار على الخطأ وهذا مفهوم العصمة عند السلف(٢) والله أعلم.

حاصل القراءتين :

ينهى الله عزوجل نوح عليه الصلاة والسلام عن سؤاله لولده المشرك، ويعلل هذا النهي بكون الولد (ابن نوح) عمل عملا غير صالح في شركه وكونه مع الكافرين وعدم ركوبه مع المؤمنين.

---

١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٢/٢١٩-٢٢٠.

٢) عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب ص١٥٢ وانظر منه ص١٤-٢٤.

الموضع الرابع عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ يوسف:٤٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن عباس وابن عمر و عكرمة ومجاهد بخلاف عنهم والضحاك وأبي رجاء وقتادة وشبيل بن عزرة الضبعي وربيعة بن عمر وزيد بن علي: «وادّكر بعد أَمَهٍ» بفتح الهمزة والميم وكسر.

وقرأ الأشهب العقيلي: «بعد امة» بكسر الهمزة ونصب الميم المثقلة وتنوين في آخره(١).

معنى القراءات :

من قرأ : ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ بضم الهمزة وتثقيل الميم المفتوحة وتنوين آخره فالمعنى بعد حين.

ومن قرأ: «بعد أَمَهٍ» بفتح الهمزة والميم أراد بعد نسيان(٢).

ومن قرأ : «بعد إمة» بكسر الهمزة فالمعنى : بعد أن أنعم الله عليه بالنجاة(٣).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءات الواردة فيها أن هذا الرجل تذكر بعد مدة وحين من الزمان، بعد أن كان قد نسي أمر يوسف علي السلام وبعد أن أنعم الله عليه بالنجاة والله أعلم .

---

١) المحتسب ١/٣٤٤.

٢) تفسير غريب القرآن ص٢١٨.

٣) المحتسب ١/٣٤٤.

الموضع الخامس عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يوسف:١١٠.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ :

فقرأ أبوجعفر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبوا﴾ بضم الكاف وتخفيف الذال ووافقهم الأعمش.

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبوعمرو ويعقوب : ﴿قَدْ كُذِّبوا﴾ بضم الكاف وتشديد الذال ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن(١).

معنى القراءتين :

القراءة بالتخفيف فيها وجهان من التفسير :

الأول: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا، بمعنى أُخْلِفوا ما وُعِدوه من النصر جاء الرسل نصرنا .

الثاني: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم فيما أخبروهم به جاء الرسل نصرنا وهذا القول هو المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وابن جبير ومجاهد.

والضمائر في الآية على هذه القراءة والتفسير عائدة على المرسل إليهم، والظن فيها على بابه الذي هو ترجيح أحد المحتملين(٢).

والقراءة بالتشديد فيها وجهان من التفسير أيضا:

الأول: أن الرسل أيقنوا أنهم كذبهم قومهم المشركون.

وعلى هذا الوجه يكون الظن بمعنى اليقين، وهذا قول الحسن وعطاء وقتادة(٣).

الثاني: أن يكون الظن على بابه بمعنى ترجيح أحد المحتملين، والمعنى: أن الرسل ظنوا أن من آمن معهم لما طالت عليهم المواعيد حسبت الرسل أن المؤمنين أولا قد كذبوهم وارتابوا بقولهم، وهذا القول منقول عن عائشة رضي الله عنها.

---

١) المبسوط ص٢١١ النشر ٢٩٦/٢ الإتحاف ص٢٦٨.

٢) حجة القراءات ص٣٦٦ زاد المسير ٢٩٦/٤ البحر المحيط ٣٥٤/٥ تفسير ابن كثير ٤٨٧/٢-٤٩٨.

٣) زاد المسير ٢٩٦/٤.

والضمائر على هذه القراءة والتفسير عائدة كلها على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم(١).

حاصل القراءتين :

أن الرسل لما تيقنوا تكذيب قومهم لهم وخافوا لما طالت المواعيد أن يرتاب من قد آمن بهم ، ولما ظن الذين أرسل اليهم الرسل أن رسلهم كذبت عليهم فيما جاءتهم به، وأن رسلهم كذبوا فيما وعدوه من النصر جاء نصر الله لرسله.

فالقراءتان بينت المراد مع الإيجاز.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن القراءتين مع اختلاف لفظهما ومعناهما وامتناع اجتماعهما في شيء واحد، مع كل هذا لايتضادان، ولا يتناقضان، فاختلافهما من باب اختلاف التنوع، وكل قراءة تصدق الأخرى.

(٢) ورد عن ابن عباس أنه فسر الآية بأن الرسل ظنت أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، وكانوا بشرا فضعفوا ويئسوا و ظنوا أنهم قد أخلفوا كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ البقرة:٢١٤ فإذا كان ذلك جاء نصر الله للرسل.

ونُقل عن عائشة رضي الله عنها أنها ردت هذا التفسير .

عن عبدالله بن أبي مليكة رضي الله عنه : «إن ابن عباس رضي الله عنهما قرأها: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قد كُذِبُوا﴾ مخففة، يقولوا : أخلفوا .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وكانوا بشرا، وتلا: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ البقرة:٢١٤.

قال ابن أبي مليكة : فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنهم يئسوا وضعفوا، فظنوا أنهم قد أخلفوا .

قال ابن أبي مليكة: وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت: ما وعد الله رسوله من شيء إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم، وكانت

١) الكشف ١٥/٢ حجة القراءات ص٣٦٧ البحر المحيط ٣٥٤/٥.

تقرؤها: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مثقلة للتكذيب»(١).

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أَكُذِّبُوا أم كُذِبُوا ؟.

قالت عائشة : كُذِّبُوا .

قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كَذَّبُوهم فما هو الظن ؟.

قالت : أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك .

فقلت : لها وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ؟ .

قالت : معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها .

قلت : فما هذه الآية ؟ .

قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم وجاءهم نصر الله عند ذلك»(٢).

قلت : زيَّف ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) رحمه الله هذا المعنى المنسوب إلى ابن عباس الذي ردته عائشة رضي الله عنها، ورده بالكلية وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه حيث قال بعد ذكره لهذا المعنى المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنه: «وقول غيره من أهل التأويل أولى - عندي - بالصواب، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل، إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ويشكوا في حقيقة خبره - مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسل إليهم -؛ فيعذروا في ذلك؛ إن المرسل إليهم

---

١) إسناده صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة البقرة باب ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ ...إلى﴿ قريب ﴾ تحت رقم (٤٥٢٤) مختصرا بنحوه، وأخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ٨٧،٨٦/١٣ واللفظ له، وأخرجه النسائي في تفسيره ٦٠٦/١-٦٠٧ تحت رقم (٢٧٦).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩٦/٤ إلى ابن المنذر والطبراني وأبوالشيخ وابن مردوية.

٢) إسناده صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة يوسف باب ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ تحت رقم (٤٦٩٥) والطبري في تفسيره (دارالفكر) ٨٧/١٣.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩٥/٥ الى أبي عبيد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردوية من طريق عروة.

لأولى في ذلك منهم بالعذر، وذلك قول ان قاله قائل لا يخفى أمره، وقد ذكر هذا أهل التأويل الذي ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة فأنكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا»اهـ(١).

ولم يرتض الخطابي (ت٣٨٨هـ) ظاهر هذا المعنى المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال: «أما الذي لايُشَك فيه منْ مَذْهَبه أنه لم يُجَوِّز على الرسل صلوات الله عليهم أن يكذبوا بالوحي الذي يأتيهم من قبل الله عزوجل، وأن يَشكّوا في صدق الخبر عنه أو يرتابوا، لكنه قد يحتمل أن يقال: إنهم عند تطاول مدة البلاء عليهم وابطاء نجز العدة عنهم وشدة مطالبة القوم اياهم بما كانوا يعدونهم من النصرة دخلتهم الريبة حتى توهموا أن الذي جاءهم من الوحي لعله كان حسبانا منهم ووهما فارتابوا بأنفسهم وظنوا عليها الغلط في تلقي ماورد عليهم من القول؛ فيكون معنى الكذب في هذا متأولا على الغلط ، كقول القائل لصاحبه: كذبتك نفسك، وكقولك: كذب سمعي، وكذب بصري وقد قال ﷺ للرجل الذي وصف له العسل: «صدق الله وكذب بطن أخيك»(٢) وقد كان نبينا ﷺ أول ما بديء بالوحي يرتاب بنفسه ويشفق أن يكون الذي يتراءاه أمرا غير موثوق به إلى أن ثبّت الله قلبه، وسكّن بذلك جأشه وشرح به صدره، فانزاح عنه الريب وخلفه اليقين، ومرجع الأمر في هذا الباب أن الذي عرض من الريبة إنما ينصرف إلى الوسائط التي هي مقدمات الوحي لا إلى نفس الوحي وأصله بعد حصول العلم به والله أعلم»اهـ(٣).

قلت : وهذا الاحتمال قال به الزمخشري (ت٥٣٨هـ) معلقا له على صحة ماورد عن ابن عباس فقال : «إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح»اهـ(٤).

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣/٨٦.

٢) حديث صحيح عن أبي سعيد .
أخرجه البخاري في كتاب الطب باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى:﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل:٦٩] حديث رقم (٥٦٨٤).

٣) أعلام الحديث ص١٨١٣-١٨١٤.

٤) الكشاف (دارالمعرفة) ٢/٢٧٨.

واستبعد هذا التفسير المنقول عن ابن عباس الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) حيث قال بعد حكايته:«إلا أنه بعيد؛ لأن المؤمن لايجوز أن يظن بالله الكذب بل يخرج بذلك عن الايمان فكيف يجوز مثله على الرسل؟.» اهـ(١).

قلت : الحقيقة إن هذا التفسير المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه فيه نسبة أمر لا تليق نسبته الى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، ويبعد صدوره بهذا المعنى عن ترجمان القرآن وحبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

والذي يظهر - والله أعلم - أن ابن عباس لم يرد هذا المعنى الذي فُهم من ظاهر كلامه؛ لأنه لم يأت عنه التصريح بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك، ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف بل الذي يُظن بابن عباس أنه أراد بقوله: «كانوا بشرا ... إلى آخر كلامه ؛ الذي يظن به أنه أراد من آمن من اتباع الرسل لا ذات الرسل، وقول الراوي عنه «ذهب بها هناك»(٢) أي: إلى السماء معناه: أن اتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع .

ويمكن أن يكون الضمير في: ﴿وَظَنُّوا﴾ عائد على المرسل إليهم وفي: ﴿ كُذِبُوا﴾ عائد على الرسل أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا .

أو الضمائر للرسل والمعنى: يئس الرسل من النصر وتوهموا أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بقرب النصر أو كذبهم رجاؤهم.

أو الضمائر كلها للمرسل إليهم أي: يئس الرسل من إيمان من أرسلوا إليه وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم في جميع ما أدعوه من النبوة والوعد بالنصر لمن أطاعهم والوعيد بالعذاب لمن لم يجبهم .

وإذا كان ذلك محتملا وجب تنزيه ابن عباس عن تجويزه ذلك على الرسل .

فإن قيل : على أي شيء يحمل إنكار عائشة ؟ .

فالجواب : يحمل إنكار عائشة على أنها فهمت المنقول عن ابن عباس على ظاهره(٣) والله أعلم .

ويؤكد أن ابن عباس لم يرد ظاهر النص المنقول عنه ما ثبت عنه أنه

---

١) تفسيرالرازي ٢٢٦/١٨.

٢) هذه اللفظه في رواية البخاري تحت رقم (٤٥٢٤) في كتاب التفسير سورة البقرة باب ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...﴾ ولفظها: عن أبي مليكة يقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حتى اسْتَيْأَسَ الرُّسُل وظنُّوا أنهم كُذِبُوا﴾ خفيفة ذهب بها هناك، وتلا ﴿حَتَّى يَقُول الرَّسُول والذِين آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نصْرُ الله، ألا إنّ نَصْرَ الله قَرِيب﴾ [البقرة:٢١٤].

٣) فتح الباري ٣٦٩/٨.

قرأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ خفيفة قال: إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسل كذبوهم»(١).

وثبت نحو هذا عن سعيد بن جبير(٢) وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه والله أعلم.

(٣) ظاهر الروايات أن عائشة رضي الله عنها أنكرت القراءة بالتخفيف بناء على أن الضمير للرسل، ويؤكد هذا رواية الإسماعيلي: «قلت (عروة): فهي مخففة ؟.

قالت : معاذ الله» اهـ(٣).

قلت : ولعلها رضي الله عنها لم تبلغها القراءة بالتخفيف ممن يرجع إليه في ذلك(٤) والله أعلم .

---

١) حديث حسن .

أخرجه النسائي في تفسيره ١/٦٠٧-٦٠٨ تحت رقم (٢٧٧) والطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٣/٨٤.

وعزاه السيوطي في الدرالمنثور٤/٥٩٦ إلى أبي عبيد وسعيد ابن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردوية.

وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/٣٦٩.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣/٨٤ وأنظر فتح الباري ٨/٣٦٩.

٣) فتح الباري ٨/٣٦٧.

٤) فتح الباري ٨/٣٦٨.

الموضع السادس عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ**﴾ النحل:٦٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ :

فقرأ نافع بكسر الراء مخففة : ﴿مُفْرِطُونَ﴾.

وقرأ أبوجعفر بكسر الراء مشددة :﴿مُفَرِّطُونَ﴾ .

وقرأ باقي العشرة بالفتح مع التخفيف : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن والأعمش(١).

معنى القراءات :

القراءة بسكون الفاء وتخيف الراء وفتحها في معناها قولان :

الأول : متركون قاله ابن عباس وقال ابن جبير: متركون منسيون، ونحوه قول مجاهد(٢).

الثاني : معجلون وهو قول ابن عباس ايضا والحسن(٣).

قال الزجاج (ت٣١١هـ) : «ومعنى الفرط في اللغة: التقدم،وقد فرط إلي منه قول ؛أي؛تقدم ، فمعنى ﴿مُفْرَطُونَ﴾ مقدمون إلى النار ... ومن فسر متروكون فهو كذلك أي : قد جعلوا مقدمين في العذاب أبدا متروكين فيه» اهـ(٤).

القراءة بسكون الفاء وتخفيف الراء وكسرها معناها: أفرطوا في معصية الله كما تقول: قد أفرط فلان في مكروهي أي: بالغ في الإساءة(٥).

القراءة بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها معناها: مضيعون أي: كانوا مضيعين في الدنيا(٦).

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «من قرأ ﴿مُفَرِّطُونَ﴾ فالمعنى: أنه وصف لهم بنهم فرطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة، وتصديق هذه القراءة قوله : ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:٥٦].» اهـ(٧).

حاصل القراءات :

أن للكافرين النار يعجل بادخالهم اليها ويتركون فيها، وذلك لأنهم بالغوا في معصية الله وضيعوا دينه في الدنيا.

---

١) المبسوط ص٢٢٥ النشر ٢/٣٠٤ الإتحاف ص٢٧٩.
٢) زاد المسير ٤/٤٦٠ معاني القرآن للنحاس ٤/٧٩.
٣) ماسبق.
٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٧-٢٠٨.
٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٨ معاني القرآن للنحاس ٤/٨٠.
٦) معاني القرآن للنحاس ٤/٨١.
٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٨.

الموضع السابع عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ النحل:١٢٦.

هكذا قرأها عامة القراء العشرة .

وقرأ ابن سيرين: "وإن عقبتم فعقبوا"(١).

معنى القراءتين :

قراءة العامة : ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا**﴾ معناها: إن صنع بكم صنع سؤ فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ويحتمل أن يكون ﴿**عاقبتم**﴾ بمعنى: أصبتم عقبى كقوله في سورة الممتحنة آية ١١ ﴿**وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم ...**﴾ بمعنى: غنمتم فيكون في الكلام تجنيس(٢).

قراءة ابن سيرين : "وإن عقبتم فعقبوا" معناها: إن تتبعتم فتتبعوا بقدر الحق الذي لكم ولا تزيدوا عليه(٣)، أي: إن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم(٤).

حاصل القراءتين :

بينت القراءة الشاذة أن المراد في معنى القراءة المتواترة أن العقوبة انما هي بعد أن يكون لكم العاقبة فتتبعوا بقدر الحق الذي لكم .

---

١) المحتسب ١٣/٢.
٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٥/٢.
٣) المحتسب ١٣/٢.
٤) البحر المحيط ٥٤٩/٥.

الموضع الثامن عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأوُا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا**﴾ الكهف:١٦.

هكذا قرأها عامة العشرة : ﴿**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله**﴾.

وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله»(١).

حاصل القراءتين :

بينت القراءة في مصحف ابن مسعود أن أصحاب الكهف اعتزلوا قومهم وما يعبدون من الآلهة سوى الله، وآووا إلى الكهف يطلبون رحمة الله عزوجل.

قال الطبري (٣١٠هـ) رحمه الله : «يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل بعض الفتية لبعض: وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة.

﴿**وما يعبدون إلا الله**﴾ يقول: وإذ اعتزلتم قومكم والذين يعبدون من الآلهة سوى الله.

و ﴿**ما**﴾ إذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفا لها على الهاء والميم التي في قوله: ﴿**وإذ اعتزلتموهم**﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ... ثم ساق بسنده عن قتادة: ﴿**وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله**﴾ وهي في مصحف عبدالله: «ومايعبدون من دون الله» هذا تفسيرها»(٢).»اهـ(٣).

---

١) الدر المنثور ٣١٧/٥ وتخريجها هو التالي :

٢) إسناد صحيح إلى قتادة

أخرجه الطبري في تفسيره (بولاق) ١٣٨/١٥.

عزاه السيوطي في الدر المنثور٣١٧/٥ إلى ابن أبي حاتم، وانظر ماسبق ص٣١٣.

٣) تفسير الطبري (بولاق) ١٣٨/١٥.

الموضع التاسع عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ الشعراء:١٤٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ :

فقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بألف بعد الفاء: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بغير ألف : ﴿فَرِهِينَ﴾ ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن(١).

معنى القراءات :

القراءة بالألف ﴿فَٰرِهِينَ﴾ من الفراهة والحذق في العمل أي: حاذقين، فارهين.

القراءة بغير ألف: ﴿فَرِهِينَ﴾ أي: أشرين بطرين(٢).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءات أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا والحال أنهم حاذقون لها متكبرون في صنعها.

---

١) المبسوط ص٢٧٥ النشر ٣٣٦/٢ الإتحاف ص٣٣٣.

٢) معاني القرآن واعرابه ٩٦/٤ إعراب القراءات السبع ١٣٧/٢.

الموضع العشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَالَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ سبأ:١٤.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ :

فقرأ يعقوب : ﴿فَلَمَّا خَرَّ تُبُيِّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ بضم التاء والباء وكسر الياء على البناء للمفعول والنائب الجن.

وقرأ روح عن يعقوب من طريق أبي علي الضرير وغيرهما عن روح عنه، وقرأ باقي العشرة: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ بفتح التاء والباء والياء على البناء للفاعل(١).

وقرأ ابن شنبوذ(٢) وهي قراءة ابن عباس(٣) وغيره: «فلما خرتبيينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولا في العذاب المهين»

معنى القراءات :

قراءة الجمهور : ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ مبنيا للفاعل تحتمل في معناها وجهين :

الأول: أن تكون من «تبين» بمعنى:«بان» أي: ظهرت الجن، والجن فاعل، و «أن» وما بعدها بدل من الجن كما تقول: تبين زيد جهله أي: ظهر جهل زيد، فالمعنى ظهر للناس جهل الجن علم الغيب، وأن ما ادعوه من ذلك ليس بصحيح.

الثاني: أن تكون من «تبين» بمعنى:«علم وأدرك» والجن هنا خدم الجن وضعفتهم، والمعنى:علم وأدرك خدم الجن وضعفتهم أن لو كانوا، أي: لوكان رؤساؤهم وكبراؤهم يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين(٤).

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : «﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر وانجلى، و ﴿أَن﴾ مع صلتها بدل اشتمال كقولك: تبين زيد جهله، والظهور له في المعنى أي: ظهر أن الجن ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَالَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ﴾ أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في إدعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك

---

١) المبسوط ص٣٠٤ النشر٢/٣٥٠ الإتحاف ص٣٥٨.
٢) غاية النهاية ٢/٥٥.
٣) الدر المنثور ٦/٦٨٣.
٤) البحرالمحيط ٧/٢٦٦.

بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبينت أنك مبطل ؟، وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبينا»اهـ(١).

قراءة يعقوب ﴿تُبُيِّنَتِ﴾ مبنيا للمفعول، معناها: عرفت الجن وأكتشف أمرها وأنها لا تعلم الغيب.

والقراءة الشاذة بمعنى قراءة يعقوب غير أنها صرحت بالفاعل وأنه الإنسان.

حاصل القراءات :

بينت قراءة يعقوب والقراءة الشاذة أن المعنى المراد في القراءة المتواترة هو الوجه الأول من المعنيين الذين تحتملهما.

ويلاحظ مايلي :

(١) القراءة بضم التاء والباء وكسر الياء على البناء للمفعول نسبها في «النشر»(٢) إلى يعقوب من رواية رويس فقط، وأفاد ابن مهران(٣) (ت٣٨١هـ) أن هناك طرقا لرواية روح كذلك مثل رواية رويس، وعليه فإن لروح رواية مثل رواية رويس في هذه الآية من غير طرق «النشر» والله أعلم.

(٢) قال أبوحيان : «وعن ابن عباس وابن مسعود وأبي وعلي بن الحسن والضحاك قراءة في هذا الموضع مخالفة لسواد المصحف ولما روي عنهم ذكرها المفسرون، واضرب عن ذكرها صفحا على عادتنا في ترك نقل الشاذ الذي يخالف للسواد مخالفة كثيرة»اهـ(٤).

قلت : يشير رحمه الله إلى هذه القراءة الشاذة التي أوردتها عن ابن عباس وغيره.

---

١) الكشاف ٣/٢٥٤.
٢) ٢/٣٥٠.
٣) المبسوط ص٣٠٤.
٤) البحر المحيط ٧/٢٦٨.

الموضع الحادي والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا. وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ سبأ:١٩.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو و هشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع اسكان الدال : ﴿رَبَّنَا بَعِّدْ﴾ ووافقهم ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ يعقوب برفع الباء من ﴿رَبُّنَا﴾ وفتح العين والدال وألف قبل العين من ﴿بَاعَدَ﴾.

وقرأ الباقون بنصب الباء وكسر العين وبألف قبل العين وبتخفيف العين : ﴿ربنا بَاعِدِ﴾(١).

معنى القراءات :

القراءة بنصب : ﴿رَبَّنَا﴾ وكسر العين وتشديدها وبدون ألف ﴿بَعِّدْ﴾ أي: يارب بعد بين أسفارنا، فهي نداء منهم لله يطلبون فيه المباعدة بين أسفارهم، على وجه الجرأة والبطر(٢).

القراءة بضم ﴿رَبُّنَا﴾ وفتح العين المخففة وبالألف قبلها﴿بَاعَدَ﴾ أي: إخبار منهم عن مباعدة الله بين أسفارهم؛ فهي إخبار منهم أن الله استجاب دعاءهم، على وجه الشكوى إفراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم(٣).

القراءة بنصب الباء﴿رَبَّنا﴾وكسر العين وبألف قبلها ﴿بَاعِدْ﴾ أي: يارب بعد بين أسفارنا، فهي نداء كالأولى(٤).

حاصل القراءات :

أن هؤلاء سألوا الله وطلبوه أن يباعد بين اسفارهم فأخبر الله أنه استجاب لهم، وأنهم صاروا يخبرون بذلك ويتشكون .

قال أبوجعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) مبينا حاصل القراءات في الآية: «خبر

---

١) الغاية ص٢٤٢ النشر٢/٣٥٠ الإتحاف ص٢٥٩.
قال أبوجعفر النحاس: «وقرأ يحي بن يعمر وعيسى بن عمر وتروى عن ابن عباس:«ربنا بعد» وقرأ سعيد بن ابي الحسن البصري أخو الحسن: «فقالوا ربنا بعد» (بفتح الباء وضم العين المخففة).»اهـ. إعراب القرآن للنحاس ٣٤٢/٣ وانظر المحتسب ١٨٩/٢، وهذه القراءات راجعة في المعنى إلى القراءات المتواترة.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ٨٥/٢٢ إعراب القرآن للنحاس٣٤٢/٣ تفسير القرطبي ٢٩٠/١٤.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر)٨٥/٢٢ المهذب ١٥٣/٢ المغني ١٦٣/٣.

٤) ماسبق، القلائد ص١٢٠.

عنهم أنهم دعوا أن يباعد بين أسفارهم بطرا وأشرا، وخبر أنهم لما فعل بهم ذلك خبروا به وشكوا كما قال ابن عباس» اهـ(١).

قلت : يشير رحمه الله إلى القراءة المروية عن ابن عباس : «رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»(٢) وقد فسرها ابن عباس بقوله: «شكوا أن ربهم باعد بين أسفارهم» اهـ(٣).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن القراءات مع اختلاف لفظها ومعناها لم تتناقض ولم تتضاد فكل قراءة حق، واختلافها من باب التنوع ولله الحمد(٤).

(٢) قال أبوجعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) : «وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال احداها أجود من الأخرى؛ لا يقال ذلك في الأخبار إذا اختلفت معانيها اهـ(٥).

قلت : وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه إذ الجميع (أعني:القراءات الصحيحة) كلام الله، وكلها قرآن، وقد يشتد القلم ببعضهم فيفاضل بين القراءات فيوشك أن يلغي واحدة منها،وإن لم يصرح بذلك(٦) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) قال سيبويه: «إن فاعل وفعل يجيئان بمعنى، كقولهم: ضاعف وضعف، وقارب وقرب، واللفظان جميعا على معنى الطلب والدعاء ولفظهما الأمر» اهـ(٧).

قلت : جاءت قراءتان ﴿بَاعِدْ﴾ و ﴿بَعِّدْ﴾ وقراءة واحدة فقط ﴿بَاعَدَ﴾ وذلك في المتواتر من القراءات، ولا يخفى في أن مجيء قراءتين على معنى واحد فيه إشارة إلى المبالغة والتأكيد.

وفي القراءتين معنى النداء تأكيدا على حصول الإلحاح منهم في الدعاء بذلك على وجه الجرأة والإنكار لنعمة الله عليهم.

---

١) اعراب القرآن ٣٤٣/٣.
٢) ماسبق ، البحر المحيط ٢٧٢/٧.
٣) اعراب القرآن ٣٤٢/٣.
٤) أنظر مجموع الفتاوى ٣٩١/١٣.
٥) اعراب القرآن ٣٤٣/٣.
٦) كما حصل من ابن جرير الطبري رحمه الله، وقد صنفت في الرد عليه مصنفات منها كتاب: «القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه» لمحمد عارف عثمان الهرري، ورسالة: «دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر» للبيب السعيد.
٧) بواسطة حجة القراءات ص٥٨٨.

الموضع الثاني والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ . وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ . وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ . لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ الإنشقاق: ١٦-١٩.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ :

فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف : ﴿لتركبَنَّ﴾ بفتح الباء ووافقهم ابن محيصن والأعمش .

وقرأ الباقون : ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ بضم الباء ووافقهم الحسن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بضم الباء خطاب لسائر الناس(٢).

القراءة بفتح الباء فيها قولان :

الأول : أنه خطاب للرسول ﷺ أي: لتركبن يامحمد طبقا بعد طبق .

الثاني : أنه خبر عن السماء أي لتركبن السماء طبقا بعد طبق(٣).

حاصل القراءات :

جميع هذه المعاني التي تدل عليها الآية بالقراءات لا تمانع بينها فالله يخاطب الناس بأنهم سيركبون طبقا عن طبق، كما يخاطب رسوله بأنه سيركب طبقا عن طبق ، ويخبر سبحانه عن السماء أنها ستركب طبقا عن طبق .

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) قوله : ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ يتنوع المراد منه بحسب الخطاب وأصل مادة [ط. ب. ق] تدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، ومن ذلك الطبق، تقول أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طبق للثاني، وقد تطابقا(٤) وقيل للحال المطابقة لغيرها طبق(٥).

ويحتمل المراد في قوله: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ على القراءة بضم

---

١) إرشاد المبتدي ص٦٢٧ النشر ٣٩٩/٢ الإتحاف ص٤٣٦.
وقرأ ابن مسعود وأبو الجوزاء وأبو الأشهب: «ليركبن» بالياء وفتح الباء على ذكر الغائب، وقرأ أبوالمتوكل وأبوعمران وابن يعمر: «ليركبن» بالياء وضم الباء.
أنظر زاد المسير ٦٧/٩ البحر المحيط ٤٤٧/٨.
وهي في المعنى راجعة إلى القراءات المتواترة السابقة.
٢) الكشف ٣٦٨/٢ حجة القراءات ص٧٥٧ زاد المسير ٦٧/٩.
٣) الكشف ٣٦٧/٢ حجة القراءات ص٧٥٦ زاد المسير ٦٧/٩.
٤) معجم مقاييس اللغة ٤٣٩/٣.
٥) تفسير الرازي ١٠٩/٣١.

الباء في ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ على أنها خطاب للجمع الأوجه التالية(١) :

الأول : لتركبن أيها الانسان أمورا وأحوالا أمرا بعد أمر، وحالا بعد حال، ومنزلا بعد منزل إلى أن يستقر الأمر على مايقضى به على الإنسان من جنة أو نار.

الثاني : أن معنى الآية لتركبن أيها الانسان يوم القيامة أحوالا وشدائد حالا بعد حال، وشدة بعد شدة، كأنهم لما أنكروا البعث أقسم الله أن البعث كائن، وأن الناس يلقون فيها الشدائد إلى أن يفرغ من حسابهم فيصير كل أحد إلى ما أعد له من جنة أو نار.

الثالث : أن يكون المعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال يوم القيامة عما كنتم عليه في الدنيا، فمن وضيع في الدنيا يصير رفيعا في الآخرة، ومن رفيع يتضع ومن متنعم يشقى، ومن شقي يتنعم؛ فالآية كقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ الواقعة:٣ .

الرابع : أن يكون المعنى لتركبن أيها الناس سنة الأولين ممن كان قبلكم.

ويحتمل المراد في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ على القراءة بفتح الباء في ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ قولان :

الأول : أنه خطاب للرسول ﷺ أي: لتركبن يامحمد حالا بعد حال، يذكر حالات النبي ﷺ من يوم أوحي اليه إلى يوم قبضه الله عزوجل .

أو أن يكون ذلك بشارة للرسول ﷺ أي: لتركبن يامحمد سماء بعد سماء، يعني: في المعراج.

الثاني : أن الآية خبر عن السماء وتغيرها من حال إلى حال تكون منشقة ثم منفطرة ثم تصير وردة كالدهان، وتارة كالمهل على ماذكر الله تبارك وتعالى في القرآن العظيم(٢).

---

١) تفسير الرازي ماسبق ٣١/١٠٩-١١٠.

٢) حجة القراءات ص٧٥٦-٧٥٧ تفسير الرازي ٣١/١١٠.

الفصل الثاني : في القراءات التي وسّعت معنى الآية.

يتضمن هذا الفصل الآيات التي وردت فيها قراءات وسعت معناها وأفادت الآية بها أكثر من معنى.

وقد سقتها حسب ورودها في ترتيب المصحف الشريف ، وعددها في هذا الفصل ثمانية و تسعون موضعا وهي كالتالي :

اعتبار أن لكل قراءة معنى خاصاً بها؛ ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد غيرها بالتخفيف وهذا هو الراجح الواضح.

لكن يحتمل أن يكون المشدد في معنى المخفف على جهة المبالغة كما قالوا في صدق وصدق، وفي بان الشيء بين، وفي قلص الثوب قلص(١).

وهذا الاحتمال الثاني رجحه الطبري(٢) وصوبه، وأورده أبوحيان(٣) (٧٥٤هـ) والألوسي(٤) (ت١٢٧٠هـ) احتمالا.

قلت : و ما قدمته هو الظاهر - إن شاء الله - اذ لا مانع منه، والتأسيس أولى من التأكيد ، ولأن تكثير المعاني أولى من مجرد تغير اللفظ مع اتحاد المعنى إلا إذا أقتضت ذلك ضرورة ما، والله تعالى أعلم .

---

١) البحر المحيط ١/٦٠.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١/١٢٣-١٢٤.

٣) البحر المحيط ١/٦٠.

٤) روح المعاني ١/١٥٠.

الموضع الأول :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة:١٠.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿يَكْذِبُونَ﴾ :

فقرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمرو وابن كثير وابن عامر ويعقوب : ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال ووافقهم ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ووافقهم الحسن والأعمش(١).

معنى القراءات :

القراءة بالتشديد معناها: أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب تكذيبهم للرسول ﷺ(٢).

القراءة بالتخفيف معناها: أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب اظهارهم الاسلام والايمان وهم كافرون في باطنهم، فهم كاذبون في قولهم:﴿آمَنَّا بِاللَّه وبِالْيَوم الآخِرِ﴾(٣).

حاصل القراءات :

أن المنافقين سيعذبون العذاب الأليم بسبب كذبهم وتكذيبهم ففي القراءتين تنوع في المعنى لشمول جميع أحوالهم تكذيبهم وكذبهم .

قال أبومحمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) : «والقراءتان متداخلتان ترجع إلى معنى واحد؛ لأن من كذب رسالة الرسل وحجة النبوة فهو كاذب على الله ومن كذب على الله وجحد تنزيله فهو مكذب بما أنزل الله» اهـ(٤).

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله : «في ﴿يَكْذِبُونَ﴾ قراءتان مشهورتان؛ فانهم كَذَبُوا في قولهم : ﴿آمَنَّا بِاللهِ وبِاليوم الآخر﴾ وكَذَّبُوا الرَّسُولَ في الباطن وإن صَدَّقُوه في الظاهر» اهـ(٥).

وتلاحظ الأمور التالية :

ما سبق من بيان أثر القراءات في بيان مراد الله من الآية على

---

١) المبسوط ص١١٥ النشر ٢٠٧/٢ الإتحاف ص١٢٩ .
٢) الكشف ٢٢٨/١ حجة القراءات ص٨٩ .
٣) ماسبق وتفسير القرطبي ١٩٨/١ .
٤) الكشف ٢٢٩/١ .
٥) مجموع الفتاوي ١٨٢/٧ .

الموضع الثاني :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة:٨٨.

هكذا قرأ عامة العشرة : ﴿غُلْفٌ﴾ بتسكين اللام.

وقرأ ابن عباس والأعرج وابن هرمز وابن محيصن : «غلف» بضم اللام وهي مروية عن أبي عمرو(١).

عن ابن عباس : « أنه كان يقرأ: «قلوبنا غلف» مثقلة أوعية للحكمة، كيف تتعلم، وإنما قلوبنا غلف للحكمة أي: أوعية للحكمة»(٢).

معنى القراءات :

قراءة العامة: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: قلوبهم مستورة عن الفهم والتمييز(٣).

قراءة ابن عباس والآخرين: «غلف» بضم اللام جمع غلاف مثل خُمْر جمع خمار والمعنى يحتمل الوجوه التالية :

الأول : أنها أوعية للعلم أقاموا العلم مقام شيء مجسد وجعلوا الموانع التي تمنعهم غلفا له، ليستدل بالمحسوس على المعقول .

الثاني : أنها أوعية للعلم، تعي ما تخاطب به لكنها لا تفقه ما تحدث به؛ فلو كان ما تقوله حقا لوعته قلوبنا، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

الثالث : أنها أوعية مملوءة علما من دينهم وشريعتهم واعتقادهم أن دوام ملتهم إلى يوم القيامة، وهي لصلابتها وقوتها تمنع أن يصل إليها غير ما فيها كالغلاف الذي يصون المغلف أن يصل إليه ما بغيره، أو لا حاجة لها إلى علمك.

الرابع : أنها أوعية خالية، كالغلاف الخالي لا شيء فيه(٤).

حاصل القراءات :

بينت القراءة المتواترة أن يهود يقولون : قلوبنا لا تفهم ولا تميز، وهم أبناء بني اسرائيل الذين كانوا بحضرة رسول الله ﷺ، قالوا ذلك بهتا

---

١) زاد المسير ١/١١٣ تفسير القرطبي ٢/٢٥ البحر المحيط ١/٣٠١ الإتحاف ص١٤١.

٢) قال في مجمع الزوائد ٧/١٥٤ : «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك.»اهـ

قلت : قال في التقريب ص٢٥٠ : «سليمان بن أرقم البصري أبومعاذ ضعيف من السابعة»اهـ.

٣) تفسيرالقرطبي ٢/٢٥ البحرالمحيط ١/٣٠١.

٤) ما سبق و القراءات الشاذة وتوجيهها ص٣١.

ودفعا لمًا قامت عليهم الحجج وظهرت لهم البينات، وأعجزتهم المعجزات عن مدافعة الحق؛ نزلوا عن رتبة الإنسانية الى رتبة البهيمية ففيها بيان لذمهم أنفسهم بما ليس فيهم دفعالقبول الحق.

وبينت القراءة الآحادية ما يتذرعون به من الحجج في عدم قبولهم لدعوة الرسول ﷺ، ففيها بيان لحال قلوبهم(١).

---

١) تفسير القرطبي ٢٥/٢ البحر المحيط ٣٠١/١ القراءات الشاذة وتوجيهها ص٣١.

الموضع الثالث :

قول الله تبارك : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ البقرة:١٦٥.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿ولو يرى الذين﴾ :

فقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء : ﴿ولو تَرَى ٱلَّذِينَ﴾ .

وروى ابن شبيب عن الفضل من طريق النهرواني عن ابن وردان عن أبي جعفر بالخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ﴾ بالياء(١).

معنى القراءات :

القراءة على الخطاب، أي: أن االله عزوجل يخاطب الرسول ﷺ وخطاب الله لرسوله ﷺ خطاب للخلق كافة لأنه ﷺ الله إليهم .

ويحتمل هذا الخطاب تقديرات كما يلي :

الأول : لو ترى يامحمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لأقروا أن القوة لله تعالى.

الثاني : ولو ترى يامحمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعا، وقد كان الرسول ﷺ يعلم ذلك ولكن خوطب به باعتبار عين اليقين، أي: العلم الحاصل عن الرؤية المباشرة وهو أوقع من العلم النظري، و أمته عليه الصلاو والسلام مرادة بهذا .

الثالث : قل يامحمد للظالم هذا .

الرابع : ولو ترى يامحمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب؛ لأن القوة لله لعلمت مبلغهم من النكال وما حل بهم (٢).

القراءة على الغيب، أي: لو يرى الذين يتخذون شركاء مع الله تعالى؛ العذاب الذي أعده الله لهم في الآخرة لأيقنوا أن القوة لله وحده وأنه شديد العذاب وأن الأنداد والشركاء لا حول لهم ولا قوة، ولم يغنوا عنهم من عذاب الله شيئا(٣).

---

١) المبسوط ص١٢٤ ولم يحك خلافا عن أبي جعفر وذلك على حسب الطرق والروايات التي يسوق عنها قراءة أبي جعفر، النشر ١/ ٢٢٤ وحكى الخلاف عن أبي جعفر.

٢) تفسير القرطبي ٢/ ٢٠٥ البحر المحيط ١/ ٤٧١-٤٧٢.

٣) تفسير القرطبي ٢/ ٢٠٤-٢٠٥ المغني في توجيه القراءات ١/ ٢١٠.

حاصل القراءات :

لا منافاة بين جميع المعاني السابقة، لكن يلاحظ أن الاحتمال الأول والثالث في معنى القراءة بالخطاب يتفق في المعنى مع القراءة بالياء : ﴿ولو يرى﴾[1]، ولا مانع من ارادة الاحتمالات الأخرى في معنى القراءة بالخطاب.

ويلاحظ مايلي :

أن تقدير جواب «لو» في الآية مبني على تنوع القراءات في قوله تعالى في الآية السابقة : ﴿ولو يرى الذين ظلموا ... أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾ البقرة:١٦٥.

فقرأ أبوجعفر ويعقوب : ﴿إن القوة لله جميعا وإن الله شديد العذاب﴾ بكسر الهمزة فيهما على تقدير أن «إن» ومابعدها جواب «لو» أي: لقلت: إن القوة لله جميعا ... الخ على قراءة الخطاب ﴿ولو ترى﴾.

أو لقالوا: إن القوة لله جميعا ... الخ على قراءة الغيب : ﴿ولو يرى﴾.

ويحتمل أن يكون على الاستئناف على أن جواب «لو» محذوف والتقدير: لرأيت أو لرأوا أمرا عظيما.

وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة فيهما : ﴿أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾ وتقدير الجواب: لعلمت أن القوة لله جميعا ... الخ على قراءة الخطاب، أو لعلموا أن القوة لله جميعا على قراءة الغيب[2].

---

١) الكشف ٢٧٢/١.

٢) الإتحاف ص١٥١ المغني في توجيه القراءات ٢١٣/١ وانظر البحرالمحيط ٤٧١/١-٤٧٢ فقد ذكر أوجها أخرى أشرت إليها في معنى القراءات في هذه الآية.

الموضع الرابع :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:١٨٣-١٨٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة : ﴿يُطِيقُونَهُ﴾.

وقرأ عبدالله بن عباس في المشهور عنه : «يطوقونه» مبنيا للمفعول من طوق على وزن «قطع»(١).

وقرأت عائشة ومجاهد وطاووس وعمرو بن دينار: «يطوقونه» من «أطوق» وأصله تطوق، يتطوقونه، ثم أدغمت التاء في الطاء(٢).

وقرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد: «يطيقونه».

وقرأ ابن عباس أيضا : «يطيقونه».

معنى القراءات :

القراءة المتواترة معناها: أن القادر على الصوم له أن يترك الصوم إلى الفدية ولا يلزمه القضاء وهي على هذا منسوخة(٤).

القراءات الشاذة معناها: أن الذي يتكلف ويتجشم الصوم ويكون له كالطوق في عنقه؛ له أن يترك الصوم إلى الفدية ولا يلزمه القضاء، وهي على الشيخ الكبير الهرم، والعجوز الكبيرة الهرمة، والمرضع والحامل، على خلاف في وجوب القضاء عليهما مع الفدية(٥).

حاصل القراءات :

دلت الآية بالقراءات الواردة فيها على حكمين :

أحدهما: أن القادر على الصوم له أن يترك الصوم إلى الفدية ولا

---

١) وزاد ابن جني في المحتسب ١١٨/١ نسبتها إلى سعيد بن المسيب وطاوس وابن جبير ومجاهد وعكرمة وأيوب السختياني.

٢) قال ابن جني في المحتسب ١١٨/١ عن هذه القراءة : «رويت عن ابن عباس وعن عكرمة»اهـ.

٣) زادالمسير ١٨٦/١ نواسخ القرآن ص٦٥-٧٠ البحرالمحيط ٣٥/٢-٣٧.

٤) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٤٩-١٥٤ الكشاف ١١٣/١ تفسير القرطبي٢٨٧/٢-٢٨٩.

يلزمه القضاء، وهذا على قراءة: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ وهذا الحكم منسوخ.

الثاني: أن الذي يتكلف ويتجشم الصوم ويكون الصوم كالطوق في عنقه فيجد فيه مشقة؛ له أن يترك الصوم إلى الفدية و لايلزمه القضاء، وهذا الحكم للشيخ الهرم والعجوز الهرمة والحامل والمرضع على خلاف في وجوب القضاء أو الفدية على الحامل والمرضع، وهذا على قراءة: «يطوقونه» و «يطوقونه» و «يطيقونه» و «يطيقونه»، وهو حكم محكم غير منسوخ.

وتلاحظ الأمور التالية:

(١) قال القرطبي (ت٦٧١هـ) عن قراءة: «يطوقونه»: «ليست من القرآن خلافا لمن أثبتها قرآنا، وإنما هي قراءة على التفسير» اهـ(١).

قلت: لم يرتض أبوحيان (ت٧٥٤هـ) رحمه الله ذلك فقال: «قال بعض الناس: هو تفسير لا قراءة خلافا لمن أثبتها قراءة.

والذي قاله الناس خلاف مقالة هذا القائل وأوردها قراءة» اهـ(٢).

قلت: أوردها ابن جني (ت٣٩٢هـ) في كتابه «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها»(٣)، وعلى كل حال فاحتمال أنها قراءة تفسيرية وارد، واحتمال أنها قراءة من غير الحرف الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه الناس عليه وارد أيضا وفي الحالين يستفاد منها في التفسير والله أعلم.

(٢) اختلفت الآثار الواردة عن ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية فتارة يفسرها بمعنى ويحكم بنسخها، وتارة يفسرها بمعنى آخر و لايحكم بنسخها، وليس هذا تناقضا منه رضي الله عنه؛ لأن مراده بالنسخ هنا التخصيص حيث كان السلف يطلقون كلمة «نسخ» على رفع الحكم بالكلية وعلى رفع بعض الحكم سواء بالتخصيص أم بالتقييد، بل يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد، فكل مابين المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه فهو نسخ عندهم(٤).

فقول ابن عباس رضي الله عنه: «رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة في ذلك وهما يطيقان الصوم أن يفطرا إن شاءا، ويطعما عن كل يوم مسكينا

---

١) تفسير القرطبي ٢/٢٨٧.
٢) البحرالمحيط ٢/٣٥.
٣) ١/١١٨.
٤) نبه على ذلك القرطبي في تفسيره ٢/٢٨٨-٢٨٩ وابن القيم في اعلام الموقعين ١/٣٥-٣٦ والشاطبي في الموافقات ٣/١٠٨.

ولا قضاء عليهما ، ثم نسخ ذلك في هذه الآية : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] وثبت للشيخ الكبير والعجوز إذا كانا لا يطيقان الصوم، والحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا كل يوم مسكينا»(١).

هذا القول من ابن عباس لا يعارض ماجاء عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ: «وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين».

قال:ابن عباس : «ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكينا» (٢).

لأن قوله : «ليست بمنسوخة» يفسره قوله : «ثم نسخ ذلك في هذه الآية : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة:١٨٥] وثبت للشيخ الكبير والعجوز اذا كانا لا يطيقان الصوم ، والحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا كل يوم مسكينا»؛ فمراده من قوله: «ليست بمنسوخة» أي: حكم الآية لم يرفع بالكلية، ومراده من قوله : «ثم نسخ» أي: خصص بعض أفراد الحكم، وثبت الحكم في حق من ذكره(٣).

وبهذا يتفق كلام ابن عباس رضي الله عنه والصحابة رضوان الله عليهم.

قال ابن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد ﷺ: «نزل رمضان فشق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه، ورخص لهم في ذلك، فسختها : ﴿وان تصوموا خير لكم﴾ [البقرة:١٨٤] فأمروا بالصوم»(٤).

عن سلمة بن الأكوع قال: «لما نزلت : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسخت»(٥).

---

١) إسناده صحيح .

أخرجه أبوداود في كتاب الصوم باب من قال: هي مثبتة للشيخ والحبلى حديث رقم (٢٣١٨) والطبري في تفسيره (شاكر) ٤٢٥/٣ حديث رقم (٢٧٥٢،٢٧٥٣) وابن الجارود تحت رقم (٣٨١).

وانظر ارواء الغليل ١٨/٤.

٢) أثر صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿أياما معدودات ...﴾ تحت رقم (٤٥٠٥).

٣) تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة ٧٣/١.

٤) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ تعليقا .

٥) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿من شهد منكم الشهر فليصمه﴾ حديث

قلت : ومما يؤكد اتفاق الجميع على أن حكم الآية لم ينسخ بالكلية كما أشار إليه حبر الأمة عبد الله بن عباس؛ ما جاء عن ابن أبي ليلى(١) عن معاذ بن جبل قال: « أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصوم ثلاثة أحوال ... ... فذكر أحوال الصلاة ثم قال : «وأما أحوال الصيام؛ فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام يوم عاشوراء .

ثم ان الله عزوجل فرض عليه الصيام فأنزل الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣] إلى هذه الآية: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [البقرة:١٨٤] قال: فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه .

قال : ثم ان الله عزوجل أنزل الآية الأخرى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥] إلى قوله : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] قال: فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان ... »الحديث(٢).

قلت : قوله: «فهذان حولان» أي: حولان بعد الأول وهو صيام ثلاثة أيام وعاشوراء فتصير ثلاثة أحوال، فهذا الحديث صريح في أن الآية منسوخة بالنسبة للذي يطيق الصيام، غير منسوخة بالنسبة للذي يشق عليه الصيام أي أن الآية مخصوصة .

وعليه فإنَّ حكم هذه الآية باق في حق الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة

= رقم (٤٥٠٧) ومسلم في كتاب الصيام باب بيان نسخ قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة:١٨٤].
وانظر جامع الأصول ٢/٢٣.

١) ابن أبي ليلى لم يسمع من معاذ كما قال ابن المديني ونقله في تهذيب التهذيب ٦/٢٦٢ ولم يتعقبه، لكن نبه الحافظ الزيلعي في نصب الراية ١/٢٦٧ إلى مجيء الحديث من طريق آخر عن ابن أبي ليلى : قال حدثنا أصحابنا : - يريد صحابة رسول الله ﷺ - فهو متصل، يشهد لحديثه عن معاذ والله أعلم.

٢) حديث صحيح لغيره .
أخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب بدء الأذان تحت رقم (٥٠٦،٥٠٧) وأخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ماجاء أن الاقامة مثنى مثنى، وأخرجه أحمد في المسند ٥/٢٤٦-٢٤٧ واللفظ له وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٧٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/٢٠٠.
وانظر نصب الراية ١/٢٦٦-٢٦٧ إرواء الغليل ٤/٢٠-٢١ جامع الأصول ٥/٢٧١-٢٧٦.

الذين يشق عليهما الصيام ، وكذا في حق الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما.

وهذا الحكم الذي ذكره ابن عباس في الآية لا مخالف له فيه من الصحابة(١)، بل نقل عنهم ما يوافقه :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : «إذا خافت الحامل على نفسها والمرضع على ولدها في رمضان قال يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينا ولا يقضيان صوما»(٢).

وعنه أيضا أنه رأى أم ولد له حاملا أو مرضعا فقال: «أنت بمنزلة الذي لا يطيقه عليك أن تطعمي مكان كل يوم مسكينا و لا قضاء عليك»(٣).

وسئل ابن عمر عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال: «تفطر وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة»(٤).

وعنه أيضا قال : «الحامل والمرضع تفطر و لا تقضي»(٥).

وسألت امرأة ابن عمر وهي حبلى فقال: «افطري واطعمي عن كل يوم مسكينا و لا تقضي»(٦).

عن سعيد بن المسيب قال في قول الله تبارك وتعالى : ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] قال: «هو الكبير الذي كان يصوم فكبر وعجز عنه، وهي الحامل التي ليس عليها الصيام فعلى كل واحد منهما طعام مسكين مد حنطة

---

١) ذكر ابن قدامة في كتابه: «المغني في الفقه» ١٤٠/٣ قول ابن عباس وابن عمر المذكورين هنا ، وعقب عليهما بقوله: «ولا مخالف لهما في الصحابة»اهـ.

٢) إسناده صحيح .
أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٣٦/٢.

٣) إسناده صحيح.
أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٣٦/٢ والدارقطني في سننه ٢٠٦/٢ وقال: «إسناد صحيح»اهـ.

٤) إسناده صحيح .
أخرجه الشافعي في المسند (ترتيب السندي) ٢٧٨/١ والبيهقي في سننه الكبرى ٢٣٠/٤.

٥) إسناده حسن .
أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٣٦/٢ مقتصرا على السند، والدارقطني في سننه ٢٠٧/٢ وصححه.

٦) إسناده حسن .
أخرجه الدارقطني في سننه ٢٠٧/٢.

لكل يوم حتى يمضي رمضان»(١).

عن أنس بن مالك أنه أفطر في رمضان وكان قد كبر فأطعم مسكينا كل يوم(٢).

وهذا الحكم المستفاد من الآية وضع الصوم عن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما جاء صريحا في حديث مرفوع عن أنس بن مالك الكعبي قال: «غارت علينا خيل رسول الله ﷺ فأتيت رسول الله ﷺ فوجدته يتغدى فقال: أدن فكل. فقلت: إني صائم. فقال: ادن أحدثك عن الصوم - أو الصيام - إن الله تبارك وتعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصوم - أو الصيام - والله لقد قالهما النبي ﷺ كليهما أو أحدهما فيالهف نفسي ألا أكون طعمت طعام النبي ﷺ»(٣).

قلت: وقال الترمذي معقبا على هذا الحديث: «والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، وقال بعض أهل العلم: الحامل والمرضع يفطران ويقضيان ويطعمان وبه يقول سفيان ومالك والشافعي وأحمد.

وقال بعضهم: يفطران ويطعمان ولا قضاء عليهما وإن شاءتا قضتا ولا اطعام عليهما وبه يقول إسحاق» اهـ(٤).

فإن قيل: هذا الحكم الذي أشار إليه ابن عباس والصحابة رضوان

---

١) إسناده حسن.
تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣٧/٢.

٢) إسناده صحيح.
علقه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿**أياما معدودات**..﴾ بنحوه، وعزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٨٠/٨ وتغليق التعليق ١٧٧/٤-١٧٨ إلى عبد بن حميد وفوائد محمد ابن هشام الملاس.
قلت: وأخرجه الدارقطني ٢٠٧/٢-٢٠٨ وسنده صحيح كما قال صاحبا كتاب «صفة صوم النبي ﷺ» ص٦٠.

٣) حديث حسن.
أخرجه الترمذي في كتاب الصوم باب الرخصة في الافطار للحبلى والمرضع حديث رقم (٧١٥) وأخرجه أبوداود في كتاب الصوم باب اختيار الفطر حديث رقم، (٢٤٠٨) وأخرجه النسائي في كتاب الصيام باب ذكر وضع الصيام عن المسافر ١٨٠/٤ وأخرجه ابن ماجة في كتاب الصيام باب ماجاء في الافطار للحامل والمرضع حديث رقم (١٦٦٧) وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٢٦٨/٣ حديث رقم (٢٠٤٣).
والحديث حسّنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢٧٩/١ وصحيح سنن النسائي ٤٨٤/٢ وصحيح سنن الترمذي ٢١٨/١.

٤) صحيح سنن الترمذي ٢١٨/١.

الله عليهم من بقاء حكم الآية في حق الشيخ الهرم والعجوز الكبيرة الذين لا يستطيعان الصوم الا بمشقة، وفي حق المرأة الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما؛ يخالف تمام الآية حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ، فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:١٨٤ فكيف يكون الحكم باق في حق من لايستطيع الصوم ثم يقول الله : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ؟.

فالجواب : أنَّ الآية هنا من نوع الموصول لفظا المفصول معنى(١)، فقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ كلام منفصل في معناه عما قبله، يقرر فيه تبارك وتعالى تفضيل الصيام، فخير لمعنى التفضيل لا الأفضلية، فـ«خير» هنا ضدها« الشر»(٢)، فعدم الصيام شر(٣).

(٢) قال الألوسي (ت١٢٧٠هـ) : «والحق أن كلا من من القراءات يمكن حملها على ما يحتمل النسخ وما لايحتمله» اهـ(٤).

(٣) قال الطبري (ت٣١٠هـ) : «إن قراءة كافة المسلمين ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى ذلك خطوط مصاحفهم، وهي القراءة التي لا يجوز لأحد من أهل الاسلام خلافها لنقل جميعهم تصويب ذلك قرنا عن قرن»(٥).

وقال رحمه الله : « أما قراءة من قرأ ذلك : «وعلى الذين يطوقونه» فقراءة لمصاحف أهل الاسلام خلاف، وغير جائز لأحد من أهل الاسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثة عن نبيهم ﷺ نقلا ظاهرا قاطعا للعذر؛ لأن ما جاءت به الحجة من الدين هو الحق الذي لا شك فيه أنه

---

١) أفرد السيوطي في كتابه الإتقان (أبوالفضل) ٢٥٢/١ النوع التاسع والعشرين في بيان الموصول لفظا المفصول معنى، وقال في مطلعه: «هو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف ...» وبه يحصل حل اشكالات وكشف معضلات كثيرة»اهـ.

٢) نبّه السيوطي في الحاوي للفتاوي ٣٧٦/١-٣٧٧ إلى أن لفظة «خير» لها استعمالان:
أحدهما : أن يراد بها معنى التفضيل لا الأفضلية وضدها «الشر»، وهي كلمة باقية على أصلها لم يحذف منها شيء.
والثاني : أن يراد بها معنى الأفضلية وهي التي توصل بـ«من» وهذه أصلها «أخير» حذفت همزتها تخفيفا، ويقابلها «شر» التي أصلها «أشر».

٣) هذا الجواب مبني على ما تقدم من أن حكم الآية لم ينسخ بالكلية إنما خصص فقط، وهناك جواب آخر مبني على أن حكم الآية نسخ بالكلية، وإنما استفاد ابن عباس ومن معه ثبوت الحكم في حق الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والحامل والمرضع، استفادوا الحكم من السنة لأنّ مثله لا يقال بالرأي.
انظر إرواء الغليل ٢٢/٤-٢٥.

٤) روح المعاني ٥٩/٢.

٥) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣٢/٢.

من عند الله ولا يعترض على ما قد ثبت وقامت به حجة أنه من عند الله بالآراء والظنون والأقوال الشاذة» اهـ[1].

قلت : نحن نجزم بأن هذه القراءات الشاذة ليست من الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه عليه الناس، ولكن لا نجزم بأنها ليست من باقي الأحرف السبعة، ولا بأنها منها بل نتوقف في ذلك وهذا هو مذهب الطبري الذي صرح به في كتاب القراءات له، نقل عبارته في ذلك مكي بن أبي طالب القيسي[2] (ت٤٣٧هـ) رحمهم الله.

١) تفسير الطبري (دار الفكر) ١٤١/٢.
٢) الإبانة ص٦٠.

الموضع الخامس :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ...﴾ البقرة:١٩٦.

هكذا قرأ عامة العشرة : ﴿وَالْعُمْرَةَ﴾ بالنصب .

وقرأ الأصمعي عن نافع، والقزاز عن أبي عمرو، والكسائي عن أبي جعفر: «والعمرة» برفعها، وهي قراءة ابن مسعود بخلف عنه وأبي رزين والحسن والشعبي(١).

وقرأ ابن مسعود : «وأتموا الحج والعمرة إلى بيت الله»(٢).

وقرأ علقمة : «وأقيموا الحج والعمرة لله»(٣).

وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود : «وأقيموا الحج والعمرة للبيت»(٤).

وقرأ ابن مسعود : «وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت لله»(٥).

عن إبراهيم عن علقمة : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قال هو في قراءة عبد الله: «وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت» قال: لا تجاوزوا بالعمرة البيت.

قال ابراهيم : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال: كذلك قال ابن عباس(٦).

عن علي : «أنه قرأ: «وأقيموا الحج والعمرة للبيت» ثم قال: هي واجبة مثل الحج»(٧).

عن يزيد بن معاوية قال: إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة

---

١) زاد المسير ٢٠٤/١ تفسير القرطبي ٣٦٩/٢ البحرالمحيط ٧٢/٢ الدرالمنثور ٥٠٢/١-٥٠٤.
٢) تفسيرالقرطبي ٣٦٩/٢ البحرالمحيط ٧٢/١ الدرالمنثور٥٠٢/١.
٣) البحرالمحيط ٧٢/١.
٤) الدرالمنثور ٥٠٣/١.
٥) تفسير القرطبي ٣٦٩/٢ البحرالمحيط ٧٢/١.
٦) إسناده صحيح .
أخرجه الطبري (شاكر) ٧/٤ وأبوعبيد في فضائل القرآن ص٢٣٦ تحت رقم (٥٦٤).
وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٥٠٢/١ إلى سعيد بن منصور وعبدبن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري.

وقع في المطبوعة من كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد (على الآلة الكاتبة) قوله تعالى:﴿وأتموا ...﴾ بدلا من: «وأقيموا ...» ولعل الصواب - إن شاء الله -: «وأقيموا» كما في تفسير الطبري والدر المنثور والله أعلم.
٧) إسناده ضعيف .
أخرجه الطبري (شاكر) ١٢/٤.
وفي السند ثوير بن أبي فاختة قال في التقريب ص١٣٥ : «ضعيف رمي بالرفض»اهـ
وعزاه السيوطي في الدر المنثور٥٠٣/١ إلى عبد بن حميد.

فيها حذيفة وليس إذ ذاك حجرة و لاجلاوزة(١) إذ هتف هاتف من كان يقرأ قراءة أبي موسى فليأت الزاوية التي عند أبواب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود فليأت هذه الزاوية التي عند دار عبدالله.

واختلفا (يعني عبدالله بن مسعود وأباموسى) في آية من سورة البقرة قرأ هذا: «وأتموا الحج والعمرة للبيت» وقرأ هذا: «وأتموا الحج والعمرة لله».

فغضب حذيفة واحمرت عيناه ثم قام - وذلك زمن عثمان - فقال: إما أن تركب إلى أمير المؤمنين وإما أن أركب؛ فهكذا كان من قبلكم، ثم أقبل فجلس فقال: إن الله بعث محمدا فقاتل بمن أقبل من أدبر حتى أظهر الله دينه ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جواد، ثم ان الله استخلف أبابكر وكان ما شاء الله، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جواد ، ثم إنّ الله استخلف عمر فنزل وسط الاسلام ، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جواد ، ثم إن الله استخلف عثمان وأيم الله ليوشكن أن تطعنوا فيه طعنة تحلقونها له»(٢).

عن ابن مسعود : «أنه قرأ: «وأقيموا الحج والعمرة للبيت» ثم قال:

---

١) الجلاوزة حملة السوط، وهو اسم يطلق على رجال الشرطة في ذلك العصر لأنهم يحملون في أيديهم الأسواط، وجلز السوط مقبضه عند قبيعته، ويفهم هذا المعنى من مراجعة لسان العرب ٣٢٢/٥.

٢) حسن لغيره .

أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص١٨.

وفي السند عنده: «عبدالله بن عبدالملك بن أبجر»، لم أجد له ترجمة وغلب على ظني وجود تصحيف في الاسم والصواب: «عبدالرحمن بن عبدالملك بن أبجر» إذ يروي عنه يحي بن عبدالرحمن الأرحبي كما في التهذيب ٢٥٠/١١ وهو صدوق ربما أخطأ كما في التقريب ص٥٩٣؛ فإن صح ذلك فالاسناد حسن إن شاء الله والا فضعيف.

وبمراجعة مخطوطتي كتاب المصاحف (نسخة تشستربتي ٣٥٨٦ لوحة ٧/أ، ونسخة الظاهرية ١١٩٨،٤٠٧ لوحة ٧/ب) وجد فيهما كلاهما: «عبدالله بن عبدالملك بن أبجر» فالله أعلم بحقيقة الحال .

لكن هناك مايشهد للأثر أنظر المصاحف لابن أبي داود ص٢٠-٢١، وأورد بعضه الحافظ في الفتح ١٨/٩.

ويلاحظ مايلي :

(١) وقع في المطبوعة من كتاب المصاحف ذكر الآية الأولى: «وأتموا الحج والعمرة للبيت» وكذا في المخطوطتين السابقتين وأثبت مافي الدر المنثور للسيوطي ٥٠٣/١.

(٢) وقع في المطبوعة في آخر الأثر قوله في آخره:«... طعنة تخلفونه كله» وأثبت مافي الدر المنثور.

والله لولا التحرج أني لم أسمع فيها من رسول الله ﷺ شيئا لقلنا: إن العمرة واجبة مثل الحج».(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة عامة العشرة : ﴿الْعُمْرَةَ﴾ بالنصب مفعول به لـ ﴿أَتِمُّواْ﴾ والمعنى: يأمر الله الناس باتمام الحج والعمرة.

معنى القراءة : «العمرة» بالرفع يأمر الله باتمام الحج ثم يستأنف كلام جديد يخبر الله عزوجل فيه بأن العمرة لله.

معنى القراءة بـ ﴿أَتِمُّواْ﴾ فيه أربعة أقوال :

الأول : أن معنى إتمامها أن يفصل بينهما فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله عمر بن الخطاب والحسن وعطاء .

الثاني : أن يحرم الرجل من دويرة أهله قاله علي بن أبي طالب وطاووس وابن جبير.

الثالث : أنه إذا شرع في احدهما لم يفسخه حتى يتم، قاله عبدالله بن عباس.

الرابع : أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله مجاهد(٢).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) : «الاتمام ضد النقص والمعنى: افعلوهما كاملين ولا تأتوا بهما ناقصين شيئا من شروطهما وأفعالهما التي تتوقف وجود ماهيتهما عليهما... هذا ظاهر اللفظ» اهـ(٣).

ومعنى القراءة بـ«أقيموا الحج والعمرة» أي: أديموا فعلهما وحافظوا عليهما.

والقيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء، أي: يثبت كالعماد والسناد لما يعمد ويسند به(٤).

---

١) إسناده ضعيف .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١٣/٤ وابن أبي داود في المصاحف ص٦٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥١/٤.

ومدار السند عندهم على ثوير بن أبي فاختة قال في التقريب ص١٣٥: «ضعيف رمي بالرفض» اهـ

وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٥٠٤/١ إلى عبد بن حميد .

٢) زاد المسير ٢٠٤/١ تفسيرالقرطبي ٣٦٥/٢-٣٦٦ البحرالمحيط ٧٢/٢.

٣) البحرالمحيط ٧١/٢-٧٢.

٤) انظر المفردات ص٤١٦-٤١٧.

حاصل القراءات :

قال الماتريدي (ت٣٣٣هـ) : «إنما قال: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ لأن الكفرة كانوا يفعلون الحج لله والعمرة للصنم»اهـ(١).

قلت : فالقراءة المتواترة بنصب (العمرة) أفادت مجرد الأمر باتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيهما لله تعالى، والمفعول لأجله ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بـ﴿أَتِمُّوا﴾ و فيها إشارة إلى ما كان يفعله بعض المشركين من الحج والعمرة للأصنام.

وقد أفادت وجوب اتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيهما.

والقراءة الآحادية برفع «العمرة» أفادت الأمر باتمام الحج ثم استئناف كلام جديد يخبر الله تعالى بأن العمرة لله، وهو خبر بمعنى الأمر ليفيد مزيد الاهتمام بالعمرة فلا تصرف الا لله لأن بعض المشركين كان يحج لله ويعتمر للصنم كما قال الماتريدي في كلامه السابق والله أعلم.

والقراءة الشاذة: «أقيموا الحج والعمرة» فسرت الاتمام في القراءة المتواترة بأنه على ظاهره، وأن المراد بـ ﴿أَتِمُّوا﴾ أي: افعلوهما كاملين ولا تأتوا بهما ناقصين شرطا من شروطهما وأفعالهما التي تتوقف وجود ماهيتهما عليهما، وهي بهذا لاتتعارض مع ما أفادته القراءة المتواترة إنما تتكامل معها في أداء المعنى فيكون كلا المعنيين مرادا.

والقراءة الشاذة: «أقيموا الحج والعمرة إلى البيت لله» والأخرى : «... للبيت» أفادت التنصيص على قصد بيت الله الحرام بالحج والعمرة لا الأصنام ولا غيرها تأكيدا على مغايرة حال المشركين والله أعلم.

ويلاحظ مايلي :

(١) قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) بعد إيراده للقراءات الشاذة السابقة: «وينبغي أن يحمل هذا كله على التفسير لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون»اهـ(٢).

(٢) قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): «قراءة الجمهور تدل على وجوبها (يعني:العمرة).»اهـ(٣).

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «وقرأ الشعبي وأبوحيوة برفع التاء في

---

١) بواسطة البحرالمحيط ٧٢/٢.
٢) البحر المحيط ٧٢/٢.
٣) زاد المسير ٢٠٤/١.

الموضع السادس :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَآئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ البقرة:٢١٠.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿... والمَلائكةُ﴾ :

فقرأ أبوجعفر: ﴿... والمَلائكَةِ﴾ بالخفض .

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿... والمَلائكَةُ﴾ بالرفع(١).

وقرأ أبي وابن مسعود: «هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام»(٢).

وقرأ معاذ: «... وقضاء الأمر وإلى الله ترجع الأمور»(٣).

عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال في قراءة أبي بن كعب : «هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام» قال : «تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله عزوجل فيما شاء»(٤).

معنى القراءات :

قراءة أبي جعفر: ﴿... والمَلائكَةِ﴾ بالخفض تحتمل في المعنى وجهين :

الأول : أن تكون معطوفة على قوله : ﴿ظُلَلٍ﴾ فيكون التقدير: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وفي الملائكة وقضي الأمر....

الثاني : أن تكون معطوفة على قوله: ﴿مِنَ الغَمَامِ﴾ فيكون التقدير هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ومن الملائكة وقضي الأمر...

---

١) المبسوط ص١٢٩ النشر ٢/٢٢٧ الإتحاف ص١٥٦.

وقــــع في المبسوط نسبة هذه القراءة : ﴿.. **والملائكة**﴾ بالخفض لـ«أبي عمرو وحده» هكذا وهو تصحيف أو خطأ مطبعي صوابه: «لأبي جعفر وحده» كما صرح صاحب المبسوط نفسه في كتابه الغاية ص١١٣.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٤/٢٦١ البحر المحيط ٢/١٢٥ الدرالمنثور١/٥٨٠.

٣) البحرالمحيط ٢/١٢٥.

٤) إسناده حسن .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٤/٢٦١ واللفظ له، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٥٤٦ بنحوه كلاهما من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

وأبوجعفرالرازي صدوق سيء الحفظ خصوصا عن المغيرة كما في التقريب ص٦٢٩هـ .

وأبو العالية هو الرياحي ثقة كثير الارسال يروي عن أبي ابن كعب. تهذيب التهذيب ٣/٢٨٤ التقريب ص٢١٠.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٥٨٠ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

«العمرة» وهي تدل على عدم الوجوب» اهـ(١).

قلت: لا يظهر في الآية على قراءة: ﴿وَأَتِمُّوا﴾ دليل وجوب العمرة، لأن الله عزوجل إنما قرنها بالحج في وجوب الاتمام لا في الابتداء.

وعلى قراءة: «وأقيموا الحج والعمرة» يكون في الآية دليل ظاهر على الوجوب - والله أعلم - ولذلك قال ابن مسعود فيما يروى عنه - إن صح -: «أمرتم بإقامة أربع: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت، والحج: الحج الأكبر، والعمرة: الحج الأصغر»(٢).

وممن ذهب إلى وجوب العمرة علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاووس وسعيدبن جبير ومجاهد وأحمد والشافعي والثوري والأوزاعي وإسحاق وداود.

وذهب أبوحنيفة ومالك إلى أنها سنة وتطوع(٣).

---

١) تفسير القرطبي ٣٦٩/٢.

٢) إسناده ضعيف.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٥١/٤ وأبوالقاسم الأصبهاني في كتاب «الترغيب والترهيب» ٤٣٣/١-٤٣٤ كلاهما من طريق الفضل بن العلاء عن أشعث بن سوار عن أبي إسحاق عن مسروق عن ابن مسعود.

والفضل هو ابو العباس ويقال أبوالعلاء الكوفي صدوق له أوهام كما في التقريب ص٤٤٦، وأشعث بن سوار هو الكندي ضعيف كما قال في التقريب ص١١٣.

وعزاه في الدر المنثور ٥٠٣/١ إلى ابن مردوية.

ويلاحظ مايلي:

(١) وقع في السند عند أبي القاسم الأصبهاني مطبوعة كتابه «الترغيب والترهيب» ٤٣٤/١: «أبوبكر عن نافع» وهو خطأ صوابه: «أبوبكر بن نافع» كما عند البيهقي في السنن الكبرى ٣٥١/٤.

(٢) وقع في المتن في مطبوعة الترغيب والترهيب ٤٣٤/١: «... وأتموا الحج والعمرة...» وهو خطأ صوابه: «وأقيموا الحج والعمرة» كما عند البيهقي وكما في الدرالمنثور٥٠٣/١ وليتفق أول الكلام وآخره و يتفق مع القراءة المروية عنه.

٣) معجم فقه السلف ٨٢/٤-٨٣.

وانظر في مسألة حكم العمرة: الأم ١٣٢/٢ بدائع الصنائع ٢٢٦/٢ المغني في الفقه ٢٢٣/٣ تفسير القرطبي ٣٦٨/٢ المجموع شرح المهذب ٣/٧ فتح القدير لابن الهمام ١٣٩/٣ المبدع شرح المقنع ٨٣/٣-٨٤ الدر الثمين ص٣٨٦ الفواكه الدواني ٤٣٧/١ نيل الأوطار ٣/٥ أضواءالبيان ٦٥١/٥.

قراءة الجمهور: ﴿... والمَلائكَةُ﴾ بالرفع، معطوفة على لفظ الجلالة والتقدير هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة و قضي الأمر، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿في ظُلَلٍ﴾ مضافا إلى الملائكة فقط، والإتيان مضاف إلى الله.

قراءة ابن مسعود : «هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام»، فيكون المضاف إلى الله تعالى هو الإتيان فقط.

ومعنى قراءة معاذ: «... ... وقضاء الأمر» تكون معطوفة على : ﴿... والمَلائكَةُ﴾ والتقدير:... في ظلل من الغمام وفي الملائكة وفي قضاء الأمر، و ﴿في﴾ على هذا بمعنى الباء، أي: بظلل من الغمام وبالملائكة وبقضاء الأمر(١).

حاصل القراءات :

أثبتت القراءات اتيان الله سبحانه وتعالى، وبينت أنه سبحانه يأتي في ظلل من الغمام ومن الملائكة.

وأثبتت القراءة الشاذة إتيانه سبحانه وتعالى، وأضافت قوله: ﴿في ظلل من الغمام﴾ للملائكة، وذلك - والله أعلم - لبيان أن لله عزوجل الاتيان فيما شاء كما يشاء، وهو ما نبه إليه أبو العالية فيما سيأتي عنه - إن شاء الله - .

قال ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) : «اختلف أهل التأويل في قوله : ﴿ظلل من الغمام﴾ وهل هو من صلة فعل الله جل ثناؤه أو من صلة فعل (الملائكة) ومن الذي يأتي فيها ؟.

فقال بعضهم : هو من صلة فعل الله، ومعناه: هل ينظرون إلا يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وأن تأتيهم الملائكة، قال ذلك مجاهد وقتادة وعكرمة .

وقال آخرون : بل قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾ من صلة فعل الملائكة وإنما تأتي الملائكة فيها، وأما الرب تعالى ذكره فإنه يأتي فيما يشاء، قال ذلك الربيع بن أنس.

قال أبوجعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجه قوله : ﴿في ظلل من الغمام﴾ إلى أنه من صلة فعل الرب عزوجل وأن معناه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة؛ لما جاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «إن من الغمام طاقات يأتي فيها الله محفوفا وذلك قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والمَلائكَةُ وقُضِيَ

---

١) البحرالمحيط ١٢٥/٢.

﴿الأَمْرُ﴾.»(١).» اهـ(٢).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) من قال أن قوله : ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ من صلة فعل الله عزوجل فقوله صواب على قراءة، ومن قال: هو من صلة فعل الملائكة فقوله صواب على قراءة، ولا منافاة بين القولين بل القراءة التي أفادت أنه من صلة فعل الملائكة أستفيد منها التنبيه على أن لله الإتيان فيما شاء كما يشاء سبحانه وتعالى والله أعلم .

(٢) وصفه الله عزوجل نفسه بالاتيان في ظل من الغمام كوصفه سبحانه بالمجيء في آيات أخر، ونحوهما مما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ، والقول في جميع ذلك من جنس واحد وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقول في صفاته سبحانه وتعالى كالقول في ذاته، والله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته و لا في صفاته(٣).

---

١) حديث ضعيف .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٢٦٤/٤-٢٦٥ والديلمي في فردوس الأخبار ٢٥٨/١ ولم يذكر سنده، لكن قال ابن حجر في تسديد القوس: «أسنده عن ابن عباس»اهـ

وفي السند عند الطبري زمعة بن صالح الجندي قال في التقريب ص٢١٧ : «ضعيف»اهـ

وضعف الحديث الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسيرالطبري.

وقال السيوطي في الدر المنثور ٥٨٠/١ : «أخرج عبد بن حميد وأبويعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية قال : «يأتي الله يوم القيامة في ظلل من السحاب قد قطعت طاقات»اهـ

قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري ٢٦٥/٤: «ولعله موقوفا أشبه بالصواب»اهـ

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٢٦٣/٤-٢٦٥ باختصار وتصرف.

٣) محاسن التأويل ١٧٨/٣.

الموضع السابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون**﴾ البقرة:٢١٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿**اثم كبير**﴾ :

فحمزة والكسائي بالثاء المثلثة : ﴿**اثم كثير**﴾ ووافقهما الأعمش.

وقرأ باقي العشرة : ﴿**اثم كبير**﴾ بالموحدة(١).

معنى القراءات :

قراءة حمزة والكسائي : ﴿**اثم كثير**﴾ من الكثرة، وذلك أن الخمر تحدث مع شربها آثام كثيرة من لغط وتخليط وسب وأيمان، وعداوة وخيانة، وتفريط في الفرائض وفي ذكر الله وفي غيرذلك، فوصف بالكثرة(٢).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) : «ووصف الاثم بالكثرة؛ إما باعتبار الآثمين فكأنه قيل فيه: للناس آثام، أي: كل واحد من متعاطيها آثم ، أو باعتبار ما يترتب على شربها ممايصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرمة، أو باعتبار من زاولها من لدن كانت الى أن بيعت وشريت فقد «لعن رسول الله ﷺ الخمر ولعن معها عشرة بائعها ومبتاعها والمشتراة (أي: له) وعاصرها ومعتصرها والمعصورة له وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة له وآكل ثمنها»(٣) فناسب وصف الاثم بالكثرة بهذا الاعتبار» اهـ(٤).

---

١) المبسوط ص١٣٠ النشر ٢/٢٢٧ الاتحاف ص١٥٧.

٢) الكشف ١/٢٦١.

٣) حديث صحيح لغيره عن ابن عمر.

أخرجه أبوداود في كتاب الأشربة باب العنب يعصر للخمر تحت رقم (٣٦٧٤) وابن ماجة في كتاب الأشربة باب لعنت الخمر من عشرة أوجه والطحاوي في مشكل الآثار ٤/٣٠٥-٣٠٦ مطولا، والحاكم في المستدرك ٢/٣٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٨٧.

والحديث صححه الألباني في ارواء الغليل ٥/٣٦٥-٣٦٧ وغاية المرام ص٥٤ وحسنه محقق جامع الأصول ٥/١٠٤.

ولفظ الحديث عند ابن ماجة عن ابن عمر يقول: «قال رسول الله ﷺ: «لعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها وشاربها وساقيها ...»».

وأخرجه ابن ماجة وغيره عن أنس ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: «في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها والمعصورة له وحاملها والمحمولة له، وبائعها والمبيوعة له وساقيها والمستقاة له حتى عد عشرة من هذا الضرب»».

وهو حديث حسن عن أنس أخرجه ابن ماجة في كتاب الأشربة باب لعنت الخمر على عشرة أوجه حديث رقم (٣٣٨١) وأخرجه الترمذي في كتاب البيوع باب النهي عن أن يتخذ الخمر خلا حديث رقم (١٢٩٥) وحسنه محقق جامع الأصول ٥/١٠٤.

٤) البحرالمحيط ٢/١٥٧-١٥٨.

معنى قراءة الباقين: ﴿إثم كبير﴾ من الكبر على معنى: العظم أي: فيهما اثم عظيم.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) : «اجمعوا على أن شرب الخمر من الكبائر فوجب أن يوصف اثمه بالكبر» اهـ(١).

حاصل القراءات :

تأكيد تحريم الخمر لعظم اثمها، وكثرة آثامها، ولذلك كانت من الكبائر بل أمها جميعا.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن القراءتين المذكورتين متواترتان فهما قرآن بالاجماع، ويحتملهما رسم المصحف.

(٢) قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) : «ذكر بعض الناس ترجيحا لكل قراءة من هاتين القراءتين على الأخرى، وهذا خطأ؛ لأن كلا من القراءتين كلام الله تعالى، فلايجوز تفضيل شيء منه على شيء من قبل أنفسنا اذ كله كلام الله تعالى» اهـ(٢).

قلت : صدق رحمه الله وجعل الجنة مثواه، وقد سبق التنبيه إلى هذا(٣) ولله الحمد.

---

١) الكشف ٢٩١/١.
٢) البحرالمحيط ١٥٨/٢.
٣) في المدخل لهذا القسم ص٣١٨-٣١٩.

الموضع الثامن :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة:٢٢٢ .

تنوعت القراءات في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ :

فقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب وأبوجعفر ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء مخففة.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ مشددة الطاء والهاء مفتوحة.

وهذه قراءات متواترة(١).

معنى القراءات :

قراءة التخفيف: ﴿وَلَاتَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطع الدم عنهن فيكون المعنى نهى الله عباده عن قرب الحائض حتى ينقطع دم الحيض؛ فجعل انقطاع دم الحيض غاية النهي عن قربانهن(٢).

وقراءة التشديد: ﴿وَلَاتَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ أي: يستعملن الماء بأن تغسل موضع الدم منها فقط، أو تتوضأ أو تغتسل أي: ذلك فعلت جاز لها، وأباح لزوجها قربانها(٣).

حاصل القراءات :

عدم جواز قربان المرأة حتى ينقطع عنها دم الحيض، وحتى تغسل موضع الدم منها بالماء، أو تتوضأ، أو تغتسل.

ويؤكد هذا ويعضده؛ أنه لازم قوله تعالى عقب هذا الموضع مباشرة ﴿فاذا تطهرن﴾ وقد أجمع القراء على قراءته هنا بالتشديد إذ سياق الآية ﴿وَلَاتَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾(٤).

فأفادت قراءة التشديد رفع توهم جواز اتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم وإنْ لم تطهر بالماء.

ونبهت الآية بالقراءات إلى أن من انقطع عنها دم الحيض في حكم

---

١) السبعة ص١٨٢ المبسوط ص١٣٠ النشر ٢/٢٢٧.

٢) معاني القرآن للفراء ١/١٤٣ تفسير الطبري (دارالفكر) ٢/٣٨٥.

٣) معاني القرآن للنحاس ١/١٨٣ تفسير الطبري (دارالفكر) ٢/٣٨٥.

٤) تفسير الزمخشري ١/١٣٤ تفسير الرازي ٦/٦٨ تفسير البيضاوي ص٤٨.

الحائض مالم تطهر، وهي ممنوعة من الصلاة ما لم تتطهر، ولزوجها مراجعتها مالم تطهر بالماء(١).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أكثر الفقهاء على : أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل لزوجها مجامعتها الا بعد أن تستعمل الماء ، وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي والثوري(٢) وأحمد بن حنبل(٣).

والمشهور عن أبي حنيفة : أنه اذا انقطع دمها دون العشرة فهي في حكم الحائض حتى تغتسل اذا كانت واجدة للماء أو يمضي

عليها وقت الصلاة فاذا كان أحد هذين خرجت المرأة من الحيض وحل لزوجها وطؤها وانقضت عدتها ان كانت آخر حيضة.

وإذا كانت أيامها عشرة ارتفع حكم الحيض بمضي العشرة وجاز وطؤها وتكون حينئذ في حكم المرأة الجنب يباح وطء زوجها لها، وتنقضي عدتها وغير ذلك(٤).

---

١) وهذا قول عمر بن الخطاب وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وقال الشعبي:«روى ذلك عن ثلاثة عشر من الصحابة منهم أبوبكر وعمر وابن مسعود وابن عباس» الكشف ٢٩٤/١.

٢) تفسير القرطبي ٨٨/٣ تفسير الرازي ٦٨/٦.

٣) مختصر الخرقي ص٢١ المبدع في شرح المقنع ٢٦٢/١.

٤) أحكام القرآن للجصاص ٣٤٨/١.

فائدة : اختلف في المطلقة هل يقف انقضاء عدتها على اغتسالها من الحيضة الثالثة؟. على ثلاثة أقوال: أحدها: لا تنقضي عدتها حتى تغتسل وهذا هو المشهور عن أكابر الصحابة، قال الامام أحمد: «وعمر وعلي وابن مسعود يقولون:له رجعتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة»اهـ وروي ذلك عن أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبي موسى وعبادة وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، وهو قول سعيد بن المسيب والثوري واسحاق بن راهوية . والثاني: أنها تنقضي بمجرد طهرها من الحيضة الثالثة، و لاتقف على الغسل، وهذا قول ابن جبير والأوزاعي والشافعي في قوله القديم واحدى الروايات عن أحمد واختارها أبو الخطاب. والثالث: أنها في عدتها بعد انقطاع الدم، ولزوجها رجعتها حتى يمضي عليها وقت الصلاة التي طهرت في وقتها وهذا قول للثوري ورواية عن أحمد وهو قول أبي حنيفة، لكن إن انقطع الدم لأقل الحيض،وإن انقطع الدم لأكثره انقضت العدة عنها بمجرد انقطاعه. انظر زاد المعاد ٦٠٢/٥-٦٠٣.

وسبب **الخلاف**(١) : أن أباحنيفة رحمه الله حمل قراءة التخفيف على انقطاع الدم لأكثر الحيض وقراءة التشديد على انقطاعه لدونه وحمل قراءة التشديد على قراءة التخفيف؛ فقوله : ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بالتخفيف وبالتشديد معناه: انقطاع الدم(٢).

وهذا الذي نقل عن أبي حنيفة يرحمه الله استغربه الكيا الهراسي(٣) (ت٥٠٤هـ) وعده الكرماني (ت في القرن السادس) من غرائب التفسير وعجائب التأويل(٤)، وقال القرطبي (ت٦٧١هـ) عنه: «هذا تحكم لا وجه له» اهـ(٥) واستغربه السيوطي (ت٩١١هـ) جدا(٦).

ووجه ذلك : أن الله تبارك وتعالى اشترط لحل اتيان النساء شرطا زائدا على مجرد انقطاع الحيض وهو أن يتطهرن بالماء، فلا يجوز الغاء هذا الشرط أو تخصيصه بما اذا انقطع الحيض قبل العشرة أيام، وانما هو رأي لأبي حنيفة رحمه الله بدا له، لايجوز لنا الأخذ به لمخالفته اطلاق الآية، وهو رحمه الله تعالى قد قال فيما صح عنه: «لا يحل لأحد أن يأخذ يقولنا مالم يعلم من أين أخذناه، فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا»(٧).

فكيف يجوز لنا الأخذ بقوله هذا، وهو مخالف لظاهر الآية؟.

ثم لا دليل على قوله يلزم المصير إليه .

وقد بين الكيا الهراسي (٥٠٤هـ) رحمه الله ذلك بيانا شافيا حيث قال بعد أن ذكر ما نقل عن أبي حنيفة رضي الله عنه: «وهذا قول بعيد وأقل ما فيه اخراج قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ عن كونه حقيقة في الاغتسال اذا حمل على انقطاع الدم على الأكثر، وحمله على حقيقته في الاغتسال اذا كان انقطاع الدم على مادون الأكثر، وذلك بعيد جدا.

ولأن الآية لو كانت متناولة للحالين كان تقدير الكلام : ﴿**حتى يغتسلن**﴾ في آية، «ولا يغتسلن» في آية أخرى أو قراءة أخرى، ويكون ذلك المحيط

---

١) تفسير آيات الأحكام للسايس١/١٣٠ روائع البيان ١/٣٠١-٣٠٢.
٢) أحكام القرآن للجصاص ١/٣٤٩،٣٥٠.
٣) أحكام القرآن للهراسي ١/١٣٩.
٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٢١٣.
٥) تفسير القرطبي ٣/٨٩.
٦) الإكليل في استنباط التنزيل ص٣٦.
٧) أخرجه عنه ابن عبدالبر في «الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» ص١٤٥ وبنحوه في ترتيب تاريخ ابن معين ص٦٠٧ وانظر صفة صلاة النبي ﷺ للألباني ص٢٤.

متناولا لهما جميعا، ولايكون فيه بيان المقصود، فيكون مجملا غير مفيد للبيان.

ولأنه إذا كانت قراءة التشديد حقيقة في الاغتسال وقد حملوها على انقطاع الدم فيما دون الأكثر؛ فيجب أن يتوقف الحل فيه على الاغتسال وقد قالوا: «إذا دخل وقت الصلاة وإن لم تغتسل حل للزوج وطؤها» فجعلوا وجوب الصلاة والصوم مجوزا للوطء ولم يجعلوا وجوب الغسل مجوزا.

فإن حملوا قراءة التشديد على الغسل لزمهم أن يوقفوا الحل على الغسل، فلا هم عملوا بقراءة التخفيف ولا بقراءة التشديد.

وان موهوا باعتذارات في وجوب الصلاة فلا أثر لها في اخراج قراءة التشديد عن كونها حقيقة» اهـ(١).

قلت: ويؤكد صحة ما عليه الجمهور أن قراءة التخفيف: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ من الفعل الثلاثي «طهر» وهو ثلاثي لازم يستعمل فيما لا كسب فيه للانسان وهو انقطاع دم الحيض هنا، وقراءة التشديد ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ على صيغة «تفعل» لأن أصلها «يتطهرن» أدغمت التاء في الطاء، وهذه الصيغة تستعمل فيما يحصل بكسب الانسان ومباشرته له، وهي هنا تدل على استعمال الماء(٢).

(٢) أن المرأة اذا انقطع عنها الدم لم يحل لزوجها وطؤها حتى تستعمل الماء فتغسل موضع الدم أو تتوضأ أو تغتسل؛ لأن اسم «التطهر» يقع على كل من هذه الأمور الثلاثة.

قال ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): «اختلف في التطهر الذي عناه الله تعالى ذكره فأحل له جماعها فقال بعضهم هو الاغتسال بالماء، ولايحل لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها.

وقال بعضهم: هو الوضؤ للصلاة.

وقال آخرون: بل هو غسل الفرج؛ فاذا غسلت فرجها فذلك تطهرها الذي يحل به لزوجها غشيانها» اهـ(٣).

قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ): «إن كل ما يقع عليه اسم الطهر بعد أن يطهرن فقد حللن به، والوضؤ تطهر بلا خلاف، وغسل الفرج بالماء تطهر كذلك وغسل جميع الجسد تطهر، فبأي هذه الوجوه تطهرت التي رأت الطهر من الحيض

---

١) أحكام القرآن للهراسي ١/١٣٩-١٤٠.

٢) حجة القراءات ص١٣٥ شذا العرف ص٣٢ تفسيرالسايس ١/١٣٠.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ٢/٣٨٥.

فقد حل به لنا إتيانها وبالله تعالى التوفيق»اهـ(١).

قلت : القول بأن تطهر المرأة بعد انقطاع الدم يكون بغسل موضع الدم أو بالوضوء أو بغسل جميع بدنها أي ذلك فعلت حلت لزوجها مروي عن عطاء وقتادة فقالا جميعا في الحائض إذا رأت الطهر فإنها تغسل فرجها ويصيبها زوجها.

وعن عطاء : إذا رأت الطهر فتوضأت حل وطؤها لزوجها(٢).

وهو قول الأوزاعي(٣).

وهو قول ابن حزم وقال: «وهو قول أبي سليمان وجميع أصحابنا»اهـ(٤).

قلت : وقد استعمل لفظ «التطهر» في السنة النبوية بمعنى: غسل موضع الدم في عدة نصوص منها:

ما جاء عن عائشة رضي الله عنها -أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض؟ فأمرها كيف تغتسل.

قال : خذي فرصة من مسك فتطهري بها.

قالت : كيف أتطهر؟. قال: تطهري بها.

قالت: كيف ؟. قال: سبحان الله تطهري.

قالت عائشة: فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم»(٥).

قال الشيخ الألباني: «وبالجملة فليس في الدليل ما يحصر معنى قوله عزوجل: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بالغسل فقط، فالآية مطلقة تشمل المعاني الثلاثة السابقة فبأيها أخذت الطاهر حلت لزوجها ولا أعلم في السنة ما يتعلق بهذه المسألة سلبا أو ايجابا غير حديث ابن عباس مرفوعا: «إذا أتى أحدكم امرأته في الدم فليتصدق بدينار، وإذا وطئها وقد رأت الطهر ولم تغتسل

---

١) المحلى ٨٢/١٠.

٢) المصنف لابن أبي شيبة ٩٦/١ المحلى ٨١/١٠ الدرالمنثور٦٢٤/١.

٣) بداية المجتهد ٥٨/١.

٤) المحلى ٨١/١٠.

و أبوسليمان هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري أحد أئمة المجتهدين في الاسلام (ت٢٠١-٢٧٠هـ). الأعلام ٣٣٣/٢.

٥) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب الحيض باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض حديث رقم (٣١٤) ومسلم في كتاب الحيض باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم حديث رقم (٣٣٢).

فليتصدق بنصف دينار» ولكنه حديث ضعيف....» اهـ(١).

(٣) قول عماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : «وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء أو تتيمم ان تعذر ذلك عليها بشرطه» اهـ(٢).

قلت : إن أراد بقوله: «حتى تغتسل» أي: استعمال الماء في الغسل أو الوضوء أو غسل المحل فلا اعتراض عليه.

وإن أراد بقوله: «حتى تغتسل» أي: تغسل جميع جسدها الغسل الشرعي فيعترض عليه بما يلي :

(أ) لا دليل في الشرع يدل على تعين غسل جميع البدن من المرأة اذا انقطع حيضها لتحل لزوجها.

(ب) ما نقله من الاتفاق غير صحيح(٣) فقد نقلنا سابقا كلام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، وكلام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) في حكاية الخلاف في ذلك.

---

١) وتمام كلامه: «فيه عبدالكريم بن أبي المخارق أبوأمية، وهو مجمع على ضعفه، ومن ظنه عبدالكريم الجزري أباسعيد الحراني الثقة فقد وهم كما حققته في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٥٨) ثم إن في متنه اضطرابا يمنع من الاحتجاج به لوصح سنده فكيف وهو ضعيف؟.»اهـ آداب الزفاف في السنة المطهرة ص ١٢٩.

قلت : والحديث ضعفه كذلك ابن حزم في المحلى ٨١/١٠ وأعله بالانقطاع.

٢) تفسير ابن كثير ٢٦٠/١.

٣) إن أراد به الاطلاق، أما إن أراد به خصوص المذاهب الأربعة ما عدا مذهب أبي حنيفة فقد يصح والله أعلم.

الموضع التاسع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة:٢٢٩.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا﴾ :

فقرأ أبوجعفر وحمزة ويعقوب: ﴿إلا أَن يُخَافَا﴾ بضم الياء ووافقهم الأعمش.

وقرأ الباقون: ﴿إلا أَنْ يَخَافَا﴾ بفتح الياء(١).

معنى القراءات :

القراءة بضم الياء ﴿إلا أَنْ يُخَافَا﴾ أي: إلا أن يخاف عدم اقامتهما لشرع الله، والفاعل محذوف وهو الأئمة والحكام أو المتوسطون بين الزوجين وان لم يكونوا أئمة وحكاما(٢).

القراءة بفتح الياء: ﴿إلا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: إلا أن يخاف الزوج والزوجة عدم إقامتهما لشرع الله(٣).

حاصل القراءتين :

أنه يجوز للأئمة والحكام إذا خافوا أن لايقيم الزوجان شرع الله أن يوقعا الخلع بين الرجل وامرأته - وإن لم يتراضياعليه - كما يجوز للزوجين اذا خافا أن لايقيما شرع الله المخالعة بما يتراضيا عليه.

فيكون في القراءة بضم الياء تنبيه إلى أن الأئمة والحكام أو المتوسطين بين الزوجين لهم أيقاع الخلع بين الزوجين إذا خافوا أن لايقيما شرع الله.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن القراءتين مع اختلاف لفظهما ومعناهما لم يتضادا ولم يتناقضا، فكل قراءة تصدق الأخرى وتضيف اليها معنى .

---

١) المبسوط ص١٣٠ النشر٢/٢٢٧ الاتحاف ص١٥٨.

وقرأ عبدالله بن مسعود: «إلا أن يخافوا» المصاحف ص٦٨ وهي راجعة في المعنى إلى القراءات المتواترة.

٢) الكشف ٢/٢٩٥ حجة القراءات ص١٣٥.

٣) معاني القرآن الكريم للنحاس ١/٢٠٢ تفسير القرطبي ٣/١٣٧.

(٢) قال أبوعبيد مستدلا بقراءة الضم: ﴿إِلَّآ أَنْ يُخَافَا﴾ : «في هذا حجة لمن جعل الخلع إلى السلطان» اهـ(١).

وقد قال بهذا الحسن وابن جبير وابن سيرين(٢).

قال شعبة : «قلت لقتادة: عَنْ مَنْ أخذ الحسن قوله: «لا يكون الخلع دون السلطان»؟. فقال: أخذه عن زياد، وكان واليا لعمر وعلي رضي الله عنهما»(٣).

قلت: كذا قيل، وقد صح عن عمر(٤) وعثمان(٥) وابن عمر جوازه دون السلطان، وكما جاز الطلاق والنكاح دون السلطان(٦) فكذلك الخلع، وهو قول الجمهور من العلماء(٧)، وهذا المذهب الثاني.

والقراءة بالضم ليس فيها أنه لا يصح الخلع الا بالسلطان وتوجيه القراءة بالضم ظاهر؛ لأنه لما قال : ﴿ولا يَحِلُّ لَكُمْ أَنَ تَأْخُذُوا مِمَّا آتيتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ وجب على الحكام منع من أراد أن يأخذ شيئا من ذلك ثم قال: ﴿إلا أن يخافا﴾ فالضمير للزوجين والخائف محذوف وهم الولاة والحكام أو المتوسطون والتقدير إلا أن يخاف الأولياء الزوجين أن لايقيما حدود الله فيجوز الافتداء(٨).

ففي القراءة بالضم تنبيه إلى أنه ليس للحكام منع الخلع إذا كان يخشى من الزوجين عدم إقامة شرع الله ، لا أن لا يوقع عندئذ إلا بهم (أي:الحكام) والله أعلم .

(٣) ظاهر الآية أن الخلع إنما يجوز إذا خيف على الزوجين أو خافا أن لايقيما حدود الله(٩).

فإذا كان الزوجان متراضيين على الخلع تم الخلع منهما بما تراضيا عليه، وهذا ما دلت عليه القراءة بالفتح ﴿يخَافَا﴾.

---

١) اعراب القرآن للنحاس ٣١٤/١.
٢) المحلى ٢٣٧/١٠.
٣) معاني القرآن للنحاس٢٠٣/١، ولم أقف على سند هذه الرواية.
٤) علق ذلك عنه البخاري في كتاب الطلاق باب الخلع وكيف الطلاق. انظر فتح الباري ٣٩٤/٩.
٥) موسوعة فقه عثمان بن عفان ص١٦٢-١٦٣.
٦) إعراب القرآن للنحاس ٣١٤/١ تفسير القرطبي ١٣٨/٣.
٧) تفسير القرطبي ١٣٨/٣.
٨) البحر المحيط ١٩٨/٢.
٩) أخذ به ابن حزم في المحلى ٢٣٥/١٠-٢٤٣.

وإذا كان الزوجان يخافان ألا يقيما حدود الله، ولم يتراضيا على شيء رفعا أمرهما إلى الحاكم، وللحاكم أو الوالي أو الواسطة بينهما الزام الزوج بالخلع، إذا خافوا أن لايقيم الزوجان حدود الله وهذا ما دلت عليه القراءة بالضم ﴿يُخَافَا﴾ كما في قصة ثابت بن قيس(١).

قلت : وهذا يخالف ماقرر عن الجمهور(٢).

قال الرازي (ت٦٠٦هـ): «أما جمهور المجتهدين فقالوا: الخلع جائز في حالة الخوف وفي غير حالة الخوف، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ [النساء:٤] فإذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن تحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذل،كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها أولى» اهـ(٣).

قلت : هذا القياس لايصح؛ لأنه مع الفارق إذ الآية التي أوردها الرازي - رحمه الله - في حال استمرار عقد الزوجية لا فسخه، وفرق بين الحالين. ثم هو اجتهاد في مقابلة النص، ولا اجتهاد مع النص، وما دل عليه ظاهر الآية هو المعتمد - إن شاء الله - بل خلافه حادث في الاسلام.

يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : «الخلع الذي جاء به الكتاب والسنة أن تكون المرأة كارهة للزوج تريد فراقه فتعطيه الصداق أو بعضه فداء نفسها، كما يفتدي الأسير، وأما اذا كان كل منهما مريدا لصاحبه فهذا الخلع محدث في الاسلام» اهـ(٤).

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): «قيد سبحانه حل الافتداء بمخافتهما ألا يقيما حدود الله ، وظاهر الآية أن الخلع لا يجوز إلا بحصول المخافة منهما جميعا بأن يخاف الزوج أن لايمسكها بالمعروف وتخاف الزوجة أن لاتطيعه كما يجب عليها ولكنه لما ثبت حديث ابن عباس عند البخاري وغيره: «أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس جاءت الى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إني ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام .

فقال رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته ؟. قالت : نعم.

---

١) سيأتي - إن شاء الله - ذكره مع التخريج قريبا.
٢) بداية المجتهد ٦٨/٢.
٣) تفسير الرازي ١٠٠/٦.
٤) مجموع الفتاوي ٢٨٢/٣٢.

فقال رسول الله ﷺ : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة»(١).»
قال الشوكاني : «دل ذلك على أن المخافة لعدم اقامة حدود الله من طريقها كافية في جواز الاختلاع» اهـ(٢).

---

١) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الطلاق باب الخلع وكيف الطلاق فيه، حديث رقم (٥٢٧٣) والنسائي في كتاب الطلاق باب ما جاء في الخلع ١٦٩/٦ وابن ماجة في كتاب الطلاق باب المختلعة تأخذ ما أعطاها حديث رقم (٢٠٥٦).
٢) السيل الجرار ٣٦٤/٢ وانظر فتح الباري ٤٠١/٩.

الموضع العاشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿فَبُهِتَ﴾.

وقرأ ابن السميفع ونعيم بن ميسرة: «فبَهَت الذِي كَفر» بفتح الباء والهاء والتاء.

وقرأ أبوحيوة شريح بن يزيد: «فبهت» بفتح الباء وضم الهاء(١)، وهما قراءتان آحاديتان.

معنى القراءات :

معنى قراءة الجمهور ﴿فَبُهِتَ﴾ أي دهش وتحير وانقطعت حجته(٢)، وهو من الأفعال التي جاءت ملازمة للبناء للمفعول وهي للمعلوم .

قراءة ابن السميفع ونعيم : «فبهت» فيه وجوه:

الأول : بهت، أي: تحير واندهش وانقطعت حجته.

الثاني : بهت الذي كفر ، أي: جاء الذي كفر بالبهت أي: بهت الذي كفر إبراهيم عليه السلام .

الثالث : بهت الذي كفر ، أي: رام أن يبهت إبراهيم عليه السلام إلا أنه لم يستو له ذلك، وكانت الغلبة فيه لإبراهيم عليه السلام.

الرابع : بهت الذي كفر، أي : بهت إبراهيم الكافر فيكون فاعل «بهت» إبراهيم عليه الصلاة والسلام(٣).

وقراءة أبي حيوة: «بهت» بضم الهاء وفتح الموحدة تفيد المبالغة، والمعنى: فاشتد بهتان الذي كفر.

حاصل القراءات :

أن الذي كفر جاء بالبهتان فحجه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقطعه فبهته؛ فالآية بالقراءتين دلت على أمرين:

الأول : أن الذي كفر جاء ببهتان في محاجته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

---

١) معاني القرآن الكريم للنحاس ٢٧٦/١ المحتسب ١٣٤/١.

٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٤١/١ المفردات ص٦٣.

٣) المحتسب ١٣٤/١.

الثاني : أنّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام حاجَّه وغلبه.

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ) : «أما «بهت» فقد يمكن أن يكون من معنى ما قبله (يعني: بمعنى قراءة الجمهور) إلا أنه جاء على «فعل» كـ«ذهل ونكل وعجز ولغب» فيكون على هذا غير متعد كهذه الأفعال.

وقد يمكن أن يكون متعديا ويكون مفعوله محذوفا ، أي: فبهت الذي كفر إبراهيم عليه السلام .

فإن قيل : فكيف يجوز على هذا أن يجتمع معنى القراءتين ؟ ألا ترى أن بهت قد عرف منه أنه كان مبهوتا لا باهتا وأنت على هذا القول تجعله الباهت لا المبهوت ؟.

قيل : قد يمكن أن يكون معنى قوله: «بهت»، أي: رام أن يبهت إبراهيم عليه السلام، إلا أنه لم يستو له ذلك، وكانت الغلبة فيه لابراهيم عليه السلام.

وجاز أن يقول: «بهت» وإنما كانت منه الارادة كما قال جل وعز: ﴿إذا قُمْتمْ إلى الصَّلاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُم﴾ [المائدة:٦] أي: إذا أردتم القيام إليها، كقوله: ﴿فإذا قَرَأتَ القُرْآن فاسْتَعِذ باللَّه﴾ [النحل:٩٨] أي: إذا أردت قراءته؛ فاكتفى بالمسبب الذي هو القيام والقراءة من السبب الذي هو الارادة وقد أفردنا لهذا الموضع باب في كتابنا «الخصائص»(١).

ويجوز جوازا حسنا أن يكون فاعل «بهت» إبراهيم أي: فبهت إبراهيم الكافر، ليلتقي معنى هذه القراءة مع معنى الأخرى التي هي: ﴿فبُهِتَ الّذِي كَفَر﴾.» اهـ(٢).

---

١) ١٧٣/٣ باب في الاكتفاء بالسبب من المسبب وبالمسبب من السبب.

٢) المحتسب ١٣٥/١.

الموضع الحادي عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٥٩.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿نُنشِزُهَا﴾ :

فقرأ ابوجعفر ونافع وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب: ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾ بالراء ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن.

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ بالزاي ووافقهم الأعمش (١).

معنى القراءات :

القراءة بالراء : ﴿نُنشِرُهَا﴾ أي: كيف نحييها ونبعثها بعد موتها(٢).

القراءة بالزاي : ﴿نُنشِزُهَا﴾ أي: نرفع بعضها إلى بعض ونركبه على حالته الأولى لا يختل عظم عن مكانه، والنشز الرفع، فترفع العظام وتركب للأحياء(٣).

حاصل القراءات :

القراءتان تضيف كل واحدة منهما إلى الأخرى معنى؛ فقراءة: ﴿نُنشِزُهَا﴾ بينت أن العظام رفعت وركبت على بعضها دون تعرض لاحيائها، وقراءة: ﴿نُنشِرُهَا﴾ بينت أن العظام أحياها الله.

فأفادت الآية بالقراءتين أن الله ركب العظام على بعضها كما كانت على حالتها الأولى لم يختل عظم من مكانه، وأحياها فأدت القراءتان المعنى المراد بيانه - وهو التنبيه على عظيم قدرته سبحانه - مع الإيجاز(٤).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن القراءتين اجتمعتا على شيء واحد وهو الدلالة على عظيم قدرته سبحانه في البعث والاحياء والتركيب.

(٢) اختلف أهل التأويل في المراد من العظام في الآية :

---

١) إرشاد المبتدي ص٢٤٧ النشر٢/٢٣١ الاتحاف ص١٦٢.
٢) حجة القراءات ص١٤٤ عمدة الحفاظ ص٥١٦.
٣) الكشف ١/٣١٠-٣١١ تفسير الرازي ٧/٣٦ تفسيرالقرطبي ٣/٢٩٥.
٤) قواعد التدبر الأمثل ص٧٥٢.

فقيل: المراد عظام الحمار. وقيل: عظام الرجل. وقيل: عظامهما(١).

وهذا الأخير أولى الأقوال عند ابن جرير الطبري في المراد بالعظام في الآية.

قال الطبري (٣١٠هـ): «قوله ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾ إنما بمعنى وانظر إلى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشزها ثم نكسوها لحما.

وقد كان حماره أدركه البلى في قول أهل التأويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب، فلم يمكن صرف معنى قوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾ إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر إليها، ولا إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام نفسه دون عظام الحمار.

وإذا كان ذلك كذلك وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره كان الأولى بالتأويل أن يكون الأمر بالنظر إلى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه؛ لأن الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة» اهـ(٢).

قلت: فكأن «ال» في ﴿العظام﴾ للعهد الحضوري عنده رحمه الله، لكن الذي يظهر - والله أعلم - أن المراد عظام الحمار فقط والدليل على ذلك مايلي:

(أ) أن الظاهر من سياق الآية أن الله بعث الرجل ورد إليه روحه، فلما صار بشرا سويا أطلعه الله على جواب سؤاله ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا؟..﴾.

(ب) كيف يصح القول بأن الله بعثه وعظامه لا تزال رميما ينظر إليها؟.

(ج) ثم كيف يصح ذلك مع قوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾؟.

أما ما يقوله الإمام الطبري فالأصل العموم حقا، لكن خص النظر بالحمار لما ذكرت والله أعلم.

(٣) قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «وقرأ أبي «كيف ننشيها» بالياء، أي: نخلقها» اهـ(٣).

---

١) البحرالمحيط ٢/٢٩٣.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ٣/٤٢.

٣) البحرالمحيط ٢/٢٩٤، وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف.

الموضع الثاني عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا . فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ، قَالَ: كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ: بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ ، فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٥٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ...﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي : ﴿اَعْلَمْ﴾ بوصل الهمزة مع سكون الميم حالة وصل ﴿قال﴾ بـ ﴿اعلم﴾ وإذا ابتدأ بـ ﴿اَعْلَمْ﴾ كسرا همزة الوصل .

وقرأ باقي العشرة ﴿أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع مفتوحة وصلا وابتداء مع رفع الميم(١).

معنى القراءات :

قراءة حمزة والكسائي: ﴿اَعْلَمْ﴾ بهمزة الوصل، أي: قال الله لهذا الذي مر على القرية لما تبين له اعلم... فـ ﴿اَعْلَمْ﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر وجوبا يعود على هذا الذي مر على قرية ... .

ويحتمل أن يكون خطابا من هذا الرجل الذي مر على قرية خطابا منه لنفسه بعد أن عاين ما عاين فيقول على سبيل «التجريد»: اعلم أن الله على كل شيء قدير، أي الزم هذا العلم لما عاينت وتيقنت(٢).

قراءة الجمهور: ﴿أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضم الميم، أي: قال الرجل الذي مر على القرية ﴿أعلم...﴾ فـ ﴿أَعْلَمُ﴾ فعل مضارع واقع مقول القول(٣)، فالرجل يخبر عن نفسه.

حاصل القراءات :

يأمر الله عزوجل هذا الرجل الذي مر على القرية بعد أن تبينت له الآية في اعادته الى الحياة بعد موته وإعادة حماره إلى الحياة يأمره بأن يعلم بأن الله على كل شيء قدير ، وتفيد الآية بالقراءة الأخرى امتثال هذا الرجل لذلك الأمر واستجابته للأمر فصرح بذلك فقال أعلم أن الله على كل شيء قدير .

---

١) المبسوط ص١٣٤ النشر ٢/٢٣١-٢٣٢ الاتحاف ص١٦٢.
٢) الكشف ١/٣١٢ حجة القراءات ص١٤٤-١٤٥.
٣) المغني في توجيه القراءات ١/٢٧٤.

الموضع الثالث عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ البقرة:٢٨٢.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿كَاتِبًا﴾ .

وقرأ ابن عباس والحسن: «كتابا» بضم الكاف وتاء مشددة بعد ألف(١).

وقرأ أبي بن كعب ومجاهد وأبو العالية: «كتابا» على أنه من الكتابة(٢).

معنى القراءات :

قراءة الجمهور دلت أن الرهن يكون لفقد الكاتب والقراءة الشاذة دلت على أن الرهن يكون لفقد الكتابة.

حاصل القراءات :

الرهن يكون لفقد الكاتب والكتابة .

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «نفي الكاتب يقتضي نفي الكتابة ونفي الكتابة يقتضي أيضا نفي الكتب»اهـ(٣).

ويلاحظ مايلي :

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: «ولم تجدوا كتابا» وقال: «قد يوجد الكاتب ولا يوجد القلم ولا الدواة ولا الصحيفة والكتاب يجمع ذلك كله قال وكذلك كانت قراءة أبي»(٤).

---

١) البحر المحيط ٢/٣٥٥ الاتحاف ص١٦٦ القراءات الشاذة ص٣٧.

٢) البحر المحيط ٢/٣٥٥ الدر المنثور٢/١٢٤،١٢٥.

٣) البحرالمحيط ٢/٣٥٥.

٤) إسناده حسن لغيره في قراءة ابن عباس .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٦/٩٥ من طريق ابن جريج عن أبيه عن ابن عباس وأخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٣ رقم(٥٨٠) من الطريق نفسه كلاهما مقتصرا على قراءة ابن عباس.

وفي السند عندهما جريج وهو عبدالعزيز بن جريج قال في التقريب ص٣٥٦ عنه: «لين»اهـ لكن تابعه شهر بن حوشب، فقد أخرجه مقتصرا على قراءة ابن عباس أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٤ رقم (٥٨١ من طريق حجاج عن هارون عن حنظلة السدوسي عن شهر بن حوشب عن ابن عباس، وحنظلة قال عنه في التقريب ص١٨٤: «ضعيف»اهـ وشهر بن حوشب قال عنه في التقريب ص٢٦٩: «صدوق كثير الارسال والأوهام»اهـ.

قلت : فالأثر في قراءة ابن عباس حسن لغيره إن شاء الله.

الموضع الرابع عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ ٱللَّهِ، وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوجعفر ويعقوب ونافع وأبوعمرو: ﴿تَعْلَمُون﴾ بفتح التاء واسكان العين وفتح اللام المخففة.

وقرأ باقي العشرة: ﴿تُعَلِّمُون﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة(١).

معنى القراءات :

القراءة بتشديد اللام: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ أي: بتعليمكم الناس الكتاب(٢).

القراءة بتخفيف اللام: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي: بعلمكم الكتاب وفهمكم له.

حاصل القراءات :

أثبتت القراءتان بتخفيف اللام وتشديدها علمهم بالكتاب وزادت القراءة بالتشديد على القراءة بالتخفيف اثبات تدريسهم للكتاب.

ويلاحظ مايلي :

تكلم بعض المفسرين في ترجيح احدى القراءتين على الأخرى وقد تعقب ذلك أبوحيان (ت٧٥٤هـ) بقوله: «تكلموا في ترجيح أحد القراءتين على الأخرى وقد تقدم أني لا أرى شيئا من هذه التراجيح؛ لأنها كلها منقولة متواترة قرآنا فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى» اهـ(٣).

---

١) المبسوط ص١٤٥ النشر٢/٢٤٠ الإتحاف ص١٧٦.

٢) الكشف ٣٥١/١ حجة القراءات ص١٦٧-١٦٨.

٣) البحرالمحيط ٥٠٦/٢.

الموضع الخامس عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾ آل عمران:٨١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة : ﴿**واذ أخذ الله ميثاق النبيين**﴾.

وقرأ أبي وابن مسعود: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب»(١)، وهذه قراءة شاذة مخالفة لرسم المصحف.

حاصل القراءات :

أن الله أخذ ميثاق النبيين وميثاق الذين أوتوا الكتاب لأن أخذ الميثاق من النبيين أخذ لميثاق الذين معهم ؛ لأنهم قد تبعوهم وصدقوهم .

وأفادت القراءة الشاذة التنبيه على ذلك ، فلا يقال مثلا: إنما أخذ الميثاق على النبيين ولم يؤخذ على الذين أوتوا الكتاب؛ لأن هذه القراءة بينت أنه أخذ الميثاق من الذين أوتوا الكتاب كما أخذه من النبيين والله أعلم .

ويلاحظ مايلي :

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبوعاصم قال: عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿**واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة**﴾ قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب».» اهـ(٢).

---

١) تفسير القرطبي ١٢٤/٤ البحر المحيط ٥٠٨/٢.

٢) إسناده ضعيف .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٥٥٣/٦.

ومحمد بن عمرو شيخ الطبري هو أبوبكر الباهلي، ترجم له في تاريخ بغداد١٢٧/٣ ونقل توثيقه عن عبدالرحمن بن يوسف.

وأبوعاصم هو الضحاك بن مخلد ثقة ثبت كما قال في التقريب ص٢٨٠.

وعيسى بن ميمون ضعيف كما قال في التقريب ص ٤٤١.

وابن أبي نجيح هو عبدالله ثقة يدلس عن مجاهد كما قال في التقريب ص٣٢٦ و«تعريف أهل التقديس» ص ٣٩ وروايته هنا عن مجاهد وقد عنعن.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٥٢/٢ إلى عبد بن حميد والفريابي وابن المنذر.

وقد سبق ص ٢٨٥-٢٩٣، الرد على من يستدل بهذا الأثر وأمثاله في الطعن على القرآن العظيم.

الموضع السادس عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن الزبير: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير... ... ويستعينون الله على ما أصابهم»(١).

عن عمرو بن دينار أنه سمع ابن الزبير يقرأ: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم».

[فما أدري أكانت قراءته أم فسر؟.](٢).

حاصل القراءات :

أضافت هذه القراءة الشاذة لمخالفتها رسم المصحف إلى القراءة المتواترة أمرا آخر وهو الاستعانة بالله على ما يصيب الانسان نتيجة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وهي بهذا تتفق مع آيات أخرى يذكر الله تعالى فيها الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ لقمان:١٧.

ويلاحظ مايلي :

(١) قال القرطبي (٦٧١هـ) : «قال أبوبكر ابن الأنباري (ت٣٢٧هـ) : «وهذه الزيادة تفسير من ابن الزبير، وكلام من كلامه غلط فيه بعض الناقلين فألحقه بألفاظ القرآن.

يدل على صحة ما أصف الحديث الذي حدثنيه أبي حدثنا حسن بن عرفة حدثنا وكيع عن أبي عاصم عن أبي عون عن صبيح قال: سمعت عثمان بن عفان يقرأ: «ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما

---

١) تفسير القرطبي ١٦٥/٤ البحر المحيط ٢١/٣.

٢) إسناده صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٩١/٧-٩٢ وابن أبي داود في المصاحف ص٩٣.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٨٨/٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف، والزيادة بين العارضتين منه.

أصابهم»(١) فما يشك عاقل في أن عثمان لا يعتقد هذه الزيادة من القرآن، إذ لم يكتبها في مصحفه الذي هو امام المسلمين وانما ذكرها واعظا بها ومؤكدا ما تقدمها من كلام رب العالمين جل وعلا» اهـ(٢).

قلت: لم يصح سند هذا الأثر عن عثمان رضي الله عنه، وعلى كل حال فإن هذه القراءة عن ابن الزبير يستفاد منها في التفسير والله أعلم.

(٢) قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «لم تثبت هذه الزيادة في سواد المصحف فلا يكون قرآنا، وفيها إشارة إلى ما يصيب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من الأذى كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾[لقمان:١٧] » اهـ(٣).

---

١) إسناده ضعيف.

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٩١/٧ وابن أبي داود في المصاحف ص٤٨، كلاهما من طريق محمد بن عبيدالله أبي عون الثقفي عن صبيح أنه سمع عثمان يقرأ....

وصبيح هذا لم أتحقق منه، لعله صبيح بن سعيد يروي عن عثمان وعائشة، قال أبوخيثمة وابن معين: «كان ينزل الخلد كذاب خبيث»، قال أبوداود: «ليس بشيء».

أنظرميزان الاعتدال ٣٠٧/٢ وقارن بترتيب تاريخ ابن معين ٢٦٧/٢.

وعزاه في الدر المنثور ٢٨٨/٢ إلى عبد بن حميد.

٢) بواسطة تفسير القرطبي ١٦٥/٤-١٦٦.

٣) البحرالمحيط ٢١/٣.

الموضع السابع عشر :

قوله تبارك وتعالى : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران:١٤٠.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران:١٧٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿قَرْحٌ﴾ و ﴿الْقَرْحُ﴾ :

فقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه وحمزة والكسائي وخلف بضم القاف فيها.

وقرأ سائر العشرة بفتح القاف فيها(١).

معنى القراءات :

واختلف أهل التفسير هل معنى القراءتين واحد أم لا؟(٢).

قال أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) : «قوله جل وعز: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾.. و ﴿قُرْحٌ﴾ جميعا يقرآن، وهما عند أهل اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها، يقال: قد قرح يرح قرحا وأصابه قرح»اهـ(٣).

قلت : فرّق آخرون من أهل العلم بين (قرح) بالضم وبين (قرح) بالفتح.

فقال أبوعبيد (ت٢٢٤هـ) : «القرح بالفتح الجراح والقتل والقرح بالضم ألم الجرح»اهـ(٤).

وكذا قال الفراء(٥) (ت٢٠٧هـ).

وبنحوه قال الراغب (ت٥٠٢هـ) حيث قال: «القَرْح الأثر من الجراحة، من شيء يصيبه من خارج، والقُرح أثرها من داخل كالبثرة(٦) ونحوها»اهـ(٧).

حاصل القراءات :

إذا كانت القراءتان بمعنى واحد فإنّ أثر الاختلاف بين القراءتين

---

١) المبسوط ص١٤٧ النشر ٢/٢٤٢.
٢) زاد المسير ١/٤٦٦.
٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٧٠.
٤) بواسطة زاد المسير ١/٤٦٦.
٥) معاني القرآن للفراء ١/٢٣٤.
٦) البثرة خراج صغار، وخص بعضهم به الوجه، واحدته بثرة بتسكين الثاء وبثرة بتحريكها بالفتحة. لسان العرب ٤/٣٩.
٧) المفردات ص٤٠٠.

هو التوسعة على الأمة بمجيء لغتين في قراءة هذه الكلمة .

أما إذا كان معنى القراءة بالضم غير معنى القراءة بالفتح فهنا أثر اختلاف القراءتين يظهر في مجيء معنيين للآية الواحدة بقراءتين متواترتين.

ويلاحظ مايلي :

أن التأسيس أولى من التأكيد؛ فإذا أمكن أن يكون لكل قراءة معنى فهو أولى من كونهما لغتان بمعنى.

قال في حجة القراءات: «وأولى القولين بالصواب قول الفراء لتصييرهما لمعنيين، والدليل على ذلك قول الله جل وعز حين أساهم بهم في موضع آخر بما دل على أنه أراد الألم فقال: ﴿و لاتَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء:١٠٤] فدل ذلك على أنه أراد: إن يمسسكم ألم من أيدي القوم فإن بهم من ذلك مثل ما بكم» اهـ(١).

١) حجة القراءات ص١٧٤.

الموضع الثامن عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ، وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّاكَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ﴾ آل عمران: ١٦١.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿يغل﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم بفتح الياء وضم العين: ﴿يَغُلَّ﴾.

وقرأ ابوجعفر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب بضم الياء وفتح الغين: ﴿يُغَلَّ﴾(١).

معنى القراءات :

القراءة بفتح الياء وضم الغين ﴿يَغُلَّ﴾ مبنيا للفاعل والمعنى انه لا يمكن ذلك منه؛ لأن الغلول معصية، والنبي ﷺ معصوم، فلا يمكن أن يقع في شيء منها وهذا النفي إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوهم فيه ذلك، ولا ينسب إليه شيء من ذلك(٢).

القراءة بضم الياء وفتح الغين: ﴿يُغَلَّ﴾ مبنيا للمفعول والمعنى انه ليس لأحد أن يغل النبي ﷺ أي: يخونه، فالآية خبر في معنى النهي.

وفي هذه القراءة معنى آخر: ﴿يُغَلَّ﴾ مبنيا للمفعول أي: يسرق ويخون، أي: ينسب إلى الغلول، ويقال: أغللته، أي: نسبته إلى الغلول، ويجوز أن يكون المعنى ماكان لنبي أن يوجد غالا، كقولك: أحمدت الرجل أي: وجدته محمودا(٣).

حاصل القراءات :

ينفي الله تبارك وتعالى عن الرسول ﷺ تهمة الغلول، كما ينهى الناس عن الغلول وخاصة مع النبي ﷺ، وفيها نهي آخر وهو أن ينسب الى الرسول ﷺ الخيانة أو الغلول.

فالآية بالقراءتين تضمنت خبرا ونهيين، وقامت مقام ثلاث آيات على وجه الايجاز مع الإعجاز، فسبحان الذي هذا كلامه.

---

١) النشر ٢٤٣/٢ الإتحاف ص١٨١ البدور الزاهرة ص٧٢.

٢) الكشف ٣٦٣/١ البحر المحيط ١٠١/٣.

٣) الكشف ٣٦٣/١-٣٦٤ حجة القراءات ص١٨٠-١٨١.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) ورد عن ابن عباس الآثار التالية :

(أ) عن أبي عبد الرحمن قال : «قلت لابن عباس: إِنَّ ابن مسعود يقرأ: ﴿وماكان لنبي أن يَغلَّ﴾ (يعني: بفتح الغين) . فقال لي : قد كان له أن يُغَل وأن يُقتَل، وإنما هي: ﴿أن يَغُلَّ﴾ (يعني: بضم الغين) ماكان الله ليجعل نبيه غالا»(١).

(ب) عن مجاهد قال: «كان ابن عباس ينكر على من يقرأ: ﴿وَمَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ﴾ ويقول: كيف لا يكون له أن يغل وقد كان له أن يقتل؟. قال الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [البقرة:٦١] ولكن المنافقين اتهموا النبي ﷺ في شيء من الغنيمة؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾.»(٢).

قلت : هذا الكلام روي عن ابن عباس بأسانيد ضعيفة، وحتى إن صح عنه فإنه محمول على أنه رضي الله عنه لم تبلغه القراءة الأخرى بضم الياء وفتح العين وإلا فان القراءة ثابتة ولاتعارض.

(٢) نقل ابن مهران(٣) (ت٣٨١هـ) الخلاف عن يعقوب برواية روح وزيد عنه ورواية رويس عنه من طرقه إليهم، خلافا لما في "إرشاد المبتدي"(٤) و "النشر"(٥) و "الإتحاف"(٦) ولعل ذلك لاختلاف طرق الروايات عندهم عما عند ابن مهران والله أعلم.

---

١) قال في الدر المنثور ٣٦٢/٢: «أخرجه ابن منيع في مسنده»اهـ.

٢) إسناده ضعيف .

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠١/١١ ومن طريقه أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٧٢/١-٣٧٣ والواحدي في أسباب النزول ص١٢٢.

وفي السند محمد بن أحمد بن يزيد النرسي شيخ الطبراني، أورده الخطيب في تاريخ بغداد ٣٧٢/١ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وأورد ابن حجر في لسان الميزان ٤١/٥ ترجمة محمد بن أحمد بن يزيد الزهري (كذا) روى عنه أبو الشيخ والطبراني، قال أبو الشيخ: لم يكن بالقوي في الحديث وقال: أبو نعيم كان كثير الخطأ والمصنفات. قال ابن حجر: «يحتمل أن يكون هو شيخ ابن عدي المذكور قبله»اهـ

قلت : شيخ ابن عدي المذكور قبله قال في ترجمته: «كان يسرق الحديث»اهـ فإن كان هو شيخ الطبراني فالحديث ضعيف جدا، وإلا فالحديث ضعيف فقط.

٣) المبسوط ص١٤٨-١٤٩.

٤) ص٢٧١.

٥) ٢٤٣/٢.

٦) ص١٨١.

(٣) فإن قيل: الآية على قراءة: ﴿يُغَلَّ﴾ بمعنى: ما كان لأحد أن يخون النبي ﷺ والخيانة محرمة مع كل أحد فما فائدة تخصيص النبي ﷺ بهذه الحرمة ؟.

فالجواب : هو في قول الرازي (ت٦٠٦هـ) : «وتخصيص النبي ﷺ بهذه الحرمة فيه فوائد:

أحدها : أن المجني عليه كلما كان أشرف وأعظم درجة كانت الخيانة في حقه أفحش، والرسول أفضل البشر فكانت الخيانة في حقه أفحش.

وثانيها : أن الوحي كان يأتيه حالا فحالا فمن خانه فربما نزل الوحي فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا.

وثالثها : أن المسلمين كانوا في غاية الفقر في ذلك الوقت فكانت تلك الخيانة هناك أفحش» اهـ(١).

وقول القرطبي (ت٦٧١هـ): «خصه (يعني: النبي ﷺ) بالذكر؛ لأن الخيانة معه أشد وقعا وأعظم وزرا لأن المعاصي تعظم بحضرته لتعين توقيره، والولاة إنما هم على أمر النبي ﷺ فلهم حظهم من التوقير» اهـ(٢).

---

١) تفسير الرازي ٩/٧٢.

٢) تفسير القرطبي ٤/٢٥٦.

الموضع التاسع عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿والأَرْحَامَ﴾:

فقرأ حمزة : ﴿والأرحامِ﴾ بالخفض، ووافقه المطوعي عن الأعمش.

وقرأ باقي العشرة : ﴿والأرحامَ﴾ بالنصب، ووافقهم اليزيدي وابن محيصن والحسن والشنبوذي عن الأعمش(١).

وقرأ ابو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد: «والأرحام» بالرفع(٢).

معنى القراءات :

معنى قراءة حمزة: ﴿والأرحامِ﴾ بالخفض، أي: اتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام، وهو قول الرجل: أسألك بالله وبالرحم، وهذا قول الحسن وعطاء وابراهيم ومجاهد(٣).

معنى قراءة عامة العشرة: ﴿والأرحامَ﴾ بالنصب، أي: اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الأرحام وصلوها لا تقطعوها ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي وابن زيد(٤).

معنى قراءة أبي عبدالرحمن عبدالله بن زيد: «والأرحام» بالرفع، أي: والأرحام مما يجب أن تتقوه وان تحتاطوا لأنفسكم فيه(٥).

حاصل القراءات :

يأمر الله تعالى الناس بتقواه كما يأمرهم بأن يحافظوا على الأرحام ويصلوها ولا يقطعوها، كما تتضمن قراءة حمزة جواز السؤال به تعالى وبالرحم من باب حفظها وعظم حقها عند الله تعالى والله أعلم .

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) ورد عن الصحابة والتابعين قولان في تفسير الآية:

الأول : ﴿تساءلون به والأرحامِ﴾ كقول الرجل: أسألك بالله

---

١) المبسوط ص١٥٣ النشر٢/٢٤٧ الإتحاف ص١٨٥.

٢) المحتسب ١/١٧٩.

٣) زاد المسير٢/٣ الدر المنثور٢/٤٢٤.

٤) ماسبق.

٥) المحتسب ١/١٧٩.

وبالرحم، وهذا منقول عن مجاهد والحسن وغيرهما(١).

الثاني : ﴿تسَاءلُونَ بهِ والأرْحَامَ﴾، أي: اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الأرحام وصلوها، وهذا منقول عن ابن عباس ومجاهد كذلك وعكرمة(٢).

قلت : وليس هذا باختلاف منهم رضي الله عنهم، بل كل منهم فسر الآية اعتبار قراءة من القراءات الواردة فيها، وقد سبق التنبيه إلى نحو هذا ولله الحمد(٣).

(٢) قد آذن تبارك وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه(٤) ، وقد قال ﷺ : «إن الرحم شجنة من الرحمن(٥) فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته».

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرَغْ منهم قامت الرحم؛ فقال: مه؟. قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟. قالت: بلى يارب . قال: فذلك لك».

وفي رواية: «ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ • أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ • أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

---

١) الدر المنثور٢/٤٢٤.

٢) ماسبق .

٣) ص٣٢١.

٤) الكشاف ٢٤١/١ وقارن بتفسير البيضاوي ص١٠٢.

٥) «الرحم شجنة من الرحمن»أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر٤٤٧/٢.

والمراد أنها مشتقة من اسمه تعالى كما وقع مصرحا به في الحديث القدسي: «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي اسما، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته» حديث صحيح .

أخرجه أحمد في المسند (شاكر) حديث رقم (١٦٨٠) والبخاري في الأدب المفرد (فضل الله الصمد) ١٣٢/١ حديث رقم (٥٣) وأبوداود في كتاب الزكاة باب صلة الرحم حديث رقم (١٦٩٤) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ماجاء في قطيعة الرحم حديث رقم (١٩٠٨) والحاكم في المستدرك ١٥٨/١ وصححه أبويعلى في مسنده ١٥٣/٢-١٥٥ حديث رقم (٨٤٠-٨٤١) من حديث عبدالرحمن بن عوف وصححه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٧١/٣ وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٣٨/٣.

[سورة محمد:٢٢-٢٤].»(١).

(٣) هاجم جمهور البصريين هذه القراءة المتواترة عن حمزة حتى صرح بعضهم بخطأ هذه القراءة لمخالفتها للقاعدة لديهم: «لايجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض إلا بعد اعادة الخافض»(٢).

قلت : والحق قبول هذه القراءة، وتصحيح القاعدة مع ما يتفق مع ماجاء فيها، وقد رد الامام أبونصر عبدالرحيم بن عبدالكريم القشيري (ت٥١٤هـ) قول البصريين واختار جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض كمذهب الكوفيين وقال في رده على البصريين: «ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ ، واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو فان العربية تتلقى من النبي ﷺ ، ولا يشك أحد في فصاحته» اهـ(٣).

قلت : رحم الله القشيري، فقد أجاد وأفاد، ولعل مما تجدر ملاحظته أن القضية ليست الشك في فصاحته ﷺ وإنما القضية أن القراءة متواترة؛ فهي إذا قد تلقاها بالوحي من جبريل عليه السلام فأي ردٍ لها لقواعد اللغة، هو ردٌ للوحي الذي ينبغي أن يكون حاكما على القواعد وليس محكوما بها، على أن هذه القراءة ليست متفردة بذلك بل في القرآن الكريم كثير مثلها كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟ قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله...**﴾ البقرة: ٢١٧ حيث عطف كلمة ﴿**المسجدالحرام**﴾ على الهاء في ﴿**به**﴾ بدون اعادة الخافض وكذا في قوله تعالى: ﴿**وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين**﴾ الحجر:٢٠ حيث قالوا: إن كلمة ﴿**من**﴾ في

---

١) حديث صحيح عن أبي هريرة .
أخرجه البخاري في مواضع منها في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ الفتح:١٥ حديث رقم (٧٥٠٢) وفي كتاب الأدب باب من وصل وصله الله حديث رقم (٥٩٨٧)، وأخرجه مسلم في كتاب البر باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم (٢٥٥٤).

٢) وهي من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين عند ابن الأنباري في الانصاف في مسائل الخلاف ٤٦٣/٢.

٣) بواسطة تفسير القرطبي ٤/٥.

موضع خفض عطفا على الضمير المخفوض في ﴿لَكُمْ﴾(1).

وقد تأول البصريون هذه الآيات لتتفق مع كلامهم وقد قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «وتأويلها (يعني: آية النساء) على غير العطف على الضمير مما يخرج الكلام عن الفصاحة فلا يلتفت إلى التأويل... ... ومن أدعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب» اهـ(2).

---

1) وقد بسط القول في وجوب تصحيح القاعدة عند البصريين صاحب كتاب «نظرية النحو القرآني» ص ٧٤-٧٨ وانظر «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» ق١ ج٣ ص٥٤٣-٥٤٧.

2) البحرالمحيط ١٤٧/٢.

الموضع العشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَأْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء: ٢٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ أبي بن كعب وعبدالله بن عباس وابن جبير: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن»(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة عامة العشرة: ﴿... فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَأْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء ولو مرة فقد وجب اعطاء الأجر وهو المهر، ولفظة ﴿ما﴾ تدل على أن يسير الوطء يوجب ايتاء الأجر (٢) ، وهذا المعنى قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد والحسن والجمهور(٣).

معنى قراءة أبي وابن عباس وابن جبير: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن» يعني: نكاح المتعة، حيث كان الرجل يقول للمرأة أتزوجك إلى أجل كذا وكذا على أن لا ميراث بيننا و لاطلاق و لا شاهد و أعطيك كذا(٤)، وهذا المعنى قاله ابن عباس و مجاهد والسدي(٥).

وهذا الحكم الذي دلت عليه الآية بهذه القراءة الشاذة منسوخ بما جعل الله بيد الزوج من الطلاق، وبما فرض من الميراث بين الزوجين، وبالعدة والصداق والشهادة والولي(٦) وباجماع العلماء على تحريم نكاح المتعة(٧) وبالله التوفيق.

---

١) تفسير الطبري (شاكر) ١٧٧-١٧٩ معاني القرآن للنحاس ٦١/٢.
٢) البحر المحيط ٢١٨/٣.
٣) زاد المسير٥٣/٢ البحر المحيط ٢١٨/٣.
٤) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢٢١.
٥) البحر المحيط ٢١٨/٣.
٦) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢٢١.
٧) موسوعة الاجماع في الفقه الاسلامي ص١١٥٣.

حاصل القراءات :

دلت الآية بالقراءتين على حكمين :

الأول : استحقاق المرأة للمهر إذا استمتع الرجل بها أيما استمتاع في النكاح، ثم لا جناح إذا تراضت المرأة مع زوجها في نقض ما تراضوا عليه أو رده أو تأخره من بعد الفريضة وهذا الحكم محكم غير منسوخ.

الثاني : جواز متعة النساء، فالرجل إذا استمتع بالمرأة فلها أجرها، ثم لاجناح عليكم إذا انقضى أجل المتعة أن يزدنكم في الأجل، وتزيدون في الأجر من غير استبراء، وهذا الحكم منسوخ .

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أورد هنا جملة من الآثار المتعلقة بالآية :

(أ) عن عبد الله بن عباس قال: «كانت المتعة في أول الاسلام وكانوا يقرأون هذه الآية: «فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى» كان الرجل يقدم البلد ليس له به معرفة فيتزوج بقدر ما يرى يفرغ من حاجته لتحفظ متاعه وتصلح له شأنه حتى نزلت هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ [النساء:٢٣] إلى آخر الآية ونسخ الأجل وحرمت المتعة، وتصديقها في القرآن: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦] ، فما سوى هذا الفرج فهو حرام».

وفي رواية: «... حتى إذا نزلت الآية: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون:٦] قال ابن عباس: فكل فرج سوى هذين فهو حرام»(١).

---

١) إسناده ضعيف.

أخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في تحريم نكاح المتعة تحت رقم (١١٢٢) دون أن يذكر القراءة، والرواية التي أشرت اليها له ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير١٠/٣٨٩-٣٩٠ والسياق له، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٣٠٥-٣٠٦ وساقه الحازمي بسنده في «الاعتبارفي بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار» ص١٧٨-١٧٩.

قلت : مدار السند عندهم على موسى بن عبيدة قال في التقريب ص٥٥٢: «ضعيف»اهـ و متنه منكر.

والحديث قال عنه الحازمي في «الاعتبار» ص١٧٩: «هذا إسناد صحيح لولا موسى بن عبيدة»اهـ.

وحكم بضعفه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/١٧٢ والألباني في ارواء الغليل ٦/٣١٦.

=

(ب) عن أبي نضرة قال: قرأت على ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

قال ابن عباس: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى».

قال أبو نضرة: فقلت ما نقرأها كذلك؟.

فقال ابن عباس: والله لأنزلها الله كذلك ثلاث مرات»(١).

(ج) قال الطبري: حدثنا أبوكريب قال: حدثنا يحي بن عيس قال: حدثنا نصير بن أبي الأشعث قال: حدثني ابن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه قال: «أعطاني ابن عباس مصحفا فقال: هذا على قراءة أبي.

قال أبو كريب: قال يحي: فرأيت المصحف عند نصير فيه: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»(٢).

= قلت: ونكارة الحديث لمخالفته ما صح عن ابن عباس أن نكاح المتعة رخصة في الحال الشديد أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة أخيرا تحت رقم (٥١١٦) ولفظه: «عن أبي جمرة قال: «سمعت ابن عباس يسأل عن نكاح متعة النساء فرخص، فقال له مولى له: إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه. فقال ابن عباس: نعم».

وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٦/٣ بلفظ: «... إنما كان ذلك في الغزو والنساء قليل. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: صدقت».

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٠٤/٧ وعنده بدل: «الغزو» «الجهاد».

١) إسناده صحيح.

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١٧٧/٨ من طرق، وابن أبي داود في المصاحف ص٩١ والحاكم في المستدرك ٣٠٥/٢ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»اهـ ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، والزيادة بين العارضتين من الطبري وابن أبي داود.

٢) إسناده حسن.

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١٧٦/٨-١٧٧.

وأبوكريب هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني ثقة كما قال في التقريب ص٥٠٠.

ويحي بن عيسى هو التميمي النهشلي صدوق يخطيء كما قال في التقريب ص٥٩٥.

ونصير بن أبي الأشعث هو الأسدي أبوالوليد الكوفي ثقة كما قال في التقريب ص٥٦١.

وابن حبيب، ابناء حبيب بن أبي ثابت ثلاثة هم: عبدالله وهو ثقة. التقريب ص٢٩٩، وعبيدالله وثقه ابن معين. الجرح والتعديل ٣١١/٥ وقال الدارقطني: «عبدالله وعبيدالله وعبدالسلام بنو حبيب بن أبي ثابت وكلهم ثقات» تهذيب التهذيب ١٨٣/٥.

وحبيب بن أبي ثابت ثقة فقيه جليل كان كثير الإرسال والتدليس كما في التقريب ص١٥٠.

=

(٢) نقل المفسرون في الآية على قراءة الجمهور قولين:

الأول : أن الآية محكمة وأنها في مهر الزوجة إذا استمتع بها زوجها.

الثاني : أن الآية في نكاح المتعة وهي منسوخة.

قلت والذي يظهر - والعلم عند الله - أن القولين إنما هما باعتبار اختلاف القراءة في الآية، فمن قرأ بقراءة الجمهور كان معنى الآية عنده هو الأول، ومن قرأ الآية بقراءة أبي وابن عباس كان معنى الآية عنده هو الثاني، فكل تفسير على قراءة.

(٣) القراءة المنقولة عن أبي بن كعب وابن عباس قراءة شاذة لا يقرأ بها في الصلاة.

قال الطبري (ت٣١٠هـ) : «أما ماروي عن أبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى» فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئا لم يأت به الخبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه» اهـ(١).

وقال مكي (ت٤٣٧هـ) : «لا يجوز لأحد اليوم أن يقرأ بذلك لأنها قراءة على التفسير مخالفة للمصحف؛ ولأن القرآن لا يؤخذ بأخبار الآحاد» اهـ(٢).

= قلت : وللأثر شواهد منها :

١ - عن قتادة قال: «في قراءة أبي بن كعب: «فمااستمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»».

قلت : عزاه في الدر المنثور ٤٨٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن جرير.

وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (شاكر) ١٧٨/٨ بسند صحيح إلى قتادة، وساق المقدسي في كتابه «تحريم نكاح المتعة» ص١٧٨ هذا الأثر من طريق عبد بن حميد بسند صحيح إلى قتادة.

٢ - عن سعيد بن جبير قال: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى» وقال: «هذه قراءة أبي بن كعب».

قلت : أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص٦٣ وسنده صحيح إلى ابن جبير وأورده المقدسي في كتاب «تحريم نكاح المتعة» ص١٧٨ بسنده من طريق عبد بن حميد دون قوله: «وقال: هذه قراءة أبي بن كعب».

٣ - قال في الدر المنثور ٤٨٤/٢: «أخرج عبد الرزاق عن عطاء: «أنه سمع ابن عباس يقرؤها: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل فآتوهن أجورهن» وقال ابن عباس: في حرف أبي: «الى أجل مسمى»».

قلت : لم أجد هذه الرواية في تفسير الصنعاني المطبوع ولا في مصنفه والله أعلم.

١) تفسير الطبري (شاكر) ١٧٩/٨.

=

قال نصر بن إبراهيم المقدسي (ت٤٩٠هـ) : «إن قوله: «إلى أجل مسمى» ليس بقرآن، وليس بمنزل من الله تعالى؛ لأنه ليس بين الدفتين، ولو كان من القرآن لوجدناه فيه ولجازت قراءته في المحاريب، وبين أظهر الناس، ولما لم يجز ذلك بحال؛ علم أنه ليس من القرآن، وكفانا بالمصحف واجماع الصحابة، ألا ترى أنا أجمعنا على أن سورتي القنوت ليستا من القرآن وإن كانتا في قراءة أبي، فكذلك هذا مثله» اهـ(١).

---

٢) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢٢٢.

١) تحريم نكاح المتعة للمقدسي ص١٧٩.

الموضع الحادي والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء: ٩٤.

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦.

تنوعت القراءات في قوله ﴿فتبينوا﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿فتثبتوا﴾ بثاء مثلثة بعدها باء موحدة، بعدها تاء مثناة فوقية ووافقهم الحسن والأعمش.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب وأبوجعفر: ﴿فتبينوا﴾ بالباء والنون، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بالثاء: ﴿فتثبتوا﴾، أي: تأنوا، ولا تقدموا وقفوا حتى يتضح الحال، أعم من أن يكون منشأ ذلك الاتضاح الاستطلاع وبذل الجهد في التعرف؛ فليس في الآية إلا طلب التأني والتوقف حتى تتبين الأمور.

القراءة بالباء: ﴿فتبينوا﴾، أي: افحصوا واكشفوا حتى تتبين لكم الحقيقة، ففيها أمر زائد على مجرد التوقف والتأني وهو الحث على التبين وكشف الحال(٢) والله أعلم.

حاصل القراءات :

يطلب الله من المؤمنين إذا نقل اليهم فاسق نبأ أن لا يكتفوا بمجرد التوقف والتأني إلى أن ينجلي الأمر ولو بنفسه بل يطلب منهم بذل الجهد في طلب الحقيقة والبيان ما يحصله ويعجل به(٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) : «التبين يعم التثبت؛ لأن كل من تبين أمرا فليس يتبينه إلا بعد التثبت، ظهر له ذلك الأمر أو لم يظهر، لا بد من التثبت مع التبين، ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه وقد يتثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبت» اهـ(٤).

---

١) إرشاد المبتدي ص٢٨٧ الإتحاف ص١٩٣.
٢) حجة القراءات ص٢٠٩.
٣) دراسات في مناهج المفسرين ٦٦/١.
٤) الكشف ٣٩٤/١.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) هذا التنوع في قراءة : ﴿فتبينوا﴾(١) تكرر في جميع مواضع ورودها في القرآن العظيم، ومجموعها ثلاثة مواضع وهي التالية :

الأول والثاني: في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء:٩٤.

الموضع الثالث : في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيُّها الّذِين آمنُوا إنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبأ فَتَبيّنُوا أن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فتُصْبِحُوا عَلَى مَا فعلْتُم نَادِمين﴾ الحجرات:٦.

وما ذكر هنا من معنى القراءات شامل لجميع هذه المواضع .

(٢) أن في مجيء القراءة بـ ﴿فتثبتوا﴾ بالثاء - مع أن قراءة ﴿فتبينوا﴾ مستلزمة لها في المعنى ويمكن أن تغني عنها - تأكيدا على التأني في الأمور وعدم العجلة فيها، خاصة ماوردت فيه الآيتان وهو حال ملاقاة من يلقي السلام علينا ولا نعرف عنه شيئا فيما إذا ضربنا في سبيل الله، وحال الفاسق ينقل إلينا خبرا؛ فلا نتعجل الحكم ونتأنى فيهما مع السعي لطلب البيان وهذا حق فإن «التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان»(٢).

وفيه تأكيد على أن طريق التبين والوصول إلى الحقيقة هو التأني والتثبت كما قيل : «إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب، وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطيء»(٣) والله أعلم.

---

١) المبسوط ص١٥٧ النشر٢/٢٥١.

٢) اقتباس من حديث حسن الإسناد عن أنس .
أخرجه أبويعلى في مسنده ٧/٢٤٨ حديث رقم (٤٢٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٠٤ بهذا اللفظ.
والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٤٠٤ حديث رقم (١٧٩٥)، وحسنه لغيره محقق مسند أبي يعلى.

قال في مجمع الزوائد ٨/١٩ عن هذا الحديث: «أخرجه أبويعلى ورجاله رجال الصحيح»اهـ
قلت : في السند سعد بن سنان ويقال: سنان بن سعد لم يخرج له في الصحيح، إنما أخرج له أصحاب السنن إلا النسائي كما في التقريب ص٢٣١.

٣) روي مرفوعا ولا يصح. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٠٤ ومدار السند عنده على سعيد بن سماك بن حرب قال أبوحاتم كما في ميزان الاعتدال ٢/١٤٣: «متروك الحديث»اهـ. وحكم الألباني بضعفه في ضعيف الجامع ١/١٦١-١٦٢.

الموضع الثاني والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ النساء:١١٧.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿إِلَّا إِنَاثاً﴾ .

وقرأت عائشة رضي الله عنها: «إلا أوثانا».

وروى عنها: «أثنا» بثاء قبل النون .

وروي عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنثا» النون قبل الثاء، وبه قرأ أبوحيوة والحسن وعطاء وأبو العالية.

وقرأ ابن عباس: «إلا وثنا».

وقرأ عطاء بن أبي رباح: «إلا أثنا».

وقرأ سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبو المتوكل وأبو الجوزاء: «إلا وثنا» بفتح الواو والثاء من غير همزة.

وقرأ أيوب السختياني: «إلا وثنا» بضم الواو والثاء من غير همزة كـ«شقف»(١).

عن هشام بن عروة عن أبيه قال كان في مصحف عائشة: «إن يدعون من دونه إلا أوثانا».»(٢).

وأخرج الخطيب في تاريخه عن عائشة قالت : «قرأ رسول الله ﷺ: «إن يدعون من دونه الا أنثى»(٣).

قلت : هذه قراءة شاذة مخالفة لرسم المصحف .

معنى القراءات :

القراءة المتواترة: ﴿إِنَاثاً﴾ فيه خمسة أقوال :

الأول : أن الإناث بمعنى الأموات، قاله ابن عباس والحسن في

---

١) المحتسب ١٩٨/١ زاد المسير٢٠٢/٢ البحرالمحيط ٣٥٢/٣.

٢) إسناده صحيح .

أخرجه الطبري في تفسيره (دار الفكر) ٢٨٠/٥، وأبوعبيد في فضائل القرآن ص٢٤٨ تحت رقم (٥٩٢) (وفي طبعة دار الكتب العلمية ص١٧٠)، وأورده ابن أبي حاتم في العلل ٧٩/٢ ونقل عن أبي حاتم تكذيبه للخبر مرفوعا ثم قال: «وعن عروة عن عائشة: «أنها قرأت: «إن يدعون من دونه إلا أوثانا» صحيح، وهو غير ذلك (يعني المرفوع).»اهـ.

وعزاه في الدرالمنثور٦٨٧/٢ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف.

٣) تاريخ بغداد ٢٠٢/٢.

رواية وقتادة، قال الحسن: كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة فهو اناث.

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث، تقول من ذلك: الأحجار تعجبني والدراهم تنفعني .

الثاني : أنّ الإناث الأوثان، وهو قول عائشة ومجاهد.

الثالث : أنّ الإناث اللات والعزى ومناة، كلهن مؤنث وهذا قول أبي مالك وابن زيد والسدي.

وروى أبورجاء عن الحسن قال: «لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يسمونه أنثى بني فلان، فنزلت هذه الآية».

قال الزجاج : «والمعنى ما يدعون إلا ما يسمونه باسم الأنثى»اهـ

قلت : يشير رحمه الله إلى أن تلك الأقوال هذا معناها وذلك موافقة لقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى . تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ النجم:٢١-٢٢.

الرابع : أنها الملائكة، كانوا يزعمون أنها بنات الله.

الخامس : أن مع كل صنم شيطانة (جنية)(١).

ومعنى القراءة الشاذة : «أثنا»، «أنثا» :

قال أبو الفتح ابن جني (٣٩٢هـ): «أما «أثن» فجمع «وَثَن» وأصله «وُثُنْ» فلما أنضمت الواو ضما لازما قلبت همزة كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات:١١] وكقولهم في «وجوه»: «أجوه»، وفي «وعد»: «أعد»، وهذا باب واسع... .

ومن قال: «أثْنًا» بسكون الثاء فهو كـ«أسْد» بسكون السين.. .

وأما «أنثا» بتقديم النون على الثاء فينبغي أن يكون جمع «أنيث» كقولهم: سيف أنيث الحديد أي: لين وذلك كقراءة العامة: ﴿الا اناثا﴾ يعني به الأصنام.

قال الحسن : الإناث كل شيء ليس فيه روح خشبة يابسة وحجر يابس... (قال ابن جني:) وعليه القراءة: «إلا أوثانا».»اهـ(٢).

حاصل القراءات :

يُشَنِّع الله سبحانه وتعالى على الكافرين بأنهم يعبدون أحجارا وأخشابا ميتة، يسمونها تسمية الأنثى فهي اللات والعزى ومناة، وقد يكون مع كُل صنم منها شيطانة، فهي أوثان أناث أنثا والله أعلم.

---

١) زاد المسير ٢٠٣/٢ الدرالمنثور٦٨٦/٢-٦٨٧.

٢) المحتسب ١٩٨/١-١٩٩ باختصار.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) اختلف في تفسير الآية بحسب تنوع القراءات فيها.

(٢) قال الشوكاني (١٢٥٠هـ) : «وعلى جميع هذه القراءات فهذا الكلام خارج مخرج التوبيخ للمشركين والإزراء عليهم والتضعيف لعقولهم لكونهم عبدوا من دون الله نوعا ضعيفا» اهـ(١).

---

١) تفسير الشوكاني ١/٥١٦.

الموضع الثالث والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿... فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ المائدة: ٦.

تنوعت القراءات في اللام من قوله: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ :

فقرأ أبوجعفر وأبوعمرو وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة وخلف: ﴿وامسحوا برؤوسكم و أَرْجُلِكُم﴾ بالخفض .

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص والكسائي ويعقوب: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب، وهذه قراءات متواترة(١).

وقرأ الحسن: "وأرجلكم" بالرفع(٢).

معنى القراءات :

معنى الآية على قراءة الخفض أغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤوسكم وأرجِلكم إلى الكعبين؛ فيكون حكم الأرجل هو المسح لأنها معطوفة على: ﴿رُؤُوسِكُمۡ﴾ لفظا ومعنى ويحتمل أنها معطوفة لفظا لا معنى؛ فيكون حكم الأرجل الغسل وخفضت على الجوار(٣).

ومعنى الآية على قراءة النصب: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم، فيكون حكم الأرجل هو الغسل، لأنها معطوفة على: ﴿وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ وإنما أدخل مسح الرأس بين المغسولات محافظة على الترتيب، لأن الرأس يمسح بين المغسولات(٤)، ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب الترتيب في أعضاء الوضوء حسبما في الآية الكريمة(٥).

ومعنى الآية على قراءة الرفع: اغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم، وأرجلكم مغسولة، فيكون حكم الأرجل الغسل؛ لأن ﴿أرجلُكم﴾ مرفوعة على الابتداء والخبر محذوف أي: اغسلوها أو مغسولة أو نحو ذلك(٦)، ومعنى هذه القراءة راجع إلى القراءة المتواترة بالنصب.

---

١) المبسوط ص١٦١ النشر ٢٥٤/٢.

٢) الاتحاف ص١٩٨ القراءات الشاذة ص٤٢.

٣) حجة القراءات ص٢٢٣.

٤) أضواء البيان ٧/٢.

٥) تفسير البيضاوي ص١٤٢، أطال ابن كثير في تفسيره ٢٥/٢ تقرير ذلك، وفي شرح لامية العجم للصفدي ٣٦٤/١ فائدة حول هذا.

٦) المحتسب ٢٠٨/١ تفسير البيضاوي ص١٤٢.

حاصل القراءات :

إذا اعتبرنا قراءة الخفض من باب الخفض على الجوار فهو عطف لفظي لا معنوي؛ إذ العرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض، مع أن إعرابها النصب أو الرفع(١)، فلو اعتبرنا القراءة من هذا الباب رجع معنى هذه القراءة إلى القراءة بالنصب، فلا تفيد عندها القراءات إلا حكما واحدا وهو غسل الرجلين، فتكون قراءة النصب مبينة لقراءة الخفض.

وعلى هذا : فإن فائدة مجيء القراءة بالخفض مع رجوع معناها إلى قراءة النصب هو التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليهما عند غسلهما، ويغسلا غسلا يقرب من المسح(٢) أما لو لم تعتبر قراءة الخفض من باب الخفض على الجوار فإنه يكون أثر اختلاف القراءات اختلاف حكم الأرجل، فهي تغسل على قراءة النصب، وتمسح على قراءة الخفض ، وعلى هذا فإن القراءات مختلفة، ويجمع بينها بأحد الوجوه التالية :

الوجه الأول : أن يقال: المراد بمسح الرجلين غسلهما.

قال أبو اسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) عن قراءة: ﴿وأرجلكم﴾ بالخفض : «الخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله عزوجل، وإنما يجوز ذلك في ضرورة الشعر(٣)، ولكن المسح على الرجل لو كان مسحا كمسح الرأس لم يجز تحديده إلى الكعبين كما جاز التحديد في اليدين إلى المرافق؛ قال الله عزوجل: ﴿وآمْسَحوا برؤوسكم﴾ [المائدة:٦] بغير تحديد في القرآن، وكذلك التيمم: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [المائدة:٦] من غير تحديد فهذا كله يوجب غسل الرجلين» اهـ(٤).

قال مكي بن ابي طالب (ت٤٣٧هـ): «والعرب تقول: تمسحت للصلاة، أي:

---

١) أضواء البيان ٢/٨.

٢) تفسير البيضاوي ص١٤٢.

٣) وكذا أنكر النحاس الخفض على الجوار وقال: «هذا القول غلط عظيم لأن الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه وإنما هو غلط ونظيره الاقواء»اهـ إعراب القرآن للنحاس ٢/٩. والإقواء: اختلاف إعراب القوافي. لسان العرب ١٥/٢٠٨.

قلت : قد حقق الشنقيطي أن الخفض بالجوار أسلوب من أساليب العربية وأنه جاء في القرآن. أضواء البيان ٢/٨-١٢.

وانظر ما كتبه د/عبدالفتاح الحموز في كتابه «الحمل على الجوار في القرآن الكريم» خاصة ص٥٠-٥٢.

٤) انظر لسان العرب ٢/٥٩٣.

توضأت لها، وقد قال أبو زيد: «إن المسح خفيف الغسل»، وقد قال أبوعبيد[1] في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ [سورةص: ٣٣] : «إن معنى المسح الضرب»؛ فقد صار المسح يستعمل في الغسل وكذلك مسح الأرجل مستعمل في الغسل نفسه» اهـ[2].

قلت : ولا مانع من كون المراد بالمسح في الأرجل هو الغسل، والمراد به في الرأس المسح الذي ليس بغسل وليس من حمل المشترك على معنييه ولا من حمل اللفظ على حقيقته ومجازه، لأنهما مسألتان كل منهما منفردة عن الأخرى مع أن التحقيق جواز حمل المشترك على معنييه[3].

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنبلية وكثير من أهل الكلام» اهـ[4].

قلت : وعلى هذا فالحاصل من اختلاف القراءات حكم واحد هوغسل الأرجل مع تنبيه قراءة الخفض على عدم الإسراف في غسل الرجلين، وخصص بذلك لأنه مظنة لصب الماء الكثير والله أعلم.

الوجه الثاني : أن يقال: المراد عدم الاكتفاء بمجرد الغسل، بل يجمع بين الدلك باليد والغسل الذي هو إسالة الماء على العضو .

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «والصواب من القول عندنا: أن الله عز ذكره أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم، وإذا فعل ذلك بهما المتوضيء كان مستحقا اسم: «ماسح غاسل»؛ لأن «غسلهما»: إمرار الماء عليهما أو اصابتهما بالماء، و «مسحهما»: إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما، فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو «غاسل ماسح».

ولذلك - من احتمال «المسح» المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض، والآخر مسح بالجميع - اختلفت قراءة القرأة في قوله: ﴿وأرجلكم﴾ فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما الغسل، وإنكارا منه المسح عليهما، مع تظاهر الأخبار عن

---

١) كذا في المطبوعة ويغلب على ظني أنها تصحيف صوابها: «أبوعبيدة» أعني: معمر بن المثنى، وانظر «مجاز القرآن» ١٨٣/٢.

قلت : وهذا القول في معنى المسح في قوله: ﴿فطفق مسحا﴾ لا يتفق مع سياق الآية وسباقها ولحاقها.

٢) الكشف ٤٠٦/١.

٣) أضواء البيان ١٣/٢.

٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٥٠-٥١.

رسول الله ﷺ بعموم مسحهما بالماء.

وخفضها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح .

ولمَا قلنا في تأويل ذلك - أنه مَعْنيٌ به عموم مسح الرجلين بالماء - كره من كره للمتوضيء الاجتزاء بإدخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده أو بما قام مقام اليد، توجيها منه قوله: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ إلى مسح جميعهما عاما باليد، أو بما قام مقام اليد، دون بعضهما مع غسلهما بالماء كما قال ابن عمر لما سئل عن الرجل يتوضأ ويدخل رجليه في الماء قال: «ما أعد ذلك طائلا».

وأجاز ذلك من أجاز توجيها منه إلى أنه معني به الغسل كما قال الحسن في الرجل يتوضأ في السفينة قال : «لا بأس أن يغمس رجليه غمسا».

فإذا كان في «المسح» المعنيان اللذان وصفنا؛ من عموم الرجلين بالماء، وخصوص بعضهما به، وكان صحيحا أن مراد الله من مسحهما العموم وكان لعمومهما بذلك معنى «الغسل» و «المسح»؛ فبَيِّنٌ صواب القراءتين جميعا، أعني: النصب في «الأرجل» والخفض؛ لأن في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما وفي امرار اليد وما قام مقام اليد عليهما مسحهما.

فوجه صواب قراءة من قرأ ذلك نصبا، لما في ذلك من معنى عمومها بامرار الماء عليهما.

ووجه صواب قراءة من قرأ خفضا لما في ذلك من إمرار اليد عليهما أو ما قام مقام اليد مسحا بهما» اهـ(١).

قلت : هذا رأي أبي جعفر الطبري رحمة الله عليه في الجمع بين القراءتين وخلاصته أن قراءة النصب يراد بها غسل الرجلين، وقراءة الخفض يراد بها المسح مع الغسل يعني الدلك باليد أو غيرهما .

ولعل حكمة هذا في الرجلين دون غيرهما أن الرجلين هما أقرب أعضاء الإنسان إلى ملابسة الأقذار لمباشرتهما الأرض فناسب ذلك أن يجمع لهما بين الغسل بالماء والمسح أي الدلك باليد ليكون ذلك أبلغ في التطهر والتنظيف(٢).

الوجه الثالث : المراد بقراءة الجر المسح لكن النبي ﷺ بين أن ذلك «المسح» لا يكون إلاّ على الخف.

وعليه فالآية على قراءة النصب تشير إلى غسل الرجلين في الأحوال العادية، وتشير إلى المسح على الخف على قراءة الخفض في حال لبسهما

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣٠/٦ باختصار.
٢) تفسير ابن كثير ٢٦/٢ أضواء البيان ١٤/٢.

على طهارة كما دلت السنة .

والمسح على الخفين متواتر عن رسول الله ﷺ(١) لم يخالف فيه إلا من لا عبرة بخلافة.

وحاصل اختلاف القراءتين على هذا الوجه الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين(٢).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن بعض أهل العلم(٣) لم يحقق النقل عن ابن جرير الطبري فنقل عنه التخيير بين الغسل والمسح، وأنه جعل القراءتين كالروايتين في الخبر يعمل بهما اذا لم يتناقضا.

ونقل آخرون عنه أنه أوجب غسلهما للأحاديث وأوجب مسحهما للآية.

وهذا مخالف كما ترى لكلامه الذي نقلته قبل قليل بطوله.

قال العماد ابن كثير (ت٧٤٤هـ): «ومن نقل عن أبي جعفر ابن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث وأوجب مسحهما للآية؛ فلم يحقق مذهبه في ذلك، فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضؤ... وعبر عن الدلك بالمسح فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما، فحكاه من حكاه كذلك، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء، وهو معذور، فإنه لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه وإنما أراد الرجل ما ذكرته والله أعلم.

ثم تأملت كلامه أيضا فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله: ﴿وأرجلِكم﴾ خفضا على المسح وهو الدلك، ونصبا على الغسل، فأوجبهما أخذا بالجمع بين هذه وهذه» اهـ(٤).

(٢) جوّز بعضهم(٥) في الجمع بين قراءة : ﴿وأرجلِكم﴾ بالخفض والنصب أن تكون القراءة بالخفض معطوفة على: ﴿برؤوسِكم﴾ لفظا ومعنى فيكون حكم الأرجل المسح ثم نسخ المسح بوجوب الغسل.

قلت : وهذا لا يصح، لأنه دعوى لا دليل عليها، ولا يصار إلى النسخ مع

---

١) نظم المتناثر ص٤٢.
٢) أحكام القرآن للشافعي ١/٥٠ مناهل العرفان ١/١٤١ أضواء البيان ٢/١٤.
٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٧٧ تفسير القرطبي ٦/٩٢.
٤) تفسير ابن كثير ٢/٢٦.
٥) القلائد ص٣٨ المهذب ١/١٨٠-١٨١ الحمل على الجوار ص٥٢.

إمكان الجمع والتوفيق(١)، وهو هنا متيسّر بالأوجه الثلاثة التي أوردتها سابقا والحمد لله.

(٣) القراءتان متفقتان على حكم الغسل للأرجل من خلال الأوجه الثلاثة التي أوردتها، حتى الوجه الثالث لم ينف غسل الرجلين في الوضؤ لكنه أفاد حكمها حال لبس الخفين، وأنه يجزيء المسح عليهما، ويستفاد من اختلاف القراءتين مايلي:

(أ) التنبيه إلى عدم الاسراف في الماء عند غسل الرجلين.

(ب) الاعتناء بدلك الرجلين بالماء والمسح عليهما به.

(ج) جواز المسح على الخفين، والأحاديث فيه متواترة(٢).

---

١) ذكرذلك العلماء في مختلف الحديث وهو منطبق على اختلاف القرآن ومشكله. «مختلف الحديث وموقف النقاد منه» ص٣٧٤.

٢) نظم المتناثر ص٤٢.

الموضع الرابع والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة:١٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿قَاسِيَةً﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي: ﴿قلوبهم قسية﴾ بغير ألف وتشديد الياء.

وقرأ سائر العشرة: ﴿قلوبهم قاسية﴾ بالألف خفيفة الياء(١).

معنى القراءتين :

معنى قراءة حمزة والكسائي فيه قولان :

الأول : أن «قسية» فعيلة من القسوة، وجاءت على وزن «فعيلة» للمبالغة في الوصف،فإن فعيلة أبلغ من فاعل كما أن «عليما» أبلغ في الوصف بالعلم من «عالم»، و«سميعا» أبلغ من «سامع»(٢).

الثاني : أن «قسية» ليست من القسوة، ومعنى قسية أي: التي ليست بخالصة الايمان، أي: خالطها كفر فهي فاسدة ولهذا قيل للدراهم التي خالطها غش من نحاس أو غيره:«قسية»(٣).

قال الراغب (ت٥٠٢هـ) : «وقرئ ﴿قسية﴾ أي: ليست قلوبهم بخالصة من قولهم: درهم قسي؛ وهو جنس من الفضة المغشوشة فيه قساوة، أي: صلابة» اهـ(٤).

ويعلل ذلك السمين(٥) بقوله: «فإن الخالص من الفضة والذهب لين، والمغشوش منها صلب يتعب عند عمله» اهـ(٦).

معنى قراءة باقي العشرة: ﴿قاسية﴾ من القسوة أي: غليظة بائنة عن

---

١) المبسوط ص١٦١-١٦٢ النشر ٢/٢٥٤.

٢) الكشف ١/٤٠٧ زاد المسير٢/٣١٢.

٣) حجة القراءات ص٢٢٤ المغني في توجيه القراءات ٢/١١.

٤) المفردات ص٤٠٤.

٥) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي الشافعي يعرف بـ«السمين» توفي سنة ٧٥٦هـ مقرئ مفسر نحوي فقيه. الدرر الكامنة ١/٣٣٩ معجم المؤلفين ٢/٢١١.

٦) عمدة الحفاظ ص٤٥٦.

الايمان قد نزعت منها الرحمة والرأفة، والقسوة في اللغة الغلظة واليبس وشدة الصلابة(١).

حاصل القراءتين :

إذا كانت ﴿قسِيَّة﴾ بمعنى ﴿قاسية﴾ من القسوة فتكون القراءة ﴿قسِيَّة﴾ مفيدة للمبالغة في وصف القسوة، فأثر تنوع القراءات عندها: تأكيد المعنى.

وإذا كانت ﴿قسِيَّة﴾ ليست بمعنى ﴿قاسية﴾ فهنا تكاملت القراءتان في تأكيد المعنى، و وصف بعدهم عن قبول الحق وقساوة قلوبهم؛ فهم يحملون قلوبا فاسدة يخالطها الكفر، فهي كالدراهم القسية مغشوشة وصلبة قاسية.

---

١) لسان العرب ١٥/ ١٨٠-١٨١.

الموضع الخامس والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٢٣.

هكذا قرأ عامة العشرة: ﴿يخافون﴾ بفتح الياء .

وقرأ ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبورجاء وأيوب: "يخافون" بضم الياء(١).

وفي بعض القراءة: "يخافون أنعم الله عليهما"(٢).

عن قتادة في قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ قال: في بعض القراءة: "يخافون الله أنعم الله عليهما"(٣).

عن ابن عباس « أنه قرأ: «قال رجلان من الذين يخافون» بضم الياء».»(٤).

---

١) معاني القرآن الكريم للنحاس ٢٨٩/٢ المحتسب ٢٠٨/١ زادالمسير٢/٣٢٦.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٧٧/٦.

٣) إسناده صحيح إلى قتادة.

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١٨٦/١ ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٧٧/٦.

وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٤٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

٤) إسناده حسن .

أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٧/٢ من طريق يزيد بن هارون عن أصبغ بن زيد الجهني الوراق عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، ولفظه: «عن سعيد بن جبير قال: سألت عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿وفتناك فتونا﴾ [طه:٤٠] في حديث يبلغ به النبي ﷺ : «قال رجلان من الذين يخافون» برفع الياء.».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه»اهـ ووافقه الذهبي.

قلت : فهذا الأثر جزء من حديث الفتون، وحديث الفتون ساقه بطوله النسائي في تفسيره ٤١/٢-٦٢ وأخرجه مقتصرا على بعضه الطبري في تفسيره ١٦٤/١٦-١٦٧ وكذا رواه مختصرا الطحاوي في مشكل الآثار ٦/١-٧ وأورد جملة من طرقه في تاريخ واسط ص٧٨ وأشار إلى الحديث ولم يورد سوى طرفا يسيرا منه، وأورده أبويعلى الموصلي في مسنده ١٠/٥-٢٩ تحت رقم (٢٦١٨) جميعهم من طريق يزيد بن هارون عن أصبغ بن يزيد عن القاسم عن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ولفظ رواية النسائي: «...«قال رجلان من الذين يخافون» قيل ليزيد: هكذا قرأه؟ قال: نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجا إليه، فقالوا: نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون من ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم و لا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، ويقول أناس: إنهما من قوم

=

معنى القراءات :

معنى قراءة العشرة: ﴿يَخَافون﴾ بنصب الياء فيه أقوال:

الأول : أنهم يخافون الله وحده.

الثاني : أنهم يخافون الجبارين ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق(١)

الثالث : يخافون ضعف بني اسرائيل وجبنهم(٢).

معنى القراءة بضم الياء: «يخافون» فيه وجوه :

الأول : أن الرجلين كانا من الجبارين الذين يخافهم بنو اسرائيل آمنا بموسى ﷺ واتبعاه وأنعم الله تعالى عليهما بالايمان(٣).

ثانيها : أن الرجلين كانا من قوم موسى عليه الصلاة والسلام ومعنى قوله «يخافون» بضم الياء أي: يرهبون ويخافون ويتقون لما لهم في نفوس الناس من العفة والورع والستر، وذلك أنه من كان في النفوس كذلك رهب واحتشم وأطيع وأعظم لأن من أطاع الله سبحانه أكرم وأطيع ومن عصاه أمتهن وأضيع.

ثالثها : أن الرجلين كانا من قوم موسى عليه الصلاة والسلام ومعنى «يخافون» أي: يخيفون بأوامر الله تعالى ونواهيه وزجره ووعيده، فيخافون من أخاف(٤).

= موسى».

قلت : يزيد بن هارون هو السلمي أبوخالد الواسطي ثقة متقن عابد كما في «التقريب» ص٦٠٦.

وأصبغ بن يزيد الجهني صدوق يغرب كما في التقريب ص١١٣.

والقاسم بن أبي أيوب هو الأسدي الأعرج الواسطي ثقة كما في التقريب ص٤٤٩.

والحديث أورده في مجمع الزوائد ٥٦/٧-٦٦ وقال: «رواه أبويعلى ورجاله رجال الصحيح، غير أصبغ بن زيد والقاسم ابن أبي أيوب وهما ثقتان».

وأورده ابن كثير في تفسيره ١٤٨/٣-١٥٣ وقال: «وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره - والله أعلم - وسمعت شيخنا الحافظ أبالحجاج المزي يقول ذلك أيضا»اهـ.

قلت : والقراءة التي نقلت عن ابن عباس فيه ليست من الإسرائيليات قطعا.

وعزاه في الدر المنثور ٥٦٩/٥ إلى ابن أبي عمر العدني في مسنده وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية.

١) زادالمسير ٣٢٦/٢.

٢) تفسير القرطبي ١٢٧/٦.

٣) البحرالمحيط ٤٥٥/٣.

٤) المحتسب ٢٠٨/١-٢٠٩.

ومعنى القراءة الأخيرة ظاهر.

حاصل القراءات :

إذا اعتبرنا في معنى القراءتين أن الرجلين كانا من قوم موسى عليه الصلاة والسلام يتحصل المعنى التالي: أن الرجلين كانا يخافان الله عزوجل فخوف الله منهما عباده بأن جعل لهما في نفوس الناس رهبة ومكانة وهيبة على حد قولهم: «من خاف الله خف منه».

وعلى هذا المعنى يكون في الآية بالقراءتين إشارة إلى ثمرة عاجلة من ثمار الخوف من الله تعالى.

وأما إذا اعتبرنا في معنى القراءتين أن الرجلين كانا من الجبارين آمنا بموسى عليه الصلاة والسلام فيتحصل المعنى التالي: أن الرجلين كانا يخافان الله تعالى مع كونهما من القوم الجبارين الذين يخافهم بنو اسرائيل، ولا مانع من المعنى الآخر وهو كونهما يخافون لصلاحهم وورعهم وتقواهم.

فيكون في قراءة عبر بالسبب وفي الأخرى عبر بالمسبب والله أعلم.

لكن اذا اعتبرنا تلك القراءة التي جاء فيها التصريح بالمفعول: «يخافون أنعم الله عليهما» فإنه يتحصل المعنى التالي في القراءة التي جاءت بنصب الياء﴿يَخَافون﴾ يكون المعنى: أنهم يخافون الله كما جاء صريحا في القراءة الأخرى.

وفي القراءة بضم الياء: «يخافون» يكون المعنى: أن بني اسرائيل يخافونهم لما جعله الله تعالى في قلوبهم من الهيبة والاجلال لهما لتقواهما وورعهما وخوفهما من الله تعالى.

ويلاحظ ما يلي :

المعنى الثاني والثالث من الأقوال في القراءة المتواترة لاينسجمان مع القراءة الشاذة: «يخافون الله أنعم الله عليهما»، وكذا المغنى الأول في القراءة الواردة عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

الموضع السادس والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المائدة: ٣٠.

هكذا قرأ عامة العشرة: ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ بتشديد الواو.

وقرأ الحسن بن عمران وأبو واقد والجراح ورويت عن الحسن البصري : «فطاوعت له نفسه»(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة الجمهور: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾، أي: حسنته له وسهلته عليه والأقوال المنقولة في المعنى متقاربة وهي(٢):

الأول : فطوعت له تابعته على قتل أخيه. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني : فطوعت له شجعته. قاله مجاهد.

الثالث : فطوعت له زينت له. قاله قتادة.

الرابع : فطوعت له رخصت له. قاله أبوالحسن الأخفش.

الخامس : أن «طوعت» فعلت من الطوع، والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: أتاه طوعا، حكاه الزجاج عن المبرد(٣).

وقال ابن قتيبة: "شايعته وانقادت له، يقال: لساني لايطوع بكذا أي: لا ينقاد"(٤).

معنى القراءة الشاذة: «فطاوعت له نفسه» قال أبوالفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): «ينبغي - والله أعلم - أن يكون هذا على أن قتل أخيه جذبه إلى نفسه ودعاه إلى ذلك فأجابته نفسه وطاوعته» اهـ(٥).

قلت : وفي هذه القراءة إشْعَار بأن «قتل أخيه» زُيِّن لنفسه فطاوعت نفسه وأجابت، ففيها إشارة إلى دور الشيطان لعنه الله في ذلك أو فعل صاحب هذه النفس في تسويغ هذه المعصية عليها.

---

١) المحتسب ٢٠٩/١.
٢) زاد المسير ٣٣٧/٢.
٣) معاني القرآن واعرابه ١٦٧/٢.
٤) تفسير غريب القرآن ص١٤٢.
٥) المحتسب ٢٠٩/١.

حاصل القراءات :

أثبتت القراءة المتواترة تزيين النفس لصاحبها المعصية كما أثبتت القراءة الشاذة فعل صاحب النفس في تسويغ هذه المعصية على نفسه، فكأن الآيات تشير إلى حوار نفسي عنيف دار داخل نفس هذا الأخ قبل وقوعه في معصية قتل أخيه و لا تكاد تخلو جريمة من سبق هذا الحوار العاصف والله أعلم .

الموضع السابع والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠.

هكذا قرأها العشرة: ﴿أَفَحُكْمَ﴾ بضم الحاء وسكون الكاف.

وقرأها المطوعي عن الأعمش: «أفحكم» بفتح الحاء والكاف والميم(١).

معنى القراءات :

القراءة المتواترة حكم مفرد جمعها أحكام، والمراد استنكار أحكام وشرائع الجاهلية التي ابتدعوها افتراء على الله وشرعه.

القراءة الشاذة حكم مفرد جمعها حكام، والمراد الاستنكار والتشنيع على حكام الجاهلية الذين يشرعون من دون الله أو يقضون بين الناس بشرائع الجاهلية.

حاصل القراءات :

يشنع الله سبحانه وتعالى على أحكام الجاهلية وشرائعها وقوانينها التي لا تحكم بشرع الله وذلك بأسلوب الاستفهام الاستنكاري(٢)، كما بينت القراءة الشاذة أن الوصف بالجاهلية والتشنيع ليس مقصورا على الأحكام والشرائع والقوانين بل هو شامل لجنس الحكام(٣) الذين يرضون بهذه القوانين؛ فهم حكام جاهلية وأحكامهم أحكام جاهلية.

فالقراءة الشاذة تلتقي في المعنى مع القراءة المتواترة في التشنيع على أحكام الجاهلية(٤)، وتزيد عليها في بيان أن هذا الوصف ينسحب على الحكام وليس مقصورا على الأحكام والله أعلم.

ويلاحظ مايلي :

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «قرأ قتادة والأعمش: «أفحكم» بفتح الحاء والكاف والميم وهو جنس لا يراد به واحد كأنه قيل أحكام الجاهلية وهي اشارة إلى الكهان الذين كانوا يأخذون الحلوان وهي رشا الكهان، ويحكمون لهم بحسبه، بحسب الشهوات، أرادوا بسفههم أن يكون خاتم

---

١) المحتسب ٢١١/١ الاتحاف ص٢٠٠ القراءات الشاذة ص٤٣.
٢) البحر المحيط ٥٠٤/٣.
٣) المحتسب ٢١٣/١.
٤) المحتسب ٢١٣/١.

النبيين حكما كأولئك الحكام»اهـ(١).

قلت : ينبغي أن يتنبه هنا إلى أن المراد بالجاهلية هنا كل حُكْم وحَكَم يرضى به بدلا عن شرع الله، وما أروع عبارة سيد قطب رحمه الله في تصوير هذا المعنى حيث قال: «إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص؛ فالجاهلية كما يصفها الله ويحددها القرآن هي حكم البشر للبشر؛ لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج عن عبودية الله، ورفض الوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر، وبالعبودية لهم من دون الله...

إن الجاهلية في ضوء هذا النص ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس ويوجد اليوم ويوجد غدا، فيأخذ صفة الجاهلية المقابلة للاسلام، والمناقضة للاسلام .

والناس في أي زمان وفي أي مكان إما أنهم يحكمون بشريعة الله دون فتنة عن بعض منها ويقبلونها ويسلمون بها تسليما فهم اذن في دين الله.

وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر في أي صورة من الصور ويقبلونها فهم اذن في جاهلية، وهم في دين من يحكمون بشريعته وليسوا بحال في دين الله.

والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله يقبلِ شريعة الجاهلية ويعيش في الجاهلية.

وهذا مفرق الطريق، يوقف الله الناس عليه وهم بعد ذلك بالخيار...

ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟.﴾.»اهـ(٢).

---

١) البحرالمحيط ٣/٥٠٥.

٢) في ظلال القرآن ٢/٩٠٤.

الموضع الثامن والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ .. رِسَالَتَهُ﴾ :

فقرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم وأبوجعفر ويعقوب: ﴿رِسَالاتِهِ﴾ باثبات ألف بعد اللام مع كسر التاء، على الجمع ووافقهم الحسن.

وقرأ باقي العشرة: ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بحذف الألف بين اللام والتاء المنصوبة على الافراد(١).

معنى القراءات :

القراءة بـ﴿رِسَالاتِهِ﴾ على الجمع، فيها أنه لما كانت الرسل يأتي كل واحد بضرب من الشرائع المرسلة معهم مختلفة حسن جمعه ليدل على ذلك؛ إذ ليس ماجاءوا به رسالة واحدة فجاءت القراءة بالجمع لاختلاف اجناس التشريعات(٢).

والقراءة بـ﴿رِسَالَتَهُ﴾ على الإفراد فيها أنه لما كانت الرسالة في حقيقتها أمر واحد وهو التوحيد والعبادة لله عزوجل ناسب لها الافراد، أو لأن الإفراد في رسالة يدل على الكثرة وهي كالمصدر في أكثر الكلام فهي تدل على ما يدل عليه لفظ الجمع.

فإن قيل : إذا كان لفظ «رسالة» يدل على معنى الجمع ﴿رسالاته﴾ فلماذا جاء الجمع ؟.

فالجواب : أنه لما اختلفت أنواع التشريعات التي تتضمنها الرسالة ناسب الجمع.

ويمكن أن يقال : إن الجمع في القراءة بـ ﴿رِسَالاتِهِ﴾ للإشارة إلى أن البلاغ من الرسول ﷺ إنما هو بلاغ عن رسالة الأنبياء السابقين في الجملة، والإفراد في القراءة بـ ﴿رِسَالَتَهُ﴾ للإشارة إلى اتفاق الجميع في رسالة واحدة وهي التوحيد كما قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم

---

١) المبسوط ص١٦٣ النشر ٢/٢٥٥ الإتحاف ص٢٠٢.

٢) الكشف ١/٤١٥.

في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات(١) أمهاتهم شتى ودينهم واحد»(٢)

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمِنتَهم مختلفة» اهـ(٣).

قلت: دين الرسل واحد ليس في التوحيد فقط وإنما في:

(١) كل جوانب الايمان.

(٢) كل صنوف الأخلاق أمرا ونهيا.

(٣) أصول العبادات من صلاة وزكاة وصيام.. إلى آخره.

(٤) أصول المعاملات من بيع ونكاح وذبائح وميراث وحدود... إلى آخره.

وقد وقع التفاوت فقط في صور العبادات وصور المعاملات وهذا معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى: أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَاتَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ الشورى: ١٣.

حاصل القراءات:

أشارت قراءة الإفراد: ﴿رِسَالته﴾ إلى أن أصل البلاغ هو شيء واحد وهو تقرير دين الله عزوجل، وأشارت القراءة بالجمع: ﴿رسَالاته﴾ إلى تنوع الشرائع في الرسالة الواحدة، وإلى رسالة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم جميعا.

ويلاحظ مايلي:

نحو هذا المعنى وارد في اختلاف القراء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَته﴾ الأنعام: ١٠٤ فقرأ ابن كثير وحفص: ﴿رِسَالته﴾ بغير ألف بعد اللام ونصب التاء، وذلك على الإفراد، وقرأ باقي العشرة بإثبات ألف بعد اللام وكسر التاء على الجمع(٤).

---

١) بفتح العين المهملة. فتح الباري ٤٨٩/٦.

٢) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿**واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها**﴾ [مريم:١٦] حديث رقم (٣٤٤٣) واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام حديث رقم (٢٣٦٥) بنحوه.

٣) فتح الباري ٤٨٩/٦.

٤) المغني في توجيه القراءات العشر ٩٢/٢.

الموضع التاسع والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَو كِسْوَتُهُمْ أَو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة: ٨٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمْ﴾ :

فقرأ أبوجعفر ونافع وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وابن عامر برواية هشام وعاصم برواية حفص: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ بتشديد القاف ووافقهم ابن محيصن والحسن واليزيدي.

وقرأ عاصم في رواية شعبة وحمزة والكسائي وخلف: ﴿بما عَقَدتم﴾ بتخفيف القاف.

وقرأ ابن ذكوان وحده: ﴿بما عَاقَدتم﴾ بالألف بعد العين(١).

معنى القراءات :

ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه القراءات بمعنى قراءة التخفيف ﴿عَقَدتم﴾ تفيد مجرد الفعل(٢).

وذهب آخرون إلى أن كل قراءة تفيد معنى، كمايلي :

معنى القراءة بالتخفيف: ﴿بما عَقَدتم﴾ أي: أوجبتم على أنفسكم وعزمت عليها قلوبكم(٣)، فلا تفيد سوى مجرد الفعل دون تكرار.

ومعنى القراءة بالتشديد: ﴿بما عَقَّدتم﴾ أي: وكدتم الايمان ورددتموها، فتفيد تكثير الفعل وتكراره، على معنى عقد بعد عقد(٤).

ومعنى القراءة بالألف: ﴿بما عَاقَدتم﴾ أي: تكون اليمين من كل واحد

---

١) المبسوط ص١٦٣ الإتحاف ص٢٠٢.

اختلفت كتب القراءات في نسبة القراءة بالألف: ﴿عاقدتم﴾ لابن عامر؛ فابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) في «السبعة» ص٢٤٧ وابن مهران (ت٣٨١هـ) في «المبسوط» ص١٦٣ وأبوالعزالقلانسي (ت٥٢١هـ) في «إرشاد المبتدي» ص٢٩٩ ثلاثتهم نسبوا إلى ابن عامر مطلقا عن راوييه القراءة بالألف: ﴿عاقدتم﴾، خالفهم مكي (ت٤٣٧هـ) في «التبصرة» ص٣١٧ وأبوعمرو الداني (ت٤٤٤هـ) في «التيسير» ص١٠٠ وابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في «النشر» ٢٥٥/٢ وغيرهم نسبوا إلى ابن عامر عن راويه ابن ذكوان القراءة بالألف: ﴿عاقدتم﴾، ومن رواية هشام عنه: ﴿عقدتم﴾ بالتشديد.

قلت : ولعل ذلك لاختلاف طرق الروايات عندهم والله أعلم.

٢) روح المعاني ١٠/٩ أضواء البيان ١٠٧/٢.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣/٧ حجة القراءات ص٢٣٤.

٤) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٣/٧ معاني القرآن للنحاس ٣٥٢/٢.

للآخر على أمر عقدوه، فيكون فعل من اثنين(١).

حاصل القراءات :

بيّنٌ - ولله الحمد - أن قراءة التخفيف فيها رفع ما قد يتوهمه بعضهم من قراءة التشديد وهو ترك الكفارة عمن لم يكرر اليمين، فأفادت قراءة التخفيف أن من حلف وعقد يمينه مرة واحدة لزمه البر أو الكفارة.

وقراءة : ﴿بما عَاقدتم﴾ تفيد وجوب اليمين المنعقدة بين شخصين ففيها رفع توهم أن اليمين المنعقدة لا تكون إلا من واحد(٢).

ويتحصل من القراءات الأمور التالية :

(١) أن الحنث باليمين يوجب الكفارة سواء كان عقدا واحدا لمرة واحدة، أم تكرر عقد بعد عقد مع نفسه أم مع غيره ما دام في موضوع واحد.

(٢) في قراءة التشديد الزام الحالفين الكفارة على عددهم على اعتبار أن التشديد يفيد تكثير الفعل على معنى عقد بعد عقد، أو يكون أراد تكثير العاقدين للأيمان بدلالة قوله: ﴿ولكن يُؤاخِذُكُم﴾ فخاطب جماعة(٣).

---

١) حجة القراءات ص٢٣٥ تفسير القرطبي٦/٢٦٦.
٢) الكشف ١/٤١٧.
٣) الكشف ١/٤١٧.

الموضع الثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام: ٣٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لايكذبونك﴾ :

فقرأ نافع والكسائي: ﴿لايكذبونك﴾ بالتخفيف.

وقرأ باقي العشرة: ﴿لايكذبونك﴾ بالتشديد ووافقهم الحسن والأعمش واليزيدي وابن محيصن(١).

معنى القراءتين :

قيل : القراءتان بمعنى واحد .

وقيل : بينهما فرق كمايلي :

معنى القراءة بالتخفيف: ﴿لايُكْذِبونك﴾ أي: لا يجدونك كاذبا لأنهم يعرفونك بالصدق، ولا ينسبونك للكذب(٢).

فتكون القراءة بالتخفيف من باب أحمدت الرجل أي: وجدته محمودا، ودل على صحة ذلك قوله: ﴿وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: يجحدون ما يعلمون صحته يقينا عنادا منهم.

وحكى الكسائي عن العرب: «أكذبت الرجل» إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب، ليس هو الصانع له، و «كذبت الرجل» إذا أخبرت أنه كذاب(٣).

معنى القراءة بالتشديد: ﴿لايُكَذِّبونك﴾ أي: لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما جئتهم به(٤) لانتفاء ما يترتب عليه من المضار فكأنه قيل: لا يكذبونك تكذيبا يضرك لأنك لست بكاذب، فتكذيبهم كلا تكذيب(٥).

وقد ذكر في معنى القراءة بالتشديد خمسة أوجه ، وهي :

الأول : لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد وبهت قاله قتادة والسدي.

الثاني : لا يقولون لك: إنك كاذب لعلمهم بصدقك، ولكن يكذبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب.

---

١) المبسوط ص١٦٨ النشر٢٥٧-٢٥٨ الاتحاف ص٢٠٧.
٢) الكشف ٤٣٠/١ البحرالمحيط ١١١/٤.
٣) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤١٨/٢-٤١٩ الكشف ٤٣٠/١ زادالمسير٢٩/٣.
٤) الكشف ٤٣٠/١.
علل مكي هنا بقوله: «لأنه في كتبهم» يعني: أهل الكتاب.
قلت: لكن السورة مكية والظاهر أنه خطاب لأهل مكة ولم يكن معهم كتاب فالأولى ما ذكرت والله أعلم.
٥) البحرالمحيط ١١١/٤.

الثالث : لا يكذبونك في السر، ولكن يكذبونك في العلانية عداوة لك، قاله ابن السائب ومقاتل(١).

الرابع : لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كذبت.

قلت : وفي هذا القول نظر لأن السورة مكية والظاهر أنها تتكلم عن كفار قريش و لا كتب لديهم.

الخامس : لا يكذبونك بقلوبهم؛ لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الأخيرين الزجاج(٢).

حاصل القراءات :

تبين القراءتان مدى جحود الكفار، فهم يعلمون علما يقينيا صدق الرسول ﷺ، فهو عندهم يعرف بـ« الصادق، الأمين» كما يعلمون صدق ما جاء به في نفوسهم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النمل: ١٤، كما أنهم لا يستطيعون تكذيب ما جاء به الرسول ﷺ.

الحاصل أنّهم لا يكذبون الرسول ﷺ في نفسه كما لايملكون تكذيب ما جاء به، بمعنى اظهار كذبه فيه، ولكنهم يجحدون .

قال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) بعد ذكره لهذه الآية: «ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه به في القول، بأن قرر عنده أنه صادق عندهم، وأنهم غير مكذبين له، معترفون بصدقه قولا واعتقادا، وقد كانوا يسمونه قبل النبوة: «الأمين» فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب، ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

فحاشاه من الوصم، وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم، إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم انكره، كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَ لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].» اهـ(٣).

---

١) زاد المسير ٢٩/٣ البحرالمحيط ١١١/٤.
٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢٤٢/٢.
٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣٩/١-٤٠.

الموضع الحادي الثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ، مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام:٥٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ :

فقرأ أبوجعفر ونافع وابن كثير وعاصم: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ بضم القاف وبالصاد المهملة المشددة المرفوعة ووافقهم ابن محيصن.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يَقْضِ الْحَقَّ﴾ بالقاف الساكنة وبالضاد المعجمة المكسورة، ووافقهم الحسن والأعمش واليزيدي(١).

معنى القراءتين :

القراءة بالصاد: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ من القصص كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران:٦٢، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣، والمعنى: أن كل ما أخبر به فهو حق.

القراءة بالضاد: ﴿يَقْضِ الْحَقَّ﴾ من القضاء، ودل على ذلك أن بعده: ﴿خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ والمعنى: يقضي القضاء الحق(٢).

حاصل القراءتين :

قررت الآية بالقراءتين أن الله إنما يقص الحق فيما يخبر به في القرآن العظيم، وأنه يقضي بالحق فيما جاء به شرعه الحكيم سبحانه وتعالى، وجاءت القراءتان بمعنيين دون أن يكون في الآية أي اختلاف أو تناقض، وهذا من اعجاز القرآن الكريم، إذ كل خبر فيه حق وكل حكم فيه حق.

تنبيه :

حكي أن أبا عمرو بن العلاء سئل أهو: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ أو ﴿يَقْضِ

---

١) المبسوط ص١٦٩، النشر ٢/٢٥٨ الاتحاف ص٢٠٩.

لم ترسم في المصحف إلا بضاد بدون ياء كأن الياء حذفت خطا تبعا للفظ الساكنين، كما في قوله: ﴿حكمة بالغة فما تغن النذر﴾ القمر: ٥. إتحاف فضلاء البشر ص٢٠٩.

قلت : وقد عد ابن الأنباري هذا الموضع ضمن المواضع التي حذفت منها الياء اكتفاء بالكسرة منها، ثم قال: «فهذه الحروف كلها الياء ساقطة منها في المصحف والوقف عليها بغير ياء» ووافقه الداني. المقنع ص ٤٠-٤١.

٢) الكشف ١/٤٣٤ زاد المسير ٣/٥٣.

الحق﴾ ؟. فقال: «لو كان يقص لقال: هو خير القاصين، أقرأ أحد بهذا؟. وحيث قال: ﴿هُوَ خَيْرُ الفَاصِلِين﴾ فإنما يكون الفصل في القضاء»(١).

قال أبوحيان متعقبا ذلك: «لم يبلغ أبا عمرو أنه قرئ بها ويدل على ذلك قوله: «أقرأ بها أحد»، ولا يلزم ماقال، فقد جاء الفصل في القول، قال تعالى: ﴿إنه لَقولٌ فَصْل﴾ [الطارق:١٣] وقال: ﴿أُحْكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلت﴾ [هود:١] وقال: ﴿نفَصِّلُ الآياتِ﴾ [الأنعام:٥٥] فلا يلزم من ذكر الفاصلين أن يكون معينا ليقضي»اهـ(٢).

قلت : القضية على كل حال سماع واتباع لا مجال فيها للاجتهاد والرأي، وكلاهما قراءة متواترة.

---

١) حجة القراءت ص٢٥٤ الدرالمنثور٣/٢٧٩ البحرالمحيط ٤/١٤٣.
٢) البحرالمحيط ٤/١٤٣.

الموضع الثاني والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ الأنعام:٦١.

هكذا قرأ عامة العشرة: ﴿لَايُفَرِّطُونَ﴾ بتشديد الراء.

وقرأ الأعرج: "وهم لا يفرطون" بضم الياء وسكون الفاء وكسر الراء(١)، وهي قراءة آحادية.

معنى القراءتين :

قراءة العامة: ﴿وهم لَايُفَرِّطُونَ﴾ أي: لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضر منيته.

قراءة الأعرج: "وهم لايفرطون" أي: لايزيدون، ولا يتوفون إلا من أمروا بتوفيه.

حاصل القراءتين :

قال أبوالفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): "يقال: أفرط في الأمر إذا زاد فيه، وفرّط فيه إذا قصّر، فكما أنّ قراءة العامة: ﴿لايُفَرِّطُون﴾ لايقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضر منيته، فكذلك أيضا لا يزيدون ولا يتوفون إلا من أمروا بتوفيه، ونظيره قوله عزوجل: ﴿وكُل شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار﴾ [الرعد:٨]."اهـ(٢).

---

١) المحتسب ٢٢٣/١.

٢) ماسبق .

الموضع الثالث والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام: ١٠٠.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ بنصب الخاء واللام والقاف وضم الهاء.

وقرأ ابن يعمر: «وخلقهم» بتسكين اللام(١).

معنى القراءات :

القراءة بنصب اللام والقاف وضم الهاء في معناها وجهان :

الأول : أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

الثاني : أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدثا؟.

ذكرهما الزجاج (ت٣١١هـ)(٢).

القراءة بتسكين اللام ونصب القاف أي: وخلق الجن يعني: ما يخلقونه ما يأفكون فيه، ويتكذبونه، فيكون المعنى: جعلوا له الجن شركاء و أفعالهم شركاء أفعاله، أو شركاء له إذا عني بذلك الأصنام ونحوها(٣).

حاصل القراءات :

الآية بالقراءتين تضمنت استهجان وابطال جعلهم الجن شركاء لله عزوجل مع أنه خلقهم، و من أشركوه مع الله لايخلق، فكيف يكون الشريك المخلوق شريكا للخالق؟.

كما تضمنت الآية استهجان اتخاذ الجن وأفعالهم شركاء لله عزوجل، وكذا اتخاذ مايخلقونه الهًا من دون الله تعالى.

---

١) المحتسب ٢٢٤/١.

٢) معاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٢ وقارن بـ«زاد المسير» ٩٧/٣.

٣) المحتسب ٢٢٤/١.

الموضع الرابع والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيقُولُوا: دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ١٠٥.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿دَرَسْتَ﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو بألف بعد الدال وسكون السين وفتح التاء: ﴿دارسْتَ﴾، ووافقهما ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ ابن عامر ويعقوب بغير ألف وفتح السين وسكون التاء: ﴿دَرَسَتْ﴾، ووافقهما الحسن إلا أنه ضم الراء.

وقرأ باقي العشرة بغير ألف وسكون السين وفتح التاء: ﴿درسْتَ﴾ ووافقهم الأعمش(١).

وروي عن نافع أنه قال: «درست» . (برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء) وهي قراءة ابن يعمر(٢).

وقرأ قتادة والحسن وزيد بن علي: «درست» مبنيا للمفعول، وهي قراءة ابن عباس بخلاف عنه(٣).

وقرأ أبي وطلحة بن مصرف: «درس» بفتح الراء والسين بلا ألف و لاتاء، وهي كذلك في مصحف ابن مسعود(٤).

وقرأ معاذ القارئ وأبوالعالية ومورق: «درست» برفع الدال وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين(٥).

وقرأ أبي بن كعب: «درست» بفتح الدال والسين وضم الراء وتسكين التاء(٦).

معنى القراءات :

معنى القراءة بـ ﴿دَارسْتَ﴾ بألف بعد الدال وسكون السين وفتح التاء على وزن «فاعلت» والمعنى: يقولون: دارست أهل الكتاب ودارسوك، أي: ذاكرتهم وذاكروك.

والمفاعلة على هذا المعنى من الجانبين، ويدل له قوله تعالى: ﴿وقَال

---

١) المبسوط ص١٧٣ النشر ٢/٢٦١ الاتحاف ص٢١٤.
٢) زاد المسير ٣/١٠١.
٣) المحتسب ١/٢٢٥ البحرالمحيط ٤/١٩٧.
٤) زاد المسير ٣/١٠١ البحرالمحيط ٤/١٩٧.
٥) زاد المسير ٣/١٠١.
٦) ماسبق .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً. وَقَالُوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفرقان: ٤-٥(١).

معنى القراءة بـ ﴿دَرَسَتْ﴾ بغير ألف وفتح السين وسكون التاء أي: درست الآيات، و ذلك على اسناد الفعل إليها، فأخبرتعالى أنهم يقولون هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست، أي: قد عفت وامحت ومضت، وكانت من أساطير الأولين فجئتنا بها(٢)، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنعام: ٢٥، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ النحل:٢٤.

معنى القراءة بـ ﴿درسْتَ﴾ بغير ألف وسكون السين وفتح التاء أي: النبي ﷺ، وذلك على اسناد الفعل اليه ﷺ، فأخبر تعالى أنهم يقولون درس محمد (ﷺ) كتب أهل الكتاب، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفرقان: ٥(٣).

معنى القراءة بـ«درست» برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء: قرئت(٤).

معنى القراءة بـ«درست» مبنيا للمفعول فيه قولان :

الأول : درست، أي: الآيات، والمعنى: درست وقرأت الآيات يامحمد، فيعود معناها إلى قراءة ﴿دارست﴾.

الثاني : «درست» أي: عفت وامحت(٥).

معنى القراءة بـ«درس» أي الرسول ﷺ والمعنى كالقراءة بـ ﴿دارست﴾ و «درست».

معنى القراءة بـ«درست» بضم الدال وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين مبنيا للمفعول، أي: درس الرسول ﷺ، والمعنى كالقراءة بـ ﴿دارست﴾.

معنى القراءة بـ «درست» أي: الآيات، وهي بمعنى القراءة بـ«درست»

---

١) الكشف ١/٤٤٤ المغني في توجيه القراءات العشر٢/٧٦.
٢) الكشف ١/٤٤٤ المغني في توجيه القراءات العشر ٢/٧٦.
٣) الكشف ١/٤٤٤ المغي في توجيه القراءات العشر ٢/٧٧.
٤) زاد المسير٣/١٠١.
٥) المحتسب ١/٢٢٦ البحرالمحيط ٤/١٩٧.

أي: أمحت وعفت، أي: ذهبت آثارها وزالت(١).

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «وقريء"درست" بالتشديد والخطاب، أي: درست الكتب القديمة، وقريء: "درست" مشددا مبنيا للمفعول المخاطب، وقريء "دورست" بالتخفيف والواو مبنيا للمفعول والواو مبدلة من الألف في "دارست"...»اهـ(٢).

حاصل القراءات :

بَيَّن القراءات تكامل في المعنى، وجميعها يبين ماقاله الكافرون في حق الرسول ﷺ، ولا تنافي بينها ولا تعارض.

---

١) البحرالمحيط ١٩٧/٤.

٢) البحرالمحيط ١٩٧/٤.

وذكر قراءات أخرى، وكلها مرجعها من جهة المعنى إلى القراءات المتواترة.

الموضع الخامس والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ الأنعام: ١٠٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وخلف وشعبة بخلف عنه بكسر الهمزة في ﴿إنها﴾.

وقرأ سائر العشرة بفتحها: ﴿أنها﴾ وهو الوجه الثاني عن شعبة(١).

معنى القراءات :

القراءة بكسر الهمزة على الاستئناف اخبار عنهم بعدم الايمان ، ويكون الكلام قبلها تاما عند قوله: ﴿وما يشعركم﴾ أي: وما يدريكم، ثم أبتدأ الخبر عنهم: أنهم لايؤمنون إذا جاءتهم(٢).

معنى القراءة بفتح الهمزة فيه وجهان :

الأول : و ما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعل» يقولون: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئا، أي: لعلك.

الثاني : وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة لتأكيد الجحد كقوله تبارك وتعالى: ﴿ما منعك أن تسجد إذ أمرتك﴾ الأعراف:١٢ وكقوله: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ الأنبياء:٩٥(٣).

ورد هذا الوجه الزجاج(٤) واختار الأول .

قلت : وما اختاره الزجاج هو الأليق بكتاب الله تعالى.

حاصل القراءات :

يأمر الله عزوجل رسوله ﷺ أن يخبر هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، يأمره أن يقول ما يدريكم،انما الآيات عند الله، ثم يقرر تبارك وتعالى أن الآيات اذا جاءتهم لا يؤمنون، ويعلل في القراءة الأخرى لعلها إذا جاءتهم الآيات لا يؤمنون.

---

١) المبسوط ص١٧٣ البدور الزاهرة ص١٠٨ .

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ٣١٢/٧ الكشف ٤٤٥/١ .

٣) زاد المسير ١٠٤/٣-١٠٥ .

٤) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢٨٣/٢ .

الموضع السادس والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام: ١٥٩.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم: ٣٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿فَرَّقُوا﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي بألف وتخفيف الراء: ﴿فارقوا﴾ ووافقهما الحسن .

وقرأ باقي العشرة: ﴿فرقوا﴾ بتشديد الراء بلا ألف ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والأعمش(١).

وقرأ النخعي وأبو صالح مولى ابن هانيء ويروى عن الأعمش ويحي: «الذين فرقوا دينهم» بالتخفيف(٢).

معنى القراءات :

قيل : القراءات بمعنى واحد ، تقول: ضاعف وضعف.

وقيل : القراءة بـ ﴿فارقوا﴾ أي: فارقوا وتركوا، من المفارقة والفراق، على معنى انهم تركوا دينهم وخرجوا عنه.

والقراءة بـ ﴿فرقوا﴾ أي: آمنوا ببعض وكفروا ببعض من التفريق.

وكذا القراءة بالتخفيف: «فرقوا»(٣).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءتين أن حال من فارق دينه وحال من فرق في دينه فآمن ببعض وكفر ببعض أنه حال واحد ، ومآل واحد.

وفي الآية بالقراءتين إشعار بأن مآل من فرق في دينه إلى المفارقة لدينه، نسأل الله العفو والعافية.

وفيها بالقراءتين أيضا تحذير من الحزبية التي تفرِّق المسلمين، وأنها ليست من الإسلام في شيء.

---

١) المبسوط ص١٧٧ النشر ٢/٢١٦ الاتحاف ص٢٢٠.

٢) المحتسب ١/٢٣٨.

٣) تفسير القرطبي ٧/١٤٩ البحرالمحيط ٤/٢٦٠.

الموضع السابع والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ۝وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الأعراف: ٢٠-٢١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن عباس: «إلا أن تكونا ملكين» بكسر اللام(١) وهي قراءة الزهري(٢) ويحي بن أبي كثير(٣) والضحاك(٤).

وفي بعض القراءة: «وقاسمهما بالله إني لكما لمن الناصحين»(٥).

معنى القراءات :

قراءة عامة القراء العشرة: ﴿ملَكين﴾ بفتح اللام يعني: ملكين من الملائكة.

قراءة ابن عباس: «ملكين» بكسر اللام يعني من الملك كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ سورة طه:١٢٠.

حاصل القراءات :

أن إبليس - أعاذنا اللّٰه منه - إمعانا منه في المكر على أبينا آدم عليه الصلاة والسلام وأمنا حواء رحمها الله ورضي عنها يذكر لهما أمرين أن

---

١) إسناد ضعيف عن ابن عباس.
أخرجها الطبري في تفسيره (شاكر) ٣٤٨/١٢ من طريق المثنى عن إسحاق عن ابن أبي حماد عن عيسى الأعمى عن السدي قال: «كان ابن عباس يقرأ...
والمثنى شيخ الطبري هو ابن ابراهيم الأبلي لم أقف له على ترجمة.
واسحاق هو ابن الحجاج الطاحوني ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢١٧/٢ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.
وابن أبي حماد هو عبدالرحمن ترجم له في غاية النهاية ٣٦٩/١-٣٧٠ وقال: «صالح مشهور»اهـ.
وعيسى الأعمى هو ابن عمر الهمداني قال في التقريب ص٤٤٠: «ثقة»اهـ
والسدي هو إسماعيل بن عبدالرحمن قال في التقريب ص١٠٨: «صدوق يهم»اهـ

٢) زاد المسير ١٧٩/٣.

٣) إسناد صحيح عن يحي بن أبي كثير .
أخرجها الطبري في تفسيره (شاكر) ٣٤٩/١٢.

٤) إعراب القرآن للنحاس ١١٨/٢ وتفسير القرطبي ١٧٨/٧ البحرالمحيط ٢٧٩/٤.

٥) قال في الدرالمنثور٤٣١/٣: «أخرج ابن جرير وأبوالشيخ عن الربيع بن أنس قال: «في بعض القراءة...» وساقه.

يكونا ملكين من الملوك وأن يكونا ملكين من الملائكة، ويردد الأمر بينهما مبالغة في الكيد والمكر .

ويلاحظ ما يلي :

(١) أنكر أبوعمرو بن العلاء كسر اللام وقال: لم يكن قبل آدم ﷺ ملك فيصيرا ملكين(١).

قلت : هذا الانكار غير متوجه، لأن الظاهر أن الشيطان - أعوذ بالله منه - جاءهما من جهة الملك بمعنى: المكث في الجنة مع الخلد فيها كما قال في الآية الأخرى: ﴿... **وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ سورة طه: ١٢٠.

قال ابن عباس: «أتاهما الملعون من جهة الملك ، ولهذا قال: ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ [طه:١٢٠] »(٢).

وقال أبوعبيد (ت٢٢٤هـ): «احتجاج يحي بن أبي كثير بقوله: ﴿**وملك لايبلى**﴾ حجة بينة، ولكن الناس على تركها فلهذا تركناها»(٣).

ولم يرتض هذا أبوجعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) فقال: « «إلا أن تكونا ملكين» (بكسر اللام) قراءة شاذة، وقد أنكر على أبي عبيد هذا الكلام، وجعل من الخطأ الفاحش، وهل يجوز أن يتوهم آدم ﷺ أنه يصل إلى أكثر من ملك الجنة، وهي غاية الطالبين، وإنما معنى: ﴿**وَمُلْكٍ لايَبْلَى**﴾ المقام في ملك الجنة والخلود فيها»اهـ(٤).

قلت : لم أفهم من كلام أبي عبيد غير المعنى الذي قرره النحاس، وعلى فرض حصول ما ذكره فإن المقام مقام كيد ومكر من ابليس - أعوذ بالله منه - ولعل في ما يأتي ما يبين ذلك - إن شاء الله -.

(٢) قال ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ): « ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ**﴾ قال: أي: إلا كراهة أن تكونا ملكين وكراهة أن تخلدا في الجنة، ومن هنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطه ويسألها عما تحبه وتؤثره فاذا عرفه استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب.

---

١) معاني القرآن للنحاس ٣/٢٠-٢١ وتفسيرالقرطبي ٧/١٧٨-١٧٩.

٢) بواسطة تفسير القرطبي ٧/١٧٩.

٣) بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٨.

٤) ما سبق .

وكذلك علّم إخوانه وأولياءه من الانس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضا أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه فإنه باب لايخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود وهو عن طريق مقصده مصدود.

فشامّ عدو الله الأبوين فأحس منهما إيناسا وركونا إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم؛ فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

وكان عبدالله بن عباس يقرؤها: «ملكين» بكسر اللام ويقول: «لم يطمعا أن يكونا من الملائكة، ولكن استشرفا أَنْ يكونا ملكين فأتاهما من جهة الملك».

ويدل على هذه القراءة قوله في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠].

وأما على القراءة المشهورة فيقال: كيف أطمع عدو الله آدم عليه السلام أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب، وكان آدم عليه السلام أعلم بالله وبنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكلة، و لاسيما مما نهاه الله عزوجل عنه؟.

فالجواب : أن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلا، وإنما كذبهما عدو الله وغرهما، وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد ومنه ورث اتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها؛ فسموا الخمر: «أم الأفراح»، وسموا أخاها بـ«لقيمة الراحة»(١) وسموا الربا بـ«المعاملة» وسموا المكوس بـ«الحقوق السلطانية» وسموا أقبح الظلم وأفحشه «شرع الديوان»، وسموا أبلغ الكفر: (وهو جحد صفات الرب): «تنزيها»، وسموا مجالس الفسوق: «مجالس الطيبة»(٢).

فلما سماها: «شجرة الخلد» قال: ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها فتخلدا في الجنة و لاتموتا فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم عليه السلام قد علم أنه يموت بعد واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهما؛

---

١) لعله يقصد النباتات المخدرة كـ«الحشيش» ونحوه.

٢) ومنه تسميتهم للربا «فائدة» وللرشوة «هدية».

فاجتمعت الشبهة والشهوة، وساعد القدر فأخذتهما سنة الغفلة، واستيقظ لهما العدو كما قيل:

واستيقظوا وأراد الله غفلتهم لينفذ القدر المحتوم في الأزل

إلا أن هذا الجواب يعترض عليه قوله: ﴿أو تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠].

فيقال: الماكر المخادع لا بد أن يكون فيما يمكر به ويكيد من التناقض والباطل ما يدل على مكره وكيده، و لا حاجة بنا إلى تصحيح كلام عدو الله، والاعتذار عنه، وإنما يعتذر عن الأب في كون ذلك راج عليه وولج سمعه، فهو لم يجزم لهما بأنهما إن أكلا منها صارا ملكين، وإنما ردد الأمر بين أمرين أحدهما ممتنع، والآخر ممكن، وهذا من أبلغ أنواع الكيد والمكر؛ ولهذا لما أطمعه في الأمر الممكن جزم له به ولم يردده فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه:١٢٠] فلم يدخل أداة الشك ههنا كما أدخلها في قوله ﴿إلَّا أنْ تَكُونَا مَلَكيْنِ أو تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠] فتأمله.»اهـ(١).

---

١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/١١٢-١١٣.

الموضع الثامن والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٢٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ :

فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبوجعفر بنصب السين ووافقهم الحسن والشنبوزي عن الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بالرفع ، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والمطوعي عن الأعمش(١).

معنى القراءتين :

القراءة بنصب السين على عطف كلمة : ﴿لِبَاسَ﴾ على ﴿رِيشًا﴾ فيكون المعنى أنزلنا عليكم ريشا وأنزلنا عليكم لباس التقوى.

القراءة برفع السين على الابتداء أو الخبر.

اما على الابتداء فيكون: ﴿لباسُ التَّقْوَى﴾مبتدأ و ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ثاني و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والتقدير: لباس التقوى المشار إليه خير.

اما على الخبر فيكون: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين(٢).

حاصل القراءتين :

اشتملت الآية بالقراءتين على مايلي :

إخبار الله تبارك وتعالى بأنه أنزل علينا لباسين:

أحدهما : لباس الرياش والأثاث والكسوة.

وثانيهما : لباس التقوى.

وهذا على القراءة بنصب السين .

وأخبر تعالى أن لباس التقوى خير من أي لباس آخر، وأن ستر العورة لباس المتقين، وهذا على القراءة برفع السين.

---

١) المبسوط ص١٨٠ النشر ٢٦٨/٢ الاتحاف ص٢٢٣.

٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٢٨/٢-٣٢٩ حجة القراءات ص٢٨٠-٢٨١.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن كلمة «خير» لها استعمالان :

أحدهما: أن يراد بها معنى التفضيل لا الأفضلية، أي: يراد بها إثبات أن الشيء فاضل في ذاته بقطع النظر عن تفضيله على غيره وعلى هذا المعنى يكون ضدها الشر، وفي هذا الاستعمال تبقى كلمة «خير»على أصلها لم يحذف منها شيء.

والثاني : أن يراد بها معنى الأفضلية، أي: يراد بها تفضيل شيء على آخر وهو يتضمن بداهة أنه فاضل في ذاته، وهي التي توصل بـ«من» وهذه أصلها «أخير» حذفت همزتها تخفيفا و يقابلها «شر» التي أصلها «أشر»(١).

والآية هنا تضمنت كلمة «خير» وهي هنا - على ما يظهر - بالمعنى الأول للتفضيل لا للأفضلية.

(٢) في الآية على القراءتين تنبيه إلى فضيلة التقوى، وأنها لباس لصاحبها يستره عن العيب والنقص عند الله تعالى كما قال عزوجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

وقد ذكر الله عزوجل التقوى في معرض ذكر الزاد فقال تبارك وتعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧.

فالتقوى لباس وزاد لصاحبها، وبالله التوفيق.

---

١) الحاوي للفتاوي ١/٣٧٥-٣٧٦.

الموضع التاسع والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٥٧.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ بُشْرا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ الفرقان: ٤٨.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النمل: ٦٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿بُشْرًا﴾

فقرأ عاصم بالباء الموحدة المضمومة واسكان الشين في المواضع الثلاثة.

وقرأ ابن عامر بالنون مضمومة واسكان الشين في ثلاثتها.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون المفتوحة وسكون الشين ووافقهم الأعمش: ﴿نَشْرا﴾.

وقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وأبوجعفر ويعقوب بضم النون والشين: ﴿نُشُرا﴾ ووافقهم ابن محيصن واليزيدي(١).

وكلها قراءات متواترة .

معنى القراءات :

القراءة بـ ﴿نُشُرا﴾ بضم النون والشين جمع نشور، ونشور بمعنى: ناشر، ومعناه: محي، كطهور بمعنى: طاهر، جعل الريح ناشرة للأرض أي: محيية لها إذ تأتي بالمطر الذي يكون النبات به.

ويجوز أن يكون نشور بمعنى: منشور، والمعنى: أحيا الله الريح لتأتي بين يدي رحمته، فهي ريح منشورة، أي: محياة، تقول: قد أنشر الله الريح: إذا بعثها.

والقراءة بـ ﴿نُشْرا﴾ بضم النون وسكون الشين بمعنى القراءة قبلها.

والقراءة بـ ﴿نَشْرا﴾ بفتح النون وتسكين الشين من النشر خلاف الطي كأن الريح في سكونها كالمطوية، ثم ترسل من طيها ذلك فتصير كالمتفتحة.

ويحتمل المعنى أن يكون نشرا بمعنى: متفرقة على وجوهها، على معنى

---

١) المبسوط ص١٨١ النشر٢/٢٦٩-٢٧٠ الاتحاف ص٢٢٦.

وقد نسبت هذه القراءات الى غير القراء العشرة كما في المحتسب ١/٢٥٥.

تنشرها هنا وهنا، ويحتمل أن يكون ﴿نَشْرا﴾ بمعنى: منشورة أي محياة.

والقراءة بالباء مضمومة من البشارة، أي: أن الريح تبشر بالمطر(١).

حاصل القراءات :

تضمنت الآية بالقراءات السابقة المعاني التالية :

(١) يذكرّ الله عزوجل بارسال الريح في حال كونها بشارة بنزول المطر وذلك على القراءة بالباء: ﴿بشرا﴾.

(٢) كما يذكرّ سبحانه بارسال الريح في حال كونها منشورة بعد أن تكون مطوية، وذلك على القراءة بالنون مع فتحها وتسكين الشين: ﴿نَشْرا﴾.

(٣) كما يذكرّ عزوجل بارسال الريح في حال كونها تجيء الأرض بما تحمله من المطر لتحي به أرضا ميتا، وذلك على القراءة بالنون مع ضمها وضم الشين: ﴿نُشُرا﴾.

(٤) ويذكرّ الله عزوجل بالريح في إحياء اللَّه لها لحمل السحاب الثقال، وذلك على القراءة بضم النون والشين كذلك: ﴿نُشُرا﴾.

---

١) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٤٥/٢ معاني القرآن الكريم للنحاس ٤٤/٣ الكشف ٤٦٥/١-٤٦٦.

الموضع الأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَامُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأعراف: ١٤٤.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿بِرِسَالاتِي﴾ :

فقرأ نافع وابن كثير وأبوجعفر وروح في روايته عن يعقوب بـ ﴿برسالتي﴾.

وقرأ باقي العشرة: ﴿برسالاتي﴾ بالألف على الجمع، ووافقهم الحسن والأعمش واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة على الافراد ﴿برسالتي﴾ المراد منها أي: بارسالي إياك، أو بتبليغ رسالتي.

القراءة على الجمع ﴿برسالاتي ﴾ المراد منها بأنواع رسالاتي المتعددة؛ لأنه لما كان موسى ﷺ أرسل بضروب متنوعة من الرسالات كالعقائد والعبادات والحدود وضروب المعاملات، فتعددت أنواعها، ولتعدد اسفار التوراة فجمع المصدر لذلك(٢).

حاصل القراءات :

تضمنت الآية بالقراءتين مايلي :

إمتنان الله تبارك وتعالى على موسى ﷺ بأنه سبحانه اصطفاه برسالته، وامتنان الله تبارك وتعالى على موسى ﷺ بأنه اصطفاه بتشريعاته وأسفار التوراة.

---

١) المبسوط ص١٦٣ النشر ٢٧٢/٢ الاتحاف ص٢٣٠.

٢) الكشف ٤٧٦/١ الاتحاف ص٢٣٠.

الموضع الحادي والأربعون :

قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأعراف: ١٩٤.

هكذا قرأ عامة العشرة .

وقرأ ابن جبير بنصب: «عبادا أمثالكم»(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة عامة العشرة : تقرر الآية أن هذه الأصنام التي تدعى من دون الله عزوجل ، وتسمى آلهة من دون الله الذي أوجدها وأوجدكم؛ إنما هم عباد لله عزوجل.

وسمى الأصنام عبادا - وإن كانت جمادات - لأنهم كانوا يعتقدون فيها أنها تضر وتنفع، فاقتضى ذلك أن تكون عاقلة.

معنى قراءة ابن جبير : تحقير شأن الأصنام، ونفي مماثلتها للبشر بل هم أقل وأحقر إذ هي جمادات لا تعقل(٢).

فـ«إن» في قراءة ابن جبير هي النافية التي تعمل عمل «ما» الحجازية وقد اختلف في مجيئها في مثل هذا السياق(٣).

والقراءة على هذا التخريج متأوله على اضمار فعل تقديره: إن الذين تدعون من دون الله تدعون عبادا أمثالكم، وتكون القراءتان قد توافقتا على معنى واحد وهو الإخبار أنهم عباد كما نبَّه على ذلك أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ).

وقال رحمه الله: «وقد خَرّجت هذه القراءة في «شرح التسهيل» على وجه غير ما ذكروه وهو أن «إن» هي المخففة من الثقيلة واعمالها عمل المشددة، وقد ثبت أن «إن» المخففة يجوز إعمالها عمل المشددة في غير المضمر بالقراءة المتواترة: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ [هود:١١١] وبنقل سيبويه... وقد ذهب جماعة من النحاة إلى جواز نصب أخبار «أنّ» وأخواتها واستدلوا على ذلك بشواهد ظاهرة الدلالة على صحة مذهبهم» اهـ(٤).

---

١) معاني القرآن للنحاس ٣/١١٧ المحتسب ١/٣٧٠.
٢) المحتسب ١/٣٧٠ البحرالمحيط ٤/٤٤٣.
٣) إعراب القرآن للنحاس٢/١٦٨-١٦٩ المحتسب ١/٣٧٠ البحرالمحيط ٤/٤٤٤.
٤) البحرالمحيط ٤/٤٤٤.

حاصل القراءتين :

بينت قراءة الجمهور أن الأصنام خلق من خلق الله تعالى كما أن الذين يعبدونها خلق من خلق الله.

وبينت قراءة ابن جبير أن هذه الأصنام أحقر شأنا من البشر فهم ليسوا مثلهم؛ فعجبا كيف يتخذ المخلوق إلها مخلوقا مثله ثم العجب ممن يتخذ مخلوقا أحقر شأنا منه إلها له.

الموضع الثاني والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ الأنفال: ٥٩.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النور: ٥٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿ولايَحْسَبَنَّ﴾ في الموضعين :

فقرأ ابن عامر وحفص وحمزة وأبوجعفر وادريس بخلف عنه عن خلف: ﴿يحسبن﴾ بياء الغيب.

وقرأ باقي العشرة: ﴿تحسبن﴾ بتاء الخطاب(١).

معنى القراءتين :

معنى القراءة بياء الغيب لا يحسبن الكفار أنفسهم سابقين، ويحتمل أن يكون المعنى لا يحسبن الكفار سابقين، والفاعل ضمير يعود إلى الرسول ﷺ أو لفاعل محذوف اقتضاه المقام وتقديره: «ولا يحسبن أحد...».

معنى القراءة بتاء الخطاب: لا تحسبن يامحمد الكفار سابقين(٢) أو الخطاب لكل من يصلح له أي: لا تحسبن أيها المخاطب.. ، وهذا أولى لأنه ﷺ لا يحسب ذلك ثقة في ربه.

حاصل القراءات :

كلا المعنيين واردين، ولا معارضة بينهما فالآية خطاب للرسول ﷺ بأن لا يحسب الكفار سابقين، وتهديدٌ للكفار بأن لايحسبن أنفسهم سابقين.

---

١) المبسوط ص١٩٠ النشر ٢٧٧/٢ الاتحاف ص٢٣٨.

٢) الكشف ٤٩٣/١-٤٩٤ المغني في توجيه القراءات ١٩٣/٢-١٩٤.

الموضع الثالث والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٤.

هكذا قرأ القراء العشرة: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ بالصاد المهملة.

وقرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وأبوزيد وابن السميفع: «ينقضوكم» بالضاد المعجمة(١)، وهي قراءة أحادية.

معنى القراءتين :

القراءة بالصاد: ﴿يَنقُصُوكُمۡ﴾ من النقص، أي: لم ينقصوكم من شروط العهد(٢).

القراءة بالضاد المعجمة: «ينقضوكم» من النقض وهو على حذف مضاف، أي: لم ينقضوا عهدكم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه(٣).

حاصل القراءتين :

القراءة بالضاد المعجمة تناسب ذكر العهد في الآية، وهي بمعنى قراءة الجمهور بالصاد المهملة ؛لأن من نقص من العهد فقد نقص من الأجل المضروب، إلا أن « النقض» يشعر بالغاء بنود العهد جميعها، بينما النقص يشعر بالغاء بعض بنود العهد، ويؤخذ منه أن من نقص العهد بالكلية أو بعض بنوده حكمهما واحد، وأن من أتم عهده وحافظ عليه ولم ينقضه ولم ينقصه أنه يتم إليهم عهدهم إلى مدتهم.

---

١) المحتسب ٢٨٣/١ تفسير القرطبي ٧١/٨ البحرالمحيط ٨/٥.
٢) تفسيرالقرطبي ٧١/٨.
٣) البحرالمحيط ٨/٥.

الموضع الرابع والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ التوبة: ١٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لا أَيْمَان لهم﴾ :

فقرأ ابن عامر بكسر الهمزة: ﴿لا إِيْمَان﴾ ووافقه الحسن وعطاء وزيد بن علي.

وقرأ باقي العشرة بالفتح: ﴿لا أَيْمَان﴾ ووافقهم الحسن بخلف عنه، وابن محيصن والأعمش واليزيدي(١).

معنى القراءات :

قراءة ابن عامر بكسر الهمزة: «لا إيمان» مصدر آمن ، أي: لا إسلام ولادين لهم، وقيل: مصدر «امنته» من الأمان، أي: لا يؤمنون في أنفسهم، وقيل: معناه لا يوفون لأحد بأمان يعقدونه له(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) : «يبعد في المعنى أن يكون من الايمان الذي هو التصديق، لأنه قد وصفهم بالكفر قبله فتبعد صفتهم بنفي الايمان عنهم لأنه معنى قد ذكر إذ أضاف الكفر إليهم، فاستعماله بمعنى آخر أولى ليفيد الكلام فائدتين ودل على أنه من الأمان قوله عنهم: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ ولا ذِمَّةً﴾ [التوبة:١٠] أي: لا يوفون لأحد بعهد و لايحفظون ذمام أحد» اهـ(٣).

قراءة الجمهور بفتح الهمزة: ﴿لا أيمان﴾ جمع يمين، ودل على ذلك قوله تعالى في سياق الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ﴾ التوبة: ٧، والمعاهدة بالأيمان تكون(٤).

حاصل القراءات :

يأمر الله تعالى بمقاتلة أئمة الكفر لأنه لا اسلام و لادين لهم و لا أمان يعطونه ، و لا عهد يؤدونه ويحفظونه بعد نكثهم.

ولا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه.

---

١) المبسوط ص١٩٣ البحرالمحيط ١٥/٥ الاتحاف ص.٢٤.

٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٤٣٥/٢-٤٣٦ معاني القرآن للنحاس ١٨٩/٣.

٣) الكشف ٥٠٠/١.

٤) ماسبق ، حجة القراءات ص٣١٥.

ويلاحظ مايلي :

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) : «بقراءة الفتح استشهد أبوحنيفة على أن يمين الكافر لا يكون يمينا.

وعند الشافعي يمينهم يمين، وقال: معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه تعالى وصفها بالنكث» اهـ(١).

قال الألوسي (ت١٢٧٠هـ) رحمه الله: «والنفي في الآية عند الامام أبي حنيفة عليه الرحمة على ما هو المتبادر، فيمين الكافر ليست يمينا عنده معتدا بها شرعا.

وعند الشافعي عليه الرحمة هي يمين لأن الله تعالى وصفها بالنكث في صدر الآية، وهو لا يكون حيث لايمين و لا ايمان لهم بما علمت.

و أجيب : بأن ذلك باعتبار اعتقادهم أنه يمين.

ويبعده : أن الاخبار من الله تعالى، و الخطاب للمؤمنين.

وقال آخرون : إن الاستدلال بالنكث على اليمين إشارة(٢) أو اقتضاء(٣)، و ﴿لا ايمان لهم﴾ عبارة(٤) فترجح.

والقول بأنها تؤول جمعا بين الأدلة فيه نظر؛ لأنه إذا كان لا بد من التأويل في أحد الجانبين فتأويل غير الصريح أولى ولعله لا يعتبر في ذلك التقدم و التأخر.

وثمرة الخلاف أنه لو أسلم الكافر بعد يمين انعقدت في كفره ثم حنث هل تلزمه الكفارة؟ فعند أبي حنيفة عليه الرحمة: لا ، وعند الشافعي رحمه الله تعالى: نعم» اهـ(٥).

قلت : يقول الله تبارك و تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا**

---

١) البحرالمحيط ١٥/٥.

٢) اشارة النص: هي العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص، كقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن﴾ سيق لإثبات النفقة، وفيه اشارة إلى أن النسب إلى الآباء. التعريفات ص٢٧.

٣) اقتضاء النص: عبارة عما لم يعمل النص إلا بشرط تقدم عليه، فإن ذلك أمر اقتضاء النص بصحة ما تناوله النص، وإذا لم يصح لا يكون مضافاً إلى النص، فكان المقتضى كالثابت بالنص. التعريفات ص٣٣.

٤) عبارة النص : هي النظم المعنوي المسوق له الكلام، سميت عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى، والمتكلم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب االكلام من الأمر والنهي يسمى استدلالا بعبارة النص. التعريفات ص١٤٦.

٥) روح المعاني ٥٩/١٠-٦٠.

حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم، أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن أرتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى و لانكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين﴾ المائدة: ١٠٦.

فهذه الآية تدل على أن الكافر من أهل القسم له يمين فهذه عبارة، مع الاشارة في قوله: ﴿**وان نكثوا أيمانهم..**﴾ التوبة: ١٢؛ لأنه عبر بالنكث وهو لا يكون حيث لا يمين معتبرة فاقتضى ذلك عدم صحة التأويل الذي ذكره الألوسي رحمه الله في كلامه السابق .

على أن قوله تعالى: ﴿**وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ التوبة: ١٢، إذا تأمل الباحث سياقه وسباقه ولحاقه ظهر له أن المراد أن الكافر إذا نقض عهده فإنه يقاتل و لايقبل منه يمين و لاعهد في هذه الحال، فمن أين في الآية أن يمين الكافر لا تعتبر مطلقا؟(١).

١) انظر حول المسألة: المحلى ٨/٥٠-٥١ بدائع الصنائع ٣/١٠-١١ المغني لابن قدامة ٨/٦٩١-٦٩٢ تفسير القرطبي ٧/٤٠٢-٤٠٣ فتح القدير لابن الهمام ٥/٨٦-٨٧ كفاية الأخيار ٢/١٥٥ كتاب الأيمان والنذور د/ محمد أبي فارس ص٧٧-٧٩.

الموضع الخامس والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ يونس: ٢٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ :

فقرأ أبوجعفر وابن عامر: ﴿يَنْشُرُكم﴾ بفتح الياء ونون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة من "النشر" ووافقهما الحسن.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يسيركم﴾ بضم الياء وسين مهملة مفنوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من« التسيير» ووافقهم اليزيدي وابن محيصن والأعمش(١).

معنى القراءات :

القراءة بـ ﴿ينْشُركم﴾ من النشر ضد الطي، أي: يبثكم ويفرقكم في البر والبحر، كما قال تعالى: ﴿فانتَشِرُوا فِي الأرْضِ﴾ الجمعة: ١٠ وقال: ﴿وبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابة﴾ البقرة: ١٦٤(٢).

القراءة بـ ﴿يُسَيِّركم﴾ أي: يحملكم على السير ويمكنكم منه(٣).

حاصل القراءات :

يُذكِّر الله تعالى بنعمة من نعمه الكثيرة على الناس، فهو سبحانه الذي بث الناس ونشرهم وفرقهم في أرجاء الدنيا برا وبحرا، وهو سبحانه الذي سيرهم ومكنهم من ذلك كما قال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذي جَعَل لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِن رِزْقِهِ وإليه النّشُور﴾ الملك: ١٥.

ويلاحظ مايلي :

(١) قال أبوعمرو الداني (ت٤٤٤هـ) : «في يونس [آية٢٢] في مصاحف أهل الشام: ﴿هو الذي يَنْشُركم في البَرّ والبَحْر﴾ بالنون والشين، وفي سائر المصاحف: ﴿يُسَيِّركم﴾ بالسين والياء اهـ(٤).

(٢) قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «فإن قلت: كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر (يعني: في قوله تعالى ﴿.. حَتّى إذَا كُنْتم فِي

---

١) المبسوط ص١٩٩ النشر٢/٢٨٢ الاتحاف ص٢٤٨.
٢) الكشف ٥١٦/١.
٣) الاتحاف ص٢٤٨.
٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص١٠٨.

الفُلْك...﴾) والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك؟.

قلت : لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء»اهـ(١).

قلت : استحسن أبوحيان(٢) (ت٧٥٤هـ) هذا الجواب، ومن قبله استجاده ناصر الدين أحمد بن المُنَيِّر الاسكندري (ت٦٨٣هـ) حيث قال: «وهذه... من نكته التي لا يكتنه حسنها»اهـ(٣).

---

١) تفسير الزمخشري ١٨٦٢.
٢) البحرالمحيط ١٣٨/٥.
٣) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١٨٦/٢.

الموضع السادس والأربعون :

قوله تبارك وتعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ يونس: ٣٠.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿تَبْلُواْ﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف بتاءين من فوق: ﴿تَتْلُوا﴾ ووافقهم الأعمش .

وقرأ باقي العشرة: ﴿تَبْلُوا﴾ بتاء من فوق والباء الموحدة ووافقهم ابن محيصن والحسن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بـ﴿تَتْلُوا﴾ بتاءين من فوق، أي: تطلب وتتبع ما أسلفته من أعمالها، أو المراد تقرأ ما عملته مسطرا في مصحف الحفظة، كقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الاسراء: ١٤(٢)، فعلى الأول: "تتلوا" من الطلب والتتبع، وعلى الثاني: "تتلوا" من التلاوة .

القراءة بـ ﴿تبلوا﴾ بتاء من فوق ثم باء موحدة من الابتلاء، أي: تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يتعرف الرجل الشيء باختباره(٣).

حاصل القراءات :

يخبر الله عزوجل أنه في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة والدهش تتبع كل نفس ما اسلفت من عمل وتتلوه وتقرأه وتختبره فتعرف كيف هو لتجزى به.

---

١) المبسوط ص٢٠٠ النشر٢/٢٨٣ الاتحاف ص٢٤٨-٢٤٩.

٢) الكشف ٥١٧/١.

٣) ماسبق ، البحرالمحيط ١٥٣/٥.

تنبيه : وقع خطأ مطبعي في الكشف ٥١٧/١ في السطر التاسع من أسفل الصفحة كلمة: «الابتداء» صوابها : «الابتلاء»، وكلمة: «الاختيار» صوابها : «الاختبار» والله الموفق.

الموضع السابع والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوٓا إِلَيَّ و لاَتُنظِرُونِ﴾ يونس: ٧١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ السري بن ينعم(١) : «أفضوا إلي» بالفاء(٢).

معنى القراءتين :

القراءة بـ ﴿اقْضُوٓا﴾ بالقاف، أي: افعلوا ما بدا لكم.

القراءة بـ« افضوا » بالفاء من أفضيت، معناه: اسرعوا إلي(٣).

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ) : «وهو أفعلت من الفضاء، وذلك أنه إذا صار إلى الفضاء تمكن من الإسراع، ولو كان من ضيق لم يقدر من الاسراع على ما يقدر عليه من السعة... فقولهم: أفضيت: صرت إلى الفضاء، كقولهم:... أعمن الرجل: إذا صار إلى عمان وأنجد: أتى نجدا، ونحو ذلك» اهـ(٤).

حاصل القراءتين :

الآية بالقراءتين تفيد أن نوحا ﷺ قال لقومه: إن طال عليكم لبثي فيكم وتخويفي اياكم بآيات الله وعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت واعتمدت فاعزموا أمركم وافعلوا ما بدا لكم على وجه السرعة ولا تمهلون .

وهذا اخبار من الله تعالى عن نبيه نوح ﷺ أنه كان بنصر الله واثقا ومن كيدهم غير خائف، وفيه تعزية لنبيه ﷺ وتقوية لقلبه(٥).

---

١) السَّرِي بن يَنْعُم بفتح التحتانية وسكون النون وضم المهملة الجبلاني بضم الجيم وسكون الموحدة، شامي، صدوق عابد. الجرح والتعديل ٢٨٤/٤ التقريب ص٢٣٠.

٢) المحتسب ٣١٥/١.

٣) معاني القرآن للزجاج ٢٩/٣ معاني القرآن للنحاس ٣٠٧/٣ المحتسب ٣١٥/١.

٤) المحتسب ٣١٦/١.

٥) تفسير القرطبي ٣٦٤/٨.

الموضع الثامن والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ ٱللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يونس: ١٦.

وقوله تعالى: ﴿ولا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ القيامة: ١.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿ولا أدراكم﴾ :

فروى قنبل بطرق عن ابن كثير بحذف الألف التي بعد اللام.

وروى العراقيون قاطبة عن أبي ربيعة عن البزي عن ابن كثير كذلك في الموضعين.

وروى ابن الحباب والمغاربة والمصريون قاطبة عن البزي اثبات الألف فيهما، وبذلك قرأ باقي العشرة(١).

وقرأ الشنبوذي عن الأعمش: «و لا نذرتكم به» بنون ساكنة وذال معجمة مفتوحة وراء ساكنة وتاء مضمومة(٢)، وكذا هي في حرف ابن مسعود(٣).

وقرأ الحسن: «ولا أدرأتكم به» بهمزة ساكنة وتاء مرفوعة(٤) وهي قراءة ابن عباس وابن سيرين كذلك(٥).

معنى القراءات :

القراءة بحذف الألف التي بعد اللام: ﴿ولأدرَاكم﴾ معناها : ولأعلمكم به، ومعنى الآية: لو شاء الله لأعلمكم به من غير أن أتلوه عليكم(٦)، أي: من غير طريقي وعلى لسان غيري، ولكنه يمن على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون الناس(٧).

القراءة باثبات الألف: ﴿ولا أدرَاكم به﴾ معناها: لا يعلمكم الله به، ومعنى الآية: لو شاء الله ما أرسلني إليكم فتلوت عليكم القرآن، ولا أعلمكم الله و لا أخبركم به(٨).

القراءة بـ«ولا نذرتكم به» بنون ساكنة وذال معجمة مفتوحة وراء ساكنة

---

١) النشر ٢ ٢٨٢ الاتحاف ص٢٤٧.
٢) البحرالمحيط ٥/١٣٣ الاتحاف ص٢٤٧ القراءات الشاذة ص٥٢.
٣) البحرالمحيط ٥/١٣٣.
٤) البحرالمحيط ٥/١٣٣ الاتحاف ص٢٤٧.
٥) المحتسب ١/٣٠٩.
٦) تفسيرالقرطبي ٨/٣٢٠.
٧) البحرالمحيط ٥/١٣٢.
٨) تفسير القرطبي ٨/٣٢٠ البحرالمحيط ٥/١٣٢.

وتاء مرفوعة معناها من الانذار(١)، ومعنى الآية لو شاء الله ماتلوت عليكم القرآن و لا أنذرتكم به، وهي في المعنى تعود إلى القراءة باثبات الألف: ﴿ولا أدرَاكم به﴾.

القراءة بـ«ولا أدرأتكم به» بهمزة ساكنة مكان الألف وبعدها تاء مضمومة في معناها وجهان :

الأول : أنها من الدراية، والأصل: «أدريتكم» فقلبت الياء همزة، وهي في المعنى تعود إلى القراءة باثبات الألف: ﴿ولا أدرَاكم به﴾.

الثاني : أنها من الدرء بمعنى الدفع وتكون الهمزة على هذا أصيلة، والمعنى: لو شاء الله ما تلوت القرآن عليكم و لا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني(٢).

حاصل القراءات :

يأمر الله عزوجل رسوله ﷺ بأن يقول للكفار: لو شاء الله ما تلوت عليكم هذا القرآن ولا علمتم به مطلقا لا مني و لا من غيري، ولو شاء لأعلمكم به من غيري، ولو شاء الله ما تلوته عليكم ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدفعونني بالجدال وتكذبونني.

---

١) البحرالمحيط ١٣٣/٥ الاتحاف ص٢٤٧.

٢) البحرالمحيط ١٣٣/٥ القراءات الشاذة ص٥٢.

الموضع التاسع والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ يونس: ٩٢.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ أبي بن كعب و ابن السميفع ويزيد البربري: «فاليوم ننحيك ببدنك» بالحاء(١).

معنى القراءات :

القراءة بالجيم: ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي: نلقيك على نجوة من الأرض أو نبعدك مما وقع فيه قومك من قاع البحر ونظهرك جسدا لا روح فيه، وقيل غير ذلك وهو متقارب(٢).

القراءة بالحاء: «ننحيك» أي: نلقيك بناحية تلي البحر(٣).

حاصل القراءات :

أخبر تعالى أنه أبعد بدن فرعون مما وقع فيه قومه من قاع البحر، وأنه جعله على نجوة من الأرض بناحية مما يلي البحر.

---

١) المحتسب ٣١٦/١.

ثم رأيت ابن الجزري في النشر ١٦/١ يقول: «مما نقله غير ثقة كثير في كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف كقراءة ابن السميفع وأبي السمال وغيرهما في: ﴿ننجيك ببدنك﴾ «ننحيك» بالحاء المهملة»اهـ

قلت : واعتمدت في إيرادها على المحتسب لِمَا ذَكَرَه في مقدِّمته وبالله التوفيق.

٢) تفسير القرطبي ٣٨٠/٨ البحرالمحيط ١٨٩/٥.

٣) المحتسب ٣١٧/١.

الموضع الخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً، قَالَ سَلَامٌ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود: ٦٩.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً، قَال سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ الذاريات: ٢٥.

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿سَلَام﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام بلا ألف في الموضعين: ﴿سِلْم﴾.

وقرأ باقي العشرة: ﴿سَلَام﴾ بفتح السين واللام وبألف بعدها في الموضعين(١).

معنى القراءات :

قيل : سلام وسلم بمعنى واحد، كحرام وحرم، وحلال وحل(٢).

وقيل : القراءة بـ ﴿سلام﴾ بمعنى التحية.

القراءة بـ ﴿سِلْم﴾ بمعنى السلم ضد الحرب تقول: نحن سلم لكم(٣).

حاصل القراءات :

رد إبراهيم ﷺ تحيتهم بالتحية بالمثل وبأحسن، كما أعطاهم السلم، فكأنه قال لهم: لست مريدا غير السلامة والصلح.

---

١) المبسوط ص٢٠٥ النشر ٢/٢٩٠ الاتحاف ص٢٥٨.

٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠-٢١.

٣) البحرالمحيط ٥/٢٤١.

الموضع الحادي والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الحجر: ٣٩-٤٠.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ مريم: ٥١.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات: ٣٩-٤١.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ٧٣-٧٤.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ١٢٧-١٢٨.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ١٥٨-١٦٠.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ. لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ١٦٧-١٦٩.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ سورة ص ٨٢-٨٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿مُخْلَصًا﴾ و﴿الْمُخْلَصِين﴾ :

فقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام ووافقهم الأعمش.

وقرأ سائر العشرة: ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام و وافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن(١).

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر ويعقوب: ﴿الْمُخْلِصِين﴾ بكسر اللام في جميع القرآن، ووافقهم اليزيدي والحسن وابن محيصن.

وقرأ أبوجعفر ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿الْمُخْلَصِين﴾ بفتح اللام في جميع القرآن العظيم، ووافقهم الأعمش(٢).

---

١) المبسوط ص٢٤٤ النشر ٢/٢٩٥ الاتحاف ض٢٦٤.

٢) المبسوط ص٢٠٩ إرشاد المبتدي ص٣٨٠ الاتحاف ص٢٦٤.

معنى القراءات :

القراءة بكسر اللام: ﴿مُخلِصا﴾ و ﴿المُخلِصين﴾ أي: أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء(١) لأن اسم الفاعل يدل على من وقع منه الفعل أو تعلق به(٢).

القراءة بفتح اللام: ﴿مُخلَصا﴾ ﴿المُخلَصين﴾ أي: الله أخلصهم من الأسواء والفواحش فصاروا مخلصين(٣) لأن اسم المفعول يدل على من وقع عليه الفعل(٤).

حاصل القراءات :

أخبر الله عزوجل أنه استخلصهم لعبادته وخلصهم من أدران القلوب والأعمال وهيأهم بذلك ليكونا مخلصين له الدين حنفاء.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن القراءتين تكمل احداهما الأخرى، ولا تعارض بينهما ولا تناقض.

(٢) أن الإخلاص لما كان في أصله موهبة من الله تعالى، وعملا من صاحبه جاءت القراءتان بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول.

فغاية القراءة بفتح اللام الاخبار بأن الله أخلصهم وهيأهم ليكونوا مخلصين، كقوله عزوجل: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ سورة ص ٤٦.

وغاية القراءة بكسر اللام الدلالة على أنهم فعلوا الاخلاص في أعمالهم وقلوبهم، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ النساء: ١٤٦ وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾ الزمر: ١٤ وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة: ٥.

١) معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٣ حجة القراءات ص٣٥٨-٣٥٩.
٢) شذا العرف ص٧٧.
٣) معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٣ حجة القراءات ص٣٥٩.
٤) شذا العرف ص٧٩.

الموضع الثاني والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إبراهيم: ٤٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لِتَزُولَ﴾ :

فقرأ الكسائي وحده: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية ، ووافقه ابن محيصن.

وقرأ باقي العشرة: ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، ووافقهم اليزيدي والحسن والأعمش(١).

معنى القراءات :

القراءة بفتح اللام الأولى وضم الثانية: ﴿لَتَزُولُ﴾ معناها: عند الله مكرهم، وإن كان مكرهم يقرب في الكيد الى ازالة الجبال، فإن الله ينصر دينه، ومكرهم عنده لايخفى؛ فمعنى: هذه القراءة أن الله جل ذكره عظم مكرهم كما قال: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَاراً﴾ نوح: ٢٢ وقال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً﴾ مريم ٩٠-٩١(٢).

وهذا المعنى في هذه القراءة المتواترة تدل عليه قراءة أبي بن كعب: «ومكرو مكرهم، وعند الله مكرهم، ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال»(٣).

وروي عن عمر و علي و ابن مسعود وابن عباس أنهم قرؤوا: «وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال»(٤).

فهذا دليل على تعظيم مكرهم، ولأن كاد في كلام العرب تكون لمقاربة الفعل(٥).

والقراءة بكسر اللام الأولى وفتح اللام الثانية أي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، فمكرهم أضعف وأوهن من أن تزول منه الجبال

---

١) المبسوط ص٢١٨ إرشاد المبتدي ص٣٩٤ الإتحاف ص٢٧٣.

٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ١٦٧/٣ معاني القرآن للنحاس٥٤٢/٣ الكشف ٢٧/٢.

٣) معاني القرآن للنحاس ٥٤٣/٣ الكشف ٢٧/٢ ولم يورد سندها، وهي مخالفة لرسم المصحف، والظاهر أنها قراءة تفسيرية والله أعلم.

٤) اعراب القرآن للنحاس ١٨٧/٢ علل القراءات ٣٣٧/١ المحتسب ٣٦٥/١ الكشف ٢٧/٢ الدرالمنثور ٥٣/٥-٥٤ كنزالعمال ٥٩٦/٢.

٥) الكشف ٢٨/٢، وقد نبه ابن هشام في «مغني اللبيب» ص٨٦٨-٨٦٩ على أن ما شاع في ألسن بعض المشتغلين بالنحو من أن «كاد» نفيها إثبات واثباتها نفي غير صحيح، والصواب أن معناها هو المقاربة.

الراسيات، وهي بعض خلق الله عزوجل، فكيف يمكن لمكرهم أن يزيل القرآن والنبوة والله وعد نبيه ﷺ اظهار دينه فقال: ﴿لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّين كُلِّه﴾ الفتح: ٢٨ ويدل على هذا قوله سبحانه وتعالى بعد هذه الآية: ﴿فلا تَحْسَبَنّ اللّه مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه﴾ أي: لا يخلفهم ما وعدهم من نصره واظهار نبوتهم وكلمتهم(١).

حاصل القراءات :

أن الكفار مكروا مكرا عظيما كبيرا يقرب من أن يزيل الجبال، لكن مكرهم هذا بالنسبة الى الله عزوجل ضعيف واهن لا يستطيع أن يزيل جبلا خلقه الله، فكيف يستطيعون بمكرهم أن يزيلوا أمر الدين والنبوة والقرآن التي وعد الله رسوله باظهارها على الدين كله ولو كره الكافرون.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن اختلاف معنى القراءتين ليس من باب اختلاف التناقض والتعارض بل من اختلاف التنوع، وكلا المعنيين حق.

قال ابن جني : «إن قيل: هذا اختلاف في التأويل بإثبات من إحدى القراءتين ما نفته الأخرى!.

قيل : لا، ليس ذلك ضدا و لا ناقضا، وذلك أن قوله: عز اسمه: ﴿وإن كان مكرهم لتزول من..﴾ أي: إن مكرهم تزول منه الجبال، ودخلت اللام للفرق بين «إن» المخففة من الثقيلة و «إن» النافية كدخولها في قوله سبحانه: ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا..﴾ [الفرقان: ٤٢] أي: إنه قد كاد يضلنا، وليست لام الابتداء كما يظن من لا خبرة له...

و أما ﴿لِتَزُولَ مِنْه الجِبَال﴾ فمعناه - لعمري -: إن الجبال لا تزول منه، وليس هذا نفيا لما أثبتته القراءة الأخرى؛ وذلك أن الجبال في قوله: ﴿لِتَزولَ﴾ المراد به هذه الجبال التي هي أوتاد الأرض.

والجبال في قراءة من قرأ: ﴿لَتزولُ منه الجبال﴾ لا يعنى بها هذه التي ذكرناها، وإنما المراد بها - والله أعلم - ثبات الدين وعزة المسلمين فسماه عز اسمه جبالا لثباته وتمكنه، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [التوبة:٣٣] وقوله: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف:٨] وغير ذلك من الآي الشاهدة بقوة الدين واعتلاء

---

١) معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٣ معاني القرآن للنحاس ٥٤٣/٣ حجة القراءات ص٣٧٩.
ويلاحظ أني اخترت تفسير الجبال بالمعنى المعروف في لغة العرب في القراءتين.

أيدي المؤمنين.

ويؤكد ذلك أن لفظ «الجبال» قد وضع عبارة عما لا تدركه المعاينة وإنما هو من المعاني المتصورة...وقد شاع ذلك في اللغة» اهـ(١).

(٢) أورد غالب أهل التفسير(٢) قصة النسور وخلاصتها: أن رجلا طاغية اتخذ نسورا وأطعمها وسمنها ثم قعد هو وصاحبه في تابوت وربط التابوت بأرجل النسور وعلقوا اللحم فوق التابوت فكانت النسور كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت تذهب نحو اللحم حتى انقطع بصره من الأرض، ثم صوب العصا التي علق فيها اللحم إلى الأرض فتصوبت النسور إليها، فسمعت الجبال حفيف النسور فكانت ترى أنها أمر من السماء فكادت تزول فهو قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

هكذا أورد كثير من المفسرين هذه القصة، وهي بعيدة جدا والظاهر أنها من الإسرائيليات والله أعلم.

وقد رد هذه القصة جماعة من أهل التفسير :

قال الرازي (ت٦٠٦هـ) بعد إيراده لهذه القصة: «قال القاضي: وهذا بعيد جدا لأن الخطر فيه عظيم، ولا يكاد العاقل يقدم عليه، وما جاء فيه خبر صحيح معتمد و لاحجة في تأويل الآية البتة» اهـ(٣).

وقال علاء الدين أبوالحسن الخازن (ت٧٤١هـ) بعد حكايته للقصة: «واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية، وقال: إن الخطر فيه عظيم...»(٤) وساق الكلام السابق.

وقال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «وما روي من قصة النمرود أو بختنصر واتخاذ الأنسر وصعودهما عليها إلى قرب السماء في قصة طويلة، وما تأول بعضهم أنه عبر بالجبال عن الاسلام والقرآن لثبوته ورسوخه، وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه من قولهم: هذا سحر، وهذا شعر، وهذا أفك؛ فأقوال ينبو عنها ظاهر اللفظ وبعيد جدا قصة الأنسر» اهـ(٥).

---

١) الخاطريات ص٥٦-٥٨ باختصار.

٢) منهم الطبري في تفسيره (دارالفكر) ٢٤٤/١٣ وفي تاريخه ٢٨٨/١-٢٩٠، والزجاج في معاني القرآن ١٦٧/٣ والنحاس في معاني القرآن ٥٤٤/٣ والبغوي في تفسيره ٤٠/٣-٤١ والقرطبي في تفسيره ٣٨٠/٩-٣٨١ وابن كثير في تفسيره ٥٤٢/٢ وغيرهم.

٣) تفسير الرازي ١٤٤/١٩.

٤) تفسير الخازن ٨٦/٣.

٥) البحرالمحيط ٤٣٨/٥.

وقال الألوسي (ت١٢٧٠هـ) بعد نقله لكلام الرازي: «ونِعْمَ ما قال في خبر النسور؛ فإنه وإن جاء عن علي كرم الله وجهه وعن مجاهد وابن جبير وأبي عبيدة والسدي وغيرهم إلا أن في الأسانيد ما لايخفى على من نقر، وقد شاع ذلك من أخبار القصاص وخبرهم نازل عن درجة القبول، ولو طاروا إلى النسر الطائر...»اهـ(١).

قلت : ولعل عذر مَن أوردها ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : «بلغوا عني ولو آية و حدثوا عن بني إسرائيل و لاحرج»(٢)، خاصة وأنها لا تخالف ما عندنا بل توافقه رغم بعدها عن الواقع والله أعلم.

---

١) روح المعاني ٢٥٢/١٣.

٢) حديث صحيح عن عبدالله بن عمرو.

أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل تحت رقم (٣٤٦١) والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل تحت رقم (٢٦٧١)، وانظر ما سبق ص ٥٨.

الموضع الثالث والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ إبراهيم: ٤٩-٥٠.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ زيد بن أخي يعقوب عن عمه يعقوب الحضرمي - أحد القراء العشرة - وكذا أبوحاتم عنه، وكذا قرأ علي بن أبي طالب وأبو هريرة وابن عباس وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن - بخلاف عنه - وسنان بن سلمة وزيد بن علي وقتادة وأبو صالح والكلبي وعيسى الهمداني وعمرو بن فائد وعمرو بن عبيد جميعهم قرأ بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء «قطر»، «آن» بالتنوين على أنها كلمتين(١).

معني القراءات :

قراءة القراء العشرة: ﴿قَطِرَانٍ﴾ أي: قطران الأبل، وهوشيء يتحلب من شجر تهنأ (يعني: تطلى) به الابل عند إصابتها بالجرب .

والقراءة الأخرى على كلمتين «قطر آن» القطر: النحاس المذاب، و «آن»: الذائب الحار الذي قد تناهى حره(٢).

حاصل القراءات :أن سرابيل المجرمين في النار ستكون من قطران ومن نحاس مذاب حار تناهى حره، فالقراءة الخارجة عن العشرة وسَّعت معنى الآية وبيَّنت أن للمجرمين سرابيل من قطران وسرابيل من نحاس مذاب غاية في الحرارة والله اعلم.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن هذه القراءة صحيحة السند عن رسول الله ﷺ، ولا تخالف رسم المصحف ولا تخالف العربية.

(٢) أنه ورد عن السلف في تفسير الآية قولان ، فظن اختلافا ليس باختلاف وإنما كل تفسير على قراءة فمن فسر الآية بقوله سرابيلهم من قطران الابل، يطلى به حتى يشتعل نارا كما ورد عن الحسن(٣) وعكرمة(٤) فهو تفسير لقراءة من قرأ: ﴿قَطِرَانٍ﴾ كلمة واحدة بدون تنوين كلمة "قطر" .

ومن فسر الآية بقوله:سرابيلهم من نحاس مذاب حار، كما ورد عن ابن

---

١) علل القراءات ٨٩/١ المحتسب ٣٦٦/١.
٢) زاد المسير ٣٧٧/٤ البحرالمحيط ٤٤٠/٥.
٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ٢٥٦/١٣.
٤) الدرالمنثور ٦٠/٥.

عباس(١) وابن جبير(٢) فهو تفسير لقراءة من قرأ: «قطر آن» بالتنوين على كلمتين.

(٣) قال الفراء (ت٢٠٧هـ): «قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ عامة القراء مجمعون على أن القطران حرف واحد مثل الظربان.

قال وحدثني حبان عن الكلبي عن أبي صالح أن ابن عباس فسرها: «من قطر آن» قد انتهى حره، قرأها ابن عباس كذلك.»(٣).

قال أبوزكريا : «وهو من قوله: ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦].» اهـ(٤).

(٤) أسوق هنا كلاما للطبري (ت٣١٠هـ) حول هذه القراءة الآحادية مع التنبيه على حال بعض الأسانيد عنده قال الطبري: «قد روي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك: «من قطرآن» بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير «آن» من نعته، وتوجيه معنى القطر إلى أنه النحاس و معنى «الآن» إلى أنه الذي قد انتهى حره.

وممن كان يقرأ كذلك... عكرمة مولى ابن عباس .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا حصين به(٥)....

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ٢٥٧/١٣ الدرالمنثور ٦٠/٥.

٢) ماسبق .

٣) إسناد ضعيف جدا.

أخرجه الفراء كما ترى في معاني القرآن ٨٢/٢ وابن خالوية في علل القراءات ٩٠/١ من طريق آخر قال حدثني ابن مجاهد عن السمري عن الفراء عن أبي بكر بن عياش عن الكلبي به.

والكلبي هو محمد بن السائب قال عنه في التقريب ص٤٧٩: «متهم بالكذب ورمي بالرفض»اهـ

وينظر الاتقان (أبوالفضل) ٢٠٩/٤.

٤) معاني القرآن للفراء ٨٢/٢.

٥) إسناد صحيح إلى عكرمة.

أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ٢٥٦/١٣.

قلت : أحمد بن يوسف شيخ الطبري هو الأزدي أبو الحسن النيسابوري حافظ ثقة كما في «التقريب» ص٨٦.

والقاسم هو أبوعبيد بن سلام امام مشهور ثقة فاضل كما في التقريب ص٤٥٠.

وهشيم هو ابن بشير أبومعاوية السلمي ثقة ثبت كثيرالتدليس والارسال الخفي كما في التقريب ص٥٧٤.

قلت : صرح هشيم هنا بالتحديث كما ترى.

وحصين هو ابن عبدالرحمن أبوالهذيل السلمي الكوفي ثقة تغير حفظه في الآخر كما في التقريب ص١٧٠.

حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبدالرحمن ابن أبي حماد قال: حدنا يعقوب القمي عن جعفر عن ابن جبير أنه كان يقرأ: «سرابيلهم من قطر آن»(١)....

حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا هشام قال: حدثنا أبوحفص عن هارون عن قتادة أنه كان يقرأ: «من قطر آن» قال من صفر قد انتهى حره»(٢).

قال الطبري: «وكان الحسن يقرؤها: «من قطر آن».» اهـ(٣).

(٥) تقدم أن هذه القراءة صحيحة السند عن النبي ﷺ، ولا يضرها ورودها من بعض الطرق الضعيفة والواهية فقد رواها عن يعقوب الحضرمي زيد ابن أخيه كما ذكره ابن مهران(٤) ولم يتفرد زيد بذلك عن عمه يعقوب بل تابعه أبو حاتم عن يعقوب(٥).

---

١) إسناده ضعيف .
أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ٢٥٦/١٣.
المثنى شيخ الطبري قال أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (١٧٦/١): «أما المثنى شيخ الطبري فهو المثنى بن إبراهيم الآملي يروي عنه الطبري كثيرا في التفسير والتاريخ»اهـ
قلت : رواية الطبري عن المثنى في تاريخه محصورة في بضع وعشرين رواية كما في الفهارس العامة لتاريخ الطبري ٣٨٨/١٠ ولم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب.
وإسحاق هو ابن الحجاج له ترجمة في الجرح والتعديل ٢١٧/٢ لم يذكر فيها جرحا ولا تعديلا، فهو مجهول الحال، وصرح الطبري باسمه في مواضع منها في تفسيره (شاكر) ٢٠٦/٢، ٣٨٥.
وعبدالرحمن بن أبي حماد هو عبدالرحمن بن سكين بن أبي حماد ترجم له في غاية النهاية (٣٦٩/١) وقال: «صالح مشهور».
وعزاه بنحوه في «الدرالمنثور» ٦٠/٥ إلى ابن أبي حاتم.

٢) إسناده ضعيف.
أخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ٢٥٧/١٣.
قلت : وفي السند المثنى وإسحاق ابن أبي حماد تقدما فيما قبله.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ٢٥٦/١٣ باختصار.

٤) الغاية في القراءات العشر ص١٨٤ المبسوط ص٢١٨ وأورد في أولهما اسناده في القراءة عن زيد عن يعقوب، الغاية ص٦٩-٧٠ المبسوط ص٧٧-٧٨.

٥) زاد المسير ٣٧٧/٤.

الموضع الرابع والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: ١١٠.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿مافتنوا﴾ :

فقرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء مبنيا للفاعل: ﴿ما فَتَنُوا﴾.

وقرأ باقي العشرة بضم الفاء وكسر التاء مبنيا للمفعول: ﴿ما فُتِنُوا﴾، ووافقهم اليزيدي والأعمش والحسن وابن محيصن(١).

معنى القراءات :

القراءة بفتح الفاء والتاء معناها: من بعد ما فتنوا الناس عن دين الله عزوجل، فالآية تشير إلى من أسلم من المشركين ، ويحتمل أن يكون المعنى: من بعد ما فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية؛ لأن الرخصة لم تكن نزلت بعد(٢).

القراءة بضم الفاء وكسر التاء معناها من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم(٣).

حاصل القراءات :

بينت الآية حكم من فتن وعذب في دين الله تعالى فاعطى المشركين من القول ما طلبوه كما فعل عماربن ياسر.

وحكمه أن الله يغفر له.

وبينت الآية بقراءة ابن عامر حكم من آذى المسلمين وفتنهم وعَذَّبهم في دِين اللَّه ثم أسْلم.

وحكمه أن الله عزوجل يغفر له ذلك، والله أعلم.

---

١) المبسوط ص٢٢٦ النشر ٢/٣٠٥ الإتحاف ص٢٨٠-٢٨١.

٢) زاد المسير ٤/٤٩٨.

وعكس ذلك أبوحيان، فجعل الأول محتملا والثاني هوالظاهر. البحرالمحيط ٥/٥٤١.

٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٠ زاد المسير ٤/٤٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب باستيفاء الملاحظات المطلوبة منه في المناقشة

عبد العزيز محمد شماخ

د/ عبد الله ...

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

القراءات وأثرها في التفسير والأحكام

إعداد
محمد بن عمر بن سالم بازمول

لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إشراف
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
عبد الستار فتح الله سعيد

١٤١٢هـ - ١٤١٣هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

القراءات
وأثرها في التفسير والأحكام

إعداد
محمد بن عمر بن سالم بازمول

لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إشراف
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
عبد الستار فتح الله سعيد

المجلد الثاني

١٤١٢هـ - ١٤١٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الموضع الخامس والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ الإسراء: ١٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿أمرنا﴾ :

فقرأ يعقوب بمد الهمزة: ﴿آمرنا﴾ ورويت عن ابن كثير وأبي عمرو وعاصم ونافع من غير الطرق التي اشتهرت عنهم، ووافقه الحسن(١) وبها قرأ علي بن أبي طالب وابن أبي اسحاق وأبورجاء وعيسى بن عمر وسلام وعبدالله بن أبي يزيد والكلبي وتروى عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبي العالية وابن هرمز(٢).

وقرأ باقي العشرة: ﴿أمرنا﴾ بدون مد وبفتح الميم(٣) وهاتان قراءتان متواترتان.

وزواية عن الحسن ويحي بن يعمر وعكرمة: «أمرنا» بكسر الميم، وتروى عن ابن عباس كذلك.

وقرأ ابن عباس وأبوعثمان النهدي والسدي وزيد بن علي وأبوالعالية: «أمّرنا» بتشديد الميم(٤) وهاتان قراءتان آحاديتان.

معنى القراءات :

قراءة من قرأ: ﴿أمرنا مترفيها﴾ بدون مد وبفتح الميم في معناها ثلاثة أقوال:

الأول : أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا، وهو قول ابن جبير.

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «ومثل قوله: ﴿أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ من الكلام: أمرتك فعصيتني؛ فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر وكذلك الفسق مخالفة أمر الله جل ثناؤه»اهـ(٥).

قال النحاس (ت٣٣٨هـ): «المعنى: أمرناهم بالطاعة، والفاسق إذا أمر بالطاعة عصى؛ فعصوا؛ فحق عليهم القول بالعصيان، أي: وجب»اهـ(٦).

الثاني : ﴿أمرنا﴾: كثرنا ، يقال: أمِرَ بنو فلان إذا كثروا، والمعنى:

---

١) المبسوط ص٢٢٨ النشر٢/٣٠٦ الإتحاف ص٢٨٢.
٢) المحتسب ٢/١٥-١٧ زاد المسير ٥/١٩ البحرالمحيط ٦/٢٠.
٣) المبسوط ص٢٢٨ النشر ٢/٣٠٦ الاتحاف ص٢٨٢.
٤) المحتسب ٢/١٥-١٧ زاد المسير ٥/١٩ البحرالمحيط ٦/٢٠.
٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٢٣٢.
٦) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/١٣٤.

كثرنا مترفيها.

الثالث : ﴿أمرنا﴾: أمَّرنا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمَّرته، والمعنى: سلطنا مترفيها بالإمارة(١).

معنى قراءة: ﴿آمرنا﴾ بمد الهمزة وفتح الميم على صيغة «فاعل» التي تقتضي المشاركة في الأكثر، وهي هنا لا تقتضي ذلك والمعنى: كثرنا مترفيها(٢).

وصيغة«فاعل» إذا جاءت بمعنى المجرد فإنَّها قد تقتضي التكثير من الفعل فتكون بمعنى«فعل» المضعف(٣) وهي هناكذلك.

معنى قراءة: « أمَّرنا» بتشديد الميم فيه قولان :

الأول : أنها بمعنى: كثرنا.

الثاني : أنها من الإمارة بمعنى: ولينا مترفيها وصيرناهم أمراء(٤).

حاصل القراءات :

هذه الأقوال جميعها في معنى الآية بالقراءات الواردة فيها لا مانع منها، فالله اذا أراد اهلاك قرية كثر مترفيها وجعلهم أمراء عليها وأمرهم بالطاعة فعصوا ، فتكون المعصية والفجور غالبين، فإذا تمت هذه الأمور حق عليها القول فدمرها سبحانه وتعالى تدميرا .

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن الآية بمجموع القراءات الواردة فيها تكشف عن سنة من سنن الله في المجتمعات، فهو سبحانه إذا أراد هلاك قرية فإنه يبدأ من فساد المترفين ثم يكون التأمير والانغماس في الترف ثم يكون التكثير والركون للظالمين(٥).

وفي هذا تنبيه إلى تأكيد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة من الرعية للراعي، والنصيحة من الراعي للرعية.

وقد أشارت إلى هذا المعنى آيات منها: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٣.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: ١٠٢.

---

١) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/١٣٤، زاد المسير ٥/١٨-١٩.
٢) ماسبق، البحرالمحيط ٦/٢٠.
٣) شذا العرف ص٤٢-٤٣.
٤) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/١٣٤ البحرالمحيط ٦/٢٠.
٥) انظر سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ص٣٣-٣٨.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود١١٦-١١٧.

قال سيد قطب (ت١٣٨٧هـ) في كلامه على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ الاسراء: ١٦ قال: «والآية تقرر سنة الله هذه، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك فكثر فيها المترفون فلم تدافعهم (يعني:القرية وأهلها) ولم تضرب على أيديهم؛ سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت فحقت عليها سنة الله وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين، فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت (يعني:القرية وأهلها) عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته، والله لا يأمر بالفسق، إن الله لا يأمر بالفحشاء، لكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة.

فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجيه القهري الذي ينشيء السبب ولكنها ترتب النتيجة على السبب، الأمر الذي لا مفر منه لأن السنة جرت به، والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق(١).

وهنا تبرز تَبِعَة الجماعة في ترك النظم الفاسدة تنشيء آثارها التي لا مفر منها، وعدم الضرب على أيدي المترفين فيها كي لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميرا.

---

١) كلام الشيخ سيد قطب رحمه الله، لا ينفي الإرادة القدرية إنما يريد - والله أعلم - أنّ وقوع ذلك على هذه الهيئة هو من الإرادة الكونية القدرية، هذا ما يظهر، والله أعلم.
فإن كانت الأخرى فهذا مذهب المعتزلة، وانظر «البيان لأخطاء بعض الكتاب» ص١٥٢.
وقد بيّن ابن قيم الجوزية رحمه الله أن الإرادة في الآية من الإرادة الكونية، القدرية، ودلل على أرجحيته من سبعة أوجه، وذلك في كتابه: «شفاء العليل» ص ٢٨٠-٢٨١.

هذه السنة قد مضت في الأولين من بعد نوح قرنا بعد قرن كلما فشت الذنوب في أمة انتهت بها إلى ذلك المصير، والله هو الخبير بذنوب عباده البصير﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ [الاسراء:١٧].»اهـ(١).

(٢) شكك الفراء (ت٢٠٧هـ) في قراءة: «أمرنا» فقال: «وقرأ الحسن: «آمرنا» وروي عنه« أمرنا» و لاندري أنها حفظت عنه لأنا لا نعرف معناها ها هنا»اهـ(٢).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «ورد الفراء هذه القراءة لا يلتفت إليه؛ إذ نقل أنها لغة كفتح الميم ومعناها كثرنا»اهـ(٣).

قلت : لكن يلاحظ أنها ليست من القراءات العشر، مع موافقتها للرسم؛ لأنها لم تتواتر، والله أعلم.

(٣) قال أبوعلي الفارسي (ت٣٧٧هـ): «لا وجه لكون ﴿أمرنا﴾ من الإمارة؛ لأن رياستهم لا تكون إلا لواحد بعد واحد، والاهلاك إنما يكون في مدة واحد منهم»اهـ(٤).

قلت : كذا قال وتعقبه أبو حيان (ت٧٥٤هـ) رحمه الله بقوله: «ما قاله أبوعلي لا يلزم لأنا لا نسلم أن الأمير هو الملك بل كونه ممن يأمر ويؤتمر به، والعرب تسمي أميرا من يؤتمر به وإن لم يكن ملكا.

ولئن سلمنا أنه أريد به الملك فلا يلزم ماقال؛ لأن القرية إذا ملك عليها مترف ثم فسق، ثم آخر ففسق، ثم كذلك كثر الفساد وتوالى الكفر ونزل بهم على الآخر من ملوكهم»اهـ(٥).

قلت : ما قاله أبوحيان رحمه الله هو الصواب، والله أعلم.

(٤) في قراءة أبي بن كعب: «وإذا أردنا أن نهلك قرية بعثنا فيها أكابر مجرميها فمكروا فيها فحق عليها القول»(٦).

قلت : والظاهر أنها تفسير منه للآية والله أعلم.

---

١) في ظلال القرآن ٢٢١٧/٤-٢٢١٨.
٢) معاني القرآن للفراء ١١٩/٢.
٣) البحرالمحيط ٢٠/٦.
٤) بواسطة البحرالمحيط ٢٠/٦.
٥) ماسبق.
٦) معاني القرآن للفراء ١١٩/٢ معاني القرآن الكريم للنحاس ١٣٦/٤.

الموضع السادس والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾ الاسراء: ٤١.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ الفرقان: ٥٠.

تنوعت القرءات في قوله: ﴿ليذكروا﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿ليذكروا﴾ باسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها في الموضعين، ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة: ﴿ليذكروا﴾ بفتح الذال والكاف مع تشديدها فيهما، ووافقهم ابن محيصن والحسن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة باسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها من الذكر ضد النسيان.

القراءة بفتح الذال والكاف مع تشديدها من التذكر والاتعاظ والاعتبار(٢).

حاصل القراءات :

في الآية أمر بالذكر وعدم النسيان وأمر بالاعتبار والتذكر والاتعاظ، ولا شك أن الاعتبار والتذكر لا يكون إلا بعد الذكر وعدم النسيان، كما أن الذكر وعدم النسيان لا يؤدي المقصود بدون الاعتبار والاتعاظ، فجمعت الآية بالقراءتين بين الأمرين والله أعلم.

ويلاحظ مايلي :

مثل هذا تماما تكرر في مواضع، وهي التالية :

١ - تنوع القراءة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ مريم: ٦٧.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم: ﴿يذْكُر﴾ باسكان الذال وضم الكاف من الذكر ضد النسيان.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يذّكّر﴾ بتشديد الذال والكاف من التذكر

---

١) المبسوط ص٢٢٩ النشر ٣٠٧/٢ الإتحاف ص٢٨٣.

٢) الكشف ٤٧/٢ الإتحاف ص٢٨٣.

والاتعاظ(١).

٢ - وتنوع القراءة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ الفرقان: ٦٢.

قرأ حمزة وخلف: ﴿يذكر﴾ بتخفيف الذال مسكنة، وتخفيف الكاف مضمومة.

وقرأ الباقون بتشديد الذال والكاف مفتوحتين(٢).

٣ - وتنوع القراءة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ يس: ١٩.

فقرأ أبوجعفر: ﴿ذكَرتم﴾ بتخفيف الكاف من الذكر ضد النسيان.

وقرأ باقي العشرة بالتشديد في الكاف: ﴿ذكّرتم﴾ من التذكر والاعتبار والاتعاظ(٣).

---

١) المغني في توجيه القراءات العشر ٣/ ١٤.

٢) ماسبق ٣/ ٩٣.

٣) ماسبق ٣/ ١٧٤-١٧٥.

الموضع السابع والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ الاسراء: ١٠٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لقد علمت﴾ :

فقرأ الكسائي بضم التاء ووافقه الأعمش.

وقرأ الباقون بفتح التاء(١).

معنى القراءات :

القراءة بضم التاء معناها أن موسى ﷺ أخبر بذلك عن نفسه بصحة ذلك عنده، وأنه لا شك عنده في أن الذي أنزل الآيات هو رب السماوات والأرض(٢).

ومعنى القراءة بفتح التاء أن موسى ﷺ خاطب فرعون بأنك يافرعون تعلم أن الذي أنزل الآيات هو رب السماوات والأرض، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النمل: ١٤(٣).

حاصل القراءات :

أن موسى ﷺ أخبر بعلمه عن نفسه بصحة ذلك الله رب السماوات والأرض، هو الذي أنزل الآيات، كما أخبر موسى فرعون بأنه (فرعون) يعلم هذا كذلك؛ ولكنه العناد والكفر والظلم.

فأفادت القراءتان الإخبار عن حال موسى ﷺ وعن حال فرعون بآية واحدة مع الإيجاز.

قال أبومحمد علي بن حزم (ت٤٥٦هـ): «وكلا القراءتين حق من عند الله تعالى، لايجوز أن يرد منها شيء، فنعم موسى عليه الصلاة والسلام علم ذلك، وفرعون علم ذلك» اهـ(٤).

وتلاحظ الأمور التالية :

١) أن القراءتين مع اختلاف لفظهما ومعناهما وامتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد؛ ليس بينهما تناقض ولا اختلاف تضاد، بل يصدق بعضها بعضا.

---

١) الغاية ص١٩٣ ارشاد المبتدي ص٤١٤ الاتحاف ص٢٨٧.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٥/ ١٧٤ الكشف ٢/ ٥٢.

٣) حجة القراءات ص٤١١ تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٧.

٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٣/ ٢٠٣.

٢) إنْ قيل على قراءة الضم؛ يخبر موسى عليه الصلاة والسلام عن نفسه محتجا بذلك على فرعون؛ فكيف يصح الاحتجاج بعلمه، وعلمه لا يكون حجة على غيره؟.

فالجواب: أنه لما قيل ﴿رَسُولَكُمُ الَّذِيَ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ الشعراء:٢٧ كان ذلك قدحا في علمه؛ لأن المجنون لا يعلم، فكأنه نفى ذلك، ودفع عن نفسه، فقال: لقد علمت صحة ما أتيت به علما صحيحا كعلم الفضلاء، فصارت الحجة على فرعون من هذا الوجه(١).

٣) وفي القراءة بالفتح توبيخ وتقريع وتقرير من موسى ﷺ لفرعون.

٤) وفي الآية بالقراءتين دليل على أن الكفار يجحدون بالسنتهم الآيات التي أتى بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقلوبهم تستيقن بها، وتعلم أنها حق.

وقد جاء هذا المعنى في آيات منها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ البقرة:٢٥٦، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ النمل: ١٣-١٤.

وفيها دليل على أن المعرفة القلبية، واليقين القلبي المجرد عن عمل الجوارح، والقول باللسان، لا يكون إيمانا شرعيا وأنه لا ينفع صاحبه(٢).

---

١) حجة القراءات ص٤١١.

٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/٢٠٠-٢١٢. وقد أطال ابن حزم رحمه الله في تقرير هذا المعنى وأقام عليه الدليل من القرآن والسنة والاجماع والمعقول والحس والمشاهدة الضرورية.

الموضع الثامن والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَ لَاخَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ الكهف: ٥١.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وما كُنت﴾ :

فقرأ أبوجعفر بفتح التاء: ﴿وما كُنتَ﴾، ووافقه الحسن.

وقرأ باقي العشرة: ﴿وما كُنتُ﴾ بضم التاء، ووافقهم الأعمش واليزيدي وابن محيصن(١).

معنى القراءات :

القراءة بفتح التاء: ﴿وما كُنتَ﴾ خطاب من الله عزوجل لنبيه محمد ﷺ ليعلم أمته أنه لم يزل محفوظا لم يعتضد بمضل، ولا مال إليه.

القراءة بضم التاء: ﴿وما كُنتُ﴾ اخبار من الله تعالى عن ذاته المقدسة بأنه سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى أحد(٢).

حاصل القراءات :

تضمنت الآية بالقراءتين خبرين :

أولهما : عن الله تبارك وتعالى أنه ليس في حاجة إلى أحد.

ثانيهما : عن رسوله ﷺ أنه لم يتخذ المضلين عضدا .

---

١) النشر ٢/٣١١ الاتحاف ص٢٩١.

٢) الاتحاف ص٢٩١ المغني في توجيه القراءات العشر ٢/٣٧٤.

الموضع التاسع والخمسون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً ، قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾ الكهف: ٨٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ :

فقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وحفص في روايته عن عاصم بغير ألف بعد الحاء وبهمز الياء: ﴿حَمِئَةٍ﴾، ووافقهم اليزيدي .

وقرأ باقي العشرة بالألف وفتح الياء من غير همز: ﴿حَامِيَة﴾ ووافقهم الحسن والأعمش واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بغير ألف بعد الحاء و بهمز الياء: ﴿حَمِئَةٍ﴾ أي: ذات حمأة، والحمأة الطين الأسود المنتن(٢)، ويقال: حمأت البئر أي: أخرجت حمأتها.

القراءة بالألف وفتح الياء من غير همز: ﴿حامية﴾ حارة(٣).

حاصل القراءات :

القراءة بالهمز: ﴿حَمِئَة﴾ لا تنافي القراءة بغير همز: ﴿حَامِيَة﴾ إذ قد تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة، فتكون الآية بالقراءتين جمعت وصفين في العين التي تغرب فيها الشمس أنها حارة، وأنها ذات حمأ طين أسود نتن.

ويلاحظ مايلي :

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): «ربما توهم متوهم أن هذه الشمس على عظم قدرها تغوص في عين ماء، وليس كذلك، فإنها أكبر من الدنيا(٤) مرارا فكيف تسعها عين ماء؟... ... وإنما وجدها تغرب في العين كما يرى راكب البحر الذي لا يرى طرفه أن الشمس تغيب في الماء، وذلك لأن ذا القرنين انتهى إلى آخر البنيان، فوجد عينا حمئة ليس بعدها أحد»اهـ(٥).

---

١) المبسوط ص٢٣٨ النشر ٢/٣١٤ الاتحاف ص٢٩٤.
٢) المفردات للراغب ص١٣٣.
٣) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣/٣٠٨ الكشف ٢/٧٣-٨٤.
٤) يقصد بـ«الدنيا» الأرض وليس العوالم جميعا .
٥) زاد المسير ٥/١٨٦ وانظر ما نقله صاحب «محاسن التأويل» عن ابن حزم في تقرير ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله ١١/٩٥-٩٦.

الموضع الستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وما تلك بيمينك ياموسى ۰ قال: هي عصاي أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى**﴾ سورة طه: ١٧-١٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿وأهش﴾ بضم الهاء والشين المعجمة.

وقرأ عكرمة: «وأهس» بالسين المهملة وهي قراءة آحادية.

وقرأ النخعي: «وأهش» بكسر الهاء وبالمعجمة(١) وهي آحادية.

معنى القراءات :

قيل : لا فرق بين ﴿أهش﴾ بالشين، و «أهس» بالسين فكلاهما بمعنى واحد(٢).

وقيل : بينهما فرق كما يلي(٣) :

قراءة الجمهور﴿وأهش﴾ بالشين المعجمة والهاء المضمومة وقراءة النخعي«وأهش» بالشين المعجمة وبكسر الهاء تحتمل وجهين:

الأول : من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته والمعنى: أهش الورق والكلأ والنبات أي أخبطه على رؤس غنمي لتأكله.

الثاني : من هش يهش هشاشة إذا مال أي: أميل بها على غنمي بما يصلحها من السوق وتكسير العلف ونحو ذلك(٤).

والقراءة بالسين المهملة «وأهس» معناها أسوق، أي: أنحي على غنمي بها زاجرا لها، والهس زجر الغنم(٥).

حاصل القراءات :

لا تمانع بين المعنيين جميعا فالعصا يستعملها في خبط الكلأ والنبات والورق لتأكله الغنم، ويستعملها كذلك لزجر غنمه وسوقها.

ويلاحظ مايلي :

١) التفريق بين معنى القراءتين هو المعتمد لأن التأسيس أولى من التأكيد(٦).

---

١) المحتسب ٢/٥٠.

٢) حكاه القرطبي في تفسيره ١١/١٨٧.

٣) كما صنع صاحب الكشاف ٢/٤٣٠ ومن قبله ابن جني في «المحتسب» ٢/٥٠، وحكاه القرطبي في تفسيره ١١/١٨٧ عن الماوردي.

٤) المحتسب ٢/٥٠ الكشاف ٢/٤٣٠ البحرالمحيط ٦/٢٣٤.

٥) ماسبق.

٦) الاشباه والنظائر في فروع الشافعية ص١٣٥.

٢) على قراءة: «أهس بها على غنمي» بالسين المهملة يأتي سؤال: كيف قال: «أهس بها على غنمي»؟ و هلا قال: أهس بها غنمي، كقولك: أسوق بها غنمي.

أجاب عن هذا ابن حني (ت٣٩٢هـ) رحمه الله بقوله: «قيل: لما دخل السوق معنى الانتحاء لها، والميل بها عليها استعمل معها «على» حملا على المعنى... ومن ذلك قولهم: «كفى بالله» أي: كفى الله، إلا أنهم زادوا الباء حملا على معناه، إذ كان في معنى: أكتف بالله، ولذلك قالوا: «حسبك به» لمَّا دخله معنى: «اكتف»، والفعل لا يخبر عنه، ونظائره كثيرة جدا» اهـ(١).

٣) تضمن جواب موسى كليم الله ﷺ نكتا منها :

(أ) جاء جوابه ﷺ زيادة على السؤال، وحكمة ذلك رغبته عليه الصلاة والسلام في مطاولة مناجاته لربه تعالى، وازدياد لذاذته بذلك،وتعداده نعمه تعالى عليه، بما جعل فيها من المنافع(٢) .

(ب) تضمنت هذه الزيادة تفصيلا في قوله: ﴿أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ وإجمالا في قوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾(٣).

(ج) قدَّم في الجواب مصلحة نفسه في قوله: ﴿أتوكأعليها﴾ ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله: ﴿وأهش بها على غنمي﴾(٤).

وليس في هذا تفضيلٌ لنفسه وأثرة لها وانما لأن الغرض الأول فعلا المقصود من اتخاذ العصا هو التوكؤ عليها في هذا المقام.

---

١) المحتسب ٢/٥٠.
٢) البحر المحيط ٦/٢٣٤ الإتقان (أبوالفضل) ٢/٣١٢.
٣) الكشاف ٢/٤٣٠.
٤) البحرالمحيط ٦/٢٣٤.

الموضع الحادي والستون :

قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ سورة طه: ٩٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لن تُخْلَفَهُ﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو و يعقوب بضم التاء وكسر اللام مبنيا للفاعل: ﴿تُخْلِفه﴾ ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن.

وقرأ باقي العشرة بفتح اللام على البناء للمفعول: ﴿تُخْلَفه﴾ ووافقهم الأعمش(١).

معنى القراءتين :

القراءة بضم التاء وكسر اللام: ﴿تُخْلِفه﴾ تحتمل معنيين :

الأول : ستأتيه ولن تجده مخلفا، كما يقال: أحمدته أي: وجدته محمودا .

الثاني : على التهديد أي: لا بد لك من أن تصير إليه(٢).

القراءة بفتح اللام بمعنى: إن الله لن يخلفك إياه(٣).

حاصل القراءتين :

يخبر الله تعالى عن قول موسى عليه الصلاة والسلام وتهديده اياه بأن له موعدا، أي يوم القيامة، لن يخلفه ولن يخلفه .

فمن قرأ بفتح اللام فالمعنى: يكافئك الله على ما فعلت في القيامة، والله لايخلف الميعاد.

ومن قرأ بكسر اللام فالمعنى: إنك تبعث وتوافي يوم القيامة لا تقدر على غير ذلك، ولن تخلفه(٤).

ولا يخفى ما فيه من التهديد.

---

١) المبسوط ص٢٥٠ النشر ٣٢٢/٢ الإتحاف ص٣٠٧.

٢) إعراب القرآن للنحاس ٥٧/٣ وقارن بتفسير القرطبي ٢٤٢/١١.

٣) تفسير القرطبي ٢٤٢/١١.

٤) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٧٥/٣.

الموضع الثاني والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ الأنبياء: ٩٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿من كل حَدَبٍ﴾ بالحاء والباء.

وقرأ ابن مسعود: «من كل جدث ينسلون» بالجيم والثاء(١).

معنى القراءتين :

قراءة جمهور القراء: ﴿من كُلِّ حَدَبٍ﴾ الحدب: كل ما ارتفع من ظهر الأرض(٢)، والمعنى يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الأرض(٣).

وعلى هذه القراءة يكون الضمير «هم» عائدا على يأجوج ومأجوج(٤).

قراءة ابن مسعود: «جدث» يعني: القبر، أي: يخرج الناس من قبورهم للحشر(٥).

وعلى هذه القراءة يكون الضمير: «هم» عائدا على البشر(٦).

حاصل القراءتين :

جمعت الآية بالقراءتين بيان حال يجوج ومأجوج في خروجهم قبل قيام الساعة، وحال الناس في خروجهم للحشر كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ سورة يس:٥١.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن هذا المتحصل من الآية بالقراءتين لا ينسجم مع سباق الآية ولحاقها؛ فإنه ذكر خروج يأجوج ومأجوج، وذكر بعدها قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ الأنبياء: ٩٧.

ولعل المعنى على قراءة: «من كل جدث» بالجيم والثاء من باب المقدم والمؤخر إذ المعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وهم (أي: العالم) من كل جدث ينسلون شاخصة أبصار الذين كفروا.

ويجوز أن يكون الضمير في قوله: «وهم من كل جدث» على القراءتين

---

١) المحتسب ٢/٦٦.
٢) المفردات للراغب ص١١٠.
٣) البحرالمحيط ٦/٣٣٩.
٤) ماسبق .
٥) ماسبق.
٦) تفسير القرطبي ١١/٣٤١ البحرالمحيط ٦/٣٣٩.

بالجيم والثاء، وبالحاء والباء، يجوز أن يكون الضمير عائدا على يأجوج ومأجوج، والمعنى: إنهم يخرجون من كل مرتفع وثنية، ومن كل قبر ومنخفض، إذ يحصل منهم نبش القبور، والنزول في كل مكان يمرون عليه، وما نقل عن يأجوج ومأجوج لا يمنع ذلك إن لم يوافقه.

(٢) عد الكرماني (توفي بعد٥٣١هـ) القول بأن مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ أي: جميع الخلق من كل حدب ينسلون؛ عد هذا القول من غرائب التفسير(١).

قلت : هو كذلك على قراءة العامة، أما على القراءة المروية عن ابن مسعود: «من كل جدث ينسلون» بالجيم والثاء فهو قول مستقيم؛ إذ تدل عليه هذه القراءة، ولذلك قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) رحمه الله: «الظاهر أن ضمير «هم» عائد على يأجوج ومأجوج أي يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الأرض وقيل: الضمير للعالم، ويدل عليه قراءة عبدالله وابن عباس: «من كل جدث» بالثاء المثلثة وهو القبر»اهـ(٢).

قلت : وقضية عدم انسجام هذا التفسير للقراءة مع سياق الآية تحل بأن الآية من باب المقدم والمؤخر، وقد أفرد هذا النوع السيوطي (ت٩١١هـ) رحمه الله في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»(٣).

---

١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٧٤٨/١.

٢) البحرالمحيط ٣٣٩/٦.

٣) تحقيق أبوالفضل إبراهيم ٣٣/٣.

الموضع الثالث والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ الحج: ٢٣.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُم فِيهَا حرير﴾ فاطر: ٣٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَلُؤْلُؤاً﴾ :

فقرأ نافع وعاصم وأبوجعفر بالنصب في الموضعين.

وقرأ يعقوب موضع سورة الحج بالنصب.

وقرأ باقي العشرة الموضعين بالجر، ووافقهم الحسن والأعمش واليزيدي وابن محيصن.

وقرأ يعقوب موضع سورة فاطر بالجر(١).

معنى القراءات :

القراءة بالنصب: ﴿لؤلؤا﴾ عطفا على محل: ﴿من أساور﴾ أي: يحلون أساور ويحلون لؤلؤا أو بتقدير فعل أي: ويؤتون لؤلؤا.

وهذا الأخير لم يذكر غيره ابن جني(٢) (ت٣٩٢هـ) رحمه الله.

القراءة بالجر: ﴿لؤلؤ﴾ عطفا على ﴿أساور﴾ أي: يحلون أساور من لؤلؤ كما يحلون أساور من ذهب(٣).

حاصل القراءات :

أجملت القراءة بالنصب حال اللؤلؤ لما يعطى لأهل الجنة، وبينت القراءة بالجر أنهم يحلون به على هيئة أساور.

كما دلت الاية بالنصب على أن حليتهم باللؤلؤ ليست مقصورة على مجرد الأساور والله أعلم.

فأفادت القراءتان معنى العموم والخصوص معا، وهذا أجدر بفضل الله تعالى، وأعظم في بيان جلال الثواب الذي يعطيه الله تعالى لعباده المؤمنين.

---

١) المبسوط ص٢٥٦-٢٥٧ النشر ٣٢٦/٢ الاتحاف ص٣١٤.

٢) المحتسب ٧٨/٢.

٣) الكشف ٢ ١١٧-١١٨ البحرالمحيط ٣٦١/٦.

الموضع الرابع والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿والْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الحج: ٣٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿عَلَيْهَا صَوافَّ﴾.

وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وإبراهيم وأبي جعفر محمد بن علي والأعمش واختلف عنهما، وعطاء بن أبي رباح والضحاك والكلبي: «صوافن» وهي قراءة شاذة.

وقرأ : «صوافي» أبوموسى الأشعري والحسن وشقيق وزيد بن أسلم وسليمان التيمي ورويت عن الأعرج(١)، وهي قراءة شاذة.

معنى القراءات :

قراءة الجمهور: ﴿صَوافَّ﴾ أي: قد صفت قوائمها، أي: فاذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعير ينحر قائما.

القراءة بـ«صوافن» الصافن الذي يقوم على ثلاث، فالبعير إذا أرادوا نحره تعقل احدى يديه فهو صافن، والجمع صوافن.

القراءة بـ«صوافي» أي: خوالص، والمراد خالصة لله عزوجل، ولا تشركوا في التسمية على نحرها أحدا(٢).

حاصل القراءات :

لا تمانع بين جميع هذه المعاني، فالبعير تنحر قائمة وعلى ثلاث، خالصة لله عزوجل.

مع ملاحظة أن القراءتين الثانية والثالثة شاذة لمخالفتها رسم المصحف، فيستفاد منها في التفسير فقط.

---

١) المحتسب ٨١/٢ البحرالمحيط ٣٦٩/٦.

٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٨/٣ المحتسب ٨١/٢ البحرالمحيط ٣٦٩/٦.

الموضع الخامس والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الحج: ٥١.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِن رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ سبأ: ٥.

وقول اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَونَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ سبأ: ٣٨.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو: ﴿معجِّزين﴾ بدون ألف وبتشديد الجيم في المواضع الثلاثة، ووافقهما اليزيدي فيها، وابن محيصن في موضع سورة الحج، والموضع الثاني من سورة سبأ.

وقرأ باقي العشرة: ﴿معاجزين﴾ بالألف وتخفيف الجيم(١).

معنى القراءات :

القراءة بدون ألف وبتشديد الجيم: ﴿مُعَجِّزين﴾ أي: مثبطين الناس عن الإسلام ويؤخرونهم عن الدخول فيه، وهو بمعنى: يحببون إليهم ترك اتباع النبي ﷺ(٢).

القراءة بالألف وبتخفيف الجيم: ﴿مُعَاجِزين﴾ أي: مشاقين الله تعالى، وقيل: معاندين الله تعالى، وقيل: مسابقين الله تعالى، والمعنى: إنهم ظنوا أنهم يعجزون الله، وقيل: يفوقونه فلا يقدر عليهم، وذلك باطل من ظنهم(٣).

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «عاجزه سابقه؛ لأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه، والمعنى: سعوا في ﴿آياتنا﴾ بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير، ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للاسلام يتم لهم» اهـ(٤).

حاصل القراءات :

أثبتت القراءة بالألف وتخفيف الجيم سعي الكفار إلى إبطال حجج الإسلام وآيات صدق المصطفى ﷺ، واثبتت القراءة بدون الألف وبالتشديد سعي الكفار إلى تثبيط المسلمين عن الاسلام، ولا مانع من إرادة ذلك جميعه.

---

١) المبسوط ص٢٥٨ النشر ٣٢٧/٢ الاتحاف ص٣١٦.
٢) الكشف ١٢٢/٢-١٢٣ البحرالمحيط ٣٧٩/٦.
٣) الكشف ١٢٣/٢ زاد المسير ٤٤٠/٥.
٤) تفسير الزمخشري ٣٦/٣-٣٧.

الموضع السادس والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ المؤمنون: ١١٠.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ. أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ سورة ص ٦٢-٦٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿سِخْرِيًّا﴾ :

فقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبوجعفر وخلف: ﴿سُخْرِيا﴾ بضم السين في الموضعين، ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة: ﴿سِخْرِيا﴾ بكسر السين فيهما، ووافقهم اليزيدي وابن محيصن والحسن(١).

معنى القراءات :

قيل : القراءتان بمعنى واحد، ﴿سخريا﴾ بضم السين وبكسرها واحد وهذا منقول عن الخليل وسيبويه(٢).

وقيل : بينهما فرق :

القراءة بضم السين من السخرة والتسخير وهو الخدمة.

القراءة بكسر السين من السخرية والاستهزاء(٣).

حاصل القراءات :

لا تمانع بين المعنيين إذ أن الكفار منهم من اتخذ المؤمنين سخرة للخدمة؛ لأنه كان يملكه عبدا، أو يقهره محكوما تحت سلطانه ونحو ذلك، ومنهم من اتخذ المؤمنين سخرية واستهزاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ المطففين: ٢٩-٣٣.

قال أبوعبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ): « ﴿فاتخذوهم سخريا﴾ مكسورة الأولى لأنه من قولهم: يسخر منه، وبعضهم يضم أوله ؛ لأنه يجعله من السخرة والتسخر بهم» اهـ(٤).

---

١) المبسوط ص٢٦٣ النشر ٣٢٩/٢ الاتحاف ص٣٢١.
٢) معاني القرآن للزجاج ٢٤/٤.
٣) معاني القرآن للفراء ٢٤٣/٢ تفسير غريب القرآن ص٣٠٠.
٤) مجاز القرآن ٦٢/٢.

ويلاحظ ما يلي :

(١) قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «قال أبوعبيدة والكسائي والفراء ضم السين من السخرة والاستخدام، والكسر من السخر وهو الاستهزاء...»اهـ(١).

قلت : في نسبة التفريق إلى الكسائي (ت١٨٩هـ) نظر؛ إذ قال الفراء (ت٢٠٧هـ): «قال الكسائي: سمعت العرب تقول: بحر لجي ولِجي ودري ودِري منسوب إلى الدر والكرسي والكِرسي وهو كثير.

قال الفراء: وهو في مذهبه (يعني: الكسائي) بمنزلة قولهم: العصي والعِصي، والأسوة والإسوة»اهـ(٢).

قلت : ومنه تعلم أن الكسائي في مذهبه أن قراءة الضم والكسر لغتان بمعنى واحد، وليس كما ذكر أبوحيان رحمه الله ويؤكد ما ذكرته من أن الكسائي لا يفرق بين القراءة بالضم والكسر من جهة المعنى في قوله تعالى: ﴿سخريا﴾ ما يلي :

(٢) قال أبوجعفر النحاس (ت٣٣٨هـ): «لا يعرف هذا التفريق الخليل وسيبويه رحمهما الله ولا الكسائي ولا الفراء.

قال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: عُصي وعِصي.

وقال محمد بن يزيد : إنما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب فأما التأويل فلا يكون»اهـ(٣).

قلت : وهذا الكلام فيه أمور :

الأول : أنه يوافق ما تقدم من أن الكسائي لم يفرق بين القراءتين خلافا لأبي حيان رحمه الله تعالى في ذكره الكسائي ممن فرق.

الثاني : قوله: «ولا الفراء» فيه نظر ؛ فإني رأيت الفراء حكى في كتابه القول بالتفريق، ثم نقل قول الكسائي، ولم يعقب عليه، نعم لما حكى القول بالتفريق قال: «قال الذين كسروا...» قلت: لكنه غير صريح في أنه لا يرى التفريق تأمل.

الثالث : قول محمد بن يزيد: «إنما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب...» مراده - والله أعلم - أن التفريق بين القراءتين لا يشترط فيه

---

١) البحرالمحيط ٦/٤٢٣.

٢) معاني القرآن للفراء ٢/٦٢.

٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٢٤.

أن يؤخذ عن أهل اللغة إلا إذا كان من جهة بيان معنى اللفظ المجرد في اللغة، أما إذا كان من جهة بيان المراد من اللفظ في السياق القرآني - وهو ما عبر عنه بالتأويل - فإن المرجع فيه أهل التفسير.

قلت : وهنا نقل التفريق في معنى القراءتين عن بعض أهل اللغة وأهل التفسير:

(أ) قال الحسن وقتادة وأبوعمرو بن العلاء - وهذا معنى ماقالوا -: «السُخري بالضم ماكان من جهة السخرة، والسِخري بالكسر ماكان من الهزؤ»(١).

(ب) قال الزجاج (ت٣١١هـ): «قوله: ﴿سخريا﴾ يقرأ بالضم والكسر، وكلاهما جيد، إلا أنهم قالوا: إن بعض أهل اللغة قال: ماكان من الاستهزاء فهو بالكسر، وماكان من جهة التسخير فهو الضم...»اهـ(٢).

(ج) قال عبدالرحمن بن زيد في قوله: ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ قال: «هما مختلفتان ﴿سِخريا﴾ و ﴿سُخّريا﴾ يقول الله: **﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾** [الزخرف:٣٢].

قال : هذا سخريا يسخرونهم .

والآخرون الذين يستهزئون بهم هم: ﴿سخريا﴾.

فتلك سِخريا يسخرونهم عندك، فسخرك رفعك فوقه، والآخرون استهزءوا بأهل الاسلام هي سخريا يسخرون منهم؛ فهما مختلفتان.

وقرأ قول الله عزوجل: ﴿كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨].

وقال : يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح: ﴿اتخذوهم سخريا﴾ اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزئون بهم»اهـ(٣).

(٣) قال ابن عطية (ت٥٤١هـ: «وقرأ أصحاب عبدالله وابن أبي إسحاق والأعرج بضم السين كل مافي القرآن، وقرأ الحسن وأبوعمرو بالكسر إلا التي في الزخرف فإنهما ضما السين كما فعل الناس»اهـ(٤).

وحكى ابن عطية اجماع القراء على ضم السين في قوله تعالى: ﴿ليتخذ

---

١) معاني القرآن للنحاس ٤/٤٨٨.
٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٢٤.
٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٨/٦١.
٤) انظر البحر المحيط ٦/٤٢٣.

بعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيا﴾ الزخرف:٣٢(١).

قلت : إن كان مراد ابن عطية بحكاية إجماع القراء يعني القراء العشرة فهو مسلم، أما ان كان مراده غير ذلك فقد تعقبه أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) بقوله: «وليس ماذكره من إجماع القراء على ضم السين في الزخرف صحيحا، لأن ابن محيصن وابن مسلم كسرا في الزخرف ذكر ذلك أبوالقاسم ابن جبارة الهذلي في كتاب: «الكامل»(٢).» اهـ(٣).

قلت : الأمر كما قال أبوحيان رحمه الله وقد نص على ذلك ابن مهران(٤) (ت٣٨١هـ) رحمه الله.

---

١) انظر البحر المحيط ٤٢٣/٦.

٢) كتاب الكامل للهذلي لوحة٢٢٢.

٣) البحرالمحيط ٤٢٣/٦.

٤) المبسوط ص٢٦٣.

الموضع السابع والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُم لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُم مَااكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ١١.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿كِبْرَهُ﴾ :

فقرأ يعقوب: ﴿كُبره﴾ بضم الكاف، وهي قراءة أبي رجاء وحميد بن قيس وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب وعمرة بنت عبد الرحمن.

وقرأ باقي العشرة بكسرها: ﴿كِبْرَهُ﴾(١).

معنى القراءات :

القراءة بكسر الكاف: ﴿كبره﴾ فيها قولان :

الأول : البداءة بالإفك، والمراد الذي تولى البداءة بالإفك.

الثاني : الإثم، والمراد الذي تولى الاثم في حديث الإفك.

القراءة بضم الكاف: ﴿كُبره﴾ المعنى: عظمه، والمراد: الذي تولى معظم الإفك(٢).

حاصل القراءات :

أفادت الآية بالقراءتين الوعيد الشديد لمن تولى الإثم وبدأ باشاعته وتولى معظمه ، وكل هذه المعاني لاتمانع بينها.

---

١) المبسوط ص٢٦٦ النشر ٣٣١/٢ الاتحاف ص٣٢٣.

٢) معاني القرآن للزجاج ٣٥/٤ المحتسب ١٠٤/٢ النشر ٣٣١/٢.

الموضع الثامن والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ بفتح الثلاث وشد القاف.

وقرأ ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما وابن يعمر وعثمان الثقفي: «إذ تلقونه» بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف.

وقرأ ابن السميفع: «إذ تلقونه» بضم التاء والقاف وسكون اللام، وهاتان القراءتان آحاديتان.

وقرأت أم سفيان بن عيينة: «إذ تتقفونه» بتاءين مفتوحتين وبفاء بعد القاف.

وعنها أيضا: «إذ تثقفونه» بالثاء المثلثة بعد التاء، والفاء بعد القاف، وكانت على قراءة ابن مسعود(١).

وقرأ ابن أسلم وأبوجعفر: «تألقونه» بفتح التاء وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة.

وقرأ يعقوب في رواية المازني: «يتلقونه» بتاء مكسورة بعدها ياء و لام مفتوحة(٢)، وهذه القراءة شاذة.

روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: «سمعت أمي تقرأ: «إذ تتقفونه» (بتاءين وفاء بعد القاف) وكانت على قراءة عبد الله».

وروي عنه أيضا: «سمعت أمي تقرأ: «إذ تثقفونه» (بتاء ثم ثاء وفاء بعد القاف) وكان أبوها يقرأ بقراءة عبد الله»(٣).

معنى القراءات :

قراءة جمهور القراء: ﴿إِذ تَلَقَّوْنَهُ﴾ أي: يأخذه بعضكم من بعض، يقال: تلقى القول وتلقنه، والأصل: «تتلقونه»، وهي قراءة أبي بن كعب وابن مسعود.

قراءة عائشة وابن عباس ومن معهم: «تلقونه» فيها قولان :

الأول: أنها من الولق الذي هو الإسراع بالشيء بعد الشيء كعدد في أثر عدد، وكلام في أثر كلام، ويقال: ولق في سيره إذا أسرع .

الثاني : أنها من قول العرب: ولق الرجل يلق ولقا إذا كذب

---

١) المحتسب ١٠٤/٢.

٢) البحرالمحيط ٤٣٨/٦.

٣) المحتسب ١٠٥/٢.

واستمر على كذبه(١).

وجمع النحاس (ت٣٣٨هـ) بين القولين فقال في بيان معنى هذه القراءة: «يقال: ولق يلق إذا أسرع في الكذب وغيره» اهـ(٢).

قراءة ابن السميفع: «إذ تلقونه» مضارع ألقى، والمعنى: تلقونه من أفواهكم.

قراءة أم سفيان بن عيينة: «تتقفونه» أي: تجمعونه وتحطبونه من عند أنفسكم، ولا أصل له عند الله تعالى.

وقراءة أم سفيان الأخرى: «تثقفونه» من ثقفت الشيء إذا طلبته وأدركته، والمعنى: تتصيدون الكلام في الإفك منه هنا ومن هنا(٣).

حاصل القراءات :

جميع هذه المعاني يصدق بعضها بعضا، ولا تمانع بينها، فالقراءات وسعت معنى الآية، وجعلت لها أكثر من معنى، وجميعها يصدق على أصحاب الافك.

وتعبير الآية بهذه المعاني مع تعدد القراءات بأوجز لفظ وأخصر عبارة فيه إعجاز بالإيجاز فسبحان الله العظيم.

---

١) تفسيرالقرطبي ٢٠٤/١٢ البحرالمحيط ٤٣٨/٦.
٢) معاني القرآن للنحاس ٥١٠/٤.
٣) المحتسب ١٠٥/٢.

الموضع التاسع والستون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا۝أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ الفرقان:٧-٨.

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف بنون الجمع: ﴿نَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ووافقهم الأعمش .

وقرأ باقي العشرة بالياء: ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ووافقهم اليزيدي وابن محيصن والحسن(١).

معنى القراءات :

القراءة بنون الجمع على معنى أنهم يقترحون جنة يأكلون هم منها .

القراءة بالياء على معنى أنهم يقترحون جنة يأكل منها النبي ﷺ(٢).

حاصل القراءتين :

أفادت الآية بالقراءتين أنهم اقترحوا جنة يأكلون هم منها والرسول ﷺ .

قال النحاس (ت٣٣٨هـ) بعد إشارته إلى القراءتين: «والقراءتان حسنتان تؤديان عن معنيين وإن كانت القراءة بالياء أبين لأنه قد تقدم ذكر النبي ﷺ وحده فإن يعود الضمير إليه أبين» اهـ(٣).

قلت : وهذا باعتبار القرب في التقدم، وإلا فقد تقدم لهم أيضا ذكر في قوله تعالى: ﴿وقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ الفرقان: ٧.

---

١) المبسوط ص٢٧٠ النشر ٢/٣٣٣ الإتحاف ص٣٢٧.
٢) الكشف ٢/١٤٤.
٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٥٢-١٥٣.

الموضع السبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ. قَالُوا: سُبْحَانَكَ مَاكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْما بُورًا. فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً و لَانَصْراً وَمَن يَظْلِم مِنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ الفرقان: ١٧-١٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿فما تَسْتَطِيعُون﴾ :

فقرأ حفص بالتاء: ﴿فما تَسْتَطِيعُون﴾ على الخطاب، ووافقه الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بالياء: ﴿فما يَسْتَطِيعُون﴾ على الغيب ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن(١).

معنى القراءتين :

القراءة بالتاء على الخطاب لمتخذي الشركاء.

القراءة بالياء على الغيب والمعنى فما يستطيع الشركاء(٢) .

حاصل القراءتين :

أفادت الآية بالقراءتين أن متخذي الشركاء، والشركاء لا يستطيعون صرفا للعذاب و لانصرا من الله عزوجل، ولا نصرا من عند أنفسهم لبعضهم بعضا.

ويلاحظ مايلي :

المعنى على القراءة بالياء يحتمل وجها غير ما تقدم بأن يكون الضمير للكفار كالقراءة بالتاء(٣)، فيكون أسلوب التفات من الخطاب إلى الغيبة لبيان حقارتهم وخستهم.

---

١) المبسوط ص٢٧١ النشر ٢/٣٣٤ الإتحاف ص٣٢٨.

٢) الكشف ٢/١٤٥.

٣) زاد المسير ٦/٧٩.

الموضع الحادي والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الشعراء: ٥٣-٥٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿حاذرون﴾ :

فقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان عنه، ورواية هشام من طريق الدجواني، وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿حاذرون﴾ بألف بعد الحاء، ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بحذف الألف: ﴿حذرون﴾، ووافقهم ابن محيصن والحسن واليزيدي(١).

وقرأ عبدالله بن السائب وابن أبي عامر: «حادرون» بالدال غير معجمة(٢)، وهي قراءة آحادية.

معنى القراءات :

قيل : هما بمعنى واحد(٣)، و قيل : بينهما فرق القراءة بـ ﴿حاذرون﴾ بألف بعد الحاء، معناها: مستعدون بالسلاح وغيره من آلة الحرب.

القراءة بـ ﴿حذرون﴾ معناها: خائفون وحذرون(٤).

القراءة بـ«حادرون» بالدال غير معجمة معناها: أقوياء غلاظ الأجسام(٥).

حاصل القراءات :

لا تمانع بين هذه المعاني جميعها؛ فهم خائفون وحذرون من تفشي هذا الأمر في الناس وهم مستعدون بالسلاح وغيره من آلة الحرب وبقوة أجسامهم، مستعدون للقيام بحربهم ومنعهم من الاستمرار فيما هم عليه.

---

١) المبسوط ص٢٧٤-٢٧٥ النشر ٣٣٥/٢ الاتحاف ص٣٣٢.
٢) معاني القرآن للنحاس ٨١/٥ إعراب القراءات السبع وعللها ١٣٤/٢ المحتسب ١٢٨/٢.
٣) مجاز القرآن ٨٦/٢ الكشف ١٥١/٢.
٤) معاني القرآن للزجاج ٩٢/٤ معاني القرآن للنحاس ٨٠/٥.
٥) إعراب القراءات السبع وعللها١٣٤/٢ المحتسب ١٢٨/٢.

الموضع الثاني والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿قَالُواْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ. إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ الشعراء:١٣٦-١٣٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿خُلُقُ﴾ :

فقرأ أبوجعفر وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام: ﴿خَلْقُ﴾ ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن.

وقرأ الباقون بضم الخاء واللام: ﴿خُلُقُ﴾ ووافقهم الأعمش(١).

وقرأ ابن عباس وعكرمة وعاصم الجحدري برفع الخاء وتسكين اللام: «خلق»(٢).

معنى القراءات :

القراءة بفتح الخاء وتسكين اللام: ﴿خلق﴾ فيها وجهان :

الأول : بمعنى اختلاقهم وكذبهم، كما قال تعالى عن الكفار أنهم قالوا : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ سورةص: ٧.

الثاني : بمعنى خلقنا كما خلق من كان قبلنا، نحيا كما حيوا، ونموت كما ماتوا، ولا نبعث كما لم يبعثوا(٣).

القراءة بضم الخاء واللام: ﴿خُلُقُ﴾ أي عادة، أي: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث لهم و لاحساب(٤).

القراءة بضم الخاء وسكون اللام: «خلق» بمعنى: عادة فهي بمعنى القراءة بضم الخاء واللام(٥).

حاصل القراءات :

لا مانع من إرادة هذه المعاني، فالكفار أجابوا نبيهم هوداً ﷺ لما دعاهم بأن ما جاء به أمر مختلق من قديم، كما قال الكفار لنبينا ﷺ: ﴿وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ الفرقان: ٥، وانكروا البعث وقالوا: كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث لهم ولا حساب.

---

١) المبسوط ص٢٧٥ النشر٢/٣٣٥-٣٣٦ الإتحاف ص٣٣٣.
٢) زاد المسير ١٣٧/٦.
٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٧/٤ الكشف ١٥١/٢.
٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٧/٤ الكشف ١٥١/٢.
٥) زاد المسير ١٣٧/٦.

الموضع الثالث والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّه وَمَا يَشْعُرُون أَيَّان يُبْعَثُونَ. بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍ مِنْهَا بَل هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ النمل: ٦٥-٦٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿بل ادارك﴾ :

فقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بوصل الهمزة وتشديد الدال وألف بعدها ووافقهم الأعمش: ﴿بل ادَّرك﴾.

وقرأ باقي العشرة بهمزة واحدة مقطوعة وسكون الدال مخففة بلا ألف: ﴿أدرك﴾، ووافقهم الحسن واليزيدي(١).

وقرأ ابن محيصن: «أأدرك» بهمزة ثم ألف بعدها(٢).

معنى القراءات :

القراءة بقطع الهمزة وإسكان الدال من غير ألف بعد الدال معناها: بلغ ولحق، كما تقول: أدرك علمي هذا، أي: بلغه و ﴿بل﴾ بمعنى: «هل»، فهو إنكار أن يبلغ علمهم أمر الآخرة وفيه معنى التقرير والتوبيخ لهم وطلبهم علم ما لا يبلغونه أبدا، فالمعنى: هل أدرك علمهم في الآخرة، ومتى تكون، أي: أنهم لم يدركوا علم الآخرة ووقت حدوثها، ودل على ذلك قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ مِنْهَا بَل هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي: من علمها.

و ﴿في﴾ بمعنى: الباء، والتقدير: هل أدرك علمهم بالآخرة أي: هل بلغ علمهم غايته فلم يدركوا علم الآخرة، ولم ينظروا في حقيقتها، والعمى عن الشيء أعظم من الشك فيه، وهو في حرف أبي بن كعب: «أم تدارك» على معنى النفي(٣).

القراءة بوصل الألف وتشديد الدال وألف بعد الدال، أي: تدارك تتابع وتلاحق، وفيها قولان:

أحدهما : بل تكامل علمهم يوم القيامة؛ لأنهم مبعوثون قال ابن عباس: «ما جهلوه في الدنيا علموه في الآخرة».

الثاني : بل تدارك ظنهم وحدسهم في الحكم على الآخرة فتارة

---

١) المبسوط ص٢٨٠ النشر ٣٣٩/٢ الاتحاف ص٣٣٩.

٢) الإتحاف ص٣٣٩ وهناك قراءات أخرى فوق القراءات الأربع عشرة ذكرها ابن جني في «المحتسب» ١٤٢/٢ تعود في المعنى إلى ماذكرته من القراءات المتوترة.

٣) الكشف ١٦٤/٢-١٦٥.

يقولون: إنها كائنة، وتارة يقولون: لا تكون(١).

حاصل القراءات :

هذه المعاني لا تمانع بينها؛ فهم لا يدرك علمهم الآخرة متى ستكون؟. وهم تتابع وتتلاحق أقوالهم في الآخرة فتارة يقولون: لا تكون، وتارة يقولون: أنها كائنة، ثم يقرر الله عزوجل أنهم إنما يعلمون في الآخرة ما جهلوه في الدنيا.

١) زاد المسير ١٨٨/٦.

الموضع الرابع والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ النمل: ٨٠.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ، وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ الروم: ٥٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لا تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ في الموضعين :

فقرأ ابن كثير فيهما بالياء وفتحها وفتح الميم، و ﴿الصُّمُّ﴾ بالرفع.

وقرأ الباقون فيهما بالتاء وضمها وكسر الميم، ونصب: ﴿الصُّمَّ﴾(١).

معنى القراءات :

قراءة ابن كثير بالياء المفتوحة والميم المفتوحة ورفع: ﴿الصُّمُّ﴾ معناها: إن الصم لا يسمعون الدعاء لأنهم صم، والمراد بالدعاء النداء، وهذا تمثيل لاعراض الكفار عن سماع الحق.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «فالمعنى أنهم لا ينقادون إلى الحق كما لايسمع الأصم المعرض المدبر عن سماع ما يقال له من كلام من يكلمه فلم يكفه أنه معرض عما يقال له حتى وصفه بالصمم؛ فهذا غاية امتناع سماع مايقال له، فيشبههم في إعراضهم عن قبول ما يقال لهم من الاسلام والكتاب بدعاء الأصم المعرض المدبر عن الشيء»اهـ(٢).

قراءة الجمهور بالتاء وضمها وكسر الميم ونصب: ﴿الصُّمَّ﴾ معناها: إن الرسول ﷺ لا يسمع الصم الدعاء.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «إنك يامحمد لا تقدر أن تسمع دعاءك الصم المعرضين عنك المدبرين، شبهوا في إعراضهم عما جاءهم به محمد وترك قبولهم له بالأصم المعرض عن الشيء المدبر»اهـ(٣).

حاصل القراءات :

لا تعارض بين هذه المعاني ؛ فالكفار يعرضون عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ ولا يسمعون له، والرسول ﷺ لا يملك أن يسمع من يعرض عنه.

---

١) المبسوط ص٢٨١ النشر ٢/٣٣٩ الاتحاف ص٣٣٩.
٢) الكشف ٢/١٦٥.
٣) ما سبق .

الموضع الخامس والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل: ٨٢.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾.

وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري وأبي زرعة: «تكلمهم» بفتح التاء وسكون الكاف وكسر اللام دون تشديد وهي قراءة آحادية.

وقرأ أبي بن كعب: «تنبئهم أن الناس كانوا».

وقرأ ابن مسعود: «تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»(١) وهاتان قراءتان شاذتان.

معنى القراءات :

قراءة الجمهور: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام ويؤكده قراءة أبي بن كعب: «تنبئهم»، وقراءة ابن مسعود: «تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» وهي على التفسير والله أعلم.

قراءة ابن عباس ومن معه: «تكلمهم» من الكلم بمعنى: الجرح، أي: تجرح الناس وتسمهم(٢).

حاصل القراءات :

أفادت الآية بالقراءات الواردة فيها أن هذه الدابة يخرجها الله عزوجل، وأنها تخاطب الناس وتكلمهم، وتسمهم وتجرحهم.

قال أبو الجوزاء: «سألت ابن عباس عن هذه الآية: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أو «تكلمهم»؟. فقال: هي والله تُكَلِّمهم وتَكْلُمهم تُكَلِّم المؤمن وتَكْلُم الفاجر أي تجرحه» اهـ(٣).

---

١) المحتسب ٢/١٤٤-١٤٥ تفسير القرطبي ١٣/٢٣٨.

٢) المحتسب ٢/١٤٤-١٤٥ تفسير القرطبي١٣/٢٣٨.

٣) تفسير القرطبي ١٣/٢٣٨.

الموضع السادس والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى، أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُواسِحْرَان تَظَاهَرَا، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُون﴾ القصص: ٤٨.

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سِحْرَان﴾:

فقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر السين، من دون ألف واسكان الحاء: ﴿سِحْران﴾.

وقرأ باقي العشرة بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء:﴿سَاحِرَان﴾(١).

معنى القراءتين :

القراءة بكسر السين واسكان الحاء دون ألف قبلها: ﴿سِحّران﴾ في المراد منها ثلاثة أقوال:

أحدها : السحران:التوراة والفرقان قاله ابن عباس والسدي.

والثاني : السحران؛الانجيل والقرآن، قاله قتادة.

والثالث : السحران؛ التوراة والانجيل، قاله أبو مجلز وإسماعيل بن أبي خالد.

والمعنى كل سحر منهما يقوي الآخر، فنسب التظاهر إلى السحرين توسعا في الكلام(٢).

القراءة بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء: ﴿سَاحِرَان﴾ في المراد منها ثلاثة أقوال:

الأول : موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير، وعلى هذا يكون هذا من قول مشركي العرب.

الثاني : موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، قاله مجاهد وعلى هذا يكون القول من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة.

الثالث : محمد وعيسى، قاله قتادة ، فعلى هذا يكون من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا(٣).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءتين أن الكفار إذا دعاهم النبي ﷺ سواء كان نبينا أم موسى أم عيسى عليهم صلوات الله وسلامه قالوا: هذان كتابان وساحران تعاونا.

---

١) المبسوط ص٢٨٧ النشر٢/٣٤١-٣٤٢ الاتحاف ص٣٤٣.

٢) زاد المسير ٦/٢٢٨.

٣) ماسبق ٦/٢٢٧.

الموضع السابع والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا، وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ: ٣٣.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿بل مَكْرُ الليلِ والنَّهارِ﴾ بسكون الكاف وضم الراء.

وقرأ سعيد بن جبير وأبورزين: «بل مَكَرّ الليلِ والنَّهار».

وقرأ قتادة: «بل مكر الليل والنهار»(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة الجمهور: ﴿مكْرُ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ أي: مكركم في الليل والنهار(٢)، أي: مسارتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر حملنا على هذا.

والمكر في كلام العرب الاحتيال والخديعة(٣).

وقراءة ابن جبير وأبي رزين: «بل مكر الليل والنهار» من الكرور والمعنى: تكرار الليل والنهار صدنا.

وليس في هذه القراءة تراجع عن قولهم: ﴿لولا أنْتُم لَكُنَّا مُؤمنين﴾ سبأ: ٣١ إذ تقدير الآية بحسب السياق: كرور الليل والنهار علينا أصارانا إلى الكفر، إذ تأمروننا أن تكفر بالله، أي: كرور الليل والنهار علينا على إغوائكم إيانا هو الذي أصارنا إلى النار، أي: تتابع الأيام والليالي على هذا الكلام جعله إلفاً وعرفاً راسخاً.

وقراءة قتادة: «بل مكر الليل والنهار» على نحو القراءة السابقة أي: مكر كائن في الليل والنهار فالظرف صفة للحدث(٤).

حاصل القراءات :

بينت الآية بقراءة الجمهور أن خديعة وحيلة الكفار هي التي حملت المستضعقين على الكفر، وبينت القراءات الأخرى سبيل ذلك وهو تكرار المكر في الليل والنهار والله أعلم.

---

١) المحتسب ١٩٣/٢.
٢) معاني القرآن للزجاج ٢٥٤/٤.
٣) تفسير القرطبي ٣٠٢/١٤.
٤) المحتسب ١٩٤/٢.

الموضع الثامن والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ سورة يس: ٣٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبوجعفر محمد بن علي وأبوعبدالله جعفر بن محمد وعلي بن حسين: «والشمس تجري لا مستقر لها»(١) وهي قراءة شاذة.

معنى القراءات :

قراءة الجمهور: ﴿الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: الشمس جارية حتى إذا غربت وانتهت إلى الموضع الذي لا تتجاوزه استقرت تحت العرش إلى أن تطلع(٢)، كما دلت على ذلك السنة الصحيحة.

قراءة ابن مسعود وابن عباس ومن معهما: «الشمس تجري لا مستقر لها» أي: أنها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار إلى أن يكورها الله يوم القيامة(٣).

حاصل القراءات :

أثبتت الآية بقراءة الجمهور جريان الشمس، وأنها تجري حتى تصل إلى مستقرها.

وأثبتت القراءة الأخرى أنّ الشمس لا مستقر لها.

ولا تناقض بين القراءتين إذ المراد بالمستقر المنفي في قراءة ابن عباس وابن مسعود إنّما هو بحسب الرؤية البشرية، فالشمس لا تُرى إلا جارية في الليل والنهار.

ويلاحظ مايلي :

(١) عن أبي ذر قال: «سألت النبي ﷺ عن قوله: **﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**؟. قال: مستقرها تحت العرش»(٤).

---

١) المحتسب ٢/٢١٢.
٢) تفسير القرطبي ١٥/٢٧،٢٨.
٣) المحتسب ٢/٢١٢ تفسير القرطبي ١٥/٢٨.
٤) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب **﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾** حديث رقم (٤٨٠٣) ورواه مطولا في الموضع نفسه حديث رقم (٤٨٠٢) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان حديث =

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في شرحه لحديث أبي ذر السابق: «قوله: "تحت العرش" قيل: هو حين محاذاتها له، ولا يخالف هذه قوله: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ [الكهف:٨٦] فإن المراد بها نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه من الارتفاع وذلك أطول يوم في السنة، وقيل: إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا» اهـ(١).

(٣) قال الخطابي (ت٣٨٨هـ): «وليس في سجودها لربها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها والتصرف لما سخرت له سبحان الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا وتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين» اهـ(٢).

قلت : لم يرتض هذا الحافظ ابن حجر وتعقبه فقال: «قلت: ظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم» اهـ(٣).

= رقم (١٥٩). وانظر جامع الأصول ٢/٣٣٢-٣٣٣.

١) فتح الباري ٨/٥٤٢.

٢) أعلام الحديث ٣/١٨٩٤.

٣) فتح الباري ٨/٥٤٢.

قلت : و لامانع من إرادة المعاني جميعا وتفويض الكيفية إلى عالمها سبحانه وتعالى.

الموضع التاسع والسبعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ سورة يس: ٥٢.

هكذا قرأ القراء العشرة: ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾ بفتح الميم والعين.

وقرأ علي بن أبي طالب بكسر الميم والثاء وسكون العين: «من بعثنا»(١) وهي قراءة أبي رزين والضحاك وعاصم الجحدري(٢).

معنى القراءات :

قراءة الجمهور: ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾ استفهام عن مُوقِظهم من هو(٣).

قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من بعثنا» أي: ويلنا كائن من بعثنا(٤).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءتين أن الكفار يتفجعون من بعثهم بعد الموت لما يتوقعونه من العذاب، وأنهم يتساءلون عن موقظهم من مرقدهم إلى ذلك البعث الذي يشاهدون فيه صدق ما كذبوه ولذلك هم يتفجعون: «ياويلنا من بعثنا».

ويترتب على القراءتين أن ﴿مَنْ﴾ في الأولى اسم استفهام و ﴿بَعَثَنَا﴾ فعل ماضي، وفي الثانية «من» حرف جر و «بعثنا» مصدر مجرور بحرف الجر.

---

١) المحتسب ٢/٢١٣.

٢) زاد المسير ٧/٢٥.

٣) روح المعاني ٢٣/٣٢.

٤) المحتسب ٢/٢١٣.

الموضع الثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ الصافات:٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ :

فقرأ شعبة عن عاصم بتنوين: ﴿زِينَةٍ﴾ ونصب ﴿الكَوَاكِبَ﴾.

وقرأ حفص عن عاصم وقرأ حمزة بتنوين ﴿زِينَةٍ﴾ وجر ﴿الكَوَاكِبِ﴾ ووافقهما الحسن والأعمش.

وقرأ الباقون بحذف التنوين: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ ووافقهم ابن محيصن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بحذف التنوين واضافة: ﴿زِينَةِ﴾ إلى ﴿الكَوَاكِبِ﴾ معناها: زيَّنا السماء بضوْ الكواكب وحسنها.

القراءة بتنوين ﴿زِينَةٍ﴾ وخفض ﴿الكَوَاكِبِ﴾ أي: الكواكب بدلا من الزينة؛ لأنها هي، كما تقول: مررت بأبي عبدالله: محمد، فالمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب.

القراءة بتنوين ﴿زِينَةٍ﴾ ونصب ﴿الكَوَاكِبَ﴾ معناها: زينا السماء الدنيا بأن زينا الكواكب فيها حين ألقيناها في منازلها وجعلناها ذات نور.

ويجوز أن يكون ﴿الكَوَاكِبَ﴾ في النصب بدلا من قوله ﴿بِزِينَةٍ﴾ لأن قوله: ﴿بِزِينَةٍ﴾ في موضع نصب(٢).

حاصل القراءات :

قال عاصم بن أبي النجود (توفي في حدود ١٢٧هـ): «من قرأها: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ مضافا ولم ينون فلم يجعلها زينة للسماء وإنما جعل الزينة للكواكب» اهـ(٣).

قلت : وأفاد رحمه الله: أن من لم يقرأها: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ على الإضافة يجعل الكواكب زينة للسماء.

ويتحصل أن الكواكب بنفسها زينة، وأنها وزينتها زينة للسماء الدنيا والله أعلم.

---

١) المبسوط ص٣١٥ النشر ٣٥٦/٢ الاتحاف ص٣٦٧.

٢) زاد المسير ٤٦/٧.

٣) الدرالمنثور ٧٩/٧ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

الموضع الحادي والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ۞ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ۞ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ الصافات: ١١-١٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿عَجِبْتَ﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء المتكلم المضمومة: ﴿عَجِبْتُ﴾ ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بتاء الخطاب المفتوحة: ﴿عَجِبْتَ﴾ ووافقهم اليزيدي والحسن وابن محيصن(١).

معنى القراءات :

القراءة بضم التاء يتعجب الله سبحانه وتعالى من كفر هؤلاء، فيكون التعجب هنا مسندا إليه تعالى على ما يليق به منزها عن التمثيل والتكييف والتعطيل(٢).

ولما كان التعجب لا يكون إلا لما خفي سببه؛ أسند إلى اللَّه تعالى على ضرب من غاية المبالغة، لأن المعنى: الله تعالى يعلم كل شيء، ولا يجد لكم سببا واحدا في علمه للكفر وإنكار البعث ولذلك يتعجب من فعلكم كما أشار إلى ذلك في الآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة يونس: ١٨ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ، قُلْ: سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الرعد: ٣٣.

وقيل : المعنى قل: يامحمد بل عجبت أنا(٣).

وقيل : المعنى: إن هؤلاء من رأى حالهم يقول: عجبت(٤).

والمعنى في القراءة بفتح التاء: بل عجبت يامحمد من كفرهم وتكذيبهم مع اعترافهم بالخالق سبحانه(٥).

---

١) إرشاد المبتدي ص٥٢١ النشر ٣٥٦/٢ الاتحاف ص٣٦٨.

٢) معاني القرآن للزجاج ٣٠٠/٤ معاني القرآن للنحاس ١٦/٦ حجة القراءات ص٦٠٧.

٣) معاني القرآن للنحاس ١٦/٦ تفسير القرطبي ٧٠/١٥.

٤) الكشف ٢٢٣/٢ القلائد ص١٢٤.

٥) معاني القرآن للزجاج ٢٩٩/٤ الكشف ٢٢٣/٢ حجة القراءات ص٦٠٦.

حاصل القراءات :

أن الله عزوجل يعجب ورسوله يعجب من كفر المشركين وعنادهم، وعدم إيمانهم مع تظاهر الآيات في الدلالة على الحق(١).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن هاتين القراءتين مع اختلاف لفظهما ومعناهما لم يتناقضا ولم يتضادا فكل قراءة تصدق الأخرى وتضيف إليها معنى.

(٢) أن هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي فيها إثبات صفة العجب لله تعالى، فهي إذا من آيات الصفات على هذه القراءة(٢).

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «ومن قرأ ﴿عجبتُ﴾ فهو إخبار عن الله.

وقد أنكر قوم هذه القراءة وقالوا: الله عزوجل لا يعجب.

وانكارهم هذا غلط ؛ لأن القراءة والرواية كثيرة، والعجب من الله عزوجل خلافه من الآدميين، كما قال: ﴿ويمكُرُ اللَّه﴾ [الأنفال:٣٠] و ﴿سَخِرَ اللَّه مِنْهم﴾ [التوبة:٧٩] ﴿وهو خَادِعهم﴾ [النساء:١٤٢].

والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين.

وأصل العجب في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه عجبت، والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء» اهـ(٣).

قلت : وهذا كلام متين منه رحمه الله، و قد جاءت أحاديث عن رسول الله ﷺ أخبر فيها عن عجب الله سبحانه وتعالى، من ذلك:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: عجب ربنا تعالى من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل».

وفي رواية: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»(٤).

(ب) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ :

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ٤٣/٢٣.

٢) أضواء البيان ٦٨٠/٦.

٣) معاني القرآن للزجاج ٣٠٠/٤.

٤) حديث صحيح .

أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب الأسارى في السلاسل حديث رقم (٣٠١٠) وأبوداود في كتاب الجهاد باب الأسير يوثق تحت رقم (٢٦٧٧).

فائدة: قال أبوداود : «يعني: الأسير يوثق ثم يسلم»اهـ

عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا في سبيل الله، فانهزم أصحابه فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عزوجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه»(١).

(ج) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية للجبل(٢) يؤذّن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عزوجل: انظروا إلى عبدي هذا، يؤذّن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة»(٣).

قلت : فصفة «العجب» أخبر بها رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى، ورسول الله أعلم بما يليق بالله عزوجل، فنثبت له سبحانه صفة العجب بما يليق له دون تشبيه أو تحريف أو تكييف أو تعطيل والله أعلم.

(٣) أن القراءتين تؤكدان العجب من حال هؤلاء الكفرة في إصرارهم على الكفر والعناد مع ما يرونه من الآيات البينات والله أعلم.

---

١) حديث حسن .

أخرجه أبوداود في كتاب الجهاد باب في الرجل الذي يشري نفسه حديث رقم (٢٥٣٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٧/٤ وحسنه أيضا محقق جامع الأصول ٥٠٨/٩.

٢) الشظية من الجبل قطعة مرتفعة في رأس الجبل. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٧٦/٢.

٣) حديث صحيح .

أخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب الأذان في السفر حديث رقم (١٢٠٣) والنسائي في كتاب الأذان باب الأذان لمن يصلي وحده ٢٠/٢.

والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٥/١ حديث رقم (٤١) وصححه أيضا محقق جامع الأصول ٣٩٥/٩.

الموضع الثاني والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا، أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ، سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزخرف: ١٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ :

فقرأ أبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالألف بعد الموحدة المفتوحة ورفع الدال: ﴿عِبادُ﴾ جمع عبد، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والشنبوذي، وعن المطوعي كذلك لكن بالفتح.

وقرأ باقي العشرة: ﴿عِند ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالنون الساكنة وفتح الدال بلا ألف(١).

معنى القراءات :

القرءاة بالباء: ﴿عِبَاد ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ جمع عبد، كقوله تعالى: ﴿بل عباد مكرمون﴾ الأنبياء:٢٦ وهذه القراءة تدل على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لأنه يخبر أنهم عباده، والولد لا يكون عبد أبيه، فهي قراءة تدل علي تكذيب من ادعى ذلك وترد قوله.

القراءة بالنون: ﴿عِنْد ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ على الظرف كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِين عِنْد رَبِّك لا يَسْتَكْبِرُون﴾ الأعراف:٢٠٦ وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْده لا يَسْتَكْبِرون﴾ الأنبياء:١٩، وفي هذه القراءة دلالة على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم عند الله عزوجل فما يدريهم أنهم اناث؟(٢).

حاصل القراءات :

تضمنت الآية بالقراءتين تقرير مايلي :

(١) أن الملائكة عباد لله تعالى.

(٢) أن الملائكة في منزلة عالية من الشرف وجلال القدر عند الله تعالى.

وفي هذين التقريرين إيضاح كذب الكفار وبيان جهلهم في نسبة الأولاد إلى الله سبحانه وتعالى، ثم في تحكمهم بأن الملائكة إناث وانهم بنات الله.

وذكرهم بوصف «العباد» مدح لهم؛ أي: كيف عبدوا من دون الله من هو في نهاية العبادة لله؟. ثم كيف حكموا بأنهم اناث من غير دليل؟(٣).

---

١) المبسوط ص٣٣٤ النشر٣٦٨/٢ الاتحاف ص٣٨٥.

٢) الكشف ٢٥٦/٢-٢٥٧.

٣) تفسير القرطبي ٧٢/١٦-٧٣.

الموضع الثالث والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ الزخرف: ٥٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿يَصِدُّونَ﴾ :

فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبوجعفر وخلف: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بضم الصاد.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد مضارع(١).

معنى القراءتين :

القراءة بضم الصاد أفادت أن قوم الرسول ﷺ لما ضرب ابن مريم مثلا صدوا غيرهم عن الإيمان.

القراءة بكسر الصاد أفادت أن قوم الرسول ﷺ لما ضرب ابن مريم مثلا صدوا في أنفسهم.

وقيل : يصدون بكسر الصاد يضجون.

أو يصدون من التصدية وهو التصفيق والصياح والضجيج بمعنى: يصفقون ظنا منهم أنهم أقاموا الحجة على الرسول ﷺ في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يدخل النار مع آلهتهم لأنه عبد من دون الله تعالى.

ويؤيد هذا المعنى ماجاء عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ قال: لقريش يامعشر قريش لا خير في أحد يعبد من دون الله.

فقالوا : ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وكان عبدا صالحا؛ إن كنت صادقا؛ إنه لكآلهتهم فأنزل الله عزوجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ يضجون ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ خروج عيسى قبل يوم القيامة»(٢).

---

١) المبسوط ص٣٣٥-٣٣٦ النشر ٢/٣٦٩ الاتحاف ص٣٨٦.

٢) إسناده حسن .

أخرجه أحمد في المسند (شاكر) ٤/٣٢٨ حديث رقم (٢٩٢١) بسياق أتم من هذا و أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/١٥٣-١٥٤ والسياق له، وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص٣١٥ بسياق تام، و ص ٣٩٧ بهذا السياق.

قال في مجمع الزوائد ٤/٣٢٨: «فيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح»اهـ

والحديث في سنده عاصم بن بهدلة والمتقرر أنه حسن الحديث مالم يخالف، وقد حسن حديثه الذهبي في «الميزان» ٢/ ٣٥٧.

و عزاه في الدر المنثور ٧/٣٨٥ إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه كذلك.

والحديث صححه السيوطي في لباب النقول ص١٨٩ و أحمد شاكر في تحقيقه

=

حاصل القراءات :

قال في التحرير والتنوير: «كلا المعنيين حاصل منهم» اهـ(1).

وعلى المعنى الثاني في (يصدون) بالكسر يضجون يتحصل أن قوم الرسول ﷺ إذا ضرب ابن مريم مثلا يضجون ويعرضون، فيكون إعراضا مصحوبا بضجيج(2) والله أعلم.

= للمسند و أشار إلى حَسَّنِه مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص١٣١.

1) التحرير والتنوير ٥٥/١.

2) حجة القراءات ص ٦٥٢-٦٥٣.

الموضع الرابع والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ سورة محمد: ٣٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿تَدْعوا﴾ بسكون الدال.

وقرأ السلمي: «وتدعوا إلى السلم» بتشديد الدال(١) وهي قراءة آحادية.

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور معناها: لا تدعوا إلى الصلح ابتداء(٢).

قراءة السلمي معناها: لا تنسبوا إلى السلم، أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى السلم مع الكفار(٣).

حاصل القراءات :

المنع من مسالمة الكفار مطلقا، فلا يجوز للمسلم أن يدعو الكفار إلى السلم ابتداء، كما لايجوز له أن ينسب نفسه إلى السلم فيجعلهم يطلبون السلم ليعطيهم إياه، والله اعلم.

ويلاحظ مايلي :

مثل هذه الآية وأثر القراءات فيها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلَامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الصف : ٧.

هكذا قرأها عامة القراء العشرة.

وقرأ طلحة: «وهو يدعى إلى الاسلام» بتشديد الدال.

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): «ظاهر هذا أن يقال: يدعي الاسلام إلا أنه لما كان يدعي الإسلام ينتسب إليه قال: يدَّعى إلى الإسلام حملا على معناه كقول الله تعالى: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ [النازعات:٨] وعادة الاستعمال: هل لك في كذا، لكنه لما كان معناه: أدعوك إلى أن تزكى، استعمل «إلى» هنا تطاولاً نحو المعنى» اهـ(٤).

---

١) المحتسب ٢/٢٧٣.

٢) زاد المسير ٧/٤١٣.

٣) المحتسب ٢/٢٧٣.

٤) ماسبق ٢/٣٢١.

الموضع الخامس والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ النجم: ١٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف: ﴿أَفَتَمْرُونَه﴾ ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة: ﴿أفتمارونه﴾ بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن(١).

معنى القراءتين :

القراءة بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف: ﴿أَفَتَمْرُونه﴾ من مريته إذا علمته وجحدته، وعدى بـ«على» لتضمنه معنى الغلبة، والتقدير: أفتجحدونه على مايرى؛ إذ كان شأن المشركين الجحود لما يأتيهم به محمد ﷺ.

القراءة بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها: ﴿أَفَتُمَارُونه﴾ من ماراه يماريه مراء أي: جادله، والمعنى: أفتجادلونه فيما علمه ورآه كما قال: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ الأنفال: ٦(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «وقد تواترت الأخبار بمجادلة قريش النبي ﷺ أمر الإسراء»اهـ(٣).

حاصل القراءات :

القراءتان تصدق بعضهما بعضا وتضيف كل واحدة إلى الأخرى معنى زائدا، فالكفار جحدوا أمر الإسراء و جادلوا الرَّسول ﷺ سعيا في إبطاله والله أعلم(٤).

---

١) المبسوط ص٤٥٤ النشر٢/٣٧٩ الاتحاف ص٤٠٢.

٢) الكشف ٢/٢٩٤-٢٩٥ الاتحاف ص٤٠٢.

٣) الكشف ٢/٢٩٥.

٤) ماسبق.

الموضع السادس والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿والأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ. فِيهَا فَاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ. وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ والرَّيْحَانُ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن: ١٠-١٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ والرَّيْحَانُ﴾ :

فقرأ ابن عامر بنصب الثلاثة الأسماء: ﴿والحَبَّ ذَا العَصْفَ والرَّيْحَانَ﴾، وكذا كتب ﴿ذا العصف﴾ في المصحف الشامي بألف(١).

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿والرَّيحانِ﴾ بخفض النون ورفع الأولين: ﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحَانِ﴾ ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة برفع الأسماء الثلاثة: ﴿والحَبُّ ذوالعَصْفِ والرَّيْحَانُ﴾ و ﴿ذو العصف﴾ في مصاحفهم بالواو(٢)، ووافقهم اليزيدي وابن محيصن والحسن.

معنى القراءات(٣) :

قوله : ﴿والحب﴾يريد جميع الحبوب كالبر والشعير ونحوها.

وقوله : ﴿ذو العَصْف﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح، قاله ابن عباس وابن مجاهد وغيرهما.

والثاني : أنه المأكول من الحب، حكاه الفراء، ولا سلف لهذا القول.

وقوله : ﴿الرَّيْحَان﴾ فيه أربعة أقوال :

الأول : أنه الرزق، رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير والسدي، والعرب تقول:خرجت أطلب ريحان الله(٤)، أي: أطلب رزق الله.

والثاني: أنه خضرة الزرع، روي عن ابن عباس.

قال بعضهم : «فعلى هذا سمي ريحانا لاستراحة النفس بالنظر إليه».

والثالث : أنه الريحان الذي يشم، روي عن ابن عباس وهذا مذهب

---

١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص١١٢ النشر ٢/ ٣٨٠.

٢) المبسوط ص٣٥٨ النشر٢/ ٣٨٠ الاتحاف ص٤٠٥.

٣) زاد المسير ٨/ ١٠٨-١٠٩ الدر المنثور ٧/ ٦٩٣-٦٩٤.

٤) غريب القرآن وتفسيره ص٣١٦ تفسير غريب القرآن ص٤٣٧.

الحسن والضحاك وابن زيد.

والرابع : أنه مالم يؤكل من الحب والعصف المأكول حكاه الفراء.

قلت : وهذه الأقوال الأربعة حاصلها قولان؛ لأن القول الثاني والثالث في معنى واحد، فمن النبات ما تستريح إليه النفس لطيب ريحه ، ومنه ما تستريح اليه النفس لحسن منظره، والقول الرابع لا سلف له ، وقد حكاه الفراء مؤخرا له، مصدرا إياه بقوله: «قال بعضهم:..»(١)، فالحاصل من هذه الأقوال الأربعة في معنى ﴿الرَّيْحَانُ﴾قولان هما:

الأول : أنه الرزق.

الثاني : أنه ما تستريح إليه النفس لطيب ريحه أو لحسن منظره.

ويتعين كون ﴿الرَّيْحَانِ﴾ بمعنى الرزق على قراءة حمزة والكسائي وخلف وتقدير المعنى عليها: والحب ذو ورق الزرع و تبنه و ذوالرزق؛ فالتبن وورق الزرع رزق البهائم، و ﴿الرَّيْحَانِ﴾ هو رزق بني آدم من الحب.

وعلى هذا فـ﴿الرَّيْحَانِ﴾ لا يحتمل المشموم أو ما يستروح بمنظره(٢).

ويحتمل معنى ﴿الرَّيْحَانِ﴾ القولين على باقي القراءات.

فالمعنى على قراءة ابن عامر بالنصب: ﴿والحَبَّ ذا العصفِ والرَّيْحَانَ﴾ أي: خلق إلحب ذا العصف وخلق الريحان.

وعلى هذه القراءة فـ﴿الريحان﴾ محتمل لمعنى الرزق، ولمعنى مايستروح به مما يشم أو ينظر إليه(٣).

والمعنى على قراءة الباقين بالضم: ﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحَانُ﴾ أي: في الأرض فاكهة وفيها الحب ذو العصف وفيها الريحان؛ فيكون الريحان ها هنا هو الريحان الذي يشم أو يكون هاهنا هو الرزق(٤).

حاصل القراءات :

خلق الله إلحب صاحب الورق والتبن للبهائم، وصاحب الرزق لسائر الخلق، وهو ما يؤكل من الحب ، كما خلق ما يستروحون بطيب ريحه أو بحسن منظره من الزرع.

---

١) معاني القرآن للفراء ٣/١١٤.

٢) الكشف ٢/٢٩٩-٣٠٠ حجة القراءات ص٦٩٠-٦٩١ أضواء البيان ٧/٧٤٠.

٣) الكشف ٢/٢٩٩ أضواء البيان ٧/٧٤٠.

٤) حجة القراءات ص٦٩١ أضواء البيان ٧/٧٤٠.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن القراءات مع تنوع لفظها ومعناها يصدق بعضها بعضا، ويضيف اليها معنى جديدا.

(٢) إن قلت: في معنى الآية على قراءة حمزة والكسائي وخلف: ﴿العَصْف﴾ هو ما تأكله البهائم من ورق الزرع وتبنه، و ﴿الرَّيْحَان﴾ ما يرزقه الناس من الحب؛ فإن العصف والعصفة رزق أيضا فكأنه قال: ذو الرزق وذو الرزق؟.

فالجواب : هذا لا يمتنع لأن العصفة رزق غير الرزق الذي أوقع الريحان عليه، وكأن الريحان أريد به الحب إذا خلص لفائفه، فأوقع عليه الرزق لعموم المنفعة به، وأنه رزق للناس وغيرهم(١).

(٣) أن الآية على قراءة حمزة ومن معه يكون معناها كقوله عزوجل: ﴿مَتَاعاً لَكُم ولأَنْعَامِكم﴾ النازعات:٣٣ وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تأكُلُ مِنْهُ أنعَامُهُم وأَنفُسُهُم﴾ السجدة:٢٧ وقوله تعالى: ﴿فأخْرَجْنا بِهِ أزْوَاجًا من نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وارْعَوا أنعامَكَم﴾ سورة طه: ٥٣-٥٤ وكقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسَانُ إلَى طَعَامِهِ أنّا صَبَبْنَا المَاء صَبّا. ثُمّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقّا فأنبتنا فِيهَا حباً وعِنَباً وقَضْباً وزَيْتُوناً ونَخْلاً. وحَدائق غُلْباً. وفَاكِهَةً وأباً. مَتَاعاً لَكُم ولأنعَامِكم﴾ عبس:٢٤-٣٢(٢).

(٤) لمّا ذكر الله السماء في أول سورة الرحمن في قوله تبارك وتعالى: ﴿والسَّمَاء رَفَعَهَا ووَضَعَ المِيزَان﴾ آية:٧، ذكر مقابلها فقال: ﴿والأرْضَ وَضَعَهَا لِلأنَام﴾ أي: خفضها مدحوة لينتفع بها وجعل فيها فاكهة ضرباً مما يتفكه به، وبدأ بقوله: ﴿فَاكِهَة﴾ إذ هو من باب الابتداء بالأدنى، والترقي إلى الأعلى ونكّر لفظها لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها.

وثنى بالنخل مُعَرّفاً ذاكراً الأصل ولم يذكر ثمرتها وهو« التمر» فقط لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع.

ثم أتى ثالثاً بالحب الذي هو قوام عيش الانسان في أكثر الأقاليم وهو « البُر» و « الشّعير» وكل ماله سنبل، وأوراق متشعبة على ساقه، ووصفه بقوله: ﴿ذو العَصْف﴾ تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم من الحب، ويقوت بهائمهم من ورقه الذي هو التبن.

---

١) حجة القراءات ص ٦٩١ هامش.

٢) الكشف ٢/٣٠٠ أضواء البيان ٧/٧٤١.

وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينها النخل والحب ليحصل ما به يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة من الرائحة.

وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظيم المنفعة بالنخل من جهات متعددة، وشجر الفاكهة بالنسبة إلى ثمرتها حقيرة؛ فنص على ما يعظم الانتفاع به من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرها(١).

(٥) أن مجيء الآية محتملة لمعنيين في قراءة، ومجيئها على معنى واحد في قراءة من أحد المعنيين؛ فيه تأكيد على هذا المعنى، ففي الآية تأكيد على قضية امتنان الله بجعل الحب رزقا لسائر الخلق، مما يتناسب مع كونه مما لا يستغنى عنه.

---

١) البحرالمحيط ١٨٩/٨-١٩٠ باختصار.

الموضع السابع والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ الواقعة: ٨٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿فروح﴾ :

فقرأ رويس في روايته عن يعقوب: ﴿فروح﴾ بضم الراء(١) وانفرد ابن مهران(٢) بروايته عن روح عن يعقوب، ورويت عن ابن عباس مرفوعة(٣)، وهي قراءة أبي بكر الصديق وأبي رزين والحسن وعكرمة وابن يعمر وقتادة وابن أبي سريج عن الكسائي(٤).

وقرأ باقي العشرة: ﴿فروح﴾ بالفتح، وهي قراءة الحسن وابن محيصن واليزيدي والأعمش(٥).

معنى القراءات :

القراءة بفتح الراء: ﴿فروح﴾ في معناها أقوال(٦) :

الأول : الفرح، رواه ابن جبير عن ابن عباس.

الثاني : الراحة، وهو مروي عن ابن عباس.

الثالث : المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن أيضا.

الرابع : الجنة، قاله مجاهد.

الخامس : روح في القبر، أي: طيب النسيم، قاله ابن قتيبة(٧).

القراءة برفع الراء: ﴿فروح﴾ في معناها قولان(٨) :

الأول : فرحمة، قاله قتادة.

الثاني : فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة(٩).

حاصل القراءات :

أن للسابقين حياة دائمة ، مريحة في جنته سبحانه .

---

١) النشر٢/٣٨٣ الاتحاف ص٤٠٩.
٢) المبسوط ص٣٦١ وانظر النشر٢/٣٨٣.
٣) الاتحاف ص٤٠٩.
٤) المحتسب ٢/٣١٠ زاد المسير ٨/١٥٦.
٥) النشر٢/٣٨٣ الاتحاف ص٤٠٩.
٦) زاد المسير ٨/١٥٦.
٧) تفسير غريب القرآن ص٤٥٢.
٨) زاد المسير٨/١٥٧.
٩) تفسير غريب القرآن ص٤٥٢.

الموضع الثامن والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ الحديد: ١٣.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿انظرونا﴾ :

فقرأ حمزة بقطع الهمزة المفتوحة، وكسر الظاء ووافقه المطوعي في روايته عن الأعمش.

وقرأ باقي العشرة بوصل الهمزة وضم الظاء، ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن والشنبوذي عن الأعمش(١).

معنى القراءات :

قراءة حمزة بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الظاء من الانظار بمعنى الامهال، أي: تمهلوا نقتبس من نوركم.

قراءة الجمهور بوصل الهمزة وضم الظاء من النظر، نظر العين، أي: انظروا إلينا وابصروا حالنا(٢).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءتين أن المنافقين والمنافقات يقولون للذين آمنوا: انظروا إلينا وابصروا حالنا، وانتظرونا لنسير معكم في نوركم.

---

١) المبسوط ص٣٦٢ النشر٢/٣٨٤ الاتحاف ص٤١٠.

٢) الكشف ٢/٣٠٩.

الموضع التاسع والثمانون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ الحديد: ١٨.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿المصدقين والمصدقات﴾:

فقرأ ابن كثير وأبوبكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما ووافقهما ابن محيصن: ﴿المصدقين والمصدقات﴾.

وقرأ باقي العشرة بالتشديد فيهما ووافقهم الحسن واليزيدي والأعمش: ﴿المصدقين والمصدقات﴾(١).

معنى القراءتين :

قراءة ابن كثير وأبي بكر بتخفيف الصاد من التصديق أي: صدقوا الرسول ﷺ، والمعنى: إن المؤمنين والمؤمنات واقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم؛ لأن الايمان والتصديق سواء.

قراءة الجمهور بتشديد الصاد من التصدق ، وأصله: إن المتصدقين والمتصدقات، ثم أدغم(٢).

حاصل القراءتين :

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «في القراءة بالتشديد قوة من جهة المعنى؛ وذلك أن كل من تصدق لله فهو مؤمن، وليس كل من آمن يتصدق لله، فالقراءة بالتشديد أعم لأنها تجمع الايمان والصدقة.

وفي القراءة بالتخفيف قوة أيضا من جهة المعنى؛ وذلك أنه محمول على التصديق الذي هو الايمان ثم ذكر بعده: ﴿وأقرضوا الله﴾ فقد بين أنهم جمعوا الحالتين الايمان والصدقة.

ومن شدد فإنما يقدر أن قوله: ﴿وأقرضوا﴾ تأكيد مكرر، لأن التشديد يدل على الصدقة وهي القرض، وكان في الكلام إذا قريء بالتشديد تكرير، وليس كذلك إذا قريء بالتخفيف، بل التخفيف وما بعده من ذكر القرض يدل على الايمان والصدقة فذلك فائدتان، والتشديد وما بعده من ذكر القرض يدل على

---

١) المبسوط ص٣٦٣ النشر٢/ ٣٨٤ الاتحاف ص٤١٠.

٢) الكشف ٢/ ٣١٠.

فائدة واحدة وهي الصدقة لا غير»اهـ(١).

قلت : أفادت الآية بالقراءتين أهمية الصدقة، وأنها دليل الايمان وبرهانه كما قال ﷺ : «... والصدقة برهان»(٢)، والله أعلم.

---

١) الكشف ٢/٣١٠-٣١١.

٢) حديث صحيح .

أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء حديث رقم (٢٢٣) وهو أول حديث في كتاب الطهارة ولفظه: «عن أبي مالك الأشعري قال: «قال رسول الله ﷺ : «الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الايمان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السماوات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»».

قال عياض: «قوله: «الصدقة برهان» أي: دليل على إيمان صاحبها؛ لأن شأن المنافقين اللمز فيها، ألا ترى ضعف إيمان من منعها في الردة أيام أبي بكر رضوان الله عليه»اهـ نقله الأبي في شرحه لصحيح مسلم ٦/٢.

الموضع التسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ الملك: ٢٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿تدعون﴾

فقرأ يعقوب بسكون الدال مخففة: ﴿تدعون﴾ وهي قراءة الحسن وأبي رجاء والضحاك وعبد الله بن مسلم بن يسار وقتادة وسلام(١).

وقرأ باقي العشرة: ﴿تدعون﴾ بتشديد الدال مع فتحها(٢).

معنى القراءات :

القراءة بتخفيف الدال مع سكونها من الدعاء، أي: تطلبون وتستعجلون، والمعنى هذا الذي كنتم تطلبون وتستعجلون وتدعون الله أن يوقعه بكم كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ المعارج:١(٣).

القراءة بتشديد الدال فيها قولان :

الأول : أنها من الدعاء، كقراءة يعقوب، أي: تتداعون بوقوعه، والمراد أن الدعوة بوقوعه فاشية منكم(٤).

الثاني : أنها من الدعوى، أي: هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب، تدَّعون أنكم إذا متم لا تبعثون فلا جنة ولا نار(٥).

حاصل القراءات :

أنه يقال للذين كفروا لما يروا العذاب: هذا الذي كنتم تسألون عنه وتستعجلون به، وهذا ماكنتم تنكرونه وتدعون أن لا جنة ولا نار.

---

١) المحتسب ٢/٣٢٤.
٢) المبسوط ص٣٧٧ النشر٢/٣٨٩.
٣) المحتسب٢/٣٢٤.
٤) ماسبق .
٥) زاد المسير ٨/٣٢٤.

الموضع الحادي والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمل:٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿أشد وطئا﴾ :

فقرأ أبوعمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها همزة بوزن: «قتال»، ووافقهم اليزيدي والحسن وابن محيصن.

وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء بلا مد(١).

معنى القراءتين :

القراءة: ﴿وطأ﴾ على وزن: «قتال» مصدر واطأ يواطيء مواطأة، أي: الليل أشد لمواطأة القلب واللسان فيهما، أو موافقته لما يراد من الاخلاص والخضوع، ولذا فضلت صلاة الليل على النهار(٢).

القراءة بفتح الواو وسكون الطاء بلا مد، أي: الليل أشد على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان؛ إذا ثقل عليهم ما يلزمهم به(٣)، أو المعنى: أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل، أو المعنى: أشد نشاطا للمصلي، أو المعنى: أشد قياما، أو أثبت قياما وقراءة أو أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة(٤).

حاصل القراءات :

المعاني السابقة في معنى القراءتين لا مانع من ارادتها هنا، فالقيام في الليل أكثر موافقة للقلب واللسان والإخلاص والخضوع، وقيام الليل أشد على النفس لأنه يبعثها من لذيذ المنام، وهو أشد ثباتاً لقدم صاحبه في قيامه وقراءته وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة.

---

١) المبسوط ص٣٨٦ النشر٢/٣٩٢-٣٩٣ الاتحاف ص٤٢٦.

٢) الاتحاف ص٤٢٦.

٣) زاد المسير ٨/٣٩١.

٤) عمدة الحفاظ ص٦٣٥ الاتحاف ص٤٢٦.

الموضع الثاني والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى :﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ. وَمَاهُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ التكوير:٢٢-٢٦.

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿بضنين﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو والكسائي ويعقوب من رواية رويس بالظاء: ﴿بظنين﴾.

وقرأعاصم وخلف وحمزة وابن عامر ونافع وأبوجعفر ويعقوب من رواية روح بالضاد: ﴿بضنين﴾.

وانفرد ابن مهران برواية القراءة بالظاء: ﴿بظنين﴾ عن روح(١).

معنى القراءات :

القراءة بالضاد: ﴿بضنين﴾ أي: ببخيل من الضنة، وهي البخل، يقال: ضن يضن بفتحها في المضارع، لأن الماضي بكسرها قال الشاعر:

مَهْلا أعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِن خُلُقِي ... أنِّي أجُودُ لأقْوَامٍ وإنْ ضَنُّوا

وقيل : الضنة البخل بالشيء النفيس، فهو أخص.

والمعنى : أنه ﷺ ليس ببخيل بما يوحى إليه، بل يبلغ جميع ما أنزل الله اليه امتثالا لقوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ الغاشية:٢١(٢).

معنى القراءة بالظاء: ﴿بظنين﴾ أي: بمتهم، من الظنة، قال الشاعر:

أمَا - وكِتَاب اللّهِ - لا عَنْ شَنَاْة ... هجرت ولكن الظَّنِين الظَّنِين(٣).

والمعنى : ليس محمد ﷺ بمتهم في أن يأتي من عند نفسه بزيادة فيما أوحي اليه أو ينقص منه شيئا(٤).

حاصل القراءتين :

أن محمدا ﷺ ليس ببخيل في الوحي فهو يبلغ ما أنزل الله إليه كما هو دون زيادة و لانقص، فهو ليس ببخيل وليس بمتهم في الوحي.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن الآية لم يختلف رسمها في المصاحف، حيث كتبت فيها

---

١) المبسوط ص٣٩٨ النشر٢/٣٩٨-٣٩٩ الاتحاف ص٤٣٤.

٢) الكشف ٢/٣٦٤ عمدة الحفاظ ص٣١٤.

٣) حجة القراءات ص٧٥٢ تفسيرالقرطبي ١٩/٢٤٢.

٤) الكشف٢/٣٦٤ حجة القراءات ص٧٥٢.

بالضاد(١).

قال الدمياطي (ت١١١٧هـ): «لا مخالفة في الرسم (يعني: بين الضاد والظاء) إذ لا مخالفة بينهما إلا في تطويل رأس الظاء على الضاد، قال الجعبري: وجه ﴿بضنين﴾ أنه رسم برأس معوجه وهو غير طرف فاحتمل القراءتين وفي مصحف ابن مسعود بالظاء.»اهـ(٢).

قلت : إذا ثبت التواتر لم يحتج إلى موافقة الرسم كما قال ابن الجزري رحمه الله.

(٢) القراءة بـ﴿ظنين﴾ من الظنة التهمة، دل على ذلك أنه لم يتعد إلا إلى مفعول واحد، قام مقام الفاعل، وهو مضمر فيه و«ظننت» إذا كان بمعنى اتهمت لم تتعد إلا إلى مفعول واحد(٣).

(٣) هاتان القراءتان اختلف لفظهما ولم يتناقضا، وهي تصدق بعضها بعضا بل أضافت كل قراءة معنى إلى الأخرى

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ٣٠/٨٣ النشر٢/٣٩٩ وظاهر أن مرادهما المصاحف التي توافق الرسم العثماني فلا يعترض عليهما برسم مصحف ابن مسعود ولا غيره.

٢) الإتحاف ص٤٣٤ .

قلت : ولما قال أبو عبيدة معللا إتحاد الرسم في المصاحف مع اختلاف القراءات في هذا الموضع: «إن الضاد والظاء في الخط القديم لا يختلفان إلا بزيادة رأس احدهما على الأخرى زيادة يسيرة قد تشتبه».

تعقبه الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي ٨/٣٣٠-٣٣١ بقوله: «وهو كما قال، ويعرفه من قرأ الخط المسند وليس فيه اتهام لنقلة المصاحف كما توهم، لأن ما نقلوه موافق للقراءة المتواترة، ولا بد مما ذكره أبوعبيدة؛ لأنهم اشترطوا في القراءات موافقة الرسم العثماني، ولولاه كانت قراءة الظاء مخالفة له»اهـ.

قلت : لكن قال ابن الجزري في النشر ١/٣١: «التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه»اهـ

٣) الكشف ٢/٣٦٤ تفسيرالرازي ٣١/٧٤.

الموضع الثالث والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِيَ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ الانفطار: ٦-٨.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿فسواك فعدلك﴾ :

فقرأ أبوجعفر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف الدال: ﴿فعدلك﴾ ووافقهم الحسن والأعمش.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبوعمرو ويعقوب بتشديد الدال: ﴿فعدلك﴾ ووافقهم ابن محيصن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بالتشديد: ﴿فعدلك﴾ أي: سوى خلقك في أحسن صورة وأكمل تقويم، فجعلك معتدلا معدل الخلق مقوما، ولم يجعلك كالبهائم متطأطئا(٢).

والقراءة بالتخفيف: ﴿فعدلك﴾ تحتمل المعنى السابق في القراءة بالتشديد، و تحتمل أن تكون بمعنى صرفك وأمالك إلى أي: صورة شاء، إما إلى صورة حسنة وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته(٣).

حاصل القراءتين :

خلق الله تعالى الانسان سويا في خلقته، في أحسن تقويم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين:٤، وصوره في الصورة التي أرادها سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله ألا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران:٦.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ بيان لقوله: ﴿عدلك﴾ إذا كان الجار والمجرور متعلقا بقوله: ﴿ركبك﴾، أو متعلقا بقوله: ﴿بربك﴾، وهذا الثاني قول الجمهور، والمعنى: عليه ما غرك بربك الكريم الذي ... ... في أي صوزة ماشاء ركبك(٤).

(٢) قيل : قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ يتعلق بقوله: ﴿فعدلك﴾ أي: فعدلك في صورة أي صورة، و ﴿أي﴾ تقتضي التعجيب

---

١) المبسوط ص٣٩٩ النشر٣٩٩/٢ الاتحاف ص٤٣٤.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ٨٧/٣٠ الكشف ٣٦٤/٢ حجة القراءات ص٧٥٢-٧٥٣.

٣) ماسبق.

٤) تفسيرالقرطبي ٢٤٧/١٩ البحرالمحيط ٤٣٧/٨ حاشية الشهاب على البيضاوي ٣٣٣/٨.

والتعظيم؛ فلم يجعلك في صورة خنزير أو حمار، وعلى هذا تكون ﴿ما﴾ منصوبة بـ﴿شاء﴾ كأنه قال: أي تركيب حسن شاء ركبك؛ والتركيب: التأليف والجمع(١).

ولا يتعلق قوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ...﴾ بـ﴿عدلك﴾ على قراءة التخفيف(٢).

(٣) مما تقدم تعلم النكتة في عدم عطف قوله: ﴿ركبك﴾ بالفاء(٣).

---

١) البحرالمحيط ٨/٤٣٧.

٢) تفسيرالقرطبي ١٩/٢٤٧.

٣) تفسيرالبيضاوي ص٧٨٧ البحرالمحيط ٨/٤٣٧.

الموضع الرابع والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ. وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ الانفطار:١٣-١٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿يَوْمُ لَا تَمْلِكُ﴾ :

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب: ﴿يوم﴾ بالرفع ووافقهم ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ سائر العشرة: ﴿يوم﴾ بالنصب ووافقهم الحسن والأعمش(١).

معنى القراءات :

القراءة بالضم في معناها وجهان(٢) :

الأول : أن يكون قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً﴾ بدل من قوله: ﴿مايوم الدين﴾.

الثاني : أن يكون قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنفْسٍ شَيْئاً﴾ على إضمار «هو» فيكون المعنى: مايوم الدين هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا.

وعلى الوجهين يكون قوله: ﴿يوم لا تملك..﴾ تفسير لقوله: ﴿يوم الدين﴾.

ومعنى القراءة بالنصب فيه وجوه(٣) :

الأول : أن يكون قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنفْسٍ شَيْئاً﴾ ظرفا، على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون يوم لا تملك نفس لنفس شيئا.

الثاني : باضمار: «اذكروا»، أي: اذكروا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا.

الثالث : أن تكون بمعنى القراءة بالضم، ويكون قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ في موضع رفع إلا أنه بني على الفتح لاضافته إلى قوله: ﴿لاتملك﴾؛ لأن ما أضيف إلى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وإن كان في موضع رفع أو جر.

حاصل القراءتين :

يخبر الله تبارك وتعالى أن هذه الأمور التي ذكرها في الآيات ستكون في ذلك اليوم الذي لا تملك فيه نفس لنفس شيئا وذلك اليوم هو يوم الدين،

---

١) المبسوط ص٣٣٩ النشر٢/٣٩٩ الاتحاف ص٤٣٥.
٢) معاني القرآن للزجاج ٥/٢٩٦ الكشف ٢/٣٦٤-٣٦٥ تفسيرالرازي ٣١/٨٦.
٣) ماسبق .

الذي علينا أن نتذكره ونستعد له.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن هاتين القراءتين فيهما إعلام بشدة هول ذلك اليوم وبأنه لا ملك لأحد إلا لله الواحد القهار كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر:١٦ وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لاَيُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة:٤٨ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ عبس:٣٤-٣٦.

(٢) هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة:٤.

(٣) في الآية تقرير أنه ليس لأحد شيء في ذلك اليوم، وقررت آيات أخرى أن الله يقبل الشفاعة، ولا تعارض لأن قبول الشفاعة باذنه ورضاه سبحانه فعاد الأمر كله لله الواحد القهار كما قال تعالى: ﴿و لايشفعون إلا لمن ارتضى﴾ الأنبياء:٢٨ وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يونس:٣ وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ﴾ طه:١٠٩ وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةَ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ سبأ:٢٣ وقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ الزمر:٤٤.

الموضع الخامس والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ المطففين:٢٢-٢٦.

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿ختامه﴾ :

فقرأ الكسائي بفتح الخاء والتاء والألف بينهما: ﴿خاتمه﴾.

وقرأ الباقون بكسر الخاء والألف بعد التاء: ﴿ختامه﴾(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة الكسائي : أن ختم هذا الرحيق الذي يختم به الإناء مسك، بدل الطين الذي يختم به رؤوس القوارير، فكأن ذلك المسك رطب ينطبع فيه الخاتم(٢).

وقد نقل هذا المعنى عن ابن عباس وغيره(٣).

معنى قراءة الباقين : أن خاتمة ما في الكأس مسك، أي: إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس يجدون عاقبتها مسكا(٤).

حاصل القراءتين :

أن الأبرار يسقون من رحيق مختوم على آنيته بمسك، وفي آخره إذا شربوا مسك.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) ذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى القراءتين واحد، وهو آخره وعاقبته مسك، أي: هي طيبة الريح، وأن ريحها في آخر شرابهم يختم لها بريح المسك.

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «والختام والخاتم وإن اختلفا في اللفظ فإنهما متقاربان في المعنى، غير أن الخاتم اسم، والختام مصدر.

ونظير ذلك قولهم: هو كريم الطبائع(٥) و الطباع» اهـ(٦).

---

١) المبسوط ص٤٠٣ النشر٢/٣٩٩ الاتحاف ص٤٣٥.

٢) الكشف٢/٣٦٦ البحرالمحيط ٨/٤٤٢.

٣) الدرالمنثور ٨/٤٥١.

٤) الكشف٢/٣٦٦ حجة القراءات ص٧٥٤.

٥) كذا في تفسير الطبري (دارالفكر) ٣٠/١٠٧ وصوابه: «كريم الطابع» ليصح التنظير وانظر «معاني القرآن» للفراء ٣/٢٤٨.

٦) تفسير الطبري (دارالفكر) ٣٠/١٠٧ باختصار.

قلت : والمغايرة مع التأسيس أولى من مجرد المغايرة للتأكيد وبالله التوفيق.

(٢) للمفسرين في قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أربعة أقوال(١) :

الأول : خلطه مسك، وينسب إلى مسعود ومجاهد.

الثاني : أن ختمه الذي يختم به الاناء مسك، وينسب إلى ابن عباس.

الثالث : أن طعمه وريحه مسك، وينسب إلى علقمة.

الرابع : أن آخر طعمه مسك، قاله ابن جبير والفراء(٢) وأبوعبيدة(٣) وابن قتيبة(٤) والزجاج(٥) في آخرين.

قلت : القول الأول ضعيف إذ الختم بمعنى المزج لم يسمع من كلام العرب(٦).

والقول الثالث راجع إلى الثاني والرابع والله أعلم.

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ٣٠/١٠٦-١٠٧ زاد المسير ٩/٥٩.
٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢٤٨.
٣) مجاز القرآن ٢/٢٩٠.
٤) تفسير غريب القرآن ص٥٢٠.
٥) معاني القرآن للزجاج ٥/٣٠٠-٣٠١.
٦) تفسيرالطبري (دارالفكر) ٣٠/١٠٧.

الموضع السادس والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ الفجر ٦-٨.

هكذا قرأ عامة القراء: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾.

وقرأ ابن عباس: «بعاد أرم ذات العماد» بفتح الهمزة والراء.

وروي عن الضحاك: «بعاد أرم ذات العماد» بفتح الهمزة وسكون الراء.

وروي عن ابن الزبير: «بعادأرم ذات العماد» بفتح الهمزة وكسر الراء.

وروي عنه أيضا: «بعاد أرم ذات العماد» بكسر الهمزة وفتح الراء وكسر الميم (١).

معنى القراءات :

القراءة المتواترة: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ في المراد بـ«ارم» أربعة أقوال:

أحدها : أنه اسم بلدة، قيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية، وقيل: مدينة صَنَعها شداد بن عاد.

الثاني : أنه اسم أُمّة من الأمم، ومعناه: القديمة.

الثالث : أنه قبيلة من قوم عاد.

الرابع : أنه اسم لجد عاد(٢).

قراءة ابن عباس: «أرم ذات العماد» أي: جعلها رميما، والارم: الهلاك، كما يقال: أرم بنو فلان أي: هلكوا.

القراءة المروية عن الضحاك: «بعاد أرم» بسكون الراء بمعنى القراءة قبلها.

القراءة المروية عن ابن الزبير: بـ«عاد أرم ذات العماد» أي: أهل ارم، هذه المدينة، فهي على حذف المضاف، أي: عاد أهل ارم ذات العماد، ويحتمل أنه اسم لجد عاد أو علم على قبيلة من عاد.

القراءة بـ«عاد ارم ذات العماد» على اضافة «عاد» إلى: «ارم» وهي المدينة التي يقال لها: ذات العماد، أي: أصحاب أعلام هذه المدينة(٣).

حاصل القراءات :

دلت الآية بالقراءات الواردة فيها على أن المقصود بعاد هم أهل مدينة ارم ذات العماد، وأن الله أهلكهم ومدينتهم.

---

١) المحتسب ٣/٣٥٩-٣٦٠.

٢) زاد المسير ٩/١٠٩-١١١.

٣) المحتسب ٢/٣٦٠ الدر المنثور ٨/٥٠٦.

الموضع السابع والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالليلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى. وَ مَا خَلَقَ الذَّكر وَ الأنْثَى. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ سورة الليل: ١-٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثى﴾.

وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبوالدرداء وابن عباس: «والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى»(١).

وقرأ ابن مسعود أيضا: «والذي خلق الذكر والأنثى»(٢).

عن إبراهيم قال(٣): قدم أصحاب عبدالله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبدالله ؟. قال: كلنا. قال: فأيكم يحفظ؟. وأشاروا إلى علقمة. قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿والليل إذَا يَغْشَى﴾؟. قال: علقمة: «والذكر والأنثى». قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: ﴿وما خَلَق الذَّكرَ والأُنثَى﴾ والله لا أتابعهم»(٤).

معنى القراءات :

القراءة المتواترة في معناها وجهان:

الأول : أي: وخلق الذكر والأنثى، فلفظة «ما» في ﴿وما خَلَقَ﴾ مصدرية فيكون المعنى أقسم الله بخلقه للذكر والأنثى.

الثاني : أي: والذي خلق الذكر والأنثى، فلفظة «ما» بمعنى: «من» والقراءة الشاذة عن ابن مسعود: «والذي خلق الذكر والأنثى» تبينه، وعبر عن «من» بـ«ما» للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم، أي: والقادر العظيم

---

١) المحتسب ٣٦٤/٢.

٢) تفسير الرازي ١٩٨/٣١ فتح الباري ٧٠٧/٨.

٣) هذا الحديث صورته الإرسال، لأن إبراهيم وهو النخعي ما حضر القصة، لكن وقع عند البخاري حديث رقم (٤٩٤٣): «عن إبراهيم عن علقمة..» فتبين أن لا إرسال في هذا الحديث. وانظر فتح الباري ٧٠٧/٨.

٤) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ حديث رقم (٤٩٤٣،٤٩٤٤) وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما يتعلق بالقراءات حديث رقم (٨٢٤) وأخرجه الترمذي في جامعه كتاب القراءات باب ومن سورة الليل حديث رقم (٢٩٣٩) والنسائي في تفسيره ٥٢٨/٢ حديث رقم (٦٩٦-٦٩٧) والدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ ص١٧٦-١٧٧ حديث رقم (١٣١-١٣٢) وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد مختصرا ١٣٩/٢، ٣/١٤.

الذي خلق صنفي الذكر والأنثى(١).

فعلى الوجه الأول يكون القسم بخلقه سبحانه وتعالى للذكر والأنثى، وعلى الثاني يكون القسم بالله تعالى.

والقراءة الشاذة عن علي ومن معه رضي الله عنهم بمعنى الوجه الأول في القراءة المتواترة.

حاصل القراءات :

يقسم الله تعالى بنفسه وبخلقه للذكر والأنثى، كما يقسم بالذكر والأنثى، فالقراءات أفادت تعدد القسم والمقسم به وذلك تعظيما لله، وتأكيدا لجواب القسم في السورة والله أعلم.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) في المراد بالذكر والأنثى قولان:

الأول : آدم وحواء قاله ابن عباس والحسن والكلبي ومقاتل .

الثاني يعني جميع الذكور والاناث من بني آدم والبهائم لأن الله تعالى خلق جميعهم من ذكر وأنثى من نوعهم(٢).

وقيل : كل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته(٣).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «الظاهر عموم الذكر والأنثى»اهـ(٤).

قلت : وكذا قال الشوكاني(٥) (ت١٢٥٠هـ).

(٢) في تخصيص القسم بالذكر والأنثى لما فيهما من بديع صنع الله وقوة قدرته سبحانه، وكذا في القسم بخلق الذكر والأنثى لفت نظر إلى هذه الصفة لما فيها من إعجاز البشر عنها كما في الليل والنهار -الذين أقسم الله بهما في مطلع هذه السورة- فإن فيهما من عموم الاعجاز للبشر ما هو ظاهر وكذا قسمه بخلق الذكر والأنثى(٦).

(٣) قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «وما ثبت في الحديث من قراءة: «والذكر

---

١) زاد المسير ٩/١٣٨-١٣٩ تفسير القرطبي ٢٠/٨٠-٨١ تفسيرالشوكاني ٥/٤٥٢.
٢) زاد المسير ٩/١٤٥-١٤٦.
٣) تفسير القرطبي ٢٠/٨١.
٤) البحرالمحيط ٨/٤٨٣.
٥) تفسير الشوكاني ٥/٤٥٢.
٦) تتمة أضواء البيان ٩/٢٥٤-٢٥٥.

والأنثى» نقل آحاد مخالف للسواد فلا يعد قرآنا»اهـ(١).

وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) معلقا على قراءة أبي الدرداء وابن مسعود: «لعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه، والعجب من نقل الحفاظ الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت»اهـ(٢).

قلت : هذا الذي أورده الحافظ رحمه الله ممكن، لكن الأصل عدمه، فلا يثبت إلا بدليل، وهناك احتمال آخر وهو عدم النسخ، ولم تشتهر هذه القراءة ولم يُقْرأ بها لأنها لم تكن من الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه.

قال الألوسي (ت١٢٧٠هـ): «وأنت تعلم أن هذه قراءة شاذة منقولة آحادا، لاتجوز القراءة بها لكنها بالنسبة إلى من سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام في حكم المتواتر تجوز قراءته بها»اهـ(٣).

قلت : هذا من جهة السند، أما من جهة المعنى فالأمر قريب ولا تعارض بين القراءتين، سواء كان القسم بالخالق سبحانه أو خلقه الذكر والأنثى أو القسم بالذكر والأنثى ذاتهما، وهذه معان متكررة كثيرا في القرآن الكريم أي: يقسم الله بذاته أو بصفة من صفاته أو بشيء من خلقه كالليل والنهار في نفس السورة والله أعلم.

---

١) البحرالمحيط ٤٨٣/٨.

٢) فتح الباري ٧٠٧/٨.

٣) روح المعاني ١٨٨/٣٠.

الموضع الثامن والتسعون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين: ١-٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿سنين﴾.

وقرأ عمر بن الخطاب(١) و عبدالله و طلحة و أبوالدرداء والحسن: «سيناء» بكسر السين والمد(٢).

وقرأ عمر أيضا وزيد بن علي وسعد بن أبي وقاص وأبوالعالية وأبومجلز بفتح السين والمد: «سيناء»(٣).

أخرج عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف والدارقطني في الأفراد عن عمرو بن ميمون قال: «صليت خلف عمر بن الخطاب المغرب فقرأ في الركعة الأولى «والتين والزيتون وطور سيناء».

قال : وهكذا هي في قراءة عبدالله. وقرأ في الركعة الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل:١] و ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [سورة قريش:١] جمع بينهما ورفع صوته؛ فقدرت أنه رفع صوته تعظيما للبيت»(٤).

وقرأ ابن أبي إسحاق وعمرو بن ميمون وأبورجاء بفتح السين: «سينين»(٥).

معنى القراءات :

اختلف في معنى «سينين» على أقوال:

الأول : أنه بمعنى الحسن أي: الجبل الحسن.

الثاني : أنه المبارك، أي: الجبل المبارك.

الثالث : أنه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده.

الرابع : أنه الجبل المشجر.

الخامس : أنه سيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل وهذا أصح الأقوال، وتؤيده قراءة: «سيناء»(٦).

---

١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص١٢٨.
٢) زاد المسير ٩/ ١٧٠ البحرالمحيط ٨/ ٤٩٠.
٣) ماسبق .
٤) الدرالمنثور ٨/ ٥٥٦ كنز العمال ٢/ ٥٩١-٥٩٢.
٥) البحرالمحيط ٨/ ٤٨٩-٤٩٠.
٦) زاد المسير ٥/ ٤٦٦.

حاصل القراءات :

أن الله عزوجل أقسم بالجبل الذي في سيناء(١) ولا مانع من أن يكون مباركا حسنا مشجرا، فيكون المعنى الجبل المبارك الحسن المشجر الذي بسيناء.

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «والصواب من القول في ذلك أن يقال: أن «سيناء» اسم أضيف إليه الطور، ويعرف به كما قيل: جبلا طيء، فأضيفا إلى طيء.

ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه الحسن؛ لكان «الطور» منونا، وكان قوله: «سيناء» من نعته.

على أن «سيناء» بمعنى مبارك، حسن ، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، لكن القول في ذلك - إن شاء الله - كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء معنى مبارك» اهـ(٢).

---

١) سيناء بكسر أوله ويفتح اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال: طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، ونودي فيه وهو كثير الشجر. معجم البلدان ٣/٣٠٠.

وقال البكري في (معجم ما استعجم) ٣/٨٩٧: «الطور جبل بيت المقدس، ممتد ما بين مصر وأيلة...»اهـ.

قال أبوالبقاء العكبري (ت٦١٦هـ): «سيناء هو اسم جبل معروف، فإذا فتحت السين كانت همزته للتأنيث البتة لبطلان كونها للالحاق والتكثير؛ لأن «فعلالا» لم يأت في غير المضاعف كـ«الزلزال والقلقال»، ويجوز كسر السين، فعلى هذا تكون الياء فيه زائدة ويكون على «فيعال» مثل ديباج وديماس.

وقد تكون الياء أصلية ويكون كـ«علياء» في كون الهمزة للالحاق.

فإن قلت : فلم لم ينصرف؟. قلت: لاجتماع التعريف والتأنيث لأنها اسم بقعة، وهو مثل دمشق في تأنيثها بغير علامة»اهـ انظر معجم البلدان ٣/٣٠٠ وقارن بـ«املاء مامن به الرحمن» ٢/١٤٨.

قلت : وقد جاء في اسم هذا الموضع «سينين» كما في سورة التين: ﴿**طور سينين**﴾ وليس في كلام العرب اسم مركب من [س. ي. ن] إلا في قول الحرف: «سين». معجم البلدان ٣/٣٠٠ وانظر المعرب للجواليقي ص٣٩٢-٣٩٣ ودائرة المعارف الاسلامية ١٥/٣٢٣-٣٢٧.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٨/١٤،٣٠/٢٤١.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) وردت كلمة «طور سيناء» في موضع آخر من القرآن العظيم غير سورة التين، وهو قوله تبارك وتعالى: **﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾** المؤمنين:٢٠.

(٢) القراءة «سينين» بفتح السين هي لغة بكر وتميم(١).

---

١) البحرالمحيط ٨/٤٩٠.

الفصل الثالث : في القراءات التي أزالت الإشكال عن معنى الآية.

يتضمن هذا الفصل الآيات التي أنتج تنوع القراءات فيها رفع اشكال متوهم في معنى الآية.

وقد رتبتها على حسب ورودها في المصحف الشريف، وعدد المواضع ستة مواضع.

الموضع الأول :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة:١١٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ :

فقرأ الكسائي: ﴿تستطيع﴾ بالخطاب، ﴿ربك﴾ بالنصب.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يستطيع﴾ بالغيب، ﴿ربك﴾ بالرفع(١).

معنى القراءات :

قراءة الكسائي معناها: هل تقدر ياعيسى أن تسأل ربك؟ هل تفعل ذلك لنا؟. وهذا كما تقول للرجل: هل تستطيع أن تكلمني، وقد علمت أنه مستطيع لذلك؛ و إنما معناه: افعل ذلك (٢).

ومعنى قراءة باقي العشرة أي: هل يستجيب لك ربك إن سألته ذلك؟(٣). فهم كانوا عالمين باستطاعة الله وقدرته على ذلك وغيره.

حاصل القراءات :

بينت القراءة بالخطاب ونصب كلمة ﴿ربك﴾ المراد من القراءة بالغيبة وضم كلمة ﴿ربك﴾، ونفت توهم واشكال قد يفهم منها؛ وذلك أن القراءة بالغيبة وضم ﴿ربك﴾ قد يفهم منها أنه سؤال شك في قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا ينافي الايمان الذي أثبته الله تعالى للحواريين في الآية قبلها إذ سياق الآية هكذا: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي. قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ. إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ..﴾ فكيف يكون سؤالهم سؤال شك في قدرة الله وهم مؤمنون؟(٤).

بل سؤالهم كان لعيسى هل يقدر أن يسأل ربه، كما دلت على ذلك قراءة الكسائي، ولا إشكال والحمد لله رب العالمين.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) هذا التقرير الذي دلت عليه الآية بالقراءتين روي عن عائشة

---

١) المبسوط ص١٦٥ النشر٢/٢٥٦.

٢) معاني القرآن للفراء ١/٣٢٥ الكشف ١/٤٢٢.

٣) الكشف ١/٤٢٢-٤٢٣ حجة القراءات ص٢٤٠-٢٤١.

٤) ماسبق .

رضي الله عنها قالت: «كان الحواريون أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، إنما قالوا: هل تستطيع أنت ربك؟ هل تستطيع أن تدعوه؟»(١).

(٢) اختار ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) أن قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ...﴾ المائدة:١١٢ من صلة قوله تعالى في الآية قبلها: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي، قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ المائدة:١١١، وأن تقدير معنى الآية: وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ؟.

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «فبين إذ كان ذلك كذلك أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه وأمرهم بالتوبة ومراجعة الايمان من قيلهم ذلك، والاقرار لله بالقدرة على كل شيء، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار، وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا: ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة:١١٢].»اهـ(٢)قلت : ويلاحظ أن الطبري - رحمه الله - أثبت شك الحواريين في قدرة الله حين سألوا ذلك السؤال، وأنه فهم السؤال على ظاهره في قراءة الجمهور وأنه مع إثباته شك الحواريين لم ينف كونهم قبل السؤال مؤمنين وذلك يؤخذ من قوله رحمه الله: «وأمرهم بالتوبة ومراجعة الايمان من قيلهم ذلك..» ووجّه هذا المعنى الذي اختاره بأن قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ...﴾ من صلة قوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ...﴾.

أقول : إذا صح ما اختاره ابن جرير رحمه الله فيمكن أن يقال: لعل هذا صدر منهم قبل أن يتمكن الايمان في قلوبهم، أو كما قال بعض المفسرين: «قال الحواريون ذلك في صدر الأمر قبل علمهم بآيات عيسى عليه السلام بأنه يبريء الأكمه والأبرص ويحي الموتى»(٣).

---

١) إسناده ضعيف.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (شاكر) ٢١٩/١١ وفي السند عنده ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع بن الجراح قال في التقريب ص٢٤٥: «كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ماليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه»اهـ

قلت : فالأثر ضعيف بهذا السند .

وعزاه في الدر المنثور ٢٣١/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردوية.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٢٢٠/١١.

٣) نقله في البحر المحيط ٥٣/٤.

ويؤيد هذا أن في سؤالهم بعض تعنت، وفي قولهم: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ سؤ أدب إذ لم يقولوا: ياروح الله أو يارسول الله، وفي قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ سؤ أدب(١) لا يتناسب مع كونهم أنصار عيسى عليه السلام والله أعلم.

(٢) اختار الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أن الذين قالوا تلك المقالة لم يكونوا مؤمنين بناء على ظاهر قراءة الجمهور فقال: «إن قلت: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم واخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله: ﴿إذ قالوا..﴾ فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ..﴾ كلام لا يَرِد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته و لاتقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها»اهـ(٢).

قلت : ولم يرتض أبوحيان (ت٧٥٤هـ) رحمه الله هذا فتعقبه بقوله: «أما غير الزمخشري من أهل التفسير فأطبقوا على أن الحواريين كانوا مؤمنين حتى قال ابن عطية (ت٥٤١هـ) لا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين... ... قال ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) لا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شكوا في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الانسان لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع له ولكنه يريد هل يسهل عليك. انتهى.

وقال الفارسي (ت٣٧٧هـ): معناه: هل يفعل ذلك بمسألتك إياه»اهـ(٣).

قلت : ولعل خير جواب عن ظاهر الآية على قراءة الجمهور أن يقال: إن قراءة الكسائي - وهي متواترة - بينت المراد في قراءة الجمهور، ورفعت الإشكال المحتمل فيها، والله أعلم.

(٣) قال السيوطي (ت٩١١هـ) رحمه الله: «نفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والإمكان، وقد يراد به نفي الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة.

من الأول ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [سورة يس:٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

---

١) النهر الماد من البحر ٥٣/٤.
٢) تفسيرالزمخشري ٣٧٢/١.
٣) البحر المحيط ٥٣/٤.

رَدَّهَا﴾ [الأنبياء:٤٠] ﴿فَمَا اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً﴾ [الكهف:٩٧].

ومن الثاني ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة:١١٢] على القراءتين أي: هل يفعل، أو هل تجيبنا إلى أن تسأل، فقد علموا أنه قادر على الإنزال، وأن عيسى قادر على السؤال.

ومن الثالث ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ [الكهف:٧٦].» اهـ(١).

قلت : وهذا الذي قرره السيوطي من معنى نفي الاستطاعة في آية المائدة تؤيده القراءة الثانية التي ذكرت هنا وبالله التوفيق.

---

١) الإتقان (أبوالفضل) ٣/٢٣١-٢٣٢.

الموضع الثاني :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ، قَالَ: عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ الحسن وزيد بن علي وطاووس وعمرو الأسواري: «أصيب به من أساء»(١).

معنى القراءات :

قراءة عامة القراء العشرة: ﴿أصيب به من أشاء﴾ معناها: إن الله عزوجل يصيب بعذابه من يشاء، لا يملك أحد أن يرد ما أراد الله، وهذا الأمر مقرر عند أهل السنة ومحاط بأن الله تعالى لا يظلم عباده، وأنه سبحانه لا يعذب أحدا إلا بما جناه واجترمه على نفسه؛ فهو سبحانه الملك العليم الحكيم(٢).

ومعنى القراءة الشاذة: «أصيب به من أساء» من الاساءة أي: أصيب بعذابي الذين أساؤا، وفيها بيان لعلة استحقاق الاصابة بعذاب الله عزوجل(٣).

حاصل القراءات :

القراءة المتواترة فيها إيهام أن عذاب الله يصيب من يشاء من عباده أساء أو لم يسيء، والقراءة الشاذة أزالت هذا الايهام ودفعته بأن بينت أن الآية تدل بالقراءتين على أن عذاب الله يصيب به من يشاء ممن أساء.

ويلاحظ مايلي :

(١) أن القراءة المتواترة إنما توهم هذا المعنى بالنظر إليها مجردة عن النصوص الأخرى المقررة لعدله سبحانه وحكمته وعلمه .

(٢) قال أبوعمرو الداني (ت٤٤٤هـ) عن القراءة بـ«عذابي أصيب به من أساء» بالسين غير المعجمة: «لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاووس، وعمرو بن فائد رجل سؤ، وقرأ بها سفيان بن عيينة مرة واستحسنها فقام إليه

---

١) المحتسب ٢/٢٦١ زاد المسير ٣/٢٧٠ البحرالمحيط ٤/٤٠٢.

٢) ماسبق .

٣) المحتسب ٢/٢٦١.

عبد الرحمن المقري وصاح به واسمعه. فقال سفيان: لم أدر ولم أفطن لما يقول أهل البدع»اهـ(١).

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «للمعتزلة تعلق بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد، ومن جهة خلق المرء أفعاله وإن اساء لا فعل فيه لله تعالى، والانفصال عن هذا كالانفصال عن سائر الظواهر»اهـ(٢).

قلت : وقد ذُكِر أن الشافعي رحمه الله (ت٢٠٤هـ) اختار هذه القراءة(٣) والله أعلم.

---

١) انظر البحر المحيط ٤٠٢/٤.
٢) ماسبق .
٣) تفسير الرازي ٢١/١٥.

الموضع الثالث :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ سورة طه: ٩٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لنحرقنه﴾:

فقرأ أبوجعفر باسكان الحاء وتخفيف الراء، واختلف راوياه فابن وردان بفتح النون وضم الراء وافقه الأعمش، وابن جماز بضم النون وكسر الراء وافقه الحسن.

وقرأ باقي العشرة بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة، وافقهم ابن محيصن واليزيدي(١).

معنى القراءات :

القراءة بتشديد الراء والقراءة بكسر الرء مخففة من الحرق بالنار، وفي التشديد معنى التكرار، أي: نحرقه مرة بعد مرة(٢).

القراءة بضم الراء من حرقت الحديد إذا بردته فتحات وتساقط والمعنى: لنحرقنه، أي: لنبردنه ولنحتنه حتا ثم لننسفنه في اليم نسفا(٣).

حاصل القراءات :

في الآية بقراءة الجمهور اشكال؛ إذ كيف يحرق العجل وينسف في اليم نسفا وهو من ذهب؟ ولدفع هذا الإشكال أقول: أفادت الآية بالقراءتين أن موسى عليه الصلاة والسلام توعد العجل بأن يحرقه بالنار حرقا شديدا، ويبرده بالمبرد حتى يتحات ويتساقط ثم يذروه في البحر فيضيع فيه.

ويلاحظ مايلي :

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «في مصحف أبي وعبدالله: "لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه" وتوافق هذه القراءة من روى أنه (أي:العجل) صار لحما ودما ذا روح، ويترتب الاحراق بالنار على هذا، وأما اذا كان جمادا مصوغا من الحلي فيترتب برده لا احراقه، إلا ان عني به اذابته.

وقال السدي : أمر موسى بذبح العجل،فَذُبِح وسَال مِنْه الدَّم،ثُمَّ احْرِق ونُسِف رَمَاده.

وقيل : بُرِدَت عِظامه بالمِبْرَد حتى صارت بحيث يمكن نسفها» اهـ(٤).

---

١) المبسوط ص٢٥٠ النشر ٣٢٢/٢ الاتحاف ص٣٠٧.
٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٧٥/٣.
٣) المحتسب ٥٨/٢.
٤) البحرالمحيط ٢٧٦/٦.

الموضع الرابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ اللاتي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غير مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: ٦٠.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس: «فليس عليهن جناح أن يضعن جلابيبهن غير متبرجات»(١).

معنى القراءات :

الثياب في قراءة العامة اسم عام يشمل كل ما يلبس، وسياق الآية يدل أن المراد بالثياب ما تلبسه المرأة فوق ملابسها عند لقاء الأجانب.

قراءة ابن مسعود وابن عباس: «جلابيبهن» الجلباب هو القميص ويطلق على الثوب المشتمل على الجسد كله وعلى الخمار وعلى مايلبس فوق الثياب كالملحفة وعلى الملاءة تشتمل بها المرأة(٢) والمراد هنا هذه المذكورات في الآخر.

حاصل القراءات :

بينت هذه القراءة الشاذة عن ابن عباس وابن مسعود أن المراد بالثياب لا كل الثياب ولكن ما تشتمل به المرأة وتلبسه فوق الثياب العادية التي تلبسها في بيتها، فحاصل القراءات أنها بينت المراد ودفعت إشكال قد يرد من معنى متوهم.

فهنا القراءة الشاذة دفعت الإشكال عن معنى القراءة المتواترة والله أعلم.

---

١) الدرالمنثور ٦/٢٢٢.

٢) عمدة الحفاظ ص٩٦.

الموضع الخامس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ الطور: ٢١.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾:

فقرأ أبوعمرو بقطع الهمزة وفتحها واسكان التاء والعين ونون وألف بعدها، ووافقه اليزيدي.

وقرأ سائر العشرة بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها، ووافقهم الحسن وابن محيصن والأعمش(١).

معنى القراءات :

معنى قراءة الجمهور اخبار من الله تعالى عن ذرية المؤمنين أنها تتبع أباءها في الإيمان(٢)، لكن هل هذا يشمل كل ذرية الذين آمنوا أم لا؟ ليس في القراءة ما يبين ذلك.

قراءة أبي عمرو معناها: إخبار من الله تعالى عن نفسه أنه يوفق من يشاء من ذرية المؤمنين الى الايمان بمثل إيمانهم ويخذل من يشاء فلا يوفقه إلى الايمان(٣)، فبينت هذه القراءة المجمل في قراءة الجمهور.

واختلف المفسرون في هذا على ثلاثة أقوال :

الأول : أن معناها: ألحقنا بهم ذرياتهم من المؤمنين في الجنة وان كانوا لم يبلغوا أعمال أبائهم، تكرمة من الله تعالى لابائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم، روى هذا المعنى ابن جبير عن ابن عباس .

الثاني : أن معناها: بلغت أن آمنت ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان، وروى العوفي هذا عن ابن عباس وبه قال الضحاك، ومعنى هذا القول أن أولادهم الكبار تبعوهم بايمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بايمان الأباء؛ لأن الولد يحكم له بالاسلام تبعا لوالده.

الثالث : واتبعناهم ذرياتهم بإيمان الأباء فأدخلناهم الجنة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(٤).

---

١) المبسوط ص٣٥١ النشر ٣٧٧/٢ الاتحاف ص٤٠٠.
٢) الكشف ٢٩٠/٢.
٣) ماسبق .
٤) زاد المسير ٥٠/٨-٥١.

حاصل القراءتين :

في قراءة الجمهور إجمال قد يتوهم منه أن ذرية الذين آمنوا تتبع أباءها في الايمان؛ فينتج عن ذلك إشكال إذ ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان، فبينت قراءة أبي عمرو هذا الإجمال وزال الإشكال.

بينت قراءة أبي عمرو أن المقصود في الآية من وفقه الله من ذرية المؤمنين إلى الايمان بمثل ايمان أبائهن.

ولذلك قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «ولولا الجماعة لكانت القراءة الأولى (يعني: قراءة أبي عمرو) أحب إلي لصحة معناها؛ ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان، إنما ذلك إلى الله يوفق من يشاء من ذرية المؤمنين إلى الإيمان بمثل إيمانهم ويخذل من يشاء فلا يوفقه إلى الإيمان» اهـ(١).

---

١) الكشف ٢/٢٩٠.

الموضع السادس :

قول الله تبارك وتعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة هذه الآية.

وقرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي بن كعب(١) وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو العالية والسلمي ومسروق وطاووس وسالم بن عبد الله وطلحة: «فامضوا إلى ذكر الله»(٢).

معنى القراءات :

قراءة عامة القراء فيها: ﴿فَاسْعَوْا﴾ وظاهره وجوب السعي وأنه يكون في المشي خفة وسرعة(٣) لأن السعي عدو دون الشد من سعى يسعى سعيا(٤).

القراءة الشاذة: «فامضوا» أي: امشوا دون سرعة.

حاصل القراءات :

قراءة عامة القراء فيها إيهام حيث قال: ﴿فَاسْعَوْا﴾ وهذا يخالف ما جاء عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»(٥).

وبينت القراءة الشاذة المراد من السعي في القراءة المتواترة وأنه السعي القلبي، بمعنى اهتموا بها وانشغلوا بها وأقبلوا عليها فلا تفوتكم، فبينت أن «السعي» يقصد به «المضي»، لأن «المضي» ليس من مدلوله السرعة(٦).

ففي التعبير بـ﴿فَاسْعَوْا﴾ مكان «فامضوا» تنبيه إلى أن المطلوب وقت سماع النداء للجمعة الإقبال بالنية والإرادة والعمل والخشوع والسكينة

---

١) سبق تخريج هذه القراة عنهم ص ١٤٥-١٤٦.

٢) المحتسب ٢/٣٢١-٣٢٢.

٣) البحر المحيط ٨/٢٦٨.

٤) حديث صحيح .
أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب لا يسعى إلى الصلاة حديث رقم (٦٣٦) ومسلم في كتاب المساجد باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة.. حديث رقم (٦٠٢) واللفظ له.

٥) النشر ١/٢٩ مناهل العرفان ١/١٤١.

٦) لسان العرب ١٤/٣٨٥.

في المشي إليها، وهذا ما فهمه السلف رضوان الله عليهم قال الحسن البصري في هذه الآية: «أمَا والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، لكن بالقلوب والنية والخشوع»(١).

قال قتادة في هذه الآية أيضا: «فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها»(٢).

قال مالك بن أنس: «وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذا تولّى سعى في الأرض﴾ [البقرة:٢٠٥] وقال تعالى: ﴿وأمّا مَنْ جاءك يسْعَى . وهو يَخْشَى﴾ [عبس:٨] وقال: ﴿ثُمّ أدْبَر يسْعَى﴾ [النازعات:٢٢] وقال: ﴿إنّ سَعْيَكُم لشتّى﴾ [الليل:٤].

قال مالك : فليس العمل الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عني العمل والفعل» اهـ(٣).

وقرر الشافعي ما قاله مالك رحمهما الله(٤).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن الآية على القراءة المتواترة فيها قرينة تدل على أنه لا يقصد بـ«السعي» سرعة المشي، وتتلخص هذه القرينة في تعدية الفعل «سعى» بحرف الجر «إلى».

قال ابن منظور (ت٧١١هـ): «وسعى إذا مشى، وسعى إذا عمل، وسعى إذا قصد، واذا كان بمعنى المضي عدي بـ«إلى» وإذا كان بمعنى العمل عدي باللام، والسعي القصد» اهـ(٥).

(٢) حمل القرطبي (ت٦٧١هـ) وأبوحيان (ت٧٥٤هـ) هذه القراءة الشاذة على أنها قراءة تفسيرية.

قال القرطبي بعد ايراده للآثار التي ذكرت هذه القراءة: «وهو كله

---

١) ابن أبي شيبة في المصنف ١٥٧/٢.
وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ١٦٢/٨ إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٠٠/٢٨.
وعزاه في الدر المنثور ١٦٢/٨ إلى عبد بن حميد والبيهقي في الشعب.

٣) موطأ مالك (عبدالباقي) ١٠٧/١.

٤) الأم ١٩٦/١.

٥) لسان العرب ٣٨٥/١٤.

تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل، وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير»اهـ(١).

قال أبوحيان عن ذلك أيضا: «وينبغي أن يحمل على التفسير من حيث أنه لا يراد بالسعي هنا الإسراع في المشي، ففسروه بالمضي، ولا يكون قرآنا لمخالفته سواد ما أجمع عليه المسلمون»اهـ(٢).

قلت : الذي يظهر - والله أعلم - أنه لا يصح الجزم بقرآنيتها لمخالفتها للرسم، كما لا يصح الجزم بعدم قرآنيتها لاحتمال أن تكون من الأحرف التي لم يجمع عليها عثمان رضي الله عنه الناس عليها، وعلى كل حال فإنه يستفاد منها في التفسير، والله أعلم.

أما ماورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قيل له: «إن أبيا يقرؤها: ﴿فاسْعَوْا﴾ قال: أمَا إنه أقرؤنا واعلمنا بالمنسوخ، وإنما هي«فامضوا».» ؛ فإنه لم يصح عنه بهذا السياق(٣).

---

١) تفسيرالقرطبي ١٠٢/١٨.

٢) البحرالمحيط ٢٦٨/٨.

٣) إسناده ضعيف بهذا السياق .

أخرجه الطبري (دارالفكر) ٩٩/٢٨-١٠٠ من طريق إبراهيم النخعي عن عمر.

قلت : إبراهيم لم يلق عمر كما نص على ذلك ابن أبي حاتم في كتاب «المراسيل» ص ١٧-١٨.

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥٧/٢ من طريق مغيره عن إبراهيم عن خرشة نحوه مختصرا على ذكر قراءة عمر فقط دون ذكر نسخ القراءة.

قلت : مغيرة هو ابن مقسم ثقة متقن إلا أنه كان يدلس عن إبراهيم كما قال ابن حجر في التقريب ص ٥٤٣.

ويلاحظ : أن هذا الطريق قد يعضد الأول فيرقيه إلى مرتبة الحسن لغيره، ولكن بدون قول عمر بنسخ القراءة المتواترة، فيبقى على حاله من الضعف والله أعلم.

وعزى هذا الأثر في كنز العمال ٥٩٢/٢ من طريق خرشة بن الحر عن عمر إلى أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف.

في هذا الأثر بهذا السياق نكارة في المتن، إذ كيف تكون هذه القراءة ﴿فاسْعوا﴾ منسوخة ثم يجمع عليها الصحابة، ثم لم أثبتها عمر في المصحف الذي كان عنده، ثم عند حفصة ابنته ومنها أخذه عثمان ونسخ المصحف، وبالله التوفيق.

الباب الثالث
القراءات المتعلقة بالعموم والإطلاق والإجمال

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في القراءات المتعلقة بالعموم .

الفصل الثاني : في القراءات المتعلقة بالإطلاق .

الفصل الثالث : في القراءات المتعلقة بالإجمال .

يشتمل هذا الباب على القراءة العامة الدلالة التي جاء ما يخصصها في قراءة أخرى، أو ما يخصص بعض أفرادها بالذكر، أو ما يبين أنها عامة أريد بها الخصوص، كما يشتمل على القراءة المطلقة التي جاء ما يقيدها في قراءة أخرى، ويشتمل على القراءة المجملة التي جاء مايبين المراد منها في قراءة أخرى.

وبناء على هذا التقسيم فقد قسمت هذا الباب على ثلاثة فصول كما يلي :

الفصل الأول : في القراءات المتعلقة بالعموم .

يتضمن هذا الفصل الآيات التي أنتج اختلاف القراءات ما سبيله في مباحث العموم، كالقراءة العامة التي خصصت بعض أفراد العام بالذكر، أو القراءة العامة التي ورد في قراءة أخرى ما يبين أن المراد بها الخصوص، وقد سقت المواضع حسب ورودها في المصحف الشريف، وعددها ثلاثة عشر موضعا.

وقد مهّدت لهذا الفصل بالتمهيد التالي :

تمهيد : في تعريف العموم .

ويتضمن النقاط التالية :

(١) العام في اللغة والاصطلاح .

(٢) معنى التخصيص .

(٣) أنواع العام .

وإليك البيان :

(١) العام في اللغة والاصطلاح .

العام في اللغة من عم يعم إذا شمل الجميع، تقول عمهم الأمر يعمهم عموما أي: شملهم يقال عمهم بالعطية(١) أي: شملهم بها فردا فردا.

العام في إصطلاح الأصوليين: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، دفعة بلا حصر(٢).

فخرج بقولهم: «مستغرق لجميع ما يصلح له» مالم يستغرق نحو قولك: بعض الحيوان انسان.

وخرج بقولهم: «بحسب وضع واحد» المشترك اللفظي كـ«العين» فلايسمى عاما بالنسبة الى شموله الجارية والباصرة؛ لأنه لم يوضع لهما وضعا واحدا بل لكل منهما وضع مستقل.

وخرج بقولهم: «دفعة» ماكان عمومه بدلي لا دفعي شمولي كما في عموم المطلق فإنه بدلي كالنكرة في سياق الاثبات تقول: «شاهدت رجلا» فكلمة «رجل» مستغرقه، ولكن استغراقها بدلي لا دفعة واحدة فهي تصدق على أي رجل، ولكنها لا تتناول أكثر من واحد منهم دفعة واحدة.

وخرج بقولهم: «بلاحصر» لفظ عشرة مثلا؛ فإنه محصور باللفظ فلا يكون من صيغ العموم على رأي الأكثرين.

---

١) معجم مقاييس اللغة ١٨/٤ لسان العرب ٤٢٦/١٢.

فائدة : انظر حول العموم والخصوص والألفاظ العربية في «الصاحبي» ص٣٤٤ ومابعدها، وفي «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» ٤٢٦/١ وما بعدها.

٢) حرر هذا التعريف الشنقيطي في مذكرة أصول الفقه ص٢٠٣.

وانظر روضة الناظر ص١٩٤ واحكام الآمدي ٢٨٦/٢-٢٨٨ تفسير النصوص ٩/٢-١١.

(٢) معنى التخصيص :

في اللغة من خص يخص ، تقول: خصه بالشيء يخصه أفرده به دون غيره(١).

وفي اصطلاح الأصوليين: تخصيص العام قصره على بعض أفراده بدليل متصل أو منفصل(٢).

(٣) أنواع العام :

العام ثلاثة أنواع :

الأول : العام الباقي على عمومه .

كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ هود:٦، فكلمة ﴿دَابَّة﴾ نكرة في سياق النفي تفيد العموم، ولا مخصص لدلالة الآية.

وكقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُم أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ النساء:٢٣؛ فكلمة ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ جمع مضاف يفيد العموم فأم كل واحد محرمة عليه، ولا مخصص لدلالة الآية.

الثاني : العام المراد به الخصوص .

كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ آل عمران:١٧٣ فمن المعلوم بضرورة العقل أن المراد بكلمة ﴿النَّاس﴾ لا كل الناس منذ فجر البشرية، وإنما المراد ناسا معينين.

الثالث : العام المخصص .

كقوله تعالى: ﴿والعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر:١-٣، فكلمة ﴿الإِنسَانَ﴾ معرف بأل للاستغراق، أي: كل إنسان في خسر، وجاء الاستثناء فخصص من الوقوع في الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر(٣).

وبعد هذه المقدمة أسوق هنا المواضع التي جاءت على هذا السبيل، مراعيا ترتيب المصحف الشريف وقد بلغ عددها ثلاثة عشر موضعا، وهذه المواضع هي التالية :

---

١) لسان العرب ٢٤/٧.

٢) التعريفات ص٥٣ وانظر الأحكام للآمدي ٤٠٧/٢-٤١٠.

٣) الإتقان (أبوالفضل) ٤٤/٣-٤٦ تفسير النصوص١٠٢/٢-١٠٥ دراسات في القرآن الكريم ص١٧٩-١٨١.

الموضع الأول :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ، عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَاشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ، وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ، ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ، تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٧.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة: ﴿وابتغوا ما كتب الله﴾.

وقرأ الحسن البصري والحسن بن قرة: «واتبعوا» من الاتباع ورويت عن ابن عباس(١).

عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عباس: كيف تقرأ هذه الآية: ﴿وابتغوا﴾ أو «اتبعوا»؟. قال: أيتها شئت، قال: عليك بالقراءة الأولى»(٢).

وقرأ الأعمش: «واتوا ما كتب الله لكم» وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف(٣).

معنى القراءات :

معنى القراءة المتواترة: ﴿وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الابتغاء وفي المراد أقوال(٤):

الأول : ابتغوا الولد، يدل عليه أنه عقيب قوله: ﴿فالآن بَاشِرُوهُنَّ﴾ وقال بعض أهل العلم: لمَّا كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد فقال: ﴿وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يريد الولد(٥).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «لمَّا أبيحت لهم المباشرة أمروا بطلب ما قسم الله لهم، و أثبته في اللوح المحفوظ من الولد وكأنه أبيح لهم ذلك لا لقضاء

---

١) تفسيرالقرطبي ٣١٨/٢ البحرالمحيط ٢/ ٥٠ الدرالمنثور١/ ٤٧٩.

٢) إسناده صحيح.

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٧١/١ ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٥٠٨/٣.

وعزاه في الدر المنثور ٤٧٩/١ إلى سعيد بن منصور وعبدبن حميد وابن أبي حاتم.

٣) تفسيرالزمخشري ١١٥/١ البحرالمحيط ٢/ ٥٠.

٤) زاد المسير ١٩٢/١ تفسيرالقرطبي ٣١٨/٢ البحرالمحيط ٢/ ٥٠.

٥) زاد المسير ١٩٢/١.

الشهوة فقط، لكن لابتغاء ما شرع الله النكاح له من التناسل»اهـ(١).

قلت : هذا قول ابن عباس ومجاهد والحكم بن عتيبة وعكرمة والحسن والسدي والربيع والضحاك(٢).

الثاني : هو محل الوطء، أي: ابتغوا المحل المباح الوطء فيه دون مالم يكتب لكم من المحل المحرم لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة:٢٢٢.

الثالث : هو ما أباحه بعد الحظر، أي: ابتغوا الرخصة والإباحة والتوسعة.

قلت : هذا قول قتادة وابن زيد، واستحسنه ابن عطية (ت٥٤٢هـ)(٣).

الرابع : وابتغوا ليلة القدر.

قلت : روي هذا القول عن ابن عباس و معاذ بن جبل(٤).

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «وهو قريب من بدع التفاسير»اهـ(٥).

قلت : عدّه الكرماني (توفي بعد ٥٠٠هـ) من عجائب التفسير(٦).

الخامس : هو القرآن، أي: ابتغوا القرآن فما أبيح لكم وأمرتم به فهو المبتغى.

قلت : صحح هذا القول الزجاج(٧) (ت٣١١هـ).

السادس : هو الأحوال والأوقات التي أبيح لكم المباشرة فيهن لأن المباشرة تمتنع في الحيض والنفاس والعدة والردة.

السابع : هو الزوجة أو المملوكة كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ المؤمنون: ٦.

ومعنى القراءة الشاذة: «واتوا ما كتب الله لكم» أي: ابتغوا المحل المباح الوطء فيه، والمعنى: افعلوا ما أذن الله لكم في فعله من غشيان النساء في جميع ليلة الصيام(٨).

وقراءة الحسن: «واتبعوا ما كتب الله لكم» معناها: اتبعوا القرآن فما أبيح لكم وأمرتم به فهو المبتغى.

---

١) البحر المحيط ٢/٥٠.
٢) تفسير القرطبي ٢/٣١٨.
٣) انظر تفسير القرطبي ٢/٣١٨.
٤) زاد المسير ١/١٩٢.
٥) تفسير الزمخشري ١/١١٥.
٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٢٠١.
٧) معاني القرآن واعرابه للزجاج ١/٢٥٦.
٨) البحرالمحيط ٢/٥٠.

حاصل القراءات :

القراءة الشاذة ترجح المعنى الأول والثاني من معاني القراءة المتواترة.

وقراءة الحسن ترجح المعنى الخامس من معاني القراءة المتواترة.

ولا مانع من إرادة جميع هذه المعاني المذكورة في معنى القراءة المتواترة، وقراءة الحسن: «واتبعوا ما كتب الله لكم» تؤيد ذلك جميعه فهي على العموم.

ويلاحظ أن القراءة المتواترة ذكرت فرداً من أفراد العموم المستفاد من قراءة الحسن فلا تفيد التخصيص، لكن تفيد مزيد اهتمام بهذا الأمر الذي يدل عليه السياق وهو ابتغاء الولد، ويرجحه القراءة الشاذة: «واتوا ماكتب لكم».

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) بعد ذكر القول الخامس من معاني القراءة المتواترة: «... ويرجحه قراءة الحسن ومعاوية بن قرة: «واتبعوا» من الاتباع ورويت أيضا عن ابن عباس»اهـ(١).

وقال كذلك رحمه الله بعد ذكره أن معنى القراءة المتواترة: افعلوا ما أذن الله لكم في فعله من غشيان النساء في جميع ليلة الصيام قال: «ويرجح هذا قراءة الأعمش: «واتوا ما كتب الله لكم» وهي قراءة شاذة لمخالفتها سواد المصحف»اهـ(٢).

ويلاحظ مايلي :

قال أبوجعفر الطبري (٣١٠هـ) عند تفسيره لهذه الآية: «والصواب من القول في تأويل ذلك - عندي - أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: ﴿وَابْتَغُوا﴾ بمعنى اطلبوا ﴿مَاكَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني الذي قضى الله تعالى لكم.

وإنما يريد الله تعالى ذكره اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ انه يباح فيطلق لكم، وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة، مما كتب الله له في اللوح المحفوظ، وكذلك إن طلب ليلة القدر فهو مما كتب الله له، وكذلك إن طلب ما أحل الله وأباحه فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ.

وقد يدخل في قوله: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جميع معاني الخير المطلوبة، غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال معناه: وابتغوا ما

---

١) البحر المحيط ٥٠/٢.
٢) ماسبق .

كتب الله لكم من الولد؛ لأنه عقيب قوله: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ بمعنى: جامعوهن، فلأن يكون قوله: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بمعنى: وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل، أشبه بالآية من غيره من التأويلات التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل، ولا خبر عن الرسول ﷺ» اهـ(١).

قلت : ما قاله - رحمة الله عليه - من الأشبه بمعنى القراءة المتواترة هو الظاهر، لكن ورود القراءة الأخرى يدل على باقي المعاني، وهي مقبولة في التفسير على كل حال والله أعلم.

---

١) تفسير الطبري (شاكر) ٣/٥٠٨-٥٠٩.

الموضع الثاني :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ البقرة: ١٩٨.

هكذا قرأها عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن عباس وابن الزبير: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج»(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه، فنزلت: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج». قرأها ابن عباس»(٢).

معنى القراءات :

تفيد القراءة المتواترة إباحة مطلق ابتغاء فضل الله (يعني: التجارة) في كل زمان ومكان دون تخصيص.

وتفيد القراءة الشاذة تخصيص بعض أفراد هذا العموم بالذكر وهو: «مواسم الحج»، وذكر بعض أفراد العموم لا يفيد تخصيص العام، إنما يفيد خصوصية هذا الفرد بمزيد اهتمام بالحكم المذكور والله أعلم.

حاصل القراءات :

القراءة المتواترة عامة والقراءة الشاذة خاصة إذ خصصت بعض أفراد القراءة المتواترة بالذكر اهتماما به، ولازالة التأثم الذي شعر به بعض الصحابة من اتجارهم في الحج إذ كان محلا لأسواقهم في الجاهلية.

---

١) البحر المحيط ٢/٩٤.

٢) إسناده صحيح.

أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها كتاب البيوع باب ماجاء في قول الله عزوجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ [الجمعة:١٠-١١] والسياق لهذا الموضع، وفي كتاب الحج باب التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية.

وأخرجه أبوداود في كتاب الحج باب التجارة في الحج حديث رقم (١٧٣٢) وفي باب الكرى حديث رقم (١٧٣٤) والحاكم في المستدرك ١/٤٤٩، ٤٨١-٤٨٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/٣٣٣-٣٣٤.

وأخرج هذه القراءة عن ابن عباس أبوعبيد في فضائل القرآن ص٢٣٦ أثر رقم (٥٦٥) والطبري في تفسيره (شاكر) ٤/١٦٥، ١٦٦، ١٦٨ وابن أبي داود في المصاحف ص٨٤.

ويلاحظ مايلي :

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «والأولى جعل هذا تفسيرا (يعني: قراءة ابن عباس) لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة» اهـ(١).

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «وقراءة ابن عباس: «في مواسم الحج» معدودة من الشاذ الذي صح اسناده وهو حجة وليس بقرآن» اهـ(٢).

وقال أيضا: «... فهي (يعني قراءة ابن عباس) على هذا من القراءة الشاذة، وحكمها عند الأئمة حكم التفسير» اهـ(٣).

---

١) البحر المحيط ٢/٩٤.

٢) فتح الباري ٤/٢٩٠.

٣) ماسبق ٣/٥٩٥.

الموضع الثالث :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران:٣٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿فناداه الملائكة﴾(١).

وقرأ ابن مسعود: «فناداه جبريل»(٢).

قال الطبري: «حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج قال: حدثنا عبدالرحمن بن أبي حماد: إن قراءة ابن مسعود: «فناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب».»اهـ(٣).

حاصل القراءات :

بينت قراءة ابن مسعود أن الاطلاق في اللفظ العام ﴿الملائكة﴾ على القراءة المتواترة انما من باب اطلاق العام و إرادة الخاص.

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «الظاهر أن مناديه جماعة من الملائكة لصيغة اللفظ، وقد بعث تعالى ملائكة إلى قوم لوط وإلى ابراهيم وفي غير ما قصة، وذكر الجمهور أن المنادي هو جبريل وحده، ويؤيده قراءة عبدالله في مصحفه: «فناداه جبريل وهو قائم».»اهـ(٤).

وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «وإنما قيل الملائكة على قولهم: «فلان يركب الخيل».»اهـ(٥).

قال أبوحيان مفسرا مراد الزمخشري: «يعني: أن الذي ناداه هو من جنس الملائكة لا يريد خصوصية الجمع، كما أن قولهم: «فلان يركب الخيل» لا

---

١) المبسوط ص١٤٢ النشر ٢/٢٣٩.

٢) تفسير الطبري (شاكر) ٦/٣٦٤ تفسير القرطبي ٤/٧٤ البحرالمحيط ٢/٤٤٦.

٣) إسناده ضعيف .

أخرجه الطبري (شاكر) ٦/٣٦٤.

قلت : وفي السند المثنى شيخ الطبري وهو الأبلي لم أقف له على ترجمة، وإسحاق ابن الحجاج أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٢١٧ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

٤) البحرالمحيط ٢/٤٤٦.

٥) تفسير الزمخشري ١/١٨٨.

يريد خصوصية الجمع وإنما يريد مركوبه من هذا الجنس، وخرج عليها﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ...﴾[آل عمران:١٧٣] وهو نعيم بن مسعود» اهـ(١).

قلت : يعني أبوحيان رحمه الله أن هذه الآية من باب العام الذي أريد به الخاص.

---

١) البحرالمحيط ٢/٤٤٦.

قلت : وقد توسّع الإمام الشافعي في كتابه «الرسالة» ص٥٨-٦٢ في تقرير هذا المعنى في «باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص».

الموضع الرابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُون﴾ التوبة: ١٧.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿مسَاجِدَ ٱللَّهِ﴾ :

فقرأ أبوعمرو ويعقوب وابن كثير: ﴿مَسْجِد اللَّه﴾ على الإفراد، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ باقي العشرة: ﴿مَسَاجِد اللَّه﴾ على الجمع، وافقهم الحسن والأعمش(١).

معنى القراءات :

القراءة بالتوحيد: ﴿مَسْجِد اللَّه﴾ المراد المسجد الحرام بمكة بدليل قوله بعدها: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ التوبة:٢٨.

قال أبوعمرو : وتصديقها قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ التوبة: ١٩(٢).

ويحتمل أن المراد بالافراد الجنس فيدخل المسجد الحرام في مقدمته(٣).

القراءة بالجمع : ﴿مسَاجِدَ اللَّه﴾ فيها أوجه:

الأول : أن المراد جميع المساجد، فيدخل المسجد الحرام دخولا أوليا وأولويا على طريق الكناية كما لو قلت: «فلان لا يقرأ كتب الله» فإنك أكدت نفي قراءته للقرآن من تصريحك بذلك، أو من باب وضع المفرد مكان الجمع والعكس كقولك: «فلان كثير الدرهم» و «فلان يجالس الملوك» وهو يملك دراهم كثيرة، ولا يجالس إلا ملكا واحدا.

الثاني : أن المراد المسجد الحرام، وأطلق عليه الجمع إما باعتبار أن كل مكان منه مسجد، وإما لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها(٤).

---

١) المبسوط ص١٩٣ النشر٢٧٨/٢ الاتحاف ص٢٤٠.
٢) معاني القرآن للنحاس ١٩١/٣ حجة القراءات ص٣١٦.
٣) البحرالمحيط ١٨/٥ الاتحاف ص٢٤٠.
٤) معاني القرآن للنحاس ١٩١/٣ البحرالمحيط ١٩/٥.

حاصل القراءات :

أفادت الآية بقراءة من قرأ: ﴿مسَاجد﴾ بالجمع نفي أن يعمر المشركون، أي: مسجد من المساجد.

وأفادت القراءة بالإفراد تعيين المسجد الحرام بالذكر تأكيدا لشأنه في ذلك، فالقراءتان من باب ذكر بعض أفراد العموم، وهي لا تفيد التخصيص، وإنما تفيد التأكيد والاهتمام بهذا الفرد.

ويلاحظ مايلي :

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «واتفقوا على الجمع بالحرف الثاني: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٨] لأنه يريد جميع المساجد» اهـ(١).

قلت : لا شك أن اتفاقهم على الجمع في هذا الحرف إنما هو لأن القراءة سنة متبعة متلقاة عن الرسول ﷺ.

---

١) النشر ٢/٢٧٨.

الموضع الخامس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ: يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ مريم: ٢٣.

تنوعت القراءات في قول: ﴿كُنتُ نَسْيًا﴾:

فقرأ حمزة وحفص في روايته عن عاصم بفتح النون: ﴿نَسْيًا﴾.

وقرأ باقي العشرة بكسرها: ﴿نِسْيًا﴾(١).

وقرأ محمد بن كعب القرظي وبكر بن حبيب السهمي: «نسئا» بفتح النون مهموزة(٢).

معنى القراءات :

القراءة بفتح النون وبكسرها لغتان بمعنى الشيء الحقير الذي لا قيمة له، ولا يحتاج إليه(٣) ومن شأنه أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث(٤).

القراءة بفتح النون مهموزة من نسأت اللبن أنسؤه نسئا؛ وذلك أن تأخذ حليبا فتصب عليه ماء، واسمه: «النسء» و «النسيء» والمعنى: ياليتني مت قبل هذا وكنت كهذا اللبن المخلوط بالماء في قلته وحقارة حاله(٥).

حاصل القراءات :

تمنت مريم رضي الله عنها لو أنها ماتت قبل هذا، وكانت كالشيء المحتقر ينساه أهله، وفي القراءة بالهمز بينت فردا من الافراد التي تمنت أن تكون مثلها في قلته وحقارته وهوانه على أهله.

---

١) المبسوط ص٢٤٣ النشر٢/٣١٨ الاتحاف ص٢٩٨.
٢) المحتسب ٢/٤٠.
٣) الكشف ٢/٨٦.
٤) البحرالمحيط ٦/١٨٣.
٥) المحتسب ٢/٤٠.

الموضع السادس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج:٥.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة فصلت: ٣٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿وَرَبَتْ﴾ :

فقرأ أبوجعفر: ﴿ربأت﴾ بهمزة مفتوحة بعد الباء في الموضعين.

وقرأ سائر العشرة: ﴿ربَت﴾ بحذف الهمزة فيها، ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن والأعمش(١).

معنى القراءتين :

القراءة بـ﴿ربأت﴾ بالهمزة أي: ارتفعت، وأشرفت يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا أي: يرتفع بها عنه(٢).

القراءة بـ﴿ربَت﴾ دون همز، أي: زادت وانتفخت(٣).

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «من قرأ: ﴿وربَت﴾ فهو من ربا يربو إذا زاد على أي الجهات» اهـ(٤).

قال أبوالفتح ابن جني (٣٩٢هـ): «المسموع في هذا المعنى: "ربت"؛ لأنه من ربا يربو إذا ذهب في جهاته زائداً وهذه حال الأرض إذا ربت، وأما الهمز فمن ربأت القوم إذا أشرفت مكانا عاليا لتنظر لهم وتحفظهم، وهذا إنما فيه الشخوص والانتصاب وليس له دلالة على الوفور والانبساط، إلا أنه يجوز أن يكون ذهبه على علو الأرض لما فيه من افراط الربو، فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها، فلذلك همز وأخذه من

---

١) المبسوط ص٢٥٦ النشر ٣٢٥/٢ الاتحاف ص٣١٣.

٢) معاني القرآن واعرابه ٤١٣/٣ البحرالمحيط ٣٥٣/٦.

٣) البحرالمحيط ٣٥٣/٦.

٤) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٤١٣/٣.

ربأت القوم، أي: كنت لهم طليعة، وهذا مما يذكر أحد أوصافه فيدل على بقية ذلك وما يصحبه» اهـ(١).

حاصل القراتين :

قراءة الجمهور دلت على أن نزول المطر يجعل النبات يزداد من كل الجهات دون تنصيص على جهة دون جهة، وجاءت قراءة أبي جعفر: ﴿ربأت﴾ لتدل على زيادة النبات من جهة العلو فهو يعلو ويشرف على ما حوله، ففيها ذكر بعض أفراد العام في قراءة الجمهور، ولا يفيد التخصيص إنما يفيد التنصيص على أهم مظاهر الزيادة في النبات إذا نزل الغيث ، وليؤكد حصول الزيادة.

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) تضمنت الآية دليلين على البعث :

الدليل الأول : في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثم لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ، وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

الدليل الثاني : في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

(٢) لمّا كان الدليل الأول بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئيين قال: ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم...﴾ فلم يُحل في جميع رتبه على الرؤية ولمّا كان هذا الدليل الثاني مُشَاهَداً للأبصار أحال ذلك على الرؤية فقال: ﴿وترى الأرض...﴾ أي: ترى أيها السامع أو المجادل الأرض الهامدة...

ولظهور هذا الدليل تكرر في القرآن العظيم(٢).

---

١) المحتسب ٢/٧٤.

٢) البحرالمحيط ٦/٣٥٣.

الموضع السابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ للذين يُقَاتَلُونَ بأَنَّهم ظُلِمُوا وإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهم لَقَدِيرٌ﴾ الحج: ٣٩.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿يُقَاتَلُونَ﴾.

فقرأ أبوجعفر ونافع وحفص عن عاصم، وابن عامر بفتح التاء: ﴿يُقَاتَلُونَ﴾.

وقرأ سائر العشرة بكسرها: ﴿يُقَاتِلُونَ﴾(١).

معنى القراءتين :

القراءة بفتح التاء: ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ الفعل مبني للمجهول والمعنى: أذن الله للمسلمين الذين يقاتلهم الكفار أن يقاتلوهم؛ لأن المشركين يقتلون أصحاب النبي ﷺ وكان المؤمنون ممسكون عن القتال؛ لأنهم لم يؤمروا به فأذن الله لهم أن يقاتلوا من قاتلهم(٢).

القراءة بكسر التاء: ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ أي: يقاتلون عدوهم الظالم لهم باخراجهم من ديارهم(٣) فالآية بهذه القراءة فيها إذن بقتال المسلمين لمن ظلمهم سواء ظلمهم بقتال أم بغيره.

حاصل القراءتين :

يأذن الله للمؤمنين بقتال من ظلمهم وخصوصا من ظلمهم بأن قتل منهم.

ويلاحظ مايلي :

أن الآية بالقراءة بكسر التاء عامة فيها اذن للمسلمين بقتال من ظلمهم أي ظلم.

والقراءة بفتح التاء ذكر فيها الاذن للمسلمين بقتال من قاتلهم فقط، وليس بين القراءتين اختلاف حتى يجمع بينها بحمل العام على الخاص، بل القراءة بفتح التاء هي من باب ذكر بعض أفراد العموم ولا تفيد التخصيص.

---

١) المبسوط ص٢٥٨ النشر٢/٣٢٦.

٢) حجة القراءات ص٤٧٨-٤٧٩.

٣) ماسبق.

الموضع الثامن :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ الفرقان: ٦١.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿سراجاً﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم السين والراء بلا ألف: ﴿سُرُجاً﴾.

وقرأ باقي العشرة بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها: ﴿سِراجاً﴾ ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن.

وقرأ الأعمش والنخعي وابن وثاب بضم السين وسكون الراء(١).

معنى القراءات :

القراءة بضم السين والراء بلا ألف: ﴿سُرُجاً﴾ المعنى: الشمس والكواكب العظام معها، وكذا القراءة بضم السين وسكون الراء.

القراءة بكسر السين وفتح الراء وألف: ﴿سِراجاً﴾ أي: الشمس(٢).

حاصل القراءات :

على القراءة بضم السين والراء بلا ألف يكون في الآية ذكر لبعض أفراد العام؛ حيث يكون المعنى تبارك الذي جعل في السماء كواكب؛ لأن كل كوكب سراج، وهي تطلع مع القمر وهو منها، فيكون افراده بالذكر لبيان فضله وتشريفه.

وعلى القراءة بكسر السين وفتح الراء يكون في الآية ذكر الشمس والقمر لبيان شرفها(٣).

---

١) المبسوط ص٢٧٢ النشر٢/٣٣٤ الاتحاف ص٣٣٠.

٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٧٤ تفسير القرطبي ١٣/٦٥.

٣) معاني القرآن للنحاس ٥/٤٣-٤٤ البحرالمحيط ٦/٥١١.

الموضع التاسع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ الروم: ٢٢.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾ :

فقرأ حفص في روايته عن عاصم بكسر اللام: ﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾.

وقرأ باقي العشرة بفتح اللام: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

معنى القراءتين :

أفادت القراءة بكسر اللام أن التبصر لهذه الآيات المذكورة إنما يكون من العلماء، وهم ذوو العلم، خصهم الله تعالى بهذا لأنهم أهل النظر والاستنباط والاعتبار دون الجاهلين الذين هم في غفلة وسهو عن تدبر الآيات والتفكر فيها كما قال تعالى: ﴿وما يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت:٤٣، فأخبر أن الذين يعقلون الأمثال والآيات هم العالمون دون الجاهلين، ولو عقلها الجميع لم يكن لعالم فضل على جاهل.

القراءة بفتح اللام: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ معناها: جميع المخلوقات فـ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة:١، والعالم: جميع المخلوقات في كل أوان فذلك أعم في جميع الخلق، إذ الآيات والدلالات على توحيد الله يشهدها العالم والجاهل، فهي آية للجميع، وحجة على كل الخلق، ليست بحجة على العالم دون الجاهل، فكان العموم أولى بذلك(٢).

حاصل القراءتين :

في القراءة بكسر اللام ذكر بعض أفراد العموم حيث عممت القراءة بفتح اللام: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ فجعلت هذه آيات لجميع البشر، وخصصت القراءة بكسر اللام بعض أفراد هذا العموم بالذكر وهم العلماء تنبيها لخاصية العالم في الفهم والاعتبار والاستنباط.

---

١) المبسوط ص٢٩٤ النشر٢/٢٤٤ الاتحاف ص٣٤٨.

٢) الكشف ٢/١٨٣-١٨٤.

الموضع العاشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ الأحزاب:٦٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود: «وكان عبدا لله وجيها»(١) وهي قراءة الأعمش وأبي حيوة(٢).

معنى القراءتين :

قراءة العشرة فيها اثبات كون موسى ﷺ وجيها عند الله سبحانه وتعالى، ولم تتعرض لوجاهته عند الناس.

قراءة ابن مسعود فيها اثبات الوجاهة لموسى ﷺ دون تعيين.

حاصل القراءتين :

بينت الآية بقراءة ابن مسعود وجاهة موسى ﷺ وخصصت قراءة الجمهور كون وجاهته ﷺ عند الله تعالى، ولا اختلاف بين القراءتين فقراءة الجمهور ذكرت بعض أفراد العموم في قراءة ابن مسعود، ووجه التخصيص أنه أشرف وأفضل والله أعلم.

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): «قراءة الكافة أقوى معنى من هذه القراءة (يعني: قراءة ابن مسعود) وذلك أن هذه إنما يفهم منها أنه عبد لله، ولا تفهم منها وجاهته عند من هي ؟ أعند الله أم عند الناس؟.

وأما قراءة الجماعة فإنها تفيد كون وجاهته عند الله، وهذا أشرف من القول الأول، لإسناد وجاهته إلى تعالى وحسبه هذا شرفا» اهـ(٣).

---

١) المحتسب ١٨٥/٢.
٢) البحرالمحيط ٢٥٣/٧.
٣) المحتسب ١٨٥/٢، وقد سبقه إلى هذا ابن الأنباري (ت٣٢٧هـ) ونقل كلامه القرطبي في تفسيره ٢٥٢/١٤.

الموضع الحادي عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر:٣٦.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ :

فقرأ حمزة والكسائي وأبوجعفر وخلف: ﴿عِبَادَهُ﴾ بألف بعد الباء ووافقهم الأعمش.

وقرأ باقي العشرة: ﴿عَبْدَه﴾ بغير ألف، ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيصن(١).

معنى القراءتين :

القراءة بالألف: ﴿عِبَاده﴾ على الجمع، والمراد: أن الله يكفي عباده من الأنبياء والصالحين.

القراءة بدون ألف: ﴿عَبْدَه﴾ على الإفراد، المراد منها: أن الله يكفي رسوله ﷺ كما قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الحجر:٩٥(٢).

حاصل القراءتين :

دلت الآية بالقراءة بالألف على أن الله يكفي وينصر عباده أجمعين، وخصصت الآية بالقراءة الأخرى رسوله ﷺ بأن الله عزوجل يكفيه وينصره، فهي من باب ذكر بعض أفراد العام، وهو لا يفيد التخصيص، إنّما يفيد شرف هذا الفرد ومزيد الاهتمام به.

---

١) المبسوط ص٣٢٣ النشر ٢/٣٦٢-٣٦٣ الاتحاف ص٣٧٥.

٢) الكشف ٢/٢٣٩.

الموضع الثاني عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: ١٠.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ أبي بن كعب ومعاوية وسعيد بن المسيب وابن جبير وقتادة وأبو العالية وابن يعمر وابن أبي عبلة ويعقوب: «بين اخوتكم» بتاء مع كسر الهمزة على الجمع.

وقرأ علي بن أبي طالب وأبورزين وأبوعبدالرحمن السلمي والحسن والشعبي وابن سيرين: «بين اخوانكم» بالنون وألف قبلها(١) وهي قراءة زيد وابن مسعود وعاصم الجحدري(٢).

معنى القراءات :

القراءة بـ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ على التثنية تحتمل أن يكون المراد منها التثنية، وتحتمل أن يكون لفظها لفظ التثنية ومعناها الجمع.

القراءة بـ«اخوتكم» و «اخوانكم» على الجمع كما يظهر.

حاصل القراءات :

قال أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): «هذه القراءة (يعني: «اخوانكم» قلت: ومثلها: «اخوتكم») تدل على أن القراءة العامة التي هي: ﴿بين أخويكم﴾ لفظها لفظ التثنية ومعناها الجماعة، أي: كل اثنين فصاعدا من المسلمين اقتتلا فاصلحوا بينهما، ألا ترى أن هذا حكم عام في الجماعة وليس يختص به منهم اثنان مقصودان؟.» اهـ(٣).

قلت : نص على الاصلاح بين الاثنين في القراءة المتواترة لأن ذلك هو الأغلب ولأن منشأ الاقتتال بين الجماعات يكون غالبا بين اثنين: زعيما كل طائفة ثم يُتَعَصب لهما والله أعلم.

---

١) زاد المسير ٧/٤٦٤.

٢) المحتسب ٢/٢٧٨.

٣) المحتسب ٢/٢٧٨.

الموضع الثالث عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يا أيها المدثر. قم فانذر. وربك فكبر وثيابك فطهر. والرجز فاهجر**﴾ المدثر: ١-٥.

تنوعت القراءات في قوله: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ :

فقرأ أبوجعفر ويعقوب وحفص عن عاصم بضم الراء في: ﴿**الرجز**﴾.

وقرأ سائر العشرة بكسرها: ﴿**الرجز**﴾(١).

معنى القراءتين :

اختلف في معنى القراءتين على قولين :

القول الأول : القراءتان بمعنى واحد(٢) واختلف في المراد، فقيل: الرجز الأصنام والأوثان، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والزهري والسدي وابن زيد.

وقيل : الرجز الاثم، روي عن ابن عباس أيضا.

وقيل : الرجز الشرك، قاله ابن جبير والضحاك.

وقيل : الرجز العذاب، قاله ابن السائب، والمعنى: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله.

وقيل : الرجز الشيطان، قاله ابن كيسان(٣).

القول الثاني : أن القراءة بالضم يراد بها الصنم، والمقصود أساف ونائلة، والقراءة بالكسر يراد بها العذاب والمقصود ذو العذاب فاهجر(٤).

---

١) المبسوط ص٣٨٧ النشر٢/٣٩٣.

وقع في كتاب «المبسوط» ص٣٨٧ لابن مهران (ت٣٨١هـ) نسبة القراءة: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ المدثر:٥ بضم الراء إلى أبي جعفر وحفص عن عاصم فقط، والقراءة بكسر الرء للباقين.

فأفاد أن يعقوب يقرأ بكسر الراء.

قلت : وهذا خلاف ما ذَكَرته كتب القراءات الأخرى. انظر ارشاد المبتدي للقلانسي ص٦١٠ النشر ٢/٣٩٣.

بل خلاف ماذكره هو نفسه في كتابه «الغاية» ص٢٨٢. حيث نسب القراءة بضم الراء إلى أبي جعفر وحفص ويعقوب، مما يرجح أن ما وقع في كتابه «المبسوط» ناتج عن سقط في النسخ أو الطباعة، خاصة وأن قراءة يعقوب مروية في الكتابين من طريق واحد فيهما والله أعلم.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ٢٩/١٤٧ معاني القرآن واعرابه ٥/٢٤٥.

٣) زاد المسير ٨/٤٠١.

٤) الكشف ٢/٣٤٧ حجة القراءات ص٧٣٣.

قال الطبري (ت٣١٠هـ) في قوله تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾ المدثر:٥: «اختلفت القراء في قراءة ذلك؛ فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة: ﴿والرِجز﴾ بكسر الراء، وقرأه بعض المكيين والمدنيين: ﴿والرُجز﴾ بضم الراء.

فمن ضم الراء وجهه إلى الأوثان، وقال: معنى الكلام: والأوثان فاهجر عبادتها واترك خدمتها.

ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب، وقال: معناه: والعذاب فاهجر، أي: ما أوجب لك العذاب من الاعمال فاهجر.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد، ولم نجد أحدا من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك، إنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي»اهـ(١).

قلت : الكسائي (ت١٨٩هـ) إمام في اللغة والقراءات وتفريقه معتبر(٢) والتأسيس أولى من التأكيد والله أعلم.

حاصل القراءتين :

على القول الأول في معناهما تكون القراءتان لغتان بمعنى واحد.

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «الرجز بكسر الراء هي لغة قريش»اهـ(٣).

قال الدمياطي (ت١١١٧هـ): «الرجز بضم الراء لغة الحجاز وبكسرها لغة تميم»اهـ(٤).

وعلى القول الثاني تكون كل قراءة لها معنى، والعلاقة بين المعنيين أحدهما عام والآخر من ذكر بعض أفراد العموم.

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٤٧/٢٩.

٢) ونقل في لسان العرب ٣٨٦/٨ عن الأزهري في موضع شبيه بما هاهنا قوله: «.. والكسائي لا يحكي عن العرب شيئا إلا وقد ضبطه وحفظه»اهـ.

٣) البحرالمحيط ٣٧١/٨.

٤) الاتحاف ص٤٢٧ المهذب في القراءات العشر ٣١١/٢.

الفصل الثاني : في القراءات المتعلقة بالإطلاق .

يتضمن هذا الفصل الآيات التي أنتج تنوع القراءات فيها من المعاني ماهو بسبيل الإطلاق والتقييد.

وسردت المواضع فيها على حسب ترتيب المصحف الشريف، وقد بلغ عددها تسعة مواضع.

وقد مهدت لهذا الفصل بالتمهيد التالي :

تمهيد : في تعريف المطلق .

ويتضمن النقاط التالية :

(١) معنى المطلق .

(٢) معنى المقيد .

(٣) حكم المطلق مع المقيد.

وإليك البيان :

(١) معنى المطلق .

في اللغة الإطلاق أن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة و لا شرط و لا زمان و لا عدد و لا شيء يشبه ذلك.

والتقييد أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه فيكون ذلك القرين زائدا في المعنى(١).

في الاصطلاح عند الأصوليين المطلق : «اللفظ الذي يدل على الماهية بدون قيد يقلل شيوعه»(٢) [على سبيل البدل].

فخرج بهذا التعريف الفاظ الأعداد المتناولة لأكثر من واحد، كما تخرج المعارف كـ«زيد» و «أحمد» وهكذا.

وخرج بجملة: «على سبيل البدل» الفاظ العموم فإنَّها تدل على الماهية على سبيل الشمول فقولك: «ماشاهدت رجلا» نفي لمشاهدة عموم رجل على سبيل الشمول، وقولك: «شاهدت رجلا» اثبات لمشاهدة رجل، جنس رجل، يصدق على «زيد» كما يصدق على «عبيد» كما يصدق على غيرهما.

(٢) معنى المقيد .

المقيد في اصطلاح الأصوليين: «اللفظ الذي يدل على الماهية بقيد يقلل من شيوعه»(٣).

فهو يتناول عند دلالته على موضوعه واحدا توفر فيه قيد من القيود، كما

---

١) الصاحبي ص٣١٦ وانظر لسان العرب ١٠/٢٢٥-٢٣١ حيث ذكر استعمالات مادة [ط. ل. ق] وكلها تدور حول هذاالمعنى.

٢) هذا ما تحرر لصاحب «تفسير النصوص» ٢/١٨٧ وقد زدت مابين عارضتين للتفريق بين عموم العام وعموم المطلق.

وانظر روضة الناظر ص٢٣٠. واختار ابن الزملكاني في «التبيان في علم البيان» ص٥٢-٥٣ تعريفه بـ«ما دل على واحد لا بعينه» تمييزا لأعلام الاجناس.

٣) تفسير النصوص ١٨٩/٢ وانظر روضة الناظر ص٢٣٠.

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ من قَبْلِ أن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا...﴾ المجادلة:٣، فلفظة ﴿رقبة﴾ مطلقة لم تقيد بوصف كما في كفارة القتل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ...﴾ النساء:٩٢، فلفظة ﴿رقبة﴾ هنا جاءت مقيدة بوصف الايمان.

(٣) حكم المطلق مع المقيد .

قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، بل يستمر المطلق على اطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب.

والضابط : أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا، نظر فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل غيره يرد إليه لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر.

فالأول : مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الطلاق:٢، وقوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المائدة:١٠٦.
وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ البقرة:٢٨٢، وقال أيضا: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ النساء:٦.
والعدالة شرط في الجميع .

والثاني : مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع، وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان، فيبقى على اطلاقه من جوازه مفرقا ومتتابعا لا يمكن حمله عليهما؛ لتنافي القيدين، ولا يمكن حمله على أحدهما الا بمرجح(١).

وبعد هذه المقدمة ، فإني أسوق المواضع التي جاءت على هذا السبيل، وهي التالية :

---

١) البرهان في علوم القرآن ١٥/٢ الإتقان (أبوالفضل) ٩١/٣ وانظر تفسير النصوص ١٩٢/٢-١٩٩.

الموضع الأول :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ على الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ، وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:١٨٣-١٨٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ أبي بن كعب: «فعدة من أيام أخر متتابعات»(١).

معنى القراءتين :

القراءة المتواترة تدل على أن قضاء رمضان يجزيء مفرقا كما يجزيء متتابعا، ولا يشترط التتابع في القضاء.

قراءة أبي بن كعب فيها دليل على اشتراط التتابع في قضاء رمضان.

حاصل القراءتين :

دلت القراءة الشاذة على تقييد الحكم المطلق في القراءة المتواترة فلا يجزيء قضاء رمضان إلا متتابعا، لكن هذا الحكم منسوخ لأن قراءة أبي ابن كعب منسوخة كما دل عليه ما صح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «نزلت «فعدة من أيام أخر متتابعات» فسقطت «متتابعات».»(٢).

قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ): «سقوطها مسقط لحكمها؛ لأنه لا يسقط القرآن بعد نزوله إلا بإسقاط الله تعالى إياه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وقال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى:٥-٦].

فإن قيل : قد يسقط لفظ الآية ويبقى حكمها كما كان في آية الرجم. قلنا: لولا إخبار النبي ﷺ ببقاء حكم الرجم لما جاز العمل به بعد اسقاط الآية النازلة به، لأن ما رفع الله تعالى فلايجوز لنا ابقاء لفظه و لا حكمه إلا بنص آخر» اهـ(٣).

---

١) المحلى ٢٦١/٦ البحرالمحيط ٣٥/٢.

٢) حديث صحيح .

أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٢٤١/٤-٢٤٢ ومن طريقه الدارقطني في السنن ١٩٢/٢ وقال: «هذا اسناد صحيح»اهـ

ومن طريقهما أخرجه البيهقي في السنن الكبير ٢٥٨/٤.

٣) المحلى ٢٦١/٦.

قلت : وكذا قال البيهقي (ت٤٥٨هـ) رحمه الله حيث قال: «وقولها: «سقطت» تريد نسخت لا يصح له تأويل غير ذلك» اهـ(١).

قلت : وقد اتفق جمهور العلماء من الحنفية(٢) والمالكية(٣) والشافعية(٤) والحنابلة(٥) على جواز قضاء رمضان متفرقا(٦).

---

١) السنن الكبرى ٢٥٨/٤.
٢) الهداية مع فتح القدير ٣٥٤/٢.
٣) الشرح الصغير على أقرب المسالك ٢٤٢/١.
٤) المهذب ٢٥٢/١.
٥) المبدع في شرح المقنع ٤٥/٣.
٦) انظر مناقشة المسألة فقهيا في «الاحتجاج بالقراءة الشاذة وأثرها في اختلاف الفقهاء» ص ٢٢٤-٢٣٠ رسالة ماجستير(على الآلة الكاتبة).

الموضع الثاني :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة:٢٧٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود: «لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة»(١).

عن الربيع في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ قال: «يبعثون يوم القيمة وبهم خبل من الشيطان وهي في بعض القراءة: «لايقومون يوم القيامة»(٢).

معنى القراءتين :

نقل عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والربيع والسدي في معنى الآية: لا يقومون من قبورهم في البعث يوم القيامة إلا كالمجانين

---

١) حسن لغيره.

أخرجه أبوعبيد في فضائل القرآن ص٢٤٣ رقم (٥٧٩).

وفي السند: «أبوبكر بن عبدالله بن أبي مريم» قال عنه في «التقريب» ص٦٢٣: «ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط»اهـ.

وفي السند ابن عبدالله بن مسعود كذا ابهم ولم يبين.

قلت : لكن يشهد للقراءة الأثر التالي.

وعزاه في الدر المنثور ١٠٤/٢ إلى ابن أبي حاتم.

والقراءة عن ابن مسعود ذكرها القرطبي في تفسيره ٣٥٤/٣ وأبوحيان في البحرالمحيط ٣٣٣/٢ وانظر الدرالمنثور١٠٤/٢.

٢) إسناده ضعيف .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١٠/٦ قال الطبري: «حدثت عن عمار قال: حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع به.»

قلت : الواسطة بين الطبري وعمار غير معروفة وابن أبي جعفر هو عبدالله قال في «التقريب» ص٦٢٩: «صدوق سيء الحفظ خصوصا عن مغيرة»اهـ

والربيع هو ابن أنس قال في «التقريب» ص٢٠٥: «صدوق له أوهام»اهـ قال ابن حبان في «الثقات» ٢٢٨/٤: «والناس يتقون من حديثه ماكان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطرابا كثيرا»اهـ

قلت : وهذا من رواية أبي جعفر عنه، لكن القراءة فيه تشهد للأثر المتقدم.

عقوبة لهم وتمقيتا عند جمع المحشر ويكون ذلك سيما لهم يعرفون بها(١).

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «ويقوي هذا التأويل المجمع عليه أن في قراءة ابن مسعود: «لايقومون يوم القيامة».» اهـ(٢).

قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): «أما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع الى تجارة الربا بقيام المجنون لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، وهذا كما تقول لمسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته إما من فزع أو غيره: «قد جن هذا» وقد شبّه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

وتُصْبِح مِن غَبِّ السرى وكَأنّما ... ألَمّ بِهَا مِنْ طَائفِ الجِن أوْلَق(٣)

وقال آخر: لعمرك بي من حب أسماء أولق.

لكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود وتظاهرت به أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل» اهـ(٤).

حاصل القراءتين :

قراءة الجمهور مطلقة غير مقيدة بزمان فالذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس.

وقراءة ابن مسعود قيدت هذا الإطلاق بأن حال آكلي الربا كذلك في الآخرة لا في الدنيا.

والظاهر أنّ هذه القراءة - إن صحت عن ابن مسعود - من قبيل التفسير منه - والله أعلم - لأن الرواية عنه اختلفت في لفظها فجاءت مرة: «لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم...»

وجاءت مرة: «إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة».

---

١) هذا حاصل ماروي عن هؤلاء المذكورين. انظر الروايات عنهم في تفسير الطبري (شاكر) ٦/٨-١١.

٢) تفسير القرطبي ٣/٣٥٤ وقارن بـ«البحرالمحيط» ٢/٣٣٣.

٣) أولق:الأولق المجنون. لسان العرب ١٠/٧.

والشاعر يصف ناقته أنها تصبح من «غب السرى» أي: بعد سير الليل الطويل، تصبح كالمجنون من نشاطها واجتماع قوتها لم يضعفها طول السرى. تحقيق محمود شاكر لتفسيرالطبري ٦/١١ (الحاشية).

٤) انظر تفسير القرطبي ٣/٣٥٤ البحرالمحيط ٢/٣٣٣.

الموضع الثالث :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة:٣٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

ويروى عن ابن مسعود أنه قرأ: «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم»(١)وهي قراءة شاذة لمخالفتها لرسم المصحف.

حاصل القراءتين :

القراءة المتواترة لم تعين محل القطع من اليد، إنما أمرت بقطع يد السارق على الاطلاق.

القراءة الشاذة عينت محل القطع وأنه اليد اليمنى.

وهذا الحكم الذي تضمنته الآية بالقراءتين حكم صحيح بالإجماع.

قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ): «واتفقوا أن من سرق ... فقطعت يده اليمنى أنه قد أقيم عليه الحد»اهـ(٢).

قال ابن قدامة (ت٦٢٠هـ): «لا خلاف بين أهل العلم في أن السارق أول

---

١) إسناده حسن لغيره .

أخرج الطبري في تفسيره (شاكر) ١٠/٢٩٤-٢٩٥ بسنده عن إبراهيم قال: «في قراءتنا - وربما قال: في قراءة عبدالله -: «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما».

قلت : وفي السند سفيان بن وكيع قال في «التقريب» ص٢٤٥: «كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقه فأدخل عليه ماليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه»اهـ

لكن قال ابن حجر في فتح الباري ١٢/٩٩: «وقد قرأ ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن إبراهيم قال: «هي قراءتنا يعني أصحاب ابن مسعود».»اهـ

وعزاه في الدرالمنثور ٣/٧٣ إلى أبي الشيخ وابن المنذر.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٧٠ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قراءة ابن مسعود: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما»

وابن أبي نجيح ثقة أكثر عن مجاهد، وكان يدلس عنه كما في طبقات المدلسين لابن حجر ص٣٩ .

قلت : وقد عنعن هنا.

ومجاهد عن ابن مسعود مرسل كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم ص١٦٢.

قلت : ولذلك قال البيهقي في «السنن الكبرى» ٨/٢٧٠: «هذامنقطع»اهـ

وكذا قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» ٤/٧١: «فيه انقطاع»اهـ

وتابعهما الألباني في «إرواء الغليل» ٨/٨١ فضعفه.

قلت : لكن يشهد له الأثر السابق المقطوع عن إبراهيم النخعي خاصة وقد صحح ابن حجر سنده عند سعيد بن منصور فيرقيه ذلك الى درجة الحسن لغيره والله أعلم.

وعزاه في «الدرالمنثور» ٣/٧٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ من طرق.

٢) مراتب الاجماع ص١٣٥.

ما يقطع منه يده اليمنى من مفصل الكف وهو الكوع، وفي قراءة عبدالله بن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» وهذا إن كان قراءة وإلا فهو تفسير، وقد روي عن أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما قالا: «إذا سرق السارق فاقطعوا يمينه من الكوع» ولا مخالف له من الصحابة» اهـ(١).

قلت : الظاهر أن هذه القراءة المروية عن ابن مسعود من قبيل التفسير؛ إذ جاءت في رواية بلفظ: «والسارقون والسارقات» وفي رواية بلفظ: «والسارق والسارقة»، ولها حكم المرفوع والله أعلم(٢).

---

١) المغني في الفقه ٢٦١/٨.

٢) **فائدة** : الآية بالقراءة التي جاءت فيها تبين حكم قطع يد السارق بعد السرقة الأولى فما حكم القطع بعدها؟.

الجواب : للعلماء في القطع بعد السرقة الثانية مذهبان:

الأول : مذهب أبي حنيفة وأحمد في احدى روايتيه لا يقطع أكثر من يد ورجل بل يحبس.

الثاني : مذهب مالك والشافعي أنه يقطع في الثالثة يسرى يديه وفي الرابعة يمنى رجليه، وهي الرواية الأخرى عن أحمد. انظر «الاختيار لتعليل المختار» ١١٠/٤ «المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين» ٣٣٤/٢ «الشرح الصغير» ٤٢٨/٢ «الوجيز» ١٧٨/٢ «المقنع في فقه أحمد بن حنبل» ص٣٠٤.

وسبب اختلافهم الأمور التالية :

(أ) أن قراءة ابن مسعود بينت محل القطع في السرقة الأولى وهو اليد اليمنى، ودل حديث الرسول ﷺ وفعل الصحابة على قطع الرجل اليسرى في السرقة الثانية، وإن سرق الثالثة لا يقطع بل يحبس لفوات محل القطع؛ ولأن المقصود من العقوبة الردع لا الاهلاك، وتعلق القطع بالوصف انما هو حيث أمكن أما وقد فات المحل فلا دليل فيه، وقراءة ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» قيدت اطلاق الآية فوجب قطع اليد اليمنى بالآية ووجب قطع الرجل اليسرى في المرة الثانية بالسنة وعمل الصحابة، ثم لا دليل على قطع بقية الأعضاء، فكان السجن في الثالثة.

انظر «فقه عمر بن الخطاب موازنا بفقه أشهر المجتهدين» ٣٠٣/٢.

(ب) اختلافهم في العمل بالحديث الدال على قطع الأعضاء الأربعة ، وهو الحديث التالي:

عن جابر بن عبدالله قال: «جيء بسارق إلى النبي ﷺ فقال: اقتلوه. فقالوا: إنما سرق.

فقال : اقطعوه . قال: فقطع. ثم جيء به الثانية.

فقال : اقتلوه . فقالوا: يارسول الله إنما سرق.

فقال : اقطعوه . قال : فقطع. ثم جيء به الثالثة.

فقال : اقتلوه . فقالوا : يارسول الله إنما سرق.

قال : اقطعوه . ثم أتي به الرابعة فقال : اقتلوه.

فقالوا : يارسول الله إنما سرق. قال: اقطعوه .

فأتي به الخامسة فقال: اقتلوه .

قال جابر : فانطلقنا به فقتلناه ثم اجتررناه فألقيناه في بئر ورمينا عليه الحجارة».

قلت : حديث جابر حديث حسن لغيره.

أخرجه أبوداود في كتاب الحدود باب في السارق يسرق مرارا حديث رقم (٤٤١٠)

=

. . . .

= والنسائي في كتاب قطع السارق باب قطع اليدين والرجلين من السارق ٨/ ٩٠.

والحديث صححه الألباني في «إرواء الغليل» ٨/ ٨٦-٨٨.

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في «فتح الباري» ١٢/ ٩٩-١٠٠ : «اختلف السلف فيمن سرق فقطع ثم سرق ثانيا؛ فقال الجمهور: تقطع رجله اليسرى ثم إن سرق فاليد اليسرى ثم إن سرق فالرجل اليمنى، واحتج لهم بآية المحاربة وبفعل الصحابة وبأنهم فهموا من الآية أنها في المرة الواحدة ، فإذا عاد السارق وجب عليه القطع ثانيا إلى أن لا يبقى له ما يقطع، ثم إن سرق عزر وسجن.

وقيل : يقتل الخامسة ، قاله أبو مصعب الزهري المدني صاحب مالك، وحجته ما أخرجه أبوداود والنسائي من حديث جابر (يعني: الحديث السابق وساقه)....

وقد قال بعض أهل العلم كابن المنكدروالشافعي: إن هذا منسوخ.

وقال بعضهم : هو خاص بالرجل المذكور، فكأن النبي ﷺ اطلع على أنه واجب القتل؛ ولذلك أمر بقتله من أول مرة.

ويحتمل أنه كان من المفسدين في الأرض... .

وفيه قول ثالث بقطع اليد بعد اليد ثم الرجل بعد الرجل نقل عن أبي بكر وعمر ولا يصح.

وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن القاسم بن محمد: «أن أبابكر قطع يد السارق في الثالثة». [قلت: هو في المصنف ١٠/ ١٨٧ رقم (١٨٧٦٩) بنحوه.].

ومن طريق سالم بن عبدالله: «أن أبابكر إنما قطع رجله وكان مقطوع اليد» ورجال السند ثقات مع انقطاعهما .[قلت: هو في المصنف ١٠/ ١٨٧ رقم (١٨٧٧٠).].

وفيه قول رابع: تقطع الرجل اليسرى بعد اليمنى ثم لاقطع أخرجه عبدالرزاق من طريق الشعبي عن علي وسنده ضعيف. [قلت: هوفي المصنف ١٠/ ١٨٦ رقم (١٨٧٦٤).].

ومن طريق أبي الضحى: «أن عليا... نحوه ورجاله ثقات مع انقطاعه. [قلت: هو في المصنف رقم (١٨٧٦٧).].

وبسند صحيح عن ابراهيم النخعي: «كانوا يقولون: لايترك ابن آدم مثل البهيمة ليس له يد يأكل بها ويستنجي بها». [قلت: هو في المصنف ١٠/ ١٨٦ رقم (١٨٧٦٥).].

وبسند حسن عن عبدالرحمن بن عائذ: «إن عمر أراد أن يقطع في الثالثة فقال له علي: أضربه واحبسه ففعل». [قلت: هو في المصنف ١٠/ ١٨٦ رقم (١٨٧٦٦).].

وهذا قول النخعي والشعبي والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة.

وفيه قول خامس قاله عطاء لا يقطع شيء من الرجلين أصلا على ظاهر الآية، وهو قول الظاهرية. [قلت: قرر هذا ابن حزم في «المحلى» ١١/ ٣٥٦-٣٦٧.].

قال ابن عبدالبر: «حديث القتل في الخامسة منكر، وقد ثبت: «لايحل قتل امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث...». [قلت: هو حديث صحيح عن ابن مسعود . أخرجه البخاري في كتاب الديات باب قول الله تعالى: ﴿النفس بالنفس والعين بالعين﴾ ومسلم في كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم رقم (١٦٧٦). انظر جامع الأصول ١٠/ ٢١٣.] وثبت: «السرقة فاحشة وفيها عقوبة»، وثبت عن الصحابة قطع الرجل بعد اليد وهم يقرؤون: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [المائدة:٣٨]... وإنما قالوا جميع ذلك بالسنة».اهـ باختصار.

قلت : ولعل الصواب بالنسبة لحديث قتل السارق في الخامسة - إن صح - هو ماقرره ابن قيم الجوزية في كتابه «تهذيب السنن» ٦/ ٢٣٨ من أن قتله في الخامسة ليس حدا وإنما هو تعزير بحسب المصلحة التي يراها ولي الأمر، والله تعالى أعلم.

الموضع الرابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة:٨٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب: «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات»(١) وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف.

عن مالك عن حميد بن قيس أنه أخبره قال: «كنت مع مجاهد وهو يطوف بالبيت فجاءه إنسان فسأله عن صيام أيام الكفارة أمتتابعات أم يقطعها؟. قال حميد: فقلت له: نعم يقطعها إذا شاء.

قال مجاهد : لا يقطعها فإنها في قراءة أبي بن كعب: «ثلاثة أيام متتابعات»(٢).

عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»(٣).

---

١) زاد المسير٢/٤١٥ البحرالمحيط ١٢/٤.

٢) إسناده صحيح إلى مجاهد .

أخرجه مالك في الموطأ ٣٠٥/١ رقم (٤٩) من كتاب الصيام باب ماجاء في قضاء رمضان والكفارات، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦٠/١٠ كتاب الايمان باب التتابع في صوم الكفارة.

قال محقق «شرح السنة» ٣٢٣/٦: «رجاله ثقات»اهـ

قال في «إرواء الغليل» ٢٠٤/٨: «وهذا اسناد صحيح إن كان مجاهد سمع أبي بن كعب أو رأى ذلك في مصحفه؛ فإن في وفاته (أبي بن كعب) اختلافا كثيرا؛ فقيل: سنة تسع عشرة وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك»اهـ

قلت : لم أقف على من نص على سماع مجاهد لأبي، ثم يلاحظ أن مجاهداً لم يذكر سماعا، إنما نقل قراءته جازما محتجا بها، فالظاهر على أدنى الأحوال ثبوت هذه القراءة عنده عن أبي بن كعب والله أعلم.

فائدة : الراجح أن أبي بن كعب توفي سنة ٣٠هـ أو بعدها بقليل وذلك لثبوت بعض الروايات في أنه رضي الله عنه كان حيا زمن الفتنة التي وقعت في أمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر التاريخ الكبير ٤٠/٢، التاريخ الصغير ص٣٧.

٣) إسناده حسن لغيره .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٥٥٩/١٠-٥٦٠ وابن أبي داود في «المصاحف»

عن حجاج قال: «سألت عطاء عن الصيام في كفارة اليمين، قال: إن شاء فرَّق. قلت: فإنها في قراءة عبد الله: «متتابعة».

قال : إذا ننقاد لكتاب الله عزوجل»(١).

عن ابن عباس : «أنه كان يقرأها: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».»(٢).

عن إبراهيم النخعي قال: «في قراءتنا في كفارة اليمين: «ثلاثة أيام متتابعات»(٣).

معنى القراءتين :

القراءة المتواترة تدل على أن من لم يستطع اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة فانه يصوم ثلاثة أيام، ولم تقيد بأي قيد، فيجوز صومها متفرقة كما يجوز صومها متتابعة.

القراءة الشاذة تفيد أن صيام الثلاثة الأيام يشترط فيه التتابع لأنها

ص٦٤ والحاكم في المستدرك ٢/٢٧٦ والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٦٠.

قلت : في السند عندهم أبوجعفر الرازي، قال عنه في «التقريب» ص٦٢٩: «صدوق سيء الحفظ خصوصا عن مغيرة»اهـ

وتعتضد روايته بالأثر السابق عن مجاهد، والأثر صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعزاه في «الدرالمنثور» ٣/١٥٥ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

١) إسناده حسن .

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/٦٠.

قلت : وأخرج عبدالرزاق في المصنف ٨/٥١٣-٥١٤ والطبري في تفسيره (شاكر) ١٠/٥٦٠ والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٦٠ وزاد السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥٥ عزوه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري وأبوالشيخ، أخرجوا من طرق عن ابن مسعود: «أنه كان يقرأها«فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

وانظر «إرواء الغليل» ٨/٢٠٣-٢٠٤ حيث حكم بصحة هذه القراءة عن أبي وابن مسعود وابن عباس.

٢) قال في الدر المنثور ٣/١٥٥: «أخرجه أبو عبيد وابن المنذر عن ابن عباس»اهـ بتصرف.

٣) إسناده صحيح عن النخعي.

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١٠/٥٦٠ والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٦٠.

وأخرج أبوعبيد في فضائل القرآن ص ٢٥٠ رقم (٥٩٥) بسنده عن إبراهيم قال: «في قراءة عبدالله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

قلت : وفي سنده مغيرة عن إبراهيم، ومغيرة هو ابن مقسم ثقة مدلس وقد عنعن ، لكن يتقوى بما تقدم فيرتقى إلى مرتبة الحسن لغيره.

قيدتها بوصف التتابع(١).

حاصل القراءتين :

القراءة الشاذة قيدت اطلاق القراءة المتواترة، فلا يجوز صيام الثلاثة الأيام في كفارة اليمين إلا متتابعة غير مفرقة.

وللعلماء رأيان في اشتراط تتابع الأيام الثلاثة في صيام كفارة اليمين فذهب مالك والشافعي إلى جواز صيام الأيام الثلاثة متفرقة أو متتابعة، لكن استحبا التتابع فيها.

وذهب أبوحنيفة وأحمد إلى اشتراط التتابع في الأيام الثلاثة في صيام كفارة اليمين(٢).

وسبب اختلافهم في ذلك شيئان(٣) :

الأول : هل يجب العمل بالقراءة الشاذة ؟.

فمن قال: إذا خالفت القراءة رسم المصحف سقطت قرآنيتها وبالتالي لا يتعلق بها؛ قال: لا يشترط التتابع في الأيام الثلاثة.

ومن قال إذا خالفت القراءة رسم المصحف لا تعد قرآنا، ولكن تجري مجرى الخبر فيعمل بها؛ قال يشترط التتابع في صيام الأيام الثلاثة في كفارة اليمين.

وقد تقدمت(٤) حكاية مذاهب أهل العلم في العمل بالقراءة الشاذة، وترجيح العمل بها والاستفادة منها في التفسير وبالله التوفيق.

الثاني : اختلافهم هل يحمل الأمر بمطلق الصوم على التتابع أم لا يحمل ؟. إذا كان الأصل في الصيام الواجب بالشرع إنما هو التتابع.

---

١) معنى التتابع في أيام الصيام السرد لها بدون تفريق بينها.

تقول: تابع بين الأمور متابعة وتباعا، أي: واتر و والى، وتقول: تابعته على كذامتابعة وتباعا، والتباع الولاء.

يقال : تابع فلان بين الصلاة وبين القراءة إذا والى بينهما ففعل هذا على اثر هذا بلا مهلة بينهما، وكذلك إذا قلت: رميته فاصبته بثلاثة أسهم تباعا أي: ولاء.

وتتابعت الأشياء تبع بعضها بعضا. لسان العرب ٢٩/٨.

٢) بداية المجتهد ٤١٨/١ المبدع في شرح المقنع ٢٧٨/١٠.

٣) بداية المجتهد ٤١٨/١.

٤) ص١٢١-١٢١.

الموضع الخامس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ، قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرانِي أَعصِرُ خَمْراً، وَقَالَ الْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف:٣٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود: «إنِّي أراني أعصر عنبا»(١).

معنى القراءتين :

قال أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): «هذه القراءة (يعني: «أعصر عنبا») هي مراد قراءة الجماعة: ﴿إِنِّيٓ أَرَانِي أَعصِرُ خَمْراً﴾ وذلك أن المعصور حينئذ هو العنب، فسماه خمرا لما يصير إليه من بعد حكاية لحاله المستأنفة» اهـ(٢).

حاصل القراءتين :

بينت قراءة ابن مسعود المراد بالخمر في قراءة عامة العشرة وأنه خمر العنب، وذلك على سبيل تقييد الاطلاق في القراءة المتواترة، إذ الخمر يصدق على خمر العنب وغيره، فقيدت القراءة الشاذة الخمر بوصف العنب فهو خمر عنب.

---

١) تفسير سفيان الثوري ص١٤٢ المحتسب ٣٤٣/١.

٢) المحتسب ٣٤٣/١-٣٤٤.

الموضع السادس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ الكهف:٧٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن عباس: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا»(١) وهذه قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف.

وقرأ ابي بن كعب: «كل سفينة صالحة غصبا»(٢) وهذه قراءة شاذة.

---

١) إسناد صحيح عن ابن عباس .

وهو جزء من قصة موسى عليه السلام مع الخضر أخرجه البخاري في مواضع منها في كتاب العلم باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر حديث رقم (٧٤) وفي كتاب التفسير باب ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾ رقم (٤٧٢٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام حديث رقم (٢٣٨٠).

وانظر الدر المنثور ٥/٤١١،٤١٢.

٢) إسناد صحيح عن أبي .

وردت هذه القراءة عن أبي في رواية للحديث السابق عن ابن عباس أخرجه النسائي في تفسيره ٢/٨-١١ رقم (٢٢٦) وتفرد به النسائي من هذا الوجه، والحديث في البخاري ومسلم من غير هذا الوجه كما تقدم في التعليق قبله.

انظر الدرالمنثور ٥/٤١٥،٤١٦.

فائدة : أسوق هنا الحديث تاما في قصة لقاء موسى بالخضر عليهما الصلاة والسلام، الذي وردت فيه هذه القراءة أخرج البخاري في كتاب التفسير باب ﴿واذ قال موسىلفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾ رقم (٤٧٢٥) بسنده عن سعيد بن جبير قلت لابن عباس:«إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني اسرائيل.

فقال ابن عباس : كذب عدو الله؛ حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسُئل أي الناس أعلم؟ . فقال: أنا .

فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك.

قال موسى : يارب فكيف لي به؟. قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ.

فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربا.

وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق.

فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا

. . . .

نصبا.

قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به.

فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنِّي نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجبا.

قال : فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا.

قال موسى : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا.

قال : رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوبا، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام. قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا.

قال : إنك لن تستطيع معي صبرا، ياموسى أني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه.

فقال موسى : ستجدني - إن شاء الله - صابرا ولا أعصي لك أمرا.

فقال له الخضر : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا.

قال : ألم أقل لك انك لن تستطع معي صبرا ؟.

قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا.

قال : وقال رسول الله ﷺ : «وكانت الأولى من موسى نسيانا .

قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحرنقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله.

فقال له موسى : أقتلت نفسا زاكية بغير نفس؟. لقد جئت شيئا نكرا.

قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟.

قال : وهذه أشد من الأولى .

قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا.

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا جدارا يريد أن ينقض «قال: مائل» فقام الخضر فأقامه بيده.

فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجرا.

قال : ﴿**هذا فراق بيني وبينك**﴾ إلى قوله: ﴿**ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا**﴾.

قال سعيد بن جبير : «فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين».اهـ

قلت : قول ابن عباس رضي الله عنه: «كذب» وقوله: «عدوالله» محمولان على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة. انظر فتح الباري ٢١٩/١، ٤١٣/٨.

قوله: «مكتل» بكسر الميم الزنبيل الكبير، قيل: أنه يسع خمسة عشر صاعا، جمعه مكاتل. النهاية في غريب الحديث ١٥٠/٤.

=

وقرأ أبي بن كعب وابن عباس: «أما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين» وهذه قراءة شاذة(١).

عن قتادة قال : «كانت تقرأ في الحرف الأول: «كل سفينة صالحة غصبا» قال: وكان لا يأخذ إلا خيار السفن»(٢).

عن أبي الزاهرية قال : «كتب عثمان: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا»(٣).

معنى القراءتين :

معنى القراءة المتواترة: ﴿وراءهم﴾ فيه قولان :

الأول : أمامهم ، قاله ابن عباس وقتادة وأبوعبيدة وابن قتيبة.

الثاني : خلفهم(٤)، و استجود هذا القول الزجاج(٥) (ت٣١١هـ).

قلت : كلمة «وراء» من ألفاظ الأضداد قال أبوحاتم السجستاني (ت٢٤٨هـ على خلاف): «وراء تكون في معنى خلف وقدام...» اهـ(٦).

معنى القراءة الشاذة: «أمامهم» أي: بين أيديهم وقدامهم.

حاصل القراءتين :

القراءة المتواترة مطلقة فالملك يأخذ كل سفينة سواء كانت صالحة أم غير صالحة.

القراءة الشاذة قيدت إطلاقها فأفادت أن الملك لا يأخذ إلا السفن الصالحة دون غيرها والله أعلم.

= قوله : «السَرَب» بالتحريك المسلك في خفيه. النهاية في غريب الحديث ٣٥٦/٢.
قوله : «وأنَّى بأرضك السلام» ووقع في رواية عند البخاري تحت رقم (٤٧٢٦): «قال: وهل بأرضى من سلام» قال ابن حجر عن الرواية: «أنى بأرضك السلام؟.» في فتح الباري ٤١٧/٨ : «هي بمعنى أين وكيف، وهو استفهام استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين، ويجمع بين الروايتين بأنه استفهمه بعد أن رد عليه السلام»اهـ

١) الدر المنثور٥/٤١١،٤٢٨.
٢) عزاه في الدر المنثور ٤٢٨/٥ إلى ابن أبي حاتم.
٣) عزاه في الدر المنثور ٤٢٨/٥ إلى أبي عبيد وابن المنذر.
٤) زاد المسير ١٧٨/٥.
٥) معاني القرآن وأعرابه للزجاج ٣٠٥/٣.
٦) كتاب الأضداد للسجستاني ص٨٢-٨٣.

الموضع السابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف:٧٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ علي بن أبي طالب بتشديد السين جمع «مسّاك»(١).

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿مساكين﴾ مفردها مسكين من المسكنة.

قراءة علي بن أبي طالب: «مسّاكين» من المسك جمع مساك واختلف في معناها:

فقيل : المعنى: الملاحين، واستظهر هذا الألوسي(٢) (ت١٢٧٠هـ).

وقيل : المسّاك الذي يمسك رجل السفينة وكانوا يتناوبون ذلك.

وقيل : المسّاكون دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك(٣).

حاصل القراءتين :

في القراءة المتواترة وصف أصحاب السفينة بأنهم ﴿مسَاكين﴾ وهذا وصف يصدق على كثيرين، وفي القراءة الشاذة وصف أصحاب السفينة بوصف يقيد إطلاق الوصف في القراءة المتواترة فهم مسّاكين مسَاكين (٤).

---

١) البحرالمحيط ١٥٣/٦ روح المعاني ٩/١٦.

٢) روح المعاني ٩/١٦.

٣) البحرالمحيط ١٥٣/٦.

٤) **فائدة** : قال أبوجعفرالنحاس (ت٣٣٨هـ) في كتابه «معاني القرآن الكريم» ٢٧٤/٤-٢٧٥: «أهل اللغة جميعا لا نعلم بينهم اختلافا يقولون: المسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له الشيء اليسير.

وأكثر الفقهاء على ضد هذا فيهما، ويحتجون بهذه الآية.

قال أبوجعفر : قيل: وليس قوله: ﴿كانت لمساكين يعملون في البحر﴾ يدل على أنهم كانوا يملكونها... ... والأشياء تضاف إلى اشياء ولا يوجب ذلك ملكا، فأضيفت إليهم لأنهم كانوا يعملون فيها... والاشتقاق يوجب ما قاله أهل اللغة لأن «مسكينا» مأخوذ من السكون وهو عدم الحركة فكأنه بمنزلة الميت.

والفقير كأنه الذي كسر فقاره فقد بقيت له بقية»اهـ

قلت : كذا قال رحمه الله، والذي يظهر - والله أعلم - أن الاشتقاق يوجب ما قاله الفقهاء، ثم إن القول بأن اللام لمطلق الاضافة خلاف الظاهر، ولا يصار إليه إلا بدليل.

قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) في كتابه «البحرالمحيط» ١٥٣/٦: «احتج بهذه الآية على أن المسكين هو الذي له بلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء، وأنه (يعني:المسكين) أصلح حالا من الفقير»اهـ

وقال أيضا رحمه الله في كتابه «النهر الماد» ١٥٣/٦ :«واللام في ﴿لمساكين﴾ ظاهره أنها للاختصاص وأنهم كانوا مالكين لها»اهـ

الموضع الثامن :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ سورة طه: ٩٥-٩٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ الحسن بخلاف عنه: «قبضت قبصة» بالصاد المهملة فيهما وهي قراءة عبدالله وأبي بن كعب وابن الزبير وحميد وقتادة وابن سيرين وأبي رجاء.

وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم بالصاد فيهما وضم القاف في الثانية(١).

معنى القراءات :

قراءة العشرة: ﴿قبضة﴾ بالضاد المعجمة أي: باليد كلها، أي أخذت بكفي مع الأصابع.

والقراءة بالصاد: «قبصة» أي: أخذت بأطراف الأصابع(٢).

والمأثور عن الصحابة والتابعين : أن السامري قبض قبضة من أثر الرسول جبريل عليه الصلاة والسلام، وكان قد ألقي في نفسه أن أقبض من أثره قبضة فما القيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم(٣).

وقد نازع في قبول الآثار الواردة بعض المفسرين(٤) وأحسن الآلوسي(٥) (ت١٢٧٠هـ) رحمه الله الرد عليهم.

حاصل القراءات :

بينت القراءة بالصاد أن مقدار ما أخذه بقبضته إنما هو قبصة بالصاد أي: قدر ما يؤخذ بأطراف الأصابع فهي قيدت اطلاق القراءة المتواترة(٦).

---

١) المحتسب ٥٥/٢ البحرالمحيط ٢٧٣/٦ القراءات الشاذة ص٦٨.

٢) المحتسب ٥٥/٢ البحرالمحيط ٢٧٣/٦ القراءات الشاذة ص٦٨.

٣) انظر تفسير الطبري (شاكر) ٢٠٤/١٦-٢٠٦ إغاثة اللهفان ٣٠٠/٢-٣٠٥ الدرالمنثور ٢٥٤/٥-٢٥٥.

٤) منهم أبومسلم الأصبهاني ونقل كلامه الرازي في تفسيره ١١١/٢ واستقربه بقوله: «إنَّ هذا القول الذي ذكره أبومسلم ليس فيه إلا مخالفة المفسرين ولكنه أقرب إلى التحقيق لوجوه...»اهـ

٥) روح المعاني ٢٥٤/١٦-٢٥٥.

٦) **فائدة** : ذكر ابن جني (ت٣٩٢هـ قضية «تقارب الألفاظ لتقارب المعاني» في «قبضة» و«قبصة» إذ الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها جعلت عبارة عن الأقل.

الموضع التاسع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفتح:٨-٩.

هكذا قرأها عامة القراء العشرة .

وقرأ علي وابن عباس وابن السميفع: "وتعززوه" بزاءين(١).

معنى القراءتين :

القراءة بـ﴿تعزروه﴾ أي: تنصروه وتعظموه.

قال الزجاج (ت٣١١هـ): "معنى ﴿تعزروه﴾: تنصروه، يقال: عزرته أعزره، أي: نصرته مرة بعد مرة، وجاء في التفسير: لتنصروه بالسيف... ونصرة النبي ﷺ هي نصرة الله عزوجل" اهـ(٢).

قال النحاس (ت٣٣٨هـ): "وأصله (يعني: التعزير) في اللغة من التبجيل، والتطهير، ومنه «التعزير» الذي هو دون الحد" اهـ(٣).

قال الراغب (ت٥٠٢هـ): «التعزير: النصرة مع التعظيم قال: ﴿تعزروه﴾ [سورة الفتح:٩] ﴿وعزرتموهم﴾ [المائدة:١٢] والتعزير: ضرب دون الحد، وذلك يرجع إلى الأول، فإن ذلك تأديب، والتأديب نصرة ما، لكن الأول نصرة بقمع ما يضره عنه والثاني نصرة بقمعه عما يضره ، فمن قمعته عما يضره فقد نصرته» اهـ(٤).

معنى القراءة بـ"تعززوه" يقال: عززه أي: جعله عزيزا وقوّاه ومنه قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾(٥) [سورة يس:١٤].

وللمفسرين رأيان في مرجع الضمائر في الآية: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح:٩] :

الأول : أن الضمائر في الآية كلها مرجعها إلى لفظ الجلالة والمعنى: تنصروا دين الله وتعظموه وتنزهوا الله عزوجل عن النقائص والعيوب.

الثاني : أن الضمائر في الآية بعضها للرسول ﷺ وبعضها لله عزوجل، ﴿تعزروه وتوقروه﴾ للرسول ﷺ، ﴿تسبحوه﴾ لله عزوجل، ولذلك اختار كثير من القراء الوقف(٦) على قوله: ﴿توقروه﴾ لاختلاف الكناية فيه

---

١) معاني القرآن للنحاس ٦/٥٠٠ المحتسب٢/٢٧٥ زادالمسير٧/٤٢٧.
٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٥/٢١.
٣) معاني القرآن الكريم للنحاس ٦/٤٩٩.
٤) المفردات ص٣٣٣.
٥) معاني القرآن الكريم للنحاس ٦/٥٠٠.
٦) وهو وقف تام عند أبي حاتم وأحمد بن موسى، وخولفا في هذا، والصواب أنه وقف كاف كما صرح به الداني والأشموني والأنصاري. انظر المكتفى في الوقف والابتداء =

عما بعده.

قال الرازي (ت٦٠٦هـ): «الكنايات المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ راجعة إلى الله أو إلى الرسول ﷺ؟. والأصح الأول» اهـ(١).

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «الظاهر أن الضمائر عائدة على الله تعالى، وتفريق الضمائر بجعلها للرسول ﷺ وبعضها لله تعالى حيث يليق قول الضحاك» اهـ (٢).

قلت : الذي يظهر - والله أعلم - أن الضمائر عائدة على لفظ الجلالة، ويقويه أن الأصل توافق الضمائر في المرجع حذر التشتيت(٣)، ولذلك قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «﴿يعزروه﴾ يقووه بالنصرة ﴿ويوقروه﴾ ويعظموه ﴿ويسبحوه﴾ من التسبيح أو من السبحة، والضمائر لله عزوجل، والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ﷺ، ومن فرق الضمائر فقد أبعد» اهـ(٤).

حاصل القراءتين :

يأمر الله تبارك وتعالى بأن ينصر الناس دينه ورسوله ﷺ، وأن يجعلوهما عزيزين ويقووا من شأنهما.

فالقراءة بـ﴿تعزروه﴾ فيها معنى النصرة والتعظيم.

والقراءة بـ«تعززوه» فيها معنى جعله عزيزا قويا.

والحاصل أن القراءة المتواترة طلبت النصرة والتعظيم، والقراءة الأخرى بينت أن المقصود هو جعله عزيزا قويا، فليس المطلوب أي نصرة أو تعظيم، إنما المطلوب النصر والتعظيم الذي يجعل منه عزيزا قويا.

فالقرءاة بـ«تعززوه» قيدت مطلق معنى القراءة بـ﴿تعزروه﴾ وبينت المراد منها.

ويؤخذ من القراءتين أن النصر والتعظيم مطلوب لدين الله تعالى، ولكن ينبغي أن يكون هذا النصر محققا لعزة الدين وعظمته، فليس أي نصر وتعظيم مطلوباً وهذا من القراءة بـ«عززوه» أي: اجعلوه عزيزا.

ففي القراءتين تنبيه إلى الحكمة وتحري ما يؤدي إلى عزة الدين في نصرة وتعظيمه، فلا ينفع النصر العاطفي أو التعظيم العاطفي المجرد عن الحكمة والعلم، والله أعلم.

= ص٥٢٨ منارالهدى ص٣٦٤ المقصد لتلخيص مافي المرشد ص٣٦٤.

١) تفسير الرازي ٨٦/٢٨.

٢) البحرالمحيط ٩١/٨.

٣) الاتقان (أبوالفضل) ٢٨٤/٢.

٤) تفسير الزمخشري ٤٦٣/٣.

الفصل الثالث : في القراءات المتعلقة بالاجمال .

يتضمن هذا الفصل الآيات التي جاءت مجملة على قراءة وجاءت قراءة أخرى بينت هذا الاجمال.

وأقدم بين يديه التمهيد التالي :

تمهيد : في تعريف المجمل وأنواعه.

ويشتمل على مايلي :

(١) تعريفه في اللغة والاصطلاح .

(٢) أنواع المجمل .

وإليك البيان :

(١) تعريفه في اللغة والاصطلاح .

الاجمال في اللغة من أجمل الشيء جمعه عن تفرقه، وأجمل له الحساب كذلك، فأصلها من تجمع الشيء وعظمه ومنه قوله تعالى: ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**﴾ الفرقان:٣٢(١).

والمجمل في اصطلاح الأصوليين: «اللفظ الذي خفي من ذاته خفاء جعل المراد منه لا يدرك الا ببيان من المجمل، سواء أكان ذلك الخفاء لانتقال اللفظ من معناه الظاهر في اللغة إلى معنى مخصوص أراده الشارع، أم كان لتزاحم المعاني المتساوية، أم كان لغرابة اللفظ نفسه»(٢).

(٢) أنواع المجمل .

يشير التعريف السابق الى أسباب الاجمال في اللفظ، وتبعا لهذه الأسباب تعددت أنواع المجمل، وهي كما يلي :

الأول : ماكان إجماله بسبب نقل اللفظ من معناه اللغوي الظاهر إلى

---

١) معجم مقاييس اللغة ٤٨١/١ لسان العرب ١٢٨/١١.

٢) تفسير النصوص ٢٧٧/١ وهو ما تحرر لديه في تفسير المجمل وانظر روضة الناظر ص١٥٩.

معنى خاص غير معلوم أراده الشارع من جديد كلفظة: «الصلاة» و «الزكاة».

الثاني : ما يكون اجماله بسبب تعدد المعاني المتساوية وتزاحمها على اللفظ وانتفاء القرينة التي ترجح أحد هذه المعاني كالمشترك اللفظي(١).

الثالث : ما يكون اجماله نا شئا من غرابة اللفظ في المعنى الذي استعمل فيه(٢) وقد ذكر السيوطي جملة من أسباب الاجمال(٣) وهي في مجملها تعود إلى الأسباب الثلاثة التي ذكرت في التعريف.

وهذه الأسباب هي :

(١) الاجمال بسبب الاشتراك، نحو قوله تعالى: ﴿**والليل إذا عسعس**﴾ التكوير:١٧، فإنَّ كلمة: «عسعس» موضوعة لـ« أقبل» و« أدبر».

(٢) الاجمال بسبب الحذف نحو: ﴿**وترغبون أن تنكحوهن**﴾ النساء:١٢٧ يحتمل: «في» ويحتمل «عن».

(٣) الاجمال بسبب اختلاف مرجع الضمير نحو: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ فاطر:١٠ يحتمل عود ضمير الفاعل في ﴿**يرفعه**﴾ إلى ما عاد عليه ضمير: ﴿**إليه**﴾ وهو الله عزوجل، ويحتمل عوده إلى ﴿**العمل**﴾، والمعنى: إن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب، أي: ان الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل إلا مع الايمان.

(٤) الاجمال بسبب احتمال العطف والاستئناف نحو قوله تعالى: ﴿**...إلا الله والراسخون في العلم يقولون**﴾ آل عمران:٧.

(٥) الاجمال بسبب غرابة اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿**فلا تعضلوهن**﴾ البقرة:٢٣٢.

(٦) الاجمال بسبب عدم كثرة الاستعمال الآن نحو قوله تعالى: ﴿**ثاني عطفه**﴾ سورة الحج: ٩، أي: متكبرا.

---

١) وهذا النوع لا مكان له في نصوص الأحكام من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم ينتقل إلى جوار ربه حتى أدى الأمانة وحقق ما أمره الله به من بيان كتابه المنزل على عباده.

وما يوجد من اجمال في بعض النصوص الشرعية إنما هو بحسب المجتهدين لا بحسب الشرع.

٢) تفسير النصوص ١/٢٧٨-٢٩٨ باختصار.

٣) في كتابه «الاتقان» (أبوالفضل) ٣/٥٣-٥٤.

(٧) الاجمال بسبب التقديم والتأخير نحو قوله تعالى: ﴿**يسألونك كأنك حفي عنها**﴾ الأعراف:١٨٧ أي: يسألونك عنها كأنك حفي.

(٨) الاجمال بسبب قلب المنقول نحو قوله تعالى: ﴿**وطور سينين**﴾ التين:٢، أي: سيناء.

(٩) الاجمال بسبب التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر نحو قوله تعالى: ﴿**للذين استضعفوا لمن آمن منهم**﴾ الأعراف:٧٥.

قلت : وقد جاء في اختلاف القراءات ما يبين الاجمال بجملة من هذه الأسباب.

هذا ما يتعلق بتعريف المجمل ، وأسوق هنا الآيات التي أنتج تنوع القراءات فيها ما سبيله بيان الاجمال، وأسوقها على حسب ترتيب المصحف الشريف.

وقد بلغ عدد المواضع ثلاثة وأربعين موضعا.

وهي التالية :

الموضع الأول :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة:٣٥-٣٦.

تنوعت قراءات القراء لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ :

فقرأ حمزة وحده: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ بالألف، وقرأ مثله الأعمش.

وقرأ باقي العشرة: ﴿فأزلّهما﴾ بغير ألف، ومثلهم قرأ الحسن وابن محيصن واليزيدي(١).

وقرأ الأعمش: «فوسوس لهما»(٢) وهي قراءة شاذة.

معنى القراءتين :

قال أبوعبيد (ت٢٢٤هـ): «من قرأ بغير ألف ذهب إلى الزلل في الدين كقوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل:٩٤] ومن خفف أراد ازالتهما عن موضعهما» اهـ(٣).

قراءة حمزة: ﴿فأزالهما﴾ من الزوال، أي: التنحية من قول القائل: أزال فلان فلانا عن موضعه إذا نحاه عنه وزال(٤).

قراءة باقي العشرة: ﴿فأزلّهما﴾ من زللت وأزلني غيري أي: أوقعهما في الزلل، وهو أن يزل الانسان عن الصواب إلى الخطأ والزلة، والمعنى أوقعهم في الخطأ، إذ ليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان، إنما قدرته على إدخال الانسان في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه، ويقوي ذلك قراءة الأعمش: «فوسوس لهما الشيطان»، وأنه جل وعز قال في موضع آخر: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ الأعراف:٢٠، والوسوسة إنما هي ادخالهما في الزلل بالمعصية وليست الوسوسة بإزالة من إبليس لهما من مكان إلى مكان إنما تزيين فعل المعصية وهي الزلة لا الزوال(٥).

قال في حجة القراءات: «نسب الفعل إلى الشيطان لأنهما زلا بإغواء

---

١) المبسوط ص١١٦ الاتحاف ص١٣٤.

٢) المصاحف لابن أبي داود ص ٦٨ بسند حسن عنه.

٣) انظر الكشف ١/٢٣٦.

٤) حجة القراءات ص ٩٤.

٥) الكشف ١/٢٣٦.

الشيطان إياهما فصار كأنه أزلهما» اهـ(١).

و قد يحتمل أن يكون معنى ﴿فأَزَلَّهُمَا﴾ من زل عن المكان إذا تنحى عنه، فيكون في المعنى كقراءة حمزة: ﴿فازَالهُمَا﴾ من الزوال(٢).

لكن التفريق بين معنى القراءتين أولى؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد، خاصة مع قراءة الأعمش: «فوسوس لهما الشيطان».

حاصل القراءتين :

بينت قراءة حمزة: ﴿فازَالهُمَا﴾ أن ابليس أعوذ بالله منه نحى آدم ﷺ وحواء عن مكانهما في الجنة، لكن هذه القراءة مجملة في بيان كيفية حصول هذا الزوال وهذه التنحية، فجاءت قراءة الجمهور: ﴿فازَلَّهُمَا﴾ مبينة لكيفية حصول هذه النتيجة من إبليس لهما، وأنهما بسبب إيقاعه لهما في الزلل والمعصية؛ فهو أوقعهما في الزلل والمعصية فتسبب في زوالهما عما كانا فيه، والله أعلم.

---

١) ص ٩٤.

٢) الكشف ١/٢٣٦.

الموضع الثاني :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذْ واعَدْنَا مُوسَى أرْبَعِين لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُم العِجْل مِنْ بَعْدِهِ وأنْتُم ظَالِمُون﴾ البقرة:٥١.

وقوله تبارك تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثين لَيْلَةً وأتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أرْبَعِينَ لَيْلَةً، وقَالَ مُوسَى لأخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ﴾ الأعراف:١٤٢.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِي إسْرائيلَ قَدْ انْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأيْمَنَ ونَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوَى﴾ سورة طه:٨٠.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿وَاعَدْنا﴾ ﴿وواعدناكم﴾ :

فقرأ أبوعمرو وأبوجعفر ويعقوب بغير ألف بعد الواو: ﴿وعدنا﴾ ﴿ووعدناكم﴾ وقرأ مثلهم اليزيدي وابن محيصن.

وقرأ باقي العشرة بالألف: ﴿واعدنا﴾ ﴿وواعدناكم﴾ وقرأ مثلهم الأعمش والحسن(١).

معنى القراءتين :

معنى الوعد في القراءتين واحد ، لكن صيغة «فاعل» تفيد معنى المشاركة بين اثنين على الأكثر، وقد تفيد معنى الفعل المجرد فتفيد معنى المبالغة(٢).

فالقراءة بـ﴿وعدنا﴾ ﴿ووعدناكم﴾ تفيد أن الوعد صدر من الله عزوجل فقط، إذ ظاهر اللفظ فيه وعد من الله لموسى ﷺ وليس فيه وعد من موسى ﷺ(٣).

والقراءة بـ﴿واعدنا﴾ ﴿وواعدناكم﴾ تفيد أن المواعدة من الله لموسى ومن موسى لله؛ وعد الله موسى لقاءه على الطور ليكلمه ويناجيه، ووعد موسى الله المسير لما أمره به، أو الوعد من الله وقبوله كان من موسى وقبول الوعد يشبه الوعد(٤).

وقد يحتمل أن تكون المواعدة من الله عزوجل خاصة لموسى ﷺ في قراءة: ﴿واعدنا﴾ ﴿وواعدناكم﴾ لأن المفاعلة قد تأتي من واحد كقولهم: طارقت

---

١) المبسوط ص١١٧ الاتحاف ص١٣٥-١٣٦.
٢) شذاالعرف ص٤٢-٤٣ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ج١ص٤٢٤.
٣) الكشف ٢٣٩/١ حجة القراءات ص٩٦.
٤) الكشف ٢٣٩/١ البحرالمحيط ١٩٩/١.

النعل، وداويت العليل، وعاقبت اللص، والفعل في كل ذلك من واحد، فتكون القراءتان بمعنى واحد في «فعل» و «فاعل»، لكن التأسيس أولى من التأكيد، خاصة ولا مانع يمنعه والله أعلم.

حاصل القراءتين :

بينت القراءة بـ﴿وعدنا﴾ ﴿ووعدناكم﴾ أن الله وعد موسى ﷺ لكن هل تكرر هذا الوعد؟ هل أكده الله سبحانه وتعالى؟ هل قبل موسى هذا الوعد؟ هذه القراءة مجملة في ذلك.

لكن القراءة بـ﴿وعدنا﴾ ﴿وواعدناكم﴾ بينت هذا الاجمال فإنها إذا كانت تدل على المشاركة بين اثنين فإنها تبين مشاركة موسى عليه الصلاة والسلام في هذا الوعد من الله عطاء ومن موسى قبولا وامتثالا له، لأنم قبول الوعد والامتثال له ينزل منزلة الوعد، كما أنها تدل على تأكيد هذا الوعد وتكراره(١) والله أعلم.

فائدة :

﴿وعدنا﴾ من قوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لا قيه﴾ القصص:٦١ و ﴿وعدناهم﴾ من قوله تعالى: ﴿أو نريك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون﴾ الزخرف:٤٢ اتفق القراء العشرة على قراءتهما بدون ألف بعد الواو ولم يجر فيها الخلاف السابق(٢).

١) الكشف ٢٤٠/١ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ج١ص٤٥٥،٤٥٦.
٢) المغني في توجيه القراءات العشر ١٣٨/١.

الموضع الثالث :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وبَصَلِهَا، قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أدنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة:٦١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب: «وثومها» بالثاء(١).

قال ابن أبي داود:"حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا مسكين عن هارون حدثنا صاحب لنا عن أبي روق عن ابراهيم التيمي عن ابن عباس قال: «قراءتي قراءة زيد وأنا آخذ ببضعة عشر حرفا من قراءة ابن مسعود هذا أحدها: «من بقلها وقثائها وثومها وعدسها وبصلها»(٢).

معنى القراءتين :

اختلف في المراد من قراءة العشرة: ﴿وفُومِهَا﴾ على قولين:

أحدها : أنه الحبوب، واختلف أصحاب هذا القول في تحديد

---

١) معاني القرآن للفراء ٤١/١ تفسير غريب القرآن ص٥١ المحتسب ٨٨/١ زاد المسير ٨٩/١.

٢) إسناد ضعيف .

أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص٦٥.

الحسن بن أحمد هو ابن أبي شعيب أبومسلم الحراني، ثقة يغرب كما في «التقريب» ص١٥٨.

مسكين بن بكير الحراني أبوعبدالرحمن الحذاء، صدوق يخطيء كما في «التقريب» ص٥٢٩.

هارون هو ابن موسى الأزدي العتكي، ثقة مقريء رمي بالقدر كما في «التقريب» ص٥٦٩.

أبوروق هو عطية بن الحارث صاحب التفسير صدوق كما في «التقريب» ص٣٩٣.

إبراهيم التيمي هو ابن يزيد أبوأسماء الكوفي، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس كما في «التقريب» ص٩٥.

قال ابن المديني لم يسمع (يعني: إبراهيم) من علي و لا من ابن عباس. تهذيب التهذيب ١٧٧/١.

قلت : فالسند ضعيف لجهالة صاحب هارون، وللانقطاع بين التيمي وابن عباس ، والله أعلم.

الحبوب:

فقيل : الحنطة ، روي عن ابن عباس والسدي عن أشياخه والحسن وأبي مالك(١).

قال الفراء : «هي لغة قديمة يقول أهلها: فوّموا لنا أي: اختبزوا لنا»(٢) ، ومن هذا ما روي عن مجاهد وابن عطاء وابن زيد أن: فومها: الخبز»(٣).

وقيل : الحبوب كلها، ذكره ابن قتيبة(٤) والزجاج(٥).

وقيل : الحمص .

وقيل : السنبلة(٦).

الثاني : أنه الثوم، قاله مجاهد والربيع بن أنس ومقاتل والكسائي والنضر بن شميل وابن قتيبة(٧).

وجزم الزجاج (٣١١هـ) أنه الحنطة فقال: «﴿وفُومِهَا﴾ الفوم الحنطة، ويقال: الحبوب، وقال: بعض النحويين أنه يجوز عنده الفوم ههنا الثوم، وهذا ما لا يعرف أن الفوم الثوم، وههنا ما يقطع هذا محال أن يطلب القوم طعاما لا بر فيه والبر أصل الغذاء كله، ويقال: فوموا لنا أي: أخبزوا لنا، ولا خلاف عند أهل اللغة أن الفوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تخبز يلحقها اسم الفوم» اهـ(٨).

قلت : ويلاحظ أنه رحمه الله لم يشر إلى القراءة بـ«وثومها» وبالله التوفيق.

أما قراءة : «وثومها» فالثوم المعروف.

و نقل عن ابن عباس تفسير الآية بالقراءتين، ﴿وفُومِهَا﴾: الحنطة، «وثومها»: الثوم المعروف(٩).

---

١) زاد المسير ٨٩/١.

٢) معاني القرآن للفراء ٤١/١.

٣) البحرالمحيط ٢٣٣/١.

٤) تفسير غريب القرآن ص٥١.

٥) معاني القرآن واعرابه للزجاج ١٤٣/١.

٦) البحرالمحيط ٢٣٣/١.

٧) تفسير غريب القرآن ص٥١ زادالمسير ٨٩/١.

٨) معاني القرآن واعرابه للزجاج ١٤٣/١.

٩) سبق ذلك ص ٣١١.

حاصل القراءتين :

بينت قراءة أبي وابن مسعود وابن عباس المراد من هذه اللفظة: ﴿فُومِهَا﴾ في القراءة المتواترة.

قال الفراء (ت٢٠٧هـ): «... وهي في قراءة عبدالله: «وثومها» بالثاء، فكأنه أشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه والعرب تبدل الفاء بالثاء فيقولون: «جدث» و «جدف» و «وقعوا في عاثور شر» و «عافور شر» و «الأثاثي» و «الأثافي».

وسمعت كثيرا من بني أسد يسمي: «المغافير» «المغاثير».» اهـ(١).

و قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): «... و يقال: هو الثوم، والعرب تبدل الثاء بالفاء فيقولون جدث وجدف، والمغاثير والمغافير، وهذا أعجب الأقاويل إلي، لأنها في مصحف عبد الله: «وثومها».» اهـ(٢).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) عند كلامه عن معاني: «فومها»: «أحدها: أنه الثوم، بينته قراءة ابن مسعود: «وثومها»، وهو المناسب للبقل والعدس والبصل...» اهـ(٣).

---

١) معاني القرآن للفراء ٤١/١.

٢) تفسير غريب القرآن ص٥١.

٣) البحرالمحيط ٢٣٣/١.

الموضع الرابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وفُومِهَا وعَدَسِهَا وبَصَلِهَا، قَال أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ وبَاءوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِك بأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ ويَقْتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة:٦١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود الحسن والأعمش وأبان بن تغلب وطلحة: «مصر» بترك الصرف وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب(١) وهي قراءة شاذة.

معنى القراءتين :

معنى القراءة المتواترة: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ أي: من الأمصار دون تعيين، ويحتمل أن يراد مصر فرعون.

ومعنى قراءة أبي بن كعب وابن مسعود والآخرين: "مصر" أي: مصر بعينها، وهي مصر فرعون.

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿مصرا﴾ فقرأه عامة القراء: ﴿مصرا﴾ بتنوين المصر واجرائه، وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه.

فأما الذين نوّنُوه وأجْرُوه (يعني: صرفوه ولم يعاملوه معاملة الممنوع من الصرف) فإنهم عنوا به مصرا من الأمصار لا مصرا بعينه فتأويله على قراءتهم: اهبطوا مصرا من الأمصار؛ لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي إنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم إذا هبطتموه ما سألتم من العيش.

وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالاجراء والتنوين كان تأويل الكلام عنده اهبطوا مصرا البلدة التي تعرف بهذا الاسم وهي مصر التي خرجوا عنها، غير أنه اجراها ونوّنها اتباعا منه خط المصحف؛ لأن في المصحف الفا ثابتة في مصر، فيكون سبيل قراءته ذلك بالاجراء والتنوين سبيل من قرأ: ﴿قَوارِيرا.قَوارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:١٥-١٦] منونة اتباعا منه خط المصحف.

---

١) زاد المسير ٨٩/١ تفسير القرطبي ٤٢٩/١ البحرالمحيط ٢٣٤/١ القراءات الشاذة ص٢٩.

وأما الذي لم ينون: «مصر» فإنه لا شك أنه عني: «مصر» التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها» اهـ(١).

قلت: وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ«مصر» في الآية واحتجوا بحجج.

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «من حجة من قال: إن الله جل ثناؤه إنّما عني بقوله: ﴿اهبطوا مصرا﴾ مصرا من الأمصار دون مصر فرعون بعينها:

أن الله جعل أرض الشام لبني اسرائيل مساكن بعد أن أخرجهم من مصر، وإنّما ابتلاهم بالتيه بامتناعهم على موسى في حرب الجبابرة إذ قال لهم: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢١-٢٤] فحرّم الله جل وعز على قائلي ذلك - فيما ذُكر لنا - دخولها حتى هلكوا في التيه، وابتلاهم بالتيهان في الأرض أربعين سنة، ثم أهبط ذريتهم الشأم، فأسكنهم الأرض المقدسة وجعل هلاك الجبابرة على أيديهم مع يوشع بن نون بعد وفاة موسى بن عمران فرأينا الله جل وعز قد أخبر عنهم أنه كتب لهم الأرض المقدسة، ولم يخبرنا عنهم أنه ردهم إلى مصر بعد اخراجه اياهم منها فيجوز لنا أن نقرأ: «اهبطوا مصر» ونتأوله أنه ردهم إليها.

قالوا: فإن احتج محتج بقول الله جل ثناؤه: ﴿فأَخْرَجْنَاهُم مِن جَنَّاتٍ وعُيونٍ. وكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٥٧-٥٩].

قيل له: فإن الله جل ثناؤه إنّما أورثهم ذلك، فملكهم إياها ولم يردهم إليها وجعل مساكنهم الشأم.

وأما الذين قالوا: إن الله إنما عني بقوله جل وعز: ﴿اهْبطوا مِصْرا﴾: مصر.

فإن من حجتهم التي احتجوا بها الآية التي قال فيها: ﴿فأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وعُيُونٍ. وكُنُوزٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٥٧-٥٩].

---

١) تفسير الطبري (شاكر) ٢/١٣٢-١٣٣.

وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٥-٢٨].

قالوا : فأخبر الله جل ثناؤه أنه قد ورثهم ذلك وجعلها لهم، فلم يكونوا يرثونها ثم لا ينتفعون بها، قالوا: ولا يكونون منتفعين بها إلا بمصير بعضهم إليها ، وإلا فلا وجه للانتفاع بها إن لم يصيروا ، أو يصير بعضهم إليها.

قالوا : وأخرى (يعني: حجة أخرى) أنها في قراءة أبي بن كعب وعبدالله بن مسعود: «اهبطوا مصر» بغير ألف قالوا: ففي ذلك الدلالة البينة أنها «مصر» بعينها» اهـ(١).

قلت : واختار الطبري عدم الترجيح بين القولين، وقال: «لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر وأهل التأويل متنازعون تأويله» اهـ(٢).

حاصل القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿مِصْراً﴾ بالتنوين لا تدل على مصر معين أي: اهبطوا مصرا من الأمصار، وقراءة أبي بن كعب والحسن ومن معهم عينت ذاك المبهم وهو مصر فرعون، فأمروا بالهبوط إليها.

قال الفراء (ت٢٠٧هـ): «.. وإنْ شئت جعلت «مصر» غير المصر التي تعرف، يريد: اهبطوا مصرا من الأمصار، فإن الذي سألتم عنه لا يكون إلا في القرى والأمصار.

والوجه الأول أحب الي (يعني: أنها مصر التي تعرف) لأنها في قراءة عبدالله: «اهبطوا مصر» بغير ألف وفي قراءة أبي: «اهبطوا فإنَّ لكم ما سألتم واسكنوا مصر» وتصديق ذلك أنها في سورة يوسف [آية ٩٩] بغير ألف: ﴿ادْخلوا مِصر إنْ شَاء اللَّه آمنين﴾...» اهـ(٣).

---

١) تفسير الطبري (شاكر) ١٣٤/٢-١٣٥.

٢) ماسبق ١٣٥/٢.

٣) معاني القرآن للفراء ٤٣/١.

وقال محققاه: «هذه القراءة المنسوبة لأبي لم نقف عليها في أصول القراء مما بين أيدينا من المراجع»اهـ

قلت : يشيران إلى قراءة أبي بن كعب التي أوردها الفراء: «اهبطوا فإن لكم ما سألتم واسكنوا مصر».

الموضع الخامس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة:١٢٦.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾:

فقرأ ابن عامر وحده: ﴿فأمتعه﴾ خفيفه، وقرأ مثله المطوعي عن الأعمش.

وقرأ سائر العشرة: ﴿فأمَتِّعه﴾ بالفتح والتشديد، وقرأ مثلهم الحسن وابن محيصن واليزيدي(١).

معنى القراءتين :

والقراءتان بمعنى واحد غير أن التشديد فيه معنى تكرير الفعل(٢).

قال الراغب (ت٥٠٢هـ): «المتوع: الامتداد والارتفاع يقال: متع النهار ومتع النبات إذا ارتفع في أول النبات والمتاع انتفاع ممتد الوقت، يقال: متعه الله بكذا وأمتعه، وتمتع به.»

قال : «وكل موضع ذكر فيه تمتعوا في الدنيا فعلى طريق التهديد وذلك لما فيه من معنى التوسع»اهـ(٣).

حاصل القراءتين :

أفادت القراءة بالتخفيف مجرد الاخبار عن امتاع الله للكفار في الدنيا لكن هل يتكرر ذلك أم هو مرة واحدة؟. ليس في قراءة التخفيف ما يبين ذلك.

وبينت القراءة بالتضعيف ذلك فأفادت أن الله يمتع من كفر في الحياة الدنيا قليلا، متعة بعد متعة، ثم يضطره إلى عذاب النار وبئس المصير.

---

١) المبسوط ص١٢٢ الاتحاف ص١٤٨ وقال مكي في الكشف ٢٦٥/١: «وبالتخفيف قرأ ابن عباس وابن محيصن وشبل... وبالتشديد قرأ.. الأعمش»اهـ

٢) الكشف ٢٦٥/١.

٣) المفردات في غريب القرآن ص٤٦١.

الموضع السادس :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة:١٣٢.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا﴾:

فقرأ نافع وابن عامر وأبوجعفر بهمزة مفتوحة بين الواوين واسكان الثانية وتخفيف الصاد: ﴿وأوصَى﴾.

وقرأ باقي العشرة من غير همز معدى بالتضعيف: ﴿ووَصَّى﴾(١).

معنى القراءتين :

معنى القراءتين واحد ، غير أن التشديد فيه معنى تكرار الفعل فكأنه أبلغ في المعنى(٢).

قال الراغب (ت٥٠٢هـ): «الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ، من قولهم: أرض واصية متصلة النبات ويقال: أوصاه ووصاه»اهـ(٣).

حاصل القراءتين :

أفادت القراءة بالتخفيف حصول فعل التوصية من إبراهيم ﷺ لبنيه ويعقوب، وهل حصلت الوصية مرة أو مرَّات؟. ليس في القرءة ما يدل على شيء من ذلك، وجاءت القراءة بالتشديد فأفادت حصول فعل التوصية من ابراهيم ﷺ لبنيه و يعقوب مرة بعد مرة والله أعلم.

فائدة :

قال أبوعمرو الداني (ت٤٤٤هـ): «في مصاحف أهل المدينة والشام: ﴿وأوصَى بِهَا﴾ بألف بين الواوين.

قال أبو عبيد : وكذلك رأيتها في الامام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وسائر المصاحف: ﴿ووَصَّى﴾بغير ألف»اهـ(٤).

---

١) المبسوط ص١٢٣ الاتحاف ص١٤٨.

٢) الكشف ١/٢٦٥.

٣) المفردات في غريب القرآن ص٥٢٥.

٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص١٠٦ وانظر المصاحف لابن أبي داود ص٤٩، ٥١.

الموضع السابع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير**﴾ البقرة:١٤٨.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿**لكل وجهة هو موليها**﴾:

فقرأ ابن عامر: ﴿**مولاها**﴾ بفتح اللام وألف بعدها.

وقرأ باقي العشرة: ﴿**موليها**﴾ بكسر اللام وياء بعدها(١).

وقرئ: «ولكلِ وجهة» بإضافة «كل» إلى «وجهة» وتروى عن ابن عباس(٢).

عن ابن عباسٍ أنه قرأ: «ولكلِ وجهة هو موليها» مضاف، قال: مواجهها، قال: صلوا نحو بيت المقدس مرة ونحو الكعبة قبلة»(٣).

وقرئ: «لكل جعلنا قبلة يرضونها»(٤).

عن منصور بن المعتمر قال: «نحن نقرؤها: «ولكل جعلنا قبلة يرضونها»(٥).

معنى القراءات :

معنى قراءة ابن عامر: ﴿**مولاها**﴾ لكل فريق وجهة مولاها أي: مصروف إليها(٦).

---

١) المبسوط ص١٢٣ النشر ٢/٢٢٣.

٢) تفسيرالقرطبي ٢/١٦٥ الدرالمنثور١/٣٥٧.

٣) عزاه في الدرالمنثور١/٣٥٧ إلى ابن أبي حاتم ، وقال القرطبي في تفسيره ٢/١٦٥: «وذكر أبوعمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنهما»اهـ

٤) تفسير الطبري (شاكر) ٣/١٩٤.

٥) إسناده حسن إلى منصور .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ٣/١٩٤ وابن أبي داود في المصاحف ص٦٦ كلاهما من طريق جرير قال: قلت لمنصور....

قال الطبري : حدثني ابن حميد قال: حدثنا جرير... به.

قال ابن أبي داود : حدثنا يوسف بن موسى قال: سمعت جريرا... به.

قلت : ابن حميد شيخ الطبري هو محمد، ضعيف كما في «التقريب» ص٤٧٥ لكن تابعه يوسف بن موسى هو ابو يعقوب الكوفي صدوق كما في «التقريب» ص٦١٢.

وجرير هو ابن عبدالحميد الكوفي قال في «التقريب» ص١٣٩: «ثقة صحيح الكتاب قيل: كان في آخر عمره يهم من حفظه»اهـ

ومنصور هو ابن المعتمر قال في «التقريب» ص٥٤٧ عنه: «ثقة ثبت»اهـ

قلت : والظاهر أنها قراءة تفسيرية والله أعلم.

وقال محققا تفسير الطبري (شاكر) ٣/١٩٤: « قوله: «نقرؤها» (يعني: في الأثر السابق عن منصور) لا يعني أنها قراءة في قراءات القرآن، وإنما يعني دراستها والتفقه في معانيها»اهـ

٦) تفسير القرطبي ٢/١٦٤.

معنى قراءة الجمهور : ﴿موليها﴾ أي: لكل صاحب ملة قبلة موليها وجهه، وهذا قول الربيع وعطاء وابن عباس.

وقيل : ﴿موليها﴾ أي : متوليها(١).

ويحتمل أن يكون المعنى : لكل صاحب ملة قبلة، الله موليها إياه(٢).

معنى القراءة باضافة «كل» إلى «وجهة»: «لكلِ وجهةٍ» أي: فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولا كموها ولا تعترضوا فيما أمركم بيِن هذه وهذه، أي: إنما عليكم الطاعة في الجميع، وقدم قوله: «ولكل وجهةٍ» على الأمر في قوله: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعولُ(٣).

حاصل القراءات :

القراءة الشاذة: «لكل جعلنا قبلة يرضونها» فسرت معنى القراءتين المتواترتين: ﴿موليها﴾ و ﴿مولها﴾ والقراءة الآحادية: «ولكل وجهة» باضافة كل إلى وجهة أضافت إلى ألاية معنى آخر وهو المبادرة إلى الخيراتً في كل وجهة يولينا الله عزوجل إيَّاها.

تنبيه :

خطّأ الطبري (ت٣١٠هـ) القراءة بـ«لكل وجهة» باضافة «كل» إلى «وجهة» وقال: «قد ذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك: «ولكَل وجهّة» بترك التنوين والاضافة وذلك لحن ولا تجوز القراءة به؛ لأن ذلك - إذا قرئ كذلك - كان الخبر غير تام، وكان كلاما لا معنى له وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه»اهـ(٤).

وتعقبه ابن عطية (ت٥٤٢هـ) فقال: «خطّأها الطبري وهي متجهة أي: فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولا كموها ولا تعترضوا فيما أمركم بين هذه وهذه، أي: إنما عليكم الطاعة في الجميع وقدم قوله: «لكلِ وجهةٍ» على ألأمر في قوله: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعولٌ»اهـ(٥)وكذا تعقب الألوسي (ت١٢٧٠هـ) من خطأ هذه القراءة فقال: «وقد صعب تخريجها حتى تجرأ بعضهم على ردها وهو خطأ عظيم»اهـ.(٦).

ثم ذكر بعض التوجيهات ولم يرتض منها شيئا.

---

١) ماسبق .

٢) الكشف ٢٦٧/١ حجة القراءات ص١١٧.

٣) تفسير القرطبي ١٦٥/٢.

٤) تفسير الطبري (شاكر) ١٩٥/٣.

٥) بواسطة تفسير القرطبي ١٦٥/٢.

٦) روح المعاني ١٤/٢.

الموضع الثامن :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ البقرة:١٨٤.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾:

فقرأ أبوجعفر ونافع وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿فديةُ﴾ بغير تنوين: ﴿طَعَامِ﴾ بالخفض على الاضافة و ﴿مَسَاكِينَ﴾ بالجمع وفتح النون بلا تنوين، وقرأ مثلهم الحسن والمطوعي.

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿فديةٌ﴾ بالتنوين ﴿طَعَامُ﴾ بالرفع ﴿مِسْكِينٍ﴾ بالافراد وكسر النون منونة، وقرأ مثلهم ابن محيصن واليزيدي.

وقرأ هشام عن ابن عامر: ﴿فديةٌ﴾ بالتنوين و ﴿طعامُ﴾ بالرفع و ﴿مَسَاكِينَ﴾ بالجمع وفتح النون(١).

معنى القراءات :

القراءة بالإضافة: ﴿فديةُ طَعَامِ﴾ فيها بيان أن فدية الصيام من طعام فالاضافة من باب إضافة الشيء إلى نفسه، والمقصود به البيان، مثل: «خاتم حديد» فالخاتم قد يكون من حديد وقد يكون من غيره فلما أضفته إلى «حديد» بينت أنه منه، وكذا قولك: «ثوب حرير»، والفدية مثل ذلك تكون طعاما وغيره، فلما قال: ﴿فِدْيَةُ طَعَامِ﴾ بين أن الفدية من طعام لا غيره.

القراءة بالتنوين : ﴿فديةٌ طعامُ﴾ أي: أن الطعام بدل الفدية، فبين الله عزوجل الفدية من أي نوع هي أبالطعام أو غيره(٢).

القراءة : ﴿مَسَاكِينَ﴾ بالجمع أي: على الذين يطيقونه اطعام مساكين، فقابل الجمع في ﴿الذين﴾ بالجمع في ﴿مَسَاكِين﴾ والمعنى: على كل واحد إطعام مسكين، وهل عليه أن يطعم مسكينا لكل يوم؟ أو يكفيه اطعام مسكين

---

١) النشر ٢٢٦/٢ الإتحاف ص١٥٤.

تنبيه : نسب ابن مجاهد في «السبعة» ص١٧٦ وابن مهران في «المبسوط» ص١٢٧ والقلانسي في «إرشاد المبتدي» ص٢٣٨ إلى ابن عامر القراءة بـ﴿فدية﴾ مضاف إلى ﴿طعام﴾، ﴿مساكين﴾ بالجمع، ولم يفصلوا بين رواية هشام وابن ذكوان.

وفصل بينهما مكي بن أبي طالب في «التبصرة» ص٢٦٦ وأبوعمرو الداني في «التيسير» ص٧٩ والشاطبي في «متن الشاطبية» ص٤٠ وابن الجزري في «النشر» ٢٢٦/٢ والدمياطي في «الإتحاف» ص١٥٤.

٢) الكشف ٢٨٢/١ حجة القراءات ص١٢٥ فتح الباري ١٨١/٨.

واحد عن كل الأيام؟ لا يفهم من هذه القراءة بيان ذلك(١).

القراءة : ﴿مَسْكِين﴾ بالإفراد أي: على الذين يطيقونه إطعام مسكين، فقابل الجمع في ﴿الّذين﴾ بالمفرد في ﴿مَسْكِين﴾ والمعنى: على كل واحد لكل يوم يفطر فيه إطعام مسكين(٢) فمقابلة الجمع بالمفرد هنا اقتضت تعميم المفرد(٣).

حاصل القراءات :

تأكيد أن فدية الفطر وترك الصيام إنما تكون اطعام مساكين، وبيان أن هذه الفدية تجب على كل من أفطر لكل يوم أفطر فيه.

والمراد من اطعام مسكين : إطعام مسكين عن كل يوم(٤).

فتنوع القراءات في ﴿فدية طعام﴾ بين الإضافة والإبدال إنما أفاد تأكيد الحكم، وتنوعها في ﴿مسَاكين﴾ بين الجمع والافراد أفاد تفصيل مجمل حيث بينت قراءة الإفراد أن الفدية لازمة عن كل يوم يفطر فيه، ولا يفهم ذلك من قراءة الجمع.

فائدة :

حكم هذه الآية مخصص بالشيخ الهرم والعجوز الكبيرة الذين لا يطيقان الصوم، وبالحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما، على خلاف بين أهل العلم في ذلك(٥).

---

١) الكشف ١/٢٨٣ فتح الباري ٨/١٨١.

٢) الكشف ١/٢٨٤.

٣) انظر حول مقابلة الجمع بالجمع ومقابلة الجمع بالمفرد «فوائد في مشكل القرآن» ص٩١-٩٢ الاتقان (أبوالفضل)٢/٢٨١.

٤) فتح الباري ٨/١٨١.

٥) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٤٩ نواسخ القرآن ص٦٥.

الموضع التاسع :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة:٢٢٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن عباس وأبي بن كعب: «للذين يقسمون» وهي قراءة شاذة(١).

عن ابن عباس أنه: «كان يقرؤها: «للذين يقسمون من نسائهم» ويقول: الإيلاء القسم، والقسم الايلاء»(٢).

عن حماد قال : «قرأت في مصحف أبي: «للذين يقسمون»(٣).

معنى القراءتين :

الإيلاء هو القسم، والقسم هو الإيلاء، وهذا محل اجماع بين أهل العلم.

قال ابن المنذر (ت٣١٨هـ): «وأجمعوا على أن كل يمين منعت جماعا أنه إيلاء...»اهـ(٤).

---

١) تفسير القرطبي ٣/١٠٢ البحر المحيط ٢/١٨٠.

٢) إسناده صحيح .

أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٦/٤٥٤-٤٥٥ بدون قوله: «ويقول:الايلاء...».

وفي السند عنده عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ثقة مدلس، بل قال الدارقطني: «شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح»اهـ طبقات المدلسين ص٤١.

قلت : وقد عنعن في روايته هنا، لكن أخرجه أبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٣٨ تحت رقم (٥٦٨) باسناد صحيح مثل رواية عبدالرزاق.

وعزاه في «الدرالمنثور» ١/٦٤٦ إلى سعيد بن منصور وعبدبن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف.

٣) إسناده حسن إلى حماد.

أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» ص٦٣.

وفي السند إسحاق بن إبراهيم (شاذان) شيخ ابن أبي داود قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٢١١ عنه: «صدوق»اهـ وأورده ابن حبان في «الثقات» ٨/١٢٠، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٢/٣٨٢ عنه: «الامام المحدث الصدوق»اهـ ولكن قال ابن حجر في «لسان الميزان» ١/٣٤٧ عنه: «له مناكير وغرائب»اهـ

قلت : وهذا لا يضره هنا، والأثر السابق يشهد له والله أعلم.

وقال السيوطي في «الدر المنثور» ١/٦٤٦: «وأخرج ابن المنذر عن أبي بن كعب مثله»اهـ

٤) الإجماع لابن المنذر ص١٠٥.

قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ): «اتفقوا على أن من حلف في غير حال غضب باسم من اسماء الله عزوجل على أن لا يطأ زوجته الحرة المسلمة العاقلة البالغة الصحيحة الجسم والعقل والنكاح، وهي غير حبلى و لا مرضعة وكان قد دخل وهو مسلم بالغ عاقل غير سكران و لامكره و لا مجبوب و لاعنين، وهي ممكنة له من نفسها ووطؤها ممكن فحلف ألا يطأها أبدا فإنه مول، إذا طلبته بذلك» اهـ(١).

حاصل القراءتين :

بينت القراءة الشاذة المراد من كلمة: ﴿يؤلون﴾ في القراءة المتواترة وأن معناها يقسمون.

١) مراتب الإجماع ص٧٠-٧١.

الموضع العاشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة:٢٢٦.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود: «فإن فاؤوا فيهن فإن الله غفور رحيم»(١) وهي قراءة شاذة.

حاصل القراءتين :

القراءة المتواترة: ﴿فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تحتمل أن يكون التقدير: فإن فاؤوا في الأشهر، ويحتمل أن يكون فإن فاؤوا بعد انقضاء الأشهر(٢).

القراءة الشاذة: «فإن فاؤوا فيهن فإن الله غفور رحيم» تدل على أن الفيئة لا تكون إلا في الأشهر.

فالقراءة الشاذة لم تتعرض لوقوع الطلاق بمجرد مضي الأربعة الأشهر إنما نصت على أن الفيئة فيهن مقبولة عند الله سبحانه وتعالى لا تحتاج إلى أن يوقف صاحبها و لاشيء من ذلك، وأن الله يغفر يمين المؤلي و لايؤاخذه بها، ولم تتعرض لحكم الطلاق بعد الأشهر الأربعة بنفي أو إثبات؛ فهي يقتصر دورها في بيان أن الفيئة في مدة الأشهر الأربعة مقبولة وهي بهذا تكون قيدت القراءة المتواترة ورجحت أحد المعنيين المحتملين، ودلت على أن الايلاء يكون في أقل من أربعة أشهر.

وهل تدل على أن المولي إذا لم يفيء فيها دخل عليه الطلاق من غير أن يوقف بعد مضي الأربعة الأشهر؟.

محل خلاف(٣) :

ذهب أبوحنيفة إلى أنها تدل على دخول الطلاق المولي بعد الأربعة أشهر إن لم يفيء فيها، من غير أن يوقف بعد مضي الأشهر الأربعة، وهذا

---

١) البحر المحيط ١٨٢/٢.

وعزى في «الدر المنثور» ٦٤٩/١ قراءة أبي بن كعب إلى أبي عبيد في «فضائل القرآن» وابن المنذر.

قلت : وهي عند أبي عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٣٨ تحت رقم (٥٦٩) (طبعة دار الكتب العلمية) ص١٦٤-١٦٥، بإسناد صحيح.

٢) البحر المحيط ١٨٢/٢-١٨٣.

٣) أحكام القرآن للهراسي ١٤٧/١-١٤٨.

مذهب ابن مسعود وابن عباس وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وجابر بن زيد والحسن ومسروق رضي الله عنهم جميعا(١).

وتوجيه دلالة الآية والقراءة أنه تعالى ذكره قال: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ ثم قال: ﴿فاؤوا﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ وهذه الفاء للتقسيم فأحد القسمين يكون في المدة وهو الفيء، والآخر يكون بعد مضيها وهو الطلاق(٢).

ثم إنَّ القراءة المتواترة محتملة لجواز الفيء من الايلاء في الأربعة الأشهر دون ما بعدها، وتحتمل جواز الفيء من الايلاء بعد الأربعة الأشهر، فجاءت القراءة الشاذة ورجحت أحد الاحتمالين وهو كون الفيء في المدة، إما باعتبار أن الأصل توافق القراءتين شاذتين كانتا أو أحدهما شاذة فتنزل تفسيرا للمراد من الأخرى، واما باعتبار أنها تستقل باثبات كونه في المدة؛ إذ لا تعارض القراءة المشهورة؛ لأنها أعم من كونها فيها أو بعدها(٣).

وذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق إلى أن المرأة لا تطلق بمضي الأربعة الأشهر حتى يوقف الزوج إما يفيء وإما أن يطلق، فإن فاء فإن الله غفور رحيم، وإن عزم الطلاق فإن الله سميع عليم(٤).

وهذا القول مروي عن علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وهو الصحيح عن عثمان بن عفان، وابن عمر وعائشة وأبي الدرداء(٥).

عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه أنه قال: «سألت اثني عشر من أصحاب رسول الله ﷺ عن الرجل يؤلي؟.

قالوا : ليس عليه شيء حتى تمضي أربعة أشهر فيوقف فإن فاء وإلا طلق»(٦).

---

١) معجم فقه السلف ٧/٧٣-٧٧ موسوعة فقه ابن مسعود ص١٢٣-١٢٤ موسوعة فقه عثمان ابن عفان ص٨٣ موسوعة فقه ابن عباس ص٢١٩.

٢) الاختيار لتعليل المختار ٣/١٥٣.

٣) فتح القدير لابن الهمام ٤/١٩١.

٤) المدونة ٢/٣٢١ الأم للشافعي ٥/٢٦٩ مسائل أحمد لعبدالله ص٣٦٣ اختلاف العلماء للمروزي ص١٨٣.

٥) معجم فقه السلف ٧/٧٣-٧٧ وهو صحيح عنهم انظر «إرواء الغليل» ٧/١٦٩-١٧١.

٦) إسناده صحيح .
أخرجه الدارقطني ٤/٦١ ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٣٧٧.
قلت : صححه الألباني في ارواء الغليل ٧/١٧٢.

ووجه دلالة الآية لهذا القول : أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ للتعقيب والترتيب والمعنى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ثم عقبها إمّا أن يفيئوا و إما أن يطلقوا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ﴾ يدل على أنها لا تطلق بمضي الأشهر الأربعة حتى يوقف، فإن فاء فإن الله غفور رحيم وان عزم على الطلاق فإن الله سميع عليم.

وسبب اختلافهم : هو هل قوله تعالى: ﴿... فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: قبل انقضاء المدة (الأربعة الأشهر) أم بعدها؟.

فمن فَهِم منه : قبل انقضاء المدة، قال: يقع الطلاق بمجرد انقضائها، ومعنى العزم عنده في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أن لا يفيء حتى تنقضي المدة.

ومن فَهِم من اشتراط الفيئة اشتراطها بعد انقضاء المدة قال: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ﴾ أي: باللفظ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ويضاف سبب آخر : وهو اختلافهم في العمل بالقراءة الشاذة حيث يرى الأحناف أن الفيء في الإيلاء لا يعتد به إلا في أثناء مدته عملا بقراءة ابن مسعود وأبي بن كعب: «فإن فاؤوا فيهن»، وغيرهم يرى أن الفيء كما يكون في أثناء المدة يكون بعد انقضائها لأنهم لا يعملون بالقراءة الشاذة والله أعلم.

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): «اعلم أنَّ أهل كل مذهب قد فسروا هذه الآية بما يطابق مذهبهم وتكلفوا بما لم يدل عليه اللفظ، ولا دليل آخر، ومعناها ظاهر واضح: وهو أن الله جعل الأجل لمن يولي (أي: يحلف من امرأته) أربعة أشهر، ثم قال مخبرا لعباده بحكم هذا المُولِّي بعد هذه المدة: ﴿فإن فاؤوا﴾ رجعوا إلى بقاء الزوجية واستدامة النكاح ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لا يؤاخذهم بتلك اليمين بل يغفر لهم ويرحمهم ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ أي: وقع العزم منهم عليه والقصد له ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لذلك منهم ﴿عَلِيمٌ﴾ به، فهذا معنى الآية الذي لا شك فيه و لا شبهة.

فمن حلف أن لا يطأ امرأته ولم يقيد بمدة أو قيد بزيادة على أربعة أشهر كان علينا إمهاله أربعة أشهر فإذا مضت فهو بالخيار إمّا رجع إلى نكاح امرأته وكانت زوجته بعد مضي المدة كما كانت زوجته قبلها، أو طلقها

---

١) بداية المجتهد ٢/١٠٠.

وكان له حكم المطلق لامرأته ابتداء.

وأمّا إذا وقت بدون أربعة أشهر فإن أراد أن يبر في يمينه اعتزل امرأته التي حلف منها حتى تنقضي المدة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين آلى من نسائه شهرا؛ فإنّه اعتزلهن حتى مضى الشهر(1) وإن أراد أن يطأ امرأته قبل مضي تلك المدة التي هي دون أربعة أشهر حنث في يمينه ولزمته الكفارة وكان ممتثلا لما صح عنه ﷺ من قوله: «من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فليأت الذي هو خير منه وليكفر عن يمينه»(2).» اهـ(3).

---

1) حديث صحيح.

فقد أخرجه البخاري عن أنس في مواضع من صحيحه منها في كتاب الصلاة باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، وفي كتاب الطلاق باب قول الله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ وأخرجه الترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء أن الشهر يكون تسعا وعشرين حديث رقم (٦٩٠) وأخرجه النسائي في كتاب الإيلاء ٦/ ١٦٦.١٦٧. انظر جامع الأصول ١/٣٥١-٣٥٢.

2) حديث صحيح.

فقد أخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الايمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير حديث رقم (١٦٥٠) ومالك في كتاب الايمان باب ما تجب فيه الكفارة من الأيمان ٢/٤٧٨ والترمذي في كتاب الايمان باب ماجاء في الكفارة قبل الحنث حديث رقم (١٥٣٠). انظر جامع الأصول١١/٦٦٨.

3) تفسيرالشوكاني ١/٢٣٣.

الموضع الحادي عشر:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ البقرة:٢٣٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقد اختلف السلف في المراد بالصلاة الوسطى(١).

وجاءت قراءة عن عائشة وحفصة وأم سلمة وابن عباس وأبي ابن كعب تبين المراد من الصلاة الوسطى وأنها العصر(٢) :

عن أبي يونس مولى عائشة قال: «أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨].

فلما بلغتها آذنتها ، فأملت علي: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين».

قالت عائشة : سمعتها من رسول الله ﷺ.»(٣).

عن عمرو بن رافع قال : «كنت أكتب مصحفا لحفصة أم المؤمنين، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ فلما بلغتها آذنتها فأملت علي: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين».»(٤).

عن عبد الله بن رافع قال : «أمرتني أم سلمة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بلغت: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ فأخبرني؛

---

١) وجمع الدمياطي في ذلك جزءا مشهورا سماه: «كشف الغطاعن الصلاة الوسطى» فبلغ تسعة عشر قولا، وأوصلها الحافظ ابن حجر إلى عشرين قولا في «فتح الباري» ٨/١٩٦-١٩٧.

قلت : وهذه الأقوال هي التالية الصبح أو الظهر أو العصر أو المغرب أو جميع الصلوات أو الجمعة أو الظهر في الأيام والجمعة يوم الجمعة أو العشاء أو الصبح والعشاء أو الصبح والعصر أو صلاة الجماعة أو الوتر أو صلاة الخوف أو صلاة عيد الأضحى أو صلاة عيد الفطر أو صلاة الضحى أو واحدة من الخمس غير معينة أو أنها الصبح أو العصر على الترديد أو صلاة الليل أو التوقف.

وأرجحها ما دلت عليه هذه القراءة.

٢) سبق تخريج هذه القراءات جميعها بتوسع ص ١٤٦-١٤٧، واكتفي هنا بعزو مختصر لألفاظ الروايات التي أسوقها.

٣) هذا لفظ مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر حديث رقم (٦٢٩).

٤) هذا لفظ مالك في كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى حديث رقم (٢٦).

فأخبرتها، فقالت: أكتب: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين».»(١).

عن هبيرة بن يريم : «أنه سمع ابن عباس قرأ هذا الحرف: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر».»(٢).

عن أبي قلابة قال : «كانت في مصحف أبي بن كعب: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى و هي صلاة العصر»(٣).

وتلاحظ الأمور التالية :

(١) الواو في الروايات السابقة: «الصلاة الوسطى وصلاة العصر» ليست للمغايرة بدليل ما جاء صريحا في قراءة أبي بن كعب: «الصلاة الوسطى هي صلاة العصر»(٤).

وما جاء عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «كان في مصحف عائشة: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر»(٥).

وما جاء عن حفصة زوج النبي ﷺ أنها قالت لكاتب مصحفها: «إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت رسول الله ﷺ، فلما أخبرها قالت: أكتب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر»(٦).

قلت : فالواو عاطفة ، لكن عطف صفة لا عطف ذات(٧).

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «يحتمل أن تكون الواو زائدة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

١) هذا لفظ عبدالرزاق في المصنف كتاب المواقيت باب الصلاة الوسطى ٥٧٩/١ حديث رقم (٢٢٠٤).

٢) هذا لفظ البيهقي في السنن الكبرى ٤٦٣/١.

تنبيه :

وقع تصحيف في هذا الأثر في «الدرالمنثور» ٧٢٣/١: «عمير بن مريم» صوابه: «هبيرة ابن يريم» كما في السنن الكبرى للبيهقي ٤٦٣/١ وكما في تفسيرالطبري (شاكر) ٢١٣/٥.

٣) هذا سياق السيوطي في «الدر المنثور» ٧٢٨/١.

٤) قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٩٧/٨: «رواه أبو عبيد بإسناد صحيح عن أبي بن كعب»اهـ.

٥) تفسيرالطبري ٥٥٥/٢.

٦) فتح الباري ١٩٧/٨.

٧) ماسبق ٥٥٦/٢، وأورد ابن حجر رحمه الله احتمالا أنها زائدة، ولم يرتض ذلك بعض أهل العلم فلم أشر إليه في الصلب إذ لا يليق إطلاق وصف الزائد على حرف من كتاب الله الحكيم العليم والله أعلم. وانظر «الإتقان في علوم القرآن» ٢٦٨/٢.

نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

أو تكون لعطف الصفات لا لعطف الذوات كقوله: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وكقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى:١-٤] وأشباه ذلك كثيرة.

وقال الشاعر :

إلى الملك القَرْم الهُمَام ... ولَيْث الكَتِيْبَة فِي المُزْدَحَمْ

وقال أبوداود الايادي :

سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام

والموت هو المنون .

قال عدي بن زيد العبادي :

فقددت الأديم لراهشيه ... فألفى قولها كذبا ومينا

والكذب هو المين .

وقد نص سيبويه شيخ النحاة على جواز قول القائل: مررت بأخيك وصاحبك، ويكون الصاحب هو الأخ نفسه والله أعلم»اهـ(١).

(٢) جاءت أحاديث صحيحة تصدق ما جاء في هذه القراءات:

عن علي بن أبي طالب: «أن النبي ﷺ قال يوم الاحزاب (وفي رواية: يوم الخندق): ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس.»

وفي رواية : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»(٢) نحوه.

عن ابن مسعود قال : «حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر

---

١) تفسير ابن كثير ٢٩٣/١.

قلت : وكونها من باب عطف الصفات أليق من القول أنها زائدة.

قال في «الإتقان» (أبوالفضل) ٢٦٨/٢ عند ذكره الأمور التي ينبغي على الناظر في كتاب الله تجنبها : «الثاني عشر: أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك، لذا فرَّ بعضهم الى التعبير بدله بالتأكيد والصلة والمقحم.»اهـ

٢) حديث صحيح .

فقد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، وفي كتاب التفسير باب ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ حديث رقم(٤٥٣٣)، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر وباب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي العصر تحت رقم (٦٢٧). وانظر جامع الأصول ٤٩/٢.

حتى أحمرت الشمس أو أصفرت، فقال رسول الله ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا -أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا-»(١).

عن سمرة بن جندب وابن مسعود رضي الله عنهما: «إن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر».(٢).

(٣) جاءت رواية صريحة صحيحة تدل على أن هذه القراءة منسوخة التلاوة:

عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال: «نزلت هذه الآية: «حافظوا على الصلوات وصلاة العصر» فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله؛ فنزلت: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾.

فقال رجل كان جالسا عند شقيق له : هي إذن صلاة العصر؟.

فقال البراء : قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله والله أعلم»(٣).

قال عماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤هـ) تعليقا على حديث البراء: «فعلى هذا تكون هذه التلاوة، وهي تلاوة الجادة ناسخة للفظ رواية عائشة وحفصة ولمعناها ان كانت الواو دالة على المغايرة، وإلا فلفظها فقط والله أعلم» اهـ(٤).

قلت : قدمت لك - ولله الحمد - بيان أن العطف هنا ليس للمغايرة الكلية، وإنما هو من باب عطف الصفات، وعليه فالمنسوخ لفظها فقط والله أعلم.

---

١) حديث صحيح .
فقد أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر رقم (٦٢٨) وأخرجه ابن ماجة في كتاب الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر رقم (٦٨٦) وأخرجه أحمد في المسند (شاكر) رقم (٣٧١٦،٣٨٢٩،٤٣٦٥) والبيهقي في السنن الكبرى ٤٦٠/١. وانظر جامع الأصول ٤٩/٢-٥٠.

٢) حديث صحيح عنهما .
أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة البقرة تحت رقم (٢٩٨٦،٢٩٨٨) وفي كتاب الصلاة باب ماجاء في صلاة الوسطى أنها العصر تحت رقم (١٨١،٢٨١).
وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٨/٣-٢٩ وحسّنه عن ابن مسعود محقق جامع الأصول ٥٠/٢.

٣) حديث صحيح .
فقد أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر حديث رقم(٦٣٠).

٤) تفسير ابن كثير ٢٩٣/١.

الموضع الثاني عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ النساء:١٢.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب بزيادة لفظة: «من أم».

عن القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن ﷺ « أن سعدا كان يقرؤها: «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم»(١).

قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): «قراءة أبي: «وله أخ أو أخت من الأم» اهـ(٢).

قلت : وحكى أهل العلم الاجماع على هذا قال ابن المنذر (ت٣١٨هـ): «وأجمعوا أن مراد الله عزوجل في الآية التي في أول سورة النساء الاخوة من الأم، وبالتي في آخرها الاخوة من الأب والأم» اهـ(٣).

وقال الرازي (ت٦٠٦هـ): «أجمع المفسرون ههنا على أن المراد من الأخ والأخت الأخ والأخت من الأم، وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ: «وله أخ أو أخت من أم»؛ وإنّما حكموا بذلك لأنه تعالى قال في آخر السورة: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ [النساء:١٧٦] فأثبت للأختين الثلثين، وللأخوة كل المال، وههنا أثبت للاخوة والأخوات الثلث، فوجب أن يكون المراد من الاخوة والأخوات ههنا غير الأخوة والأخوات في تلك الآية.

فالمراد ههنا الأخوة والأخوات من الأم فقط، وهناك الأخوة والأخوات من الأب والأم أو من الأب» اهـ(٤).

---

١) إسناده ضعيف .

أخرجه الدارمي في سننه ٣٦٦/٢ وأبوعبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٧ رقم(٥٨٩) والطبري في تفسيره (شاكر) ٦١/٨-٦٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٣/٦، ٢٣١.

قلت : مدار السند عندهم على القاسم بن عبدالله بن ربيعة الثقفي، لم يرو عنه سوى يعلى بن عطاء العامري، كما في تهذيب التهذيب ٣٢٠/٨، وأورده ابن حبان في «الثقات» ٣٠٢/٥ على طريقته، وقال ابن حجر في التقريب ص٤٥٠ عن القاسم هذا: «مقبول»اهـ (يعني: عند المتابعة وإلا فلين الحديث كما صرح في مقدمة التقريب)، ولم أقف له على متابع، واستروح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه لتفسير الطبري ٦٢/٨ إلى توثيقه ولم يذكر حجته في ذلك مع كلام الأئمة فيه والله أعلم.

٢) البحر المحيط ١٩٠/٣ ولم يذكر سند هذه القراءة.

٣) كتاب الإجماع لابن المنذر ص٨٢.

٤) تفسير الرازي ٢٢٣/٩-٢٢٤.

وقال القرطبي (ت٦٧١هـ): «ذكر الله عزوجل في كتابه الكلالة في موضعين آخر السورة (يعني:النساء) ، وهنا (يعنيفي أولها، وهو الموضع الذي نتكلم عنه) ولم يذكر في الموضعين وارثا غير الأخوة.

فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الاخوة فيها عني بها الأخوة للأم لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء:١٢] وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ: «وله أخ أو أخت من أمه».» اهـ(١).

قلت : وتلاحظ الأمور التالية :

(١) أن ظاهر الآية على هذه القراءة يفيد عدم استحقاق الأشقاء شيء من الميراث في مسألة: زوج و أم أو جدة واثنان من إخوة الأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم، لقوله تعالى: ﴿وإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء:١٢] ولا خلاف كما رأيت في أن المراد بهذه الآية أولاد الأم على الخصوص، فأصل المسألة من ستة؛ للأم أو الجدة السدس = واحد، و للزوج النصف = ثلاثة لعدم الفرع الوارث، وللإخوة من أم الثلث = إثنان، فمجموع الأنصباء ستة، ولم يبق للعصبة (الأخوة الأشقاء) شيء، وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهري وغيرهم.

وذهب مالك والشافعي واسحاق وغيرهم إلى تشريك الاخوة الأشقاء مع الاخوة لأم في الثلث لأنهم اخوة لأم.

قلت : وتسمى هذه المسألة بـ« المشركة»(٢).

(٢) الذي يظهر - والله أعلم - أن هذه القراءة - إن صحت - تفسيرية، ويدل على ذلك اختلاف الروايات فيها:

ففي رواية عن القاسم عن سعد: « أنه كان يقرأ: «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت» قال سعد: لأمه».

وفي رواية عن القاسم : «سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ: «وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه»(٣).

وفي رواية عن القاسم : « أن سعدا كان يقرؤها: «وإن كان رجلٌ يورث

---

١) تفسير القرطبي ٧٨/٥.

٢) النشر٢٨/١-٢٩ شرح متن الرحبية ص٥٠-٥٢ العذب الفائض ١٠١/١-١٠٢ وهو مهم، عدة الباحث ص٣١-٣٢ وانظر إعلام الموقعين ٣٥٥/١-٣٥٧.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ٢٨٧/٤.

كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم»(١).

أقول : هذا الاختلاف بين الروايات مع التأمل في سياقها خاصة الأولى منها يدل على أن سعدا إنّما قال ذلك من عنده تفسيرا لا رواية ، ولذلك والله أعلم قال ابن القيم (ت٧٥١هـ) بعد إشارته إلى هذه القراءة: «وهي تفسير وزيادة بيان» اهـ(٢).

(٣) أن الإجماع هو الحجة في اثبات معنى الآية وأنها في الأخوة لأم وأما القراءة الواردة - إن صحت - فإنّها تندرج في الإجماع وإلا فإنّ معنى الآية ثابت بدونها والله أعلم.

---

١) السنن الكبرى للبيهقي ٦/٢٣١.

٢) إعلام الموقعين ١/٣٥٥-٣٥٦.

الموضع الثالث عشر :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ المائدة:٥١ -٥٢.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ ابن الزبير: «فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم من موادتهم اليهود ومن غمهم الاسلام و أهله نادمين».

وقرأ أيضا : «فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين».

عن عمرو بن دينار : « أنه سمع ابن الزبير يقرأ: «فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين».

قال عمرو : فلا أدري أقرأها كذلك أو أقرأها من قبله؟.»(١).

قال ابن أبي داود (ت٣١٦هـ): « أحسبه يعني: أقرأها كذلك عن عمر بن الخطاب» اهـ(٢).

وفي رواية : «إنه سمع ابن الزبير يقرأ: «فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم من موادتهم اليهود ومن غمهم الاسلام و أهله نادمين»(٣).

---

١) إسناده صحيح.
أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص٩٣ قال: حدثنا أبو الطاهر حدثنا سفيان عن عمرو أنه سمع ابن الزبير يقرأ ...»
قلت : وأبو الطاهر هو أحمد بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن السرح ثقة كما في «التقريب» ص٨٣ .
وسفيان هو ابن عيينة ثقة حافظ كما في «التقريب» ص٢٤٥ .
وعمرو هو ابن دينار المكي أبو محمد الأثرم ثقة ثبت كما في «التقريب» ص٤٢١ .
وعزاه السيوطي في «الدرالمنثور» ١٠١/٣ إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

٢) المصاحف لابن أبي داود ص٩٣.

٣) هذه الرواية الثانية عزاها السيوطي في «الدر المنثور» ١٠١/٣ إلى ابن سعد وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

معنى القراءات :

معنى القراءات ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

حاصل القراءات :

القراءة المتواترة أجمل فيها الأمر الذي أسر في قلوبهم وجاءت القراءة المنسوبة إلى ابن الزبير وبيَّنت هذا الذي أسر في قلوبهم من موادتهم اليهود ومن غمهم الإسلام وأهله.

والظاهر أن هذه القراءة تفسيرية من ابن الزبير لاختلاف لفظها عنه والله أعلم.

الموضع الرابع عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة:٨٩.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ سعيد بن جبير ومحمد بن السميفع: «أو كاسوتهم»(١).

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿كسوتهم﴾ معناها ظاهر وهو الكسوة من الثياب.

القراءة الشاذة : «كاسوتهم» قال أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): «أو كاسوتهم: من الاسوة.

قال : كأنه - والله أعلم - قال: أو كما يكفي مثلهم، فهو على حذف المضاف، أو ككفاية اسوتهم، وإن شئت جعلت الاسوة هي الكفاية ولم تحتج إلى حذف المضاف.»اهـ(٢).

قال سعيد بن جبير : «إطعام عشرة مساكين... أو كاسوتهم» قال: أو كاسوتهم في الطعام»(٣).

حاصل القراءاتين :

بينت القراءة المتواترة أن كفارة اليمين على التخيير بين الاطعام والكسوة وتحرير رقبة، وبينت أن الاطعام يكون من أوسط ما يطعم المسلم أهله، لكن قد يكون أوسط مايطعم المسلم أهله دون كفاية المساكين، أو فوق كفايتهم فما العمل؟.

بينت القراءة الشاذة أنه يجزيء في الاطعام مثل ما يكفي حاجة المسكين سواء كان من أوسط ما يطعم المسلم أهله أم لم يكن كذلك ما دام مما يناسب المسكين، والله أعلم.

---

١) المحتسب ٢١٨/١.

٢) ماسبق .

٣) الدرالمنثور١٥٤/٣ وعزاه إلى أبي الشيخ.

الموضع الخامس عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ الأعراف:١٢٧.

هكذا قرأ عامة العشرة .

وقرأ ابن مسعود وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأبوالعالية وابن محيصن: «والاهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبألف بعدها(١) وهي قراءة شاذة، لمخالفتها رسم المصحف.

وقرأ ابن مسعود أيضا :«وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك»(٢).

عن ابن عباس : «أنه كان يقرأ: «ويذرك والاهتك» . قال: عبادَتك ، وقال: إنما كان فرعون يُعْبَد ولا يَعْبُد»(٣).

عن الضحاك قال :«كيف تقرأون هذه الآية: ﴿ويذرك..﴾؟.

قالوا : ﴿ويذرك وآلهتك﴾ . فقال الضحاك: إنما هي «الاهتك» أي: عبادتك،

---

١) المحتسب ٢٥٦/١ زاد المسير ٢٤٤/٣.

٢) المصاحف لابن أبي داود ص٧٢.

٣) إسناده حسن لغيره .

أخرجه الطبري في تفسيره (شاكر) ١٢٧/١٣-١٢٨، وأورده من عدة طرق كما يلي:

(أ) من طريق ابن وكيع عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن الحسن عن ابن عباس...

قلت : وهذا سند صحيح لولا ابن وكيع وهو سفيان، قال في«تقريب التهذيب» ص٢٤٥: «كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقه فأدخل عليه ماليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه»اهـ

(ب)... قال حدثنا أبي عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس...

قلت : وهذا سند صحيح لولا سقوط شيخ الطبري من المخطوط .

(ج) عن المثنى عن عبدالله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس...

قلت : وهذا سند لا بأس به لولا المثنى شيخ الطبري، لم أجد له ترجمة.

(د) عن سعيد بن الربيع عن سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن حسن عن ابن عباس...

قلت : وهذا سند صحيح لولا شيخ الطبري سعيد بن الربيع لم أجد له ترجمة.

وهذه الطرق تشد بعضها بعضا - إن شاء الله - وترقي الأثر إلى مرتبة الحسن لغيره.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٥١٦/٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وأبو الشيخ من طرق عن ابن عباس.

ألا ترى أنه يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾(١) [النازعات:٢٤].

عن الأعمش قال : «في قراءة عبد الله: «وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك»(٢).

معنى القراءات :

قراءة العشرة : ﴿وآلهتك﴾ معناها فيه قولان:

الأول : أن فرعون اتخذ لقومه أصناما يعبدونها تقربا إليه وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام فذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ النازعات:٢٤، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى عن ابن مسعود: «وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك».

الثاني : أن فرعون اتخذ لنفسه إلها يعبده سرا ؛ فقيل: كان يعبد البقر، وقيل: كان يعبد تيسا في السر، وقيل: كان يحمل في عنقه شيئا يعبده، وقيل: كان يعبد الشمس(٣).

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٢هـ): «الظاهر أن فرعون كان له آلهة يعبدها» اهـ(٤).

والقراءة بـ«الاهتك» يعني: عبادتك، والمعنى: يذرك وعبادة الناس إياك، ففرعون كان يُعْبَد ولا يَعْبُد(٥).

حاصل القراءات :

بينت الآية بالقراءتين أن الملأ قالوا لفرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويصرف الناس عن الآلهة التي جعلتها لهم يعبدوها تقربا إليك حيث بينت القراءة الشاذة المراد في القراءة المتواترة.

وتفسير الآية بأن فرعون كانت له آلهة يعبدها سرا غير ظاهر لأنه لا يتناسب مع سباق الآية ؛ اذ لو كان فرعون يعبد تلك الآلهة سرا كيف علم بها الملأ؟. والله أعلم.

---

١) قال في «الدر المنثور» ٥١٦/٣ : «أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك.. وساقه».
قلت : لم أجده عند الطبري في تفسيره والله أعلم.

٢) إسناده صحيح إلى الأعمش .
أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٧٢ في رواية طويلة من طريق أبي عبدالله محمد بن يحي عن خلاد بن خالد عن حسين الجعفي عن زائدة عن الأعمش به.
قلت : أبوعبدالله محمد بن يحي الخنيسي ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية ٢٧٨/٢ وقال: «مقرىء مشهور»اهـ
وخلاد بن خالد ترجم له في «الجرح والتعديل» ٣٦٨/٣ قال عنه ابوحاتم: «صدوق»اهـ، وقال عنه ابن الجزري في «غاية النهاية» ٢٧٤/١ : «ثقة عارف محقق استاذ»اهـ
وحسين الجعفي هو حسين بن الوليد ثقة عابد كما في «التقريب» ص١٦٧.

٣) زاد المسير ٢٤٤/٣ البحر المحيط ٣٦٧/٤.

٤) البحرالمحيط ٣٦٧/٤.

٥) زاد المسير ٢٤٤/٣ نقلا عن ابن الأنباري.

الموضع السادس عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ، قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَ أَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وأبوجعفر محمد بن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف: «يسألونك الأنفال»(١).

معنى القراءتين :

قراءة عامة العشرة : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾ أي: يسألونك عن حكم الأنفال ولمن تكون.

القراءة الشاذة : «يسألونك الأنفال» أي: يسألونك الأنفال أن تعطيها لهم.

حاصل القراءتين :

ذكر الله تبارك وتعالى أنه وقع منهم سؤال عن حكم الأنفال ولمن تكون، ولكن هل كان هذا السؤال لمجرد طلب العلم أو للتعرض لطلبها؟. بينت القراءة الشاذة أن هذا السؤال إنما وقع تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها؟(٢).

والسؤال يطلق على معنيين :

أحدهما : استدعاء المعرفة، وهو ما يعبر عنه بـ«السؤال لاقتضاء معنى».

ثانيهما : استدعاء المال والنوال.

وإذا كان السؤال لاستدعاء المعرفة فإنه يتعدى بنفسه وتارة بحرف الجر وبـ«عن» أكثر.

وإذا كان السؤال لاستدعاء المال فإنه يتعدى بنفسه وبـ«من» على الأكثر(٣).

وفي هذه الآية على القراءة المتواترة جاء السؤال بالمعنى الأول، وبالمعنى الثاني على القراءة الشاذة.

---

١) المحتسب ٢٧٢/١ زاد المسير ٣١٨/٣ البحرالمحيط٤٥٦/٣.
٢) المحتسب ٢٧٢/١.
٣) المفردات للراغب ص٢٥٠ البحرالمحيط ٤٥٦/٣.

وحمل أبو حيان(١) (ت٧٥٤هـ) رحمه الله القراءة الشاذة على حذف حرف الجر، وجعلها بمعنى المتواترة، بينما جعل ابن جني(٢) (ت٣٩٢هـ) رحمه الله القراءة الشاذة على ظاهرها بالمعنى الذي ذكرته هنا، وهو الأرجح - عندي - إذ الأصل عدم الحذف، والتأسيس أولى من التأكيد والله أعلم.

---

١) البحرالمحيط ٣/٤٥٦.

٢) المحتسب ١/٢٧٢.

الموضع السابع عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة:١٠٠.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿تجري تحتها الأنهار﴾:

قرأ ابن كثير : ﴿تجري من تحتها﴾ بزيادة ﴿من﴾ وكذلك هي في مصاحف أهل مكة.

وقرأ الباقون : ﴿تجري تحتها الأنهار﴾ بحذف ﴿من﴾(١)، وكذلك هي في سائر المصاحف(٢).

وهذه قراءات متواترة .

حاصل القراءتين :

في قراءة : ﴿من تحتها﴾ من البيان لقراءة الحذف ما يمكن نظمه في سلك بيان المجمل؛ وذلك أن قراءة الحذف لا نص فيها على مبتدأ جريان الأنهار، بل كل ما فيها أن الأنهار تجري تحت الجنة، وهو أعم كما ترى من أن يكون تحت الجنة هو منبع تلك الأنهار، ومبتدأ جريانها وان يكون منبعها ومبتدؤها موضعا آخر يعلم الله به، غاية الأمر أن جريانها تحت الجنة، فأتت قراءة الاثبات مبينة لها ونصا في أن منبع تلك الأنهار ومبتدأ جريانها هو كذلك تحت الجنة(٣).

ويظهر - والله أعلم - معنى آخر أن المراد في قراءة الحذف أن الماء ينبع من تحت أشجارها، لا أنه يأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار(٤).

والمراد في قراءة الإثبات أن الماء يأتي من موضع ويجري تحت هذه الأشجار.

وعلى هذا المعنى الأخير تكون هذه الجنات معدة لمن ذكر في الآية من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي

---

١) إرشاد المبتدي ص٣٥٥ البدور الزاهرة ص١٣٩.

٢) المصاحف لابن أبي داود ص٥٧ المقنع في رسم المصاحف ص١٠٨.

اتفقت القراءات القرآنية على اثبات (من) قبل (تحتها) في سائر المواضع من القرآن الكريم. النشر ٢/ ٢٨٠-٢٨١.

٣) دراسات في مناهج المفسرين ١/ ٦٥-٦٦.

٤) النشر ٢/ ٢٨٠.

الله عنهم ورضوا عنه، أعدها لهم وخصهم بها تعظيما لأمرهم وتنويها بفضلهم واظهارا لمنزلتهم لمبادرتهم لتصديق هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ولمن تبعهم بالاحسان والتكريم(١) والله أعلم.

ويلاحظ مايلي :

أن المعنى الأول في توجيه القراءة في هذا الموضع باثبات ﴿من﴾ وبحذفها لم يراع فيه ملاحظة تخصيص هذا الموضع دون سواه بذلك.

بينما المعنى الآخر في توجيه القراءة بالاثبات والحذف في هذا الموضع لوحظ فيه وجه تخصيص هذا الموضع بالاثبات والحذف دون سائر المواضع، كما لوحظ فيه سباق الآية من جهة تخصيص المذكورين بمزيد فضل، وعظيم الشأن عند الله سبحانه وتعالى.

---

١) النشر ٢/ ٢٨٠.

الموضع الثامن عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة:١١٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد: «خلفوا» بفتح الخاء وتخفيف اللام مبنيا للفاعل، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو(١)، وهي قراءة معاذ القارئ وحميد(٢).

وقرأ أبوجعفر محمد بن علي وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وأبوعبدالرحمن السلمي: «وخالفوا» بفتح الخاء بعدها ألف(٣)، وهي قراءة أبي رزين وأبي مجلز والشعبي وابن يعمر(٤).

وقرأ أبو العالية وأبو الجوزاء: «خلفوا» بفتح الخاء وتشديد اللام(٥).

وقرأ الأعمش : «وعلى الثلاثة المخلفين».

وقرأ محمد بن علي بن حسين الباقر : «ولو خلفوا لم يكن لهم»(٦).

معنى القراءات :

القراءة بـ﴿خلفوا﴾ بضم الخاء وتشديد اللام معناها: تُرِكوا عن قبول العذر، وليس بتخلفهم عن الغزو(٧).

القراءة بفتح الخاء وتخفيف اللام معناها: خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة(٨).

القراءة بـ«خالفوا» بفتح الخاء وألف بعدها معناها: من المخالفة أي: لم يوافقوا على الغزو(٩).

القراءة بـ«خلفوا» بفتح الخاء وتشديد اللام معناها: خلفوا الغازين

---

١) المحتسب ٣٠٥/١ البحرالمحيط ١١٠/٥.
٢) البحرالمحيط ١١٠/٥.
٣) المحتسب ٣٠٦/١.
٤) زاد المسير ٥١٢/٣ البحرالمحيط ١١٠/٥.
٥) زاد المسير ٥١٣/٣.
٦) البحرالمحيط ١١٠/٥.
٧) ما سبق ١٠٩/٥.
٨) ما سبق ١١٠/٥.
٩) ما سبق .

بالمدينة و أقاموا فيها.

حاصل القراءات :

أفادت الآية بالقراءات الواردة فيها أن هؤلاء الثلاثة وصفوا بأنهم خلفوا عن التوبة وقبول العذر، وخلفوا الغازين في المدينة، وخالفوا الغازين فلم يغزوا معهم.

قال أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) بعد إيراده لقراءة الأعمش: «وعلى الثلاثة المخلفين» قال رحمه الله: «لعله قرأ كذلك على سبيل التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف»اهـ(١).

قلت : وكذا قراءة الباقر : «ولو خلفوا لم يكن لهم» والله أعلم.

---

١) البحرالمحيط ١١٠/٥.

الموضع التاسع عشر :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَع ويَلْعَب وإنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ يوسف:١٢.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿يَرْتَع وَيَلْعَب﴾ :

فقرأ نافع وأبوجعفر بالياء فيهما وكسر عين ﴿يرتع﴾ من غير ياء .

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالياء كذلك فيهما لكن مع سكون العين ، وقرأ مثلهم الحسن والأعمش .

وقرأ أبوعمرو وابن عامر بالنون فيهما وسكون العين وقرأ مثلهما اليزيدي.

وقرأ البزي عن ابن كثير فيهما بكسر العين من غير ياء .

وقرأ قنبل عن ابن كثير بالنون فيهما وكسر العين باثبات الياء من طريق ابن شنبوذ وصلا ووقفا(١).

وقرأ ابن محيصن : "يرتع" بضم الياء وكسر التاء وسكون العين(٢)، وهي قراءة آحادية.

معنى القراءات :

القراءة بـ﴿يَرْتَعِ﴾ بالياء من تحت وكسر العين من غير ياء من ارتعى أي: يرعى بعضنا بعضا، ومنه رعاك الله، أي: حفظك.

القراءة بـ﴿يَرتعْ﴾ بالياء مع سكون العين، والقراءة بالنون مع سكون العين: ﴿نرتع﴾ مضارع "رتع" يقال: "رتعت الابل إذا رعت"، والمراد نله ونسع ونأكل.

القراءة بالنون وكسر العين من غير ياء: ﴿نرتع﴾ والقراءة بالنون وكسر العين واثبات الياء: ﴿نرتعي﴾ من "رعى" وفيها قولان:

الأول : رعى من المراعاة أي : يرعى بعضنا بعضا .

الثاني : من رعي الأبل ، أي : يتدرب في الرعي وحفظ المال أو من رعي النبات والكلأ، أي: ترتع مواشينا، فهي على حذف المضاف(٣).

القراءة بـ"يرتع" بضم الياء وكسر التاء من ارتع، ومفعوله محذوف

---

١) المبسوط ص٢٠٩ النشر ٢٩٣/٢ الاتحاف ص٢٦٢-٢٦٣.

٢) الإتحاف ص٢٦٣ القراءات الشاذة ص٥٥.

٣) زاد المسير ١٨٧/٤ تفسير القرطبي ١٣٩/٩-١٤٠ البحرالمحيط ٢٨٥/٥.

تقديره ماشيته(١).

حاصل القراءات :

أن اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام زينوا لأبيهم السماح لهم بأخذ يوسف معهم يلهو فقالوا أرسله معنا في رعايتنا وفي حفظنا يرعى الماشية ويتعلم حفظ المال ويلهو ويلعب.

---

١) القراءات الشاذة ص٥٥ .

الموضع العشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَاؤا عَلَى قَمِيصِه بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف:١٨.

هكذا قرأ القراء العشرة .

وقرأت عائشة وابن عباس وأبو العالية والحسن: «بدم كدب» بالدال غير المعجمة(١).

معنى القراءتين :

القراءة بـ﴿بدم كذب﴾ بالذال المعجمة أي: بدم ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته، وبعضهم يؤول كذب بـ«مكذوب» فيه، فإن المصدر قد يؤول بمثل ذلك(٢).

القراءة: «بدم كدب» بالدال غير المعجمة ، وفسر بالكدر، وقيل: الطري، وقيل: اليابس(٣).

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): «أصل هذا من "الكدب" وهو الفوف، يعني: البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث، فكأنه دم قد أثر في قميصه فلحقته أعراض كالنقش عليه» اهـ(٤).

حاصل القراءتين :

أن اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام جاءوا أباهم بدم مكذوب فيه، كأنه منقوش على القميص كما يؤثر البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث.

---

١) المحتسب ٣٣٥/١ زاد المسير ١٩٣/٤ البحرالمحيط ٢٨٩/٥.
٢) البحرالمحيط ٢٨٩/٥ روح المعاني ٢٠٠/٢.
٣) البحرالمحيط ٢٨٩/٥ القراءات الشاذة ص٥٦.
٤) المحتسب ٣٣٥/١.

الموضع الحادي والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ، وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ، قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف:٢٣.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿هَيْتَ﴾:

فقرأ نافع وأبوجعفر وابن ذكوان في روايته عن ابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء من غير همز: ﴿هِيتَ﴾.

وقرأ هشام في روايته عن ابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء كنافع إلا أنه همز وذلك من طريق الحلواني عنه، وقرأ الدجواني عن هشام في روايته عن ابن عامر بكسر الهاء مع الهمز وضم التاء.

وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وياء ساكنة وضم التاء: ﴿هَيْتُ﴾.

وقرأ ابن محيصن كنافع ، وعنه: «هيت» بفتح الهاء وسكون الياء وكسر التاء.

وقرأ باقي العشرة بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء(١).

وقرأ ابن عباس : «هييت» مثل حييت(٢).

معنى القراءات :

الجمهور على أن جميع هذه القراءات لغات في هذه الكلمة ﴿هيت﴾، وهي اسمُ فعل بمعنى: هلم وأقبل، إلا قراءة ابن عباس الأخيرة فإنَّها فعل مبني للمفعول مسهل الهمزة من هيأت الشيء، وإلا قراءة من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز فانه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها، ويحتمل أن يكون فعلا واقعا ضمير المتكلم، من هاء الرجل يهيء إذا أحسن هيئته، على مثال جاء يجيء، أو بمعنى: تهيأت، ويقال: هيت وتهيأت بمعنى واحد، فإذا كان فعلا تعلقت به اللام(٣).

حاصل القراءات :

أن امرأة العزيز قالت ليوسف ﷺ : أقبل، وكانت قد هيأت نفسها له.

ففي تنوع القراءات توسيع معنى الآية ، وفيه بيان مجمل من جهة أن امرأة العزيز لما دعته لم يتبين إن كانت دعته وقد هيأت نفسها أم لا، فجاءت القراءات وبينت أن كل ذلك حصل منها والله أعلم.

---

١) المبسوط ص٢٠٩ النشر ٢/٢٩٣-٢٩٥ الاتحاف ص٢٦٣.

٢) المحتسب ١/٣٣٧-٣٣٨ البحرالمحيط ٥/٢٩٤.

٣) المحتسب ١/٣٣٧-٣٣٨ البحرالمحيط ٥/٢٩٤.

الموضع الثاني والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِه، قَدْ شَغَفَهَا حُباً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِيناً، وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَاهَذَا بَشَراً إِنْ هَذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف:٣٠-٣١.

هكذا قرأ جمهور القراء العشرة: ﴿متكأ﴾ على وزن مفتعل.

وقرأ أبوجعفر: ﴿متكا﴾ بتنوين الكاف وحذف الهمزة بوزن «متقى»(١) وقرأ مثله الزهري وشيبة.

وقرأ ابن عباس وابن عمر والجحدري وقتادة والضحاك والكلبي وأبان بن تغلب ورويت عن الأعمش: «متكا» ساكنة التاء غير مهموز.

وقرأ : «متكاء» بزيادة ألف الحسن(٢).

معنى القراءات :

من قرأها مهموزة : ﴿متكأ﴾ مشـددة التاء، معناها: مجلسا أي: أعدت لكل واحدة منهن مكانا يجلسن ويتكئن فيه للأكل(٣).

ومن قرأها من غير همز ساكنة التاء : «متكا» في معناه أوجه:

أحدها : أنه الأترج، قاله ابن عباس ومجاهد وابن يعمر.

الثاني : أنه الطعام، قاله عكرمة .

الثالث : أنه كل شيء يحز بالسكاكين، قاله الضحاك.

الرابع : أنه الزماورد(٤)، روي عن الضحاك أيضا(٥).

قلت : وجميع هذه الأوجه متقاربه ، والمراد طعام يقطع بالسكين.

---

١) المبسوط ص١٢٠ النشر ٣٩٩/١ الاتحاف ص٢٦٤.

٢) المحتسب ٣٣٩/١ الاتحاف ص٢٦٤.

٣) البحرالمحيط ٣٠٢/٥.

٤) كلمة فارسية عربت ، وتدعوه العامة: «بزماورد» أورده الجواليقي في «المعرب» ص٣٥٤ ولم يفسره، وقال في «القاموس»: «طعام من البيض واللحم» قال الزبيدي في «تاج العروس» ٥٣٣/٢ : «قال شيخنا : وفي كتب الأدب: هو طعام يقال له: لقمةالقاضي، ولقمة الخليفة، ويسمى بخراسان: «نواله»..»هـ

قلت : لقمة القاضي تطلق عند الناس اليوم على عجين يقلى يقطع قطعا صغيره على حجم اللقمة وتقلى على الزيت ثم يغمس في ماء السكر.

قلت : ولعل مراد الضحاك رحمه الله التمثيل لا التعيين للطعام والله أعلم.

٥) زاد المسير ٢١٦/٤-٢١٧.

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): «قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً﴾ أي: طعاما، ويقال: اتكأنا عند فلان، أي: طعمنا.

وقال جميل :

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله(١).

والأصل أن من دعوته ليطعم أعددت له التكأة للمقام والطمأنينة، فسمي الطعام متكئا على الاستعارة» اهـ(٢).

وقال أيضا رحمه الله : «﴿متكأ﴾ أي: طعاما... ومن قرأ: «متكا» فإنه يريد الأترج، ويقال: الزماورد، وأيا ما كان فإني لا أحسبه سمي متكأ إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البتك، وأبدلت الميم فيه من الباء، كما يقال:... شر لازب، والميم تبدل من الباء كثيرا لقرب مخرجها....

ومما يدل على هذا قوله : ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً﴾ لأنه طعام لا يؤكل حتى يقطع، وقال جويبر والضحاك: المتك كل شيء يحز بالسكاكين» اهـ(٣).

حاصل القراءات :

بينت القراءات أن امرأة العزيز أعدت للنسوة مجلسا وقدمت إليهن طعاما يقطع بالسكاكين، وأدخلت عليهن يوسف ﷺ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.

قال مجاهد : «من قرأ ﴿متكأ﴾ فهو الطعام ، ومن قرأها «متكا» فخففها فهو الأترج»(٤).

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): «قوله: ﴿واعتدت لهن متكأ﴾ وهو الطعام، و«اعتدت لهن متكا» وهو الأترج، ويقال: الزماورد، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام، وأنزل الله بالمعنيين جميعا» اهـ(٥).

---

١) ديوانه ص٨٥.

٢) تأويل مشكل القرآن ص١٨٠-١٨١.

٣) تفسير غريب القرآن ص٢١٦-٢١٧.

٤) إسناده صحيح .

أخرجه الطبري (شاكر) ١٦/٧٢.

وعزاه في «الدرالمنثور» ٤/٥٢٩ إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

٥) تأويل مشكل القرآن ص٤١.

الموضع الثالث والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ ما بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ و إِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ الرعد:١١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد: «يحفظونه بأمر الله»(١).

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ فيها أقوال:

الأول : يحرسونه من أمر الله و لايقدرون، وهذا على قول من قال هي في الكافرين المحترسين من أمر الله تعالى.

الثاني : أن المعنى حفظهم له من أمر الله، قاله ابن عباس وابن جبير ، فيكون تقدير الكلام هذا الحفظ مما أمر الله به.

الثالث : يحفظونه بأمر الله ، قاله الحسن ومجاهد وعكرمة لأن الباء تقوم مقام «من»، وحروف الصفات يقوم بعضهامقام بعض.

الرابع : يحفظونه من الجن قاله مجاهد والنخعي.

الخامس : في الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه، قاله أبوصالح والفراء.

السادس : يحفظونه لأمر الله فيه حتى يسلموه إلى ما قدر له.

السابع : يحفظون عليه الحسنات والسيئات قاله ابن جريج(٢).

قراءة علي بن أبي طالب وابن عباس : «يحفظونه بأمرالله» تبين أن ﴿من﴾ في القراءة المتواترة بمعنى السببية(٣).

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): « ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله، أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءةعلي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد

---

١) المحتسب ٣٥٥/١.

٢) زاد المسير ٣١١/٤-٣١٢.

٣) البحرالمحيط ٣٧٢/٥.

وعكرمة: «يحفظونه بأمر الله».»اهـ(١).

حاصل القراءتين :

بينت القراءة الشاذة المجمل في القراءة المتواترة، ورجحت أحد المعاني المحتملة فيها فيكون معنى قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمر الله، كما في القراءة الشاذة والله أعلم.

ومجيء «من» للسبب ثابت في كلام العرب(٢).

---

١) تفسير الزمخشري ٢/٢٨٢.

٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ ج٣ ص٣٧٠ وانظر تناوب حروف الجر في لغة القرآن ص١١٩-١٢٠.

الموضع الرابع والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ، بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا، أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الرعد:٣١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وعلي بن الحسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد وأبي يزيد المدني وعبدالله بن يزيد: « أفلم يتبين»(١).

معنى القراءتين :

القراءة بـ﴿أفلَمْ يَيْئَس﴾ فيها قولان :

الأول : اليأس بمعنى : العلم والتبين، لأن في علمك الشيء وتبينك له يأسك من غيره، ونقل في هذا المعنى الوجهان التاليان :

١- ﴿أفلم يَيْئَس﴾ أي: أفلم يتبين، رواه العوفي عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وأبي مالك ومقاتل.

٢ - ﴿أفلم يَيْئَس﴾ أي: أفلم يعلم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة وابن زيد، وهي لغة لحي من النخع يقال لهم: «وهبيل» بفتح الواو وسكون الهاء.

الثاني : اليأس على أصله ، وفي المراد وجهان :

١ - أن المعنى: قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا واحدا ولو شاء الله لهدى الناس جميعا، قاله أبو العالية.

٢ - أفلم ييئس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي(٢).

القراءة بـ« أفلم يتبين» أي: أفلم تعلموا .

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ) عن القراءة بـ« أفلم يتبين»: «هذه القراءة فيها تفسير قول الله تعالى: ﴿أفلم يَيْئَس ٱلذين آمنُوا﴾ وروينا عن ابن عباس أنها لغة «وهبيل» فخذ من النخع، قال:

---

١) المحتسب ٣٥٧/١.

٢) زاد المسير ٣٣١/٤-٣٣٢.

أَلَمْ يَيْئَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابنه وإن كُنتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرةِ نَائِيَا

وروينا لسحيم بن وثيل :

أقول لأهل الشعب إذ ياسرونني ألم تيئسوا أني ابن فارس زهدم(١)

أي : ألم تعلموا، ويشبه - عندي - أن يكون هذا راجعا أيضا إلى معنى اليأس، وذلك أن المتأمل للشيء المتطلب لعلمه ذاهب بفكره في جهات تعرفه اياه، فاذا ثبت يقينه على شيء من أمره اعتقده، وأضرب عما سواه، فلم ينصرف إليه كما ينصرف اليائس من الشيء عنه ولا يلتفت إليه» اهـ(٢).

حاصل القراءتين :

بينت القراءة الشاذة المراد من القراءة المتواترة، فبينت أن معنى: ﴿يَيْئَس﴾ «يتبين».

---

١) البيت أورده أبوعبيدة في «مجاز القرآن» ٣٣٢/١ ونسبه إلى سحيم بن وثيل وأورده ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص١٩٢ دون نسبة، وكذا في «تفسير غريب القرآن» ص٢٢٨.

وأورده الطبري في تفسيره (شاكر) ٤٥٠/١٦ ونسبه إلى سحيم بن وثيل، وفي نسبة البيت خلاف انظره في كلام سيد صقر في تحقيقه لـ«تأويل مشكل القرآن»، وفي كلام محمود شاكر في تحقيقه لـ«تفسير الطبري».

وزهدم اسم الفرس التي يملكها والد سحيم فيما قيل.

٢) المحتسب ٣٥٧/١.

الموضع الخامس والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿**ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ الرعد:٤٣.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد بخلاف عنه، والحسن بخلاف عنه وعبدالرحمن بن أبي بكرة وابن أبي اسحاق والضحاك والحكم بن عتيبة ورويت عن الأعمش: «ومن عنده علم الكتاب» بكسر الميم في «من»، وكسر الدال والهاء في «عنده».

وقرأ علي بن أبي طالب وابن السميفع والحسن: «ومن علم الكتاب» بكسر الميم والدال والهاء في «من عنده»، وبضم العين وكسر اللام وفتح الميم في «علم»: «عُلِمَ الكتاب»(١).

معنى القراءات :

القراءة المتواترة بفتح الميم وسكون النون في: ﴿**من عنده علم الكتاب**﴾ في معناها سبعة أقوال:

أحدها : أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس.

الثاني : أنه عبدالله بن سلام، قاله الحسن ومجاهد وعكرمة وابن زيد وابن السائب ومقاتل.

الثالث : أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق منهم عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري، قاله قتادة.

الرابع : أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

الخامس : أنه علي بن أبي طالب قاله ابن الحنفية.

السادس : أنه بنيامين .

السابع : أنه الله تعالى، روي عن الحسن ومجاهد(٢).

القراءة بكسر الميم والدال في «من» و «عنده علم الكتاب» بكسر الدال في «عنده» تقدير معناها: من فضله ولطفه علم الكتاب.

القراءة بـ«من عنده عُلِم الكتاب» بضم العين وكسر اللام في«علم»

---

١) المحتسب ٣٥٨/١.

٢) زاد المسير ٣٤١/٤-٣٤٢.

فمعناها معنى القراءة التي قبلها، إلا أن تقدير إعرابها مخالف، لأن من قال: «ومنْ عنده علمُ الكتاب» فـ«من» متعلقة بمحذوف، و «علم الكتاب» مرفوع بالابتداء كقوله تعالى: ﴿ومِنْهم أمِّيُّون﴾ البقرة:٧٨، ومن قال: «ومنْ عنده عُلِم الكتاب» فـ«من» متعلقة بنفس «علم» كقولك: من الدار أخرج زيد، أي: أخرج زيد من الدار، ثم قدمت حرف الجر(١).

حاصل القراءات :

بينت القراءة الآحادية المراد من القراءة المتواترة.

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «﴿ومَنْ عِنْده عِلْم الكِتَاب﴾ و ﴿من﴾ يعود على الله عزوجل، وقيل في التفسير: يعني به عبد الله بن سلام، وقيل: ابن يامين، والذي يدل على أنه راجع إلى الله عزوجل قراءة من قرأ: «ومنْ عنْده علْم الكتاب» ، «ومِنْ عنده عُلِم الكتاب» لأن الأشبه - والله أعلم - أنَ اللَه لا يستشهد على خلقه بغيره.

وذلك التفسير جائز؛ لأن البراهين إذا قامت مع اعتراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمر مؤكد» اهـ(٢).

قلت : ونحو هذا كلام أبي جعفر النحاس(٣) (ت٣٣٨هـ).

---

١) المحتسب ٣٥٨/١.
٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ١٥١/٣-١٥٢.
٣) معاني القرآن للنحاس ٥٠٧/٣-٥٠٩.

الموضع السادس والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ الحجر:١٤-١٥.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿سُكِّرَتْ﴾ :

فقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول مع تخفيف الكاف: ﴿سُكِرَتْ﴾ وقرأ مثله ابن محيصن والحسن.

وقرأ باقي العشرة بتشديد الكاف مع البناء للمفعول: ﴿سُكِّرَتْ﴾ وقرأ مثلهم اليزيدي والأعمش(١).

وقرأ الزهري بخلاف عنه : «سكرت» بفتح السين وكسر الكاف مبنيا للفاعل(٢).

معنى القراءات :

معنى قراءة ابن كثير: ﴿سُكِرَتْ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف مأخوذ من سكر الشراب يعني: أن الابصار حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل، فمعنى سكرت حارت وأخذت.

معنى قراءة باقي العشرة: ﴿سُكِّرَتْ﴾ بتشديد الكاف مأخوذ من السكور التي تمنع الماء الجرية، فكأن هذه الأبصار منعت من النظر كما يمنع السكر الماء من الجري، فمعنى: سكرت سدت(٣).

ومعنى قراءة الزهري : «سكرت» بفتح السين وكسر الكاف أي: اختلطت وتغيرت، وهي بمعنى قراءة ابن كثير(٤).

عن قتادة قال : «من قرأ ﴿سُكِّرت﴾ مشددة يعني: سدت ، ومن قرأ ﴿سُكِرت﴾ مخففة فانه يعني سحرت»(٥).

وقال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «هما لغتان: سكرت عينه وسكرتها أغشيتها اغشاء، لكن في التشديد معنى التكثير والتكرير وحسن ذلك لاضافته إلى جماعة، لكل واحد بصر قد غشي بغشاوة، و «الابصار» جماعة فحقه

---

١) المبسوط ص٢٢٠ النشر ٣٠١/٢ الإتحاف ص٢٧٤.

٢) المحتسب ٣/٢.

٣) زاد المسير ٣٨٦/٤.

٤) المحتسب ٣/٢ البحرالمحيط ٤٤٨/٥.

٥) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٢/١٤ من طريق المثنى عن إسحاق عن عبدالرحمن بن أبي حماد عن شيبان عنه.

وانظر الإتقان (أبوالفضل) ١٩٣/٤-١٩٤.

التشديد ليدل على التكثير»اهـ(١).

قلت : ذهب الكسائي إلى أنهما لغتان وإن اختلف تفسيرها.

قال الكسائي (ت١٨٩هـ): «سكرت وسكرت لغتان وان اختلف تفسيرهما»اهـ(٢).

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «قيل: معنى التشديد أخذت، ومعنى التخفيف سحرت، والمشهور أن سكر لا يتعدى، قال أبوعلي: ويجوز أن يكون سمع متعديا في البصر.

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة: أنه يقال: سكرت أبصارهم إذا غشيها سهاد حتى لا يبصروا.

وقيل : التشديد من سكر الماء ، والتخفيف من سكر الشراب، وتقول العرب: سكرت الريح تسكر سكرا إذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله أوّلا، وسكر الرجل من الشراب سكرا إذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ فيما كان للانسان أن ينفذ فيه، ومن هذا المعنى: «سكران لا يبت» أي: لا يقطع أمرا، وتقول العرب: سكرت مجاري الماء إذا طمست وصرفت الماء فلم ينفذ لوجهه.

فإن كان من سكر الشراب أو من سكر الريح فالتضعيف للتعدية أو من سكر مجاري الماء فللتكثير؛ لأن مخففه متعد.

وأما سكرت بالتخفيف فإن كان من سكر الماء ففعله متعد أو من سكر الشراب أو الريح فيكون من باب وجع زيد ووجعه غيره، فتقول: سكر الرجل وسكر غيره و سكرت الريح وسكرها غيرها كما جاء سعد زيد وسعده غيره»اهـ(٣).

حاصل القراءات :

يخبر الله تعالى أنه لو فتح سبحانه وتعالى بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه على هؤلاء القائلين لك يامحمد: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الحجر:٧، وهم يرونهم عيانا لقالوا: إنَّما سحرت أبصارنا فلا تبصر الشيء على ماهو به، وذهب حد ابصارها.

فقراءة الجمهور أفادت أنهم قالوا: إنَّ أبصارهم سدت فما عادوا يرون، ولكن كيف حصل هذا؟. لم تبين ذلك هذه القراءة لكن قراءة ابن كثير

---

١) الكشف ٢/٣٠.

٢) علل القراءات ١/٣٤٣.

٣) البحرالمحيط ٥/٤٤٨-٤٤٩.

والزهري بينت أنهم يريدون بقولهم: ﴿سكرت﴾ لا عميت فما عادوا يرون، بل يرون ولكن باختلاط وتغير كما يرى السكران.

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «قرأ أبان بن تغلب: "سحرت أبصارنا" ويجيء قوله: ﴿بل نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٥] انتقالا إلى درجة عظمى من سحر العقل، وينبغي أن تجعل هذه القراءة تفسير معنى لا تلاوة لمخالفتها سواد المصحف»اهـ(١).

١) البحر المحيط ٥/٤٤٩.

الموضع السابع والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ مريم:٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاص وابن يعمر وسعيد بن جبير وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وشبيل بن عزرة: «خَفَّت الموالي» بفتح الخاء وتشديد الفاء(١).

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور : ﴿إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ من الخوف يعني خاف الموالي أي: الذين يلونه في النسب وهم بنو العم والعصبة(٢).

قال ابن الجوزي (ت٥٧٩هـ): «وفي ما خافهم عليه قولان:

أحدهما : أنه خاف أن يرثوه، قاله ابن عباس.

فإن اعترض عليه معترض فقال: كيف يجوز لنبي أن ينفس على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته؟.

فعنه جوابان :

أحدهما : أنه لما كان نبيا والنبي لا يورث خاف أن يرثوا ماله فيأخذوا ما لا يجوز لهم.

والثاني : أنه غلب عليه طبع البشر فأحب أن يتولى ماله ولده، ذكرهما ابن الأنباري.

قلت (ابن الجوزي) : وبيان هذا أنه لا بد أن يتولى ماله وإن لم يكن ميراثا فأحب أن يتولاه ولده.

والقول الثاني أنه خاف تضييعهم للدين ونبذهم إياه، ذكره جماعة من المفسرين» اهـ(٣).

القراءة بفتح الخاء وتشديد الفاء: «خفت الموالي» أي: قلّت الموالي(٤)، أي: قل بنو عمي وأهلي(٥)، والمعنى انقطع موالي و ماتوا

---

١) المحتسب ٣٧/٢.

٢) زاد المسير٥/٢٠٧ البحرالمحيط ١٧٣/٦.

٣) زاد المسير ٥/٢٠٧-٢٠٨.

٤) معاني القرآن للنحاس ٣١٠/٤.

٥) المحتسب ٣٧/٢.

فإنما أطلب وليا يقوم بالدين(١).

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «على قراءة: ﴿خِفْتُ﴾ من الخوف يكون ﴿من ورائي﴾ أي: بعد موتي، وعلى قراءة: «خَفَّتْ» يحتمل أن يتعلق من ﴿ورائي﴾ بـ«خفت» وهو الظاهر؛ فالمعنى: أنهم خفوا قدامه، أي: درجوا فلم يبق منهم من له تقو واعتضاد.

أو أن يتعلق بالموالي، أي: قلوا وعجزوا عن إقامة الدين و ﴿ورائي﴾ بمعنى: خلفي ومن بعدي، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه» اهـ(٢).

حاصل القراءتين :

بينت قراءة الجمهور أن زكريا ﷺ خاف الموالي ولكنها أبهمت فيما خافهم عليه هل خافهم على ميراثه؟ هل خافهم على الدين والدعوة ؟.

وجاءت القراءة الأخرى الآحادية وبينت هذا المبهم وأنه إنما خافهم لقلتهم وانقطاعهم، فخافهم على الدين فطلب الله وليا يقوم بالدين.

---

١) البحرالمحيط ٦/١٧٤.

٢) البحر المحيط ٦/١٧٤ وقارن بـ«الكشاف» ٢/٤٠٥.

الموضع الثامن والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فأجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ مريم:٢٣.

هكذا قرأ عامة العشرة .

وروى حماد بن سلمة عن عاصم وقرأ شبيل بن عزرة: «فاجأها»(١).

قال حماد بن سلمة : «قال لي عاصم: «كيف تقرأ : «فأجأها»؟.

قلت :أقرؤها: ﴿فأجآءها﴾. فقال: إنما هو«فاجأ» من المفاجأة» اهـ(٢)

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿فأجآءها المخاض﴾ أي: جاء بها والجأها كما يقال: جاءت بي الحاجة إليك والجأتني الحاجة إليك(٣).

قال الفراء (ت٢٠٧هـ): «قوله: ﴿فأجاءها المخاض﴾ من جئت كما تقول: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، فلما القيت الباء جعلت في الفعل الفاء، كما تقول: «آتيتك زيدا» تريد: «أتيتك بزيد».» اهـ(٤).

والقراءة الأخرى : «فاجأها» من المفاجأة(٥)، والمعنى: أتاها المخاض على حين غرة فجأة.

حاصل القراءتين :

بينت قراءة الجمهور أن المخاض الجأ مريم رضي الله عنها وأرضاها إلى جذع النخلة، لكنها أبهمت ولم تبين إذا كان هذا المخاض متوقعا أم لا؟ بمعنى هل كانت مريم رضي الله عنها تنتظر النفاس وألم الوضع؟.

ليس في قراءة العشرة ما يبين ذلك ، من أجل هذا اختلف المفسرون في مقدار مدة حمل مريم رضي الله عنها بعيسى ﷺ؛ فقيل: أنها حملت به وولدته في وقتها وقيل: أنه ولد في ثمانية أشهر وقيل غير ذلك(٦).

قال عماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «المشهور الظاهر والله على كل شيء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن» اهـ(٧).

---

١) المحتسب ٣٩/٢ تفسير القرطبي ٩٢/١١ البحرالمحيط ١٨٢/٦.
٢) معاني القرآن الكريم للنحاس ٣٢٤/٣.
٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٧٣.
٤) معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢.
٥) المحتسب ٣٩/٢ تفسير القرطبي ٩٢/١١ البحرالمحيط ١٨٢/٦.
٦) انظر البحرالمحيط ١٨١/٦.
٧) تفسير ابن كثير ١١٦/٣.

قلت : واستظهره الشنقيطي[1] (١٣٩٣هـ) رحم الله الجميع.

قال الزجاج (ت٣١١هـ): «قوله عزوجل: ﴿فأجَاءَهَا المَخَاضُ﴾ يدل على مكث الحمل» اهـ[2].

قلت : لكن القراءة المروية عن عاصم وشبيل تدل على خلاف هذا وتشعر بأن الولادة وألمها لم يكن متوقعا وجاء على حين غرة مما يقوي قول من جعل مدة الحمل على خلاف العادة، ويرجحه مجيء الآية بالفاء التي تفيد العطف مع التعقيب: ﴿فحَمَلتْهُ فانْتَبذَتْ بهِ مَكَانَاً قَصِيّاً. فأجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ...﴾ مريم:٢٢-٢٣، ولا يقال: الفاء تفيد التعقيب وتعقيب كل شيء بحسبه، فهنا الفاء أفادت التعقيب بين الحمل والمخاض وهو بحسبه بمعنى أن بينهما مدة الحمل العادية[3]، أقول: لا يقال هذا لأن مدة الحمل العادية إنما تكون في حالة الحمل العادية أما حمل مريم رضي الله عنها بعيسى ﷺ فمنشأه خارق للعادة، وإن شئت التحقيق فقل: الفاء في الآية أفادت التعقيب وهو بحسبه، وهنا الحمل خارق للعادة فليكن تعقيب المخاض له خارق للعادة كذلك، ويؤيد هذا ويؤكده القراءة المروية: «فاجأها» من المفاجأة التي تدل على عدم التوقع والله أعلم.

نعم تحديد مدة الحمل بالضبط لا دليل عليه، إذ أن كل ما أفادته الآية بالقراءتين أن مدة الحمل ومجيء المخاض كانت غير المدة العادية، والظاهر أنهما كانتا متقاربتين وبالله التوفيق .

---

١) أضواء البيان ٢٤٤/٤.

٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٢٤/٣.

٣) انظر تفسير ابن كثير ١١٦/٣.

الموضع التاسع والعشرون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ مريم:٢٤.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ :

فقرأ نافع وحفص في روايته عن عاصم وحمزة والكسائي وأبوجعفر وروح في روايته عن يعقوب، وقرأ خلف جميعهم بكسر الميم وجر: ﴿تَحْتِهَا﴾ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ وقرأ مثلهم ابن محيصن بخُلْف عنه، والحسن والأعمش.

وقرأ باقي العشرة بفتح الميم: ﴿مَن تحتها﴾ وقرأ مثلهم اليزيدي(١).

وقرأ ابن عباس : «فناداها ملك من تحتها»(٢).

وقرأ زر بن حبيش وعلقمة : «فخاطبها من تحتها»(٣).

معنى القراءات :

القراءة بكسر الميم والتاء: ﴿مِن تَحْتِها﴾ على معنى: أن عيسى كلمها وهو من تحتها أي: تحت ثيابها؛ لأن ذلك موضع ولادة عيسى ﷺ، وهذا المعنى هو الظاهر المتبادر من الآية في هذه القراءة، ويحتمل أن المعنى: فنادها جبريل عليه السلام من تحتها أي: من أسفل من مكانها، أي: من دونها كما تقول: داري تحت دارك، وبلدي تحت بلدك، أي: دونها.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «وكون الضمير لـ«عيسى» أبين لها وأعظم في زوال وحشتها لتسكين نفسها، فالمعنى: فكلمها جبريل من الجهة المحاذية لها أو فكلمها عيسى من موضع ولادته، وذلك تحت ثيابها» اهـ(٤).

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): «المنادي الظاهر أنه عيسى أي: فولدته فأنطقه الله ﴿وناداها﴾ أي: حالة الوضع، وقيل: جبريل وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها» اهـ(٥).

القراءة بفتح الميم والتاء: ﴿مَنْ تَحْتَهَا﴾ أي: كلمها الذي تحتها،

---

١) المبسوط ص٢٤٣ النشر٢/٣١٨ الاتحاف ص٢٩٨.

٢) تفسيرالقرطبي ١١/٩٤ البحرالمحيط ٦/١٨٣.

٣) البحر المحيط ٦/١٨٣.

فائدة : قال أبوحيان في «البحرالمحيط» ٦/١٨٣ عن هذه القراءة: «ينبغي أن يكون تفسيرا لا قراءة لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه»اهـ

٤) الكشف ٢/٨٧.

٥) البحرالمحيط ٦/١٨٣.

فـ﴿من﴾ هي الفاعل و ﴿تحتها﴾ إما أن يكون المراد به تحت الثياب أي: موضع الولادة وذلك إذا كان الفاعل للنداء عيسى ﷺ، وإما أن يكون المراد به دونها وأسفل منها في المكان إذا كان الفاعل للنداء جبريل ﷺ.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «وكون الضمير لـ«عيسى» في القراءة بفتح الميم أقوى في المعنى، وكونالضمير لجبريل عليه السلام في القراءة بكسر الميم أقوى في المعنى، ويجوز في القراءتين أن يكون لـ«عيسى» وأن يكون لـ«جبريل» عليهما السلام» اهـ(١).

قلت : القول بأن الفاعل هو جبريل عليه الصلاة والسلام مروي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وعمرو بن ميمون والبراء وسعيد بن جبير وقتادة(٢) واستظهره القرطبي(٣).

والقول بأن الفاعل هو عيسى عليه الصلاة والسلام مروي عن مجاهد والحسن وأبي بن كعب(٤) واختاره الطبري(٥) واستظهره أبوحيان(٦) والشنقيطي(٧).

حاصل القراءات :

القراءتان بفتح الميم والتاء وبكسرهما محتملة في الدلالة على فاعل النداء هل هو جبريل عليه الصلاة والسلام أو هو عيسىﷺ؟.

والظاهر المتبادر من السياق في القراءة المتواترة أنه عيسى ﷺ.

والقراءة الشاذة عن ابن عباس رضي الله عنه بينت أن الفاعل هو الملك وليس عيسى ﷺ: «فناداها ملك من تحتها».

عن الحسن قال : «من قرأ: ﴿مِنْ تحتِها﴾ فهو جبريل، ومن قرأ: ﴿مَنْ تَحْتَها﴾ فهو عيسى عليه الصلاة والسلام»(٨).

عن أبي بكر بن عياش قال: «قرأ عاصم بن أبي النجود: ﴿فناداها مَن تحتَها﴾ قال عاصم: من قرأ بالنصب فهو عيسى ومن قرأها بالخفض فهو

---

١) الكشف ٢/٨٧.
٢) الدرالمنثور ٥/٥٠١-٥٠٢.
٣) تفسير القرطبي ١١/٩٤.
٤) الدرالمنثور ٥/٥٠٢.
٥) تفسيرالطبري (دارالفكر) ١٦/٦٨.
٦) البحرالمحيط ٦/١٨٣.
٧) أضواء البيان ٤/٢٤٦.
٨) عزاه في الدرالمنثور ٥/٥٠٢ إلى ابن أبي حاتم.

جبريل»(١).

قلت : لولا القراءة الواردة عن ابن عباس لتوجه القول بالأمرين جميعا ولا منافاة بينهما، ولعله من أجل ذلك جزم الفراء(٢) (ت٢٠٧هـ) بأن الفاعل على القراءتين هو الملك وليس عيسى ﷺ.

---

١) عزاه في الدر المنثور ٥٠٢/٥ إلى عبد بن حميد.
٢) معاني القرآن للفراء ١٦٥/٢.

الموضع الثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرِيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أحداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِياً﴾ مريم:٢٦.

هكذا قرأ عامة العشرة .

وقرأ أبي بن كعب وزيد بن علي وروي عن أنس بن مالك: «إني نذرت للرحمن صمتا».

وفي مصحف ابن مسعود: «إنّي نذرت للرحمن صمتا»(١).

معنى القراءات :

القراءة التي قرأ بها عامة العشرة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ فيها قولان:

الأول : أن الصوم في شرعها كان إمساكا عن الأكل والشرب والكلام.

الثاني : أنها نذرت أن لا تتكلم كما هو ظاهر الآية حيث فسر قوله تعالى: ﴿فلَن أكَلِّم اليَوْم إنسِياً﴾ فسر المراد من الصوم في قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمَا﴾(٢).

أما القراءات الشاذة فمعناها كما يلي :

(١) «اني نذرت للرحمن صوما وصمتا» أي: الصوم المعروف، وأن الصمت كان ملتزما عندهم بالنذر(٣).

(٢) «إنّي نذرت للرحمن صوما صمتا» تحتمل أن تكون بمعنى ما قبلها، ويحتمل أن يكون قوله: «صمتا» عطف بيان.

(٣) «إنّي نذرت للرحمن صمتا» أي: نذرت الصمت .

قلت : معنى القراءات الشاذة اختلف لاختلاف اللفظ فيها: قراءة: «إني نذرت للرحمن صوما وصمتا» وقراءة: «إنّي نذرت للرحمن صوما صمتا» بدون واو وقراءة: «إنّي نذرت للرحمن صمتا».

---

١) تفسير الثوري ص١٨٤ زاد المسير ٥/٢٢٥ تفسير القرطبي ١١/٩٧-٩٨ البحرالمحيط ٦/١٨٥.

٢) زاد المسير ٥/٢٢٤-٢٢٥.

٣) تفسير القرطبي ١١/٩٨.

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «واختلاف اللفظين يدل على أن الحرف ذكر تفسيرا لا قرآنا، فإذا أتت معه واو فممكن أن يكون غير الصوم.

والذي تتابعت به الأخبار عن أهل الحديث ورواة اللغة أن الصوم هو الصمت؛ لأن الصوم امساك والصمت امساك عن الكلام» اهـ(١).

حاصل القراءات :

ظاهر القراءة المتواترة أن مريم رضي الله عنها نذرت للرحمن صوما لكن هل المقصود بالصوم الامساك عن الأكل والشرب والطعام والكلام لأنه في شرعتهم كذلك، أو المقصود أنها نذرت أن تصمت و لا تتكلم، أو أنها نذرت أن تصوم بمعنى تمسك عن الكلام؟. القراءة محتملة.

القراءة الشاذة بينت أن المراد بالصوم هو الصمت.

ويؤكد هذا تمام الآية: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِياً﴾قلت : فيكون ذلك النذر جائزا في شرعهم.

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «من التزم ألا يكلم أحدا من الآدميين؛ فيحتمل أن يقال: إنه قُرْبَة فيلزم بالنذر، ويحتمل أن يقال: ذلك لا يجوز في شرعنا لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس ونحوه.

وعلى هذا كان نذر الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا... وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق بالكلام.

وهذا هو الصحيح لحديث أبي إسرائيل خرجه البخاري عن ابن عباس» اهـ(٢).

قلت : حديث ابن عباس قال : «بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه. فقالوا: أبو اسرائيل نذر أن يقوم و لايقعد و لايستظل و لا يتكلم

---

١) تفسير القرطبي ٨٩/١١ .

الذي يظهر من كلام ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) وأبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) رحمهما الله تعالى أن القراءة لم يختلف لفظها إلا في كلمة: «صوما»، ولا يفهم من كلامهما أن هناك قراءة تكررت فيها الكلمتان سواء بواو تفصل بينهما أم لا، و بالله التوفيق.

٢) تفسير القرطبي ٩٨/١١.

و يصوم. فقال: النبي ﷺ: مُرْهُ فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»(١).

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في كلامه على فوائد حديث ابن عباس هذا: «وفي حديثه أن السكوت عن المباح ليس من طاعة الله... وفيه أن كل شيء يتأذى به الانسان ولو مآلا مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافيا والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله فلا ينعقد به النذر، فإنه ﷺ أمر أبا اسرائيل باتمام الصوم دون غيره وهو محمول على أنه علم أنه لا يشق عليه، وأمره أن يقعد ويتكلم ويستظل» اهـ(٢).

فائدة: ظاهر الآية أنها أبيح لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ وهو قول الجمهور.

وقالت طائفة معنى: ﴿قولي﴾ بالإشارة لا بالكلام باللسان لأنها لو تكلمت بلسانها لكان تناقضاً ينافي نذرها الذي نذرته الا تكلم اليوم انسيا، واختار هذا القول الأخير عماد الدين أبو الفداء ابن كثير (ت٧٧٤هـ) رحمه الله وذلك في تفسيره(٣).

وأجاب المخالفون عن دلالة الآية بأن المعنى فلن أكلم اليوم إنسيا بعد قولي اني نذرت للرحمن صوما ذكر ذلك أبو حيان في «البحر المحيط»(٤).

قلت: ماذهب إليه الحافظ ابن كثير رحمه الله من حمل قوله تعالى: ﴿قولي﴾ على الإشارة المفهمة للمعنى من أجل دلالة الآية على ذلك؛ لأنها لو تكلمت بلسانها لكان يتناقض و يتنافى مع نذرها، أقول: هذا الذي ذكره ابن كثير رحمه الله غير مسلم - عندي - لأن ما حصل به عقد الإعلام والإخبار لم يكن داخلا تحت الخبر، ولو أنَّ شخصا قال: لا أتكلم اليوم كلاما إلا كان كذبا لم يدخل إخباره بذلك تحت ما أخبر به؛ فقول اللّٰه عزوجل في قصة مريم

---

١) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الايمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي معصية حديق رقم (٦٧٠٤) وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الايمان والنذور باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله، وأبوداود في السنن في كتاب الايمان باب ماجاء في النذر في المعصية حديث رقم (٣٣٠٠). وانظر جامع الأصول ٥٤٣/١١.
٢) فتح الباري ٥٩٠/١١.
٣) ١١٨/٣.
٤) ١٨٥/٦.

رضي الله عنها: ﴿فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أحداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِياً﴾ وإنّما أمرت بذلك لئلا تسأل عن ولدها فقولها: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِياً﴾ به حصل إخبار بأنها لا تكلم الأنس ولم يكن ما أخبرت به داخلا تحت الخبر، وإلا كان قولها هذا مخالفاً لنذرها(١).

---

١) هذا التقرير مستفاد من كتاب «بدائع الفوائد» ٢١٨/٤.

الموضع الحادي والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ سورة طه:١٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ سعيد بن جبير ورويت عن الحسن ومجاهد: «أخفيها» بفتح الألف(١) ، ورويت عن ابن كثير وعاصم(٢)وهي قراءة آحادية.

معنى القراءات :

قراءة الجمهور : ﴿أخفيها﴾ بضم الألف تحتمل مايلي:

الأول : ﴿أخفيها﴾ بمعنى: استرها و لا أظهرها، وقوله: ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ متعلق بقوله: ﴿آتية﴾ والتقدير: الساعة آتية لتجزى كل نفس بما تسعى، وتكون جملة: ﴿أكاد أخفيها﴾ معترضة(٣).

الثاني : ﴿أخفيها﴾ بمعنى: أظهرها، وقوله: ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ متعلق بقوله: ﴿أخفيها﴾.

وعلى هذا تكون ﴿أخفيها﴾ بضم الألف من الأضداد.

قال أبوعبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ): "﴿أكاد أخفيها﴾ له موضعان: موضع كتمان، وموضع اظهار، كسائر حروف الأضداد"اهـ(٤).

معنى قراءة ابن جبير ومن معه: «أخفيها» بفتح الألف أي: أظهرها(٥).

قال الزجاج (ت٣١١هـ): "وهذه القراءة الثانية (بفتح الألف) أبين في المعنى، لأن معنى أكاد أظهرها أي: قد أخفيتها وكدت أظهرها"اهـ(٦).

حاصل القراءات :

رجحت قراءة سعيد بن جبير أحد المعنيين الذين أحتملتهما قراءة الجمهور فـ(أخفيها) بمعنى أظهرها.

لكن نقل عن أبي بن كعب أنه قرأ: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف

---

١) المحتسب ٤٧/٢.
٢) البحرالمحيط ٢٣٢/٦.
٣) البحرالمحيط ٢٣٢/٦.
٤) مجاز القرآن ١٦/٢.
٥) المحتسب ٤٧/٢.
٦) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٥٣/٣.

وما أحسنها وما الطف الصنعة فيها»اهـ(١).

قلت : واستحسن الأشموني(٢) (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) نحو التفصيل الذي استحسنه ابن جني رحمهما الله.

وعدّ الداني (ت٤٤٤هـ) الوقف على ﴿أكاد أخفيها﴾ وقف كافي قال: «لأن فيه إضمار من «نفسي» أي: من عندي»اهـ(٣).

والوقف الكافي عنده هو« الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ»(٤).

---

١) المحتسب ٢/٤٨.

٢) منارالهدى في بيان الوقف والابتدا ص٢٤٢.

٣) المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٧٩.

٤) ماسبق ص١٤٣.

أطلعكم عليها»(١)، وفي مصحف عبدالله بن مسعود: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق»(٢).

وهذا يساعد المعنى الثاني الذي احتملته قراءة الجمهور: ﴿أخفيها﴾: استرها، ولذلك لا ما نع من إرادة جميع هذه المعاني إذ لاتعارض بينها.

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) عن قراءة أبي بن كعب وابن مسعود: «وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من أن أحدهم إذا بالغ في كتمان الشيء قال: كدت أخفيه من نفسي، والله تعالى لا يخفى عليه شيء» اهـ(٣).

ويكون حاصل القراءات في معنى الآية أن الله عزوجل أخفى تعيين وقت الساعة، ولكنه جعل لها أمارات يعلم بها دنو وقتها فالساعة على التعيين لا يعلم وقتها فهي مخفية مستورة لا تعلم، وعلى أماراتها فهي تكاد تكون ظاهرة.

قلت : وبهذا التقرير يندفع توهم المعارضة بين معاني القراءات في الآية، كما يظهر فائدة تنوع معنى القراءة وأثره على معنى الآية حيث شملت الإشارة إلى أمارات الساعة والله أعلم.

فائدة :

قال أبو الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): «فإذا كان «أخفيها» بالفتح أو ﴿أخفيها﴾ (بالضم) بمعنى أظهرها فاللام في قوله: ﴿لتجزى﴾ معلقة بنفس ﴿أخفيها﴾ ولا يحسن الوقف دونها.

وإذا كان من معنى الاخفاء والستر فاللام متعلقة بنفس ﴿آتية﴾ أي: ان الساعة آتية لتجزى كل نفس بما تسعى، أكاد أخفيها؛ فالوجه أن تقف بعد أخفيها وقفة قصيرة.

أما الوقفة فلئلا يظن أن اللام معلقة بنفس ﴿أخفيها﴾ وهذا ضد المعنى؛ لأنها إذا لم تظهر لم يكن هناك جزاء، إنما الجزاء مع ظهورها، فأما قصر الوقفة فلأن اللام متعلقة بنفس ﴿آتية﴾ فلا يحسن اتمام الوقف دونها لاتصال العامل بالمعمول فيه وهذه الوقفة القصيره ذكرها أبوالحسن

---

١) «تأويل مشكل القرآن» ص٢٥، ٣٨ «تفسير غريب القرآن» ص٢٧٧ مقتصرا على بعضها، «الأضداد» لابن الأنباري ص٩٥-٩٦ «البحرالمحيط» ٢٣٣/٦.

٢) تفسير القرطبي ١١/١٨٤-١٨٥ وقارن بالبحرالمحيط ٢٣٣/٦.

٣) البحرالمحيط ٢٣٣/٦.

الموضع الثاني والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور:٢٢.

تنوعت قراءات القراء في قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ﴾

فقرأ أبوجعفر وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة مولاه وزيد بن أسلم: ﴿ولا يتألّ﴾ بتاء مفتوحة بعد الياء وبعدها همزة مفتوحة وبعدها لام مشددة مفتوحة على وزن: "يتفع" بحذف لام الكلمة.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يأتل﴾ بهمزة ساكنة بعد الياء وبعدها تاء مفتوحة وبعدها لام مكسورة مخففة على وزن: "يفتع" بحذف لام الكلمة(١).

معنى القراءتين :

قراءة الجمهور: ﴿يأتل﴾ فيها وجهان :

الأول : أنها من "آليت" أي: حلفت، والمعنى: لايقسموا أن لا ينفعوا أحدا.

الثاني : أنها من " ألوت" أي: قصرت، والمعنى: لا تقصروا عن نفع غيرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿لا يألونكم خبالا﴾(٢) آل عمران:١١٨.

قراءة أبي جعفر : ﴿ولا يتألّ﴾ من "آليت" أي: ولا يقسم، والمعنى: ولايقسم أولوا الفضل والسعة أن لا ينفعوا أحدا(٣).

حاصل القراءتين :

بينت قراءة أبي جعفر الاجمال في المراد من قراءة الجمهور من جهة تعدد الوجوه التي احتملتها، وأنها من التألي بمعنى الحلف.

---

١) المبسوط ص٢٦٦ النشر ٣٣١/٢ الاتحاف ص٣٢٣.

عزى في «المحتسب» ١٠٦/٢ قراءة أبي جعفر إلى «عباس بن عياش» بدلا من عبدالله بن عياش، وأثبت مافي «النشر» لابن الجزري، ولم أجد لعباس ترجمه فلعله تصحيف عن «عبدالله بن عياش» و ترجمه في «غاية النهاية»٤٣٩/١-٤٤٠.

٢) معاني القرآن للنحاس ٥١١/٤ تفسير القرطبي ٢٠٨/١٢.

٣) النشر ٣٣١/٢.

الموضع الثالث والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِن مَّالِ اللَّهِ الَّذِيَ آتَاكُمْ، وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُم عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور:٣٣.

هكذا قرأ عامة القراء .

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير: «من بعد اكراههن لهن غفور رحيم»(١) وهي قراءة جابر وابن مسعود(٢).

معنى القراءتين :

قراءة عامة القراء العشرة : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيها أقوال:

الأول : إن الله غفور رحيم للمُكرِهين (بضم الميم وكسر الراء) إن تابوا.

الثاني : إن الله غفور رحيم للمُكرِهين (بضم الميم وكسر الراء) إن تابوا وللمُكرَهات.

الثالث : إن الله غفور رحيم للمُكرَهات لا المُكرِهين(٣).

قراءة ابن عباس وابن جبير ومن معهم: «من بعد اكراههن لهن غفور رحيم» أي: غفور رحيم للمكرهات يغفر لهن لا المكرهين (بكسر الراء).

حاصل القراءتين :

بينت قراءة ابن عباس - وهي شاذة لمخالفتها الرسم - المراد من قراءة العشرة، وأزالت الاجمال في ذلك إذ كانت محتملة لكل تلك المعاني.

قال ابو السعود (ت٩٥١هـ): «﴿فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ أي: لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، وكما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿من بعد اكراههن﴾ أي: كونهن مكرهات؛ على أن الإكراه مصدر من المبني للمفعول، فإنَّ توسيطه بين اسم «إنّ» وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة، وكان الحسن البصري رحمه

١) المحتسب ١٠٨/٢.

٢) تفسيرالقرطبي ٢٥٥/١٢.

٣) الكشاف ٧٦/٣ أضواء البيان ٢١٩/٦.

الله إذا قرأ هذه الآية يقول: «لهن»، والله، «لهن».»اهـ(١).

قلت : ولم يرتض أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) التقدير السابق الذي دلت عليه القراءة الشاذة المروية عن ابن عباس وابن جبير وغيرهما، بل إنه لم يشر إلى هذه القراءة أصلا، وقال: «الصحيح أن التقدير: غفور رحيم لهم ، ليكون جواب الشرط فيه ضمير لا يعود على «من» الذي هو اسم الشرط، ويكون ذلك مشروطا بالتوبة، ولما غفل الزمخشري(٢) وابن عطية وأبو البقاء(٣) عن هذا الحكم قدروا فان الله غفور رحيم لهن، أي: للمكرهات، فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط»اهـ(٤).

قلت : تقدير الآية غفور رحيم لهن، كما قال الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء هو الصواب - إن شاء الله - لأمور:

الأول : أنه وردت به قراءة عن ابن عباس وابن جبير(٥) وابن مسعود وجابر رضي الله عنهم(٦).

الثاني : لأن في تخصيص المغفرة والرحمة بالمكرهات، وتعيين مدارهما وهو الاكراه، مع سبق ذكر المكرهين (بكسر الراء) أيضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين من المغفرة والرحمة، كأنه قيل: إن الله غفور رحيم للمكرهات لا للمُكرِه (بكسر الراء) ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد إلى اسم الشرط(٧).

الثالث : ولأن في تجويز تعلق المغفرة والرحمة بالمكرهين بشرط التوبة استقلالا أو مع المكرهات؛ في تجويز ذلك إخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي في مقام التهويل، وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم إما باعتبار أنهن - وإن كن مُكْرَهات - لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما، بحكم الجبلة البشرية، وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة، واما لغاية تهويل أمر الزنا، وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير

---

١) ارشاد العقل السليم ١٧٤/٦.
٢) الكشاف ٧٦/٣.
٣) املاء ما من به الرحمن ١٥٦/٢.
٤) البحرالمحيط ٤٥٣/٦.
٥) المحتسب ١٠٨/٢.
٦) تفسير القرطبي ٢٥٥/١٢.
٧) تفسيرأبي السعود ١٧٤/٦.

المُكرِهين (بكسر الراء) ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن (بكسر الراء) في استحقاق العذاب(١).

الرابع : ولأن المُكرَه لا يؤاخذ بما أكره عليه، بل يغفر الله له لعذره بالإكراه كما يوضحه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ النحل:١٠٦.

فبينت هذه الآية أن الموعود بالمغفرة والرحمة هو المعذور بالإكراه دون المكره (بكسر الراء) لأنه غير معذور في فعله القبيح(٢).

فإن قيل : المُكرَهة غير آثمة فلا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن؟.

فالجواب : هو ما تقدم تقريره في الأمر الثالث، من أن ذلك إما باعتبار أنهن - وإن كن مكرهات - لا يخلون في تضاعيف الزنا من شائبة مطاوعة... الخ(٣).

وأجاب الشنقيطي (ت١٣٩٤هـ) بجواب آخر فقال: «إسقاط المؤاخذة بالإكراه يصدق عليه أنه غفران ورحمة من الله بعبده والعلم من عند الله تعالى»اهـ(٤).

---

١) تفسيرأبي السعود ٦/ ١٧٤.
٢) أضواء البيان ٦/٢١٩-٢٢٠.
٣) أورد السؤال والجواب بنحوه الزمخشري في تفسيره ٣/ ٧٦.
٤) أضواء البيان ٦/ ٢٢٠.

الموضع الرابع والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور:٣٥.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿دري﴾ :

فقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبوجعفر ويعقوب وخلف بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز: ﴿دري﴾، وقرأ مثلهم الحسن وابن محيصن.

وقرأ أبوعمرو والكسائي بكسر الدال والراء وياء بعدها همزة ممدودة: ﴿دريء﴾ وقرأ مثلهم اليزيدي.

وقرأ أبوبكر في روايته عن عاصم وقرأ حمزة بضم الدال ثم ياء ساكنة ثم همزة ممدودة، وقرأ مثلهم المطوعي في روايته عن الأعمش، وكذا الشنبوذي إلا أنه فتح الدال(١).

معنى القراءات :

القراءة بضم الدال وتشديد الياء من غير مد و لاهمز فيها وجهان:

الأول : أنها نسبة إلى الدر لفرط ضيائه ونوره.

الثاني : أنها من الدرء بمعنى: الدفع، فأبدل الهمز وأدغم والمعنى وصف الضوء بضوء الكوكب الذي ينحط ويسير متدافعا؛ فإنه عندها يكون له ضوء شديد، أو بضوء الكواكب الدراريء، وهي اللاتي يدرأن عليك أي: يظهرن ويطلعن(٢).

القراءة بكسر الدال والراء وياء بعدها همزة ممدودة وهي من الدرء والدفع أي: يدفع بعض ضوئه بعضا من لمعانه.

القراءة بضم الدال ثم ياء ساكنة ثم همزة ممدودة على وزن فعيل من «الدرء» بمعنى أنها يدفع بعضها بعضا(٣).

---

١) المبسوط ص٢٦٧ النشر٢/٣٣٢ الاتحاف ص٣٢٤.

٢) الكشف ٢/١٣٨ البحرالمحيط ٦/٤٥٦.

٣) ماسبق تفسير القرطبي ١٢/٢٦٣.

حاصل القراءات :

بينت القراءات الواردة بالهمز الراجح من المعنيين الذين احتملتهما القراءة بدون همز.

ويمكن أن يقال في معنى القراءة بدون الهمز أنها بالمعنيين إذ لا تمانع بينهما.

الموضع الخامس والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ﴾ المؤمنون:٦٧.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿تهجرون﴾ :

فقرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم: ﴿تُهجِرون﴾ وقرأ مثله ابن محيصن.

وقرأ باقي العشرة بفتح التاء وضم الجيم: ﴿تهجرون﴾ وقرأ مثلهم الحسن والأعمش واليزيدي(١).

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة وأبونهيك وابن محيصن وأبوحيوه: «تهجرون» بضم التاء وكسر الجيم المشددة وفتح الهاء(٢)، وهي قراءة آحادية.

معنى القراءات :

القراءة بضم الجيم وفتح التاء: ﴿تهجرون﴾ فيها قولان :

الأول : من الهجر بسكون الجيم ، وهو القطع والصد.

الثاني : من الهجر بفتح الجيم والهجر بضم الهاء وسكون الجيم وهو الهذيان والإفحاش في المنطق(٣).

القراءة بضم التاء وكسر الجيم من الهجر، وهو السب والإفحاش في المنطق(٤).

القراءة بضم التاء وكسر الجيم المشددة وفتح الهاء فيها قولان كالقراءة بضم الجيم وفتح التاء(٥).

وجزم ابن الأنباري(٦) (ت٣٢٧هـ) وابن جني(٧) (ت٣٩٢هـ) رحمهما الله تعالى أنها بمعنى قول الفحش والهذيان.

قلت : وهو الظاهر في هذه القراءة بالتشديد والله أعلم.

وقال ابن جني (ت٣٩٢هـ): «ولو ذهب ذاهب إلى أن معنى "تهجرون" (يعني: بالتشديد) أي: تكثرون من الهذيان حتى تكونوا - وأنتم في سواد الليل لقلة احتشامكم لظهور ذاك عليكم - كأنكم مهجرون، أي: مبادون به غير مسايرين

---

١) المبسوط ص٢٦٢ النشر٢/٣٢٩ الاتحاف ص٣١٩.

٢) المحتسب ٢/٩٦ زاد المسير ٥/٤٨٣ البحرالمحيط ٦/٤١٣.

٣) معاني القرآن للزجاج ٤/٤٧٦ زاد المسير ٥/٤٨٣ البحرالمحيط ٦/٤١٣.

٤) البحرالمحيط ٦/٤١٣ الاتحاف ص٣١٩.

٥) البحرالمحيط ٦/٤١٣.

٦) نقله عنه في زاد المسير ٥/٤٨٣.

٧) المحتسب ٢/٩٦.

له، كالذي يهجِّر في مسيره أي: يسير في الهاجرة..لكان وجها»اهـ(١).

حاصل القراءات :

بينت القراءة بكسر الجيم معنى الآية ورجحت بين المعنيين الذين احتملتهما، وأنها من الهذيان وقول اللغو والسب والافحاش في المنطق، وزادت القراءة بالتشديد المعنى تأكيدا إذ أفادت تكرار قول الهجر مرة بعد مرةوالله أعلم.

وجزم مكي بن أبي طالب(٢) (ت٤٣٧هـ) وكذا صاحب «حجة القراءات»(٣) بأن معنى قراءة نافع بضم التاء وكسر الجيم: ﴿تهجرون﴾ من الهُجر (بضم الهاء) وهو الهذيان وما لا خير فيه من الكلام، وأن المعنى في قراءة الجمهور بفتح التاء وضم الجيم: ﴿تهجرون﴾ من الهجر أي: تهجرون آيات الله فلا تؤمنون بها.

قلت : وكلا المعنيين لا تمانع بينهما، وعليه يتحصل من الآية بالقراءتين المتواترتين:أنّ الكفار يسمرون بقول الفحش والسؤ، ويسمرون بما يجعلهم يهجرون الإيمان بالقرآن العظيم.

---

١) المحتسب ٩٧/٢ ونقل كلامه في البحر المحيط ٤١٣/٦ ولم يعقب عليه.

٢) الكشف ١٢٩/٢-١٣٠.

ويتنبه إلى وقوع سقط في المطبوعة حيث جاء قوله: «وحجة من ضم الجيم أنه جعله من الهجر...» وصوابه: «وحجة من ضمالتاء وكسرالجيم أنه جعله من الهجر...» كما يدل على ذلك السياق والسباق واللحاق وبالله التوفيق.

٣) ص٤٨٩.

الموضع السادس والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِم أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ سورة يس:٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ ابن مسعود : «إنَّا جعلنا في أيمانهم أغلالا فهي إلى الأذقان»(١).

حاصل القراءتين :

قوله تعالى : ﴿إلى الأذقان﴾ يعني: أيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكنى عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق عن ذكر الأيمان(٢).

وجاءت قراءة ابن مسعود مفسرة ومبينة ومؤكدة لهذا المعنى والله أعلم.

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٥٠/٢٢.

وفي «الدرالمنثور» ٤٤/٧ عن قتادة قال: «في بعض القراءات...» وعزاه السيوطي إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

لم أجد في تفسير الطبري هذا الأثر بالسياق الذي أورده في «الدر المنثور»، لكن وجدت الطبري يجزم بنسبة هذه القراءة إلى ابن مسعود.

٢) تفسير الطبري (دارالفكر) ١٥٠/٢٢ وانظر «البرهان في علوم القرآن» ٢٨/٤.

الموضع السابع والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ الصافات:١٤٧.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ جعفر بن محمد : «وأرسلناه إلى مئة ألف و يزيدون» بالواو(١)، وهي قراءة أبي بن كعب ومعاذ القارىء وأبي المتوكل وأبوعمران الحوني(٢).

معنى القراءتين :

القراءة بـ﴿أويزيدون﴾ فيها أقوال :

أحدها : أن «أو» بمعنى «بل».

الثاني : أن «أو» بمعنى الواو.

الثالث : أن «أو» على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مئة ألف أو يزيدون(٣).

القراءة بـ«ويزيدون» بالواو معناها: أرسلناه إلى جمع لو رأيتموهم لقلتم أنتم هؤلاء مئة ألف وهم أيضا يزيدون(٤).

حاصل القراءتين :

بينت هذه القراءة الشاذة ألمراد من القراءة المتواترة، وأن «أو» فيها على وجهها، وأن هؤلاء المرسل اليهم يزيدون على مئة ألف والله أعلم.

---

١) المحتسب ٢/٢٢٦.

٢) زاد المسير ٧/٨٩.

٣) زاد المسير ٧/٨٩.

٤) المحتسب ٢/٢٢٧.

الموضع الثامن والثلاثون :

قوله تبارك وتعالى: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ سورة ص:١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ أبي بن كعب والحسن وابن اسحاق: «صاد» بكسر الدال(١)، وهي قراءة ابن عباس(٢).

وقرأ الثقفي: «صاد والقرآن» بفتح الدال وكسر النون(٣).

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): «وهي قراءة أبي رجاء وأبي الجوزاء ومحبوب عن أبي عمرو»اهـ(٤).

معنى القراءات :

قراءة الجمهور على أنها حرف من الحروف المقطعة وقد أختلف فيها:

فقيل : الله أعلم بمراده منها.

وقيل : لها معنى ، واختلف في المعنى المراد منها على أقوال، والذي يظهر رجحانه أنها للتنبيه والتحدي، فإن السامع للقرآن العظيم لما يسمع هذه الأحرف في بداية السورة يتنبه ويتشوق لمعرفة ماوراء هذا الافتتاح الغريب، أما التحدي فإن الرسول ﷺ أمي لايقرأ ولا يكتب، والأمي عادة لا يعلم اسم الحرف و لارسمه غايته أن يؤدي صوت الحرف، فلما يأتي الرسول ﷺ وهو لا يقرأ ولا يكتب ويتلفظ بأسماء الحروف فلا شك أن في هذا نوع آية له ﷺ وكأنه بذلك يقول لهم هذا القرآن العظيم جاء بلسانكم ومكون من هذه الحروف ومع ذلك عجزتم عن الاتيان بمثله والنسج على منواله، ولذلك ينتصر الله عزوجل للقرآن العظيم في كل سورة افتتحها بالأحرف المقطعة، والله أعلم(٥).

قراءة أبي بن كعب : «صاد» بكسر الدال من المصاداة، أي: عارض عملك بالقرآن، وتكون الواو بمعنى الباء في غير القسم(٦).

وهذا القول مروي عن الحسن البصري(٧).

---

١) المحتسب ٢/٢٣٠.
٢) زاد المسير ٧/٩٧.
٣) المحتسب ٢/٢٣٠.
٤) زادالمسير ٧/٩٧-٩٨.
٥) انظر تفسير ابن كثير ١/٣٥-٣٩ أضواء البيان ٣/٣.
٦) المحتسب ٢/٢٣٠ زاد المسير ٧/٩٧.

وقد يمكن أن تكون كسرة الدال في قوله: «صادِ» لالتقاء الساكنين(١)، وبالتالي يكون معنى القراءة بكسر الدال كقراءة الجمهور.

القراءة بفتح الدال : «صادَ» بمعنى: صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به وأحبوه.

ويحتمل أن فتح الدال لالتقاء الساكنين أيضا ويكون: «صادَ» اسما للسورة لا ينصرف(٢).

حاصل القراءات :

المعنى المتحصل من القراءة بكسر الدال في «ص» معنى غريب وكذا المعنى المتحصل في القراءة بفتح الدال: «صادَ».

قال الكرماني (ت بعد ٥٣١هـ): «قوله تعالى : ﴿ص﴾ الكلام كما في سائر الحروف التي وقعت أوائل السور... ...العجيب: معناه: صاد محمد قلوب العباد من الصيد، ومَنْ كسره فلالتقاء الساكنين، الغريب: هو أمر من صادى يصادي والواو في ﴿والقرآن﴾ بدل من الباء أي صاد بالقرآن عملك..» اهـ(٣).

قلت : فإذا كان ذلك كذلك فإن قراءة الجمهور ترجح أحد المحتملين في معنى القراءتين فتكون كسائر الحروف في أوائل السور، ويكون كسر الدال وفتحها إنما هو لالتقاء الساكنين(٤).

---

٧) الدرالمنثور ١٤٣/٧ وعزاه لعبدبن حميد وابن جرير.

١) معاني القرآن للزجاج ٣١٩/٤ المحتسب ٢٣٠/٢.

٢) المحتسب ٢٣٠/٢.

٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٩٨٩/٢.

٤) **تنبيه** : المعنى المروي عن الحسن البصري في معنى «ص» (أعني: أن صاد من المصاداة والمعارضة) قد انتصر له وأمعن في تأكيده والحشد له صاحب كتاب: «براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور» ص٢٤٢-٢٤٥، والواقع أنه معنى غريب كما قال الكرماني والله الموفق.

الموضع التاسع والثلاثون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت:٢٧-٢٨.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة.

وقرأ عبدالله بن مسعود وابن عباس: «ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد»(١).

معنى القراءتين :

معنى قراءة الجمهور فيه قولان :

الأول : أن دار الخلد هي النار، فيكون قوله: ﴿فيها﴾ ليس للظرفية إنما لـ« التجريد»(٢)، فليس المعنى أن النار فيها دار الخلد للكافرين ودار غير دار الخلد لغيرهم من أهلها، بل هي نفسها دار الخلد، فكأنه جرد من الدار دارا تهويلا لأمرها(٣).

الثاني : أن دار الخلد دار في النار، وفيها غيرها، فيكون قوله: ﴿فيها﴾ للظرفية(٤).

قلت : لم يرتض الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) هذا القول الثاني فقال بعد تقريره للأول: «وجعله للظرفية حقيقة تكلف لا داعي له مع أن المذكور (يعني: كونه للتجريد) أبلغ» اهـ(٥).

قلت : لا يخفى - إن شاء الله - إنَّ مجرد كونه أبلغ لا يعنى رجحانه بله أرجحيته، والظاهر - والله أعلم - يساعد الثاني الذي رده الخفاجي رحمه الله، لأن الحقيقة هي الأصل، فيكون المراد أن لهم في النار المشتملة على الدركات داراً مخصوصة وهم فيها خالدون(٦) والله أعلم.

معنى قراءة ابن مسعود وابن عباس أن النار هي دار الخلد(٧).

---

١) الطبري (دارالفكر) ١١٣/٢٤ معاني القرآن الكريم للنحاس ٢٦٤/٦ تفسيرالقرطبي ٣٥٦/١٥.

٢) التجريد : هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه، نحو: «لي من فلان صديق حميم جرد من فلان فلانا آخر جعله صديقا حميما له وهو هو.

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص٥١٢ الإتقان (أبوالفضل) ٢٦٨/٣.

٣) معاني القرآن واعرابه ٣٨٥/٤ البحرالمحيط ٤٩٥/٧.

٤) جزم به الرازي في تفسيره ولم يذكر غيره ١٢٠/٢٧ وانظر روح المعاني ١١٩/٢٤.

٥) حاشية الشهاب ٣٩٨/٧-٣٩٩.

٦) روح المعاني ١١٩/٢٤.

٧) تفسير الطبري (دارالفكر) ١١٣/٢٤.

حاصل القراءتين :

بينت القراءة الشاذة المعنى المراد من القراءة المتواترة ورجحت بين المعاني المحتملة فيها.

قال أبوجعفر الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره هذا الجزاء يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله.

ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء وماهو فقال: هو النار؛ فالنار بيان عن الجزاء وترجمة عنه، وهي مرفوعة بالرد عليه.

ثم قال : ﴿**لهم فيها دار الخلد**﴾ يعني: لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد، يعني: دار المكث واللبث إلى غير نهاية و لا أمد.

والدار التي أخبر جل ثناؤه أنها لهم في النار هي النار وحسن ذلك لاختلاف اللفظين كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة ومن الكوفة دار كريمة، والدار هي الكوفة والبلدة، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ.

وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود: «ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد» ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك؛ وذلك أنه ترجم بالدار عن النار»اهـ(١).

وقال أبوجعفر النحاس (ت٣٣٨هـ): «﴿**النار لهم فيها دار الخلد**﴾ النار هي دار الخلد، والعرب تفعل هذا على التوكيد... كما يقا: لك في هذا المنزل دار واسعة، وهو الدار.

ولا يجوز عند الكوفيين حتى يخالف لفظ الثاني لفظ الأول، لا تقول على قولهم: «في هذا المنزل منزل حسن» على أن الثاني الأول، وهو عند البصريين كله جيد.

وفي قراءة عبدالله ابن مسعود: «ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد».»اهـ(٢).

---

١) تفسير الطبري (دارالفكر) ١١٣/٢٤.

٢) معاني القرآن الكريم للنحاس ٢٦٤/٦.

الموضع الأربعون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِم قَالُواهَذَا عَارِضٌ مُّمطِرُنَا، بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الأحقاف:٢٤.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ ابن مسعود : «قالوا هذا عارض ممطرنا، قال هود بل هو ما استعجلتم به»(١).

حاصل القراءتين :

في القراءة المتواترة اجمال إذ لم تعين القائل، بينته القراءة الشاذة.

قال أبوالفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ): «قد كثر عنهم حذف القول لدلالة ما يليه عليه، كقول الله تعالى: ﴿والمَلَائكَةُ يَدخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣-٢٤] أي: يقولون: سلام عليكم، وكذلك هذه القراءة (يعني: قراءة ابن مسعود) مفسرة لقراءة الجماعة: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ لو لم تأت قراءة عبدالله هذه لما كان المعنى إلا عليها، فكيف وقد جاءت ناصرة لتفسيرها؟.» اهـ(٢).

---

١) محتسب ٢/٢٦٥.

٢) ما سبق .

الموضع الحادي والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ سورة محمد:١٥.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهما: «أمثال الجنة التي وعد المتقون»(١).

معنى القراءتين :

قراءة العامة تحتمل أن يكون المراد: ﴿مثل الجنة﴾ على الإفراد، وتحتمل أن يكون جاء بلفظ الواحد وأراد الكثرة.

قراءة علي وابن عباس رضي الله عنهما جاءت على الكثرة: « أمثال ولم يتطرق إليها من هذه الجهة احتمال.

حاصل القراءتين :

هذه القراءة من علي وابن عباس رضي الله عنهما دليل على أن القراءة المتواترة: ﴿مثل الجنة﴾ بالإفراد، جاءت بلفظ المفرد المعنى الكثرة، فتكون القراءة الشاذة بينت المراد فيها ورجحت أحد المحتملين في معناها(٢).

---

١) المحتسب ٢/٢٧٠.

٢) ماسبق.

الموضع الثاني والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الفتح:٢٦.

هكذا قرأ هذه الآية عامة القراء العشرة .

وقرأ أُبَيٌّ بن كعب: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام»(١) وهي قراءة شاذة.

عن أبي إدريس عن أبي بن كعب: «أنه كان يقرأ: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام» فبلغ ذلك عمر، فاشتد عليه، فبعث إليه وهو يهنأ ناقة له، فدخل عليه فدعا ناسا من أصحابه فيهم زيد بن ثابت، فقال (يعني: عمر): من يقرأ منكم سورة الفتح؟. فقرأ زيد على قراءتنا اليوم.

فغلظ له عمر (يعني: لأُبَيٌّ بن كعب) .

فقال له أُبَيٌّ : أ أتكلم ؟.

فقال (يعني:عمر) : تكلم .

فقال : لقد علمت أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقرئني وأنتم بالباب فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت،و إلا لم أقرئ حرفا ما حييت.

قال (عمر) : بل أقرئ الناس .

وفي رواية النسائي : «بل أنت رجل عندك علم وقرآن فأقرأ وعلم مما علمك الله ورسوله»(٢).

---

١) الدرالمنثور ٧/٥٣٥.

٢) إسناده صحيح .

أخرجه النسائي في تفسيره مختصراً ٢/٣٠٨ رقم (٥٢٥) وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٢٢٥-٢٢٦ واللفظ له وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ووافقهما محققا تفسير النسائي.

فائدة : في اسلوب الآية لطائف :

منها : أن الله أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن فأشار إلى ثلاثة أشياء أحدها: جعل ما للكافرين بجعلهم فقال: ﴿**إذ جعل الذين كفروا**﴾ وجعل ما للمؤمنين بجعل الله فقال: ﴿**فأنزل الله**﴾ وبين الفاعلين ما لايخفى. ثانيها: جعل للكافرين حمية الجاهلية وللمؤمنين السكينة وبين المفعولين تفاوت. ثالثها: أضاف الحمية إلى الجاهلية وأضاف السكينة إلى نفسه فقال: ﴿**حمية الجاهلية**﴾ و ﴿**أنزل سكينته**﴾ وبين

حاصل القراءتين :

بينت القراءة المتواترة أن الذين كفروا جعلوا في قلوبهم حمية الجاهلية، وأنه سبحانه وتعالى نزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها لكن هل حمية المسلمين لربهم ولرسوله مثل حمية الجاهلية؟.

ليس في القراءة المتواترة ما يبين ذلك، وفي القراءة الشاذة بيان ذلك: «ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام»

فبينت امتناع فساد المسجد الحرام لامتناع الشبه بين حمية المسلمين لربهم ولرسوله وبين حمية المشركين والله أعلم.

= الإضافتين مالا يذكر.

ومنها : أنه قال في حق الكافر: ﴿**جعل**﴾ وقال في حق المؤمن: ﴿**أنزل**﴾ للإشارة إلى أن الحمية كانت مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى وأما السكينة فكانت كالمحفوظة معدة لعباده فأنزلها. تفسير الرازي ١٠٢/٢٨.

تنبيه : قد يقال: إذا سمح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بن كعب أن يُقرىء الناس بالقراءة التي سمع الرسول ﷺ يقرأ بها، فلماذا لم تتواتر عنه؟

والجواب : هذه القراءة التي كان يقرىء بها أبي بن كعب، على حسب ما سمع الرسول ﷺ، لم تتواتر؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، على إقراء الناس بالحرف الذي جمعهم عليه عثمان حفاظاً على وحدة الأمة، وامتثالا لما فهموه عن رسول الله ﷺ، من أن هذه الحروف هي للتخفيف، وليست هي الحرف الأصلي الذي جمعهم عليه عثمان رضي الله عنه.

وبذلك لم يحظ هذا الحرف - الذي كان يقرأ به أبي، وغيره من الصحابة - بالتواتر، واشتهر حرف قريش بالمصحف الإمام، وأمثاله مما وزع على الأمصار، وكان الإقراء العام به، وبالله التوفيق.

الموضع الثالث والأربعون :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الطلاق:١.

هكذا قرأ عامة القراء العشرة .

وقرأ ابن عباس : «فطلقوهن في قبل عدتهن»(١).

وقرأ ابن عمر ومجاهد : «فطلقوهن لقبل عدتهن»(٢) وهي قراءة عثمان وابن عباس وأبي بن كعب وجابر بن عبدالله وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد(٣).

قال ابن جريج : أخبرني أبوالزبير : «أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر - وأبو الزبير يسمع ذلك -: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا؟.

فقال : طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله ﷺ ؛ فقال: إنَّ عبدالله بن عمر طلق امرأته وهي حائض فقال له النبي ﷺ: ليراجعها، فردها.

وقال : إذا طهرت فليطلق أو ليمسك .

قال ابن عمر : وقرأ النبي ﷺ : «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن».»(٤).

وفي رواية للحديث عند مسلم: «فسأل عمر النبي ﷺ عن ذلك فأمره أن

---

١) الدر المنثور ١٩١/٨.
وقال في «فتح الباري» ٣٤٦/٩: «ونقلت هذه القراءة أيضا عن أبي وعثمان وجابر وعلي بن الحسين»اهـ

٢) الدرالمنثور ١٩١/٨.

٣) المحتسب ٣٢٣/٢.

٤) حديث صحيح
فقد أخرجه مسلم في كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها حديث رقم (١٤٧١) وأبوداود في كتاب الطلاق باب في طلاق السنة حديث رقم (٢١٨٥) وابن الجارود تحت رقم: (٧٣٣) والنسائي في سننه كتاب الطلاق باب وقت الطلاق للعدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء ١٣٩/٦ وأحمد في المسند (ميمنية) ٢/ ٦١،٨٠-٨١ وغيرهم.
انظر «إرواء الغليل» ١٢٩/٧ وغوث المكدود ٥٧/٣.

يراجعها حتى يطلقها طاهرا من غير جماع، وقال: يطلقها في قبل عدتها»(١).

عن مجاهد قال : «كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثا.

قال فسكت (يعني: ابن عباس) حتى ظننت أنه رادها إليه ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ثم يقول يا ابن عباس، يا ابن عباس وإن الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢] وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجا، عصيت ربك وبانت منك امرأتك، وإنَّ الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ في قبل عدتهن﴾ [الطلاق:١].

[وهكذا كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف].»(٢).

معنى القراءات :

القراءة المتواترة : ﴿لعدتهن﴾ تحتمل أن تكون اللام بمعنى: «في»(٣) كقوله تعالى: «ربنا إنَّك جامع الناس ليوم﴾ آل عمران:٩ أي: في يوم، وكقوله: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ الحشر:٢، أي: في أول الحشر.

فقوله : ﴿لعدتهن﴾ أي: في عدتهن، أي: الزمان الذي يصلح لعدتهن؛ فاللام للتوقيت نحو كتبته لليلة بقيت من شهر كذا فهذه اللام الوقتية بمعنى: «في»(٤).

ويحتمل أن تكون اللام هنا على بابها وهو الاختصاص، والمعنى: طلقوهن مستقبلات عدتهن.

---

١) هي الرواية رقم (٨) في كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها من صحيح مسلم.

٢) إسناده صحيح .

أخرجه أبوداود في كتاب الطلاق باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث حديث رقم(٢١٩٧) واللفظ له، وأخرجه الطبري في تفسيره (دارالفكر) ١٢٩/٢٨ والنسائي في تفسيره ٤٤٢/٢-٤٤٣ وصححه محققاه وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨٨/١١ تحت رقم (١١١٣٩) ٩٥/١١ تحت رقم (١١١٥٧) والرواية الثانية بنحوه.

وأخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣٠٣/٦ من طريق آخر مقتصراً على قراءة ابن عباس.

وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٣٦٢/٩ وصرح بصحة سند الطبري في قراءة ابن عباس في «فتح الباري» ٣٤٦/٩.

وعزاه في «الدرالمنثور» ١٩٠/٨ إلى عبد بن حميد وابن مردوية وعبدالرزاق والزيادة من سياقه في الدر.

٣) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ق١ ج٢/٤٤٤.

٤) تفسير القرطبي ١٥٢/١٨ البحرالمحيط ٢٨١/٨ تهذيب السنن ١١٠/٣ زاد المعاد ٦١٥/٥.

معنى القراءتين الشاذتين : «في قبل عدتهن» «لقبل عدتهن» أي: الوقت الذي تستقبل فيه العدة(١).

قلت : الاحتمال الأول في معنى القراءة المتواترة فيه نظر وذلك لأن مسألة تناوب حروف الجر محل خلاف بين العلماء، ومنها مسألة مجيء « اللام» بمعنى «في».

والتحقيق عند بعض النحاة : أن معنى اللام في الأصل هو الاختصاص وهو معنى لا يفارقها(٢)، وهذا ممايرشح معنى القراءة الشاذة.

ويؤكده أن « اللام» في قوله: «لعدتهن» لا يصح أن تكون بمعنى «في» لأن الطلاق لا يكون في نفس العدة، ولا تكون عدة الطلاق ظرفا له قط(٣)، يفسر هذا قراءة النبي ﷺ في حديث ابن عمر: «فطلقوهن في قبل عدتهن»؛ وعلى هذا فإذا طلقها في طهرها استقبلت العدة من الحيضة التي تليه، فقد طلقها في قبل عدتها بخلاف ما إذا طلقها حائضا فإنَّها لا تعتد بتلك الحيضة، وينتظر فراغها وانقضاء الطهر الذي يليها، ثم تشرع في العدة، فلا يكون طلاقها حائضا طلاقا في قبل عدتها، كما جاء صريحافي رواية لحديث ابن عمر عند مسلم: «فأمره أن يراجعها حتى يطلقها طاهرا من غير جماع، وقال: يطلقها في قبل عدتها»(٤).

حاصل القراءات :

القراءتان الشاذتان بينتا المجمل في القراءة المتواترة وأن المراد طلقوهن مستقبلات عدتهن.

وهاتان القراءتات الشاذتان حملها ابن حزم (ت٤٥٦هـ) على أنهما مما نسخت تلاوته حيث أورد حديث ابن عمر في قراءة النبي ﷺ : «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن» ثم قال (ابن حزم): «وهذا مما قرئ ثم رفعت لفظة: «في قبل» وأنزل الله تعالى: ﴿لعدتهن﴾.» اهـ(٥).

وحملها أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) على أنها قراءة تفسيرية حيث قال

---

١) تفسير القرطبي ١٨/١٥٣ تهذيب السنن ٣/١١١.

٢) انظر كتاب «تناوب حروف الجر في لغة القرآن» ص٧-٢٠ زاد المعاد ٥/٦٣٠-٦٣٢.

٣) وقد عد في «غرائب التفسير وعجائب التأويل» ٢/١٢٢١ قول من قال: اللام للتاريخ كقولك كتبت لثلاث خلون.

٤) زاد المعاد ٥/٦٢٩-٦٣٤ تهذيب السنن ٣/١١١ بتصرف، وقد أطال رحمه الله الكلام في المسألة في الزاد فليراجعه من أراد.

٥) المحلى ١٠/١٦٦.

رحمه الله: «وما روي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم من أنهم قرأوا: «فطلقوهن في قبل عدتهن» وعن بعضهم: «قبل عدتهن» وعن عبد الله: «لقبل طهرهن» هو على سبيل التفسير، لا على أنه قرآن لخلافه المصحف الذي أجمع عليه المسلمون شرقا وغربا» اهـ(١).

وكذا نقل الزرقاني(٢) عن القشيري .

قلت : هاتان قراءتان مخالفتان لرسم المصحف لا دليل على نسخهما، فيستفاد منهما في التفسير والله أعلم(٣).

---

١) البحرالمحيط ٢٨١/٨.
٢) شرح الموطأ للزرقاني ٢١٨/٣.
٣) **فائدتان :**
(١) قوله تعالى : ﴿**لعدتهن**﴾ يقتضي أنهن مدخول بهن من الأزواج لأن غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها**﴾ الأحزاب:٤٩ تفسيرالقرطبي ١٥٠/١٨.
(٢) قال السيوطي (ت٩١١هـ): «قوله تعالى: ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ فسره ﷺ بأن تطلق في طهر لم يجامع فيه، فاستدل الفقهاء بذلك على أن طلاق السنة ما ذكر، وأن الطلاق في الحيض أو طهر جومعت فيه بدعي حرام» اهـ الإكليل ص٢١١.

الباب الرابع
القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب

ويشتمل على تمهيد و فصلين كما يلي :

الفصل الأول : القراءات المتعلقة بالبناء للفاعل والمفعول والالتفات.

الفصل الثاني : القراءات المتعلقة بالاستئناف والمفاعلة والتكثير وغيره.

تمهيد :

هناك آيات أنتج تنوع القراءات فيها تنوعا في الاسلوب، فالآية على قراءة تكون خبرية وعلى قراءة تكون انشائية، وآية على قراءة يكون الفعل فيها مبنيا للفاعل وعلى قراءة مبنيا إلى مالم يسم فاعله، وآية على قراءة تدل على مجرد حدوث الفعل وعلى قراءة تفيد تكرار حدوث الفعل، وآية تكون الجملة فيها على إعراب غيره في قراءة أخرى.

وهناك آيات أنتج اختلاف القراءات فيها نوعا بلاغيا يسمى بـ« الالتفات».

هذا القبيل من الآيات ليس له تأثير في تفسير الآية كما في القراءات في البابين الأول والثاني من هذا القسم، لكن تنوع الأسلوب يضفي على معنى الآية دلالة لا تكون فيها بدونه.

وهناك آيات أنتج اختلاف القراءات فيها وجود أكثر من لغة في قراءة اللفظة القرآنية.

وهذا القبيل الأخير لا علاقة له أصلا بالتفسير، ولذلك اكتفيت فيه بذكر جملة يسيرة على سبيل التمثيل.

والذي يستوقف النظر ويقف المتدبر منه إجلالا وإعْظاما لهذا القرآن العظيم أنه مع هذا التنوع في أداء اللفظ القرآني سواء مانقل متواترا أم آحاداً موافقا للرسم أم مخالفا؛ مع هذا التنوع جميعه يظل القرآن العظيم منارا عالي الشماريخ لاتطاله ريح الاختلاف والتناقض؛ بل جميعه يصدِّق بعضه بعضا وجميعه يوافق بعضه بعضه؛ ليكون بذلك آية صدق على نبوة المصطفى ﷺ وأن هذا القرآن ليس من عند غير الله مصداقا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَو كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ النساء:٨٢.

هذا والباب يتضمن فصلين كما يلي :

الفصل الأول : القراءات المتعلقة بالبناء للفاعل أو المفعول والالتفات.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : القراءات المتعلقة بالبناء للفاعل أو المفعول.

المبحث الثاني : القراءات المتعلقة بالالتفات.

وإليك البيان :

المبحث الأول : القراءات المتعلقة بالبناء للفاعل أو المفعول.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الغرض من البناء للفاعل أو المفعول.

أصل ترتيب الجملة الفعلية في لسان العرب فعل وفاعل ومفعول، وقد تكلم العلماء رحمهم الله عن الغرض في هذا الترتيب للجملة الفعلية، والغرض الذي يسعى إليه العربي لمَّا يقدم المفعول المؤخر ويؤخر الفاعل.

وكان منطلق العلماء عند نظرهم في ترتيب الجملة كلمة سيبويه (ت١٨٠هـ) في كتابه حيث قال: «هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول وذلك قولك: «ضرب عبدالله زيدا» فعبدالله ارتفع ههنا... وشغلت: «ضرب» به و انتصب «زيد» لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل.

فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول؛ وذلك قولك: «ضرب زيدا عبدالله» لأنك إنَّما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ؛ فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم» اهـ(١).

قلت : هذه الكلمة كانت أساس نظر العلماء في أسرار ترتيب الجملة تقديما وتأخيرا، إظهاراً وإضماراً.

ولمَّا كان القرآن العظيم بلسان عربي مبين ؛ فقد لحظ العلماء فيه هذا الملحظ الذي قال عنه سيبويه: «هو عربي جيد كثير» ولذلك نجد ابن جني (ت٣٩٢هـ) لما جاء عند قراءة يزيد البربري: «و عُلِّم آدمُ الاسماء كلها» البقرة:٤١ بضم العين من «علم» على البناء لما لم يسم فاعله، ورفع الميم من «آدم» قال ابن جني رحمه الله في توجيه هذه القراءة: « ينبغي أن يعلم ما

---

١) الكتاب ١/ ٣٤.

أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كـ«ضرب زيد عمرا»؛ فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: «ضرب عمرا زيدٌ» فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه، فقالوا: «عمرا ضرب زيد».

فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة وتجاوزوا به حد كونه فضلة فقالوا: «عمرو ضربه زيد» فجاءوا به مجيئا ينافي كونه فضله، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: «عمرو ضرب زيد» فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره، رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميا لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة.

ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص به، والغوا ذكر الفاعل مظهرا أو مضمرا فقالوا: «ضرب عمرو» فاطرح ذكر الفاعل البتة.

نعم ، و أسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة، وهو قولهم: «أولعت بالشيء» ولا يقولون: أولعني به كذا، وقالوا: «ثلج فؤاد الرجل» ولم يقولوا: ثلجه كذا، و «امتقع لونه» ولم يقولوا: امتقعه كذا، ولهذا نظائر.

فرفض الفاعل هنا البتة ، واعتماد المفعول به البتة دليل على ما قلناه فاعرفه.

وأظنني سمعت : «أولعني به كذا»، فإن كان كذلك فما أقله أيضا.

وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة ، وإنما كانت كذلك لأنها تجلو الجملة وتجعلها تابعة المعنى لها»اهـ(١).

وقال أيضا رحمه الله في موضع آخر عند توجيه قراءة ابن مسعود والحسن والأعمش: «يوم يقال لجهنم» سورة ق:٣٠: «هذا يدل على أن قولنا: «ضرب زيد» ونحوه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بزيد، عرف الفاعل به أو جهل، لقراءة الجماعة: ﴿يوم نقول﴾ وهذا يؤكد عندك قوة العناية بالمفعول به.

وفيه شاهد وتفسير لقول سيبويه في الفاعل والمفعول: «وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم».

ومن شدة قوة العناية بالمفعول أن جاءوا بأفعال مسندة إلى المفعول،

---

١) المحتسب ٦٥/١ وقارن بدلائل الاعجاز ص١٠٦ وما بعدها، ص١٥٣.

ولم يذكروا الفاعل معها أصلا، وهي نحو قولهم: «امتقع لون الرجل» و«انقطع به» و «جن زيد» ولم يقولوا: امتقعه و لا انقطعه و لا جنه، ولهذا نظائر، فهذا كاسنادهم الفعل إلى الفاعل البتة فيما لا يتعدى نحو: «قام زيد» و «قعد جعفر».» اهـ(١).

قلت : هذه التقريرات الماتعة فيها بيان سر الاستغناء عن الفاعل في حال بناء الفعل إلى مالم يسم فاعله.

ويتلخص مما سبق أن البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى مالم يسم فاعله فإنه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف.

وهذا في الحقيقة يكشف ضعف النظرة التي يقصر فيها سر البناء إلى مالم يسم فاعله على: «أن الفاعل يحذف للعلم أو الجهل به أو لخوف منه أو عليه»(٢) حيث وجدنا القرآن يبني الفعل إلى مالم يسم فاعله في قراءة، ويبنيه إلى الفاعل في قراءة أخرى مما يفيد أن المقصود التنبيه على ذكر وقوع الفعل بغض النظر عن العلم بالفاعل أو الخوف منه أو عليه.

إذا تقرر ماسبق فاني أورد هنا جملة مما وقفت عليه من آيات كان تنوع القراءات فيها من هذا القبيل، حيث تأتي الآية في قراءة مبنية للمفعول وعلى قراءة مبنية للفاعل.

ولم استوعب ذلك في جميع القرآن(٣)، وأقتصرت فيما أوردته على القراءات العشر، ومكتفيا بالإشارة إلى اختلاف القراءات، أنها في قراءة كذا وكذا على البناء للفاعل وفي قراءة كذا وكذا على البناء لما لم يسم فاعله.

وأوردتها حسب ترتيب المصحف الشريف ، وذلك في المطلب التالي :

---

١) المحتسب ٢/٢٨٤.

٢) الاعجازالبياني ص٢٤٢.

٣) وقد ذكر جملة وافرة منها صاحب كتاب «القراءات وأثرها في علوم العربية» ١/٣٢١-٣٧١.

المطلب الثاني : في سياق بعض المواضع التي تنوعت فيها القراءات فجاءت مرة مبنية للفاعل ومرة مبنية لما لم يسم فاعله.

ومن هذه المواضع :

١) قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة:٣٧.

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف: ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتح الضاد وهو مضارع مبني للمفعول، والمعنى: أن كبراءهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام فيضلونهم بذلك و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نائب فاعل.

وقرأ يعقوب : ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء وكسر الضاد على البناء للفاعل، والفاعل ضمير عائد على لفظ الجلالة المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ التوبة:٣٦، و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يَضِلُّ﴾ بفتح الياء وكسر الضاد و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل(١).

٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة:١٠٩.

قرأ نافع وابن عامر: ﴿أُسِّسَ﴾ في الموضعين بضم الهمزة وكسر السين على البناء للمفعول، و ﴿بُنيانُه﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون : ﴿أَسَّسَ﴾ فيهما بفتح الهمزة والسين على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على ﴿من﴾ و ﴿بُنيانَه﴾ بالنصب مفعول به(٢).

٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة:١١٠.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وشعبه في روايته عن عاصم والكسائي وخلف: ﴿تُقَطَّع﴾ بضم التاء على البناء للمفعول و ﴿قلوبُهم﴾ نائب فاعل.

---

١) حجة القراءات ص٣١٨ الكشف ٥٠٢/١-٥٠٣ المغني ٢٠٦/٢.

٢) حجة القراءات ص٣٢٣ الكشف ٥٠٧/١-٥٠٨ المغني ٢١٨/٢.

وقرأ الباقون : ﴿تقطع﴾ بفتح التاء على البناء للفاعل و ﴿قلوبهم﴾ فاعل(١).

٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّه للنَّاس الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بالْخَيْرِ لَقُضِي إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِين لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهم يَعْمَهُونَ﴾ يونس:١١.

قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿لقضى﴾ بفتح القاف والضاد وقلب الياء الفا على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة و ﴿أجلهم﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لقضي﴾ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء على البناء للمفعول و ﴿أجلهم﴾ بالرفع نائب فاعل(٢).

٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أرَأيْتُم إن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أنُلْزِمُكُمُوهَا وأنْتُم لها كَارِهُونَ﴾ هود:٢٨.

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف : ﴿فعميت﴾ بضم العين وتشديد الميم على البناء للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره«هي» يعود على لفظ ﴿رحمة﴾ المتقدم في قوله: ﴿وآتاني رحمة﴾.

وقرأ باقي العشرة : ﴿فَعَمِيت﴾ بفتح العين وتخفيف الميم على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود على لفظ ﴿رحمه﴾.

وعميت أخفيت ، تقول : عميت الأمر عليه ، أي: أخفيته(٣).

٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أرْسَلْنَا مِن قَبلك إلاَّ رَجَالاً نُوحِي إليْهم مِنْ أهْل القُرَى...﴾ يوسف:١٠٩.

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أرْسَلْنَا مِن قَبلك إلاَّ رَجَالاً نُوحِي إليْهم فسْألُوا أهْلَ الذِّكر إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُونَ﴾ النحل:٤٣.

وقوله تعالى : ﴿ومَا أرْسَلنَا قَبْلَك إلاّ رِجَالاً نُوحِي إليهم فسْألُوا أهْلَ الذِّكر إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء:٧.

---

١) حجة القراءات ص٣٢٤ الكشف ٥٠٨/١-٥٠٩ المغني ٢٢٠/٢.
٢) حجة القراءات ص٣٢٨ الكشف ٥١٥/١ المغني ٢٢٤/٢.
٣) حجة القراءات ص٣٣٨ الكشف ٥٢٧/١ المغني ٢٤٣/٢.

قرأ حفص : ﴿نُوحِي﴾ في المواضع الثلاثة بنون العظمة وكسر الحاء على البناء للفاعل.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يُوحَى﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء على البناء للمفعول(١).

٧) قوله تبارك وتعالى : ﴿أفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ وجَعَلُوا لِلَّه شُرَكَاءَ، قُلْ سَمُّوهُمْ، أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ في الأرْضِ أم بِظَاهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الرعد:٣٣.

وقوله تعالى : ﴿وكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ غافر:٣٧.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿وصُدّوا﴾ و ﴿صُدّ﴾ بضم الصاد على البناء للمفعول ونائب الفاعل في موضع سورة الرعد واو الجماعة العائد على ﴿الذين كفروا﴾.

ونائب الفاعل في موضع سورة غافر ضمير مستتر تقديره «هو» عائد على فرعون عليه لعنة الله تعالى.

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿وصَدوا﴾ ﴿وصَد﴾ بفتح الصاد على البناء للفاعل والفاعل في موضع الرعد واو الجماعة، وفي موضع غافر ضمير مستتر تقديره «هو» عائد على فرعون(٢).

٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ما نُنَزِّلُ المَلائكَةَ إلَّا بِالْحَقِّ ومَا كَانُوا إذاً مُّنظَرِينَ﴾ الحجر:٨.

قرأ شعبة في روايته عن عاصم: ﴿ما تُنَزَّل﴾ بضم التاء وفتح النون والزاي مشددة على البناء للمفعول و ﴿الملائكة﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ حفص في روايته عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿مانُنزل﴾ بنونين الأولى مضمومة والأخرى مفتوحة، وكسر الزاي مشددة مبنيا للفاعل، و﴿الملائكة﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ماتنزل﴾ بفتح التاء والنون والزاي مشددة مبنيا للفاعل والملائكة بالرفع فاعل.

---

١) حجة القراءات ص٣٦٥ الكشف ٢/١٤-١٥ المغني ٢/٢٧٩.

٢) الكشف ٢/٢٢-٢٣ المغني ٢/٢٨٨.

وقرأ البزي بخلف عنه في روايته عن ابن كثير : ﴿تنزل﴾ بتشديد التاء حالة وصلها بما قبلها(١).

٩) قوله تبارك وتعالى : ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ النحل:٣٧.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وأبوجعفر ويعقوب : ﴿لايهدى﴾ بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها وذلك على بناء الفعل للمفعول، و ﴿من﴾ نائب فاعل، أي: من يضله الله لا يهدى.

وقرأ الباقون : ﴿لايهدي﴾ بفتح الياء وكسر الدال وياء بعدها وذلك على بناء الفعل للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على لفظ الجلالة و ﴿من﴾ مفعول به(٢).

١١،١٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ الاسراء:١٣.

قرأ أبوجعفر : ﴿ويخرج﴾ بياء تحتية مضمومة وراء مفتوحة مبني للمجهول ونائب الفاعل ضميير مستتر تقديره «هو» يعود على ﴿طائره﴾ المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ و ﴿كتابا﴾ حال.

وقرأ يعقوب : ﴿ويخرج﴾ بالياء التحتية المفتوحة وراء مضمومة مبني للمعلوم والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على ﴿طائره﴾ و ﴿كتابا﴾ حال.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ونخرج﴾ بنون العظمة المضمومة وراء مكسورة مبني للمعلوم، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» لأن قبله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً... وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً. وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ..﴾ و ﴿كتابا﴾ مفعول به.

وقرأ ابن عامر وأبوجعفر : ﴿يلقاه﴾ بضم الياء و فتح اللام وتشديد القاف مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستترتقديره «هو» يعود على «الانسان» المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ﴾.

وقرأ الباقون : ﴿يلقاه﴾ بفتح الياء وتخفيف القاف وسكون اللام والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على صاحب الكتاب وهو «الإنسان»

---

١) حجة القراءات ص٣٨١ الكشف ٢٩/٢ المغني ٣٠٦/٢-٣٠٧.

٢) حجة القراءات ص ٣٨٨-٣٨٩ الكشف ٣٧/٢ المغني ٣٢٢/٢-٣٢٣.

المتقدم ذكره(١).

١٢) قوله تبارك و تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ الكهف:٤٧.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر: ﴿تسير﴾ بتاء مثناة فوقية مضمومة مع فتح الياء المشددة على البناء للمفعول و ﴿الجبال﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿نسير﴾ بنون العظمة مضمومة مع كسر الياء المشددة على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره "نحن" يعود على لفظ الجلالة المتقدم ذكره في قوله: ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾(٢) الاسراء:٤٥.

١٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ سورة طه:٨٧.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبوجعفر ورويس عن يعقوب: ﴿حملنا﴾ بضم الحاء وكسر الميم المشددة، و ﴿نا﴾ في ﴿حملنا﴾ نائب فاعل.

وقرأ باقي العشرة : ﴿حملنا﴾ بفتح الحاء والميم المخففة، و ﴿نا﴾ في ﴿حملنا﴾ فاعل(٣).

١٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِم أَنَّهَا تَسْعَى﴾ سورة طه:٦٦.

قرأ ابن ذكوان في روايته عن ابن عامر، وروح في روايته عن يعقوب : ﴿تخيل﴾ بتاء التأنيث على أن الفعل مبني للمجهول مسند إلى ضمير يعود على «العصي والحبال» وهي مؤنثة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يخيل﴾ بياء التذكير؛ لأن التأنيث في «العصي والحبال» غير حقيقي(٤).

---

١) حجة القراءات ص٣٩٨ الكشف ٤٣/٢ المغني ٣٣٨/٢.
٢) حجة القراءات ص٤١٩ الكشف ٦٤/٢ المغني ٣٧٢/٢.
٣) حجة القراءات ص٤٦١ الكشف ١٠٤/٢.
٤) الكشف ١٠١/٢ المغني ٢٦/٣.

١٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ولاتَعْجَل بالقُرْآن مِن قَبْل أن يُقْضَى إليْكَ وحْيُه﴾ سورة طه:١١٤.

قرأ يعقوب : ﴿نقضي﴾ بنون مفتوحة وضاد مكسورة وياء مفتوحة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يقضي﴾ بياء مضمومة وضاد مفتوحة بعدها ألف(١).

١٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ الأنبياء:٨٧.

قرأ يعقوب : ﴿يقدر﴾ بياء تحتية مضمومة ودال مفتوحة على أن الفعل مضارع مبني للمجهول والجار والمجرور﴿عليه﴾ نائب فاعل.

وقرأ الباقون : ﴿نقدر﴾ بنون العظمة مفتوحة ودال مكسورة على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة(٢).

١٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَوْم نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلّ للكُتُب﴾ الأنبياء:١٠٤.

قرأ أبوجعفر : ﴿تطوي﴾ بضم التاء وفتح الواو على أنه فعل مبني للمجهول و ﴿السماء﴾ بالرفع نائب فاعل، وأنث الفعل لأن ﴿السماء﴾ مؤنثة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نطوي﴾ بنون العظمة مفتوحة وكسر الواو و﴿السماء﴾ بالنصب على أنه (أي‌نطوي) فعل مضارع مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة و ﴿السماء﴾ مفعول به(٣).

١٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أُذِنَ لِلّذِين يُقَاتَلُون بأنَّهم ظُلِمُوا﴾ الحج:٣٩.

قرأ نافع وأبوعمرو وعاصم وأبوجعفر ويعقوب وادريس بخلف عنه: ﴿أذن﴾ بضم الهمزة على أنه فعل ماضي مبني للمجهول و ﴿للذين﴾ في محل رفع نائب فاعل.

وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة : ﴿أَذِنَ﴾ على أنه فعل ماضي مبني للمعلوم و ﴿للذين﴾ متعلق به، والفاعل ضمير يعود على لفظ الجلالة المتقدم

---

١) المغني ٣/ ٢٦.
٢) المغني ٣/ ٤١.
٣) ماسبق ٣/ ٤٤.

ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾(١) الحج:٣٨.

١٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ النور:٣٥.

قرأ شعبة في روايته عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿توقد﴾ بتاء فوقية مضمومة وبرفع الدال وتخفيف القاف وهو فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره: "هي" يعود على ﴿الزجاجة﴾.

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وأبوجعفر ويعقوب : ﴿تَوَقَّدَ﴾ بتاء مفتوحة و واو مفتوحة مع تشديد القاف ونصب الدال على "تفعل" وهو فعل ماضي والفاعل ضمير مستتر يعود على ﴿الزجاجة﴾.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يُوقَدُ﴾ بياء تحتية مضمومة و واو ساكنة مدية بعدها مع تخفيف القاف ورفع الدال وهو فعل مضارع مبني للمجهول من "أوقد" الرباعي ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على "المصباح"(٢).

٢٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ النور:٣٦.

قرأ ابن عامر وشعبة في روايته عن عاصم : ﴿يسبح﴾ بفتح الباء الموحدة على أنه فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل الجار والمجرور بعده وهو ﴿له﴾ وحينئذ يكون ﴿رجال﴾ فاعل لفعل محذوف دل عليه المقام كأنه قيل من يسبحه ؟. فقيل: رجال، أي: يسبحه رجال صفتهم كذا وكذا.

وقرأ الباقون بكسر الباء على أنه مضارع مبني للمعلوم و ﴿له﴾ متعلق بـ﴿يسبح﴾ و ﴿رجال﴾ فاعل(٣).

٢١) قوله تبارك تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ النور:٥٥.

قرأ شعبة في روايته عن عاصم : ﴿استخلف﴾ بضم التاء وكسر اللام على البناء للمفعول و ﴿الذين﴾ نائب فاعل.

---

١) حجة القراءات ص٤٧٨ الكشف ٢/١٢٠ المغني ٣/٥٣.
٢) حجة القراءات ص٥٠٠ الكشف ٢/١٣٨ المغني ٣/٨٠.
٣) حجة القراءات ص٥٠١ الكشف ٢/١٢٩ المغني ٣/٨١.

وقرأ باقي العشرة : ﴿استَخلَفَ﴾ بفتح التاء واللام على البناء للفاعل و ﴿الذين﴾ مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على لفظ الجلالة في ﴿وعد الله﴾(١).

٢٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿ماكَانَ يَنْبَغِي لَنا أن نَّتَّخِذ مِنْ دُونِك مِنّ أَوْلِيَاء﴾ الفرقان:١٨.

قرأ أبوجعفر : ﴿نُتَخَذ﴾ بضم النون وفتح الخاء على البناء للمفعول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نَتخِذ﴾ بفتح النون وكسر الخاء على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره "نحن" يعود على الواو في قوله: ﴿قالواسُبْحَانَك مَا كَان يَنْبَغِي لَنا﴾ و ﴿مِنّ دُونِك﴾ متعلق بـ﴿نتخذ﴾ و ﴿من﴾ زائدة و ﴿أولياء﴾ مفعول به(٢).

٢٣) قوله تبارك وتعالى : ﴿ويُلَقَّوْنَ فيهَا تَحِّيَةً وَسَلاماً﴾ الفرقان:٧٥.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وحفص وأبوجعفر ويعقوب: ﴿ويُلَقَّوْن﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف مبني للمجهول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ويَلْقَوْن﴾ بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف مبني للمعلوم(٣).

٢٤) قوله تبارك و تعالى : ﴿لَوْلا أنَ منّ اللّه عَلَيْنا لخَسَفَ بِنَا﴾ القصص:٨٢.

قرأ حفص ويعقوب : ﴿لخسف﴾ بفتح الخاء والسين على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله تعالى في قوله: ﴿لوْلا أنْ مَنَّ اللّه عَليْنَا﴾.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لخُسِفَ﴾ بضم الخاء وكسر السين على البناء للمفعول ونائب الفاعل الجار والمجرور وهو ﴿بِنَا﴾(٤).

٢٥) قوله تبارك و تعالى : ﴿يُضَاعَف لَهَا العَذاب ضِعْفَين﴾ الأحزاب:٣٠.

---

١) حجة القراءات ص٥٠٤ الكشف ١٤٢/٢ المغني ٨٢/٣-٨٣.
٢) المغني ٨٨/٣.
٣) حجة القراءات ص٥١٥ الكشف ١٤٨/٢ المغني ٩٥/٣-٩٦.
٤) حجة القراءات ص٥٤٩ الكشف ١٧٥/٢.

قرأ ابن كثير وابن عامر : ﴿نُضَعِّف﴾ بنون مضمومة وحذف الألف بعد الضاد مع كسر العين وتشديدها على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» وهو إخبار من الله تعالى عن نفسه.

وقرأ أبوعمرو وأبوجعفر ويعقوب : ﴿يُضَعَّف﴾ بياء تحتية مضمومة وحذف الألف بعد الضاد مع فتح العين وتشديدها على البناء للمفعول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يُضاعَف﴾ بياء تحتية مضمومة واثبات الألف بعد الضاد مع فتح العين و تخفيفها على البناء للمفعول(١).

٢٦) قوله تبارك وتعالى : ﴿فلمَّا خَرَّ تَبيَّنَت الجِن أنَ لَو كَانُوا يَعْلَمُون الغَيْب مالَبِثُوا فِي العَذاب المُهين﴾ سبأ:١٤.

قرأ رويس في روايته عن يعقوب : ﴿تبينت﴾ بضم التاء الأولى وضم الباء الوحدة بعدها وكسر الياء التحتية المشددة على البناء للمفعول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تبينت﴾ بفتح الحروف الثلاثة على البناء للفـاعل(٢).

٢٧) قوله تبارك وتعالى : ﴿حَتّى إذَا فُزِّع عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا ماذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الحَقّ﴾ سبأ:٢٣.

قرا ابن عامر ويعقوب : ﴿فَزَّع﴾ بفتح الفاء والزاي مع تشديدها على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على ﴿ربك﴾ في قوله تعالى: ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ سبأ:٢١.

وقرأ باقي العشرة : ﴿فُزِّع﴾ بضم الفاء وكسر الزاي على البناء للمفعول والجار والمجرور: ﴿عَنْ قُلوبِهم﴾ نائب فاعل(٣).

٢٨) قوله تباك وتعالى : ﴿وما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّر و لايُنقَصُ مِنْ عُمُرِه إلاَّ فِي كِتاب﴾ فاطر:١١.

قرأ رويس عن يعقوب بخلف عنه : ﴿ينقص﴾ بفتح الياء وضم القاف مبنيا للفاعل والفاعل يفهم من المقام أي شيء ما.

---

١) حجة القراءات ص٥٧٥ الكشف ١٩٦/٢ المغني ١٥١/٣.

٢) المغني ١٦٠/٣.

٣) حجة القراءات ص٥٨٩ الكشف ٢٠٥/٢-٢٠٦ المغني ١٦٥/٣.

وقرأ الباقون من العشرة بضم الياء وفتح القاف مبنيا للمفعول وهو الوجه الثاني لرويس والجار والمجرور: ﴿من عمره﴾ نائب فاعل(١).

٢٩) قوله تبارك وتعالى : ﴿... فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الزمر:٤٢.
قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿قضى﴾ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء على البناء للمفعول و ﴿الموت﴾ بالرفع نائب فاعل.
وقرأ باقي العشرة : ﴿قضى﴾ بفتح القاف والضاد على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على لفظ الجلالة المتقدم في أول الآية(٢).

٣٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الشورى:٣.
قرأ ابن كثير : ﴿يوحى﴾ بفتح الحاء بعدها ألف رسمت ياء على البناء للمفعول و ﴿إليك﴾ نائب فاعل، و لفظ الجلالة ﴿الله﴾ فاعل لفعل مقدر كأنه قيل من يوحي؟ فقيل: يوحي الله.
وقرأ باقي العشرة : ﴿يوحي﴾ بكسر الحاء على البناء للفاعل والفاعل لفظ الجلالة: ﴿اللّه﴾ من قوله تعالى: ﴿اللّه العَزِيز الحَكِيم﴾ و ﴿إليك﴾ متعلق بـ﴿يوحي﴾(٣).

٣١) قوله تبارك وتعالى : ﴿أو مَن يُنَشَّؤا في الحِلْيَة﴾ الزخرف:١٨.
قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ينشؤا﴾ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مضارع «نشأ» مضعف العين مبنيا للمفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على ﴿من﴾.
و ﴿في الحلية﴾ متعلق بـ﴿ينشؤا﴾.
وقرأ باقي العشرة : ﴿ينشؤا﴾ بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين مضارع «نشأ» الثلاثي مبنيا للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على ﴿من﴾.

---

١) المغني ٣/١٦٩.
٢) حجة القراءات ص٦٢٤ الكشف ٢/٢٣٩ المغني ٣/٢٠٦.
٣) حجة القراءات ص٦٣٩ الكشف ٢/٢٥٠ المغني ٣/٢٢٠.

و ﴿في الحلية﴾ متعلق بـ﴿ينشؤا﴾(١).

٣٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿وعِندَهُ عِلْمُ السَّاعةِ وإلَيْه تُرْجَعُون﴾ الزخرف:٨٥.
قرأ يعقوب بالبناء للفاعل.
وقرأ باقي العشرة بالبناء للمفعول(٢).

٣٣) قوله تبارك وتعالى : ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الجاثية:١٤.
قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وعاصم ويعقوب: ﴿ليجزي﴾ بياء مفتوحة مع كسر الزاي وفتح الياء مبنيا للفاعل، والفاعل ضمير يعود على لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره﴾ الجاثية:١٢، و ﴿قوما﴾ بالنصب مفعول به.
وقرأ أبوجعفر : ﴿ليجزى﴾ بضم الياء وفتح الزاي على البناء للمفعول و ﴿قوما﴾ بالنصب مفعول به، ونائب الفاعل محذوف تقديره: الخير، إذ الأصل: ليجزي الله قوما، مثل: جزاك الله خيرا، ويجوز أن يكون نائب الفاعل الجارو المجرور وهو: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ ويكون ذلك حجة للكوفيين حيث يجيزون نيابة الظرف أو الجار والمجرور مع وجود المفعول به.
وقرأ باقي العشرة : ﴿لنجزي﴾ بنون العظمة مفتوحة مع كسر الزاي وفتح الياء مبنيا للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن» وحينئذ يكون في الكلام التفات من الغيبة الى التكلم و ﴿قوما﴾ بالنصب مفعول به(٣).

٣٤) قوله تبارك وتعالى : ﴿أولَئكَ الَّذين نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا ونتَجَاوزُ عَن سَيِّئَاتِهِم﴾ الأحقاف:١٦.
قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وشعبة وأبوجعفر ويعقوب: ﴿يتقبل﴾ و ﴿يتجاوز﴾ بياء تحتية مضمومة في الفعلين على البناء للمفعول و ﴿أحسن﴾ بالرفع نائب فاعل لـ﴿يتقبل﴾ و أما نائب فاعل ﴿يتجاوز﴾ فهو الجار والمجرور بعده: ﴿عن سَيِّئاتهم﴾.
وقرأ باقي العشرة : ﴿نتقبل﴾ و ﴿نتجاوز﴾ بنون مفتوحة في الفعلين على

---

١) حجة القراءات ص٦٤٦-٦٤٧ الكشف ٢/٢٥٥ المغني ٣/٢٢٥.
٢) المغني ٣/٢٣٢.
٣) حجة القراءات ٦٦٠ الكشف ٢/٢٦٨ المغني ٣/٢٣٩-٢٤٠.

البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن» والمراد به الله سبحانه وتعالى، وقد جرى الكلام على نسق ما قبله؛ لأن قبله قوله تعالى: ﴿ووصينا الانسان بوالديه﴾ الأحقاف:١٥، و ﴿أحسن﴾ بالنصب مفعول به(١).

٣٥) قوله تبارك وتعالى : ﴿فأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُم﴾ الأحقاف:٢٥.

قرأ عاصم وحمزة ويعقوب وخلف : ﴿لايرى﴾ بياء تحتية مضمومة على البناء للمفعول و ﴿مساكنهم﴾ بالرفع نائب فاعل و التقدير لا يرى شيء إلا مساكنهم ولذلك ذكر الفعل لأنه محمول على «شيء» المقدر، و ﴿مساكنهم﴾ نائب فاعل.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لاترى﴾بتاء فوقية مفتوحة على البناء للفاعل، وهو خطاب للنبي ﷺ المفهوم من قوله تعالى: ﴿واذْكُر أخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَر قَوْمَه بالأَحْقَاف﴾ الأحقاف:٢١، وبناء عليه فالفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت» والمراد به: النبي ﷺ ويجوز أن يكون الخطاب عاما لكل من يصلح له الخطاب، و ﴿مَسَاكنَهم﴾ بالنصب مفعول به، و ﴿ترى﴾ بصرية لا تنصب إلا مفعولا واحدا والتقدير: لا ترى شيئا إلا مساكنهم(٢).

٣٦) قوله تبارك وتعالى : ﴿والَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ سورة محمد:٤.

قرأ أبوعمرو وحفص ويعقوب : ﴿قتلوا﴾ بضم القاف وحذف الألف وكسر التاء مبنيا للمفعول والواو نائب فاعل من القتل.

وقرأ الباقون : ﴿قاتلوا﴾ بفتح القاف وألف بعدها وفتح التاء مبنيا للفاعل والواو فاعل من المقاتلة(٣).

٣٧) قوله تبارك وتعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلَى لَهُمْ﴾ سورة محمد:٢٥.

قرأ أبوعمرو : ﴿وأملى﴾ بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على البناء للمفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا» والمراد به: الله عزوجل كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وأملي لَهُم إِنَّ كَيْدِي مَتِين﴾

---

١) حجة القراءات ص٦٦٤ الكشف ٢/٢٧٢ المغني ٣/٢٤٤.

٢) حجة القراءات ص٦٦٦ الكشف ٢/٢٧٤ المغني ٣/٢٤٦.

٣) حجة القراءات ص٦٦٦ الكشف ٢/٢٧٦ المغني ٣/٢٤٧.

الأعراف:١٨٣.

ويجوز أن يكون نائب الفاعل ضميراً تقديره: «هو» يعود على الشيطان، ومعنى املاء الشيطان لهم: وسوسته لهم فبعدت آمالهم حتى ماتوا على الكفر.

وقرأ يعقوب : ﴿وأملي﴾ مثل قراءة أبي عمرو إلا أنه سكّن الياء على البناء للفاعل وعلى هذه القراءة يتعين أن يكون الفاعل ضميراً مستتر تقديره: «أنا» والمراد به: الله عزوجل.

وقرأ الباقون : ﴿وأملي﴾ بفتح الهمزة واللام على أنه فعل ماضي والفاعل ضمير مستتر يعود على الشيطان(١).

٣٨) قوله تبارك وتعالى : ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ الطور:٤٥.

قرأ ابن عامر وعاصم : ﴿يُصعَقُون﴾ بضم الياء على البناء للمفعول وهو فعل مضارع مبني للمجهول من: «أصعق» الرباعي والواو نائب فاعل.

وقرأ الباقون : ﴿يصعقون﴾ بفتح الياء على البناء للفاعل وهو فعل مضارع من «صعق» الثلاثي نحو «علم» والواو فاعل(٢).

٣٩) قوله تبارك وتعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤلؤ والمَرْجَانُ﴾ الرحمن:٢٢.

قرأ نافع وأبوعمرو وأبوجعفر ويعقوب: ﴿يخرج﴾ بضم الياء وفتح الراء على البناء للمفعول و ﴿اللؤلؤ﴾ نائب فاعل و ﴿المرجان﴾ معطوف عليه.

وقرأ الباقون : ﴿يخرج﴾ بفتح الياء وضم الراء على البناء للفاعل و﴿اللؤلؤ والمرجان﴾ ﴿اللؤلؤ﴾ فاعل و ﴿المرجان﴾ معطوف عليه(٣).

٤٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿وقد أَخَذَ مِيثَاقَكُم﴾ الحديد:٨.

قرأ أبوعمرو : ﴿أخذ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء على البناء للمفعول و﴿ميثاقكم﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون : ﴿أخذ﴾ بفتح الهمزة والخاء على البناء للفاعل

---

١) حجة القراءات ص٦٦٧-٦٦٨ الكشف ٢/٢٧٧-٢٧٨ المغني ٣/٢٥١.

٢) حجة القراءات ص٦٨٤ الكشف ٢/٢٩٢ المغني ٣/٢٦٨.

٣) حجة القراءات ص٦٩١ الكشف ٢/٣٠١ المغني ٣/٢٧٦.

و﴿ميثاقكم﴾ بالنصب مفعولا به، وفاعل ﴿أخذ﴾ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على لفظ الجلالة ﴿الله﴾ المتقدم في صدر الآية في قوله تعالى: ﴿ومَالَكُم لا تُؤمِنُون باللَّه﴾(١).

٤١) قوله تبارك وتعالى : ﴿يَوَم القِيَامة يَفْصِل بَيْنَكم﴾ الممتحنة:٣.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وأبوجعفر: ﴿يفصل﴾ بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة على البناء للمفعول، وهو مضارع «فصل» الثلاثي نحو «ضرب»، ونائب الفاعل: ﴿بينكم﴾وقيل: نائب الفاعل مصدر مضمر والتقدير يفصل الفصل بينكم.

وقرأ ابن ذكوان : ﴿يفصل﴾ بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة على البناء للمجهول، وتوجيهها كتوجيه القراءة المتقدمة، إلا أن الفعل مضارع «فصل» مضعف العين نحو «علم».

وقرأ عاصم ويعقوب: ﴿يفصل﴾ بفتح الياء واسكان الفاء وكسر الصاد مخففة على البناء للفاعل، وهو مضارع «فصل» الثلاثي، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ المتقدم في قوله تعالى: ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ الممتحنة:١.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿يفصل﴾ بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة على البناء للفاعل أيضا مضارع «فصل» مضعف العين.

وقرأ هشام عن ابن عامر بوجهين الأول كابن ذكوان، والثاني كنافع ومن معه(٢).

٤٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿لِيَعْلَم أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾ الجن:٢٨.

قرأ رويس عن يعقوب : ﴿ليعلم﴾ بضم الياء مبنيا للمفعول، ونائب الفاعل محذوف يفهم من السياق والتقدير ليعلم الناس (أي: المرسل إليهم): أن الرسل أبلغوا رسالات ربهم.

وقرأ الباقون : ﴿ليعلم﴾ بفتح الياء مبنيا للفاعل، والمراد به: «العلم» المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل، و ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف والخبر جملة، وفاعل ﴿يعلم﴾ ضمير مستتر تقديره: «هو»

---

١) حجة القراءات ص٦٩٧-٦٩٨ الكشف ٣٠٧/٢ المغني ٢٨٤/٣.
٢) حجة القراءات ص٧٠٦ الكشف ٣١٨/٢ المغني ٢٩٨/٣.

والمراد نبينا محمد ﷺ والمعنى ليعلم محمد ﷺ: أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة(١).

٤٣) قوله تبارك وتعالى : ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ المطففين٢٤.
قرأ أبوجعفر ويعقوب : ﴿تُعْرَفُ﴾ بضم التاء وفتح الراء مبنيا للمفعول و ﴿نضرة﴾ بالرفع نائب فاعل.
وقرأ الباقون : ﴿تعرف﴾ بفتح التاء وكسر الراء مبنيا للفاعل و ﴿نضرة﴾ بالنصب مفعول به، أي: إذا رأيت الأبرار عرفت أنهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والرونق(٢).

٤٤) قوله تبارك وتعالى : ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ الانشقاق:١٢.
قرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي: ﴿ويصلى﴾ بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام مضارع: "صلى" مضعف العين مبنيا للمفعول ونائب الفاعل ضمير تقديره: "هو" يعود على الذي أوتي كتابه وراء ظهره المذكور في قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ الانشقاق:١٠، و ﴿سعيرا﴾ مفعول ثان لـ﴿يصلى﴾ لأنه عدي إلى مفعولين بسبب التضعيف؛ الأول: نائب الفاعل، والثاني: ﴿سعيرا﴾.
وقرأ الباقون : ﴿ويصلى﴾ بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام مضارع "صلى" مخففا، مبنيا للفاعل يتعدى إلى مفعول واحد وهو ﴿سعيرا﴾ وفاعل ﴿يصلى﴾ ضمير يعود على الذي أوتي كتابه وراء ظهره(٣).

٤٥) قوله تبارك وتعالى : ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ الغاشية:١١.
قرأ نافع : ﴿لاتسمع﴾ بالتاء الفوقية المضمومة على البناء للمفعول و ﴿لاغية﴾ بالرفع نائب فاعل، وأنث الفعل لتأنيث نائب الفاعل.
وقرأ ابن كثير وأبوعمرو ورويس: ﴿لايسمع﴾ بالياء التحتية المضمومة على البناء للمفعول و ﴿لاغية﴾ بالرفع نائب فاعل و ذكر الفعل لأن تأنيث نائب

---

١) المغني ٣٢٧/٣.
٢) المغني ٣٥٥/٣.
٣) حجة القراءات ص٧٥٥ الكشف ٣٦٧/٢ المغني ٣٥٧/٣.

الفاعل مجازي وللفصل بالجار والمجرور.

وقرأ الباقون : ﴿لا تسمع﴾ بالتاء الفوقية المفتوحة على البناء للفاعل والفاعل ضمير تقديره: «هي» يعود على الوجوه الناعمة من قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ الغاشية: ٨، والمراد: أصحاب الوجوه الناعمة، و ﴿لاغية﴾ بالنصب مفعول به(١).

٤٦) قوله تبارك وتعالى: ﴿فيومَئذٍ لا يُعذّب عَذَابَهُ أحَدٌ﴾ الفجر:٢٥.

وقوله تعالى : ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ الفجر:٢٦.

قرأ الكسائي ويعقوب : ﴿لايعذب﴾ ﴿لايوثق﴾ بفتح الذال والثاء على البناء للمفعول ونائب الفاعل: ﴿أحد﴾ والهاء في ﴿عذابه﴾ و ﴿وثاقه﴾ تعود على الانسان المعذب والتقدير: فيومئذ لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق أحد مثل ايثاقه.

وقرأ الباقون بكسر الذال والثاء على البناء للفاعل، والفاعل ﴿أحد﴾ والهاء في ﴿عذابه﴾ و ﴿وثاقه﴾ تعود على لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ والتقدير: فيومئذ لا يعذب أحد أحدا مثل تعذيب الله للعصاة والكافرين، ولا يوثق أحد أحدا مثل إيثاق الله للعصاة والكافرين(٢).

---

١) حجة القراءات ص٧٦٠ الكشف ٢/٣٧١ المغني ٣/٣٦٢-٣٦٣.

٢) حجة القراءات ص٧٦٣ الكشف ٢/٣٧٣ المغني ٣/٣٦٦.

المبحث الثاني : القراءات المتعلقة بالالتفات .

فيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الالتفات .

الالتفات : هو التعبير عن معنى بأسلوب التكلم أو الخطاب أو الغيبة وذلك بعد التعبير عن المعنى بأسلوب آخر منها(١).

أو هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه(٢).

والعرب تنتقل في كلامها من أسلوب إلى أسلوب وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من اجرائه على أسلوب واحد(٣)، وهذه فائدة الالتفات العامة(٤)، وقد تختص مواقعه بفوائد(٥).

وللالتفات ست صور :

الأولى : الانتقال من التكلم إلى الخطاب .

الثانية : الانتقال من التكلم إلى الغيبة .

الثالثة : الانتقال من الخطاب إلى التكلم .

الرابعة : الانتقال من الخطاب إلى الغيبة .

الخامسة : الانتقال من الغيبة إلى الخطاب .

السادسة : الانتقال من الغيبة إلى التكلم(٦).

---

١) الإيضاح في علوم البلاغة ص١٥٧.

٢) جواهر البلاغة ص٢٣٩.

٣) الكشاف للزمخشري ١/١٠.

٤) الإتقان (أبوالفضل) ٣/٢٥٣.

٥) الكشاف ١/١٠ الاتقان (أبوالفضل) ٣/٢٥٣.

٦) جواهر البلاغة ص٢٣٩ علوم البلاغة ص١٦٧.

المطلب الثاني : مواضع الالتفات في القراءات .

أورد هنا القراءات التي أنتج تنوعها ما يسمى في البلاغة بـ« الالتفات» مستقصيا ذلك في القراءات العشر.

مُصَدِّراً ذلك بذكر أمثلة أفَصِّل فيها القول ثم أنتقل منها إلى إيراد المواضع حسب ترتيب المصحف الشريف باختصار دون تفصيل، والله المستعان وعليه التكلان.

فمن الأمثلة مايلي :

المثال الأول :

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة:٧٤.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿عما تعملون﴾:

فقرأ ابن كثير بياء الغيبة : ﴿عما يعملون﴾ وقرأ مثله ابن محيصن .

وقرأ سائر العشرة بالخطاب : ﴿عما تعملون﴾ وقرأ مثلهم الأعمش واليزيدي والحسن(١).

معنى القراءتين :

القراءتان بمعنى واحد ، وفيهما التفات إذا كان الخطاب لبني اسرائيل(٢).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «يحتمل: أن يكون الخطاب مع رسول الله ﷺ (يعني: في قوله: ﴿وماالله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) ويحتمل: أن يكون الخطاب مع بني اسرائيل ويكون ذلك التفاتا إذ خرج من الخطاب في قوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿يعملون﴾.

وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عن مخاطبتهم وابرازهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب، وجعلهم كالغائبين عنه؛ لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ماصدر عنهم من المخالفات» اهـ(٣).

حاصل القراءتين :

القراءتان بمعنى واحد وفيهما التفات من الخطاب إلى الغيبة إذا كان الخطاب لبني اسرائيل.

---

١) المبسوط ص١١٨ النشر ٢١٧/٢ الاتحاف ص١٣٩.
٢) المغني ١٤٣/١.
٣) البحرالمحيط ٢٦٧/١-٢٦٨.

المثال الثاني :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّه وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنكُمْ وأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ البقرة:٨٣.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿لاتعبدون إلا الله﴾:

فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿لايعبدون إلا الله﴾ بالياء وقرأ مثلهم ابن محيصن والحسن والأعمش.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لا تعبدون بالتاء وقرأ مثلهم اليزيدي(١).

معنى القراءتين :

القراءتان بمعنى واحد وفيهما التفات من الغيبة إلى الخطاب.

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «من قرأ بالياء فلأن بني اسرائيل لفظ غيبة، ومن قرأ بالتاء فهو التفات.

وحكمته : الإقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول وأقرب للامتثال إذ فيه الاقبال من الله على المخاطب بالخطاب» اهـ(٢).

حاصل القراءتين :

القراءتان فيهما التفات ، وهما بمعنى واحد .

قلت : وقرأ ابن مسعود و أبي بن كعب: «لايعبدوا» على النهي، والقراءة المتواترة: ﴿لايعبدون﴾ على النفي، وكلاهما بمعنى.

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ) عند ذكره أوجه اعراب جملة: ﴿لايعبدون﴾: «الوجه الثامن: أن تكون الجملة تفسيرية فلا موضع لها من الاعراب، وذلك أنه لما ذكر أنه أخذ ميثاق بني اسرائيل كان في ذلك إبهام للميثاق ما هو، فأتى بهذه الجملة مفسرة للميثاق... ... ومع جعل الجملة مفسرة لا تخرج عن أن يكون نفي أريد به نهي إذ تبعد حقيقة الخبر فيه» اهـ(٣).

ونبَّه رحمه الله إلى وجود التفات آخر في الآية في قوله: ﴿إلا الله﴾ إذ خرج من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب ألا ترى أنه لو جرى على نسق واحد لكان نظم الكلام: لا تعبدون إلا ايانا، لكن في العدول إلى الاسم

---

١) المبسوط ص١١٩ النشر ٢١٨/٢ الاتحاف ص١٤٠.
٢) البحرالمحيط ٢٨٣/١.
٣) البحرالمحيط ٢٨٢/١.

الظاهر من الفخامة والدلالة على سائر الصفات والتفرد بالتسمية به ماليس في المضمر؛ ولأن ما جاء بعده من الاسماء إنّما هي اسماء ظاهرة فناسب مجاورة الظاهر الظاهر»اهـ(1).

---

١) البحر المحيط ٢٨٣/١.

المثال الثالث :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:٥٠.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿يبغون﴾ :

فقرأ ابن عامر وحده : ﴿أفحكم الجاهلية تبغون بالتاء.

وقرأ سائر العشرة : ﴿يبغون﴾ بالياء وقرأ مثلهم ابن محيصن والحسن والأعمش واليزيدي(١).

معنى القراءتين :

قراءة ابن عامر : ﴿تبغون﴾ على الخطاب، أي: قل لهم يامحمد أفحكم الجاهلية تبغون(٢).

قراءة سائر العشرة : ﴿يبغون﴾ على الغيبة أي: أيطلب هؤلاء حكم الجاهلية(٣).

حاصل القراءتين :

في القراءتين التفات من الخطاب للغيبة(٤).

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): « في القراءة بالخطاب مواجهتهم بالإنكار والردع والزجر، وليس ذلك في الغيبة فهذه حكمة الالتفات»اهـ(٥).

قلت : ويمكن أن يقال: وفي الخطاب بالغيبة تحقير لهم وإشارة إلى بعدهم عن الحق؛ إذ نزل الحاضر منزلة الغائب، مع ما فيه من الإنكار والردع والزجر والله أعلم.

قال أبوحيان (ت٧٥٤هـ): «الخطاب ليهود قريظة والنضير»اهـ(٦).

قلت : ليلاحظ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(٧).

---

١) المبسوط ص١٦٢ النشر ٢/٢٥٤ الاتحاف ص٢٠١.
٢) الكشف ١/٤١١ زاد المسير ٢/٣٧٦.
٣) حجة القراءات ص٢٢٨ المغني ٢/١٩.
٤) المغني ٢/١٩.
٥) البحرالمحيط ٣/٥٠٥ بتصرف يسير.
٦) البحرالمحيط ٣/٥٠٥ بتصرف يسير.
٧) الاتقان (أبوالفضل) ١/٨٥-٨٧.

المثال الرابع :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا، قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وما يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام:١٠٩.

تنوعت قراءات القراء في قوله : ﴿إذا جاءت لا يؤمنون﴾:

فقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء : ﴿إذا جاءت لا تؤمنون﴾.

وقرأ سائر العشرة بالياء: ﴿إذا جاءت لا يؤمنون﴾(١).

معنى القراءتين :

معنى قراءة ابن عامر وحمزة الكلام فيها للمخاطب، والمعنى: ما يدريكم أيها الكفار المقترحون مجيء الآية الدالة على نبوة محمد ﷺ أنها إذا جاءتكم تؤمنون، فالله سبحانه وتعالى طبع على قلوبكم.

ومعنى قراءة باقي العشرة بالياء على الغيبة : ما يدريكم أيّها المؤمنون أن لو أنزل الله الآية التي طلبها الكفار أنهم يؤمنون.

إذا فعدم إيمانهم مقطوع به لأن الله ختم على قلوبهم.

حاصل القراءتين :

الآية بالقراءتين جاءت على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٢).

---

١) المبسوط ص١٧٣ النشر ٢/٢٦١.

٢) الكشف ١/٤٤٥ حجة القراءات ص٢٦٦ المغني ٢/٨٣.

المثال الخامس :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس:٥٨.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿يجمعون﴾:

فقرأ أبوجعفر وابن عامر ورويس عن يعقوب بالتاء: ﴿تجمعون﴾ على الخطاب.

وقرأ باقي العشرة بالياء: ﴿يجمعون﴾ على الغيب(١).

معنى القراءتين :

القراءة بالتاء : ﴿تجمعون﴾ على الخطاب معناها: لوكنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بذلك، فهو خير مما تجمعون من دنياكم أيها الكفار .

القراءة بالياء : ﴿يجمعون على الغيب معناها: ما أعطي المؤمنون من الإسلام والقرآن خير مما يجمع الكفار من دنياهم.

حاصل القراءتين :

ليفرح هؤلاء الكفار بالايمان إن كانوا مؤمنين ، وليفرح المؤمنون بإيمانهم واسلامهم فهو خير مما يجمع الكفار من دنياهم(٢).

قلت : وفي الآية بالقراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب.

---

١) المبسوط ص٢٠٠-٢٠١ النشر ٢/٢٨٥ الإتحاف ص٢٥٢.

٢) الكشف ١/٥٢٠ المغني ٢/٢٣٤.

المثال السادس :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوه وَتُوَقِّرُوه وتُسَبِّحُوه بُكْرَةً وأَصِيلا﴾ الفتح:٨-٩.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوه وَتُوَقِّرُوه وتُسَبِّحُوه بُكْرَةً وأَصِيلا﴾:

فقرأ ابن كثير وأبوعمرو بالغيب في الأربعة: ﴿ليؤمنوا﴾ و ﴿يعزروه﴾ و﴿يوقروه﴾ و ﴿يسبحوه﴾ ووافقهما ابن محيصن واليزيدي والحسن.

وقرأ سائر العشرة بالخطاب في الأربعة: ﴿لتؤمنوا﴾ و ﴿تعزروه﴾ و﴿توقروه﴾ و (تسبحوه﴾ ووافقهم الأعمش.

حاصل القراءتين :

في القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب وفائدته هنا الإشعار بالتخصيص.

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «قوله: ﴿إِنَّا أرسلْنَاك﴾ يدل على أن ثَمَّ مُرْسَلا إليهم وهم غيب فأتى بالياء إخبارا عن الغيب المرسل اليهم.

وقرأ الباقون بالتاء فيهن على المخاطبة للمُرْسَل إليهم من المؤمنين؛ لأن ﴿أرسلناك﴾ يدل على أن ثَمَّ مُرْسَلا إليهم فخص المؤمنين بالخطاب لأنهم أجابوا وآمنوا بالرسول [ﷺ] »اهـ(١).

قلت : للعلماء رأيان في مرجع الضمير في هذه الكلمات الأربعة والظاهر أنها راجعة إلى لفظ الجلالة، وهو ما صححه الرازي(٢) (ت٦٠٦هـ) واستظهره أبوحيان(٣) (ت٧٥٤هـ) واستبعد خلافه الزمخشري(٤) (ت٥٣٨هـ).

---

١) الكشف ٢/٢٨٠.
٢) تفسير الرازي ٢٨/٨٦.
٣) البحرالمحيط ٨/٩١.
٤) تفسير الزمخشري ٣/٤٦٣.

وبعد : فتلك أمثلة لمواضع الالتفات ، وأسرد هنا الآيات التي أنتج تنوع القراءات فيها التفاتا من القراءات العشر فقط سائقا لها على ترتيب المصحف الشريف.

وهذه المواضع هي التالية :

١) قوله تبارك وتعالى : ﴿... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لَاهُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة:٨٥-٨٦.

فقرأ نافع وابن كثير وشعبة عن عاصم ويعقوب وخلف: ﴿يعملون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة بتاء الخطاب : ﴿تعملون﴾(١).

ففي الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة .

٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿... واللَّه بَصيرٌ بِمَا يَعْمَلون. قُل مَنْ كَانَ عَدُواً لِجِبْرِيل...﴾ البقرة:٩٦-٩٧.

فقرأ يعقوب : ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يعملون﴾ بياء الغيب جريا على نسق ما قبله من قوله تعالى: ﴿ولن يَتَمنَّوه أبدًا بِمَا قدَّمت أيْدِيهم﴾ البقرة:٩٥(٢).

٣) قوله تبارك وتعالى : ﴿أَمْ تَقُولُون: إنَّ إبْرَاهِيم و إسْمَاعِيل و إسْحَاق ويَعْقُوب والأسْبَاط كَانُوا هُودًا أو نَصَارَى﴾ البقرة:١٤٠.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وشعبة عن عاصم، وروح عن يعقوب: ﴿يقولون﴾ بياء الغيب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تقولون﴾ بتاء الخطاب(٣).

٤) قوله تبارك وتعالى : ﴿... وما اللَّه بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلون ولئن أتيتَ الّذِين

---

١) المبسوط ص١١٨ النشر ٢١٨/٢ الإتحاف ص١٤٠.
٢) الإتحاف ص١٤٤ المغني ١٦٤/١.
٣) الإتحاف ص١٤٨ المغني ١٩٨/١.

أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك...﴾ البقرة:١٤٤-١٤٥.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وعاصم ورويس عن يعقوب وخلف: ﴿يعملون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب(١).

٥) قوله تبارك وتعالى : ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي و إن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ البقرة:٢٧١.

قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبوجعفر وخلف: ﴿ونكفر﴾ بنون العظمة وجزم الراء، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره: «نحن» يعود على لفظ الجلالة المتقدم في الآية قبلها.

وقرأ ابن عامر وحفص : ﴿ويكفر﴾ بالياء ورفع الراء والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره: «هو» يعود على لفظ الجلالة المتقدم في الآية قبلها(٢).

وفي القراءتين التفات من الغائب إلى المتكلم .

٦) قوله تبارك وتعالى : ﴿... لا نفرق بين أحد من رسله...﴾ البقرة:٢٨٥.

قرأ يعقوب : ﴿لايفرق﴾ بالياء التحتية ، على أن الفاعل ضمير يعود على الرسول ﷺ من قوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ البقرة:٢٨٥.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لانفرق﴾ بالنون، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والتقدير: كل من الرسول والمؤمنون يقول: لا نفرق بين أحد من رسله(٣).

٧) قوله تبارك وتعالى : ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين...﴾ آل عمران:١٣.

قرأ نافع وأبوجعفر ويعقوب: ﴿ترونهم﴾ بتاء الخطاب .

وقرا باقي العشرة : ﴿يرونهم﴾ بياء الغيبة(٤).

في القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب .

---

١) الإتحاف ص١٥٠ المغني ٢٠١/١.

٢) الإتحاف ص١٦٥ المغني ٢٩٤/١.

٣) الإتحاف ص١٦٧ المغني ٣١٤/١.

٤) الاتحاف ص١٧١ المغني ١ ٣١٨.

٨) قوله تبارك وتعالى : ﴿وَيُعَلِّمه الكِتَاب والحِكْمَة والتَّوراة والإنْجِيل﴾ آل عمران:٤٨.

قرأ نافع وعاصم وأبوجعفر ويعقوب : ﴿ويعلمه﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ونعلمه﴾ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(١).

٩) قوله تبارك وتعالى : ﴿وأمَّا الَّذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحَات فيُوَفِّيهم أجُورَهم﴾ آل عمران:٥٧.

قرأ حفص ورويس عن يعقوب : ﴿فيوفيهم﴾ بياء الغيبة .

وقرأ باقي العشرة : ﴿فنوفيهم﴾ بنون العظمة الدالة على التكلم وذلك على الالتفات(٢).

١٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿وإذْ أخَذ اللَّه مِيثَاقَ النَّبيين لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...﴾ آل عمران:٨١.

قرأ نافع وأبوجعفر : ﴿آتيناكم﴾ بنون العظمة وألف بعدها.

وقرأ باقي العشرة : ﴿آتيتكم﴾ بتاء مضمومة مكان النون من غير ألف، وهي تاء المتكلم وذلك على الالتفات(٣).

١١) قوله تبارك وتعالى : ﴿أفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أسْلَمَ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا وإلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران:٨٣.

قرأ أبوعمرو وحفص ويعقوب : ﴿يبغون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تبغون﴾ بتاء ، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٤).

---

١) الإتحاف ص١٧٤ المغني ٣٣٤/١.
٢) الإتحاف ص١٧٥ المغني ٣٣٨/١.
٣) الإتحاف ص١٧٧ المغني ٣٤٦/١.
٤) الإتحاف ص١٧٧ المغني ٣٤٧/١-٣٤٨.

١٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:١١٥.

قرأ الدوري عن أبي عمرو بخلف عنه وحفص وحمزة والكسائي وخلف: ﴿يفعلوا﴾ ﴿يكفروه﴾ بياء الغيبة فيهما.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تفعلوا﴾ ﴿تكفروه﴾ بتاء الخطاب فيهما وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

١٣) قوله تبارك وتعالى : ﴿... ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ آل عمران:١٨٠.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب : ﴿يعملون﴾ بياء الغيب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

١٤) قوله تبارك وتعالى : ﴿... سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُم الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ آل عمران:١٨١.

قرأ حمزة : ﴿سيكتب﴾ بياء مضمومة وفتح التاء مبنيا للمفعول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿سنكتب﴾ بنون العظمة وضم التاء مبنيا للفاعل وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٣).

١٥) قوله تبارك وتعالى : ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواالكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَاسِ و لا تَكْتُمُونَهُ..﴾ آل عمران:١٨٧.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وشعبة عن عاصم : ﴿ليبيننه﴾ و ﴿لا يكتمونه﴾ بياء الغيب فيهما.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لتبيننه﴾ و ﴿لا تكتمونه﴾ بتاء الخطاب فيهما(٤)، على سبيل الالتفات فيهما.

---

١) الإتحاف ص١٧٨ المغني ١/٣٥٤.

٢) الإتحاف ص١٨٣ المغني ١/٣٨٢-٣٨٣.

٣) الإتحاف ص١٨٣ المغني ١/٣٨٣-٣٨٤.

٤) الإتحاف ص١٨٣ المغني ١/٣٨٦.

١٦) قوله تبارك وتعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاة فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ، أو أَشَدَّ خَشْيَةً وقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ؟ قُلْ: مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ولا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ النساء:٧٧.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبوجعفر وخلف وروح بخلف عنه: ﴿ولا يظلمون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿ولاتظلمون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

١٧) قوله تبارك وتعالى : ﴿لا خَيرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُم إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أو مَعْرُوف أو إِصْلَاحٍ بين النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَل ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّه فَسَوف نؤتيه أجراً عَظِيمًا﴾ النساء:١١٤.

قرأ أبوعمرو وحمزة وخلف : ﴿يؤتيه﴾ بالياء التحتية على الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نؤتيه﴾ بنون العظمة(٢) وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

١٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿والَّذين آمنُوا باللَّه ورُسُلِه ولَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أحدٍ مِنْهُم أولَئك سَوْفَ يُؤْتِيهم أجُورَهُم وكَان اللَّه غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء:١٥٢.

قرأ حفص : ﴿يؤتيهم﴾ بالياء التحتية على الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نؤتيهم﴾ بنون العظمة(٣) وذلك على الالتفات من الغيبة للخطاب.

١٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ والْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِل مِن قَبْلِك والْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ والْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ والمؤْمِنُونَ باللَّه واليَومِ الآخِرِ أَوْلَئكَ سَنُؤْتِيهِمْ أجْراً عَظِيمًا﴾ النساء:١٦٢.

قرأ حمزة وخلف : ﴿سيؤتيهم﴾ على الغيبة.

---

١) الإتحاف ص١٩٢ المغني ٤١٣/١.
٢) الإتحاف ص١٩٤ المغني ٤١٧/١-٤١٨.
٣) الإتحاف ص١٩٥ المغني ٤٢٣/١.

وقرأ باقي العشرة : ﴿سنؤتيهم﴾ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(١).

٢٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿ويَوْم نَحْشُرهم جَمِيعًا ثُمَّ نَقُول لِلذين أشْرَكُوا أينَ شُرَكَاؤكُم الَّذين كُنْتُم تَزْعُمُون﴾ الأنعام:٢٢.

وقوله تعالى : ﴿ويَوْم يَحْشُرهم جَمِيعًا ثم يَقُول للمَلائكَة: أهَؤُلاءِ إيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُون﴾ سبأ:٤٠.

قرأ يعقوب : ﴿يحشرهم﴾ ﴿يقول﴾ في السورتين بالياء التحتية على الغيبة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله تعالى الذي يدل عليه السياق.

وقرأ حفص : ﴿نحشرهم﴾ ﴿نقول﴾ في سورة الأنعام بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وقرأ في سورة سبأ ﴿يحشرهم﴾ و﴿يقول﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نحشرهم﴾ و ﴿نقول﴾ في السورتين بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٢).

٢١) قوله تبارك وتعالى : ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ الأنعام:٣٢.

وقوله تعالى : ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ الأعراف:١٦٩.

وقوله تعالى : ﴿ولدَارُ الآخِرَة خَيْرٌ للّذين يَتّقُون أفَلا تَعْقِلُون﴾ يوسف:١٠٩.

وقوله تعالى : ﴿وما عِنْد اللّه خَيرٌ وأبْقَى أفَلا تَعْقِلُون﴾ القصص:٦٠.

وقوله تعالى : ﴿ومن نُعَمّرْه نُنَكِّسْه في الخَلْق أفَلا يَعْقِلون﴾ سورة يس:٦٨.

قرأ نافع وأبوجعفر ويعقوب : ﴿تعقلون﴾ في المواضع الخمسة بتاء الخطاب.

وقرأ ابن عامر بتاء الخطاب في أربعة مواضع: وهي سورة الأنعام وسورة الأعراف وسورة يوسف وسورة القصص، واختلف عنه في موضع سورة يس فقرأه مرة بتاء الخطاب وأخرى بياء الغيبة.

---

١) الإتحاف ص١٩٦ المغني ١/٤٢٤-٤٢٥.

٢) الإتحاف ص٢٠٦ المغني ٢/٣٦-٣٧.

وقرأ شعبة عن عاصم بتاء الخطاب في موضعين وهما سورة يوسف والقصص وبياء الغيبة في ثلاثة مواضع: وهي الأنعام والأعراف و سورة يس.

وقرأ حفص عن عاصم بتاء الخطاب في أربعة مواضع: وهي الأنعام والأعراف ويوسف والقصص ، وبياء الغيبة في موضع سورة يس فقط.

وقرأ الدوري عن أبي عمرو بياء الغيبة في أربعة مواضع: وتاء الخطاب في موضع سورة القصص فقط.

وقرأ السوسي في روايته عن أبي عمرو بياء الغيبة في أربعة مواضع واختلف عنه في موضع القصص فقرأه مرة بتاء الخطاب وأخرى بياء الغيبة.

وقرأ الباقون وهم ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف العاشر بياء الغيبة في المواضع الخمسة(١).

ومن ينعم النظر في سياق الكلام الذي قبل هذه الآيات يجد أن قراءة الغيبة جاءت متمشية مع سياق الكلام في أربعة مواضع وهي سورة الأنعام و سورة الأعراف و سورة يوسف و سورة يس.

وأن قراءة الخطاب جاءت متمشية مع السياق في موضع القصص فقط.

وبناء عليه تكون قراءة الغيبة في السور الأربع جاءت جريا على السياق، وقراءة الخطاب في هذه السور الأربع تكون على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وتكون قراءة الخطاب في موضع سورة القصص جاءت جريا على السياق.

وقراءة الغيبة في سورة القصص تكون على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٢).

٢٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿قل مَنْ يُنَجِّيكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ البرّ والبَحْر تَدْعُونَه تَضَرُّعاً وخُفْيَة لَّئن أنجَانَا مِن هَذه لَنكُونَنّ مِنَ الشَّاكِرين﴾ الأنعام:٦٣.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿أنجانا﴾ بألف بعد الجيم من غير ياء و لا تاء بلفظ الغيب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿أنجيتنا﴾ بياء تحتية ساكنة بعد الجيم وبعدها تاء

---

١) الإتحاف ص٢٠٧ المغني ٢/٤٢-٤٤.
٢) المغني ٢/٤٤ بتصرف يسير.

فوقية مفتوحة، على الخطاب، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، على سبيل الحكاية لدعائهم(١).

٢٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه إذْ قَالُوا مَا أنْزَلَ اللَّه عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيءٍ، قُلْ مَن أنْزَلَ الكِتَابَ الّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وهُدَى لِلنّاس تَجْعَلُونَه قَرَاطِيس تُبْدُونَها وتُخْفُون كَثيرًا وعُلّمْتُم مالَمْ تَعْلَمواأنْتُم ولا آبَاؤكم قُلْ اللَّه ثُمّ ذَرْهُم فِي خَوْضِهم يَلْعَبُون﴾ الأنعام:٩١.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو : ﴿يجعلونه﴾ ﴿يبدونها﴾ ﴿ويخفون﴾ الأفعال الثلاثة بياء الغيب.

وقرأ الباقون الأفعال الثلاثة بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أو ردا على المخاطبة التي قبل في قوله تعالى: ﴿قل من نزل الكتاب الذي جاء به موسى..﴾ أي: قل لهم ذلك(٢).

٢٤) قوله تبارك وتعالى : ﴿ولِكُلّ دَرَجات مّما عَمِلُوا وَمَا رَبُّك بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُون﴾ الأنعام:١٣٢.

وقوله تبارك وتعالى : ﴿فاعْبُده وتَوكّل عليْه وَما رَبُّك بِغافِلٍ عمّا تَعْمَلُون﴾ هود:١٢٣.

وقوله تبارك وتعالى : ﴿وقُل الحَمْد للّه سَيُريكم آيَاتِه فَتعْرِفُونَها وَما رَبُّك بغَافلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾ النمل:٩٣.

قرأ ابن عامر: ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب في المواضع الثلاث.

ووجه الخطاب في موضع سورة الأنعام لمناسبة الخطاب في قوله تعالى قبل: ﴿يامَعْشَر الجنّ والإنْس ألَمْ يأتِكم رُسُلٌ مِنْكُم يَقُصّون عَلَيْكُم آيَاتِي وينذِرُونكم لِقَاء يَوْمِكُم هَذا﴾ الأنعام:١٣٠.

ووجه الخطاب في موضع سورة النمل لمناسبة الخطاب في قوله تعالى قبل في الآية نفسها: ﴿سيريكم آياته﴾.

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وشعبة عن عاصم ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿يعملون﴾ بياء الغيب في المواضع الثلاث.

ووجه الغيبة في موضع سورة الأنعام لمناسبة قوله تعالى قبل في الآية

---

١) المغني ٢/٥٤ الاتحاف ص٢١٠.

٢) الإتحاف ص٢١٣ المغني ٢/٦٤.

نفسها: ﴿ولِكُلٍ دَرَجات مِّما عَمِلوا﴾.

ووجه الغيبة في موضع سورة هود على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

ووجه الغيبة في موضع سورة النمل على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

وقرأ نافع وحفص وأبوجعفر ويعقوب: ﴿يعملون﴾ بالغيبة في موضع سورة الأنعام فقط، و ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب في موضع سورة هود وموضع سورة النمل وذلك على الالتفات كما تقدم(١).

٢٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ و لاتَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف:٣.

قرأ ابن عامر : ﴿يتذكرون﴾ بياء قبل التاء على الغيبة مع تخفيف الذال.

وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف : ﴿تذكرون﴾ بحذف الياء وتخفيف الذال.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تذكرون﴾ بتشديد الذال.

والقراءة بالغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٢).

٢٦) قول الله تبارك وتعالى: ﴿... قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف٣٨.

قرأ شعبة عن عاصم : ﴿يعلمون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تعلمون﴾ بتاء الخطاب.

وفي القراءتين التفات من الخطاب إلى الغيبة(٣).

٢٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿... قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أباؤُنَا مِن قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهِمْ أفتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الأعراف:١٧٢-١٧٣.

قرأ أبوعمرو : ﴿أن يقولوا﴾ ﴿أو يقولوا﴾ بياء الغيب فيهما.

وقرأ باقي العشرة : ﴿أن تقولوا﴾ ﴿أو تقولوا﴾ بتاء الخطاب فيهما.

---

١) الإتحاف ص ٢١٧ المغني ٢/١٠١-١٠٢.

٢) الإتحاف ص٢٢٢ المغني ٢/١١٨.

٣) الإتحاف ص٢٢٤ المغني ٢/١٢٦.

وفي القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

٢٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأعراف:١٨٦.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبوجعفر : ﴿ونذرهم﴾ بنون العظمة ورفع الراء.

وقرأ أبوعمرو وعاصم ويعقوب : ﴿ويذرهم﴾ بياء الغيبة ورفع الراء.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ويذرهم﴾ بياء الغيبة وجزم الراء.

في القراءات التفات من الغيبة إلى التكلم(٢).

٢٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال:٣٩.

قرأ رويس عن يعقوب : ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يعملون﴾ بياء الغيب.

وفي القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب(٣).

٣٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس:٥.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وحفص ويعقوب : ﴿يفصل﴾ بالياء التحتية على الغيب وذلك جريا على السياق.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نفصل﴾ بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٤).

٣١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿... قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. وَمَاكَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً

---

١) الإتحاف ص٢٣٣ المغني ٢/ ١٧٤.
٢) الإتحاف ص٢٣٣ المغني ٢/ ١٧٦.
٣) الإتحاف ص٢٣٧ المغني ٢/ ١٩٠.
٤) الإتحاف ص٢٤٧ المغني ٢/ ٢٢٤.

فاختلفوا...﴾ يونس:١٨-١٩.

وقوله تعالى : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل:١.

وقوله تعالى :﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل:٣.

وقوله تعالى : ﴿... ... سبحانه وتعالى عما يشركون. ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس...﴾ الروم:٤٠-٤١.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿تشركون﴾ في المواضع الأربعة بتاء الخطاب جريا على نسق ما قبله.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يشركون﴾ بياء الغيبة وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(١).

٣٢) قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا، قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس:٢١.

قرأ روح عن يعقوب : ﴿يمكرون﴾ بياء الغيب مناسبة للسباق.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تمكرون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

٣٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس:٥٨.

قرأ رويس عن يعقوب : ﴿فلتفرحوا﴾ بتاء الخطاب جريا على السياق.

وقرأ باقي العشرة : ﴿فليفرحوا﴾ بياء الغيب على الالتفات(٣).

٣٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس:١٠٠.

قرأ شعبة عن عاصم : ﴿ونجعل﴾ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

---

١) الإتحاف ص٢٤٨ المغني ٢/٢٢٦.

٢) الإتحاف ص٢٤٨ المغني ٢/٢٢٧.

٣) الإتحاف ص٢٥٢ المغني ٢/٢٣٣.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ويجعل﴾ بياء الغيبة جريا على السباق(١).

٣٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف:٤٩.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿تعصرون﴾ بتاء الخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يعصرون﴾بياء الغيب.

والقراءة بالتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

٣٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَاكَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف:٧٦.

قرأ يعقوب : ﴿يرفع﴾ و ﴿يشاء﴾ بالياء التحتية فيهما.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نرفع﴾ و ﴿يشاء﴾ بنون العظمة فيهما على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٣).

٣٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد:٤.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ويفضل بالياء للغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ونفضل﴾ بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٤).

٣٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل:١١.

قرأ شعبة عن عاصم : ﴿ننبت﴾ بنون العظمة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ينبت﴾ بالياء التحتية.

---

١) الإتحاف ص٢٥٤ المغني ٢/ ٢٤١.

٢) الإتحاف ص٢٦٥ المغني ٢/ ٢٧٥.

٣) الإتحاف ص٢٢٦ المغني ٢/ ٢٧٨.

٤) الإتحاف ص٢٦٩ المغني ٢/ ٢٨٥-٢٨٦.

والقراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(١).

٣٩) قوله تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ النحل:٢٠.

قرأ عاصم ويعقوب : ﴿يدعون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تدعون﴾ بتاء الخطاب.

والقراءة بالغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٢).

٤٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ النحل:٧٩.

قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وخلف : ﴿تروا﴾ بتاء الخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يروا﴾ بياء الغيب.

والقراءة بالغيب على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٣).

٤١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم﴾ النحل:٩٦.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبوجعفر وابن عامر بخلف عنه: ﴿ولنجزين﴾ بنون العظمة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿وليجزين﴾ بياء الغيب.

وفي القراءة بالتكلم التفات من الغيبة إلى التكلم(٤).

٤٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ الاسراء:٢.

قرأ أبوعمرو : ﴿ألا يتخذوا﴾ بياء الغيب.

وقرأ الباقون : ﴿ألا تتخذوا﴾ بتاء الخطاب.

والقراءة بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٥).

---

١) الإتحاف ص٢٧٧ المغني ٢/٣١٧-٣١٨.
٢) الإتحاف ص٢٧٧ المغني ٢/٣٢٠.
٣) الإتحاف ص٢٧٨ المغني ٢/٣٣١.
٤) الإتحاف ص٢٨٠ المغني ٢/٣٣٢-٣٣٣.
٥) الإتحاف ص٢٨١ المغني ٢/٣٣٦.

٤٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوْءُوا وجُوهَكُمْ﴾ الاسراء:٧.

قرأ الكسائي : ﴿لنسوْءَ﴾ بنون العظمة.

وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة وخلف : ﴿ليسوْءَ﴾ بالياء التحتية وفتح الهمزة.

وقرأ باقي العشرة نافع وابن كثير وأبوعمرو وحفص وأبوجعفر ويعقوب: ﴿ليسوْءُوا﴾ بالياء التحتية وضم الهمزة وبعدها واو ساكنة.

وفي القراءة بالياء التحتية وفتح الهمزة التفات من التكلم إلى الغيبة على القول بأن الفاعل ضمير مستتر يعود على الله جل جلاله وعز شانه، أما لوقيل: الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على الوعد، والمراد به الموعود وهو العذاب الذي أعده الله لهم؛ فانه لا يكون في الآية التفات والله أعلم(١).

٤٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فلا يُسْرِف فِي القَتْل﴾ الاسراء:٣٣.

قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿تسرف﴾ بتاء الخطاب.

وقرأ الباقون : ﴿يسرف﴾ بياء الغيبة.

وفي القراءة بالخطاب التفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

٤٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم وَكِيلا. أَمْ أَمِنْتُمْ أن يُعِيدَكُمْ فِيه تَارَةً أَخْرَى فَيُرسِلَ عليكم قَاصِفاً مِنَ الرِّيح فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ الاسراء:٦٨-٦٩.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو بنون العظمة في الأفعال الخمسة: ﴿أن نخسف﴾ ﴿أو نرسل﴾ ﴿أو نعيدكم﴾ ﴿فنرسل﴾ ﴿فنغرقكم﴾.

وقرأ أبوجعفر ورويس عن يعقوب : ﴿فتغرقكم﴾ بتاء التأنيث وبقية الأفعال بياء الغيبة.

وقرأ الباقون بياء الغيبة في الأفعال الخمسة.

---

١) الإتحاف ص٢٨٢ المغني ٢/٣٣٦-٣٣٧.

٢) الإتحاف ص٢٨٣ المغني ٢/٣٤٣.

والقراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(١).

٤٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:٢٦.
قرأ ابن عامر : ﴿ولاتشرك﴾ بتاء الخطاب وجزم الكاف.
وقرأ باقي العشرة : ﴿ولايشرك﴾ بياء الغيبة ورفع الكاف.
وفي القراءة بتاء الخطاب التفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

٤٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ الكهف:٥٢.
قرأ حمزة : ﴿نقول﴾ بنون العظمة.
وقرأ الباقون : ﴿يقول﴾ بياء الغيبة.
وفي القراءة بالغيبة التفات من التكلم إلى الغيبة(٣).

٤٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ الكهف:٧١.
قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ليغرق﴾ بفتح الياء المثناة من تحت وفتح الراء على الغيب.
وقرأ باقي العشرة : ﴿لتغرق﴾ بضم التاء المثناة من فوق وكسر الراء على الخطاب.
وفي القراءة بالغيبة التفات من الخطاب الى الغيبة(٤).

٤٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ﴾ الأنبياء:١١٢.
قرأ ابن ذكوان بخلف عنه : ﴿يصفون﴾ بياء الغيبة.
وقرأ باقي العشرة : ﴿تصفون﴾ بتاء الخطاب وهو الوجه الثاني لابن ذكوان عن ابن عامر.
والقراءة بالغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٥).

---

١) الإتحاف ص٢٨٥ المغني ٢/٣٥٠.
٢) الإتحاف ص٢٨٩ المغني ٢/٣٦٤.
٣) الإتحاف ص٢٩١ المغني ٢/٣٧٥.
٤) الإتحاف ص٢٩٣ المغني ٢/٣٨١.
٥) الإتحاف ص٢١٣ المغني ٣/٤٦.

٥٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ سورة الحج:٦٢.

قول الله تبارك تعالى : ﴿وأَنَّ مَايَدعُونَ مِن دُونِهِ الباطل﴾ لقمان:٣٠.

قرأ أبوعمرو وحفص وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿يدعون﴾ في الموضعين بالياء على الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تدعون﴾ بالتاء من فوق على الخطاب.

وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

٥١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِين تَدْعُونَ مِنْ دُون اللَّه لَنْ يَخْلُقوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَه﴾ سورة الحج:٧٣.

قرأ يعقوب : ﴿يدعون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تدعون﴾ بتاء الخطاب.

وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة(٢).

٥٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ويَوْم يَحْشُرُهُم وَمَا يَعْبُدون مِن دُونِ اللَّه﴾ الفرقان:١٧.

قرأ ابن كثير وحفص وأبوجعفر ويعقوب : ﴿يحشرهم﴾ بالياء التحتية والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على ﴿ربك﴾ في قوله تعالى: ﴿كان على ربك وعدا مسئولا﴾ الفرقان:١٦.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نحشرهم﴾ بنون العظمة والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن».

وفي القراءة بنون العظمة التفات من الغيبة إلى التكلم(٣).

٥٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فيَقُول ءأَنْتُم أَضْلَلْتُم عِبَادِي هَؤُلَاء﴾ الفرقان:١٧.

قرأ ابن عامر : ﴿فنقول﴾ بنون العظمة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿فيقول﴾ بالياء التحتية.

---

١) الإتحاف ص٣١٦ المغني ٥٧/٣.

٢) الإتحاف ص٣١٧ المغني ٥٨/٣.

٣) الإتحاف ص٣٢٨ المغني ٨٧/٣.

وفي القراءة بنون العظمة التفات من الغيبة إلى التكلم(١).

٥٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَيَعْلَم ما تُخْفُون وَمَا تُعْلِنُون﴾ النمل:٢٥.

قرأ حفص والكسائي : ﴿تخفون﴾ ﴿تعلنون﴾ بتاء الخطاب فيهما وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ الباقون : ﴿يخفون﴾ ﴿يعلنون﴾ بياء الغيب فيهما، جريا على نسق الغيبة التي في قوله تعالى: ﴿وزَيَّن لَهُم الشَّيْطَان أعْمَالهم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيل فهُم لا يَهْتَدُون﴾(٢) النمل:٢٤.

٥٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إنَّه خَبِير بِمَا تَفْعَلُون﴾ النمل:٨٨.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وابن عامر وشعبة في روايته عن عاصم: ﴿يفعلون﴾ بياء الغيبة.

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿تفعلون﴾ بتاء الخطاب وهو الوجه الثاني لابن عامر وشعبة.

والقراءة بالخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٣).

٥٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا عِنْد اللَّه خَيْرٌ وأبْقَى أفلَا تَعْقِلُون﴾ القصص:٦٠.

قرأ أبوعمرو بخلف عن السوسي عنه : ﴿يعقلون﴾ بياء الغيب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تعقلون﴾ بتاء الخطاب.

وفي القراءة بالغيبة التفات من الخطاب إلى الغيبة(٤).

٥٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إنَّ اللَّه يَعْلَم مَا يَدْعُون مِن دُونِه مِن شَيءٍ﴾ العنكبوت:٤٢.

قرأ أبوعمرو وعاصم ويعقوب : ﴿يدعون﴾ بياء الغيب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تدعون﴾ بتاء الخطاب وفيها التفات من الغيبة إلى

---

١) الإتحاف ص٣٢٨ المغني ٨٨/٣.
٢) الإتحاف ص٣٣٦ المغني ١٠٦/٣.
٣) الإتحاف ص٣٤٠ المغني ١١٤/٣-١١٥.
٤) الإتحاف ص٣٤٣ المغني ١٢٣/٣.

الخطاب(١).

٥٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت:٥٥.

قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ويقول﴾ بالياء .

وقرأ باقي العشرة : ﴿ونقول﴾ بالنون على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٢).

٥٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت:٥٧.

قرأ شعبة : ﴿يرجعون﴾ بياء الغيب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ترجعون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٣).

٦٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم:٤١.

قرأ روح وقنبل بخلف عنه : ﴿لنذيقهم﴾ بنون العظمة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ليذيقهم﴾ بالياء التحتية.

وفي القراءة بنون العظمة التفات من الغيبة إلى التكلم(٤).

٦١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الأحزاب:٢.

وقوله تعالى : ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ الأحزاب:٩.

قرأ أبوعمرو : ﴿يعملون﴾ في الموضعين بياء الغيب.

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب فيهما على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ليدخل الجميع في المخاطبة(٥).

---

١) الإتحاف ص٣٤٦ المغني ١٢٨/٣.
٢) الإتحاف ص٣٤٦ المغني ١٢٩/٣.
٣) الإتحاف ص٣٤٦ المغني ١٣٠/٣.
٤) الإتحاف ص٣٤٨ المغني ١٣٦/٣.
٥) الإتحاف ص٣٥٢ المغني ١٤٦/٣.

٦٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿هَذَا ما تُوعَدُون لِيوْم الحِسَاب﴾ سورة ص:٥٣.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو : ﴿يوعدون﴾ بالياء التحتية على الغيب.

وقرأ الباقون : ﴿توعدون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

٦٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿والّذِين يَدْعُون مِن دُونِه لا يَقْضُون بِشَيءٍ﴾ غافر:٢٠.

قرأ نافع وهشام وابن عامر في رواية ابن ذكوان عنه : ﴿تدعون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ الباقون من العشرة : ﴿يدعون﴾ بياء الغيبة(٢).

٦٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُم قُوَّة﴾ غافر:٢١.

قرأ ابن عامر : ﴿منكم﴾ بكاف الخطاب موضع الهاء وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿منهم﴾ بضمير الغيبة(٣).

٦٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وهُوَ ٱلّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الشورى:٢٥.

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ورويس في روايته عن يعقوب بخلف عنه: ﴿تفعلون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يفعلون﴾ بياء الغيبة(٤).

٦٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ الزخرف:٣٦.

قرأ يعقوب وشعبة عن عاصم بخلف عنه : ﴿يقيض﴾ بالياء من تحت.

---

١) الإتحاف ص٣٧٣ المغني ٣/١٩٩.
٢) الإتحاف ص٣٧٨ المغني ٣/٢١٠.
٣) الإتحاف ص٣٧٨ المغني ٣/٢١٠.
٤) الإتحاف ص٣٨٣ المغني ٣/٢٢٠.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نقيض﴾ بنون العظمة على الالتفات وهو الوجه الثاني لشعبة(١).

٦٧) قول الله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ الزخرف:٨٥.
قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ورويس وخلف: ﴿يرجعون﴾ بياء الغيبة.
وقرأ باقي العشرة : ﴿ترجعون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

٦٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ الزخرف:٨٩.
قرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿يعلمون﴾ بياء الغيبة.
وقرأ باقي العشرة : ﴿تعلمون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٣).

٦٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ الجاثية:٦.
قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وحفص وأبوجعفر وروح في روايته عن يعقوب: ﴿يؤمنون﴾ بياء الغيب لمناسبة السياق.
قرأ باقي العشرة : ﴿تؤمنون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٤).

٧٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ الجاثية:١٤.
قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وعاصم ويعقوب: ﴿ليجزي﴾ بياء مفتوحة مع كسر الزاي وفتح الياء مبنيا للفاعل وهو ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود

---

١) الإتحاف ص٣٨٦ المغني ٢٢٨/٣.
٢) الإتحاف ص٣٨٧ المغني ٢٣٢/٣.
٣) الإتحاف ص٣٨٧ المغني ٢٣٤/٣.
٤) الإتحاف ص٣٨٩ المغني ٢٣٨/٣-٢٣٩.

على الله سبحانه وتعالى.

وقرأ أبوجعفر : ﴿ليجزي﴾ بضم الياء وفتح الزاي على البناء للمفعول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لنجزي﴾ بنون العظمة مفتوحة مع كسر الزاي وفتح الباء مبنيا للفاعل ، وهو ضمير متكلم تقديره: «نحن»، ففي هذه القراءة التفات من الغيبة إلى التكلم(١).

٧١) قول الله تعالى : ﴿وليُوَفِّيَهُمْ أعمَالَهُمْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ الأحقاف:١٩.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم ويعقوب وهشام بخلف عنه: ﴿وليوفيهم﴾ بالياء من تحت على لفظ الغيبة، والفاعل ضمير مستتر تقديره-هو- يعود على الله عزوجل المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿وهُمَا يَسْتَغِيثَان اللّه ويْلَك آمِن إِنَّ وعْدَ اللَّه حَق﴾ الأحقاف:١٧.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ولنوفيهم﴾ بنون العظمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن» وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٢).

٧٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ومَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَد عَليْه اللّه فسَيُؤتِيه أجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح:١٠.

قرأ أبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي ورويس وخلف: ﴿فسيؤتيه﴾ بياء الغيبة جريا على السياق.

وقرأ باقي العشرة : ﴿فسنؤتيه﴾ بنون العظمة، وفيها التفات من الغيبة إلى التكلم(٣).

٧٣) قوله تبارك تعالى : ﴿يَوْمَ نَقُول لِجَهَنَّم هَلْ امْتَلأت﴾ سورة ق:٣٠.

قرأ نافع وشعبة : ﴿يقول﴾ بالياء التحتية وذلك اخبار عن الله عزوجل والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على لفظ الجلالة (الله) المتقدم ذكره في الآيات قبلها.

وقرأ باقي العشرة : ﴿نقول﴾ بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة

---

١) الإتحاف ص٣٩٠ المغني ٣/٢٣٩-٢٤٠.

٢) الإتحاف ص٣٩٢ المغني ٣/٢٤٥.

٣) الإتحاف ص٣٩٥ المغني ٣/٢٥٣-٢٥٤.

إلى التكلم والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن» والمراد به الله عزوجل(١).

٧٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿هَذَا مَاتُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ سورة ق:٣٢.
قرأ ابن كثير : ﴿مايوعدون﴾ بالياء التحتية على الغيبة لأن واو الجماعة في: ﴿يوعدون﴾ عائد على المتقين في قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ سورة ق:٣١.
وقرأ باقي العشرة : ﴿ماتوعدون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أي: قل يامحمد للمتقين: ﴿هذا ما توعدون﴾(٢).

٧٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ الرحمن:٣١.
قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿سيفرغ﴾ بالياء التحتية المفتوحة على الغيبة والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» والمراد به الله تعالى؛ لأنه يعود على لفظ ﴿ربك﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن:٢٧، وحينئذ يكون الكلام جرى على نسق واحد وهو الغيبة.
وقرأ باقي العشرة : ﴿سنفرغ﴾ بنون العظمة المفتوحة، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»(٣).

٧٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَايَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ الحديد:١٦.
قرأ رويس : ﴿ولاتكونوا﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لأن المقام للغيبة، حيث المراد: «المؤمنون».
وقرأ باقي العشرة : ﴿ولايكونوا﴾ بياء الغيبة جريا على السياق لأن قبله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾(٤) الحديد:١٦.

٧٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المنافقون:١١.
قرأ شعبة عن عاصم : ﴿يعملون﴾ بياء الغيبة وذلك على الالتفات من

---

١) الإتحاف ص٣٩٨ المغني ٣/٢٦١.
٢) الإتحاف ص٣٩٨ المغني ٣/٢٦١.
٣) الإتحاف ص٤٠٦ المغني ٣/٢٧٧.
٤) الإتحاف ص٤١٠ المغني ٣/٢٨٦-٢٨٧.

الخطاب إلى الغيبة.

وقرأ الباقون : ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب جريا على السياق(١).

٧٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ التغابن:٩.

قرأ يعقوب : ﴿نجمعكم﴾ بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

وقرأ الباقون : ﴿يجمعكم﴾ بياء الغيبة والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على لفظ الجلالة من قوله تعالى: ﴿واللَّه بِمَا تَعْمَلُون خَبِير﴾ التغابن:٨، وهذه القراءة موافقة للسياق(٢).

٧٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يُعرِض عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا﴾ الجن:١٧.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي و يعقوب وخلف: ﴿يسلكه﴾ بياء الغيب جريا على السياق والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على لفظ ﴿ربه﴾.

وقرأ الباقون : ﴿نسلكه﴾ بنون العظمة وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن» وهو اخبار من الله عزوجل عن نفسه(٣).

٨٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ المدثر:٥٦.

قرأ نافع : ﴿وما تذكرون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ الباقون : ﴿ومايذكرون﴾ بياء الغيبة جريا على السياق لأن قبله قوله تعالى: ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾(٤) المدثر:٥٣.

٨١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ القيامة:٢٠.

وقوله تعالى : ﴿وتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ القيامة:٢١.

---

١) الإتحاف ص٤١٧ المغني ٣/ ٣٠٤.

٢) الإتحاف ص٤١٧ المغني ٣/ ٣٠٥.

٣) الإتحاف ص٤٢٥ المغني ٣/ ٣٢٤.

٤) الإتحاف ص٤٢٧ المغني ٣/ ٣٣٢.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر ويعقوب : ﴿يحبون﴾ ﴿يذرون﴾ بياء الغيب فيهما لمناسبة ما قبلهما وهو قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الإنْسَان يَوْمَئذٍ بِمَا قَدَّم وأخَّر﴾ القيامة:١٣، و لفظ ﴿الإنسَان﴾ وإن كان مفردا إلا أن المراد به الجمع لأنه اسم جنس.

وقرأ الباقون : ﴿تحبون﴾ ﴿تذرون﴾ بتاء الخطاب فيهما على معنى: قل لهم يامحمد بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة، وحينئذ يكون هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

٨٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وما تَشَاءون إلّا أنْ يَشَاء اللّه﴾ الانسان:٣٠.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر بخلف عنه: ﴿وما يشاءون﴾ بياء الغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿نحن خَلَقْنَاهُم وشَدَدْناأسْرَهم﴾ الانسان:٢٨.

وقرأ الباقون : ﴿وما تشاءون﴾ بتاء الخطاب وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو الوجه الثاني لابن عامر(٢).

٨٣) قول الله تبارك وتعالى: ﴿كلّا بَلْ تُكَذِّبُون بالدِّين﴾ الانفطار:٩.

قرأ أبوجعفر : ﴿يكذبون﴾ بياء الغيبة وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

وقرأ الباقون : ﴿تكذبون﴾ بتاء الخطاب جريا على السياق لأن ما قبله قوله تعالى: ﴿يا أيّها الإنسَان ما غَرَّك بِرَبِّك الكَرِيم..﴾ فالمقام للخطاب(٣).

٨٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُون الحَياة الدنيا﴾ الأعلى:١٦.

قرأ أبوعمرو : ﴿يؤثرون﴾ بياء الغيبة لمناسبة السياق.

وقرأ الباقون : ﴿تؤثرون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٤).

---

١) الإتحاف ص٤٢٨ المغني ٣/٣٣٤-٣٣٥.
٢) الإتحاف ص٤٣٠ المغني ٣/٣٣٩.
٣) الإتحاف ص٤٣٥ المغني ٣/٣٥٣.
٤) الإتحاف ص٤٣٧ المغني ٣/٣٦١.

٨٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُون اليَتِيم. ولا تَحَاضُّون عَلَى طَعَام المِسْكِين. وتَأكُلُون التُّرَاثَ أكْلاً لَمّاً. وتُحِبُّون المَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ الفجر: ١٧-٢٠.

قرأ أبوعمرو ويعقوب بخلف عن روح عنه بياء الغيب في الأفعال الأربعة: ﴿تكرمون﴾ ﴿تحاضون﴾ ﴿تأكلون﴾ ﴿تحبون﴾ حملا على لفظ: ﴿الانسان﴾ المتقدم في قوله تعالى: ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ الفجر:١٥.

وقرأ الباقون بتاء الخطاب في الأربعة على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(١).

---

١) الإتحاف ص٤٣٨ المغني ٣/٣٦٤-٣٦٥.

الفصل الثاني : القراءات المتعلقة بالاستئناف والمفاعلة والتكثير وغيره.

يتضمن هذا الفصل الإشارة إلى بعض الآيات التي أنتج تنوع القراءات فيها تنوعا في الاسلوب، دون تأثير يذكر في المعنى.

وذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : القراءات المتعلقة بالاستئناف.

أحيانا ينتج تنوع القراءات في الآية أن تكون الجملة فيها على قراءة جملة استئنافية(١) وعلى قراءة غير استئنافية .

و أورد هنا جملة من ذلك(٢):

---

١) الجمل المستأنفة نوعان:

الأول : الجملة التي أفتتح بها النطق نحو: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف».

الثاني : الجملة الواقعة أثناء النطق وهي مقطوعة عما قبلها نحو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ يونس:٦٥، بعد قوله: ﴿ولا يحْزُنْكَ قولهم﴾.

و النوع الثاني هو المقصود هنا.

والأصل في الجمل أن تكون كلاما مستقلا غير مرتبط بغيره، فلا يكون لها محل من الاعراب وهي سبع جمل: (أ) الابتدائية أو المستأنفة. (ب) المعترضة. (ج) التفسيرية. (د) المجاب بها القسم. (هـ) الواقعة جوابا لشرط غير جازم أو جازم ولم تقترن بالفاء ولا بـ«إذا» الفجائية. (و) الواقعة صلة لاسم أو حرف. (ز) التابعة لما لا محل له.

انظر مغني اللبيب ص٥٠٠ معجم القواعد العربية ص١٩٩.

٢) ولم استقص ولم أكثر من الأمثلة لقلة تأثير ذلك في معنى الآية، وقد أفاض صاحب كتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» بالحديث عن هذا الأسلوب في القرآن الكريم ق١ ج٣ ص٥٢٦-٥٣٠ ق٣ ج٤ ص٣٥٩-٣٦٠، ٣٦٢-٤٠٩.

١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَسْتَبْشِرُون بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّه وفَضْل وأنّ اللَّه لا يضيع أجر المؤمنين﴾ آل عمران:١٧١.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿وأن الله..﴾ :

فقرأ الكسائي وحده : ﴿وإِن اللَّه لا يُضِيعُ أجْرَ المؤمنين﴾ بكسر الهمزة في ﴿أن﴾.

وقرأ سائر العشرة : ﴿وأن الله..﴾ بفتح الهمزة فيها(١).

ومعنى قراءة الكسائي بالكسر على الاستئناف والمراد: والله لا يضيع أجر المؤمنين، فالجملة مستأنفة ليست متعلقة بما قبلها في الإعراب(٢).

ومعنى قراءة الجمهور بفتح الهمزة أي: يستبشرون بنعمة من الله وفضل ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين(٣).

حاصل القراءتين :

يخبر الله عزوجل عن الشهداء أنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، ويقرر جل وعز ذلك بجملة مستأنفة بأنه سبحانه لا يضيع أجر المؤمنين، كما يخبر تعالى عن الشهداء أنهم يستبشرون كذلك بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود : «يستبشرون بنعمة من الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين» وهي بمعنى قراءة الكسائي(٤).

٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءكُمُ الفَتْحُ، وإن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لكم وإن تَعُودُوا نَعُدْ ولَن تُغْنِي عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً ولَوْ كَثُرَتْ وأنّ اللَّه مَعَ المُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:١٩.

قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبوجعفر: ﴿وأنّ اللّه مَع المُؤْمِنِين﴾ بفتح الهمزة في ﴿أن﴾ على تقدير اللام أي: ولأن الله مع المؤمنين والتقدير ولأن الله مع المؤمنين لن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت.

وقرأ باقي العشرة : ﴿وإن﴾ بكسر الهمزة على الابتداء والاستئناف وفيه معنى التوكيد لنصرة الله للمؤمنين.

---

١) المبسوط ص١٤٩ النشر ٢/٢٤٤.

٢) الكشف ١/٣٦٥ حجة القراءات ص١٨١.

٣) تفسير الطبري (دارالفكر) ٤/١٧٥ معاني القرآن واعرابه للزجاج ١/٤٨٩.

٤) تفسير الطبري (دارالفكر) ٤/١٧٥ البحرالمحيط ٣/١١٦.

والقراءتان بمعنى مع تنوع الأسلوب فيهما(١).

٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ولايَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ الأنفال:٥٩.
قرأ ابن عامر : ﴿أنهم لا يعجزون﴾ بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة والمعنى: ولا يحسبن الكفار أنفسهم سبقوا لأنهم لا يعجزون.
وقرأ باقي العشرة : ﴿إنهم لا يعجزون﴾ بكسر الهمزة وذلك على الاستئناف والقطع.
والقراءتان بمعنى ، مع تنوع الأسلوب فيهما(٢).

٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ المؤمنون:٥٢.
قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿وان﴾ بكسر الهمزة وتشديد النون على الاستئناف و ﴿هذه﴾ اسمها و ﴿أمتكم﴾ خبرها و ﴿أمة﴾ حال و ﴿واحدة﴾ صفة لـ﴿أمة﴾.
وقرأ ابن عامر : ﴿وأن﴾ بفتح الهمزة وتخفيف النون على أنها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف و ﴿هذه﴾ مبتدأ و ﴿أمتكم﴾ خبر، والجملة خبر ﴿إن﴾.
وقرأ الباقون نافع وابن كثير وأبوعمرو وأبوجعفر ويعقوب: ﴿وأن﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون، على تقدير حرف الجر قبلها أي: ولأن هذه أمتكم.
و ﴿هذه﴾ اسم ﴿ان﴾ و ﴿أمتكم﴾ خبرها(٣).

٥) قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ المؤمنون:١١١.
قرأ حمزة والكسائي : ﴿انهم﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف.
وقرأ الباقون : ﴿أنهم﴾ بفتح الهمزة على أنه المفعول الثاني لـ﴿جزيتهم﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: جزيتهم فوزهم أو على تقدير حرف الجر أي: لأنهم أو بأنهم(٤).

---

١) الإتحاف ص٢٣٦ المغني ١٨٩/٢-١٩٠.
٢) الإتحاف ص٢٣٨ المغني ١٩٥/٢.
٣) الإتحاف ص٣١٩ المغني ٦٤/٣.
٤) الإتحاف ص٣٢١ المغني ٦٨/٣.

٦) قول الله تعالى : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي ولا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ الشعراء:١٣.
قرأ يعقوب : ﴿ويضيق﴾ ﴿ولاينطلق﴾ بنصب القاف فيهما عطفا على ﴿يكذبون﴾ المنصوب بـ﴿أن﴾ من قوله تعالى: ﴿قال ربّ إنّي أخَافُ أنْ يُكَذِّبُونِ﴾ الشعراء:١٢.
وقرأ الباقون برفع القاف فيهما على الاستئناف(١).

٧) قول الله تبارك وتعالى: ﴿فانظُرْ كَيف كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِم أنّا دَمّرْنَاهُم وقَوْمَهُم أجْمَعِين﴾ النمل:٥١.
قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿أَنّا دَمّرْنَاهم﴾ بفتح الهمزة على أن ﴿كان﴾ تامة بمعنى وقع، فتحتاج إلى مرفوع فقط و ﴿عاقبة﴾ فاعل ، و﴿أنا دمرناهم﴾ بدل من ﴿عاقبة﴾.
ويجوز أن يكون قوله: ﴿إنا دمرناهم﴾ خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو أنا دمرناهم.
وقرأ الباقون من العشرة : ﴿انا دمرناهم﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف و ﴿كان﴾ تامة بمعنى وقع، لاتحتاج إلى خبر، و ﴿عاقبة﴾ فاعل، و ﴿كيف﴾ في موضع الحال، فتم الكلام على ﴿مكرهم﴾ ثم ابتدأ بـ﴿انا﴾ مستأنفا فكسرها، والتقدير: فانظر يامحمد على أي حال وقع عاقبة أمرهم، ثم استأنف مفسرا للعاقبة بالتدمير بكسر ﴿ان﴾(٢).

٨) قول الله تبارك وتعالى: ﴿وقَالَ مُوسَى رَبِّي أعْلَم بِمَن جَاءَ بالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ﴾ القصص:٣٧.
قرأ ابن كثير : ﴿قال﴾ بحذف الواو على الاستئناف.
وقرأ باقي العشرة : ﴿وقال﴾ باثبات الواو عطفا على الجملة التي قبلها(٣).

٩) قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ الدخان:٤٩.
قرأ الكسائي : ﴿أنك﴾ بفتح الهمزة على تقدير لام العلة أي: لأنك

---
١) الإتحاف ص٣٣١ المغني ٣/٩٧.
٢) الإتحاف ص٣٣٨ المغني ٣/١٠٨.
٣) الإتحاف ص٣٤٣ المغني ٣/١٢٠.

أنت...، وهذا على سبيل السخرية والاستهزاء.

وقرأ باقي العشرة: ﴿انك﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف(١).

١٠) قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطور:٢٨.

قرأ نافع والكسائي وأبوجعفر: ﴿أنه﴾ بفتح الهمزة على تقدير لام التعليل أي: لأنه هو البر الرحيم.

وقرأ باقي العشرة: ﴿إنّه﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف(٢).

---

١) الإتحاف ص٣٨٩ المغني ٣/٢٣٦.

٢) الإتحاف ص٤٠١ المغني ٣/٢٦٦.

المبحث الثاني : القراءات المتعلقة بالمفاعلة .

قد ينتج تنوع القراءات في الآية : أن تأتي الآية على قراءة مفيدة مجرد حدوث الفعل، وعلى قراءة تفيد حدوث المشاركة في الفعل، أو تأتي على صيغة «فاعل» أو «تفاعل» في قراءة، وتأتي على قراءة أخرى على غير هذه الصيغة.

وفي هذا المبحث أشير الى معنى هاتين الصيغتين: «فاعل» و «تفاعل» ثم أورد جملة من الآيات(١) التي كان تنوع القراءات فيها من هذا القبيل، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

---

١) اكتفيت بامثلة قليلة ، فقد استوعب الموضوع صاحب كتاب «دراسات لاسلوب القرآن الكريم» ق٢ ج١ص ٤٢٤-٤٧٥، ٥٩٩-٦٢٥.

المطلب الأول : في معنى «فاعل» و «تفاعل».

من صيغ مزيد الثلاثي من الأفعال صيغة: «فاعل» و صيغة: «تفاعل»، وتشترك الصيغتان في الدلالة على المشاركة في الفعل ثم تنفرد كل واحدة منها بمعنى.

معنى «فاعل» :

المعنى الغالب على «فاعل» هو الدلالة على المشاركة وهي أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلا فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية كقولك: «ضارب زيد عمرا» حيث نسب أصل الفعل: «ضارب» وهو الضرب إلى زيد صراحة، ولكنه يجيء من «عمرو» ضمنا وانتصاب «عمرو» على أنه مشارك وليس على أنه مضروب.

ويجيء «فاعل» لافادة التكثير، نحو قولك: «ضاعفت الشيء» أي: كثرت أضعافه، وكقولك: «ناعمه الله» أي: أكثر نعمته.

ويفيد «فاعل» الموالاة ومعناها أن يتكرر الفعل يتلو بعضه بعضا نحو: «واليت الصوم» و «تابعت القراءة».

ويجيء «فاعل» بمعنى «فعل» كـ«سافر وجاوز» وربما كانت المفاعلة بتنزيل غير الفعل منزلته(١).

معنى «تفاعل» :

تدل على المشاركة بين اثنين فأكثر ، فيكون كل منهما فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى بخلاف: «فاعل» فإنها لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى.

وتأتي «تفاعل» لافادة التظاهر بالفعل دون حقيقته وهو التكلف في الفعل كقولك: «تجاهلت، تغافلت».

وتجيء لافادة حصول الشيء تدريجيا كـ«تزايد النيل».

وتكون «تفاعل» لمطاوعة «فاعل» نحو: «باعدته فتباعد»(٢).

---

١) الممتع في التصريف ١/١٨١-١٨٣ شذا العرف ص٤٢-٤٣ المغني في تصريف الأفعال ص٩٠-٩٢ أبنية الفعل ص٣٢-٣٤.

٢) الممتع في التصريف ١/١٨٨ شذا العرف ص٤٦-٤٧ المغني في تصريف الأفعال ص٩٢-٩٤ أبنية الفعل ص٣٤-٣٧.

المطلب الثاني : أمثلة في القراءات المتعلقة بالمفاعلة.

أورد أمثلة سريعة تنوعت القراءات فيها فجاءت صيغة الفعل على وزن «فاعل» أو «تفاعل».

١) قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ البقرة:٢٣٦.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿تماسوهن﴾ بضم التاء واثبات الألف بعد الميم مع المد المشبع من المفاعلة التي تكون بين اثنين لأن كل واحد من الزوجين يمس الآخر اثناء الجماع.

وقرأ باقي العشرة : ﴿تمسوهن﴾ بفتح التاء من غير ألف ولامد، على أن «المس» من الرجال ومعناه الجماع في القراءتين(١).

٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران:٢١.

قرأ حمزة : ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾ بضم الياء وفتح القاف وألف بعدها وكسر التاء: ﴿يقاتلون﴾.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يقتلون﴾ بفتح الياء و اسكان القاف، وحذف الألف.

والمعنى واحد في القراءتين غير أن قراءة: ﴿يقاتلون﴾ من «قاتل» تقتضي المفاعلة من الجانبين(٢).

٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ النساء:٣٣.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿عقدت﴾ بغير ألف.

---

١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ ج١ص٤٥٥ المغني ٢٥٦/١.
٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ ج١ص٤٥٣ المغني ٣٢٢/١.

وقرأ باقي العشرة: ﴿عاقدت﴾ باثبات ألف بعد العين.

والمعنى واحد في القراءتين غير أن قراءة ﴿عاقدت﴾ تقتضي المفاعلة من الجانبين(١).

٤) قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء:١٢٨.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿يصلحا﴾ بضم الياء واسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف بعدها.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يصالحا﴾ بفتح الياء، والصاد المشددة وألف بعدهاوفتح اللام.

والمعنى في القراءتين واحد، ولكن المفاعلة تقتضي حصول الفعل من الاثنين(٢).

٥) قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الحج:٣٨.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب: ﴿يدفع﴾ بفتح الياء واسكان الدال وحذف الألف التي بعدها وفتح الفاء على أنه مضارع «دفع» الثلاثي.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يدافع﴾ بضم الياء وفتح الدال واثبات ألف بعدها وكسر الفاء على أنه مضارع «دافع» والمفاعلة فيه ليست على بابها، بل هي من جانب واحد مثل: «سافر»، والقصد منها افادة المبالغة في الدفع عن المؤمنين(٣).

---

١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ ج١ص٤٥٢ المغني ٤٠٧/١.
٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ ج١ص٦١٤ المغني ٤٢٠/١.
٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ ج١ص٤٥١ المغني ٥٣/٣.

المبحث الثالث : القراءات المتعلقة بإفادة التكثير.

ينتج تنوع القراءات أحيانا مجيء آية لا تفيد على قراءة إلا مجرد حدوث الفعل، وعلى قراءة تفيد تكراره وكثرة وقوعه.

وهذه القراءات ليس لها كبير أثر في معنى الآية.

وأورد هنا جملة من هذه الآيات التي أنتج تنوع القراءات فيها ما هو من هذا القبيل، فمن ذلك :

١) قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ البقرة:٢٤٥.

وقوله تبارك وتعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ الحديد:١١.

قرأ نافع وأبوعمرو وحمزة والكسائي وخلف: ﴿فيضاعفه﴾ بتخفيف العين وألف قبلها مع رفع الفاء على الاستئناف، أي: فهو يضاعفه.

وقرأ ابن كثير وأبوجعفر : ﴿فيضعفه﴾ بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء.

وقرأ ابن عامر ويعقوب : ﴿فيضعفه﴾ بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء.

وقرأ عاصم : ﴿فيضاعفه﴾ بتخفيف العين وألف قبلها مع نصب الفاء.

والتشديد للدلالة على التكثير والتكرار(١).

٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ آل عمران:١٢٤.

قرأ ابن عامر : ﴿منزلين﴾ بفتح النون وتشديد الزاي.

وقرأ باقي العشرة : ﴿منزلين﴾ بسكون النون وتخفيف الزاي.

والتشديد للتكثير أو للتدريج وقيل: لغتان بمعنى واحد(٢).

٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ آل عمران:١٤٦.

قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب : ﴿قتل﴾ بضم القاف وحذف الألف وكسر التاء على البناء للمفعول.

وقرأ باقي العشرة : ﴿قاتل﴾ بفتح القاف واثبات الألف وفتح التاء وذلك

---

١) الإتحاف ص١٥٩ المغني ٢٥٨/١.

٢) الإتحاف ص١٧٩ المغني ٣٦٠/١.

على البناء للفاعل(١).

وقرأ قتادة : ﴿وكأين من نبي قتّل معه ربيون كثير﴾ بتشديد التاء المكسورة وضم القاف(٢).

أفادت القراءة بـ﴿قاتل﴾ مجرد وقوع المقاتلة من النبي ومن معه من الربيين؛ فهو امتداح لهم للمقاتلة وان لم يقع فيهم قتل.

أفادت القراءة بـ﴿قتل﴾ امتداحهم على المقاتلة والقتل.

أفادت القراءة بـ﴿قتّل﴾ بتشديد التاء امتداحهم على كثرة وقوع القتل فيهم اثناء قتالهم مع الأنبياء.

٤) قوله تبارك وتعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا..﴾ آل عمران:١٦٨.

قرأ هشام بخلف عنه في روايته عن ابن عامر: ﴿ما قتّلوا﴾ بتشديد التاء.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ما قتلوا﴾ بتخفيف التاء(٣).

والتشديد لارادة التكثير في القتل.

٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ولا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا..﴾ آل عمران:١٦٩.

وقوله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ آل عمران:١٩٥.

وقوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام:١٤٠.

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا..﴾ الحج:٥٨.

قرأ ابن عامر : ﴿قتّلوا﴾ في المواضع الأربعة بتشديد التاء.

وقرأ ابن كثير بتشديد التاء في الموضع الأخير من آل عمران [آية:١٩٥]، وكذا موضع الأنعام [آية:١٤٠]، أما موضع آل عمران [آية:١٦٩] وكذا موضع الحج [آية:٥٨] فقد قرأهما بتخفيف التاء.

وقرأ باقي العشرة بتخفيف التاء في المواضع الأربعة.

---

١) المبسوط ص١٤٨ النشر٢/٢٤٢.

٢) المحتسب ١/١٧٣ وانظر البحر المحيط ٣/٧٣-٧٤.

٣) الإتحاف ص١٨١-١٨٢ المغني ١/٣٧٦.

والقراءة بالتشديد لارادة التكثير في القتل(١).

٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّه وغَضِبَ عليْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ أولئك شَرٌ مَكَاناً وأضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة:٦٠.

قرأ حمزة : ﴿وعبد﴾ بضم الباء وفتح الدال و ﴿الطاغوت﴾ بجر التاء.

وقرأ باقي العشرة : ﴿وعبد﴾ بفتح الباء والدال على أنه فعل ماضي.

وبناء ﴿عبد﴾ بضم الباء وفتح الدال كما في قراءة حمزة للمبالغة والكثرة(٢).

٧) قوله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ اللَّه إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُم فَمَن يَكْفُر بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ﴾ المائدة:١١٥.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿منزلها﴾ بسكون النون وكسر الزاي مخففة على أنها اسم فاعل من أنزل الرباعي.

وقرأ باقي العشرة : ﴿منزلها﴾ بفتح النون وكسر الزاي مشددة على أنها اسم فاعل من «نزل» مضعف الثلاثي.

والتشديد هنا يفيد المبالغة في تأكيد الوصف(٣).

٨) قوله تبارك وتعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيءٍ حَتَى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فإذا هُم مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:٤٤.

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقُوا لفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ والأرضِ ولَكِن كَذَّبُوا فأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف:٩٦.

وقوله تعالى : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ القمر:١١.

قرأ ابن عامر وابن وردان في روايته عن أبي جعفر: ﴿فتحنا﴾ في السور الثلاث بتشديد التاء.

وقرأ ابن جماز في روايته عن أبي جعفر وروح في روايته عن يعقوب بالتشديد في موضع سورة القمر، وبالتشديد والتخفيف في موضعي سورة

---

١) الإتحاف ص١٨١ -١٨٢ المغني ٣٧٨/١.
٢) الإتحاف ص٢٠١ المغني ٢٣/٢.
٣) الإتحاف ص٢٠٤ المغني ٣٤/٢.

الأنعام وسورة الأعراف.

وقرأ رويس في روايته عن يعقوب بالتشديد والتخفيف في السور الثلاث.

والتخفيف والتشديد لغتان إلا أن في التشديد الدلالة على التكثير(١).

٩) قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام:١٠٠.

قرأ أبوجعفر ونافع: ﴿وخرّقوا﴾ مشددة الراء.

وقرأ سائر العشرة: ﴿وخرقوا﴾ بالتخفيف(٢).

وفي القراءتين ذم من الله تعالى للكافرين في اختلاقهم وكذبهم لأنهم زعموا لله بنين وبنات كا ذمهم على تكرار هذا القول منهم مرة بعد مرة ولا يتزوبون بل يصرون عليه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا(٣).

١٠) قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام:١٢٥.

قرأ ابن كثير باسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف ووافقه ابن محيصن: ﴿يصعد﴾.

وقرأ أبوبكر في روايته عن عاصم: ﴿يصاعد﴾(٤).

أفادت القراءات تشبيه حال الكافر بحال من يصعد السماء ويتكلفه مرة بعد مرة وهو لا يطيق، فالتضعيف أفاد التكثير والكلفة(٥).

١١) قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف:٤٠.

قرأ أبوعمرو: ﴿لا تفتح﴾ بتاء التأنيث وسكون الفاء وفتح التاء مخففة.

---

١) الإتحاف ص٢٠٨ المغني ٤٥/٢.

٢) المبسوط ص١٧٣ النشر ٢٦١/٢ الإتحاف ص٢١٤.

٣) معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٢ الكشف ٤٤٣/١.

٤) المبسوط ص١٧٤ النشر ٢٦٢/٢ الإتحاف ص٢١٦.

٥) معاني القرآن للنحاس ٤٨٧/٢ تفسير القرطبي ٨٢/٧ البحرالمحيط ٢١٨/٤.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿لايفتح﴾ بياء التذكير و سكون الفاء وفتح التاء مخففة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿لاتفتح﴾ بتاء التأنيث وفتح الفاء وتشديد التاء.

والقراءات بمعنى واحد غير أن في القراءة بالتشديد معنى التكثير والتكرار(١).

١٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ الأعراف:١١٢.

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يونس:٧٩.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿سحار﴾ في الوضعين على وزن «فعال» بفتح الحاء وتشديدها وألف بعدها.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ساحر﴾ بألف بعد السين وكسر الحاء مخففة على وزن «فاعل» .

والقراءة بالتشديد على وزن «فعال» تفيد المبالغة في الوصف(٢).

١٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الأعراف:١١٧.

وقوله تعالى : ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ سورة طه:٦٩.

وقوله تعالى : ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الشعراء:٤٥.

قرأ البزي بخلف عنه في روايته عن ابن كثير: ﴿تلقف﴾ بتشديد التاء حالة وصل ﴿تلقف﴾ بما قبلها وبفتح اللام وتشديد القاف مطلقا، وعند الابتداء بها يخفف التاء ويفتح اللام ويشدد القاف.

وقرأ حفص : ﴿تلقف﴾ بسكون اللام وتخفيف القاف.

وقرأ باقي العشرة: ﴿تلقف﴾ بفتح اللام وتشديد القاف.

---

١) الإتحاف ص٢٢٤ المغني ١٢٧/٢.

٢) الإتحاف ص٢٢٨ المغني ١٤٨/٢.

والقراءة بالتشديد فيها معنى التكثير والتكرار(١).

١٤) قول الله تبارك وتعالى: ﴿... قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ..﴾ الأعراف:١٢٧.

قرأ نافع وابن كثير وأبوجعفر: ﴿سنقتل﴾ بفتح النون واسكان القاف وضم التاء مخففة.

وقرأ باقي العشرة: ﴿سنقتل﴾ بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة.

والقراءة بالتشديد فيها معنى التكثير والتكرار مرة بعد مرة(٢).

١٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الأعراف:١٧٠.

قرأ شعبة عن عاصم: ﴿يمسكون﴾ بسكون الميم وتخفيف السين.

وقرأ باقي العشرة: ﴿يمسكون﴾ بفتح الميم وتشديد السين.

والقراءتان بمعنى واحد، لكن في التشديد معنى التكثير والتكرير وهنا يفيد التأكيد على الوصف والله أعلم(٣).

١٦) قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكُم وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الكَافِرِينَ﴾ الأنفال:١٨.

قرأ ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿موهن﴾ بسكون الواو وتخفيف الهاء والتنوين.

وقرأ حفص عن عاصم : ﴿موهن﴾ بسكون الواو وتخفيف الهاء من غير تنوين.

وقرأ باقي العشرة : ﴿موهن﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين.

والقراءات بمعنى واحد، لكن في التشديد معنى التكرير فهو توهين بعد

---

١) الإتحاف ص٢٢٨ المغني ٢/١٥٠-١٥١.
٢) الإتحاف ص٢٢٩ المغني ٢/١٥١.
٣) الإتحاف ص٢٣٢ المغني ٢/١٧١.

توهين، وذلك أن التشديد إنما وقع لتكرار الفعل(١).

١٧) قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يوسف:٦٤.

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف: ﴿حافظا﴾ بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء على وزن «فاعل» وذلك للمبالغة على تقدير فالله خير الحافظين فاكتفى بالواحد عن الجمع.

وقرأ باقي العشرة : ﴿حفظا﴾ بكسر الحاء وحذف الألف التي بعدها واسكان الفاء على وزن «فعل» على أنه تمييز، وذلك أن اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لما نسبوا الحفظ إلى أنفسهم في قوله تعالى: ﴿ونحفظ أخانا﴾ سورة يوسف:٦٥، فقال لهم أبوهم: ﴿فاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ أي: خير من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم(٢).

١٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد:٣٩.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم في روايته عن حفص ويعقوب: ﴿ويثبت﴾ باسكان الثاء وتخفيف الباء الموحدة.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ويثبت﴾ بفتح الثاء وتشديد الباء.

والتشديد يفيد التكثير(٣).

١٩) قول الله تبارك وتعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ سورة النحل:٢.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو ورويس في روايته عن يعقوب: ﴿ينزل﴾ باسكان النون وتخفيف الزاي المكسورة و ﴿الملائكة﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ روح في روايته عن يعقوب: ﴿تنزل﴾ بتاء مثناة من فوق مفتوحة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة مشددة و ﴿الملائكة﴾ بالرفع فاعل.

وقرأ الباقون : ﴿ينزل﴾ بتشديد الزاي المكسورة وفتح النون

١) الإتحاف ص٢٣٦ المغني ١٨٨/٢.
٢) الإتحاف ص٢٦٦ المغني ٢٧٨/٢.
٣) الإتحاف ص٢٧٠ المغني ٢٨٩/٢.

و﴿الملائكة﴾ بالنصب مفعول به.
والقراءة بالتشديد فيها معنى التكرار والتكثير(١).

٢٠) قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً﴾ الكهف:٧٤.
قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وأبوجعفر ورويس عن يعقوب بألف بعد الزاي وتخفيف الياء اسم فاعل من "زكا": ﴿زاكية﴾.
وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح عن يعقوب بتشديد الياء من غير ألف: ﴿زكية﴾(٢).
والقراءتان بمعنى واحد(٣) غير أن القراءة بتشديد الياء: ﴿زكية﴾ أبلغ من ﴿زاكية﴾ لأن فعيلا المحول من فاعل يدل على المبالغة.
قال الزجاج (ت٣١١هـ): "قالوا في ﴿زكية﴾ بريئة، أي: لم ير ما يوجب قتلها" اهـ(٤).
قلت: وكذا قال أبوجعفر النحاس(٥) (ت٣٣٨هـ).

٢١) قول الله تبارك وتعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ سورة مريم:٩٠.
وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الشورى:٥.
قرأ نافع وابن كثير وحفص في روايته عن عاصم والكسائي وأبوجعفر: ﴿يتفطرن﴾ في الموضعين بتاء فوقية مفتوحة بعد الياء مع فتح الطاء وتشديدها.
وقرأ أبوعمرو وشعبة عن عاصم ويعقوب: ﴿ينفطرن﴾ في الموضعين بنون ساكنة بعد الياء مع كسر الطاء مخففة على أنه مضارع: "انفطر" بمعنى: انشق.
وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف موضع مريم: ﴿ينفطرن﴾ مثل قراءة أبي عمرو ومن معه، وموضع الشورى: ﴿يتفطرن﴾ مثل قراءة: "نافع" ومن معه.

---

١) الإتحاف ص٢٧٧ المغني ٣١٦/٢ المهذب في القراءات ٣٦٦/٢.
٢) المبسوط ص٢٣٧ النشر ٣١٣/٢ الإتحاف ص٢٩٣.
٣) الكشف ٦٨/٢ حجة القراءات ص٤٢٤.
٤) معاني القرآن للزجاج ٣٠٣/٣.
٥) معاني القرآن للنحاس ٢٧١/٤.

وفي قراءة التشديد معنى التكرير مرة بعد مرة(١).

٢٢) قوله تبارك وتعالى : ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾ سورة الحج:٤٠.

قرأ نافع وابن كثير وأبوجعفر: ﴿لهدمت﴾ بتخفيف الدال، على أنه فعل ثلاثي مجرد وهو يقع للقليل والكثير.

وقرأ الباقون : ﴿لهدمت﴾ بتشديد الدال على أنه فعل مضعف العين يدل على التكثير وذلك لكثرة الصوامع والبيع والصلوات والمساجد(٢).

٢٣) قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا. لِلطَّاغِينَ مَآبًا. لَا بِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا. لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا. إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا. جَزَاءً وِفَاقًا﴾ النبأ:٢١-٢٦.

قرأ حمزة وروح بلا ألف: ﴿لبثين﴾.

وقرأ سائر العشرة : ﴿لا بثين﴾ بألف(٣).

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «اللبث أقوى؛ لأن اللابث: من وجد منه اللبث، ولا يقال: «لبث» إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك عنه» اهـ(٤).

وقال الآلوسي (ت١٢٧٠هـ): «﴿لبثين﴾ فيه من المبالغة ما ليس في ﴿لابثين﴾» اهـ(٥).

---

١) الإتحاف ص٣٠١ المغني ٣/١٧.
٢) الإتحاف ص٣١٦ المغني ٣/٥٤.
٣) المبسوط ص٣٩٣ النشر ٢/٣٩٧ الإتحاف ص٤٣١.
٤) الكشاف ٤/١٧٨ وقارن بالبحر المحيط ٨/٤١٣.
٥) روح المعاني ٣٠/١٨.

المبحث الرابع : القراءات المتعلقة بالخبر والإنشاء.

الخبر : الكلام الذي يدخله التصديق والتكذيب(١).

الإنشاء : الكلام الذي لا يدخله التصديق والتكذيب وهو نوعان :

النوع الأول : الإنشاء الطلبي وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، فيشمل التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء.

النوع الثاني : الإنشاء غير الطلبي، وهو ما لا يستدعي مطلوبا ويشمل التعجب والرجاء والقسم وصيغ المدح والذم بـ«نعم» و «بئس» و ما جرى مجراهما، وصيغ العقود كقول البائع: «بعت»، وقول المشتري: «اشتريت»(٢).

إذا علم هذا فإن من الآيات ما أنتج تنوع القراءات فيها تنوعا في الاسلوب بين الخبر والانشاء ، وأحيانا يتنوع أسلوب الآية بين أكثر من أسلوب في الانشاء مثلا بين الاستفهام والنداء أو بين أكثر من أسلوب خبري كأن تدور بين النعت والبدل ونحو ذلك .

وقد اكتفيت فيه بجملة من الأمثلة كما يلي :

---

١) الإيضاح في علوم البلاغة ص٨٥ الاتقان (أبوالفضل) ٣/٢٢٥ وما بعدها.
وقد اختلف في حد الخبر والذي ذكرته هو أسلم التعاريف - إن شاء الله - من الايرادات والله أعلم.

٢) شرح التلخيص في علوم البلاغة ص٨١ جواهر البلاغة ص٧٥ وما بعدها.

١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَاتُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة:١١٩.

قرأ نافع ويعقوب: ﴿ولا تسأل﴾ بالجزم على النهي بفتح التاء وجزم اللام.

وقرأ باقي العشرة : ﴿ولاتسأل﴾ بضم التاء وضم اللام مبني للمفعول(١).

وقراءة نافع ويعقوب هنا بأسلوب النهي فهي انشائية، وقراءة الجمهور خبرية(٢).

٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وإِذْ جَعَلْنا الْبَيْتَ مَثَابَةً للنَاس وأَمْنَا واتخِذُوا مِنْ مَقام إِبْراهيم مُصَلى وعَهِدْنا إلى إبراهيم وإسْمَاعيل أن طَهِّرا بَيْتِي لِلْطَائِفين والعَاكِفِين والرُّكَّع السُّجود﴾ البقرة:١٢٥.

قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء: ﴿واتخذوا﴾.

وقرأ باقي العشرة بكسر الخاء: ﴿واتخذوا﴾(٣).

قراءة نافع وابن عامر على الخبر وقراءة باقي العشرة أمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى(٤).

٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لَا الْهَدْيَ وَ لَا الْقَلَائِدَ وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن رَّبِّهِمْ وَرِضْواناً وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فاصطَادُوا وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسجِدِ الْحَرَامِ أن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَ لَاتَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ المائدة:٢.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو بكسر الهمزة: ﴿إِنْ صَدُّوكم﴾.

وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة: ﴿أَنْ صَدُّوكم﴾(٥).

الآية بقراءة ابن كثير وأبي عمرو شرطية فهي على أسلوب الانشاء، وعلى قراءة الجمهور خبرية(٦).

---

١) المبسوط ص١٢١ النشر ٢٢١/٢ الإتحاف ص١٤٦-١٤٧.
٢) انظر البحرالمحيط ٣٦٧/١-٣٦٨.
٣) المبسوط ص١٢١ النشر ٢٢٢/٢ الإتحاف ص١٤٧.
٤) انظر تفسيرالقرطبي ١١١/٢ البحرالمحيط ٣٨٠/١-٣٨١.
٥) المبسوط ص١٦١ النشر ٢٥٤/٢ الإتحاف ص١٩٨.
٦) انظر الكشف ٤٠٥/١ حجة القراءات ص٢٢٠.

٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة:٤٦-٤٧.

قرأ حمزة وحده : ﴿وليحكم﴾ بكسر اللام وفتح الميم.

وقرأ باقي العشرة : ﴿وليحكم﴾ ساكنة اللام والميم(١).

فالاية على قراءة حمزة تعليل وهو أسلوب خبري.

وهي على قراءة باقي العشرة أمر وهو أسلوب إنشائي(٢).

٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُم إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام:٢٣.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿والله ربنا﴾ بالنصب.

وقرأ باقي العشرة : ﴿والله ربنا﴾ بالخفض(٣).

وقراءة حمزة والكسائي وخلف معناها النداء، أي: والله ياربنا.

وقراءة باقي العشرة معناها على النعت أو البدل أي: والله الموصوف بانه رب لنا، أو وربنا.

ففي القراءتين تنوع أسلوب الآية بين النداء والبدل والنعت(٤).

٦) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُم سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُم تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنعام:٥٤.

تنوعت القراءات في قوله : ﴿أنه من عمل منكم سوءا﴾ ﴿فأنه غفور رحيم﴾ فقرأ نافع وأبوجعفر بفتح الهمزة في الأولى والكسر في الثانية: ﴿أنه من عمل منكم سوءا﴾ ﴿فإنه غفور رحيم﴾.

وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح فيهما: ﴿أنه من عمل منكم سوءا﴾ ﴿فأنه غفور رحيم﴾.

---

١) المبسوط ص١٦٢ النشر ٢٥٤/٢.

٢) انظر الكشف ٤١٠/١ زاد المسير ٣٦٩/٢ البحر المحيط ٥٠٠/٣.

٣) المبسوط ص١٦٧ النشر ٢٥٧/٢ الإتحاف ص٢٠٦.

٤) الكشف ٤٢٧/١ حجة القراءات ص٢٤٤.

وقرأ باقي العشرة بالكسر فيهما: ﴿إِنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءا﴾ ﴿فإِنّه غَفُور رَحِيم﴾(١).

معنى القراءات :

القراءة بفتح الهمزة في قوله : ﴿أَنّه مَن عَمِل مِنْكُم سُوءا﴾ تفيد أن قوله: ﴿مَنْ عَمِل مِنْكُمْ سُوءا بِجَهَالة ثُمَّ تَاب مِن بَعْده وأَصْلَح فإِنّه غَفُور رَحِيم﴾ بدل من الرحمة كأنه قال: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل منكم.... .

والقراءة بفتح الهمزة في قوله: ﴿فأنّه غَفُور رَحِيم﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: فأمره أنه.. ،أي: ان الله غفور رحيم له، ويجوز أنها مبتدأ لخبر محذوف تقديره: فله أنه غفور رحيم له، أي: فله غفران الله(٢).

القراءة بكسر الهمزة في قوله : ﴿إِنّه مَنْ عمل منكم سوءا﴾ تفيد أن قوله: ﴿من عمل منكم سوءا﴾ تفسير للرحمة، فهو عطف بيان.

القراءة بكسر الهمزة في قوله: ﴿فإِنه غفور رحيم﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو في موضع الجواب لقوله: ﴿من عمل..﴾(٣).

حاصل القراءات :

تنوع أسلوب الآية مع اتحاد المعنى فيها إذ قوله تعالى: ﴿أنه من عمل منكم سوأ بجهالة...﴾ إمّا أن يكون بدلا من الرحمة في قوله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وإمّا أن يكون عطف بيان للرحمة، والمعنى على الأسلوبين واحد، وهذا من صور إعجاز القرآن العظيم.

٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وإِذْ قَال إِبْرَاهِيم لأَبِيه آزَر أَتَتّخذ أَصْنَاماً آلِهَة إِنّي أَرَاك وقَوْمَك فِي ضَلال مُبِين﴾ الأنعام:٧٤.

قرأ يعقوب بضم الراء: ﴿آزرُ﴾.

وقرأ باقي العشرة بفتح الراء نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة: ﴿آزرَ﴾(٤).

والقراءة بضم الراء على النداء.

والقراءة بفتح الراء على أنه بدل أو عطف بيان مجرور بالكسرة نيابة

---

١) المبسوط ص١٦٨-١٦٩ النشر ٢٥٨/٢ الإتحاف ص٢٠٨-٢٠٩.

٢) الكشف ٤٣٣/١ البحرالمحيط ١٤١/٤.

٣) البحرالمحيط ١٤١/٤.

٤) المبسوط ص١٧٠ النشر ٢٥٩/٢ الإتحاف ص٢١١.

عن الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة إذا كان اسما أو للوصفية والعجمة إذا كان وصفا أو لقبا(١).

٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ. أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف:٩٧-٩٩.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبوجعفر بسكون الواو: ﴿أو أمن﴾.

وقرأ باقي العشرة بفتح الواو: ﴿أوَ أمن﴾(٢).

معنى القراءتين :

القراءة بتسكين الواو: ﴿أو أمن﴾ على أن ﴿أو﴾ حرف عطف للتقسيم والمعنى: أيأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نا ئمون أو يأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي: أيأمنون احدى العقوبتين.

القراءة بفتح الواو: ﴿أوَ أمن﴾ على أن واو العطف دخلت عليها همزة الاسنفهام بمعنى الانكار وهي مقدمة لفظا، وإن كانت بعدها تقديرا، أي: أفأمنوا مجموع العقوبتين(٣).

حاصل القراءتين :

والآية بالقراءتين تضمنت الخبر والاستفهام الإنكاري، وفي هذا إعجاز قرآني حيث تنوع الأسلوب ولم يختلف المعنى.

٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة:١١٠.

قرأ يعقوب بتخفيف اللام على أنها حرف جر: ﴿إلى أن تقطع﴾.

وقرأ باقي العشرة بتشديد اللام على أنها حرف استثناء: ﴿إلا أن تقطع﴾(٤).

تنوع أسلوب الآية في القراءتين وكلاهما خبر إلا أنه في القراءة

---

١) انظر زاد المسير ٣/٧٠-٧١ البحرالمحيط ٤/١٦٣-١٦٤.
وللشيخ أحمد شاكر رحمه الله بحث ماتع حول تحقيق أن «آزر» اسم أبي إبراهيم ﷺ وليس لقبا أو اسم صنم، نشره في كتابه الذي سماه «كلمة الحق» ص٣٠٢-٣١٠.

٢) المبسوط ص١٨٢ النشر ٢/٢٧٠ الاتحاف ص٢٢٧.

٣) الكشف ١/٤٦٨-٤٦٩ الإتحاف ص٢٢٧.

٤) المبسوط ص١٩٧ النشر ٢/٢٨١ الإتحاف ص٢٤٥.

الأولى أخبر عن غاية الريبة في قلوبهم وهي أن تقطع يعني إما بالموت وإما بالتوبة.

وفي القراءة الثانية أخبر عن الريبة أنها لا تزال في بنيانهم في كل وقت باستثناء وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال باستثناء حال تقطيعها بحيث لايبقى لها قابلية الادراك والاضمار(١).

١٠) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواالأَلْبَابِ﴾ الزمر:٩.

قرأ ابن كثير ونافع وحمزة بتخفيف الميم: ﴿أمن هو قانت﴾.

وقرأ باقي العشرة بتشديد الميم: ﴿أمّن هو قانت﴾(٢).

القراءة بالتخفيف الهمزة فيها للنداء والمعنى: يامن هو قانت(٣).

والقراءة بالتشديد الهمزة فيها للاستفهام والمعنى: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خير أم هذا الكافر المذكور في الآية قبلها: ﴿وإذا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّه مُنِيباً إِلَيْه ثُمّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وجَعَلَ لِلَّه أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِه قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ. أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْل..﴾(٤) الزمر:٨-٩.

فتنوع أسلوب الآية بالقراءتين مرة أسلوب انشائي استفهامي ومرة أسلوب انشائي ندائي.

١١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِين كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوات والأَرْض كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الأنبياء:٣٠.

قرأ ابن كثير : ﴿ألم﴾ بحذف الواو التي بعد الهمزة على أنه كلام مستأنف والهمزة للاستفهام التوبيخي، والمعنى: يوبخهم الله على عدم توحيده مع قيام الأدلة الواضحة على ذلك.

---

١) الإتحاف ص٢٤٥.

٢) المبسوط ص٣٢٢ النشر ٣٦٢/٢.

٣) معاني القرآن للفراء ٤١٦/٢-٤١٧ زادالمسير ١٦٦/٧.

٤) الكشف ٢٣٧/٢ حجة القراءات ص٦٢٠-٦٢١.

وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف.

وقرأ باقي العشرة: ﴿أو لم﴾ باثبات الواو على أنها عاطفة والمعطوف عليه مقدر بعد همزة الاستفهام الانكاري، يدل عليه الكلام السابق وهو قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ الأنبياء:٢١، وتقدير الكلام: أأشركوا بالله ولم يتدبروا في خلق السماوات والأرض ليستدلوا بهما على وحدانيته تعالى(١).

١٢) قول الله تبارك وتعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المؤمنون:٩٢.

قرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائي وأبوجعفر وخلف: ﴿عالم﴾ برفع الميم على القطع وهو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو عالم الغيب والشهادة.

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وحفص وروح في روايته عن يعقوب: ﴿عالم﴾ بخفض الميم على أنه بدل من لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون:٩١ أو صفة له.

وقرأ رويس: ﴿عَالِمِ﴾ بالخفض وصلا، وله حالة الابتداء وجهان الرفع والخفض(٢).

١٣) قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ المؤمنون:١١٢.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿قل﴾ بضم القاف وحذف الألف واسكان اللام على أنه فعل أمر.

وقرأ الباقون: ﴿قال﴾ بفتح القاف واثبات ألف بعدها وفتح اللام على أنه فعل ماضي(٣).

١٤) قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ: إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ المؤمنون:١١٤.

قرأ حمزة والكسائي: ﴿قل﴾ بلفظ الأمر.

---

١) المغني في القراءات العشر ٣/٣٨.

٢) المغني ٣/٦٦.

٣) المغني ٣/٦٨.

وقرأ الباقون: ﴿قال﴾ بلفظ الماضي(١).

١٥) قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ العنكبوت:٦٦.

قرأ قالون وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف: ﴿وليَتَمَتَّعُوا﴾ باسكان اللام على أنها لام الأمر، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد.

وقرأ باقي العشرة بكسر اللام على أنها لام "كي"(٢).

١٦) قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الدخان:٧.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿رب﴾ بالخفض على البدلية من ﴿ربك﴾ المتقدمة في قوله تعالى: ﴿رحمة ربك﴾ الدخان:٦.

وقرأ الباقون: ﴿رب﴾ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو رب(٣).

١٧) قوله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الجاثية:٤.

وقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الجاثية:٥.

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: ﴿آيات﴾ في الموضعين بنصب التاء بالكسرة عطفا على اسم "إن" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجاثية:٣، والتقدير: إنَّ في خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يؤمنون، وإن في اختلاف الليل والنهار آيات لقوم يعقلون.

وقرأ باقي العشرة: ﴿آيات﴾ بالرفع في الموضعين على الابتداء وما قبله خبر مقدم(٤).

١٨) قوله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾

---

١) المغني في توجيه القراءات ٣/٦٩.
٢) الإتحاف ص ٣٤٦، المغني ٣/١٣١.
٣) الإتحاف ص ٣٨٨، المغني ٣/٢٣٥.
٤) الإتحاف ص ٣٨٩، المغني ٣/٢٣٨.

الجاثية:٢٨.

قرأ يعقوب: ﴿كل﴾ بالنصب على أنها بدل من ﴿كل﴾ الأولى.

وقرأ الباقون بالرفع على أنها مبتدأ وجملة: ﴿تدعى إلى كتابها﴾ الخبر(١).

١٩) قوله تعالى: ﴿وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الحديد:١٠.

قرأ ابن عامر: ﴿وكل﴾ برفع اللام على الابتداء وجملة: ﴿وعد الله الحسنى﴾ خبر والعائد محذوف، والتقدير: وكل وعده الله الحسنى، أي: الجنة.

وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.

وقرأ الباقون: ﴿وكلا﴾ بالنصب مفعولا مقدما لـ﴿وعد﴾ و﴿الحسنى﴾ المفعول الثاني.

وهذه القراءة موافقة لرسم المصاحف غير الشامي(٢).

---

١) المغني ٣/٢٤١.

٢) الإتحاف ٤٠٩-٤١٠، المغني ٣/٢٨٥.

المبحث الخامس : القراءات المتعلقة بتعدد اللغات .

هناك قراءات أنتج تنوع القراءات فيها تعدد اللغات في اللفظة الواحدة، وهذا النوع في الحقيقة لا علاقة له بالتفسير أصلاءولكن لما كان من المهم للمفسر أن يطلع عليه فقد أوردت جملة من الأمثلة حوله(١).

وهذا النوع من تنوع القراءات فيه تخفيف على هذه الأمة وارادة اليسر بها والتهوين عليها ؛ شرفا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها واجابة لقصد نبيها أفضل البشر صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن الأمثلة على هذا النوع مايلي :

---

١) عقد السيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان (أبوالفضل) ٢/٨٩ النوع السابع والثلاثون فيما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز فانظره للاستزادة.

١) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا ادْخُلوا فِي السِّلمِ كَافَّةً وَلاتَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ البقرة:٢٠٨.

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنَّه هو السميع العليم﴾ الأنفال:٦١.

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ سورة محمد:٣٥.

قرأ أبوجعفر ونافع وابن كثير والكسائي بفتح السين في جميع المواضع السابقة: ﴿السلم﴾ ﴿للسلم﴾ ﴿السلم﴾.

وقرأ أبوعمرو وابن عامر وعاصم برواية حفص ويعقوب بكسر السين في قوله: ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ وبفتح السين في قوله: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ بفتح السين وباقي المواضع بكسر السين.

وقرأ عاصم برواية أبي بكر بكسر السين في موضع الأنفال وسورة محمد(١).

والقراءات لغتان بمعنى واحد وهو الصلح أو الإسلام(٢).

٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذ قَالَ إبراهِيمُ رَبِ أَرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لم تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْك ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة:٢٦٠.

وقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الزخرف:١٥.

وقول الله تعالى : ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ الحجر:٤٤.

قرأ أبوجعفر وحده : ﴿جزًّا﴾ بغير همز مشدد الزاي حيث كان في كل القرآن.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحده : ﴿جزءا﴾ بضم الزاي مهموزة في جميع القرآن(٣).

وقرأ سائر العشرة : ﴿جُزْءًا﴾ ساكنة الزاي مهموزة في كل القرآن.

---

١) المبسوط ص١٢٩، ١٩٠، ٣٤٥ النشر ٢٢٧/٢.

٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦/٥، الكشف ٢٨٧/١، ٤٩٤، ٢٧٩/٢، حجة القراءات ص١٣٠، ٣١٢، ٦٧٠.

٣) المبسوط ص١١٨ النشر ٤٠٦/١، ٢١٦/٢ الإتحاف ص١٤١.

والجزء بعض الشيء أو ما تقوم به جملته(١).
والقراءتان بضم الزاي وإسكانها لغتان معروفتان الضم لغة الحجازيين والتسكين لغة تميم وأسد(٢).

٣) قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِم كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة:٢٦٥.
وقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون:٥٠.
قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء: ﴿ربوة﴾.
وقرأ سائر العشرة بضم الراء: ﴿ربوة﴾(٣).
والربوة: ما ارتفع من الأرض(٤).
والقراءة بفتح الراء: ﴿ربوة﴾ لغة تميم.
والقراءة بضم الراء: ﴿ربوة﴾ لغة قريش(٥).

٤) قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ البقرة:٢٦٥.
وقوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ الرعد:٤.
وقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ سبأ:١٦.
وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ الأنعام:١٤١.
قرأ نافع وابن كثير: ﴿أكلها﴾ ﴿الأكل﴾ ﴿أكل﴾ ﴿أكله﴾ جميع هذه الألفاظ حيث وقعت في القرآن الكريم باسكان الكاف.
ووافقهما أبوعمرو في: ﴿أكلها﴾ فقط فقرأ باسكان الكاف.
وقرأ سائر العشرة بضم الكاف في جميعها، وكذا أبوعمرو في ﴿الأكل﴾ ﴿أكل﴾ ﴿أكله﴾(٦).
والقراءتان بمعنى واحد، والقراءة بالاسكان لغة تميم وأسد،

---

١) المفردات في غريب القرآن ص٩٣.
٢) حجة القراءات ص١٤٥ المهذب في القراءات العشر ١٠٢/١.
٣) المبسوط ص١٣٤ النشر ٢٣٢/٢.
٤) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٤٨/١.
٥) الكشف ٣١٣/١ حجة القراءات ص١٤٦.
٦) المبسوط ص١٣٤ النشر ٢١٦/٢.

والقراءة بالضم لغة الحجازيين(١).

٥) قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَ لَايَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيئاً يُرِيدُ اللهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران:١٧٦.

وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُول لا يَحْزُنك الَّذِين يُسَارِعُون فِي الكُفْر﴾ المائدة:٤١.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَم إِنَّه لَيَحْزُنك الَّذِي يَقُولُون فإنَّهم لا يُكَذِّبونك﴾ الأنعام:٣٣.

وقوله تعالى: ﴿ولا يحزنك قولهم إنَّ العِزَّة للَّه جَمِيعاً﴾ يونس:٦٥.

وقوله تعالى: ﴿قال إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِه﴾ سورة يوسف:١٣.

وقوله تعالى: ﴿ومَنْ كَفَر فَلَا يَحْزُنك كُفْره﴾ لقمان:٢٣.

وقوله تعالى: ﴿فلا يَحْزُنك قَوْلُهُم﴾ سورة يس:٧٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطَان لِيَحزُن الَّذين آمَنُوا﴾ المجادلة:١٠.

قرأ نافع في جميع هذه المواضع: ﴿يحزنك﴾ ﴿ليحزنني﴾ ﴿ليحزن﴾ بضم الياء وكسر الزاي إلا قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ الأنبياء:١٠٣، فإنه قرأه بفتح الياء وضم الزاي.

وقرأ أبوجعفر جميع هذه المواضع بفتح الياء وضم الزاي إلا قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ الأنبياء:١٠٣، فإنه قرأه بضم الياء وكسر الزاي.

وقرأ سائر العشرة كل المواضع السابقة وقوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ الأنبياء:١٠٣، بفتح الياء وضم الزاي(٢).

والقراءتان لغتان بمعنى واحد(٣).

٦) قوله تبارك وتعالى: ﴿... ولقد جَاءتهم رُسُلُنَا بالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إنَّ كثيراً مِنْهم بَعْدَ ذَلِك فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُون﴾ المائدة:٣٢.

---

١) الكشف ٣١٤/١ المغني ٢٨٠/١.

٢) المبسوط ص١٤٩ النشر ٢٤٤/٢ الإتحاف ص١٨٢.

٣) الكشف ٣٦٥/١ حجة القراءات ص١٨١ المغني ٣٧٩/١-٣٨٠.

وقوله تعالى : ﴿... وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف:١٠١.

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ؟ قَالُوا بَلَى...﴾ غافر:٥٠.

قرأ أبوعمرو : ﴿رسلنا﴾ ﴿رسلهم﴾ ﴿رسلكم﴾ باسكان السين.

وقرأ سائر العشرة هذه الألفاظ بضم السين(١).

والقراءتان لغتان بمعنى واحد ، الاسكان لغة تميم وأسد والقراءة بالضم لغة الحجازيين(٢).

٧) قول الله تبارك وتعالى : ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة:٤٢.

وقوله تعالى : ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة:٦٢.

وقوله تعالى : ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة:٦٣.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة : ﴿للسحت﴾ و ﴿السحت﴾ باسكان الحاء في هذه المواضع.

وقرأ سائر العشرة بضم الحاء فيها(٣).

القراءتان بضم الحاء وسكونها بمعنى واحد وهما لغتان؛ القراءة بالاسكان لغة تميم وأسد والقراءة بضم الحاء لغة الحجازيين(٤).

٨) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة:٤٥.

---

١) النشر ٢١٦/٢ الإتحاف ص١٤٢.

٢) الكشف ٤٠٨/١ المغني ١٣/٢-١٥.

٣) المبسوط ص١٦٢ النشر ٢١٦/٢ الإتحاف ص١٤٢.

٤) الكشف ٤٠٨/١ المغني ١٥/٢-١٦.

وقال تبارك وتعالى : ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ التوبة:٦١.

وقوله تعالى : ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم﴾ لقمان:٧.

قرأ نافع باسكان الذال في قوله: ﴿الأذن﴾ ﴿أذن﴾ ﴿أذنيه﴾.

وقرأ سائر العشرة بضمها فيها جميعا(١).

والمعنى فيها واحد والقراءة بضم الذال لغة الحجازيين والقراءة باسكان الذال لغة تميم وأسد(٢).

٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ المائدة:٥٤.

قرأ أبوجعفر ونافع وابن عامر: ﴿من يرتدد منكم﴾ بدالين.

وقرأ باقي العشرة : ﴿يرتد﴾ بدال واحدة مشددة(٣).

ومعنى القراءتين واحد والقراءة بدال واحدة لغة تميم والقراءة بـ﴿يرتدد﴾ لغة أهل الحجاز(٤).

١٠) قوله تبارك وتعالى : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ الأنعام:١٢٥.

وقوله تعالى : ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دَعَوًا هنالك ثبورا﴾ الفرقان:١٣.

قرأ ابن كثير وحده : ﴿ضيقا﴾ بسكون الياء في الموضعين.

وقرأ سائر العشرة : ﴿ضيقا﴾ بتشديد الياء في السورتين(٥).

---

١) النشر ٢/٢١٦ الاتحاف ص١٤٢.

٢) الكشف ١/٤١٠ المغني ٢/١٨.

٣) المبسوط ص١٦٢ النشر ٢/٢٥٥.

٤) الكشف ١/٤١٣ حجة القراءات ص٢٣٠.

٥) المبسوط ص١٧٤ النشر ٢/٢٦٢.

والقراءتان معناهما واحد وهما لغتان(١).

١١) قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ الأعراف:١٣٧.

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل:٦٨.

قرأ ابن عامر وأبوبكر عن عاصم بضم الراء فيهما: ﴿يعرشون﴾(٢) والقراءتان بمعنى واحد وهما لغتان(٣).

١٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف:١٣٨.

قرأ حمزة والكسائي وخلف برواية اسحاق الوراق عنه بكسر الكاف: ﴿يعكفون﴾.

وقرأ سائر العشرة وخلف برواية الشطي عنه بضم الكاف:﴿يعكفون﴾(٤).

والقراءتان بمعنى واحد والقراءة بكسر الكاف لغة أسد.

والقراءة بضم الكاف لغة باقي العرب(٥).

١٣) قول الله تبارك وتعالى : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ الحجر:٢.

قرأ أبوجعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء: ﴿ربما﴾.

وقرأ سائر العشرة بتشديد الباء مفتوحة: ﴿ربما﴾(٦).

والقراءتان بمعنى واحد ، والقراءة بالتخفيف لغة أهل الحجاز وكثير

---

١) حجة القراءات ص٥٠٨ المغني ٩٣/٢.

٢) المبسوط ص١٨٤ النشر ٢٧١/٢.

٣) الكشف ٤٧٥/١ المغني ١٥٢/٢.

٤) المبسوط ص١٨٤ النشر٢٧١/٢.

٥) الكشف ٤٧٥/١ الإتحاف ص٢٢٩.

٦) المبسوط ص٢٢٠النشر٣٠١/٢.

من قيس والقراءة بتشديد الباء لغة أسد وتميم(١).

١٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الحجر:٥٦.

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦.

وقوله تعالى : ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الزمر:٥٣.

قرأ أبوعمرو والكسائي ويعقوب وخلف بكسر النون: ﴿يقنط﴾ ﴿يقنطون﴾ ﴿تقنطوا﴾.

وقرأ سائر العشرة بفتح النون في هذه المواضع جميعها(٢).

ومعنى القراءات واحد ، والقراءة بكسر النون لغة أهل الحجاز وأسد، والقراءة بفتحها لغة باقي العرب(٣).

١٥) قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب:٢١.

وقوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ..﴾ الممتحنة:٤،

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الممتحنة:٦.

قرأ عاصم بضم الهمزة : ﴿أُسوة﴾ في الآيات الثلاث.

وقرأ سائر العشرة بكسرها : ﴿إِسوة﴾ في الآيات الثلاث(٤).

والقراءتان بمعنى واحد ، والقراءة بضم الهمزة: ﴿أُسوة﴾ لغة قيس وتميم و بكسر الهمزة: ﴿إِسوة﴾ لغة أهل الحجاز(٥).

---

١) زاد المسير ٣٧٩/٤.
٢) المبسوط ص٢٢١ النشر٣٠٢/٢.
٣) المغني ٣١٣/٢.
٤) المبسوط ص٣٠٠ النشر ٣٤٨/٢.
٥) الكشف ١٩٦/٢ حجة القراءات ص٥٧٥ الإتحاف ص٣٥٤ المقتبس من اللهجات العربية القرآنية ص١١٠.

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع جملة من المقترحات التي يوصي بها الباحث.

وتتلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي :

١ - بيان معنى نزول القرآن العظيم، وأن الاستعمال الشرعي لكلمة نزول لم يخرج بها عن حقيقتها اللغوية، وأن القول فيه كالقول في سائر الغيوب، والصفات الإلهية.

٢ - بيان أن للقرآن العظيم بعد إثباته في اللوح المحفوظ، وجود ونزولين، وجود في اللوح المحفوظ، ونزول إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ونزول الى الرسول ﷺ منجما مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة.

٣ - تقرير تكرار نزول القرآن العظيم، والتدليل عليه مع بيان حكمته.

٤ - تقرير أن كتابة الخليفة الراشد: عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن العظيم واقتصاره على حرف واحد من الأحرف السبعة إنما كان بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

٥ - تحديد زمن جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف الشريف.

٦ - بيان أن رسم المصحف العثماني يشتمل على الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه، وعلى ما يوافق رسمه من سائر الأحرف السبعة.

٧ - أن التمييز بين القراءات التي تعود إلى الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليه وبين ما يوافقه من سائر الأحرف إنما هو بالنقل؛ فذاك الحرف حظي بالتواتر في النقل، وما وافقه نقل على غير طريق التواتر، لكن توفرت له شروط القبول من موافقة الرسم والعربية وصحة النقل وتلقاه العلماء بالقبول.

٨ - تقرير أن القراءات سنة متبعه، تؤخذ عن طريق التلقي والرواية، وليست رأيا ودراية.

٩ - بيان أقسام القراءات من جهة النقل، ومن جهة القبول، مع بيان الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والطريق والوجه.

١٠ - تقرير أن القراءات لا تنحصر في السبع أو في العشر، إنما هذا هو المشهور في العصور المتأخرة، أما في الأعصار الأول فهذا العدد قل من كثر، ونزر من بحر.

١١ - تقرير أن التلقي بالقبول مع موافقة الرسم والعربية وصحة السند يفيد العلم ويقوم مقام التواتر في ثبوت القراءة.

١٢ - بيان أنواع الاختلاف الواقع بين القراءات، وفوائد تعدد القراءات.

١٣ - بيان أن التصنيف في القراءات وما يتعلق بها لم ينقطع في عصر من الأعصار وأنه مستمر ولله الحمد إلى زمننا هذا.

١٤ - بيان أن موقف بعض النحاة من بعض القراءات لم يقم على أساس عدم الاعتداد بالقراءة أو عدم الاحتجاج بها، إنما كان نتيجة لأحد أمرين:

إما لعدم ثبوت القراءة لديهم، ثبوت الحجة.

وإما لقيام مانع - بحسب اجتهادهم - منعهم من الأخذ بها وهم في اجتهادهم مأجورون أجراً واحداً.

١٥ - ردّ الشبه التي جاء بها المستشرقون بالنسبة لاختلاف القراءات ولرسمها، وأنها في حقيقتها تطوير للشبه القديمه التي جاء بها المبطلون وردها عليهم أهل العلم.

١٦ - تأكيد أن القراءات جميعها حق، واختلافها حق، لا تضاد فيه، ولا تناقض، لأنه اختلاف تنوع، والاختلاف الذي نفاه الله عزوجل عن القرآن

عن القرآن العظيم هو اختلاف التضاد والتناقض، وهذا لا يوجد في الشرع بله في القرآن العظيم، ولله الحمد والمنة.

١٧ - بيان منزلة القراءات من التفسير، وأنها تارة تكون من باب تفسير القرآن بالقرآن، وتارة تكون من باب تفسير القرآن بالسنة أو بقول الصحابي.

١٨ - بيان أن تنوع القراءات من جهة أثره في التفسير على قسمين:

الأول: قراءات لها أثر في تفسير الآية وبيان معناه.

الثاني: قراءات لا أثر لها في تفسير الآية ومعناها، وإنما هو أمور ترجع إلى اللغة، نحواً، وصرفاً ونحو ذلك.

١٩ - تقرير أن الاهتمام بأثر القراءات في التفسير كان منذ عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

٢٠ - حصر الآيات الكريمة الذي أنتج تنوع القراءات فيها أثراً في معناها وتفسيرها من قبيل الجهات التالية:

أ - القراءات التي بينت معنى الآية.

ب - القراءات التي وسعت معنى الآية.

ت - القراءات التي أزالت الاشكال عن معنى الآية.

ث - القراءات التي خصصت عموم الآية.

ج - القراءات التي قيدت مطلق الآية.

ح - القراءات التي بينت إجمال الآية.

٢١ - ثم أوردت الآيات الذي أنتج تنوع القراءات فيها تنوعا في الأسلوب، دون كبير أثر في معنى الآية وتفسيرها.

٢٢ - تقرير أن تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآني، لا يستطيع أن يأتي به بشر قط من عنده، ثم لا يستطيع أن يبلغه على هذا الوجه الشامل إلا رسول من عند الله حقاً، لذلك لم يحط بعد ذلك إمام واحد بكل القراءات.

أما أهم المقترحات فهي التالية:

١ - شعرت أثناء اشتغالي بموضوع الرسالة - التي بين يديك - بحاجة ماسة إلى كتاب يجمع القراءات المسندة في كتب الحديث والتفسير، ويدرسها ويميز بين الصحيح والضعيف منها، ولذلك اقترح على الباحثين: جمع هذه الروايات ودراستها، وكتاب «الدر المنثور» للسيوطي (ت٩١١هـ) يعطي كشافا عن أماكن الكثير من الروايات المتعلقة بالقراءات في كتب الحديث والتفسير.

٢ - ولاحظت أثناء دراستي وجمعي لمادة البحث وجود جملة كبيرة من القراءات توفرت فيها شروط القبول، وهي خارج العشر، فلو أن متخصصا ينهض للقيام بجمع هذه القراءات الزائدة على العشر، لكان في هذا الخير الكثير على الدراسات القرآنية.

٣ - كان مما انتهيت إليه في هذا البحث : أن علماء النحو الذين نقل عنهم الطعن في بعض القراءات، إنما كان ذلك منهم نتيجة لأحد أمرين:

إما لعدم ثبوت القراءة لديهم، ثبوت الحجة.

إما لقيام مانع - بحسب اجتهادهم - منعهم من الأخذ بها وهم في اجتهادهم مأجورون أجراً واحداً.

وعليه ؛ فإني أرجو أن يقوم بعض المتخصصين بدراسة حول هؤلاء الأئمة يتتبع فيها موقف كل عالم منهم على حدة ؛ من القراءات عموما، ويكشف عن الملابسات التي توفرت في كل موضع من تلك المواضع التي وقف منها ذاك الموقف.

٤ - كما أنصح الباحثين في مجال الدراسات الشرعية، واللغوية، بالاستفادة من القراءات في أبحاثهم، فإنها تعطي الدراسة أبعادا، وآفاقا علمية، تساعد - بإذن الله - على بلوغ الحق، والصواب الذي هو بغية كل طالب.

تمت والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

هذا آخر ما تيسر جمعه في بيان «**القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**» وأرجو الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وهاديا إلى سنة نبيه الأمين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

و «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

الكشافات(1)

- ❁ كشاف الآيات القرآنية
- ❁ كشاف القراءات الشاذة
- ❁ كشاف الأحاديث والآثار
- ❁ كشاف الأعلام
- ❁ كشاف الكتب
- ❁ كشاف الأماكن والبقاع

---

1) هذه الكشافات خاصة بالصلب فقط، ولا تشمل الهامش، وهي مرتبة ترتيبا هجائيا، لم اعتبر فيها (ال) التعريف، و (ابن)، و (أبو)، و (أم).

كشاف الآيات القرآنية

كشـاف القـراءات الشـاذة(١).

---

١) يتضمن القراءات المخالفة للرسم والآحادية التي حكم بشذوذها سواء منها ما وافق الرسم أو خالفه.

تنبيه : قد يكون في الآية أكثر من قراءة شاذة فاكتفي بالاشارة إلى واحدة منها، أو اكتفي بذكر طرف الآية فقط.

كشـاف الأحـاديث والآثـار(1).

(أ)

1) أميز الأثر بوضع (❁) أمامه .
تنبيه : لم يشمل هذا الكشاف الآثار التي نقلت قراءات شاذة لأنها دخلت ضمن كشاف القراءات الشاذة.

(ك)

(ل)

كشاف الأعلام

(أ)

(ب)

(ح)

(س)

(ش)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

كشـــاف الكتب(١)

(أ)

(ب)

---

١) الكتب المذكورة في صلب الرسالة، والصفحات التي وردت فيها.

(ت)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ن)

(و)

كشاف الأماكن والبقاع

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(س)

(ش)

(ع)

(ف)

(ك)

(م)

(ي)

فهرست المصادر والمراجع(١).

١) سرت في ذكر المصادر والمراجع، على الطريقة التالية:
(أ) لم اعتبر في الترتيب (ال) التعريف.
(ب) شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش، سواء المطبوع منها أم المخطوط.
(ج) الفهرس مرتب على حروف المعجم : (أ، ب، ت... الخ)، وبدأت بالقرآن الكريم، كلام الله، وهو أجل الكتب.
(د) العلامة (=) بمعنى: انظر.

- القرآن الكريم(١).

(أ)

- الإبـانة عن معـاني القراءات / لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيـق: د. عبدالفتاح شلبي، المكتبة الفيصلية، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / صديق بن حسن خان القنوجي (١٣٠٧هـ)، أعده للطبع: عبدالجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م.

- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع / لعبدالرحمن بن إسماعيل أبي شامة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى إلبابي الحلبي.

- أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها / أبو أوس إبراهيم الشمسان، دار المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- إتحاف الأمجاد في ما يصح به الاستشهاد / لمحمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، تحقيق: عدنان الدوري، وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٢هـ.

- اتحاف البررة بالمتون العشرة / جمع علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٤هـ.

- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر / لأحمد بن عبدالغني الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تصحيح: علي الضباع، دار الندوة الجديدة.

- الإتقان في علوم القرآن / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

- إجابة السائل شرح بغية الآمل / لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ت١١٨٢هـ)، تحقيق: حسن السياغي و د. حسن الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- الإجماع / لأبي بكر بن محمد ابن المنذر (ت٣١٨هـ)، تحقيق: أبوحماد صغير أحمد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة / لأحمد بن إدريس القرافي (ت٦٨٤هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

---

١) برواية حفص عن عاصم، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية، وأرقام الآيات فيه على عدِّ الكوفيين.

- الإحتجاج بالقراءة الشاذة وأثرها في اختلاف الفقهاء / لمحمد مشهوري محمد نعيم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في أصول الفقه، في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ (على الآلة الكاتبة).

- الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره / لعبدالفتاح شلبي، بحث منشور في مجلة البحث العلمي، بجامعة أم القرى، العدد الرابع.

- الأحرف السبعة للقرآن / لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: عبدالمهيمن الطحان، مكتبة المنارة، مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان / لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، قدم له وضبطه: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأحكام في أصول الأحكام / لعلي بن أبي علي الآمدي (٦٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ.

- أحكام القرآن / لأبي بكر أحمد الجصاص ٣٧٠هـ، دار الفكر.

- أحكام القرآن / لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، جمع: أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، علق عليه: عبدالغني عبدالخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، دار الكتب العلمية - بيروت.

- أحكام القرآن / لابن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: علي محمند البجاوي، نشر دار المعرفة.

- أحكام القرآن / لعماد الدين محمد بن الكيا الهراسي (ت٥٠٤هـ)، طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار / للأزرقي (ت بعد ٢٤٧هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، مكة، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

- اختلاف العلماء / لأبي عبدالله المروزي (٢٩٤هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

- الاختيار لتعليل المختار / عبدالله بن محمود الموصلي (ت٦٨٣هـ)، تعليق: محمود أبو دقيقة، دار المعرفة.

- أخلاق أهل القرآن / لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد عمرو عبداللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- آداب الزفاف / لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان الطبعة الأولى

للطبعة الجديدة ١٤٠٩هـ.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي.

- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي / لأبي العز محمد بن حسين القلانسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، المكتبة الفيصلية بمكة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- أساس البلاغة / لمحمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ.

- أسباب نزول القرآن / لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار القبلة، حدة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / لابن عبدالبر النمري (ت٤٦٣هـ)، في حاشية «الإصابة» لابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

- الأسماء والصفات / لأحمد بن الحسين البيهقي (ـ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية / لجلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، في حاشيته «الإستيعاب» لابن عبدالبر النمري، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

- الإصباح في شرح الاقتراح / لمحمود فجال، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- أصل الإعتقاد دراسة حديثية / لعمر سليمان الأشقر، الدار السلفية، الكويت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- أصول التفسير وقواعده / خالد عبدالرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

- الأضداد / لمحمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ، على نفقة محمد عوض بن لا دن.

- إظهار الحق / لرحمة الله الهندي، تحقيق: محمد الفراج، توزيع الأهرام.

- الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار / لمحمد بن موسى بن عثمان الهمذاني (ت٥٨٤هـ)، مطبعة الأندلس - حمص - الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.

- الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية / لعائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

- الإعجاز و القراءات / لفتحي عبدالقادر فريد، دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- إعراب القراءات السبع وعللها (شرح إعراب قراءات أهل الأمصار) / لحسين بن عبدالله ابن خالوية (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن العثيمين، دار الخانجي، مصر.

- إعراب القرآن / لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

- إعراب القرآن للعكبري = إملاء مامنَّ به الرحمن (سيأتي بعد قليل).

- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري / لحمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد بن سعود بن عبدالرحمن، من مطبوعات مركز إحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين / لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥٢هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف، طبع دار الجيل.

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، بتحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت.

- الإقناع في القراءا السبع / لأحمد بن علي بن أحمد (ابن الباذش) (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: د. عبدالمجيد قطامش، من مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم / لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تصحيح: محمد علي الصابوني مطابع المجد التجارية، ١٣٩٠هـ.

- الإقتراح / لجلال الدين السيوطي، انظر الإصباح شرح الإقتراح.

- الإكليل في استنباط التنزيل / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية.

- إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم لأبي عبدالله محمد الأبي (ت٨٢٧هـ أو بعدها)، ومعه مكمل إكما الإكمال للسنوسي، دار الكتب العلمية.
- الأم / لمحمد بن إدريس الشافعي، تصحيح: محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت.
- الأمثال / لأبي عبيد (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن / لعبدالله بن أبي عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقها ء / لأبي عمر ابن عبدالبر النمري (ت٤٦٣هـ)، نشر حسام الدين المقدسي، دار الكتب العلمية بيروت.
- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / لناصر الدين أحمد ابن المنير الاسكندري (ت٦٨٣هـ)، بهامش «الكشاف» للزمخشري، ويليه «الكافي الشاف»، دار المعرفة.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين / لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، ومعه كتاب «الانتصاف من الإنصاف» لمحمد محي الدين، المكتبة التجارية الكبرى لمصطفى محمد بمصر.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لعبدالله الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، دار الفكر ١٤٠٢هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة / للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، تعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ.
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه / لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لإسماعيل باشا بن محمد أمين (ت١٣٣٩هـ)، تصحيح: محمد شرف الدين، دار العلوم الحديثة.
- الأيمان والنذور / لمحمد عبدالقادر أبوفارس، مؤسسة الرسالة، دار الأرقم، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

(ب)

- البحر المحيط / لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ)، دار الفكر،

الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / لعلاء الدين الكاساني (ت٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

- بدائع الفوائد / لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، الناشر دار الكتاب العربي.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد / لمحمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (ت٥٩٥هـ)، طبع دار المعرفة، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ.

- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري / لعبدالفتاح القاضي، ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

- براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور / لمحمد بدري عبدالجليل، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٥هـ.

- البرهان في تجويد القرآن / لمحمد الصادق قمحاوي، بدون معلومات نشر.

- البرهان في علوم القرآن / لبدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ، دار الفكر.

- بغية الكمال شرح تحفة الأطفال / لأسامة بن عبدالوهاب، نشر مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت.

- أبو بكر ابن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية / لعبدالفتاح شلبي، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة، العدد الخامس.

- البيان في غريب إعراب القرآن / أبوالبركات ابن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: د. طه عبدالحميد طه، وزميله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.

- البيان لأخطاء بعض الكتاب / صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب / لأبي الثناء محمود بن عبدالرحمن

الأصفهاني (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: د. محمد مظهر بقا، من مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس / لمحمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار مكتبة الحياة.

- تاريخ الأدب العربي / لكارل بروكلمان (ت١٣٧٥هـ)، نقله إلى العربية: عبدالحليم نجار وزميله، دار المعارف - جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، الطبعة الرابعة.

- تاريخ بغداد / لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ التراث العربي / لفؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي وزميله، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

- التاريخ الصغير(١) / لمحمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، ويليه الضعفاء الصغير له أيضا، والضعفاء والمتروكين للنسائي، ومعها إفادات أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، وزميله، المكتبة الأثرية، سانكله هل.

- التاريخ الكبير / لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا.

- تاريخ مكة = أخبار مكة للأزرقي (حرف الألف).

- تأويل مشكل القرآن / لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

- التأويل النحوي في القرآن الكريم / لعبدالفتاح الحموز، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- التبصرة (في القراءات السبع) / لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٨هـ)، تعليق: الحافظ محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند.

- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن / لعبدالواحد ابن الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق: أبوالقاسم عبدالعظيم، نشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية بنارس الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

---

١) حقق بعض الباحثين أن التاريخ الأوسط هو المعروف بالتاريخ الصغير، وأنَّ كتاب الضعفاء للبخاري هو التاريخ الصغير، والله أعلم.

- التبيان في نزول القرآن / لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى، انظر مجموعة الرسائل الكبرى.

- تتمة أضواء البيان / لعطية محمد سالم، مطبعة المدني(١).

- التحرير والتنويرمن التفسير / لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

- تحريم نكاح المتعة / لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (ت٤٩٠هـ)، تحقيق: حماد الأنصاري، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن / لأبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني (ت٧٧٩هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار إحياء السنة النبوية، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

- التذكار في أفضل الأذكار / لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي (ت٦٧١هـ)، بعناية بشير محمد العيون، نشر مكتبة دار البيان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، توزيع مكتبة المؤيد بالطائف.

- ترتيب تاريخ ابن معين / لأحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.

- الترغيب والترهيب / لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، خرج أحاديثه: محمد السعيد بسيوني زغلول، مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت.

- الترغيب والتهيب / لأبي محمد زكي الدين عبدالعظيم المنذري (ت٦٥٦هـ)، تعليق: مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل / لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

- تصحيفات المحدثين / لأبي هلال العسكري (ت في حدود الأربعمئة)، تحقيق: محمود أحمد الميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة / لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الكتاب العربي.

١) وتشكل المجلد الثامن والتاسع من أضواء البيان.

- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: د. عاصم عبدالله قريوتي، طبع جمعية عمال المطابع التعونية، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى.

- التعريفات / لعلي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- تفسير آيات الأحكام / لمحمد علي السايس ، مطبعة محمد علي صبيح.

- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم (حرف الألف).

- تفسير البغوي = معالم التنزيل (حرف الميم).

- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل (حرف الألف).

- تفسير الرازي = التفسير الكبير (حرف التاء).

- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق التنزيل (حرف الكاف).

- تفسير السايس = تفسير آيات الأحكام (حرف التاء).

- تفسير سفيان الثوري / سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١هـ)، تحقيق: إمتياز عرشي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- تفسير الشوكاني = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (حرف الفاء).

- تفسير الطبري = جامع البيان (حرف الجيم).

- تفسير غريب القرآن / لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

- تفسير القاسمي = محاسن التأويل (حرف الميم).

- تفسير القرآن / لعبدالرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)، مخطوط مصور عن نسخة دار الكتب المصرية ٢٦٣(١).

- تفسير القرآن العظيم / لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار الفكر.

- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (حرف الجيم).

---

١) كما رجعت إلى الطبعة التي حققها د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

ويميز بين عزوي للمخطوط والمطبوع بذكر الجزء، فإن المخطوط لا أذكر الجزء عند العزو إليه، إنما أشير إلى اللوحة فقط.

- التفسير الكبير / لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

- تفسير النسائي / لأحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: سيد الجليمي، و صبري الشافعي، مكتبة السنة القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي / لمحمد أديب الصالح، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

- التفسير ورجاله / لمحمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٣٩٠هـ

- تقريب التهذيب / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، دار الرشيد حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- تقريب الوصول إلى علم الأصول / لأبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي فركوس، مكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المطبعة العربية باكستان، المكتبة الأثرية باكستان.

- التلويح على التنقيح لمتن التنقيح في أصول الفقه / لسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، دار الكتب العلمية،

- تناوب حروف الجر في لغة القرآن / لمحمد حسن العواد، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- التنبيه (في فقه الشافعية) / لأبي إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، إعداد عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- تهذيب إصلاح المنطق / للخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- تهذيب تاريخ دمشق الكبير / لعلي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) (ت٥٧١هـ)، تهذيب: عبدالقادر بدران (ت١٣٤٦هـ)، دار المسيرة - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

- تهذيب التهذيب / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر أباد - الدكن، الطبعة الأولى - نشر دار صادر.

- تهذيب تهذيب سنن أبي داود / لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة ١٤٠٠هـ.

- تهذيب السنن = تهذيب تهذيب سنن أبي داود (هو السابق له).

- توجيه القاري إلى القواعد والفوائد الأصولية والحديثية والإسنادية في «فتح الباري» / لحافظ ثناء الله الزاهدي، مجلس التحقيق الأثري، جامعة العلوم الأثرية بجهلم، توزيع: حديث اكادمي، نشاط أباد، فيصل أباد، باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- توجيه النظر إلى أصول الأثر / لطاهر بن صالح الجزائري (ت١٣٣٨هـ)، دار المعرفة - بيروت.

- التيسير (في القراءات السبع) / لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تصحيح: أوتوبرتزل، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

(ث)

- الثقات / لمحمد بن حبان البُسْتي (ت٣٥٤هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد - الدكن، الطبعة الأولى.

(ج)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ / لمبارك بن محمد بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- جامع البيان عن تأويل القرآن / لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار المعرفة بيروت، الطبعة الرابعة بالأوفست ١٤٠٠هـ، وهي صورة عن طبعة بولاق سنة ١٣٢٣هـ(١).

- الجامع الصحيح / لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع مع «فتح الباري»، طبع المطبعة السلفية.

- الجامع الصحيح / لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.

- الجامع لأحكام القرآن / لمحمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبدالعيم البردوني وزملائه، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / لأحمد بن علي (الخطيب البغدادي)

---

١) وأشير إليها بـ(بولاق)، وقد رجعت إلى طبعتين أخريين، كما يلي:
- طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ، بيروت لبنان، وأشير عند الرجوع إليها بـ(دار الفكر).
- الطبعة التي حققها الشيخ أحمد شاكر، و محمود شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، وهذه المقصودة عند الإطلاق خاصة في تفسير الأجزاء الأولى من القرآن العظيم، وقد أشير إليها بـ(شاكر).

(ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمود الطحان - مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٣هـ.

- الجرح والتعديل / لعبدالرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم) (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد أباد، الدكن ، الهند ١٢٧١هـ.

- جريدة المدينة المنورة العدد رقم (٨٤٢٦).

- جزء فيه: قراءات النبي ﷺ / لأبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت٢٤٦هـ)، تحقيق: حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- جمال القراء وكما الإقراء / لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مطبعة المدني.

- جمع الجوامع / لتاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، مع حاشية العطار، مطبعة مصطفى محمد.

- جمهرة أنساب العرب / لعلي بن أحمد ابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- جمهرة اللغة / لمحمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، تصحيح: زين العابدين الموسوي، مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر أباد - الدكن - الهند ١٣٤٤هـ.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، مطابع المجد التجارية.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي.

(ح)

- حاشية سعد التفتازاني على العضد / لسعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ)، مع حاشية الجرجاني و الهروي على العضد، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٦هـ.

- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي / لأحمد بن محمد الخفاجي (١٠٦٩هـ)، المكتبة الإسلامية، أزدمير، ديار بكر، تركيا، دار صادر، بيروت.

- الحاوي للفتاوي / لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ.

- حجة القراءات / لأبي زرعة عبدالرحمن ابن زنجلة (ت في بداية القرن الخامس)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

- حرز الأماني ووجه التهاني (في القراءات السبع) / للقاسم بن فِيُّرَّة الشاطبي (ت٥٩٠هـ)، تصحيح وضبط: محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- الحطة في ذكر الصحاح الستة / لصديق حسن خان القنوجي (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمَّان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- حقيقة الصيام / لابن تيمية، (ت٧٢٨هـ)، خرج أحاديثه: الألباني، وحققه: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

- حلية الأولياء و طبقات الأصفياء / لأحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الفكر، بيروت.

- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء / لمحمد بن أحمد الشاشي (٥٠٧هـ)، تحقيق: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكه، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأرقم، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

- الحمل على الجوار في القرآن الكريم / لعبدالفتاح الحموز، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- الحوادث والبدع / لأبي بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق: عبدالمجيد التركي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الغرب الإسلامي.

(خ)

- الخاطريات / لأبي الفتح عثمان بن جني / تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- ابن خالوية وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد / دراسة وتحقيق: محمود جاسم محمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- الخصائص / لأبي الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال / لصفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري (ت بعد سنة٩٢٣هـ)، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، بتقديم: عبدالفتاح أبوغدة، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام / لعلي بن بالي القسطنطيني (ت٩٩٢هـ)، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(د)

- دائرة المعارف الإسلامية / لجماعة من المستشرقين، ترجمها إلى العربية: أحمد الشنتناوي، وزملاؤه، مراجعة: محمد مهدي علام - دار المعرفة - بيروت.

- دراسات في مناهج المفسرين / لإبراهيم عبدالرحمن خليفة، دار الوفاء للطباعة، نشر مكتبة الأزهر، القاهرة ١٣٩٩هـ.

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم / محمد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

- الدر الثمين والمورد المعين / لمحمد بن أحمد ميَّارة المالكي، وبهامشة شرح خطط السداد والرشد على مقدمات ابن رشد، للتتائي المالكي، دار الفكر.

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة / لأحمد بن علي ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، تصحيح: سالم الكرنكوي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد - الدكن - الهند - دار الجيل.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- الدعاء / سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد سعيد بخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر / للبيب السعيد، دار المعارف، ١٩٧٨م.

- دلائل الإعجاز / لعبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي، مطبعة الخانجي.

- دلائل النبوة / لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(ر)

- رجال الفكر والدَّعوة في الإسلام (الإمام الدهلوي) / لأبي الحسن الندوي / دار القلم الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة / لأبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن العثماني الدمشقي (من علماء القرن الثامن)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

- الرد على الجهمية / لأبي سعيد عثمان الدارمي (٢٨٠هـ)، تخريج: محمد ناصر الدين

الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

- الرسائل الكبرى = مجموعة الرسائل الكبرى.

- الرسالة / لمحمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بدون معلومات نشر.

- رسالة حمزة / لمحمد بن أحمد المتولي (١٣٣١هـ)، راجعه: على الضباع، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.

- رسالة ورش / لمحمد بن أحمد المتولي (ت١٣٣١هـ)، تصحيح: عامر السيد عثمان، مكتبة ومطبعة: محمد علي صبيح وأولاده، بمصر.

- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية / لغانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للإحتفال بمطلع القرن الخامس عشر، بغداد، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن دوافعها ودفعها / لعبدالفتاح شلبي، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية / لصالح ابن حميد، مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- روائع البيان تفسير آيات الأحكام / لمحمد علي الصابوني، منشورات مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر سنة ١٣٩٨هـ.

- روضة الطالبين وعمدة المفتين / لأبي زكريا يحي النووي (ت٦٧٦هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويس، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

- روضة الناظر وجنة المناظر / لعبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، راجعه: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير / لعبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد / لمحمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ.

(س)

- السبعة (في القراءات) / أحمد بن موسى ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية.

- سبل السلام شرح بلوغ المرام / لمحمد بن إسماعيل الأنصاري (ت١١٨٢هـ)، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان الطبعة الخامسة ١٣٩١هـ.

- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي / لعلي بن عثمان العذري (ابن القاصح) (ت٨٠١هـ)، راجعه: علي محمد الضباع، بهامشه «غيث النفع» - دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ.

- سفيان الثوري وأثره في التفسير / لهاشم المشهداني، دار الكتاب للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة / لمحمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأول والثاني المكتب الأسلامي، المجلد الثالث والرابع المكتبة الإسلامية.

- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن / لمحمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

- سنن الدارقطني / لعلي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، وبذيله «التعليق المغني» للآبادي، عني بتصحيحه وتنسيقه وترقيمه وتحقيقه: عبدالله هاشم يماني المدني (ت ١٣٨٦هـ)، دارالمحاسن للطباعة، القاهرة.

- سنن الدارمي / لعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، طبع بعناية محمد أحمد طهمان، دار إحياء السنة النبوية.

- سنن أبي داود / لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

- سنن الترمذي / لمحمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر ج ١و٢، ومحمد فؤاد عبدالباقي ج ٣، وإبراهيم عطوة ج ٤ و٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سنن النسائي / لأحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، دار إحياء التراث العربي.

- سنن ابن ماجة / لمحمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ.

- السنن الكبير (الكبرى) / لأحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، وفي ذيله «الجوهر النقي»، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٤٤هـ.

- سير أعلام النبلاء / للذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار / لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى الكاملة ١٤٠٥هـ.

(ش)

- الشاطبية = حرز الأماني ووجه التهاني (حرف الحاء).

- شذا العرف في فن الصرف / لأحمد الحملاوي (ت١٣٥١هـ)، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لعبدالحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، دار الفكر، بيروت.

- شرح الأبي على صحيح مسلم = إكمال إكمال المعلم (حرف الألف).

- شرح التلخيص في علوم البلاغة / لمحمد هاشم دويدري، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

- شرح رسالة قالون / لعلي الضباع (ت١٣٧٦هـ)، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

- شرح الزرقاني لموطأ مالك / لمحمد الزرقاني (ت١١٢٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٨هـ.

- شرح السنة / للحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- شرح شافية ابن الحاجب / لرضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، مع شرح شواهده للبغدادي، تحقيق: محمد نور الحسن وزملائه، دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ.

- شرح شرح نخبة الفكر / لملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

- الشرح الصغير على أقرب المسالك / لأحمد بن محمد الدردير (١٢٠١هـ)، في هامش بلغة السالك للصاوي، دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

- شرح العقيدة الطحاوية / لمحمد بن علي بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، خرَّج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ.

- شرح القصائد العشر / للخطيب أبي زكريا التبريزي (٥٠٢هـ)، تصحيح: عبدالسلام الحوفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات / لأبي جعفر ابن النحاس (ت٣٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- شرح لا مية العجم = الغيث المسجم (حرف الغين).

- شرح مسلم للنووي = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (حرف الميم).

- شرح معاني الآثار / لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، حققه وضبطه ونسقه وصححه: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- شرح المعلقات السبع / للحسين بن أحمد الزوزني (٤٨٦هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة.

- الشعر والشعراء / لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ / لعياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ.

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

- شفاء الغليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل / لعبدالملك الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: أحمد السقا، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ.

(ص)

- صحيح البخاري = الجامع الصحيح للبخاري (حرف الجيم).

- صحيح مسلم = الجامع الصحيح لمسلم (حرف الجيم).

- صحيح الجامع الصغير / لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

- صحيح ابن خزيمة / لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ.

- صحيح ابن حبان = الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان(١) (حرف الألف).
- صحيح ابن حبان = موارد الظمآن(٢) (حرف الميم).
- صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند / تصحيح الأحاديث لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن الترمذي باختصار السند / تصحيح الأحاديث لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن النسائي باختصار السند / تصحيح الأحاديث لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراها من التكبير إلى التسليم / لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- صفة صوم النبي ﷺ / لعلي حسن عبدالحميد، وسليم الهلالي،
(ض)
- ضعيف الجامع الصغير / لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية / لمحمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.
- ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة / لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
(ط)
- طبقات المدلسين = تعريف أهل التقديس (حرف التاء).
- طبقات المفسرين / لمحمد بن علي الداودي (٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- الطريقة البهية في تحرير مازاده حمزة من الطيبة على الشاطبية / لأحمد بن عبدالحميد شعبان، مراجعة: محمد إسماعيل الهمداني، المكتبة المحمودية التجارية، مصر.

---

١) كنت إذا أحلت إلى صحيح ابن حبان أنبه إلى أن ذلك من خلال «الإحسان» بقولي (الإحسان).

٢) كنت إذا أحلت إلى صحيح ابن حبان أنبه إلى أن ذلك من خلال «موارد الظمآن» بقولي (موارد).

- الطريق المأمون إلى أصول رواية قالون (من طريق الشاطبية) / لعبدالفتاح السيد عجمي المرصفي، راجعه: عبدالفتاح القاضي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.

(ع)

- عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب / أحمد عبداللطيف، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة، فرع العقيدة، بجامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ (على الآلة الكاتبة).

- علل القراءات السبع = إعراب القراءات السبع وعللها (حرف الألف).

- علوم البلاغة / أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

- أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية وآثاره في القراءات والنحو / لعبدالفتاح شلبي، نشر دار المطبوعات الحديثة، جدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ / لشهاب الدين أحمد بن يوسف (السمين) (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمود محمد السيد الدغيم، دار السيد للنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- الإمام أبوعمرو الداني وكتابه «جامع البيان في القراءات السبع» / لعبدالمهيمن الطحان، مكتبة المنارة، مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(غ)

- الغاية في القراءات العشر / لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت٣٨١هـ)، تحقيق: محمد غياث الجنباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام / لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

- غاية النهاية في طبقات القراء / لشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عني بنشره: ج برجستراسر، طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل / لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود / لأبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- غيث النفع في القراءات السبع / لعلي النوري (ت١١١٧هـ)، بهامش «سراج القارئ» لابن القاصح، دار الفكر ١٤٠١هـ.

- الغيث المسجم في شرح لامية العجم / لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، دار الكتب

العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ج ١-٣، ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع المكتبة السلفية.

- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني / لأحمد عبدالرحمن البنا، مع مختصر شرحه «بلوغ الأماني»، نشر دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة.

- فتح القدير على بداية المبتدي / لكمال الدين محمد ابن الهمام (ت٦٨١هـ)، ومعه شرح العناية على الهداية للبابرتي، وحاشية سعدي جلبي، ويليه تكملة فتح القدير المسماة «نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار» لقاضي زاده، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

- الفرق بين الفرق / لعبدالقاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل / لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

- فضائل القرآن / لأبي عبدالرحمن النسائي (ت٣٠٣هـ، تحقيق: سمير الخولي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- فضائل القرآن / لعماد الدين إسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، دار الأندلس، بيروت.

- فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل وفي كم يقرأ، واسنة في ذلك / لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (٣٠١هـ)، تحقيق: يوسف عثمان فضل الله، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة / لأبي عبدالله محمد بن أيوب ابن الضريس (ت٢٩٥هـ)، تحقيق: د. مسفر سعيد الغامدي، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه / لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، تحقي: محمد تجاني جوهري، رسالة ماجستير بجامعة المكل عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية، شعبة الكتاب والسنة، ١٣٩٣هـ، على الآلة الكاتبة(١).

- فقه عمر بن الخطاب موازنا بفقه أشهر المجتهدين (الحدود والجنايات) / لرويعي بن راجح الرحيلي، من مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- فقه اللغة وسر العربية / لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية.

- فهرست ابن خير الإشبيلي / لمحمد بن خير الإشبيلي (-٥٧٥هـ)، نسخ ومقابلة: فرنسشكه قدره زيدين وتلميذه، المكتب التجاري بيروت ومكتبة المثنى بغداد، ومؤسسة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

- فهرست المخطوطات والمصورات (المصاحف والتجويد والقراءات) / مطبوعات عمادة شئون المكتبات، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- فهرس التفسير وعلوم القرآن للمصورات (الميكروفلمية) بمركز البحث العلمي / إعداد: فرج عطا سالم، من مطبوعات مركز البحث العلمي جامعة أم القرى، ١٣٩٩هـ.

- فهرس علوم القرآن للمصورات (الميكروفلمية) بمركز البحث العلمي / إعداد قسم الفهرسة بالمركز، من مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ.

- فهرست ابن النديم / لمحمد بن إسحاق ابن النديم (ت٣٨٥هـ)، نشر دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨هـ.

- الفواكه الدواني شرح رسالة أبي زيد القيرواني / لأحمد بن غنيم النفراوي (ت١١٢٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

- الفوز الكبير في أصول التفسير / لشاه ولي الله الدّهلوي (١١٧٦هـ)، ترجمة: محمد منير آغا الدمشقي، ، طبع باعتناء مير محمد كتب خانة.

- في أصول النحو / لسعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- في ظلال القرآن / لسيد قطب (ت١٣٨٧هـ)، دار الشروق، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ.

- في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق / لسيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(ق)

- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب / لعبدالفتاح القاضي، يلي البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى

---

١) كما رجعت إلى طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، وقد وقفت عليها مؤخرا.

١٤٠١هـ.

- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين / لعبدالفتاح عبدالغني القاضي، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف / لعبدالهادي الفضلي، نشر مكتبة دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ.

- القراءات القرآنية في بلاد الشام / لحسين عطوان، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

- القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه (من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة / لمحمد عارف عثمان موسى الهرري، ١٤٠٦هـ، بدون معلومات نشر.

- القراءات وأثرها في علوم العربية / لمحمد سالم محيسن، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ.

- القرطين / لابن مطرف الكناني (ت٤٥٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر / لقاسم أحمد الدجوي وزميله، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثالثة.

- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل / لعبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

(ك)

- الكافي في الفقه (الحنبلي) / لموفق الدين عبدالله ابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: زهير شاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

- الكامل في القراءات الخمسين / ليوسف بن علي الهذلي، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، رواق المغاربة، (٣٦٩)(١).

- الكتاب / لعبدالله بن جعفر بن درستوية (ت٣٤٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، وزميله، دار الكتب الثقافية - الكويت - حولي، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

- الكتاب / لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ويليه «الكافي الشافي» لابن حجر، دار المعرفة، بيروت.

---

١) صورة منها لدى الشيخ سعيد العبدالله، وعن طريقه وقفت عليها، وبمركز البحث العلمي مصورة على شريط مصغر، عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية، تحت رقم ٢٠٠، ورقمها بمركز البحث (١٣٤ / قراءات).

- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة / لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، دار العلوم الحديثة، بيروت.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالةالطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار / لتقي الدين الحصني (من علماء القرن التاسع)، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- كلمة حق (مجموعة مقالات وبحوث) / لأحمد شاكر، تقديم: عبدالسلام هارون، دار الكتب السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / لعلاء الدين علي المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تصحيح: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ.

(ل)

- لباب النقول في أسباب النزول / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

- لسان العرب / لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

- لسان الميزان / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى سنة ١٣٣١هـ.

- لطائف الإشارات لفنون القراءات / لشهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان وزميله، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩٢هـ.

(م)

- مباحث في علوم القرآن / لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة ١٩٧٧م.

- مباحث في علوم القرآن / لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤٠٠هـ.

- المبدع في شرح المقنع / لإبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن مفلح (ت٨٨٤هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت ١٩٨٠م.

- المبسوط في القراءات العشر / لأبي بكر ابن مهران (ت٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ.

- مجاز القرآن / لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين / لأبي حاتم ابن حبان (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، توزيع دار الباز، مكة.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

- مجمل اللغة / لأبي الحسين ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- مجموعة الرسائل الكبرى / لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، دار إحياء التراث العربي.

- المجموع شرح المهذب / ليحي بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، وبهامشه شرح الوجيز، والتلخيص الحبير، دار الفكر.

- مجموع الفتاوى / لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني / جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مطبعة الرسالة، سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

- المختار في الرد على النصارى / للجاحظ ٢٥٥هـ، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- المختار من كنوز السنة / لمحمد عبدالله دراز، عني بنشره: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثالثة.

- مختصر الخرقي من مسائل الإمام أحمد بن حنبل / لأبي القاسم الخرقي (ت٣٣٤هـ)، تحقيق: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

- مختصر الصواعق المرسلة / لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، اختصار الموصلي، مع تعليقات عبدالظاهر أبو السمح، بدون معلومات نشر.

- مختصر المستدرك للذهبي بهامش المستدرك انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم.

- المختصر في علم الأثر / لمحي الدين الكافيجي (ت٨٧٩هـ)، ضمن رسالتان في مصطلح الحديث، تحقيق: علي زوين، دار الرشد، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- مختلف الحديث وموقف النقاد منه / لأسامة عبدالله خياط، مطابع الصفا، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- محاسن التأويل / لمحمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تصحيح وتعليق: محمد

فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / لأبي الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، وزملائه، دار سزكين للطباعة والنشر، أعده للطباعة: محمد بشير الأدلبي ١٤٠٦هـ.

- المحصول في علم أصول الفقه / لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- المحكم في نقط المصاحف / لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: عزة حسين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

- المحلى / لعلي بن حزم (٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الفكر.

- مدخل إلى القرآن الكريم / لمحمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.

- مذاهب التفسير الإسلامي / لجولد تسيهر (ت١٩٢١م)، ترجمة وتعليق: عبدالحليم النجار، دار إقرأ.

- مذكرة أصول الفقه / لمحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات / لابن حزم (ت٤٥٦هـ)، ويليه «نقد مراتب الإجماع» لابن تيمية، دار الكتب العلمية.

- المراسيل / لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تعليق: أحمد عاصم الكاتب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / لشهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل أبو شامة (ت٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت ١٣٩٥هـ.

- المزهر في علوم اللغة و أنواعها / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وزملائه، دار الفكر.

- مسائل أحمد بن حنبل / رواية: عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

- المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين / لمحمد بن الحسين أبويعلى الفراء (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبدالكريم بن محمد اللاحم - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- المستدرك على الصحيحين / لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري

(ت٤٠٥هـ)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

- المستصفى في علم الأصول / لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، ومعه «فواتح الرحموت»، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- المستقصى في أمثال العرب / لأبي القاسم الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

- المسند / لمحمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، ترتيب محمد عابد السندي، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله السيد يوسف علي الزواوي الحسني، والسيد عزت العطار الحسيني ١٣٧٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- المسند / لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، الميمنية، وبهامشه «منتخب كنز العمال»، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ(١).

- المسند / لأبي يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- مسند البزار = كشف الأستار (حرف الكاف).

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار / لأبي الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة.

- مشكل الآثار / لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر أباد، الطبعة الأولى ١٣٣٣هـ.

- مشكل القرآن لابن قتيبة = تأويل مشكل القرآن.

- المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم / لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: ياسين السواس، من مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

- المصاحف / لأبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت٣١٦هـ)، دار الكتب

---

(١) كما رجعت إلى «مسند أحمد» بتحقيق: أحمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، وعند الإحالة إلى هذه الطبعة أنبه على ذلك.
كما أحلت إلى «مسند أحمد» بترتيب البنا، السمى (الفتح الرباني) وعند الإحالة إليه أنبه على ذلك بقولي (البنا).

العلمية، بيروت، الطبعة الأوللى ١٤٠٥هـ(١).

- المصنف في الأحاديث والآثار / لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، الدار السلفية، الهند، بمبي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

- المصنف / لعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي كراتشي باكستان، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ، ويطلب من المكتب الإسلامي - بيروت.

- المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب / لعلي الضباع (ت١٣٧٦هـ)، مطبعة مصطفى إلبابي الحلبي وأولاده.

- معالم التنزيل / لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك، وزميله، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- معاني القرآن / لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

- معاني القرآن / للأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: عبدالأمير (!) محمد أمين، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- معاني القرآن الكريم / لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، مطبوعات مركز إحياء التراث، بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- معاني القرآن وإعرابه / لأبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- معجم الأدباء / لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: مرجليوت، مطبوعات دار المأمون، دار إحياء التراث العربي.

- معجم البلاغة العربية / لبدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

- معجم البلدان / لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر ، دار بيروت، ١٤٠٤هـ.

- معجم فقه السلف عترة وصحابة وتابعين / لمحمد المنتصر الكتاني، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، مطابع الصفا، ١٤٠٥هـ.

- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذيِّل بالإملاء / لعبدالغني الدقر، دار

---

١) كما رجعت إلى مخطوطة تشستر بتي، والتي يقوم على تحقيقها، مقابلة مع نسخة أخرى بعض اخواننا، وفقه الله.

القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / لعبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب.

- معجم مقاييس اللغة / تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، إيران.

- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)/ لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.

- المعجم الصغير / لسليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ، ويليه رسالة «غنية الألمعي».

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة / لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

- المعجم الكبير / لسليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية.

- المعجم الوسيط / لإبراهيم أنيس، وزملائه، مطابع دار المعارف بمصر، ١٣٩٣هـ الطبعة الثانية.

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم / لأبي منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: ف . عبدالرحيم، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- معرفة علوم الحديث / لأبي عبدالله محمد النيسابوري (الحاكم) (ت٤٠٥هـ)، اعتنى بنشره وتصحيحه: معظم حسين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار / لمحمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد، وزملائه، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- المغني في تصريف الأفعال / لمحمد عبدالخالق عضيمة، دار العهد الجديد، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.

- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / لمحمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية ١٤٩٨هـ.

- المغني في الفقه / لابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، تقديم : محمد رشيد رضا، نشر مكتبة الجمهورية العربية، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / لجمال الدين ابن هشام المصري الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (حرف التاء).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم / لطاش كبرى زاده (٩٦٨هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- المفردات في غريب القرآن / لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / لأبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ)، عني بتصحيحه: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية / لمحمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- المقتضب / لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المقدمات / لأبي الوليد ابن رشد (ت٥٢٠هـ)، بهامش «المدونة الكبرى»، دار الفكر.
- مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث) / لأبي عمرو عثمان ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، المكتبة العلمية، ١٤٠١هـ.
- مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة «كتاب المباني»، ومقدمة «ابن عطية») / نشر آرثر جفري، تصحيح: عبدالله الصاوي، نشر مكتبة الخانجي ١٣٩٢هـ.
- مقدمة في أصول التفسير / لابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.
- مقدمة صحيح مسلم انظر الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج.
- المقصد لتلخيص ما في المرشد / لأبي يحي زكريا الأنصاري، بهامش «منار الهدى في بيان الوقف والابتدا» لأحمد بن محمد الأشموني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفي إلبابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار / لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
- المقنع في الفقه (الحنبلي) / لعبدالله بن أحمد ابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عزوجل / لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: يوسف مرعشلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن / لأحمد حسن فرحات، دار الفرقانالطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- ملحق الأعلام انظر «هداية القاريء».

- الملل والنحل / لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ.

- الممتع في التصريف / لابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- من أسرار التعبير القرآني (حروف القرآن) / لعبدالفتاح لا شين، شركة مكتبات عكاظ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا / لأحمد بن محمد الأشموني، ومعه «المقصد لتلخيص ما في المرشد»، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفي إلبابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

- مناقب الشافعي / لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- مناهل العرفان في علوم القرآن / لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى إلبابيالحلبي.

- منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل / لجمال الدين أبي عمرو ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- المنجد في الأعلام = المنجد في اللغة والأعلام (حرف الميم).

- المنجد في اللغة والأعلام / لكرم البستاني وزملائه،، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثامنة والعشرين ١٣٨٦هـ.

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين / لمحمد محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / لمحي الدين يحي بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، بتصحيح: محمد محمد عبداللطيف، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث.

- المهذب في القراءات العشر / لمحمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة

الثانية ١٣٨٩هـ.

- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان / نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، حققه ونشره: محمد عبدالزاق حمزة، دار الكتب العلمية.

- الموافقات في أصول الشريعة / لأبي إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، بشرح عبدالله دراز، المكتبة التجارية الكبرى.

- موسوعة الاجماع في الفقه الإسلامي / لسعدي أبوجيب، دار العربية.

- موسوعة فقه عبدالله بن عباس / لمحمد رواس قلعه جي، من مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى.

- موسوعة فقه عثمان بن عفان / لمحمد رواس قلعه جي، من مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- موسوعة المستشرقين / لعبدالرحمن بدوي دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

- موطأ مالك / لمالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٦هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال / لأحمد بن محمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.

(ن)

- النبأ العظيم / لمحمد عبدالله دراز، دار القلم، بيروت، الكويت ١٤٠٠هـ.

- نزهة النظر شرح نخبة الفكر / لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مذيلا بتعليقات لإسحاق عزوز، نشر المكتبة العلمية.

- النشر في القراءات العشر / لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، إشراف: علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والنشر.

- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية / جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، مع حاشيته «بغية الألمعي»، نشر المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

- نظرية النحو القرآني / لأحمد مكي الأنصاري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر / لأبي الفيض جعفر الحسني، طبع بالمطبعة المولوية بفاس العليا المحمية سنة ١٣٢٨هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر / لمجد الدين أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري

(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية.

- النهر الماد / لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ)، بهامش «البحر المحيط» دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

- نواسخ القرآن / لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار / لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٧٣م، (عن الطبعة المنيرية).

(هـ)

- هداية الباري إلى تجويد كلام الباري / لعبدالفتاح السيد عجمي المرصفي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، على نفقة محمد بن عوض بن لادن.

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(و)

- الوجيز (في فقه مذهب الإمام الشافعي) / لأبي حامد محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ.

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى / لعلي بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

دليل محتويات الرسالة

تم بحمد الله وصلّى اللّه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.